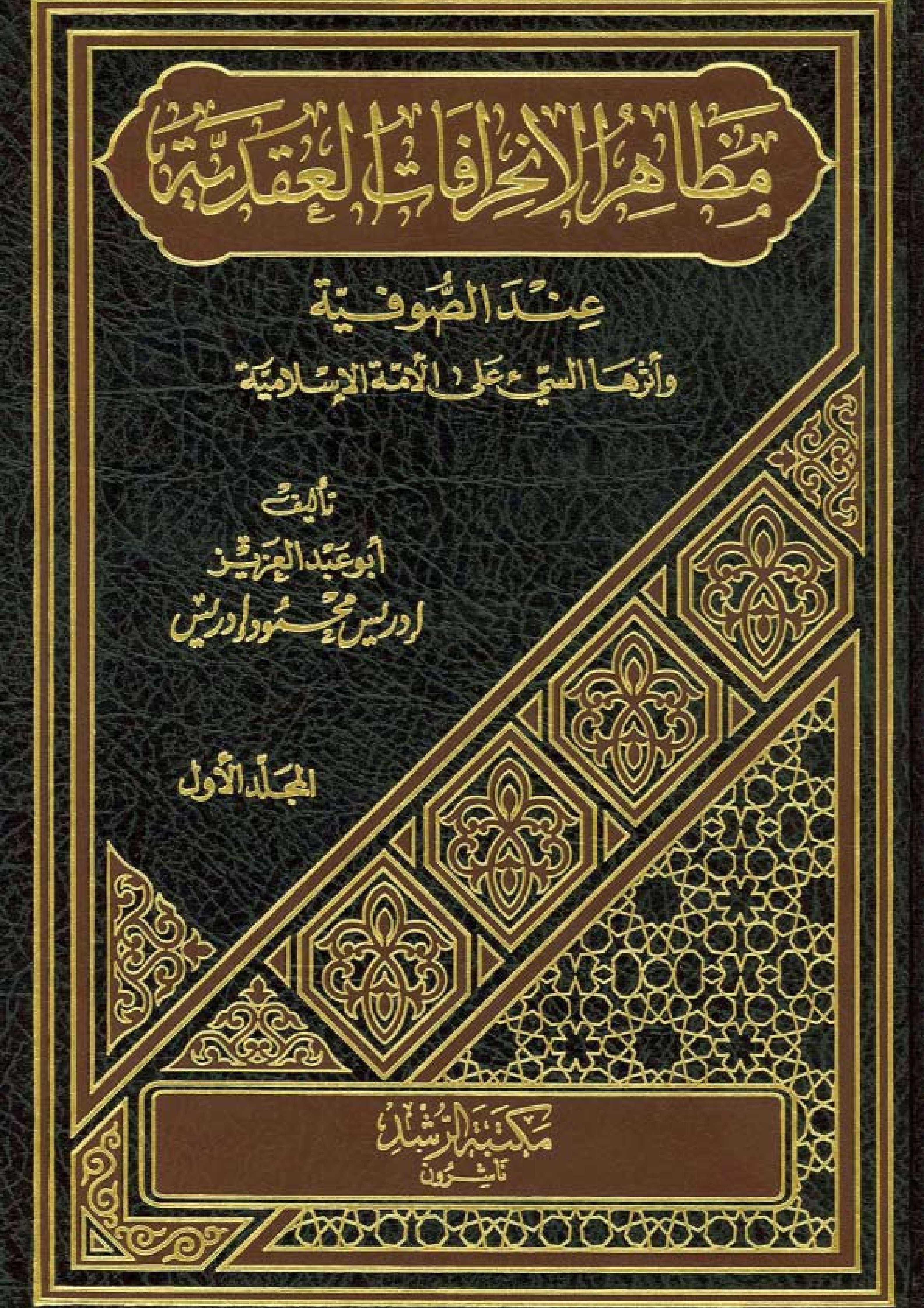

مظاهر الانحرافات العقدية
عند الصوفية
وأثرها السيء على الأمة الإسلامية
تأليف
أبو عبد العزيز
إدريس محمود إدريس
المجلد الأول
مكتبة الرشد
ناشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها الباحث لنيل درجة الماجستير من كلية الدعوة وأصول الدين قسم العقيدة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وقد نال بها الباحث الدرجة العلمية الماجستير بتقدير ممتاز .

مظاهر الانحرافات العقدية

عند الصوفية

وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية

تأليف

أبو عبد العزيز

ادريس محمود إدريس

المجلد الأول

مكتبة الرشد

الرياض

شركة الرياض

للنشر والتوزيع

الطبعة الثانية

١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م



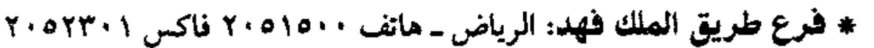
مكتبة الرشد ناشرون

المملكة العربية السعودية ـ الرياض ـ شارع الأمير عبدالله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)

ص.ب ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٥٩٣٤٥١ فاكس ٤٥٧٣٣٨١

Email: alrushd@alrushdryh.com

Website: WWW. rushd.com



* **فرع طريق الملك فهد:** الرياض ـ هاتف ٢٠٥١٥٠٠ فاكس ٢٠٥٢٣٠١
* **فرع مكة المكرمة:** هاتف ٥٥٨٥٤٠١ فاكس ٥٥٨٣٥٠٦
* **فرع المدينة المنورة:** شارع أبي ذر الغفاري ـ هاتف ٨٣٤٠٦٠٠ فاكس ٨٣٨٣٤٢٧
* **فرع جدة:** ميدان الطائرة ـ هاتف ٦٧٧٦٣٣١ فاكس ٦٧٧٦٣٥٤
* **فرع القصيم:** بريدة ـ طريق المدينة ـ هاتف ٣٢٤٢٢١٤ فاكس ٣٢٤١٣٥٨
* **فرع أبها:** شارع الملك فيصل ـ تلفاكس ٢٣١٧٣٠٧
* **فرع الدمام:** شارع الخزان ـ هاتف ٨١٥٠٥٦٦ فاكس ٨٤١٨٤٧٣

وكلاؤنا في الخارج

القاهرة: مكتبة الرشد ـ هاتف ٢٧٤٤٦٠٥

بيروت: دار ابن حزم ـ هاتف ٧٠١٩٧٤

المغرب: الدار البيضاء ـ وراقة التوفيق ـ هاتف ٣٠٣١٦٢ فاكس ٣٠٣١٦٧

اليمن: صنعاء ـ دار الآثار ـ هاتف ٦٠٣٧٥٦

الأردن: عمان ـ الدار الأثرية ـ هاتف ٦٥٨٤٠٩٢ جوال ٧٩٦٨٤١٢٢١

البحرين: مكتبة الغرباء ـ هاتف ٩٥٧٨٣٣ ـ ٩٤٥٧٣٣

الإمارات: مكتبة دبي للتوزيع ـ هاتف ٤٣٣٣٩٩٩٨ فاكس ٤٣٣٣٧٨٠٠

سوريا: دار البشائر ـ هاتف ٢٣١٦٦٦٨

قطر: مكتبة ابن القيم ـ هاتف ٤٨٦٣٥٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد للَّه نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد اللَّه فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾[2] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[3] .

أما بعد فإن اللَّه سبحانه وتعالى بعث نبيه محمداً ﷺ على حين فترة من الرسل اندرست فيها معالم التوحيد واختفت آثاره إلا في قلة من الحنفاء

(١) آل عمران : (١٠٢) .

(٢) النساء : (١) .

(٣) الأحزاب : (٧٠ ، ٧١) .

واستشرى الشرك وعم بلاؤه نطاق المجتمعات البشرية عربية كانت أو أعجمية حيث اتخذ الناس من دون اللّٰه آلهة من طواغيت البشر والشجر والحجر يستغيثون بها عند الشدائد ويستعينون بها في تذليل الأزمات وتسهيل العقبات ويخضعون لتشريعات الطواغيت من البشر فيحلون ما أحلوه لهم ويحرمون ما حرموه عليهم .

وقد أراد اللّٰه للمجتمع العربي أن يتولى قياة البشرية ويتولى ريادتها وهدايتها إلى التوحيد الخالص فاختار منهم رسوله محمداً ﷺ ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً فصدع فيهم بدعوة اللّٰه المباركة ودعاهم إلى إفراد اللّٰه بالعبادة ونبذ ما كانوا فيه من الشرك والوثنية وبهذه الدعوة المباركة تبدل الوضع في الجزيرة العربية ونشأ فيها جيل يستقي من كتاب اللّٰه وسنة رسوله محمد ﷺ ويكيف حياته وفق الشريعة الإسلامية ويعمل ليل نهار لتخليص البشرية كافة من العبودية لغير اللّٰه إلى العبودية للّٰه سبحانه وتعالى .

وظلت هذه الصفوة المختارة تسير على ضوء الكتاب والسنة يشد بعضها بعضًا كالجسد الواحد وقد شهد لهم بهذه الأخوة الصادقة اللّٰه سبحانه وتعالى في كتابه فقال : ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾ الآية[1] .

وقد فارقهم رسول اللّٰه ﷺ وهو عنهم راض بعد أن بلغهم الرسالة وأشهدهم على ذلك ورباهم أحسن تربية ليكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليهم شهيداً .

وهكذا كانت الأمة الإسلامية في عهد أبي بكر وعمر وعثمان في عافية

---

(١) الفتح : (٢٩) .

من البدع والعقائد الفاسدة موحدة فيما بينها متماسكة مترابطـة حتى ظهر عبد اللّه بن سبأ الخبيث في أواخر عهد عثمان رضي اللّه عنه الذي كان السبب الرئيسي في تفريق الأمة الإسلامية ونشر العقائد الفاسدة .

ومنذ ذلك الوقت ظل السيف يعمل في رقاب المسلمين وظلت أفكار اليهود تجد مرتعًا خصبًا لدى العقول المريضة فظهرت عقائد غريبة على الإسلام كعقائد الشيعة والخوارج وهكذا توالت البدع حتى ظهرت العقائد الباطلة بشتى أنواعها كالمعتزلة والجهمية والأشاعرة والصوفية وغيرها من الفرق الضالة المنتشرة في عالمنا الإسلامي على امتداده الواسع والذي يهمنا في هذه الرسالة هي الصوفية .

والصوفية ظهرت أول ما ظهرت على هيئة الزهد المبالغ فيه والتقشف الذي ليس له أساس في الإسلام حيث إن الزهد الذي مارسوه إذا نظرنا فيه نجده زهدًا فلسفيًا وثنيًا بحتًا وليس من الإسلام في شيء .

وياليتهم وقفوا عند هذا الحد بل واصلوا طريقهم حتى تأثروا بعقائد الفلاسفة اليونانيين والبوذيين والهنود والنصرانية المحرفة فاعتنقوا عقائد إلحادية ووثنية .

وهكذا واصلوا الطريق حتى نشروا الشرك والوثنية في العالم الإسلامي بأسره إلا ما شاء اللّه كالمملكة العربية السعودية التي طهرها اللّه من هذه الشركيات بدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب السلفية حيث إنك تجد في كل العالم الإسلامي قبورًا تعبد من دون اللّه سبحانه وتعالى يتوجه إليها الناس بالدعاء والاستغاثة والذبح والنذر وهذه الوثنية كان وراءها الصوفية ولا زالوا إلى الآن يواصلون نشرها وينفقون الأموال الطائلة لها وخير شاهد على

ذلك المركز العالمي للصوفية والذي مقره في لندن حيث إن هذا المركز يقود الصوفية في العالم أجمع ويصدر كتبًا ومجلات كلها مليئة بالدعوة إلى الشرك والإلحاد وانظر إذا أردت الدليل على ذلك مجلتهم التي يصدرونها بعنوان « الصوفية المتجددة » فإنك ستجد فيها نفس العقائد الإلحادية التي قررها محيي الدين بن عربي وأمثاله من زعماء الصوفية وهذا يؤكد لنا وحدة معتقدات الصوفية مهما تباعدت أمكنتهم وأزمنتهم وهو في نفس الوقت رد كاف على الذين يقولون بأن محيي الدين بن عربي وأمثاله من أهل وحدة الوجود لا يمثلون كل الصوفية حيث إن كل من يقرأ في كتب الصوفية التي ألفوها بأيديهم يجد ثناءهم على ابن عربي وأمثاله من أهل وحدة الوجود حيث يصفونه بأنه الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر .

سبب اختياري للكتابه عن الصوفية :

إنني اخترت الكتابة عن مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيىء على الأمة الإسلامية :

أولا : لخطورة الصوفية على الأمة الإسلامية حيث إن الصوفية اعتنقوا عقائد باطلة دخيلة على الإسلام ثم قاموا بنشرها بين الأمة الإسلامية وليس هناك أي باب من أبواب العقيدة الإسلامية إلا وقد انحرفوا فيه سواء كان فيما يتعلق بالإلهيات أو النبوات أو في باب الولاية وكذلك انحرفوا في باب القضاء والقدر والتوكل والزهد والجهاد والجنة والنار والخوف والرجاء وهذا سيتضح من خلال قراءة هذه الرسالة إن شاء اللّه .

ومن الأسباب التي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع هو أنني أردت أن أبين خطورة الصوفية على الأمة الإسلامية وأنها من أشد الفرق الضالة التي كانت السبب الرئيسي في انحراف كثير من أفراد الأمة الإسلامية عن المعتقد

الصحيح والمنهج السليم .

ومن الأسباب التي دفعتني للكتابة عن الصوفية الإيضاح والتبيين لعوام المسلمين الذي يسيرون خلف دجاجلة الصوفية مع جهلهم لحقائقها .

ولأجل هذا أحببت أن أشارك في الدفاع عن العقيدة الإسلامية بتقديم جهد المقل حسب استطاعتي لعل اللّه سبحانه وتعالى أن يكتبه لي في ميزان حسناتي يوم القيامة وإن كانت بضاعتي من العلم أقل من القليل .

منهج البحث :

١ ـ لقد جمعت مادة هذا البحث فيما يتعلق بالصوفية من كتبهم في الغالب وفي بعض الأحيان أنقل عنهم بواسطة الكتب التي ألفت في التصوف وذلك إلزام لهم بأن هذا المعتقد المنسوب إليهم هو معتقدهم الحقيقي .

٢ ـ إذا أردت أن أبين أي انحراف عقدي عند الصوفية أعقد له مبحثًا أو مطلبًا خاصًا به وأذكر فيه مجموعة من النصوص من بطون كتب الصوفية أنفسهم مع شرح بعض النصوص الغامضة وتوضيح وجه الاستدلال بها للموضوع المذكور فيه النص إن كانت تحتاج إلى شرح وإيضاح وإلا أورد النص وأتركه لوضوحه .

ثم أتبعه بالرد عليهم بالكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة الإسلامية عبر التاريخ بعقد مبحث أو مطلب آخر غالبًا وقد لا أعقد مبحثاً أو مطلبًا آخر إن كان الرد عليهم لا يقتضي التطويل .

٣ ـ حاولت بقدر المستطاع أن لا أخرج في المناقشة عن الأسلوب العلمي والمجادلة بالتي هي أحسن مع البعد عن تحكم العاطفة وسيطرتها وبذلت جهدي بقدر الإمكان لوضع الأمور في مواضعها دون تجنٍ عليهم أو

تعصب للرأي المجرد عن الدليل قاصداً بذلك إبراز الحق والصواب وتبيين الباطل ودحضه محكمًا في كل الكتاب والسنة مع فهمهما الفهم الصحيح قدر الإمكان .

٤ ـ أكثرت من نقل أقوال الصوفية لإلزامهم الحجة والمعتقد المنسوب إليهم . وكذلك أكثرت من إيراد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال علماء أهل السنة والجماعة لإثبات بطلان المعتقد الصوفي بالكتاب والسنة وبالإضافة إلى ذلك فقد قال ببطلانه علماء أهل السنة والجماعة عبر القرون المتتالية وليس هو قول رجل أو رجلين كما يزعم الصوفية وأتباعهم .

٥ ـ ترجمت لبعض الأعلام من الصوفية الذين لهم اليد الطولى في تأليف الكتب في مجال تأسيس عقائد الصوفية وعباداتهم وسلوكهم وقواعدهم التي يسيرون عليها الذين وردت أسماؤهم في الرسالة وأكثرت من النقل عنهم والأعلام الذين لهم باع طويل في تأسيس مباديء الصوفية وإن لم تكن لهم مؤلفات . والأعلام الذين تنتسب إليهم الطرق الصوفية كالقدرية والشاذلية والرفاعية والتيجانية والختمية وغيرها من الطرق .

٦ ـ عزوت الآيات القرآنية الواردة في الرسالة بذكر رقمها واسم السورة في الهامش .

٧ ـ خرجت الأحاديث النبوية الواردة في الرسالة .

٨ ـ عملت الفهارس الآتية :

١ ـ فهرس للآيات القرآنية .

٢ ـ فهرس للأحاديث النبوية .

٣ ـ فهرس للأعلام المترجم لهم في الحاشية .

٤ ـ فهرس للمصادر والمراجع .

٥ ـ فهرس الموضوعات .

خطة البحث :

إن الخطة التي سرت عليها في هذه الرسالة هي كما يلي :

لقد قسمتها إلى مقدمة وخمسة أبواب وتحت كل باب فصول وتحت كل فصل مباحث وتحت كل مبحث مطالب إن احتاج الأمر إلى تقسيم المباحث إلى مطالب .

وإليك الخطة مفصلة :

الباب الأول : مفهوم التصوف ونشأته ومصادره وأقسامه وأهم العوامل التي أدت إلى الانحرافات العقدية عند الصوفية .

وتحته فصلان :

الفصل الأول : تعريف التصوف ونشأته ومصادره وأقسامه .

وتحته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف التصوف .

المبحث الثاني : نشأة التصوف .

المبحث الثالث : مصادر التصوف وأقسامه .

الفصل الثاني : أهم العوامل التي أدت إلى الانحرافات العقدية عند الصوفية .

وتحته أربعة مباحث :

المبحث الأول : طلب الهداية في غير الكتاب والسنة .

المبحث الثاني : اعتقادهم بأن هناك حقيقة تخالف الشريعة .

المبحث الثالث : الغلو الزائد في الرسول ﷺ والأولياء .

المبحث الرابع : تأثرهم بالفكر اليوناني الوثني .

الباب الثاني : انحرافات الصوفية في الإلهيات .

وتحته فصلان :

الفصل الأول : انحرافات الصوفية في التوحيد مع ذكر المفهوم الصحيح لتوحيد اللَّه .

وتحته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف التوحيد في اللغة والاصطلاح مع توضيح المفهوم الصحيح لتوحيد اللَّه الذي أرسل اللَّه به الرسل وأنزل به الكتب .

المبحث الثاني : موقف الصوفية من التوحيد .

المبحث الثالث : مفهوم التوحيد عند غلاة الصوفية والمضاعفات التي ترتبت على هذا المفهوم مع ذكر حكم من آمن بوحدة الوجودة في ميزان الإسلام.

وتحته ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : ذكر النصوص التي تدل على أن الصوفية يعتقدون بأن حقيقة التوحيد هو القول بوحدة الوجود .

المطلب الثاني : المضاعفات التي ترتبت على القول بوحدة الوجود.

المطلب الثالث : حكم من يعتقد بوحدة الوجود في ميزان الإسلام.

الفصل الثاني : انحراف الصوفية في المحبة واعتقادهم بأن اللّه يحل في بعض مخلوقاته .

وتحته مبحثان :

المبحث الأول : انحراف الصوفية في المحبة.

المبحث الثاني : اعتقاد الصوفية بأن اللّه يحل في بعض مخلوقاته الذين يتفانون في الرياضة على الطريقة الصوفية .

وتحته مطلبان :

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تدل على قول الصوفية بالحلول .

المطلب الثاني : موقف أهل الإسلام من القول بالحلول .

الباب الثالث : انحرافاتهم في الرسول ﷺ والخضر عليه السلام والأولياء رحمهم اللّه تعالى .

وتحته ثلاثة فصول :

الفصل الأول : انحرافاتهم في الرسول اللّه ﷺ .

وتحته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : انحرافهم في مبدإ خلقه والمادة التي خلق منها .

وتحته ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : اعتقادهم بأن الرسول ﷺ أول مخلوق وأنه خلق من نور.

المطلب الثاني : اعتقادهم بأن الكون خلق من نور محمد ﷺ .

المطلب الثالث : اعتقادهم بأن الكون خلق من أجل محمد وأن جميع العلوم جزء من علمه حتى علم اللوح والقلم .

المبحث الثاني : اعتقاد الصوفية بجواز التوجه إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة من دون اللّه وأهم شبههم ومناقشتها وحكم التوجه إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة .

وتحته ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تدل على أنهم يتوجهون إلى الرسول ﷺ بالدعاء والاستغاثة .

المطلب الثاني : أهم الشبه التي يوردها الصوفية لتجويز دعاء الرسول ﷺ والاستغاثة به ومناقشتها .

المطلب الثالث : حكم التوجه إلى الرسول ﷺ بالدعاء والاستغاثة .

الفصل الثاني : انحرافاتهم في الخضر عليه السلام.

وتحته مبحثان :

المبحث الأول : اعتقادهم بأن الخضر ولي وليس بنبي وأن الولي أفضل من النبي ومناقشتهم .

المبحث الثاني : اعتقادهم بأن الخضر حي يرزق إلى يوم القيامة .

وتحته مطلبان :

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تدل على أنهم يعتقدون بأن الخضر حي يرزق .

المطلب الثاني : بيان بطلان هذا المعتقد وأن الصحيح وفاته .

الفصل الثالث : انحرافاتهم تجاه الأولياء .

وتحته أربعة مباحث :

المبحث الأول : ادعاء الصوفية التلقي عن اللَّه والعروج إليه وتفضيل الولاية على النبوة .

وتحته مطلبان :

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تثبت بأنهم يزعمون التلقي عن اللَّه والعروج إليه وأن الولاية أفضل من النبوة.

المطلب الثاني : بيان بطلان هذا الادعاء وأنه لا وحي بعد رسول اللَّه ﷺ يتلقاه أحد عن اللَّه كائنًا من كان .

المبحث الثاني : اعتقادهم بأن هناك مجموعة من الأولياء لهم ألقاب خاصة بهم يتصرفون في هذا الكون ويتحكمون فيه .

وتحته مطلبان :

المطلب الأول : مراتب الأولياء ووظائفهم عندهم وذكر نماذج من النصوص عنهم تثبت بأنهم يعتقدون بأن للأولياء تصرفًا في هذا الكون.

المطلب الثاني : موقف أهل الإسلام من هذه المراتب وممن يدعي التصرف لغير اللَّه .

المبحث الثالث : اعتقادهم بأن الأولياء يعلمون الغيب.

وتحته مطلبان:

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تثبت بأنهم يعتقدون بأن الأولياء يعلمون الغيب .

المطلب الثاني : بيان أن علم الغيب خاص باللّٰه تعالى وحكم من يدعي علم الغيب .

المبحث الرابع : توجه الصوفية إلى الأولياء بالدعاء والاستغاثة .

وتحته مطلبان :

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تثبت بأنهم يتوجهون إلى الأولياء بالدعاء والاستغاثة .

المطلب الثاني : حكم دعاء غير اللّٰه تعالى .

الباب الرابع : انحرافاتهم في مفهوم الزهد والجهاد والقضاء والقدر والتوكل والجنة والنار .

وتحته ثلاثة فصول :

الفصل الأول : انحرافهم في مفهوم الزهد .

وتحته مبحثان :

المبحث الأول : تعريف الزهد ومراتبه والفهم الصحيح له .

المبحث الثاني : انحراف الصوفية في مفهوم الزهد .

وتحته مطلبان:

المطلب الأول : تعريف الصوفية للزهد .

المطلب الثاني : عبارات أئمة التصوف التي تدل على أنهم يفهمون

الزهد بأنه ترك الدنيا بالكلية وتعذيب النفس بشتى أنواع التعذيب من الجوع والعري والسهر والفقر .

الفصل الثاني : انحرافهم في مفهوم الجهاد مع ذكر نماذج من مواقفهم من أعداء الأمة الإسلامية عبر التاريخ .

وتحته مبحثان :

المبحث الأول : مكان الجهاد في سبيل اللّٰه في الإسلام .

المبحث الثاني : انحرافهم في مفهوم الجهاد وموقفهم من أعداء الأمة الإسلامية عبر التاريخ .

الفصل الثالث : انحرافهم في مفهوم القضاء والقدر والتوكل والجنة والنار .

وتحته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : انحرافهم في مفهوم القضاء والقدر وأهمية الإيمان بهما في العقيدة الإسلامية .

وتحته ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف القضاء والقدر ومكانة الإيمان بهما في العقيدة الإسلامية .

المطلب الثاني : انحرافهم في عقيدة القضاء والقدر .

المطلب الثالث : بيان بطلان المعتقد الصوفي تجاه عقيدة القضاء والقدر .

المبحث الثاني : انحرافهم في مفهوم التوكل ومكانته العظيمة في العقيدة الإسلامية .

وتحته مطلبان :

المطلب الأول : تعريف التوكل وفضله ومكانته العظيمة في الإسلام وأنواعه

المطلب الثاني : عقيدة الصوفية في التوكل وبيان بطلانها .

المبحث الثالث : انحراف عقيدة الصوفية تجاه الجنة والنار والخوف والرجاء .

الباب الخامس : أهم الآثار السيئة التي نشرها الصوفية في الأمة الإسلامية وأساليب مقاومة الزحف الصوفي :

الفصل الأول : أهم الآثار السيئة التي نشرها الصوفية في الأمة الإسلامية .

وتحته أربعة مباحث :

المبحث الأول : انتشار الوثنية والشرك .

المبحث الثاني : تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحياة العامة .

وتحته مطلبان :

المطلب الأول : تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأهميتهما في الإسلام .

المطلب الثاني : تعطيل الصوفية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحياة العامة .

المبحث الثالث : نشر الموالد البدعية في الأمة الإسلامية .

وتحته ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : نشأة الموالد .

المطلب الثاني : المفاسد التي وقعت بسبب هذه الاحتفالات.

المطلب الثالث : حكم الاحتفال بالمولد النبوي والموالد الأخرى التي يقيمها الصوفية في العالم الإسلامي .

المبحث الرابع : انتشار الأذكار والأدعية والصلوات المبتدعة في الأمة الإسلامية وإعراض الناس بسببها عن تلاوة القرآن وذكر اللّٰه بما ورد في الكتاب والسنة .

وتحته مطلبان :

المطلب الأول : نماذج من الأذكار والصلوات الصوفية المبتدعة .

المطلب الثاني : موقف الإسلام من الأوراد والأذكار والأدعية التي ابتدعتها الصوفية .

المبحث الأول : نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة المأخوذة من الكتاب والسنة .

المبحث الثاني : القضاء على المظاهر التي تكون سببًا في انتشار الشركيات كالقباب والمساجد المبنية على القبور والأشجار والأحجار التي تعبد من دون اللّٰه .

المبحث الثالث : منع كتب الصوفية لئلا يتداولها الناس ومنع دعاة التصوف ودراسة كتبهم من قبل شخصيات لها حصانة عقدية لكشف زيفها .

* * *

شكر وتقدير

أولاً وقبل كل شيء أشكر اللَّه عز وجل على توفيقه لي لإتمام هذه الرسالة .

ثم أشكر كل من ساهم معي في إخراج هذه الرسالة بتوجيه أو نصح أو إبداء رأي سديد وأخص بالشكر شيخي الفاضل د / صالح بن عبد اللَّه العبود الذي كان لي شرف التتلمذ على يديه فكان نعم المشرف فقد كان له اليد الطولى في إظهار هذا البحث على هذا الوجه وقد منحني الكثير من وقته وجهده المبارك وتوجيهاته المفيدة مع تزاحم الأعمال والواجبات عليه فجزاه اللَّه عني خير الجزاء وأمد اللَّه في عمره ونفع به الإسلام والمسلمين .

كما أشكر القائمين على الجامعة الإسلامية الذين بذلوا النفس والنفيس لخدمة أبناء العالم الإسلامي وتعليمهم كتاب ربهم وسنة نبيهم على المنهج الصحيح السليم فجزاهم اللَّه خيراً وسدد خطاهم وأخذ بأيديهم إلى ما فيه الخير لخدمة أبناء المسلمين وحفظ اللَّه على هذه البلاد دينها وأمنها وكفاها اللَّه شر الحاسدين والحاقدين إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو نعم المولى ونعم النصير .

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين وصلى اللَّه على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

الباب الأول

مفهوم التصوف ونشأته ومصادره وأقسامه وأهم العوامل التي أدت إلى الانحرافات العقدية عند الصوفية

وتحته فصلان :

الفصل الأول : تعريف التصوف ونشأته ومصادره وأقسامه.

الفصل الثاني : أهم العوامل التي أدت إلى الانحرافات العقدية عند الصوفية.



الفصل الأول

تعريف التصوف ونشأته ومصادره وأقسامه

وتحته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف التصوف .

المبحث الثاني : نشأة التصوف.

المبحث الثالث : مصادر التصوف وأقسامه .



المبحث الأول

تعريف التصوف

قبل أن نتعرض لتعريف التصوف في اللغة والاصطلاح نريد أن نتعرف على الشيء الذي اشتقت منه كلمة « التصوف » أو كلمة « صوفي » .

والشيء الذي اشتقت منه هذه الكلمة لم يعرف له مصدر محدد من قبل أكثر الباحثين سواء من الصوفية أو من غيرهم ولكنهم ذكروا عدة احتمالات لتحديد الشيء الذي قد تكون مشتقة منه .

فالاحتمال الأول الذي ذكروه هو أن هذه الكلمة « التصوف » نسبة إلى الصفاء وقد رد هذه النسبة القشيري[1] والكلاباذي[2] .

الاحتمال الثاني : أن تكون منسوبة إلى الصفة نسبة إلى أهل الصفة الذين كانوا يقعدون في مؤخرة مسجد رسول اللّه ﷺ[3] .

---

(١) انظر « الرسالة القشيرية » (١٢٦) .

وترجمته هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري وهو من قبيلة قشير بن كعب (ت٤٦٥هـ) ومن آثاره « الرسالة في التصوف » و « لطائف الإشارات في التصوف » انظر « الرسالة » (١٤) .

(٢) انظر « التعرف لمذهب أهل التصوف » (٨) .

وترجمته هو محمد بن إبراهيم الكلاباذي البخاري أبو بكر شارك في بعض العلوم من آثاره « التعرف لمذهب أهل التصوف » (ت٣٨٠هـ) .

(٣) انظر كتاب « أبو حامد الغزالي والتصوف » فقد أبطلها من عدة وجوه (١٣٦) .

قلت : وهي نسبة باطلة لغويا وواقعيًا.

الاحتمال الثالث: التصوف نسبة إلى رجل يقال له صوفة ، واسمه العوني بن مر ، وإنما سُمّي صوفة لأن أمه نذرت لأن عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة ، فكان أول من تفرد بخدمة بيت اللّه الحرام وانتسب إليه قوم في الجاهلية فسموا « صوفية » وقد انقطعوا إلى اللّه عز وجل وقطنوا الكعبة ، فمن تشبه بهم فهم « الصوفية »[(١)] .

ونفهم من هذه النسبة بأن المتصوفة ينتسبون إلى أناس من أهل الجاهلية لم يعرفوا الإسلام ، وإذا صحت مثل هذه النسبة فإن القوم قد حكموا على أنفسهم بأنهم ينتسبون إلى أقوام في الجاهلية .

الاحتمال الرابع : أن تكون نسبة هذه الكلمة إلى « صوفانة » وهي بقلة رعناء قصيرة ، ونسبوا إليها لاكتفائهم بنبات الصحراء ، وهذا أيضًا لا يصح لغويًا لأنه لو نسبوا إليها لقيل للواحد منهم « صوفاني »[(٢)] .

الاحتمال الخامس : أن تكون نسبة هذه الكلمة إلى الصوف ، وقد ذهب إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وابن خلدون[(٣)] .

وهو الراجح لأن القوم كانوا يلبسون الصوف كثيرًا اقتداء برهبان النصارى ، وبعدوا عن الرفاهية والراحة الجسمية رغم أن الإسلام لم يأمر بتعذيب الجسد ولا بلباس معين ، بل الإسلام أباح لنا أن نأكل من الطيبات فقال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن**

---

(١) انظر « تلبيس إبليس » (ص١٦٣) .

(٢) « تلبيس إبليس » (١٦٣) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

(٣) انظر « الفتاوي » لشيخ الإسلام (ج١١ ص٦) و« المقدمة » لابن خلدون (ص٤٦٧) .

كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[2] .

تعريف التصوف لغة واصطلاحًا :

أولاً : تعريفه في اللغة :

قال الجوهري في « الصحاح » : « الصوف للشاة والصوفة أخص منه وصوفة أي حي من مضر وهو الغوث بن مريم بن أدين بن طابخة بن إلياس ابن مضر ، كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الحاج أي يغيضون بهم » .

وقول الشاعر : حتى يقال أجيزوا آل صوفانا[3] .

وكبش صاف أي كثير الصوف[4] .

وصاف السهم عن الهدف يصوف ويصيف عدل عنه .

ومنه قولهم صاف عني شر فلان وأصاف اللَّه عني شره[5] .

ومن خلال هذه التعريفات اللغوية المتقدمة يتضح لنا أن كلمة صوف تأتي بمعنى الصوف المعروف للشاة ونحوها .

---

(١) البقرة : (١٧٢) .

(٢) الأعراف : (٣١) .

(٣) انظر « معجم مقاييس اللغة » لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا . الطبعة الأولى ، القاهرة (٣/ ٣٢٢) .

(٤) « المصباح المنير » ص (٤٨١) .

(٥) « الصحاح » للجوهري (٤/١٣٨٨) .

كما تأتي بمعنى مال وعدل .

ويرى أحمد بن فارس أن الباب كله يرجع إلى الصوف المعروف وفي ذلك يقول : « الصاد والواو والفاء أصل واحد صحيح وهو الصوف المعروف .

يقال كبش أصوف وصوف وصائف وصاف كل هذا يكون في كثير الصوف .

ويقولون خذ بصوفة قفاه إذا أخذ بالشعر السائل في نقرته »[1] .

وذهب أحمد بن علي المقري في « المصباح المنير » إلى أن كلمة صوفية كلمة مولدة لا يشهد لها قياس ولا اشتقاق في اللغة العربية[2] .

وقال ابن خلدون في « المقدمة » : « إن قيل بالاشتقاق فإنها مشتقة من الصوف لأنهم في الغالب مختصون به »[3] .

ثانيًا تعريف التصوف في الاصطلاح :

وأبدأ أولاً بتعريف التصوف لدى المتصوفة أنفسهم .

وقد اختلفوا اختلافًا كثيرًا في تعريفه ، كما اختلفوا في أصله واشتقاقه، بل اختلفوا هنا في تعريفه اختلافًا كثيرًا حتى تناقضت وتعارضت تعريفاتهم فمن المتصوفة الذين أوردوا تعريفات عدة للتصوف :

---

(١) انظر « معجم مقاييس اللغة » لأبي الحسين احمد بن فارس (ج٣/ ٣٢٢) .

(٢) انظر « المصباح المنير » (ج١/ ٤٨١) الطبعة الخامسة بالمطبعة الأميرية .

(٣) « مقدمة ابن خلدون » (ص٤٦٧) الطبعة الرابعة .

١ ـ معروف الكرخي[١] وقد عرفه بما يلي : « التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق »[٢] .

٢ ـ الجنيد[٣] وقد عرفه بما يلي فقال : « التصوف أن تكون مع اللّٰه بلا علاقة » وقد عرفه أيضًا بما يلي فقال : « التصوف تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبعية وإخماد الصفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية ومنازلة الصفات الربانية والتعلق بعلوم الحقيقة واتباع الرسول في الشريعة »[٤] .

وقد عرف سحنون التصوف بما يلي حين سئل عنه فقال : « التصوف هو أن لا تملك شيئًا ولا يملكك شيء »[٥] .

---

(١) وهو أبو محفوظ معروف بن فيروز ، ومعروف قد أسلم على يد علي بن موسى الرضا وهو أستاذ السرقسطي وقد صحب داود الطائي ، وتوفي ببغداد ودفن بها . انظر « الطبقات » للسلمي (ص٨٣ ـ ٨٥) .

(٢) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص٦٢) طبعة دار المعارف ببيروت .

(٣) نفس المرجع السابق .

وترجمة الجنيد هو محمد أبو القاسم الخزاز وكان أبوه يبيع الزجاج فلذلك كان يقال القواريري وأصله من نهاوند ومولده ومنشؤه بالعراق وكان فقيهًا تفقه على أبي ثور وكان يفتي في حلقته ، وصحب السرى السقطي والحارث المحاسبي وغيرهما ، وهو من أئمة القوم توفي سنة (٩٢٧هـ) انظر السلمي (ص١٥٥) .

(٤) « التعرف لمذهب أهل التصوف » للكلاباذي (ص٣٤) . مكتبة الكليات الأزهرية الطبعة الأولى .

(٥) « اللمع » للطوسي (ص١٥) .

وسحنون هو سحنون بن عمر المحب ويقال : سحنون بن عبد اللّٰه أبو الحسن الخواص ويقال : كنيته أبو القاسم سمى نفسه سحنون الكذاب ، صحب السري السقطي ومحمد بن علي القصاب وغيرهما ، وهو من كبار مشائخ العراق مات بعد الجنيد . انظر « طبقات الصوفية » للسلمي (١٩٥).

إذا نظرنا في التعريفات السابقة نرى أن أئمة التصوف قد عرفوا التصوف بتعريفات مختلفة ، فمثلاً معروف الكرخي قد عرفه بأن معنى التصوف هو الأخذ بالحقائق ، كلمة الحقائق تحتمل عدة وجوه ولا ندري ماذا يقصد بها ولعله في الغالب يقصد بها العلم الصوفي الذي يقولون عنه علم الحقيقة .

وأما الجنيد فقد عرفه بتعريفين ، ففي التعريف الأول عرفه بأن معنى التصوف هو أن يكون الإنسان مع اللّه بلا علاقة ، ولعله يقصد بأن على الإنسان أن يقطع جميع علاقاته مع بني جنسه وهذه دعوة باطلة فإننا لسنا مأمورين بالهروب عن البشر والاختفاء عنهم في الأربطة والخوانق ، والزوايا الصغيرة كما يفعل المتصوفة إلى يومنا هذا .

وأما في التعريف الثاني فقد عرفه بأنه تصفية القلب عن موافقة الخليقة والابتعاد عن الأخلاق الطبيعية التي فطر الإنسان عليها والسعي إلى التخلص من الصفات البشرية وعدم إعطاء النفس حقها مما تطلبه وأن يكون متعلقًا بعلوم الحقيقة ويتبع الرسول في الشريعة .

وهذه كلها مخالفة لما جاء به الرسول ﷺ من عند اللّه لأن الإنسان بشر وسيظل بشرًا هكذا مهما عبد اللّه سبحانه وتعالى .

وسحنون قد عرف التصوف بأنه التجرد عن كل الأملاك والتحرر من أي أحد أن يملكك .

وهذا مخالف للإسلام لأن الإسلام لم يأمرنا بالتجرد عن أملاكنا بل أمرنا الرسول ﷺ أن نعطي كل شيء حقه .

وفي الحقيقة فالصوفية في هذه التعريفات تعرب لنا عن معتقدات الصوفية التي يعتقدونها في قلوبهم ولم يقولوها هكذا جزافًا .

تعريف التصوف لدى غير المتصوفة من المسلمين :

لقد عرف الدكتور إبراهيم هلال التصوف بما يلى فقال :

« رغم كثرة التعريفات التي عرف بها التصوف الإسلامي في كتب التصوف وغيرها فإننا نستطيع أن نقول أن التصوف كما يراه الصوفية في عمومه هو السير في طريق الزهد ، والتجرد عن زينة الحياة وشكلياتها وأخذ النفس بأسلوب من التقشف وأنواع من العبادة والأوراد والجوع والسهر في صلاة أو تلاوة ورد .

حتى يضعف في الإنسان الجانب الجسدى ويقوى فيه الجانب النفسي أو الروحي فهو إخضاع الجسد للنفس بهذا الطريق المتقدم سعيًا إلى تحقيق الكمال النفسي كما يقولون وإلى معرفة الذات الإلهية وكمالاتها وهو ما يعبرون عنه بمعرفة الحقيقة »[١] .

والإسلام يدعو حقيقة إلى تربية الإنسان تربية إسلامية صحيحة حتى يكون مستقيمًا في حياته ويخضع لأوامر اللَّه ورسوله عن قناعة كاملة .

ولكن الإسلام لا يسلك في تربية الإنسان الطريق الذي سلكه المتصوفة في تربية الإنسان وإنما يسلك في التربية إلى تقوية الإيمان باللَّه وباليوم الآخر وبجميع ما يجب الإيمان به والعمل بالشريعة في حدود استطاعة الإنسان بالإتيان بالواجبات والإقلاع عن المحرمات والابتعاد عنها كلية ، ولذا أقول إن سلوك المتصوفة في تربية الإنسان سلوك منحرف بعيد كل البعد عن المنهج الذي جاء به الإسلام وأمرنا أن نسلكه ، ذلك لأن السلوك الذي يسير

---

(١) « التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة » للدكتور إبراهيم هلال الطبعة الأولى (١٣٩٥هـ) نشر دار النهضة العربية (ص١) .

عليه المتصوفة في التربية يحطم معنويات الإنسان ويسعى دائمًا أن يفصل الإنسان عن هذه الحياة نهائيًا حتى يصبح عضواً ميتًا لا قيمة له في هذه الحياة، وهذا سلوك يختلف تمامًا مع السلوك الذي دعا إليه الإسلام ذلك لأن الإسلام دين شامل كامل يدعو الإنسان لكي يقوم بوظائفه في هذه الحياة على أكمل وجه وأتمه .

فالإسلام أباح للإنسان أن يأكل من الطيبات كما قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[2] .

ولو تتبعنا وبحثنا في المصادر التاريخية فسنجد أن هذه التربية الصوفية أخذت من فلسفات أجنبية كالهندوكية والبوذية أو الديانات المحرفة كالمسيحية واليهودية أو أنها أخذت من البيئة الإسلامية عن طريق الطوائف الضالة كالشيعة والباطنية .

فالمتصوفة قد أدخلوا في الإسلام ما ليس منه في جميع جوانبه سواء كان في جانب العبادة أو كان في جانب العقائد والأخلاق حتى أصبحت معرفة الصوفية في عمومها معرفة فلسفية أو إشراقية لا معرفة دينية ترجع إلى محض التمسك بالكتاب والسنة .

فالإشراق الفلسفي الذي عرف من قبل عند سقراط وأفلاطون وغيرهم من فلاسفة اليونان والهند والفرس ، والذي يصل فيه المرء بعد مرحلة التجرد

---

(١) البقرة : (١٧٢) .

(٢) الأعراف : (٣٢) .

والرياضة والعبادة إلى مرحلة الكشف والإخبار عن المغيبات هو غاية التصوف الإسلامي في منهجه الفلسفي[1] .

وقد عرفه الشيخ محمد فهر شقفة بقوله :

« التصوف طريقة زهدية في التربية النفسية يعتمد على جملة من العقائد الغيبية « الميتافيزيكية » مما لم يقم على صحتها دليل لا في الشرع ولا في العقل » .

وقد شرح هذا التعريف فقال :

« وقولنا : يعتمد على جملة من العقائد « الميتافيزيكية » مما لم يقم على صحتها دليل في الشرع ولا في العقل .

يعني تلك العقائد التي تبحث فيما وراء الطبيعة والتي يدعون بأنهم تعلموها عن طريق الكشف أو وردت إليهم عن طريق الخواطر أو الرؤى المنامية كعقيدة البعض في الحلول ووحدة الوجود والحقيقة المحمدية واعتبارها أصلاً لكل حياة بشرية وكونية ، وعقيدة البعض الآخر عن النواميس الطبيعية مما لم يخبر بذلك قرآن ولا سنة ولا يقوم على أساس علمي ولا يتفق مع المقاييس العقلية »[2] .

* * *

---

(١) انظر « التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة » لإبراهيم هلال (ص١) .

(٢) « التصوف بين الحق والخلق » للشيخ محمد فهر شقفة . الدار السلفية (ص٧) .

المبحث الثاني

نشأة التصوف

إذا تتبعنا كتب التاريخ التي كتبت عن نشأة الفرق في الإسلام فسنجد بأن أول بوادر ظهور التصوف وبروزه ظاهرة معروفة بهذا الاسم ولها تعاليم خاصة بها ومدرسة وتلاميذ تربيهم تربية خاصة تختلف مع التربية العامة التي يسلكها أهل السنة والجماعة في تربية الأجيال المسلمة كان في القرن الثاني الهجري وذلك نتيجة توسع الفتوحات الإسلامية واختلاط الشعوب المتنوعة المختلفة في عقائدها وأجناسها ولغاتها ، ولذا لا يستبعد أن يكون بعض من المسلمين تأثروا بالعقائد التي كانت سائدة هناك خاصة وأن التصوف كان معروفًا قبل الإسلام في الأمم الماضية وبالأخص في بلاد فارس والهند رغم أن التصوف في الأمة الإسلامية بدأ بمظهر الزهد والمبالغة في العبادة في أول أمره .

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن ظهور التصوف كان نتيجة إقبال الناس على الدنيا والانشغال بها ولذا عرف المقبلون على الزهد والعبادة باسم الصوفية والمتصوفة[1] .

ومن ذلك الحين غلبت هذه التسمية على هذه الطائفة من الزهاد فيقال رجل صوفي وللجماعة « الصوفية » ومن يتوصل إلى ذلك يقال له متصوف

---

(١) « مقدمة ابن خلدون » (٤٦٧) و« تلبيس إبليس » (١٦٣) .

والجماعة المتصوفة[1] .

ويقال بأن أول رجل لقب بالصوفي هو أبو هاشم الكوفي المتوفى سنة (١٥٠هـ) وأنه بنى أول خانقاه للصوفية في الرملة من بلاد الشام.

وكان يقول بالحلول والاتحاد وكان باطنيًا ودهريًا وهو من الموالي[2] وقيل أن أول من تسمى ببغداد صوفيًا هو عبدك الصوفي وقيل من بين الذين لقبوا بالصوفي أولاً جابر بن حيان[3] .

ويقول الإمام الشافعي رحمه اللَّه : « تركت بغداد وقد أحدث الزنادقة فيها شيئًا يسمونه السماع وهو الغناء والمواجيد » والإمام الشافعي معروف بأنه دخل مصر سنة (١٩٩هـ) .

ومن كلام الشافعي نستنتج أن أمر هؤلاء الزنادقة كان معلومًا قبل ذلك.

وكلام الإمام الشافعي رحمه اللَّه يدل دلالة واضحة على أنه كان في القرن الثاني الهجري توجد فرقة معلومة عند علماء الإسلام يسمونهم أحيانًا بالزنادقة وأحيانًا بالمتصوفة ، ووصف الشافعي لهم بهذا الوصف يدل على أن القوم كانوا منحرفين في ذلك الوقت المبكر.

ويقول ابن خلدون رحمه اللَّه في مقدمته : « إن نشأة التصوف كانت في القرن الثاني عندما أقبل الناس على الدنيا وانصرف أناس للزهد والعبادة فسموا بالصوفية »[5] .

---

(١) « الرسالة القشيرية » (٢/ ٥٥٠) .

(٢) انظر « الصلة بين التصوف والتشيع » لكامل الشيبي (ص٢٦٩) .

(٣) انظر المرجع السابق (ص٢٦٦) .

(٤) انظر « تلبيس إبليس » (ص٢٣٠) .

(٥) انظر « مقدمة ابن خلدون » (٤٦٧) الطبعة الرابعة.

وأيد شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الرأي فقال : « إن نشأة التصوف كانت في أوائل القرن الثاني الهجري وأنه لم يشتهر إلا بعد القرن الثالث »[١].

وقال رحمه اللَّه : « إن أول ما ظهرت الصوفية في البصرة وأول من بنى دويرة للصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن يزيد من أصحاب الحسن وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار . ولهذا يقال فقه كوفي وعبادة بصرية »[٢] .

كما ذكر شيخ الإسلام رحمه اللَّه أنه قد نقل التكلم بالتصوف عن الحسن البصري المتوفى سنة (١١٠هـ) وعن سفيان الثوري المتوفى سنة (١٦١هـ)[٣] .

ويقول عمر رضا كحالة عن اسم الصوفية : « اشتهر هذا الاسم قبل المائتين من الهجرة فهو اسم محدث بعد عهد الصحابة والتابعين .

وورد لقب الصوفي مفرداً في النصف الثاني للهجرة إذ نعت به جابر ابن حيان .

وأما صيغة الجمع « الصوفية » فإنها ظهرت عام (١٩٩هـ) .

وقال : « وقد أطلق الصوفي والمتصوف باديء الأمر مرادفًا للزاهد والعابد والفقير »[٤] .

---

(١) انظر « الفتاوي » لشيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ٥ ـ ٧) .

(٢) « الفتاوى » (١١/ ٦ ـ ٧) .

(٣) « الفتاوى » (١١/ ٥) .

(٤) «الفلسفة الإسلامية وملحقاتها» لعمر رضا كحالة ط الحجاز بدمشق (١٣٩٤هـ) (ص٢٣١).

وقد اشتهر في هذه الفترة ـ أي القرن الثاني الهجري ـ الزاهد الصوفي إبراهيم بن أدهم البلخي[1] المتوفى سنة (١٦٠هـ) أو (١٦٢هـ) الذي ترك ملكه وأمواله ولبس الصوف وهام على وجهه في البلاد متقشفًا منصرفًا إلى العبادة رغم ما في هذا السلوك من مخالفة لتعاليم الإسلام الحنيف.

كما اشتهرت في هذه الفترة الزاهدة رابعة العدوية[2] المتوفاة سنة (١٣٥هـ) بدعوتها إلى حب اللَّه حبًا مطلقًا مجردًا من الخوف والرغبة وجعلت هذا الحب من أسس الصوفية وركزت عليه .

وهذا مخالف للنهج الإسلامي الصحيح فاللَّه سبحانه وتعالى قال في وصف أنبيائه ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾[3] .

فما دام أن اللَّه وصف أنبياءه بهذا الوصف وهم أعرف به من غيرهم فمن باب أولى أن يعبد اللَّه غيرهم رغبًا ورهبًا.

قال الإمام ابن تيمية رحمه اللَّه : « قال بعضهم : من عبد اللَّه بالحب

---

(١) هو أبو إسحاق من أهل بلخ كان من أبناء الملوك والمياسير خرج متصيداً فهتف به هاتف فيما يزعم أيقظه من غفلته فترك التزين واتجه إلى طريق أهل الزهد والورع وخرج إلى مكة وصحب بها سفيان الثوري والفضيل بن عياض ودخل الشام وكان يعمل فيه ويأكل من عمل يده وبها مات .
انظر « طبقات الصوفية » للسلمي (ص ٣٠ ـ ٣١) تجد القصة كاملة .

(٢) هي رابعة بنت إسماعيل بن الحسين بن زيد بن علي بن أبي طالب وهي صوفية كبيرة وعابدة شهيرة ، قال ابن الجوزي : كانت رابعة فطنة ومن قولها : الذي يدل على قوة فهمها قولها أستغفر اللَّه من قلة صدقي في قولي أستغفر اللَّه » وقال مصطفى عبد الرزاق إنها « هي السابقة إلى وضع قواعد الحب والحزن في هيكل التصوف » وتوفيت سنة (١٣٥هـ) وقيل (١٨٥هـ) .
« أعلام النساء » لعمر رضا كحالة (٢/ ٤٣١) المطبعة الهاشمية ط (٢/ ١٣٧٩هـ).

(٣) الأنبياء آية : (٩٠) .

وحده فهو زنديق ، ومن عبد اللّٰه بالخوف وحـــده فهو حروري ، ومـــن عبـد اللّٰه بالرجاء وحده فهو مرجيء ، ومن عبد اللّٰه بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد »[1] .

ولـم يكن للتصوف في أول نشأته جماعة معروفة بعينها لها نظامها الخاص ورئيسها المعين ، وإنما تميزت الجماعات الصوفية في أول أمرها بالزهد المبالغ فيه ومحاربة النفس والتوكل على اللّٰه في جميع أمورهم كما يزعمون ، وإن كان على فهم الصوفية للتوكل ملاحظات ستأتي في محلها في الباب الرابع ، وبالإضافة فإن محاربة النفس ليست من الأمور التي حث عليها الإسلام بل الإسلام حث على حفظ حقوق النفس وعدم تحميلها ما لا تطيق من الأعمال والعبادات .

ولذا الصوفية الأوائل كانوا ينطلقون دائمًا من قاعدتين اثنتين وهما المبالغة في الزهد وحب اللّٰه ولكن مع مرور الزمن وقعوا في انحرافات خطيرة وذلك لبعدهم عن تعاليم كتاب اللّٰه وسنة رسوله ﷺ ، وهكذا مصير كل من يبتغي الهدى من غيرهما .

والحقيقة أن الزهد في الدنيا بدون مبالغة وتنطع أمر مشروع في الإسلام إلا أن المتصوفة بالغوا فيه حتى أدخلوا فيه تدريجيًا عناصر من المذاهب والفلسفات الأجنبية المخالفة للإسلام.

وقد دعا القرآن إلى الزهد في متاع الدنيا وحذر من الاغترار بالحطام الدنيوي الفاني ، وقد وصف اللّٰه الدنيا بأنها حقيرة لا تساوى شيئًا بالنسبة لنعيم الآخرة ، لكن مع ذلك لـم يأمر الإسلام بالبعد الكامل عن الدنيا

---

(١) انظر « الفتاوى » لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/ ٨١) .

وإهمال الواجبات فيها بل اللَّه سبحانه وتعالى أحل لنا أن نأكل من الطيبات ونلبس ونتزوج وننام كل ذلك بدون إسراف ونسيان للآخرة بينما المتصوفة يدعون إلى البعد الكامل عن الدنيا بكل ما فيها وتعذيب الجسد بالجوع والسهر والعريّ وهذا ليس من الإسلام في شيء .

والآيات التي تحذر من الاغترار بالدنيا كثيرة منها :

١ ـ قوله تعالى : ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[١] .

٢ ـ وقوله تعالى : ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾[٢] .

٣ ـ وقوله تعالى : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾[٣] .

وقد وصف اللَّه سبحانه وتعالى المؤمنين بأنهم يحبون اللَّه أشد المحبة فقال تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[٤] .

وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٥] .

---

(١) آل عمران : (١٥٨) .

(٢) التوبة : (٣٨) .

(٣) الحديد : (٢٠) .

(٤) البقرة : (١٦٥) .

(٥) المائدة : (٥٤) .

ومن هنا نعلم بأن حب اللّٰه أمر واجب ولكن ليس الحب الصوفي الذي يسعى أهله إلى اعتقاد الحلول والاتحاد بذات اللّٰه فهذا اعتقاد فاسد وليس حبًا إسلاميًا وإنما هو فلسفة وثنية هندية ويونانية كما سنعرف ذلك حينما نتعرض لذكر مصادر الصوفية في المبحث الآتي .

والحقيقة لقد وجد في صدر الإسلام كثيرون ممن عرفوا بالزهد كأهل الصفّة وأبي ذر الغفاري وحذيفة بن اليمان وغيرهم ، وكان زهدهم زهدًا معتدلًا لا يخرج عما أرشد إليه القرآن من التوسط والاعتدال بمعنى أنهم لم يكونوا منقطعين عن الحياة العامة بل كانوا يشاركون في الحياة الاجتماعية ويسعون لكسب معاشهم بخلاف المتصوفة فإنهم يحيون حياة تخالف حياة الآخرين من حيث المبالغة في الزهد وترك متاع الدنيا وتكليف النفس ما لا تطيقه من العبادات حتى تنهار وبالتالي تعجز عن القيام بواجباتها ، وسأوضح ذلك إن شاء اللّٰه في الفصل الخاص بمفهوم المتصوفة الخاطيء للزهد في الباب الرابع إن شاء اللّٰه .

يقول رينولد : « كان التصوف في بدء أمره صورة من صور الحياة الدينية لا يأخذ بها إلا الأفراد ولا يأخذها عن هؤلاء الأفراد إلا خاصة أصحابهم ثم أصبح رويدًا رويدًا حركة منظمة ومدرسة يتخرج فيها الأولياء ـ والأحرى يتخرج فيها الدجاجلة والمجاذيب والدراويش والكهنة والمشعوذون ـ لها قواعدها ورسومها من حيث سيرة المريدين وأخلاقهم وعباداتهم وأصبح المريد يتلقى قواعد الطريق الصوفي على أستاذه ويخضع لإرشاد هذا الأستاذ خضوعًا أعمى .

وهناك دلائل واضحة على أن رجال التصوف من أهل القرن الثالث لم يقنعوا بحياة الزهد والعزلة عن الناس بل تطلع المريد الذي سلك طريق القوم

أن يصبح يومًا شيخًا عظيمًا ومرشدًا ملهمًا يظهر في الحفلات العامة ومن حوله أتباعه الكثيرون المعجبون به .

يقول أبو يزيد البسطامي: «من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان. . .».

وقد ادعى رجال التصوف منذ البدء الحظوة عند اللّه واستمداد السلطان منه ، فهذا معروف الكرخي يقول لمحدثه : اقسم على اللّه بي .

وهذا ذو النون المصري يصرح بأن طاعة المريد لأستاذه أولى به من طاعته لربه .

أما تقعيد القواعد وتنظيم رسوم الطريق الصوفي فإنك تلمحهما واضحين كل الوضوح في أقوال مشائخ ذلك العصر ـ القرن الثالث الهجري ـ أينما قرأتها ، فإنهم قسموا الطريق إلى سلسلة من المراحل بل ميزوا بين أنواع مختلفة من الطرق .

يقول يحيى بن معاذ الرازي المتوفى (٢٥٨هـ) : « إذا رأيت الرجل يعمل بالطيبات فاعلم أن طريقه التقوى وإذا رأيته يحدث بآيات اللّه فاعلم أنه على طريق الأبدال وإذا رأيته يحدث بآلاء اللّه فاعلم أنه على طريق المحبين وإذا رأيته عاكفًا على ذكر اللّه فاعلم أنه على طريق العارفين » [(١)] .

ومن هنا يتضح لنا أن التصوف في القرنين الثالث والرابع الهجريين ظهر في صورة جديدة تختلف تمام الاختلاف عن سابقتها ، حيث أن التصوف في هذه الفترة لم يقف عند حدود الزهد والرياضة والمجاهدة وإنما تجاوز هذا كله إلى غاية بعيدة ألا وهي فناء الإنسان في نفسه اتحاده

(١) « في التصوف الإسلامي وتاريخه » لرينولد (ص١٩ ـ ٢٠) طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر .

بربه ـ حسب زعم المتصوفة الأفاكين لأن اتحاد المخلوق بالخالق غير ممكن فاللَّه سبحانه وتعالى مباين لخلقه ـ .

ولقد تأثرت الصوفية في هذه الفترة بالمذاهب الفلسفية القديمة كالبوذية والهندوسية واليونانية الوافدة والتي انتشرت في ذلك الوقت في أنحاء الخلافة الإسلامية الواسعة وبالأخص في خراسان وفارس وذلك نتيجة للفتوحات الإسلامية لهذه البلاد الذي تولد عنه الاختلاط بين الثقافات[1] .

وقد ظهر في هذه الفترة كثير من كبار المتصوفة وكان معظمهم من غير العرب بل إن جلهم كان من الفرس ، وبلاد الفرس هي منبع الفرق الضالة وعلى رأسها الشيعة والفرق الباطنية بأنواعها المختلفة وما الصوفية إلا وليدة التشيع .

وإليك نبذة قليلة بأسماء عدد قليل من الذين ظهروا في هذين القرنين:

١ ـ أبو سليمان الداراني المتوفى سنة (٢١٥هـ) الذي اشتهر بشدة التقشف[2] .

٢ ـ بشر الحافي (ت٢٢٧هـ) الذي كان ذا شأن في المجاهدة كما يقول المتصوفة[3] .

---

(١) انظر « ظهر الإسلام » لمحمد أمين (٤/ ١٥٠ ـ ١٥١) .

(٢) هو عبد الرحمن بن عطية ويقال عبد الرحمن بن أحمد بن عطية وهو من أهل داريا قرية من قرى دمشق .

انظر « طبقات الصوفية » للسلمي (ص٧٥) .

(٣) هو بشر بن الحارث الحافي بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال ماهان بن عبد اللَّه الحافي كنيته أبو نصر أصله من مرو من قرية بقرد أو ما برسام سكن بغداد ومات بها .

انظر « طبقات الصوفية » للسلمي (ص٣٩) .

٣ ـ أبو بكر الشبلي الخراساني (ت٢٣٤هـ)[١] .

٤ ـ أبو تراب (ت٢٤٥هـ) والذي كان من كبار سياحي المتصوفة قطع بوادٍ كثيرة على التجرد[٢] .

٥ ـ الحارث المحاسبي (ت٢٤٧هـ) الذي عمل كتابًا في أصول التصوف اسمه « الرعاية لحقوق اللَّه » ، ويعتبر أقدم الكتب في التصوف[٣] .

٦ ـ ذو النون المصري[٤] (ت٢٤٥هـ) والذي يعتبر من الذين لهم الأثر الكبير في تشكيل الفكرة الصوفية كما قال المستشرق نيكلسون . وكذلك ذكر نيكلسون بأن ذا النون أول من تكلم في معرفة الأحوال والمقامات وأول من

---

(١) اسمه دلف يقال بن جحدر ويقال ابن جعفر ويقال اسمه جعفر بن يونس وهو خراساني الأصل بغدادي المنشأ والمولد وأصله من أسروشنة ومولده كما قيل سامراء صحب الجنيد ومن في عصره من المشائخ وعاش (٨٧) سنة ومات في ذي الحجة سنة (٣٣٤هـ) ودفن في مقبرة الخيزران.

انظر « طبقات الصوفية » للسلمي (ص٣٣٧) .

(٢) واسمه عسكر بن حصين ويقال : ابن محمد بن حصين صحب أبا حاتم العطار البصري وحاتم الأصم البلخي وتوفي بالبادية وقيل نهشته السباع (ت٢٤٥هـ) .

انظر « طبقات الصوفية » للسلمي (ص١٤٦) .

(٣) الحارث المحاسبي وكنيته أبو عبد اللَّه من علماء مشايخ القوم وله تصانيف كثيرة ومشهورة منها كتاب « الرعاية لحقوق اللَّه » وغيره وهو يعتبر أستاذ أكثر البغداديين وهو بصري مات ببغداد سنة (٢٤٣هـ) .

انظر « طبقات الصوفية » للسلمي (ص٥٦) .

(٤) ذو النون المصري وذو النون بن إبراهيم المصري أبو الفيض ويقال ثوبان بن إبراهيم وذا النون لقب ويقال الفيض بن إبراهيم وهو مولى لقريش وكان أبوه إبراهيم نوبيًا توفي سنة (٢٤٥هـ) وقيل مات سنة (٢٤٨هـ) .

انظر « طبقات الصوفية » للسلمي (ص١٥) .

بحث فيما يسمونه المعرفة بحثًا نظريًا غامضًا[1] .

٧ ـ السري سقطي الفارسي الذي ذكر عنه الهجوري بأنه أول من تكلم في بغداد في ترتيب المقامات وبسط الأحوال وأنه أكثر مشائخ العراق من حيث المريدين[2] .

٨ ـ أبو اليزيد البسطامي (ت٢٦١هـ) والذي كان ظهوره سببًا في تطور انحراف الأفكار الصوفية تطورًا خطيرًا لأنه أدخل في التصوف فكرة الفناء وفكرة وحدة الوجود[3] .

٩ ـ الجنيد (ت٢٩٧هـ) وهو فارسي من نهاوند ويلقب بسيد الطائفة[4] .

١٠ ـ الحلاج (ت٣٠٩هـ) والذي نادى بمذهب الحلول ، وبظهور الحلاج بلغ التصوف غايته وذروته في الانحراف من حيث العقيدة لأنه استطاع أن يظهر معتقده في الحلول على الملأ فأفتى علماء عصره بكفره وقتله فقتل في آخر سنة (٣٠٩هـ) ولكن طريقته بقيت بعده وتولى نشرها

---

(١) انظر « في التصوف الإسلامي وتاريخه » (ص ٧ ـ ٨) .

(٢) السري سقطي وهو سري بن المفلس السقطي كنيته أبو الحسن يقال : أنه خال الجنيد وأستاذه صحب معروفًا الكرخي وهو أول من تكلم ببغداد في الحقائق والأحوال وهو إمام البغداديين وشيخهم في وقته وإليه ينتمي أكثر الطبقة الثانية من مشائخ الصوفية ، (ت٢٥١هـ).

انظر « طبقات الصوفية » للسلمي (ص٤٨) .

(٣) انظر « في التصوف الإسلامي وتاريخه » (ص ٢٢ ـ ٢٤) .

وترجمة أبي يزيد البسطامي هو طيفور بن عيسى بن سروشان وكان جده سروشان هذا مجوسيًا فأسلم وهو من أهل بسطام مات سنة إحدى وستين ومائتين .

انظر « طبقات الصوفية » للسلمي (ص٦٣) .

(٤) سبقت ترجمته (ص٢٩) .

بعده كبار المتصوفة في الماضي والحاضر[1] .

وقد ظهر في هذين القرنين كثير من الشخصيات الصوفية غير الذين سبق ذكرهم وانتشروا في الساحة الإسلامية على امتداد الخلافة الإسلامية وبالأخص في فارس وخراسان والعراق بسبب وجود المؤثرات الأجنبية المختلفة في هذه المناطق كالهندوسية والبوذية والفارسية واليونانية والنصرانية المحرفة المصبوغة بالفلسفة اليونانية والتي انقلبت إلى ديانة وثنية بتخطيط من اليهود .

وبدأوا ينظمون أنفسهم في جماعات وفرق لها طرقها الخاصة وشيوخها وسالكوها .

وكانت هناك مدارس كثيرة للتصوف في هذه الفترة لكل منها طابع معين .

وقد ذكر الهجويري (ت٤٦٥هـ) الطرق الصوفية التي ظهرت في هذه الفترة باثنتي عشرة فرقة ونسب كل منها إلى شيخ من شيوخ القرنين الثالث والرابع الهجريين[2] .

وهذا دليل على أن الصوفية قد انتشرت في هذه الفترة انتشارًا واسعًا كما انتشرت تبعًا لذلك الخوانق والأربطة والزوايا التي يختلون بها في أنحاء

---

(١) الحلاج هو الحسين بن منصور وكنيته أبو مغيث وهو من أهل بيضاء فارس ونشأ بواسط بالعراق.

صحب الجنيد وأبا الحسن الثوري وعمر المكي والخواص وغيرهم وقد اختلف المتصوفة في أمره فمنهم من ذمه وأبعده ومنهم من أثنى عليه وآواه إلى حظيرة التصوف وقد قتل ببغداد بباب الطاق يوم الثلاثاء (٣٠٩هـ) .

(٢) انظر « كشف المحجوب » للهجويري (٥٨/١) .

بلاد العالم الإسلامي على امتداد رقعة الخلافة الإسلامية الواسعة[1] .

وقد وضعوا نظامًا خاصًا في هذه الأربطة يشبه إلى حد ما نظام الرهبنة في المسيحية والبوذية حيث يقوم بإدارة كل منها شيخ من شيوخهم ، وانتشر نظام الأربطة في الصوفية على أيدي رجال الطرق التي توالى ظهورها سريعًا في القرنين الخامس والسادس الهجريين[2] .

والعجيب أن كل واحد من أولئك الطرقيين الذين قاموا بإنشاء هذه الطرق الصوفية يزعم كل واحد منهم أنه من نسل رسول اللَّه ﷺ حيث استطاع كل منهم أن يقيم له طريقة صوفية خاصة به وأتباعًا مخصوصين فإننا إذا نظرنا في العالم الإسلامي نجد أن كل مجموعة من الصوفية تنتسب إلى شيخ من شيوخ الصوفية إلى يومنا هذا.

وفي القرن السادس والسابع والثامن بلغت الفتنة الصوفية أقصاها وأنشأوا فرقًا خاصة للدراويش وظهر المجاذيب وبنيت القباب على القبور في كل ناحية وذلك بقيام الدولة الفاطمية في مصر وبسط سيطرتها على أقاليم واسعة من العالم الإسلامي واستطاعت هذه الدولة تجنيد هذه الفرق الصوفية وغزوا العالم الإسلامي بها والتي كان لها أعظم الأثر بعد ذلك في تمكين الجيوش الصليبية من أرض الإسلام[3] .

وهكذا امتلأت الساحة الإسلامية بالمدارس والمذاهب الصوفية التي وضعت للمريد لكي يدخل إلى مقام شيخه أو ينخرط في طريقه قوانين يجب

---

(١) انظر « الخطط» للمقريزي (ص٤٥م) دار العلم للملايين ، بيروت .

(٢) انظر « في التصوف الإسلامي وتاريخه » .

(٣) « الفكر الصوفي » لعبد الرحمن عبد الخالق (ص ٧) .

أن يسلكها وامتلأت الصوفية بالرسوم والطقوس التي أطلقوا عليها اسم الأحوال والمقامات يتدرج فيها المريد إلى أن يصل إلى مرحلة العشق والوجد والفناء الباطل والاتحاد والحلول وغير ذلك من العقائد الباطلة التي ستتضح لنا من خلال هذه الرسالة إن شاء اللَّه[1] .

أما في مجال التدوين فقد دون الصوفية علومًا خاصة بهم ذكروا فيها مقامات الصوفية وأحوالها ومجاهداتها وما ينشأ عنها من الأذواق والمواجد والعقائد الباطلة الإلحادية .

ومن أشهر مؤلفيهم الطوسي[2] فقد ألف كتابًا خاصًا بالتصوف بعنوان « اللمع » ، وأبو طالب المكي[3] ، ومحيي الدين بن عربي الذي يصفونه بأنه الشيخ الأكبر[4] ، وابن الفارض[5] ، وابن عجيبة[6] وغيرهم من المؤلفين

(١) انظر « دراسات في الفرق » لطعيمة (ص١٠٨) .

(٢) هو أبو نصر عبد اللَّه بن علي السراج الطوسي شيخ الصوفية وهو بحق أكثر المؤلفين الصوفيين وأستاذهم جميعًا بلا استثناء (ت٣٧٨هـ) انظر « مقدمة اللمع » (١٢ ـ ١٤) .

(٣) هو أبو عبد اللَّه عمرو بن عثمان المكي إمام الطائفة في الأصول والفروع والطريقة مات ببغداد (٢٩١هـ) انظر « الرسالة » للقشيري (ص١٨٠) و« طبقات الصوفية » للسلمي (ص٢٠٠) .

(٤) محيي الدين بن عربي هو أبو عبد اللَّه محمد بن علي المعروف بابن عربي الطائي الحارثي الأندلسي من غلاة الصوفية القائلين بوحدة الوجود ويقول عنه الصوفية الإمام الأكبر والكبريت الأحمر وله كتب كثيرة في التصوف منها : « الفتوحات المكية » و« فصوص الحكم » و« ذخائر الأعلام » وغيرها (ت٣٧٦هـ) . انظر « جمهرة الأولياء » للمنوفى (٣/ ٣٠١) .

(٥) هو أبو حفص عمر بن أبي الحسين حموي الأصل مصري المولد (ت٦٣٢هـ) ومن أشهر مؤلفاته ديوانه المعروف بديوان ابن الفارض والذي يتغزل فيه بالحب الإلهي حسب زعمه . انظر «مقدمة ابن الفارض والحب الإلهي » (ص٢٨) .

(٦) هو أحمد بن محمد المهدي بن عجيبة صوفي من أهل المغرب وله كتب كثيرة في التصوف منها : « الفتوحات الإلهية »، و« إيقاظ الهمم في شرح الحكم » (ت١٢٢٤هـ) انظر « جمهرة الأولياء » للمنوفي (١/ ٢٣٤) .

الكبار الذين يصعب حصرهم .

وقد امتلأت كتب هؤلاء بالمصطلحات الصوفية الغامضة وزعموا أنه لا يفهمها إلا من سلك طريقهم وتعارف عليها وربما عجزوا هم أنفسهم عن إيضاح بعضها .

وهكذا تطور الانحراف لدى المتصوفة حتى وصلوا إلى تقسيم العلم إلى قسمين : علم الشريعة وعلم الحقيقة .

وقالوا : إن علم الشريعة خاص بالفقهاء وهم الذين يسمونهم أهل الرسوم .

وعلم الحقيقة أو الباطن كما يسمونه خاص بأهل الحقائق ويعنون به أنفسهم .

ومن هنا انفصل غلاة المتصوفة عن علمي الكتاب والسنة وأنشأوا لهم علمًا خاصًا مزيجًا من أفكار الباطنية والشيعة والأديان الهندية والأفلاطونية اليونانية وهذا منتهى الضلال والانحراف الخطير الذي هوى به غلاة المتصوفة إلى الحضيض في مجال العقيدة والعبادة والسلوك .

ومن الأمثلة على ذلك ما قاله محيي الدين بن عربي : « فلما رأى أهل اللَّه أن اللَّه قد جعل الدولة في الحياة الدنيا لأهل الظاهر من علماء الرسوم وأعطاهم التحكم في الخلق بما يفتون به وألحقهم بالذين يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ، وفي أفكارهم عن أهل اللَّه يحسبون أنهم يحسنون صنعًا ، سلم أهل اللَّه لهم أحوالهم لأنهم علموا من أين تكلموا وصانوا عنهم أنفسهم بتسميتهم الحقائق إشارات فإن علماء

الرسوم لا ينكرون الإشارات»[1] .

قد بذل المتصوفة جهدهم للتوفيق بين التصوف وبين القرآن والسنة وذلك بالتأويلات الفاسدة التي هي تحريفات في الحقيقة[2] .

قال الإمام ابن الجوزي رحمه اللَّه منكرًا تقسيم الإسلام إلى حقيقة وشريعة : « وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة وهذا جهل من قائله لأن الشريعة كلها حقائق » .

وقال ابن عقيل : « جعلت الصوفية الشريعة اسمًا وقالوا المراد منها الحقيقة » قال : « وهذا قبيح لأن الشريعة وضعها الحق لمصالح الخلق وتعبداتهم فما الحقيقة بعد هذا سوى شيء واقع في النفس من إلقاء الشياطين وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع »[3] .

أقسام الصوفية :

لقد اختلف العلماء المتقدمون في تقسيم الصوفية ، وإليك بعض من أقوال العلماء الذين تكلموا في تقسيم الصوفية :

فقد قسمها شيخ الإسلام ابن تيمية إلى ثلاثة أقسام وتبعه الهجويري في تقسيم الصوفية إلى ثلاثة أقسام ، بينما الرازي قسم الصوفية إلى ستة أقسام ، وفيما يلي تقسيم كل منهم على حدة :

أولاً : أقسام الصوفية عند الإمام ابن تيمية :

يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن الصوفية ينقسمون إلى ثلاثة أقسام هي:

---

(١) « الفتوحات المكية » (١/ ٣٦٥) نقلاً عن التصوف للشقفة (ص٣٧) .

(٢) انظر « فصوص الحكم » لابن عربي فسترى تحريفات خبيثة من أول الكتاب إلى آخره.

(٣) « تلبيس إبليس » لابن الجوزي (ص٣٢٤).

١ ـ **صوفية الحقائق** : وهم المتفرغون للعبادة والذكر والزاهدون في الدنيا .

٢ ـ **صوفية الأرزاق** : وهم الذين وقفت عليهم الوقوف ، ويشترط شيخ الإسلام في هؤلاء الشروط الآتية :

أ ـ العدالة الشرعية بحيث يؤدون الفرائض ويجتنبون المحارم .

ب ـ التأدب بآداب أهل الطريق وهي الآداب الشرعية ، أما الآداب البدعية فلا يلتفت إليها .

ج ـ أن لا يكون أحدهم متمسكًا بفضول الدنيا .

٣ ـ **صوفية الرسم** : وهم المقتصرون على المظاهر كاللباس والزنار ونحوها وليس لهم رصيد من العمل فيظن الجاهل أنهم منهم وليسوا منهم[١] .

ثانيًا : أقسام الصوفية عند الهجويري :

يقسم الهجويرى الصوفية إلى ثلاثة أقسام ويقول إن منهم :

١ ـ **الصوفي** : وهو المتفرغ لعبادة اللّٰه المتجه إليه المتجرد عن العلائق الدنيوية .

٢ ـ **ومنهم المتصوف** : وهو الذي يجاهد نفسه ويقومها للوصول إلى الدرجة السابقة.

٣ ـ **ومنهم المستصوف** : وهو من تشبه بهم من أهل المنزلة والجاه والمال ولا رصيد له من العمل المخلص حتى قيل فيه : المستصوف عند

(١) « مجموع الفتاوى » (١١/ ١٩ ـ ٢٠) بتصرف .

الصوفية كالذباب وعند غيرهم كالذئاب[1] .

ثالثًا : أقسام الصوفية عند الفخر الرازي :

لقد قسمهم الرازي إلى ست فرق نوجزها فيما يلي :

الأولى : أصحاب العادات : وهم الذين يهتمون بتزيين الظاهر كلبس الخرقة وتسوية السجادة .

الثانية : أصحاب العبادات : وهم المتفرغون للعبادة المنقطعون عن الدنيا .

الثالثة : أصحاب الحقيقة : وهم الذين إذا فرغوا من الفرائض لم يشتغلوا بنوافل العبادات بل في التفكر في ملكوت اللَّه وتجريد النفس عن كل ما يشغلها عن ذكر اللَّه فهم يحرصون أن لا يخلو بالهم عن ذكر اللَّه .

الرابعة : النورية : وهم يقولون إن الحجاب حجابان نوري وناري ، أما النوري فالاشتغال باكتساب الصفات المحمودة وأما الناري فالاشتغال بالشهوة والغضب والحرص والأمل .

الخامسة : الحلولية : وهم قوم يزعمون أنه قد حصل لهم الحلول أو الاتحاد فيدعون دعاوى عظيمة وليس لهم من العلوم العقلية نصيب .

السادسة : المباحية : وهم قوم يدعون محبة اللَّه ويخالفون شريعته ويقولون إن الحبيب رفع عنا التكاليف وهؤلاء شر الطوائف[2] .

قلت : وهناك قسمان آخران من أقسام الصوفية وهما :

---

(١) « كشف المحجوب » للهجويري (١/ ٢٣١) .

(٢) « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » للرازي (ص ١١٥ ـ ١١٧).

١ ـ الصوفية القائلون بوحدة الوجود كابن عربي وابن الفارض وابن عجيبة وغيرهم من ملاحدة الصوفية .

٢ ـ الصوفية القبورية وهم الذين يزعمون أن للأولياء تصرفًا في هذا الكون وأنهم يغيثون من استغاث بهم ويجيبون من ناداهم ويفرجون الكربات ومن الذين كتبوا في هذا المجال يوسف النبهاني ويظهر هذا في كتابه « شواهد الحق[(١)] ومنهم الشعراني ويظهر هذا في كتابه « الطبقات الكبرى والصغرى»[(٢)] ومنهم زيني دحلان ويظهر في كتابيه « خلاصة الكلام » و«الدرر»[(٣)] ومنهم العلوي المعاصر الساكن بمكة والذي لا يزال حيًّا يرزق .

وغير هؤلاء كثيرون يصعب حصرهم وسيظهر لنا في الأبواب القادمة وخاصة في باب انحراف المتصوفة في باب الولاية والنبوة كثير من هذه الانحرافات .

وهذه الأقسام التي أشار إليها هؤلاء الأعلام لا تختص بزمان معين ولا بطريقة معينة من المتصوفة بل إن المتصوفة وإن تعددت الطرق التي ينتسبون

---

(١) هو يوسف بن إسماعيل النبهاني الشاذلي له كتب كثيرة فيها الصالح والطالح وحمل على أعلام الإسلام كابن تيمية وابن القيم حملة شعواء وتناول بمثلها الإمام الألوسي والإمام محمد بن عبد الوهاب .

قلت : وهو من الصوفية الغلاة ومن دعاة الشرك والضلال . (ت٩٧٣هـ) انظر « الأعلام » (٢٨٩/٩) .

(٢) هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني الشاذلي طريقة له مؤلفات كثيرة في التصوف وهو من الغلاة القبوريين الذين دعوا إلى عبادة القبور بكل وقاحة (ت٩٧٣هـ) انظر « معجم المؤلفين» لكحالة (٢١٨/٦) .

(٣) هو أحمد زيني دحلان وهو من غلاة الصوفية المتأخرين وله مؤلفات كثيرة في الدعوة إلى الشرك والخرافة مثل كتابه « خلاصة الكلام» و«الدرر السنية» . انظر «الأعلام» للزركلي (١٢٥/١).

إليها فإنهم متفقون في منطلقاتهم ووسائلهم وأهدافهم التي يرمون إليها فلكل قسم من هذه الأقسام التي سبق ذكرها أتباع ومريدون ، فلو نظرنا في متصوفة عصرنا الحاضر لوجدنا هذه الأقسام كلها موجودة بل وسنجد زيادة على هذه الأقسام وهذا ما سيظهر لنا إن شاء اللَّه خلال بحثنا معهم في هذه الرسالة .

وبما أننا لا نريد أن نتناول كل الأقسام التي ذكرت للتصوف بل نريد أن نكتب عن الأقسام المنحرفة عقديًا من المتصوفة نريد أن نركز بحثنا عن الأقسام الآتية من المتصوفة وهي :

١ ـ **الصوفية الحلولية** وهم القائلون بحلول اللَّه في بعض مخلوقاته .

٢ ـ **الصوفية الوجودية** وهم القائلون بوحدة الوجود .

٣ ـ **الصوفية الإباحية** وهم القائلون بسقوط التكاليف وإباحة المحرمات.

٤ ـ **الصوفية القبورية** وهم الداعون إلى دعاء الأنبياء والأولياء أحياءً أو أمواتًا من دون اللَّه أو مع اللَّه .

ولذا أرجو من قارئ هذه الرسالة أن يجعل في حسبانه هذا وذلك حتى لا يتبادر من عنوان الرسالة بأن المقصود منها هو القول بأن جميع المتصوفة وقعوا في انحرافات عقدية .

* * *

المبحث الثالث

مصادر التصوف

إن التصوف مذهب عجيب وغريب ذلك لأن التصوف له روافد متعددة ومصادر مختلفة ، إذ هو متأثر بالثقافات المتنوعة والديانات المختلفة سواء كانت هذه الديانات وثنية في الأصل كالبوذية واليونانية أو كانت ديانات سماوية في الأصل كالمسيحية التي تأثرت بهذه الفلسفات التي سبق ذكرها .

ولذا أريد الآن أن أذكر أهم المصادر التي استقى منها المتصوفة أذكارهم ومبادئهم لإثبات أن هذه المصادر استمد منها المتصوفة نظرياتهم التي تصطدم مع العقيدة الإسلامية اصطدامًا صريحًا وخاصة العقائد الإلحادية كالقول بوحدة الوجود والحلول والاتحاد وادعاء تلقي العلوم عن طريق ما يسمونه الإشراق بدون دراسة ولا تعلم بل عن طريق المجاهدة والتي يعنى بها المتصوفة تعذيب الجسد حتى تبقى الروح صافية فينكشف لها الغيبيات ، ولنبدأ بالأفلاطونية اليونانية :

المصدر الأول : الأفلاطونية اليونانية الغربية[1] :

إن أثر الفلاسفة اليونانية لدى الصوفية واضح جداً ويتمثل هذا الأثر في

---

(١) ولد أفلاطون عام (٤٢٧) في عهد ديوتيمس وكان لا يزال في مستهل الطفولة حين توفي والده وبعد انتهاء طفولته رعاه عبد مسن كان يقوده إلى المدرسة وهو أحد الفلاسفة اليونانيين الذين برعوا في الفلسفة وإليه تنسب الفلسفة الأفلاطونية اليونانية الوثنية . انظر أفلاطون تعريب محمد إسماعيل (ص٦) .

نظريات المتصوفة الآتية وهي نظرية القول « بوحدة الوجود » و« الحلول والاتحاد » فهذه النظريات كلها قال بها فلاسفة اليونان ، كما نقل عنهم عبد القادر محمود : « إنه لا يوجد شيء إلا اللّه وأن كل شيء غير اللّه ليس إلا مظاهر خارجية وأحوال للّه »[1] .

وقال أبو الريحان البيروني : « إن قدماء اليونانيين قبل ظهور الحكمة فيهم بالسبعة المسمين أساطين الحكمة » وقد سماهم بأسمائهم . . ثم قال: « كانوا على مثل مقالة الهند وكان بينهم من يرى أن الأشياء كلها شيء واحد. . . ومنهم من كان يرى الوجود الحقيقي للعلة الأولى فقط لاستغنائها بذاتها فيه وحاجة غيرها إليها وأن ما هو مفتقر في الوجود إلى غيره فوجوده كالخيال غير حق والحق هو الواحد الأول فقط. . .» ثم قال : « وكذلك ذهبوا إلى أن الموجود شيء واحد وأن العلة الأولى تتراءى فيه بصور مختلفة و تحل قوتها في أبعاضه بأحوال متباينة توجب التغاير مع الاتحاد »[2] .

فالنصان السابقان يثبتان لنا بأن عقيدة وحدة الوجود قال بها اليونانيون ، وهذه العقيدة تعني أن كل شيء في هذا الوجود هو اللّه وما هذه الأشياء الموجودة في هذا الكون من حيوان وإنسان وغيرهم إلا مظاهر ومجال للّه سبحانه وتعالى ، وهذا حسب زعم القائلين بها وإلا فهي عقيدة باطلة ومرفوضة نقلاً وعقلاً وبما أننا لا نريد في هذا المبحث إلا المقارنة بين عقائد المتصوفة والفلاسفة اليونانيين حتى نثبت استمداد المتصوفة منهم بعض عقائدهم لنترك بيان بطلان هذه العقيدة للفصل الخاص بها[3] .

---

(١) « الفلسفة الصوفية في الإسلام » د / عبد القادر محمود (ص٣٠) .

(٢) « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة » (ص ٢٤ ـ ٢٥) .

(٣) انظر (ص ٢٨١ ـ ٢٩٥) .

ومن النصوص التي تثبت بأن المتصوفة قالوا بمثل ما قال به اليونانيون وأنهم يعتقدون نفس هذه العقيدة الوثنية :

قول ابن عربي والذي قاله لتقرير عقيدة وحدة الوجود:

فلــولاه لما كنـــا ولولا نحن ما كانـا

فــإن قلنـا بأنا هـو يكــون الحق إيانـا

فيظهرنا ليظهر هو ســرارا ثم إعلانا[1]

فهذه الأبيات كلها واضحة فيها عقيدة وحدة الوجود وبالأخص في البيت الأخير وهو قوله : « فيظهرنا ليظهر هو » فقد صرح في هذا البيت بأن كل هذه المخلوقات خلقها اللَّه ليظهر فيها هو .

ويقول أيضًا :

الرب حق والعبد حق يال ليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك حق أو قلت رب أنى يكلف[2]

ويقول صاحب كتاب « هتك الأستار في علم الأسرار » :

« العالم موجود بوجود الحق وهو منقطع النظر عن الحق غير موجود في عينه إذ لا وجود له من ذاته ولا وجود لظل بلا وجود شخص»[3] .

وقال أيضًا في مكان آخر من نفس الكتاب : « إن الحق المنزه عن الأكوان هو بعينه الخلق المشبه وإن قد تميز الخلق بإمكانه من الخالق فالشيء

(١) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٢/ ٥٩) نقله عنه الشقفة في كتابه « التصوف بين الحق والخلق » (ص٦٨) .

(٢) « التصوف بين الحق والخلق » لشقفة (ص٦٨) .

(٣) « دائرة معارف القرن العشرين » لمحمد فريد وجدي (١٠/ ١٧٨) .

الذي هو الخالق هو المخلوق بعينه لكن في مرتبة أخرى غير مرتبة الخالقية»[1] .

فالمقارنة بين النصوص المتقدمة التي أوردناها من الطرفين اليوناني والصوفي كنماذج لإثبات أن الأفلاطونية اليونانية مصدر من مصادر المتصوفة تثبت لنا بأن بين الطرفين تطابقًا كاملاً في القول بوحدة الوجود والتي هي تعتبر من أخطر العقائد الفاسدة التي لا يمكن أن يبقى للإنسان الذي يعتقدها إسلام لأن القول بوحدة الوجود يعني أن كل ما في هـذا الكـون يطلق عليه « اللَّه » وما الأشياء الموجودة في هذا الكون إلا مظاهر ومجال للَّه سبحانه وتعالى وهذا إلحاد صريح .

وقد نقل القول بوحدة الوجود عن كثير من علماء التصوف وفي مقدمتهم محيي الدين بن عربي كما سبق والحلاج وعبد الكـريم الجيلي وعبد الغني النابلس وأحمد التيجاني وغيرهم من غلاة المتصوفة .

ولكن لا نجد أحدًا خدم فكرة وحدة الوجود كابن عربي حيث حاول مزج تاريخ كل نبي من الأنبياء بروح نظرية وحدة الوجود وحاول أن يضعها تحت حماية كل نبي وذلك عن طريق تأويل الآيات القرآنية وتحريفها عن معانيها من أجل تأييد نظريته الإلحادية الوثنية ألا وهي القول بوحدة الوجود.

فقد ألف كتابًا كاملاً لأجل هذا الغرض وتعرض للآيات التي تتكلم عن الأنبياء وفسرها كلها تفسيرًا باطنيًا بحتًا وحاول تمييع معنى الآيات القرآنية لتأييد فكرته الخبيثة مبتدئًا بآدم عليه السلام ومنتهيًا بخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ وهذا الكتاب هو كتابه المسمى بـ « فصوص الحكم » ، فالكتاب

---

(١) المرجع السابق (١٠/١٧٩) .

من أوله إلى آخره زندقة وكفر بواح .

وإليك أنموذج من تفسيره الغريب في نفس الكتاب حيث يقول في « فص حكمة قدسية في كلمة إدريسية » :

« ومن أسمائه العلي ، على من ؟ وما ثم إلا هو فهو العلي لذاته ، أو عن ماذا ؟ وما هو إلا هو ، فعلوه لنفسه وهو من حيث الوجود عين الموجودات فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها وليس إلا هو . . . فهو الأول والآخر والظاهر والباطن فهو عين ما ظهر وهو عين ما بطن فهو ظاهر لنفسه باطن عنه وهو المسمى أبا سعيد الخزاز وغير ذلك من أسماء المحدثات »[1] .

والمقصود أن كل من يقرأ في كتب ابن عربي سيلاحظ بأن الرجل عنده مقدرة على التلاعب بالألفاظ وأنه يفسر النصوص القرآنية والحديثية حسب هواه بحيث توافق فكرته التي استوردها من وثنيي اليونان والهنود.

وبما أننا سنتحدث الآن في العقيدة الثانية التي أخذها المتصوفة من فلاسفة اليونان وهي القول بالحلول فإننا نرى من اللازم أن نذكر الفرق بين الحلول ووحدة الوجود فنقول :

« الفرق بين الحلول ووحدة الوجود أن الحلول هو وجود حقيقتين مختلفتين « الإلهية » و« البشرية » وقيام الأولى بالثانية تحت ظروف خاصة بينما يرى أصحاب وحدة الوجود وحدة ذاتية لجميع الأشياء مع تعدد مظاهرها »[1] .

---

(١) « فصوص الحكم » (ص٧٧) .

(٢) « الإسلام والفلسفات القديمة » لأنور الجندي (ص١٣٧) ط دار الاعتصام .

العقيدة الثانية التي أخذها غلاة المتصوفة من فلاسفة اليونان عقيدة القول بحلول الخالق في المخلوق ، فاليونانيون قالوا بالحلول وإليك النصوص التي تثبت ذلك :

يقول أفلاطون حاكيًا كيفية اتحاده باللّه حسب زعمه :

« وقد حدث مرات عدة أن ارتفعت خارج جسدى بحيث دخلت نفسي كنت حينئذ أحيا وأظفر باتحاد مع الإله ، يجب علي أن أدخل في نفسي ومن هنا أستيقظ وبهذه اليقظة أتحد باللّه » .

ثم إن تعريف أفلاطون لسقراط في قوله : « اعرف نفسك » يؤكد لنا بأن منهجه الذي دخل الأفق الصوفي يقتضي أن ينطوي الإنسان على نفسه ويسد كل المنافذ التي تربط بينه وبين العالم الخارجي ، والأفلاطونية تحاول الارتفاع بالمتناهي إلى مقام اللامتناهي وباتحاد الإنسان باللّه عبر صعق الفناء[1] وهو عين ما أخذه البسطامي والحلاج وغيرهما من غلاة المتصوفة القائلين بالحلول والاتحاد وسأورد نصوصًا منقولة من كتب المتصوفة تثبت ذلك بعد قليل .

وقد أورد أبو الريحان البيروني عن أفلاطون العبارة الآتية :

« إن المنصرف بكليته إلى العلة متشبهًا بها على غاية إمكانه يتحد بها عند ترك الوسائط وخلع العلائق »[2] .

فهذا النص الذي أورده أبو الريحان البيروني عن « أفلاطون » يثبت لنا بأن القول بإمكانية حلول الخالق في المخلوق أو اتحاده به

---

(١) انظر « الفلسفة الصوفية في الإسلام » د / عبد القادر محمود (ص٣٣ ـ ٣٤) باختصار.

(٢) « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة » (ص٢٥) .

عقيدة يونانية وثنية.

والمقصود أنه يجب على النفس الإنسانية في النظرية الأفلاطونية أن ترجع من حالة التبدد والكثرة إلى حال الوحدة المطلقة التي تكون فيها النفس في حال الفناء والمحو ويصبح كل شيء في حال عماء تسميه الدوائر الصوفية « حال الغراب الأسود » كما أسمته الدوائر المسيحية الصوفية « الليلة الظلماء » فإذا ارتفع الإنسان من مرتبة الفناء والمحو بعد أن يجتاز جسر القلق والتردد والخوف إلى مرتبة الطمأنينة بعد مرتبة الصعق أصبح وكأنه هو اللهّ، أي بأنه اللّه[1] .

وحين يفصل أفلاطون في هذه الحالة يؤكد أنها تأتي لا بالاختيار بل تتلقاها النفس وكأنها نور يهبط عليها وهو هنا يؤكد لنا وحدة الشهود في هذا الاتحاد والبقاء عبر الفناء[2] .

والآن وبعد أن أثبتنا بأن عقيدتي الحلول والاتحاد من عقائد فلاسفة اليونان الوثنيين إليك نصوص تثبت لنا بأنهم قالوا بمثل ما قال به اليونانيون في إمكانية حلول الخالق في المخلوق واتحاده به .

ولنبدأ بالحلاج الذي يعتبر المؤسس الأول لعقيدة الحلول في الأوساط الصوفية فقد قال مبينًا الأمور التي إذا قام بها الإنسان يحل فيه روح اللّه :

« من هذب نفسه في الطاعة وصبر على اللذات والشهوات ارتقى إلى مقام المقربين ثم لا يزال يصفو ويرتقي في درجات المصافات حتى يصفو عن البشرية فإذا لم يبق فيه من البشرية حظ حل فيه روح الإله الذي حل في

(١) « الفلسفة الصوفية في الإسلام » للدكتور عبد القادر محمود (ص٢٩) .

(٢) نفس المرجع (ص٣٠) .

عيسى بن مريم ولم يرد حينئذ شيئًا إلا كان كما أراد وكان جميع فعله فعل اللّه »[1] .

ومن زعماء المتصوفة القائلين بالحلول أيضًا أبو يزيد البسطامي فقد ذكر هذا الرجل بأنه رفع إلى اللّه مرة وأجرى مع اللّه محادثات طلب فيها من اللّه أن يحل به وذلك حسب زعمه وهذا هو النص حرفيًا :

فقد قال : « رفع بي مرة حيث قمت بين يديه فقال لي : يا أبا يزيد ، إن خلقي يحبون أن يروك ، قلت : يا عزيزي وأنا أحب أن يروني ، فقال : يا أبا يزيد إني أريد أن أريكهم ، فقلت : يا عزيزي إن كانوا يحبون أن يروني وأنت تريد ذلك وأنا لا أقدر على مخالفتك قربني بوحدانيتك وألبسني ربانيتك وارفعني إلى أحديتك حتى إذا رآني خلقك قالوا رأيناك فيكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك ففعل بي ذلك »[2] .

ويقول عبد الكريم الجيلي[3] واصفا حلول اللّه في الخلق :

« إذا تجلت ذات الحق سبحانه وتعالى على عبده بصفة من صفاتها سبح العبد في فلك تلك الصفة إلى أن يبلغ حدها بطريق الإجمال لا بطريق التفصيل لأن الصفتين لا تفصل لهم إلا من حيث الإجمال فإذا سبح العبد في فلك صفة واستكملها الإجمال استوى على عرش تلك الصفة فكان موصوفًا

(١) « دائرة معارف القرن العشرين » لمحمد فريد وجدي (١٠/ ٣٥٤) .

(٢) « اللمع » للطوسي (ص٤٦١).

(٣) عبد الكريم الجيلي هو عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي ابن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني من علماء الصوفية الكبار له كتب كثيرة منها : « الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر » و« المناظر الإلهية » و« مراتب الوجود » و« قاب قوسين » وغيرها . انظر «الأعلام » للزركلي (٤/ ١٧٥) .

بها فحينئذ تتلقاه صفة أخرى فلا يزال كذلك إلى أن يستكمل الصفات جميعها. . .» إلى أن قال : « فإذا أقام الحق لطيفة من ذاته عوضًا عن العبد كان التجلي على تلك اللطيفة فما تجلى إلا على نفسه لكنا نسمي تلك اللطيفة الإلهية عبدًا باعتبار أنها عوض عن العبد وإلا فلا عبد ولا رب إذ بانتفاء المربوب انتفى اسم الرب فما ثم إلا اللّه وحده الواحد الأحد »[1] .

وقال في مكان آخر في معرض حديثه عن كيفية حلول اللّه في المخلوقات : « واعلم أن تجليات الصفات عبارة عن قبول ذات العبد الاتصاف بصفات الرب قبولاً أصليًا حكميًا قطعيًا كما يقبل الموصوف الاتصاف بالصفة »[2] .

فهذه النصوص المتقدمة منقولة عن زعماء المتصوفة كلها تدور حول القول بالحلول والاتحاد وبالمقارنة البسيطة بين هذه النصوص التي نقلت عن أئمة التصوف وبين أقوال فلاسفة اليونان يتضح لنا بأن عقيدتي الحلول والاتحاد أخذهما المتصوفة من فلاسفة اليونان الوثنيين ولذا نقول إن الفلسفة اليونانية تعتبر من أهم المصادر للمتصوفة المتفلسفة كالحلاج والبسطامي وابن عربي وغيرهم ممن سار على نهجهم من المتصوفة إلى يومنا هذا .

ومقصدنا هنا هو الإثبات بأن الفلسفة اليونانية تعتبر من أهم مصادر الفكر الصوفي الفلسفي وقد أثبتنا ذلك والحمد للّه بإيراد نصوص من الطرفين اليوناني والصوفي وتبين لنا من خلال النصوص المنقولة من الطرفين بأن القول بالحلول والاتحاد باللّه مصدره الفكر اليوناني الفلسفي فبهذا يتبين لنا بأن عقيدتي الحلول والاتحاد عقيدتان وثنيتان دخيلتان على الإسلام والإسلام

---

(١) « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي (١/ ٦٢) .

(٢) نفس المرجع (١/ ٦٣) .

بريء من الذي يعتقد بهاتين العقيدتين ولا أريد هنا أن أتعرض لمناقشة القول بالحلول والاتحاد وإبطاله بالأدلة لأن هذا له مجاله إن شاء اللّه وسوف أناقش ذلك في الباب الثاني من هذه الرسالة[١] .

المصدر الثاني : أديان الهند الوثنية :

إن كل من يقرأ في كتب المتصوفة بإمعان ويفهمها جيداً سيدرك بأن المتصوفة قد تأثروا إلى حد كبير بأديان الهند القديمة في تعاليمهم وفلسفتهم وأورادهم وأذكارهم ولا يشك أحد في وجود الأثر الهندي الوثني في الفكر الصوفي بل إن كبار الكتاب عن التصوف والباحثين فيه من المستشرقين والمسلمين بل وحتى من الصوفية أنفسهم أقروا بوجود الأثر الهندي في الفكر الصوفي وذلك لأنه حقيقة واضحة لا يمكن إنكارها وبما أن مقصودنا هنا هو إثبات أن أديان الهند القديمة مصدر من مصادر التصوف أريد أن أذكر نماذج فقط لإثبات العلاقة بين المتصوفة والوثنيين الهنود ، وقد اخترت النموذجين التاليين لذلك وهما :

أولاً : القول بالحلول :

إن الاعتقاد بالحلول مأخوذ من العقائد الهندية الوثنية ، فالهنود قد قالوا بالحلول في كتبهم التي كتبها لهم الكهنة والسحرة .

« وقد سئل أرجن باسديو فقيل له : كيف مثال براهم في العالم ؟ قال باسديو : تتوهمه شجرة أشوت ـ وهي معروفة عندهم من كبار الأشجار وهي معكوسة الوضع ، عروقها في العلو وغصونها في السفل قد غزر غذاؤها حتى غلظت وانبسطت فروعها وتشبثت بالأرض فعلقت بها وتشابه في

---

(١) انظر (ص٣٣٩ ـ ٣٤٦) وكذلك (٢٨١ ـ ٢٩٥) .

الجهتين فروعها وعروقها فاشتبهت ـ فبراهم من هذه الشجرة عروقها العليا وساقها « بيد » وغصونها الآراء والمذاهب وأوراقها الوجوه والتفاسير وغذاؤها بالقوى الثلاثة واستغلاظها وتماسكها بالحواس وليس للعاقل سوى قطعها فإذا تم له قطعها طلب من عند منشئها موضع القرار الذي يعدم فيه العود وإذا ناله فقد خلف أذى الحر والبرد وراءه ووصل من ضياء النيرين والنيران إلى الأنوار الإلهية » .

ثم قال البيروني : « وإلى طريق بانتجل ذهبت الصوفية في الاشتغال بالحق » ثم ذكر أمثلة لذلك من أقوال الصوفية أنفسهم ومن الأدلة التي ذكرها قول الصوفية الآتي :

« مادمت تشير فلست بموحد حتى يستولي الحق على إشارتك بإخفائها عنك فلا يبقى مشير ولا إشارة »[1] .

ومن الأدلة التي ذكرها البيروني على قول الصوفية بالحلول متأثرين بأقوال الهند القديمة قول الشبلي : « اخلع الكل تصل إلينا بالكلية فتكون ولا تكون أخبارك وفعلك فعلنا »[2] .

واستدل أيضًا بقول أبي يزيد البسطامي حينما سئل : بم نلت ما نلت ؟ قال : « إني انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها ثم نظرت إلى ذاتي فإذا أنا هو »[3] .

فالنصوص التي نقلها عنهم البيروني كلها تدل دلالة صريحة بأن المتصوفة يؤمنون بنظرية الحلول وهي كما ترى عقيدة هندية وثنية إلحادية دخيلة على الإسلام فالفناء الصوفي الذي يسعى أصحابه للحلول والفناء

---

(١) ، (٢) ، (٣) « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة » للبيروني (١/ ٦٥ ـ ٦٦) .

الهندي الذي يعبرون عنه « بالنرفانا » وكلمة النرفانا من جملة معانيها الحلول[1] فبين الفناءين الصوفي والهندي تطابق كامل .

ومن هنا نقول إن صلة الفكر الصوفي بالفكر الهندي الوثني قوية جداً.

ثانيا : من العقائد التي أخذها المتصوفة عن الهنود الوثنيين القول بوحدة الوجود :

فالقول بوحدة الوجود قال به الهنود وقد ذكر هذا أبو الريحان البيروني حيث قال : (قال « باسديو » في كتابه « كيتا » : أما عند التحقيق فجميع الأشياء إلهية لأن بش جعل نفسه أرضًا ليستقر عليها وجعله ماءً ليغذيهم وجعله نارًا وريحًا لينميهم وينشئهم وجعله قلبًا لكل واحد منهم ومنح الذكر والعلم وضديهما على ما هو مذكور في « بيد »)[2] .

ويقول الديورانت في كتابه قصة الحضارة :

« إذا بحثنا عن أخطر نظرية أخذها الجانب الصوفي في الإسلام عن المصدر الهندي وجدناها نظرية وحدة الوجود ، إنها أساس جوهر « الفيدا » فالإله « براجاتي » هو خالق وخلق والعالم فيها لم ينشأ من العدم وإنما أجزاؤه أبعاض الإله »[3] .

ولا شك أن ابن عربي رئيس الاتحادية في مدرسة وحدة الوجود وما سبقه من مدارس كالحلاج وأبي يزيد البسطامي وما لحقه من مدارس كعبد الكريم الجيلي وعبد الغني النابلسي والتيجاني والرفاعي وغيرهم من زعماء الطرق الصوفية قد تأثروا تأثرا كبيراً بالأفكار الهندية الوثنية في قولهم بالحلول

---

(١) « قصة الحضارة » الديورانت (٣/ ٨٤) .

(٢) « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة » (١/ ٣٠) .

(٣) « قصة الحضارة » الديورانت (٣/ ٣٤) .

والاتحاد ولا حاجة لنا هنا أن نورد نصوصًا لإثبات أن المتصوفة يقولون بالحلول ووحدة الوجود لأننا ذكرنا عنهم نصوصًا في المصدر الأول من مصادر التصوف وهو المصدر اليوناني فانظره هناك فإنه كاف لإقامة الحجة عليهم .

ويقول الدكتور عبد القادر محمود : « وتبدو نظرية وحدة الوجود واضحة في « اليوبنشاد »[1] على الأخص حيث يؤكد في تعبيراته الشعرية أن اللّٰه والنفس الإنسانية شيء واحد.

فإن خيل للإنسان أنهما شيئان مختلفان فما ذاك إلا لأن إدراكه أضيق من أن يرى اتحادهما »[2] .

ثالثًا : من النظريات التي أخذها المتصوفة عن الهنود نظرية تعذيب النفس وحرمانها من الحياة السعيدة :

إن تعذيب النفس وتحميلها أكثر مما تطيقه وحرمانها من الأكل والشرب واللباس لم يأخذه المتصوفة إلا عن أديان الهند القديمة وخاصة البوذية فالمقارنة البسيطة بين سلوك بوذا وسلوك المتصوفة ترينا بوضوح مدى الصلة بين الطرفين الفكر الهندي والصوفي .

وإليك قصة بوذا :

فصاحب كتاب « قصة الحضارة » يروى لنا قصة بوذا فيقول :

« وفي ظلمة الصباح الباكر خلف بوذا المدينة على ظهر جواده يصحبه سائق عربته وقد تعلق يائسًا بذيل الجواد. . .» ثم قال : « ووقف عند مكان

---

(١) كتاب من كتب الهنود الوثنيين .

(٢) « الفلسفة الصوفية في الإسلام » للدكتور عبد القادر محمود (ص١١) .

اسمه « يوروفيلا » قلت لنفسي : إن هذا المكان رائع وإن هــذه الغابـة جميلة .. وههنا في هذا الموضع أخضع نفسه لأشد أنواع التقشف ولبث ستة أعوام يحاول أساليب « اليوجا »[1] التي كانت قد ظهرت قبل ذلك في ربوع الهند وعاش على الحبوب والكلأ ومضى عليه عهد اقتات بالروث وانتهى به التدرج إلى أن جعل طعامه حبة من الأرز كل يوم ولبس ثيابًا من الوبر وانتزع شعر رأسه ولحيته لينزل بنفسه العذاب لذات العذاب وكان ينفق الساعات الطويلة واقفًا أو راقدًا على الشوك وكان يترك التراب والقذر يتجمع على جسده حتى يشبه في منظره شجرة عجوزًا وكثيرًا ما كان يرتاد مكانًا تلقى فيه جثث الموتى مكشوفة ليأكلها الطير والوحش فينام بين هــذه الجثــث العفنة ... » ثم قال بوذا : « فضمر جسدي ضمورًا شديدًا وكان من أثر تقليل الطعام أن أصبحت العلامة التي أتركها على الأرض إذا ما جلست في هيئة أثر الخف يتركها البعير على الرمال وكان من أثر تقليل الطعام أن برزت عظام فقراتي... » ثم قال المؤلف : « إن بوذا أدرك أن تعذيب النفس لا يمكن أن يحصل عن طريقه على المعرفة والعلم فأقلع عن الزهد وجلس تحت شجرة وارفة الظل وسأل نفسه ما مصدر ما يعانيه الإنسان من أحزان وآلام وأمراض وشيخوخة وموت وهنا أشرقت عليه فجأة صورة للموت والولادة تعاقبان مجرى الحياة تعاقبًا لا ينتهي »[2] .

والخلاصة أن بوذا خرج من هذا المجاهدات القاسية بعقيدة تناسخ الأرواح والتي تعتبر العمود الفقري لعقائد الهنود الوثنيين رغم أنه حسب

---

(١) أي رياضة النفس .

(٢) « قصة الحضارة » (٣/٦٨ ـ ٧١) بتصرف واختصار طبع الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية .

زعمه كان يبحث عن الهداية وتطهير النفس ولكن بوذا أدرك أخيراً بأنه لا يمكن أن يصل إلى مطلبه عن طريق التقشف الشديد ونبذ الحياة فانتقل أخيراً إلى طريق آخر وهو طريق الراحة وحصل على النتيجة السابقة ومع ذلك فإن المتصوفة قد ساروا على نفس الطريق الذي سلكه بوذا طالبًا للهداية والطهر والمعرفة حسب زعم بوذا ونحن هنا لا يهمنا في كون بوذا يسلك هذا الطريق أو غيره فالرجل وثني لا يعرف خالقه ولكن يهمنا أمـر المتصوفة الذين سلكوا هذا الطريق الذي خطه هذا الوثني لأتباعه فأصبحوا يمارسون نفس الرياضات التي اتبعها بوذا طالبًا للمعرفة ولذا سنرى خلال بحثنا الطويل مع المتصوفة بأن بحثهم عن الهداية والمعرفة عن طريق تعذيب النفس بالرياضات الشاقة لم توصلهم إلى الهداية وإنما وصلت بهم إلى الضلال والانحراف الخطير .

وحتى لا نكون تجنينا على المتصوفة في أن الطريق الذي سلكوه طلبًا للمعرفة أخذوه من الديانة البوذية إليك نصوص من بطون كتبهم ومقالات زعمائهم الكبار الذين يعتبرونهم قمة في المعرفة والولاية كما يزعمون .

فقد ذكر الهجويري[1] عن أحد المتصوفة وهو أبو عثمان المغربي بأنه في بداية حاله اعتزل عشرين سنة في البوادي بحيث لم يكن يسمع آدميًا حتى ذابت بنيته من المشقة وصارت عيناه كسم الخياط وتحول عن صورة الآدميين وجاءه الأمر بالصحب بعد عشرين عامًا ، وقيل له : اصحب الخلق . فقال

---

(١) هو على بن عثمان من كبار أئمة الصوفية في القرن الرابع الهجري(ت٤٩٣هـ) وتظهر لنا مكانته بين الصوفية من خلال كتابه « كشف المحجوب » فقد ذكر فيه عقائد الصوفية وآدابهم وعباداتهم وسلوكهم وهو بحث يعتبر من المراجع المهمة في مجال الصوفية وهو من بلاد فارس وقد ترجم كتابه الدكتور سعاد قنديل .

لنفسه : فلأبدأ بصحبة أهل اللّه ومجاوري بيته ليكون ذلك أكثر بركة . فقصد مكة وأطلع المشايخ على مجيئه بقلوبهم وخرجوا لاستقباله فوجدوه وقد تبدلت صورته وفي حال لم يكن قد بقي عليه فيها شيء سوى رق الخلقة[1] .

وقال أبو طالب المكي : « قد كان الخواص لا يقيم في بلد أكثر من أربعين يومًا ويــرى أن ذلك علة في توكله فيعمل في اختبار نفسه وكشف حاله »[2] .

وحكى عن إبراهيم الخواص أنه قال : « مكثت في البادية أحد عشر يومًا لم آكل وتطلعت نفسي أن آكل من حشيش البر فرأيت الخضر مقبلاً نحوي فهربت منه ثم التفت فإذا هو رجع عني فقيل لم هربت قال : تشوفت نفسي أن يغيثني ، فهؤلاء الفارون بدينهم »[3] .

ونقل الشعراني عن شيخه أمين الدين أنه قال :

« كان شخص من أرباب الأحوال بناحية شان شلمون[4] بالشرقية جالسًا في البرية وقد حلق على نفسه بزرب شوك وعنده داخل هذه الحلقة الحيات والثعالب والثعابين والقطط والذئاب والخرفان والأوز والدجاج »[5] .

وذكر الشعراني في طبقاته عن البدوي[6] أنه قال :

---

(١) « كشف المحجوب » للهجويري (١/ ٤١٦) .

(٢) « قوت القلوب » لأبي طالب المكي (٢/ ٤٢٨) .

(٣) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص٩٠) .

(٤) مكان في مصر .

(٥) « الطبقات الكبرى » للشعراني (١/ ١٣٦) .

(٦) هو أبو العباس أحمد البدوي الشريف ولد بمدينة فاس بالمغرب ثم رحـل أبوه إلى مكـة=

« كان طول نهاره وليله قائمًا شاخصًا ببصره إلى السماء وقد انقلب سواد عينيه بحمرة تتوقد كالجمر وكان يمكث الأربعين يومًا وأكثر لا يأكل ولا يشرب ولا ينام »[1] .

وذكر الطوسي أن الشبلي كان يكتحل بالملح ليعتاد السهر ولا يأخذه النوم وأحيانا كان يحمي الميل فيكتحل به[2] .

وأما ابن الفارض فيقول عنه ابنه : « سمعت والدي ابن الفارض يقول: كنت في أول تجريدي أستأذن أبي وأطلع إلى وادي المستضعفين بالجبل الثاني من المقطم وآوي فيه وأقيم في هذه السياحة ليلاً ونهاراً »[3] .

فهذه النصوص التي نقلتها عن المتصوفة توضح لنا بأن المتصوفة قد تأثروا تأثرًا كبيرًا بالبوذية في المجاهدات والرياضات التي اتبعوها طلبًا للمعرفة كما يزعمون هم فبوذا الوثني قد سلك طريق تعذيب النفس بأشق أنواع العذاب فتوصل أخيرًا إلى العقيدة الباطلة ألا وهي عقيدة تناسخ الأرواح واتبعه المتصوفة في سلوكه فوصلوا عن طريق هذه المجاهدات إلى ادعاء تلقي العلوم عن اللَّه وإمكانية حلول اللَّه في مخلوقاته وبما أننا لا نريد هنا مناقشة المتصوفة في هذا السلوك المشين الذي أخذوه عن وثنيي الهند بل قصدنا هنا هو الإثبات بأن أديان الهند الوثنية تعتبر مصدرًا هامًا من مصادر التصوف وقد أثبتنا ذلك والحمد للَّه بإيراد نصوص من الطرفين البوذي

= (٦٠٣هـ) وعمره إذ ذالك سبع سنين وكان لكثرة ما يتلثم لقب بالبدوي وكانوا يسمونه في مكة العطاب فلما أحدث عليه حادث الوله تغيرت أحواله واعتزل الناس ولازم الصمت ثم سافر إلى العراق ومنها إلى مصر واستقر في طنطا ، ت(٦٨٦هـ) انظر « جمهرة الأولياء » للمنوفي (٢/ ٢٣٧).

(١) « الطبقات الكبرى » للشعراني (١/ ١٨٣) .

(٢) « اللمع » للطوسي (ص٢٧٥) .

(٣) « جمهرة الأولياء » للمنوفي (٢/ ٢٤٦) .

والصوفي فلنكتفي بهذا .

وتأكيدًا لما قلته بأن أديان الهند الوثنية تعتبر مصدرًا هامًا من مصادر التوصف إليك نبذة من أقوال الباحثين في مجال التصوف من المسلمين وغيرهم من الكتاب المستشرقين .

فقد كتب الأستاذ أبو العلاء العفيفي في ثنايا بحثه عن المشتغلين بالدراسة عن التصوف من المستشرقين فقال :

« أما ريتشورد هارتمان ، وماركس هورتين فنزعتهما واحدة وهي أن التصوف يستمد أصوله من الفكر الهندي وإن كان هورتين قد بذل من المجهود في إثبات هذه النظرية ما لم يبذله أي كاتب آخر فقد كتب في سنتي (١٩٢٧م ـ ١٩٢٨م) مقالتين حاول أن يثبت في إحداهما بعد تحليل تصوف الحلاج والبسطامي والجنيد أن التصوف الإسلامي في القرن الثالث الهجري كان مشبعًا بالأفكار الهندية وأن الأثر الهندي أظهر ما يكون في حالة الحلاج.

وفي المقالة الثانية أيد النظرية نفسها عن طريق بحث المصطلحات الصوفية الفارسية وانتهى إلى أن التصوف الإسلامي هو بعينه مذهب الفيدانتا الهندية .

واستند هارتمان في إثبات دعواه إلى النظر في الصوفية أنفسهم وفي مراكز الثقافة القديمة التي كانت منتشرة في بلادهم واحتج هذا الكاتب لإثبات دعواه بما يلى :

أولاً : أن معظم أوائل الصوفية من أصل غير عربي كإبراهيم بن أدهم وشقيق البلخي وأبي يزيد البسطامي .

ثانيًا : أن التصوف ظهر أولاً وانتشر في خراسان .

ثالثًا : أن تركستان كانت قبل الإسلام مركز تلاقي الديانات والثقافات الشرقية والغربية فلما دخل أهلها الإسلام صبغوه بصبغتهم الصوفية القديمة .

رابعًا : أن المسلمين أنفسهم يعترفون بوجود الأثر الهندي في التصوف.

خامسًا : أن استعمال الزهاد للمخلاة في سياحتهم واستعمالهم للسبح عادتان هنديتان »[1] .

ويقول جولد زيهر :

« إن نظرية الصوفيين في فناء الشخصية هي التي تقترب وحدها من فكرة الجوهر الذاتي « أتمان » إذا لم تكن تتفق معها تمامًا ويطلق الصوفيون على هذه الحالة لفظ الفناء أو المحو أو الاستهلال »[2] .

والخلاصة التي نخرج بها هو أن الديانات الهندية القديمة تعتبر من أهم المصادر التي استقى منها المتصوفة بعض عقائدهم وسلوكهم وقد اتضح لنا ذلك من خلال إيراد النصوص من الطرفين الصوفي والبوذي ومن خلال أقوال الكتاب والباحثين الذين اهتموا بالدراسات في مجال التصوف.

المصدر الثالث من مصادر التصوف المسيحية المحرفة :

جاء الإسلام وزالت بمجيئة نظريات الرهبنة والتبتل والهروب إلى الصحاري والغابات وترك الأهل والأولاد واعتزال المجتمعات بحجة تطهير النفس وتربيتها وصار للرهبنة في الإسلام مفهومًا جديدًا يخالف تمامًا ذاك المفهوم الذي كان عليه سابقًا في العهود الماضية قبل الإسلام فقد صارت الرهبنة رمز الجهاد في سبيل اللّٰه سبحانه وتعالى ومقارعة الأعداء والدخول في خضم المعارف بعد أن كانت رمزًا للخلوات المظلمة التي كثيرًا ما تكون

---

(١) مقدمة كتاب « في التصوف الإسلامي وتاريخه » لنيكسون ص(ح ، ط) .

(٢) « العقيدة والشريعة في الإسلام » لجولد زيهر ترجمة عربية (ص١٦٢) .

هذه الخلوات المظلمة مأوى لمردة الشياطين والتبتلات وقطع العلائق مع البشرية الذي نتج عنه الخلل العقلي والخيالات ، ولما جاء رجل إلى النبي ﷺ مستوصيًا قال له النبي ﷺ : « **وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام**»[1] .

لكن التصوف أعاد مفهوم الرهبنة السابق إلى الأمة الإسلامية ودعا إلى الخلوات المظلمة وإلى الهروب عن الناس وإلى ترك التزوج ودعا إلى تطهير الروح عن طريق تعذيب الجسد بأنواع من المجاهدات الشاقة القاتلة وإلى لبس الصوف الخشن من الثياب عامة وتجويع النفس لتطهيرها والسياحة في البلاد ولذلك فالمتصوفة كانوا يستمعون إلى مواعظ الرهبان وأخبار رياضاتهم الروحية حتى يقتدوا بهم في سلوكهم ، وكتب المتصوفة مليئة بقصص كثيرة مروية عن رهبان النصارى .

وإليك نموذج لذلك من كتاب « إحياء علوم الدين » للغزالي وهو يدل على حرص الصوفية على الاستفادة من رياضات رهبان النصارى فقد أورد الغزالي عن إبراهيم بن أدهم وهو يعتبر من الرجال الذين يشار لهم بالبنان في الأوساط الصوفية :

« قال إبراهيم بن أدهم : تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان ، دخلت عليه في صومعته ، فقلت : يا سمعان مذ كم كنت في صومعتك ؟ قال : منذ سبيعن سنة ، قلت : فما طعامك ؟ قال : يا حنيفي وما دعاك إلى ذلك ؟ قلت : أحببت أن أعلم قال : في كل ليلة حمصة ، قلت : فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة ؟ قال : ترى الدير الذي بحذائك ؟ قلت : نعم ، قال : إنهم يأتون كل سنة يومًا واحدًا فيزينون صومعتي ويطوفون حولها ويعظموني فكلما تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها

---

(١) أخرجه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٦٦) وانظر « سلسلة الأحاديث الصحيحة » (٢/ ٨٧) .

عز تلك الساعة فأنا أحتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنيفي جهد الساعة لعز الأبد .

قال إبراهيم بن أدهم : فوقع في قلبي المعرفة .

فقال : حسبك أو أزيدك ؟ قلت : بلى . قال : انزل عن الصومعة ، فنزلت فأدلى لي بركوة فيها عشرون حمصة »[1] .

وقال الغزالي أيضًا : بأنه لا وصول إلى اللّه سبحانه وتعالى إلا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والتجرد للّه في الحركات والسكنات .

ثم بدأ يثني على انفراد رهبان النصارى عن الخلق واعتزالهم في قمم الجبال بعيدًا عن الخلق وطلبًا للأنس باللّه عز وجل وذكر أن اللّه أثنى عليهم لذلك بقوله : ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ** ﴾[2] .

وبالإضافة إلى ذلك فإن الغزالي قد شحن كتابه « الإحياء » بروايات كثيرة منسوبة إلى المسيح في التعبدات والأمثال والحكم والأحكام[3] .

وأن أثر المسيحية والفلسفة الأفلاطونية الحديثة والفلسفة البوذية عامل لا سبيل إلى إنكاره في تكوين التصوف الإسلامي وقد كانت هذه المذاهب والفلسفات متغلغلة في الأوساط التي عاش فيها المتصوفة فلم يكن مخرج من أن تترك طابعها في مذاهبهم[4] .

وأخطر مسألة تأثر فيها المتصوفة بالمسيحية المحرفة هي مسألة الحلول.

---

(١) «الإحياء » (٣/ ٣٣٤) .

(٢) المائدة : (٨٢) .

(٣) انظر « الإحياء » (١/ ٢٦٦) .

(٤) « في التصوف الإسلامي وتاريخه نيكلسون » (٤٢ ـ ٤٣) .

ففي المفهوم المسيحي لطبيعة المسيح عليه السلام تتمحور المواقف حول وجهين لشخصية المسيح هما اللاهوت الذي حل في الناسوت ، فالمسيح وفق مفهوم أوريجنس وهو فيلسوف مسيحي هو كلمة وعقل حل في عيسى الإنسان وبهذا المعني يكون المسيح قد بدأ وظهر أو تجلى في شخص عيسى عليه السلام وفكرة الحلول هذه تفيد أن عيسى إنسان إلهي صورته الخارجية صورة إنسان وطبيعته الداخلية مما ينتمي للإله فهو من طبيعتين امتزجتا وصارتا طبيعة واحدة إنه مركب من الناسوت واللاهوت كما يزعمون[1] .

وكل المسيحيين يعتقدون بحلول اللّه في المسيح ولكنهم اختلفوا في كيفية الاتحاد والتجسد ففرقة ترى أنه إشراق النور على الجسد المشف وفرقة ترى أنه انطباع النقش في الشمعة وفرقة ترى أنه ظهور الروحاني بالجسماني وفرقة ترى أن اللاهوت تدرع بالناسوت وفرقة ترى أن الكلمة مازجت جسد المسيح ممازجة اللبن بالماء .

أما حقيقة اللّه عند المسيحية المحرفة فهو أنه جوهر واحد غير متحيز وليس بذي حجم بل قائم بالنفس وهو واحد بالجوهرية ثلاثة بالأقنومية .

والأقانيم هي الصفات : الوجود والحياة والعلم . . الأب والابن وروح القدس.

ولكن العلم من بين تلك الصفات تدرع وتجسد دون سائر الأقانيم .

والقاضي عبد الجبار يرى أن فرق المسيحية الثلاثة اتفقت على أن الخالق جوهر واحد ثلاثة أقانيم وأن أحد هذه الأقانيم أب والآخر ابن

---

(١) « التصوف منشؤه ومصطلحاته » د / أسعد السحمراني (ص٥٤) ط دار النفائس .

والثالث روح القدس وأن الابن هو الكلمة والروح هي الحياة والأب هو القديم الحي المتكلم . . . .

ومضى القاضي عبد الجبار يقول : إن المسيحيين جميعًا اتفقوا على أن الابن اتحد بالشخص الذي يسمونه المسيح وأن ذلك الشخص ظهر للناس وصلب وقتل .

أما في كيفية صلبه فقد آمن المسيحيون أنه قتل وصلب ولكنهم اختلفوا هل القتل ورد على الجزء اللاهوت أم ورد على الجزء الناسوت أم على الجزءين معًا ثم قام وصعد[1] .

وقال أبو علي الجبائي إن المسيحيين جميعًا متفقون على أن الكلمة هي الابن وأن الذي له الروح والكلمة هو الابن والثلاثة في رأي المسيحيين جميعًا إله واحد وخالق واحد وأنها من جوهر واحد[2] .

وتابع بعض غلاة الصوفية المسيحيين في القول بالحلول حيث زعموا أن الحق اصطفى أجسامًا حل فيها بمعنى الربوبية وأزال عنها معاني البشرية والأجسام التي اصطفاها اللّه تعالى أجسام أوليائه وأصفيائه اصطفاها بطاعته وخدمته وزينها بهدايته وبين فضلها على خلقه وهذا حسب زعم المتصوفة[3] .

ومن الأدلة على ذلك قول الحلاج في الأبيات الآتية :

---

(١) انظر « الملل والنحل » للشهرستاني (٢/ ٣٣ ـ ٤٤) .

(٢) نفس المرجع (٢/ ٣٩ ـ ٤٤) .

(٣) « معجم مصطلحات الصوفية » للدكتور عبد المنعم الحفني ـ بيروت ـ دار السيرة ـ ط (١/ ١٤٠٠هـ) .

سبحان من أظهر ناسوته ... سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهرا ... في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب[1]

والحلولية ليست من الإسلام في شيء كما ذكرناه سابقًا في بحث موضوع تأثر الصوفية بالديانات الهندية والفلسفة اليونانية[2] .

ولذلك نقول إن ما ظهر من هذا القبيل عند بعض المتصوفة هو من تأثير الحلولية المسيحية على الصوفية .

ويكفي هذا بإيجاز وسنتعرض للموضوع بالتفصيل في الفصل القادم لأن مقصودنا في هذا الفصل هو مجرد إثبات بأن المسيحية مصدر من مصادر الأفكار الصوفية[3] .

وقد دعا كثير من المتصوفة إلى البعد عن الزواج وهذه نماذج من أقوال مشائخهم الكبار :

قال السهروردي : « التزوج انحطاط من العزيمة إلى الرخص ورجوع من الترمح إلى النقص وتقييد بالأولاد والأزواج ودوران حول مظان الاعوجاج، والتفات إلى الدنيا بعد الزهادة وانعطاف على الهوى بمقتضى الطبيعة و العادة »[4] .

ونقل أبو طالب المكي عن قطب من أقطاب الصوفية الأوائل

---

(١) « تلبيس إبليس » لابن الجوزي ـ بيروت ـ دار الكتب العلمية (ص١٧١) .
(٢) انظر (٦١ ـ ٦٢) .
(٣) انظر (٣٢٢ ـ ٣٤٦) .
(٤) انظر « عوارف المعارف » للسهروردي (ص ١٠٤) .

أبي سليمان الداراني المتوفى سنة (٢١٥هـ) أنه قال : « من تزوج فقد ركن إلى الدنيا »[١] .

وهذه العبارات كلها المقصود منها هو التنفير عن الزواج وهذا خطأ كبير منهم وانحراف عن منهج خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد اللَّه عليه الصلاة والسلام والخير كل الخير في اتباع هديه والشر كل الشر في مخالفته وهذه الأمور إنما ورثها المتصوفة من الرهبان النصارى الذين يمتنعون عن الزواج فيفسدون البنات في الأديرة لأن كبت الغريزة الجنسية بهذه الطريقة أمر من الصعوبة بمكان فالزواج هو السبيل الوحيد لبقاء الجنس البشري على هذه المعمورة وقد حث الرسول على الزواج في أحاديث كثيرة ولا نريد أن نوردها هنا لأن لها موضعًا آخر في الرسالة وسنتطرق ونناقش الموضوع بالتفصيل وسأقوم بالرد عليهم ردًا مقنعًا إن شاء اللَّه تعالى في انحراف مفهوم الصوفية في الزهد .

وقد وردت عدة آيات في الإنجيل المحرف تدعو إلى التبتل والبعد عن الزواج فمن هذه الآيات قول المسيح : « ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات من استطاع أن يقبل فليقبل»[٢] .

ويقول بولس في رسالته إلى أهل كورنتوس : « وأما من جهة الأمور التي كتبتم عنها فحسن للرجل أن لا يمس امرأة »[٣] وكذلك قال : « أقول لغير المتزوجين الأرامل أنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا »[٤] .

---

(١) انظر « قوت القلوب » لأبي طالب المكي (١/ ٢٥٢) دار صادر ـ بيروت .

(٢) انظر إنجيل متى العهد الجديد الآية (١٢) .

(٣) انظر رسالة بولس إلى أهل كورنتوس من العهد الجديد الإصحاح السابع الآية (١) .

(٤) نفس المرجع الآية (٨) .

ومما يؤكد بأن المسيحية المحرفة مصدر من مصادر التصوف قول الكاتب الأوروبي نيكلسون حيث كتب يقول : (لم يخرج الصوفية كثيراً على الحديث القائل : « **لا رهبانية في الإسلام** » ، إلا بعد مضي عدة قرون . . .) ثم قال : « وإننا لا نعلم إلا القليل عن نظام الزهد الرهباني ونشأته في العصور الإسلامية الأولى » ثم قال : « ويقال إن أول خانقاه أسست لمتصوفة المسلمين كانت برملة في فلسطين قبل نهاية المائة الثامنة الميلادية على ما يظهر وأن مؤسسها كان راهبًا مسيحيًا . . . » ثم قال : « وقد ذكر الصوفية بعض الأحاديث المدخولة على النبي التي تشير لإباحة العزوبة لجميع المسلمين بعد المائتين من الهجرة . . . فقد ظهر نظام الرهبنة في الإسلام حوالي هذا التاريخ تقريبًا ، نعم لم يعم الزهد في العالم الإسلامي ولم تظهر فيه الربط والزوايا المظلمة إلا في عصر متأخر لأن القاريء للكتب التي ألفت في التصوف حتى منتصف القرن الخامس الهجري مثل « قوت القلوب » لأبي طالب المكي و« حلية الأولياء » لأبي نعيم و« الرسالة » للقشيري قلما يجد فيها إشارة إلى هذه الربط والزوايا ومع ذلك نجد أن كبار الصوفية من رجال القرنين الثالث والرابع قد اجتمع حولهم المريدون ليأخذوا عنهم الطريق ويتأدبوا بآدابه ومن الطبيعي أن هؤلاء المريدين أقاموا في بيوت دينية من نوع ما كلما وجدوا إلى ذلك سبيلاً . ويذكر المقريزي أن الخانقاوات وجدت في الإسلام في القرن الخامس الهجري المقابل للقرن الحادي عشر الميلادي. . .

وبعد ذلك بمائتي سنة أي بين (٤٥٠ ، ٦٥٠) زيد في نظام الرهبنة وانتشر هذا النظام على أيدي رجال الطرق كالعدوية والقادرية والرفاعية وغير ذلك من الطرق التي توالي ظهورها سريعًا »[1] .

---

(١) « في التصوف الإسلامي وتاريخه » لنيكلسون ترجمة عربية للدكتور أبي العلاء عفيفي (ص٥٦ ـ ٥٨) .



الفصل الثاني

أهم العوامل التي أدت إلى الانحرافات العقدية عند الصوفية

وتحته أربعة مباحث :

المبحث الأول : طلب الهداية في غير الكتاب والسنة.

المبحث الثاني : اعتقادهم بأن هناك حقيقة تخالف الشريعة.

المبحث الثالث: الغلو الزائد في الرسول ﷺ والأولياء .

المبحث الرابع : تأثرهم بالفكر اليوناني .



المبحث الأول

طلب الهداية في غير الكتاب والسنة

من يقرأ في كتب المتصوفة يلاحظ بأن القوم لا يهتمون بعلم الكتاب والسنة اللذين لا يمكن الحصول على الهداية إلا عن طريقهما وذلك لأن القوم يزعمون بأن لهم علومًا خاصة يتلقونها عن اللَّه سبحانه وتعالى مباشرة عن طريق الكشوفات المزعومة وبالإضافة إلا ذلك يزعمون بأنهم يلتقون بالأنبياء بعد موتهم ويتعلمون منهم علومًا وبالأولياء أيضًا وعلى رأس الأولياء يزعمون بأنهم يلتقون بالخضر ويتعلمون منه العلوم اللدنية ولم يكتف المتصوفة بهذا الإدعاء بل صرحوا بأن علومهم التي يتلقونها عن اللَّه بلا واسطة كما يزعمون أفضل من العلوم التي أتى بها رسول اللَّه ﷺ ولذا نفّر المتصوفة الناس عن تعلم العلوم الشرعية وهذا مكر ومكيدة ودهاء وخبث منهم لأنهم يعلمون بأن علومهم الوهمية الخيالية التي يزعمون بأنهم يتلقونها عن طريق المنامات والأحلام والرؤى والهتافات والكشوفات لا يمكن أن يقبلها منهم الناس إذا تعلموا الكتاب والسنة إلا إذا نفّروا الناس عن العلوم الصحيحة التي مصدرها الكتاب والسنة حتى لا تتبدد أباطيلهم فتصبح هباءً منثوراً لأنها ما هي إلا كالسراب الذي يحسبه الظمآن ماءاً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا.

ولم يكتف المتصوفة بالتنفير عن طلب العلم الشرعي بل استهزؤا بعلماء الأمة الإسلامية ووصفوهم بأنهم علماء الرسوم الذين لا يفهمون شيئًا

عن الحقائق ووصفوا أنفسهم بأنهم علماء الحقيقة ومن أجل هذا طلب المتصوفة الهداية خارج الكتاب والسنة عن طريق الهواتف والمجاهدات والكشوفات المزعومة فضلوا عن الصواب وأضلوا كثيراً من شعوب العالم الإسلامي وهكذا مصير كل من بحث عن الهداية والوصول إلى رضوان اللّه سبحانه وتعالى خارج الكتاب والسنة فإن مصيره الضلال والتيه والضياع .

ولقد ادعى كثير من المتصوفة بأن الهداية تأتي إليهم عن طريق الهواتف وإليك الدليل على ما أقول :

فقد ذكر إبراهيم بن أدهم بأن أباه كان من ملوك خراسان وأنه خرج يومًا للصيد وأثار ثعلبًا أو أرنبا ثم يقول : إنه هتف به هاتف وسمع صوته ولم يره وقال له : « يا إبراهيم ألهذا خلقت أم بهذا أمرت » ثم يذكر بأن الهتاف عاوده فقال : « ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت » ثم قال : إنه أخذ جبة راعي أبيه وانطلق هائمًا في الصحاري والغابات والأودية والجبال طلبًا للهداية والتقى بسليمان عليه السلام وعلّمه اسم اللّه الأعظم ثم جاءه الخضر وقال له : « إن الذي علمك اسم اللّه الأعظم هو أخي داوود » .

ثم قال إبراهيم بن أدهم إنه التقى بأسلم بن يزيد بالأسكندرية : « فقال لي : من أنت يا غلام ؟ قلت : شاب من أهل خراسان ـ قال : وما حملك على الخروج من الدنيا ؟ قلت : زهداً فيها ورجاء الثواب من اللّه تعالى .

فقال : إن العبد لا يتم رجاؤه لثواب اللّه تعالى حتى يحمل نفسه على الصبر فقال رجل ممن كان معه : وأي شيء الصبر ؟ فقال : إن أدنى منازل الصبر أن يروض العبد نفسه على احتمال مكاره الأنفس ، قال : قلت : ثم مه ؟ قال : إن كان محتملاً للمكاره أورث اللّه قلبه نوراً ، قلت : وما ذاك

النور ؟ قال : سراج يكون في قلبه يفرق به بين الحق والباطل والناسخ والمتشابه. . . » .

ثم قال إبراهيم بن أدهم قال له رجل من أصحاب أسلم بن يزيد أضربه فأوجعه فإنا نراه غلامًا قد وفق لولاية اللَّه تعالى »[1] .

وبتحليلنا لهذه القصة نستنتج الأمور التالية :

الأمر الأول : أن الهداية قد جاءت لإبراهيم بن أدهم من هاتف هتف به ولا أريد مناقشة هذه الدعوى لإثبات صحتها أو بطلانها لأن الذي أوردها صوفي له مكانته العالية في الأوساط الصوفية ولكن الذي أريده هو أنني أقول إن هذا الطريق الذي سلكه إبراهيم بن أدهم طالبًا للهادية يختلف تمامًا عن الطريق الذي رسمه لنا رسول اللَّه ﷺ لطلب الهداية .

فالهداية دائمًا إنما تطلب بالعودة إلى تلاوة كتاب اللَّه وفهم معانيه والاهتمام بدراسة سنة رسول اللَّه ﷺ ولا يمكن أن تكون الهواتف عندنا طريقًا للهداية لأن الهواتف أنواع شتى فقد يكون الهاتف شيطانًا ويأمره بشيء فيضل الطريق ولذا فالأحلام والرؤى والمنامات والهتافات أو الهواتف لا وزن لها في الشريعة الإسلامية فضلاً عن أن تكون أسبابًا للهداية .

الأمر الثاني : أقول إن خروج إبراهيم عن وطنه وتركه لماله وأهله وخلق ثيابه وبعده عن الدنيا كلية ليس من الإسلام في شيء لأن الإسلام لا يأمر المسلم أن يهاجر عن وطنه إلا إذا اضطهد فيه وأصبح لا يتمكن من أداء الشعائر الإسلامية فحينئذ تجب الهجرة ، وخراسان بلد إبراهيم لم تكن كذلك .

---

(١) « طبقات الصوفية » للسلمي تحقيق نور الدين شريبة (ص٢٧ ـ ٣٠) .

الأمر الثالث : ثم إن ادعاء إبراهيم بن أدهم بأنه لقي داوود عليه السلام وعلمه اسم اللَّه الأعظم .

أولاً وقبل كل شيء ما الذي دعا داوود عليه السلام للعودة إلى الدنيا مرة أخرى ليعلم فردًا من أفراد أمة محمد ﷺ اسم اللَّه الأعظم ، مع أن الرسول ﷺ قال لعمر : « **والله لو كان موسى حيًا لما وسعه إلا أن يتبعني** »[1] فكذلك داوود لو عاد حيًا لم يسعه إلا اتباع الرسول ﷺ ولا يجوز له أن يقوم بتعليم الناس شيئًا لم يعلمه لهم رسول اللَّه ﷺ على حد زعم المتصوفة وإلا فاسم اللَّه الأعظم ليس مجهولاً حتى يأتي داوود ويخرج من قبره ليعلمنا إياه بل هو معروف من ملة محمد ﷺ فقد ورد في الحديث الصحيح : « **أن رسول اللَّه ﷺ سمع رجلاً يدعو قائلاً : اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت اللَّه لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . فقال ﷺ : قد سأل اللَّه باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب** » .

الأمر الرابع : نستنتج من قصة إبراهيم بن أدهم بأنه بالمجاهدة والصبر يحصل النور الذي يعرف به الحق والباطل والناسخ والمتشابه .

وأنا أقول إن مجرد المجاهدة والصبر مهما كانت لا يمكن أن تعلم الإنسان بل لابد من التعلم لأن الرسول ﷺ يقول : « **إنما العلم بالتعلم** »[2] .

نعم الاجتهاد في طلب علمي الكتاب والسنة والصبر فيهما يجعل قلب الإنسان منوراً لأن العلم نور والجهل ظلام فالاجتهاد في العلم الذي جاء به

---

(١) « مسند أحمد » (٥/ ٣٥٠) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخه » (٩/ ١٢٧) وذكره الألباني في « سلسلة الأحاديث الصحيحة » برقم (٣٤٢) .

رسول اللَّه من عند اللَّه وهو علم الكتاب والسنة الذي من تعلمه عرف الحق من الباطل واللَّه عز وجل يقول : ﴿ **فاعلم أنه لا إله إلا اللَّه واستغفر لذنبك** ﴾ الآية فاللَّه عز وجل أمر بالعلم قبل العمل بخلاف المتصوفة فإنهم يأمرون بالعمل على الجهل من أجل الحصول على العلم الذي يزعمون بأنه يقذف في قلوبهم بسبب المجاهدة .

الأمر الخامس : نأخذ من قول أسلم بن يزيد لإبراهيم بن أدهم : « يا غلام إنا قد أفدناك ومهدناك وعلمناك علمًا » بأن للمتصوفة طريقًا آخر يتلقون منه العلوم غير العلوم التي جاء بها رسول اللَّه ﷺ من ربه حسب زعمهم ، وقد صرح المتصوفة بأن هناك علمًا آخر غير العلم الذي جاء به الرسول ﷺ من عند اللَّه ومما يدل على هذا قول الغزالي[1] فقد قسم العلوم إلى أقسام وذكر من جملة الأقسام علم يسمى « علم المكاشفة » فقال :

« القسم الأول : علم المكاشفة : وهو علم الباطن ، وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين : من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله. . . وهو علم الصديقين والمقربين أعني علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة . . . » ثم قال : « فنعني بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى

---

(١) أبو حامد الغزالي هو محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الطوسي الغزالي ولد بطوس (٤٥٠هـ) ولما حضرت الوفاة لوالده وصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له متصوف وقد لبس الثياب الخشنة وقلل طعامه وشرابه وصار يطوف المشاهد ويزور الترب والمساجد ويأوى إلى القفار إلى أن صار قطب الوجود وتكلم على لسان أهل الحقيقة ـ حسب زعمهم ـ توفي في طوس (٥٠٥هـ).

انظر ترجمته في مقدمة « الإحياء » (١/١ ـ ٦) .

تتضح له جلية الحق في هذه الأمور اتضاحًا يجرى مجري العيان الذي لا يشك فيه وهذا ممكن في جوهر الإنسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدؤها وخبثها بقاذورات الدنيا وإنما نعني بعلم طريق الآخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن الخبائث التي هي الحجاب عن اللَّه سبحانه وهذه العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من أنعم اللَّه عليه بشيء منها إلا مع أهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الإسرار وهذا هو العلم الخفي الذي يوصف بالعلم المكنون فقد قيل في وصفه أن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة باللَّه فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار باللَّه تعالى »[1] .

ومن أقوال الغزالي السابقة يتضح لنا بأن القوم يدعون بأن لهم علومًا خاصة وأن هذه العلوم يحصلون عليها من قبل اللَّه عز وجل عن طريق قذفها في قلوبهم وعلى هذا فالقوم لهم علوم أخرى يطلبون الهداية إلى الحق والصواب عن طريقها وليس لهم أي حاجة لإتعاب أنفسهم في الدراسة ما داموا يتلقون العلوم الربانية بطريقة سريعة وهي القذف في القلوب ولكن من المؤكد أن قول المتصوفة هذا إنما هو مجرد ادعاء فقط وإلا فليس لهم علوم يحصلون عليها عن طريق القذف في القلوب كما يدعون وبالتالي تهديهم إلى الحق والصواب والصراط المستقيم وإنما من الممكن أن يكونوا يتلقون علومًا من قبل الشياطين لأن الشياطين أيضًا لهم وحي شيطاني كما قال اللَّه عز وجل : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾[2] .

---

(١) « الإحياء » (١/ ٣١ ـ ٣٢) .

(٢) الأنعام : (١٢١) .

وإلا فليس لدينا في الإسلام وحي غير الوحي الذي جاء به الرسول ﷺ من عند اللّٰه وقد ختمت النبوة فكل من يدعي أنه يحصل على علم غير العلم الذي جاء به رسول اللّٰه فقد كذب وافترى على اللّٰه فرية عظيمة ولو نظرنا وفكرنا جيداً فسنجد بأن المتصوفة ادعوا هذا الادعاء من أجل التعمية على العوام من الناس حيث إن المتصوفة يفسرون الكتاب بأهوائهم تفسيراً يختلف تماماً مع التفسير الذي فسره العلماء للقرآن الكريم وإذا سئلوا قالوا : إن هذا علم الباطن الذي لا يعلمه إلا الخاصة من أوليائه وبهذه القاعدة هدموا كثيراً من أمور الشريعة وسنتناول هذه الفرية ألا وهي ادعاء الصوفية بأن للقرآن ظاهراً وباطناً في موضعها وسنوضح بأنها محض افتراء لا أساس لها من الصحة حينما نتعرض للعامل الثاني من العوامل التي أدت إلى انحراف المتصوفة إن شاء اللّٰه[1] .

الطريق الثاني الذي يطلب المتصوفة الهداية عن طريقه هي الكشوفات التي يزعمونها :

يعتقد كثير من المتصوفة بأن كل من انتسب إلى أي طريقة من الطرق الصوفية تحصل له المكاشفات والمشاهدات وتنزل عليه علوماً من اللّٰه سبحانه وتعالى وذلك بشرط أن يجهد نفسه بقطع الرياضات الشاقة التي ابتدعها المتصوفة .

قال الغزالي : « اعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الأقاويل بل قالوا : الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات

---

(١) انظر (١٠٨ ـ ١٣٥) .

المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبال بكنه الهمة على اللَّه تعالى ومهما حصل ذلك كان اللَّه هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم وإذا تولى اللَّه أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب العزة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية فليس على العبد إلا الاستعداد بالتصفية المجردة وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه اللَّه تعالى من الرحمة .

فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفزيغ القلب من شواغلها والإقبال بكنه الهمة على اللَّه تعالى والاختلاء في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره بل يجتهد في الصبر أن لا يخطر بباله شيء سوى اللَّه تعالى فلا يزال العبد بعد جلوسه في الخلوة قائلاً بلسانه : اللَّه اللَّه ، على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهي إلى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ثم يصبر عليه إلى أن ينمحي أثره عن اللسان. . . وهكذا يصبح متعرضًا لنفحات رحمة ربه فلا يبقى إلا الانتظار لما يفتح اللَّه من الرحمة كما فتحها على الأنبياء والأولياء بهذا الطريق وعند ذلك إذا صدقت إرادته وصفت همته وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تلمع لوامع الحق في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت »[1] .

---

(١) « الإحياء » (٣/ ٢١) .

وهكذا الغزالي قد تأثر بأفكار المتصوفة إلى حد بعيد حتى أصبح من أبرز علمائهم حيث ذكر في كتابه « الإحياء » كلامًا عن الصوفية لا يمكن أن يقبله مسلم له علم بالكتاب والسنة .

والشاهد من كلام الغزالي السابق إثبات بأن القوم يدعون بأنهم يتلقون علومًا أخرى غير العلوم التي جاء بها رسول اللَّه ﷺ ومن هنا نعلم بأن القوم يبحثون عن الهداية خارج الكتاب والسنة وهذا هو الأمر الذي ضل القوم بسببه حيث أن كل من يطلب الهداية عن غير الطريق الذي جاء به رسول اللَّه ﷺ فمصيره التيه والضلال المبين .

ويقول عبد الكريم الجيلي واصفًا كتابه « الإنسان الكامل » : « وكنت قد أسست الكتاب على الكشف الصريح وأيدت مسائله بالخبر الصحيح وسميته بالإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل » ثم يقول : « فأمرني الحق الآن بإبرازه بين تصريحه وألغازه ووعدني بعموم الانتفاع فقلت طوعًا للأمر المطاع » [1] .

وكلام عبد الكريم الجيلي السابق مضمونه هو أنه يقول إنه تلقى المعلومات التي ضمنها كتابه عن طريق الكشف من الغيب وأن اللَّه أمره بإظهار هذا الكتاب بما فيه من ألفاظ صريحة وألغاز معقدة وأن اللَّه وعده بعموم الانتفاع به وأنه أجاب لهذا الأمر فأظهره .

وما كتاب الجيلي حتى يأمره اللَّه بإظهاره فهو كتاب من أوله إلى آخره لا يحتوي إلا على الكفر والزندقة وسأورد منه نصوصًا حينما أتعرض لعقيدة المتصوفة تجاه من يزعمونهم أولياء في الباب الرابع إن شاء اللَّه تعالى .

---

(١) « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي (ص ٦) .

ويقول ابن عربي : « نحن بحمد اللّٰه لا نعتمد في جميع ما نقوله إلا على ما يلقيه اللّٰه تعالى في قلوبنا لا على ما تحتمله الألفاظ » .

وقال أيضًا : « اعلم أن العارفين رضي اللّٰه عنهم لا يتقيدون في تصانيفهم بالكلام فيما بوبوا عليه فقط وذلك لأن قلوبهم عاكفة على باب الحضرة الإلهية مراقبة لما يبرز لهم منها فمهما برز لهم كلام بادروا لإلقائه على حسب ما حد لهم فقد يلقون الشيء إلى ما ليس في جنسه امتثالاً لأمر ربهم وهو تعالى يعلم حكمة ذلك »[1] .

فإذا نظرنا إلى هذه النصوص فسنجد أن النص الأول صرح فيه ابن عربي بأنه هو وأتباعه من المتصوفة الكبار يلقي اللّٰه عز وجل علومًا في قلوبهم وأنهم لا يتقيدون بما تدل عليه الألفاظ فقط لأن الوقوف على المعاني التي تدل عليها الألفاظ ظاهرًا إنما هو من اختصاص علماء الظاهر أو علماء الرسوم كما يسمونهم .

وأما النص الثاني فقد صرح فيه ابن عربي بأن علوم المتصوفة لا يحصلون عليها عن طريق الفكر وإنما تلقى عليهم من اللّٰه إلقاءًا مباشرة فهي هبة من اللّٰه تعالى .

وأما النص الثالث فقد صرح فيه ابن عربي بأن قلوب المتصوفة عاكفة على باب الحضرة الإلهية وإنها تراقب هذه الحضرة حتى تأخذ عنها أي شيء يظهر منها ولذا فإنهم يبادرون بإلقاء أي كلام يلقى عليهم من قبل الحضرة الإلهية وأنهم لا يضعون هذا الكلام إلا على حسب ما حدد اللّٰه لهم ولذلك فقد يضع مشايخ المتصوفة الكلام في غير جنسه امتثالاً

---

(١) « اليواقيت والجواهر في عقيدة الأكابر » للشعراني (٢/ ٢٤ ـ ٢٥) .

لأمر اللَّه تعالى كما يزعمون .

ووصف الرندي[1] علم المتصوفة الذي يحصلون عليه عن طريق كشوفاتهم المزعومة فقال :

« والعلم المخزون هو العلم اللّدنّي الذي اختزنه اللَّه عنده فلم يؤته إلا للمخصوصين من الأولياء » ثم أورد حديثًا مكذوبًا على الرسول ﷺ فقال إن الرسول قال : « **إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء باللَّه تعالى فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة باللَّه** »[2] .

وقد شرح أحد المتصوفة هذا النص فقال : « هي أسرار اللَّه تعالى يبديها اللَّه إلى أنبيائه وأوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراسة وهي من الأسرار التي لم يطلع عليها أحد إلا الخواص »[3] .

وقال الرندي أيضًا : « وربما أطلعك على غيب ملكوته وحجب عنك الاستشراف على أسرار العباد »[4] .

والنتيجة التي توصلنا إليها من خلال إيرادنا لهذه النصوص هي إثبات بأن المتصوفة يدعون التلقي عن اللَّه مباشرة علومًا خاصة بهم مخزونة عند اللَّه وأن هذه العلوم لا يكشفها اللَّه إلا لهم لأنهم خصوا أنفسهم بالأولياء وهم لا يطلقون هذا اللفظ إلا لمن انخرط تحت لواء إحدى الطرق الصوفية ،

---

(١) الرندي هو أبو عبد اللَّه محمد بن إبراهيم بن عباد النفري الرندي وهو يعتبر من كبار أئمة الصوفية وله كتب كثيرة في التصوف من أهمها « غيث المواهب العلية شرح الحكم العطائية » (ت٧٩٣هـ) . انظر « الأعلام » للزركلي (٦/ ١٩٠) و « هدية العارفين » (٢/ ١٧٤) .

(٢) « غيث المواهب العلية » للرندي (٢/ ٢٣٨) ط دار الكتب الحديثة ١٣ شارع الجمهورية بعابدين لصاحبها توفيق عفيفي عامر .

(٣) نفس المرجع (٢/ ٢٣٩) .

(٤) « غيث المواهب العلية » للرندي (٢/ ٧) .

وأن هناك علمًا مكنونًا وهو لا يعلمه إلا العلماء باللَّه ويعنون بهذا أنفسهم وأن هذه العلوم هي عبارة عن أسرار اللَّه وأنه سبحانه لا يظهرها إلا للأنبياء والأولياء وأن الحصول على هذه العلوم لا يحتاج إلى دراسة ولا سماع بل تلقى في القلب إلقاءً وهي علوم خاصة بالخواص من البشر وهم زعماء الطرق الصوفية كما يزعمون .

ولذا طلب المتصوفة الهداية إلى الحق والتقرب إلى اللَّه عن طريق هذه العلوم التي ادعوا بأنهم يتلقونها عن اللَّه فلم يصلوا إلى الهدى بل ضلوا الطريق لأنهم بحثوا عن الهداية في غير مكانها وسلكوا لها غير طريقها فإن كل من يطلب الهداية في غير الكتاب والسنة فإن مصيره الضلال المبين والانحراف الخطير كما حصل لهؤلاء المتصوفة الذين بحثوا عن الهداية عن طريق الكشوفات المزعومة فانحرفوا في عقائدهم وسلوكهم ومعاملاتهم .

الطريق الثالث الذي يبحث المتصوفة فيه عن الهداية « الذوق » :

قال أبو حامد الغزالي في معرض حديثه عن المتصوفة :

« ابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل « قوت القلوب » لأبي طالب المكي وكتب الحارث المحاسبي . . حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلية وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع فظهر لي أن أخص خواصهم ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات» .

ثم قال أيضًا : « فعلمت يقينًا بأنهم أرباب الأحوال لا أصحاب الأقوال وأن ما يمكن تحصيله بطرق العلم فقد حصلته ولم يبق إلا ما لا سبيل إليه

بالسماع والتعلم بل بالذوق والسلوك »[1] .

وقال ابن عربي :

« جميع علومنا من علوم الذوق لا من علم بلا ذوق فإن علوم الذوق لا تكون إلا عن تجلي إلهي والعلم قد يحصل لنا بنقل المخبر الصادق وبالنظر الصحيح »[2] .

ومن هنا نعلم بأن الذوق من أهم الطرق التي يبحث المتصوفة فيه عن الهداية وهو معرفة اللَّه سبحانه وأن هذا العلم الذي يسميه المتصوفة علم الذوق لا يحصل عليه الإنسان إلا عن طريق الكشف بتجلي اللَّه له كما قال ابن عربي في النص السابق .

ويقول عبد الرحمن الوكيل في نقده لاعتماد الصوفية على الذوق في تلقي العلوم : « ويدين الصوفية ببهتان آخر يدمغها بالمروق عن الإسلام ذلك هو اعتقادها أن الذوق الفردي لا الشرع ولا العقل هو وحده وسيلة المعرفة ومصدرها معرفة اللَّه وصفاته وما يجب له فهو ـ أي الذوق ـ الذي يقوم حقائق الأشياء ويحكم عليها بالخيرية أو الشرية بالحسن أو القبح بأنها حق أو باطل فلا جرم أن تدين الصوفية بعدد عديد من أرباب وآلهة ولا عجب أن ترى النحلة منها تعبد وثنًا بغير ما تعبده أخرى أو تخضع لصنم يكفر به سواها من النحل الصوفية لا عجب من ذلك كله ما دامت تجعل الذوق الفردي حاكمًا وقيمًا على المسميات وأسمائها فيضع للشيء معناه مرة ثم ينسخه بنقيضه مرة أخرى ، هذه الحدة في توتر التناقض صبغت الصوفية دائمًا في منطقها المخبول ولقد ضربت الصوفيين أهواء أحبارهم بالحيرة

---

(١) « المنقذ من الضلال » للغزالي (ص٦١) .

(٢) « اليواقيت والجواهر في عقيدة الأكابر » للشعراني (٢/ ٨٤) .

والفرقة فحالوا طرائق قدداً تؤله كل طريقة منها ما ارتضاه كاهنها صنمًا له وتعبده بما يفتريه هواه من خرافات »[1] .

تنفير الصوفية الناس عن العلم الشرعي :

لقد نفر الصوفية الناس عن العلم الشرعي بوصفهم له بأوصاف منفرة حيث وصفه بعضهم بأنه آفة المريد ووصفه البعض منهم بأنه مفرق الاهتمامات ووصف بعضهم طلب العلم بأنه ركون إلى الدنيا وانحطاط من الحقيقة إلى العلم ووصفه بعضهم بأنه موحش ووصفه بعضهم بأنه حجاب .

وإليك النصوص الدالة على ذلك من بطون كتبهم :

فقد وصف أبو بكر الوراق[2] كتابة الحديث والاهتمام به بأنه من الآفات التي يجب أن يبتعد عنها المريد فقال :

« آفة المريد ثلاث : التزويج وكتابة الحديث والأسفار»[3] .

ويقول الجنيد :

« إذا لقيت الفقير ـ أي الصوفي ـ فالقه بالرفق ولا تلقه بالعلم فإن الرفق يؤنسه والعلم يوحشه »[4] .

واعتبر بعض المتصوفة طلب الحديث النبوي بأنه ركون إلى الدنيا حيث قال :

---

(١) « هذه هي الصوفية » لعبد الرحمن الوكيل (ص ٢٠) .

(٢) هو محمد بن عمر الحكيم أصله من ترمذ وأقام ببلخ لقي أحمد بن خضرويه وصحبه له كتب كثيرة مشهورة في أنواع الرياضات والمعاملات والآداب انظر « طبقات الصوفية » للسلمي (٢٢١) .

(٣) « الرسالة القشيرية » (٢/٤٣٦) .

(٤) « الرسالة القشيرية » (٢/٥٤٥) ط دار التأليف ـ مصر .

« إذا طلب الرجل الحديث أو سافر في طلب المعاش أو تزوج فقد ركن إلى الدنيا »[1] .

ووصف بعض المتصوفة العلم بأنه حجاب عن اللَّه حيث قال أبو يزيد البسطامي :

« أشد المحجوبين عن اللَّه ثلاثة : الزاهد بزهده والعابد بعبادته والعالم بعلمه »[2] .

ولقد صرح أحد كبار المتصوفة بأن المتصوفة لم يتعلموا العلم ولم يحرصوا على دراسته فقال :

« اعلم أن ميل أهل التصوف إلى الإلهية دون التعليمية ولذلك لم يتعلموا ولم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون بل قالوا الطريق تقديم المجاهدات بمحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبال على اللَّه تعالى بكنه الهمة وذلك بأن يقطع الإنسان همه عن الأهل والمال والولد والعلم ويخلو نفسه في زاوية ويقتصر على الفرائض والرواتب ولا يقرن همه بقراءة القرآن ولا بالتأمل في نفسه ولا يكتب حديثًا ولا غيره ولا يزال يقول : « اللَّه اللَّه اللَّه » إلى أن ينتهي إلى حال يترك تحريك اللسان ثم يمحو عن القلب صورة اللفظ »[3] .

فالنصوص المتقدمة كلها توضح لنا موقف المتصوفة من العلم وتثبت لنا بأن المتصوفة من ألد الأعداء لعلمي الكتاب والسنة حيث أن النصوص المتقدمة صرحوا فيها بعدائهم للقرآن والسنة بنهيهم وتحذيرهم عن طلب الحديث النبوي وتلاوة كتاب اللَّه عز وجل فهل هناك جريمة أكبر من الذي يحذر عن تلاوة القرآن وكتابة الحديث النبوي وطلبه بل وطلب العلـم عمومًا.

---

(١) « تراجم الصوفية » للمناوي (٢/ ٢١٥) .

(٢) « تراجم الصوفية » للمناوي (٢/ ٢٤٧) .

(٣) « إحياء علوم الدين » للغزالي (٣/ ٢١) .

ولم يقدم زعماء الصوفية على هذا عن جهل منهم بل أقدموا عليه عن تخطيط وتدبير ومكر ومكيدة لأنهم يعلمون جيدًا بأن أباطيلهم لا يمكن أن يقبلها الناس إلا إذا كانوا جهالاً لا يعلمون شيئًا عن الكتاب والسنة فعلم الكتاب والسنة نور يكشف عورات هذه الظلمات التي يدعو لها أرباب التصوف عوام الناس لأنه بالعلم ينكشف للناس حقائق طرقهم وزيف أقوالهم وبالعلم يتبين المنكر وبالعمل به يتم الإنكار وقد علم الصوفية بأن الإنكار أصبح حجر عثرة أمامهم وأعاق طريقهم والمنكر لا يمكن أن يعرف إلا عن طريق العلم ولذا نفروا الناس عنه ودعوهم إلى الابتعاد عنه وشغلوهم بحلقات الرقص ونوادي الوجد والسماع ولبس الخرقة والتزام الخلوات المظلمة وغير ذلك من بدعهم المنكرة كما سيتضح لنا ذلك خلال بحثنا الطويل معهم في هذه الرسالة إن شاء اللَّه تعالى .

حث الإسلام على العلم والإعلاء من شأنه :

لقد حث الإسلام على العلم وأعلى من شأنه ومما يدل على ذلك الأدلة الآتية من كتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه ﷺ .

فأول سورة نزلت من القرآن جاء الأمر فيها بالقراءة وهي سورة العلق حيث قال تعالى : ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾[1] .

وقد أمر اللَّه سبحانه بالعلم قبل العمل فقال : ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ**﴾[2] .

---

(١) العلق : (١ـ ٥) .

(٢) محمد : (١٩) .

وقد أخبرنا اللّه سبحانه وتعالى بأن أولى الناس بخشية اللّه سبحانه وتعالى هم العلماء فقال : ﴿ **كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾[1] .

وقد أنكر اللّه سبحانه وتعالى أن يستوي العالمون والجاهلون فقال تعالى : ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾[2] .

وأما الأدلة من السنة في الحث على طلب العلم وفضله فكثيرة جداً وإليك نبذة منها :

الحديث الأول : حديث معاوية رضي اللّه عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول : « **من يرد اللّه به خيراً يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم واللّه يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر اللّه لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر اللّه** »[3] .

الحديث الثاني : الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي اللّه عنه حيث قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل اللّه له طريقًا إلى الجنة** »[4] وقال الترمذي عنه : حديث حسن .

الحديث الثالث : الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ : « **من خرج في طلب العلم فهو في سبيل اللّه حتى يرجع** »[5] .

الحديث الرابع : الحديث الذي رواه ابن عباس رضي اللّه عنهما قال :

---

(١) فاطر : (٢٨) .

(٢) الزمر : (٩) .

(٣) البخاري مع الفتح (١/ ١٦٤) .

(٤) « جامع الترمذي » مع « تحفة الأحوذي » (٧/ ٤٠٥) .

(٥) نفس المرجع (٧/ ٤٠٥) .

ضمني رسول اللَّه ﷺ وقال : « **اللهم علمه الكتاب** »[1] .

فالآيات والأحاديث السابقة التي أوردتها هنا كلها تفيد بأن الإسلام دعا إلى العلم ورفع من شأن العلم وشأن أهله ووعد على طلبه الأجر العظيم والثواب الجزيل وأن كل دعوة إلى الابتعاد عن العلم والتنفير منه ما هي إلا محادة للَّه ولرسوله وتدمير وقتل لمواهب الأمة الإسلامية لأنه ما من أمة ابتعدت عن العلم إلا وانتشر فيها الجهل وأي أمة انتشر فيها الجهل فإنها تدمر وتصبح لقمة سائغة لأعدائها .

ولم يدع الصوفية إلى الابتعاد عن العلم الصحيح إلا ليصبح الناس جهلة حتى تسهل قيادتهم إلى حيث يشاءون وينشرون فيهم أفكارهم الخرافية الوهمية التي لا تستطيع أن تثبت أمام الحقائق العلمية ولذا نرى دائمًا زعماء الطرق الصوفية يحاربون علم الكتاب والسنة لأنهم يعلمون يقينًا بأنهم لا وجود لهم ولا لأفكارهم الضالة إذا فهم الناس دينهم كما أنزل على الرسول ﷺ من عند اللَّه عز وجل لأن أفكار الصوفية لا يمكن أن تعيش إلا في الظلام الحالك كالسباع التي لا تخرج إلا ليلاً لتبحث عن فريستها فكذلك الصوفية يريدون أن يبقى الناس جهالاً حتى يسهل إخضاعهم لهذه الأفكار المنحرفة .

استهزاء الصوفية بعلماء الأمة الإسلامية :

لقد استهزء الصوفية بعلماء الأمة الإسلامية ووصفوهم بأوصاف تحط من قدرهم وذلك حتى ينفروا الناس عنهم ويسقطوهم من عيونهم وإليك الأدلة على ما أقول :

---

(١) البخاري مع الفتح (١/ ١٦٩) .

فقد وصف أحد الصوفية الكبار الطريقة التي نقلت بها السنة النبوية بأنها طريقة لا يسلكها إلا المساكين وصرح بأن الصوفية يأخذون علمهم عن اللَّه مباشرة وإليك نص كلام هذا الصوفي :

فقد قال إبراهيم بن سبتيه :

(حضرت مجلس أبي يزيد والناس يقولون فلانًا لقي فلانًا وأخذ من علمه وكتب منه الكثير وفلانًا لقي فلانًا ، فقال أبو يزيد : « مساكين أخذوا علمهم ميتًا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت »)[1] .

وكلام أبي يزيد هذا يرمي إلى أمور خطيرة جدًا من هذه الأمور أن أبا يزيد بكلامه هذا قلل من شأن الإسناد الذي يعتبر مفخرة عظيمة للأمة الإسلامية دون غيرها بجانب أنه قلل من شأن علماء السنة المشرفة والذين نقلوا إلينا السنة كما قالها رسول اللَّه ﷺ والاستهزاء والاستهتار بعلماء الأمة الإسلامية لا يحصل إلا من إنسان في قلبه مرض وكراهية للإسلام والمسلمين، ثم إن وصف أبي يزيد للعلوم الإسلامية وعلى رأسها السنة النبوية بأنها نقلت ميتًا عن ميت فيه استهزاء بمن شهد لهم القرآن بالجنة وأخبرنا اللَّه بأنه رضي عنهم وهم الصحابة الكرام وهذا يعتبر أكبر جريمة .

ثم إن ادعاء أبي يزيد بأنه أخذ علمه هو وجماعته الصوفية الكذابون عن اللَّه ما هو إلا محض افتراء على اللَّه عز وجل فنحن المسلمين نعتقد بأنه لا نبي ولا رسول بعد النبي محمد ﷺ لأن اللَّه عز وجل يقول :

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾[2] .

---

(١) « الكواكب الدرية » للمناوي (١/٣٤٦) .

(٢) الأحزاب : (٤٠) .

وبما أن اللَّه عز وجل أخبرنا بأنه لا يكلم البشر إلا بالوحي أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء ، وأبو يزيد البسطامي وأمثاله من المتصوفة الذين يدعون بأنهم يتلقون علومهم من اللَّه ليسوا بأنبياء ولا رسل فدعواهم التلقي المباشر عن اللَّه تصبح دعوى لا أساس لها من الصحة بل هي كذب وافتراء على اللَّه عز وجل ومع ذلك فنحن لا ننكر بأن القوم ربما يوحى إليهم من قبل الشياطين لأن اللَّه عز وجل قد أثبت في كتابه الكريم بأن الشياطين يوحون إلى أوليائهم حيث قال تعالى : ﴿ **وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ** ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** ﴾[2] .

وعلى هذا فنحن لا نصدق المتصوفة بأنهم يتلقون علومًا عن اللَّه مباشرة وذلك لأن النبوة قد ختمت ولكن نقول لهم إنه من الممكن أن ينزل إليكم الوحي من قبل الشياطين وإلا فليس عندنا في الإسلام دينان دين يتلقاه أبو يزيد وأمثاله من دجاجلة الصوفية عن اللَّه ودين أتى به الرسول ﷺ عن اللَّه بل الدين عندنا دين واحد وهو الدين الذي جاء به الرسول ﷺ لا غير.

وممن حمل على أئمة الإسلام وعلمائهم ابن عربي حيث شبههم بأوصاف قبيحة للتقليل من شأنهم فمرة شبههم بفراعنة الرسل ومرة وصفهم بأنهم فاقدو الإدراك ومرة وصفهم بعدم الإنصاف وإليك نصوصا من كتبه :

---

(١) الأنعام : (١٢١) .

(٢) الأنعام : (١١٢) .

فقد قال : « وما خلق اللّه أشق ولا أشد من علماء الرسوم على أهل اللّه المختصين بخدمته العارفين به من طريق الوهب الإلهي الذي منحهم أسراره في خلقه وفهمهم معاني كتابه وإشارات خطابه فهم لهذه الطائفة مثل الفراعنة للرسل»[1] .

وقال أيضًا : « ولو كان علماء الرسوم ينصفون لاعتبروا بما في نفوسهم إذا نظروا في الآية بالعين الظاهرة التي يسلمون بها فيما بينهم فيرون أنهم يتفاضلون في ذلك ويعلو بعضهم في الكلام على معنى تلك الآية ويقر القاصر بفضل غير القاصر وكلهم في مجرى واحد .

ومع هذا الفضل المشهود لهم فيما بينهم في ذلك ينكرون على أهل اللّه إذا جاءوا بشيء مما يغمض عن إدراكه وذلك لأنهم يعتقدون فيهم أنهم ليسوا بعلماء وأن العلم لا يحصل إلا بالتعلم المعتاد في العرف وصدقوا فإن أصحابنا ما حصل لهم العلم إلا بالتعلم وهو الإعلام الرحماني الرباني »[2] .

وقال أيضًا : « فلما رأى أهل اللّه أن اللّه قد جعل الدولة في الحياة الدنيا لأهل الظاهر من علماء الرسوم وأعطاهم التحكم في الخلق بما يفتون به وألحقهم بالذين يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وهم في أفكارهم عن أهل اللّه يحسبون أنهم يحسنون صنعًا . سلم أهل اللّه لهم أحوالهم لأنهم علموا من أين تكلموا وصانوا عنهم أنفسهم لتسميتهم الحقائق إشارات فإن علماء الرسوم لا ينكرون الإشارات »[3] .

---

(١) « الفتوحيات المكية » لابن عربي (٢/ ١٧٥) .

(٢) « الفتوحيات المكية » لابن عربي (٢/ ١٧٦) .

(٣) « الفتوحيات المكية » لابن عربي (٢/ ٢٧٩) .

وهكذا زعماء التصوف الدجاجلة استهزءوا بعلماء الإسلام ووصفوهم بأوصاف لا تليق أن يوصف بها إنسان جاهل بل إنسان كافر فضلاً عن العلماء الربانيين فماذا ترك ابن عربي من التشويه بعد ما تقدم لعلماء الأمة الإسلامية الذين تفتخر بهم الأمة الإسلامية وإذا بحثنا عن السبب الذي دفع زعماء التصوف للقيام بهذه الحملة ضد علماء الأمة الإسلامية فإننا سنجد بأن الدافع الأساسي لهم على هذا هو تنفير الناس العوام من هؤلاء العلماء حتى لا يأتوا إليهم ويتعلموا منهم ويعرفوا الحق من الباطل فتتعطل مصالح المتصوفة الاقتصادية التي يحصلون عليها من قبل جهلاء الأمة الإسلامية وبالإضافة إلى ذلك فإن زعماء المتصوفة يستخدمون الجهلة من المسلمين الذين انخرطوا في إحدى هذه الطرق الصوفية كالعبيد في مصالحهم الشخصية .

وفي ختام هذا المبحث أقول إن زعم المتصوفة بأنهم يتلقون علومًا خاصة بهم من اللَّه مباشرة كذب محض لا أساس له من الصحة لأن اللَّه عز وجل يقول : ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ** ﴾[1] .

وبما أن زعماء الطرق الصوفية ليسوا بأنبياء ولا رسل تصبح دعوى تلقيهم العلم عن اللَّه عارية عن الصحة ، إذا نقول لا كشف لهم ولا إلهام لهم من اللَّه يأتون عن طريقه بعلوم تخالف العلوم التي جاء بها رسول اللَّه ﷺ لأن اللَّه قد ختم النبوة به كما قال سبحانه : ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ﴾[2] .

---

(١) الشورى : (٥١) .

(٢) الأحزاب : (٤٠) .

ولذا نقول فكل من يدعي تلقي العلم عن اللَّه تعالى إنما هو محادد للَّه ولرسوله لأن اللَّه أخبر في كتابه بأن النبوة قد ختمت وكذلك أخبر الرسول في سنته بأنه آخر النبيين فدعوى الصوفية بأنهم يتلقون العلم عن اللَّه دعوى فارغة عارية عن الصحة وإنما هي محض دجل وافتراء فقط لإيهام العوام والتلبيس عليهم .

وبما أن الدين قد كمل وتم فلا يحتاج إلى ترقيع عن طريق الكشوفات المزعومة كما قال اللَّه سبحانه وتعالى في كتابه : ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾[1] .

وهذه من أكبر النعم على هذه الأمة حيث أكمل لها دينها فلا تحتاج إلى دين غيره فلا حلال إلا ما أحله اللَّه ولا حرام إلا ما حرمه اللَّه ولا دين إلا ما شرعه اللَّه وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لقوله تعالى : ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾[2] .

وقد أخرج الطبري رحمه اللَّه عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أنه قال :

« ﴿**أَكْمَلْتُ لَكُمْ**﴾ وهو الإسلام قال : أخبر نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبدًا وقد أتمه اللَّه عز ذكره فلا ينقصه أبدًا وقد رضيه اللَّه فلا يسخطه أبدًا »[3] .

ويقول سيد قطب رحمه اللَّه في تفسير هذه الآية :

« أعلن لهم إكمال العقيدة وإكمال الشريعة معًا فهذا هو الدين ولم يعد

---

(١) المائدة : (٣) .

(٢) النجم : (٣ ـ ٤) .

(٣) « تفسير ابن جرير الطبري » (٦/ ٥١) .

للمؤمن أن يتصور أن بهذا الدين نقصًا يستدعي الإكمال ولا قصورًا يستدعي الإضافة ولا محلية أو زمانية تستدعي التطور أو التحوير »[1] .

وبما أن الدين قد كمل والحمد للّه فالعلوم التي يزعم المتصوفة بأنهم يتلقونها عن اللّه لا قيمة لها في ميزان الشرع لأنها أوهام وخيالات وكذب ودجل فقط .

وإليك قول المعلمي فإنه مفيد في هذا المجال قال رحمه اللّه : «والشرع يقضي بأن الكشف ليس مما يصلح الاستناد إليه في الدين ففي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه أنه قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « **لم يبق من النبوة إلا المبشرات ، قالوا : وما المبشرات؟قال : الرؤيا الصالحة**»[2] » .

ثم قال المعلمي :

« وفيه حجة على أنه لم يبق مما يناسب الوحي إلا الرؤيا اللهم إلا أن يكون بقي ما هو دون الرؤيا فلم يعتد به فدل ذلك أن التحديث والإلهام والفراسة والكهانة والكشف كلها دون الرؤيا. . .» .

ثم قال المعلمي :

« إن التحديث والإلهام من إلقاء الملك في الخاطر والكهانة من إلقاء الشياطين والكشف قوة طبيعية كما يسمى في هذا العصر قراءة الأفكار. . .» .

ثم قال : « وقد اتفق أهل العلم على أن الرؤيا لا تصلح للحجة وإنما

---

(١) « في ظلال القرآن » لسيد قطب (٢/ ٨٤٣).

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (١٢/ ٣٧٥) .

هي تبشير وتنبيه وتصلح للاستئناس بها إذا وافقت حجة شرعية صحيحة كما ثبت عن ابن عباس » .

ثم قال : « هذه حال الرؤيا فقس عليه حال الكشف إن كان في معناها فأما إن كان دونها فالأمر أوضح وتجد في كلام المتصوفة أن الكشف قد يكون حقًا وقد يكون من الشيطان وقد يكون تخيلاً موافقًا لحديث النفس. . . »

ثم يقول المعلمي : « فالكشف إذا تبع الهوى فغايته أن يؤيد الهوى ويرسخه في النفوس ويحول بين صاحبه وبين الاعتبار والاستبصار فكأن الساعي في أن يحصل له الكشف إنما يسعى في أن يضله اللَّه عز وجل ولا ريب أن من التمس الهدى من غير الصراط المستقيم مستحق أن يضله اللَّه عز وجل وما يزعمه بعض غلاتهم من أن لهم علامات يميزون بها بين ما هو حق من الكشف وما هو باطل دعوى فارغة .

فأما ما عرف عن المتصوفة من تحريف النصوص ربما أشنع وأفظع من تحريف الباطنية فهذا لا يشهد لكشفهم بل يشهد عليه أوضح شهادة بأنه من أبطل الباطل وذلك لأمور :

أولاً : لأن النصوص بدلالتها المعروفة حجة فإذا شهدت ببطلان قولهم علم أنه باطل.

ثانيًا : لأنهم يعترفون أن الكشف محتاج إلى شهادة الشرع فإن قبلوا من الكشف تأويل الشرع فالكشف شهد لنفسه فمن يشهد له على تأويله .

وأما التحديث والإلهام ففي صحيح البخاري وغيره من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي أنه قال : « **لقد كان فيما قبلكم من الأمم**

محدثون فإن يكن في أمتي فإنه عمر »[1] .

وجاء في عدة روايات تفسير التحديث بالإلهام .

وهذه سيرة عمر بين أيدينا لم يعرف عنه ولا عن أحد من أئمة الصحابة وعلمائهم أنهم استدلوا بالتحديث والإلهام في القضايا الدينية بل كان يخفى عليهم الحكم فيسألون عنه فيخبرهم إنسان بخبر عن النبي ﷺ فيصيرون إليه»[1] .

* * *

(١) البخاري مع « الفتح » (٧/ ٤٢) .

(٢) « القائد إلى تصحيح العقائد » للمعلمي . ط المكتب الإسلامي (١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م) (ص٦٩) .

المبحث الثاني

اعتقادهم بأن هناك حقيقة تخالف الشريعة

إن من أهم العوامل التي أدت إلى انحراف المتصوفة هو تفريقهم بين الحقيقة والشريعة وادعاؤهم بأن الحقيقة غير الشريعة .

ومصطلح الشريعة والحقيقة مصطلح خاص بهم وكل من يقرأ في كتب المتصوفة يجد بأن المتصوفة يكررون هذا المصطلح بكثرة وهو في الحقيقة لا يبعد كثيراً عن مصطلح الظاهر والباطن الذي وضعه الباطنية كمصطلح خاص بهم إلا أن الصوفية قد شاركوا الباطنية في مصطلح الظاهر والباطن أيضًا وكلا المصطلحين وضعهما الصوفية والباطنية ليهدموا بهما الشريعة الإسلامية ويقضوا عليها .

ويعني المتصوفة والباطنية بهذين المصطلحين بأن هناك في الإسلام علمين علم يخص أهل الظاهر وهي الشريعة الإسلامية التي جاء بها الرسول ﷺ بكل ما فيها من عقائد وعبادات وآداب وأخلاق وسلوك وهذا علم يترفع عنه المتصوفة ويرون الوقوف عند هذا العلم انحطاطًا وأن الإنسان الذي تعلم العلم الشرعي « الكتاب والسنة » يعتبر في نظر المتصوفة في درجة العوام الذين لا يعتد بفتواهم والعلم الثاني العلم الذي يطلق عليه المتصوفة علم الحقيقة وهو الذي يعبرون عنه بالعلم اللدني ويعتقد المتصوفة بأن هذا هو العلم النافع وهو الذي من عرفه يستحق أن يسمى عالمًا في زعمهم وأما الكيفية التي ينال بها هذا العلم اللدني حسب زعم المتصوفة فهي المجاهدة

التي إذا استمر عليها الإنسان ينزل عليه علم الحقيقة من اللّه والذي يقولون عنه أنه سر من أسرار اللّه لا ينزله اللّه إلا على قلوب الخاصة ويعنون بهذا أنفسهم لأنهم يقولون لا ينزل هذا العلم إلا على أولياء اللّه وقد حصروا الولاية في أنفسهم .

ومن هنا بعد القوم عن الشريعة الإسلامية الغراء التي جاء بها الرسول ﷺ من عند اللّه وفيها هدى ونور وأصبحوا يبحثون عن الهداية والوصول إلى مرضاة اللّه عن طريق علمهم المزعوم والذي وصفوه بأنه علم الحقيقة وأصبحوا يفسرون النصوص القرآنية والحديثية تفسيراً باطنيًا بحتًا بعيدًا كل البعد عن المعاني التي تدل عليها النصوص القرآنية والحديثية على حسب الأساليب المعروفة في اللغة العربية وكل من اعترض على تفسيرهم الباطل سدوا عليه الباب بأن هذا علم الحقيقة أو علم الباطن وأن هذا العلم لا يدركه إلا أهل الحقيقة ويعنون أنفسهم ولذا لا ينبغي لأهل الرسوم أن يعترضوا عليهم لأنهم يجهلون هذا العلم ولقد صرح المتصوفة بأن هناك علمًا يسمى علم الحقيقة يختلف تمامًا عن علم الشريعة الذي جاء به الرسول ﷺ وإليك النصوص من كتبهم أنفسهم .

قال المنوفي في كتابه « جمهرة الأولياء » :

« إن القوم يرجعون بسند طريقهم إلى الرسول ﷺ من حيث أن جبريل عليه السلام نزل بالشريعة أولاً فلما تقررت ظواهر الشريعة واستقرت نزل إليه بالحقيقة المقصودة والحكمة المرجوة .. من أعمال الشريعة فخص الرسول ﷺ بباطن الشريعة بعض أصحابه دون البعض ».

ثم قال في نفس الصفحة :

« وأول من أظهر علم القوم وتكلم فيه سيدنا علي وذكر السلسلة

الصوفية في تلقي العلوم اللدنية إلى أن وصل إلى الجنيد الذي قال عنه أنه صحب الشافعي في علوم الظاهر ثم صحب وأخذ عن خاله السريسقطي علوم الباطن وعن الجنيد أخذ المحاسبي ثم انتشر هذا الطريق انتشاراً لا ينقطع حتى ينقطع عمر الدنيا »[١] .

وقد ذكر ابن عجيبة في « الفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصلية » شرح الحديث المكذوب على الرسول ﷺ والذي هو : « **إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله»** ثم ذكر في نفس الكتاب شرح هذا الحديث المكذوب فقال :

«قال بعضهم في شرح هذا الحديث هي أسرار الله يبديها الله إلى أمناء أوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراسة وهي من الأسرار التي لم يطلع عليها إلا الخواص فإذا سمعها العوام أنكروها ومن جهل شيئًا عاداه»[٢] .

وينبغي أن نتذكر جيدًا بأن المتصوفة يقصدون بكلمة العوام علماء الأمة الإسلامية من محدثين ومفسرين وفقهاء.

فمن النصوص المتقدمة نخرج بالنتائج الآتية :

أولاً : أثبتنا بأن المتصوفة يقولون بأن هناك حقيقة تختلف عن الشريعة ومع هذا فإننا نلاحظ أيضًا بأن البعض منهم قالوا إنها نزلت على الرسول بعد استكمال الشريعة .

والبعض الآخر قال : إنها أسرار الله يبديها الله لأوليائه .

---

(١) « جمهرة الأولياء » للمنوفي (١/ ١٥٩) ط مؤسسة الحلبي وشركاه.

(٢) « الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية » لابن عجيبة على هامش « إيقاظ الهمم في شرح الحكم » له (١/ ٢٩) .

وكلا القولين تترتب عليهما أموراً خطيرة .

فالقول بأن الرسول خص بعلم الحقيقة جزءاً أو بعضًا من أصحابه دون البعض فيه اتهام للرسول ﷺ بأنه كتم العلم وهذا يعتبر جناية كبرى وكفراً بواحًا فإن من العقيدة التي يجب أن يعتقدها المسلم تجاه الأنبياء التبليغ الكامل بكل الأشياء التي أمرهم اللَّه بتبليغها وقد أمر اللَّه رسوله محمداً ﷺ أن يبلغ كلَّ ما أنزل اللَّه إليه وبالفعل قام الرسول ﷺ بتبليغ الأمانة كاملة فلم يكتم منها شيئًا بل بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في اللَّه حق جهاده حتى أتاه اليقين .

فكون المنوفي يقول بأن الرسول خص بعض أصحابه ببعض العلوم كذب صراح ودعوى عارية عن الدليل لأنه لا يستطيع أن يأتي بدليل واحد من كتاب اللَّه أو سنة رسول اللَّه يؤيد قوله إذا الرجل ارتكب جرائم عديدة بإيراده هذا الكلام

فأولاً : الرجل وقع في جريمة الكذب وهي تعتبر من الجرائم الكبيرة عند عوام المسلمين فكيف بمن نصب نفسه للتأليف.

ثانيًا : يعتبر تصريح المنوفي بأن الرسول خص بعض أصحابه بعلم دون البعض اتهام للرسول بكتمان ما أنزل اللَّه مع أن اللَّه أمره بتبليغ ما أنزل إليه ونحن نعتقد اعتقاداً جازمًا بأن الرسول بلغ ما أنزل إليه من ربه ومن هنا نستطيع أن نقول بأن ادعاء المنوفي بأن جبريل نزل بالشريعة أولاً ثم بالحقيقة وأن الرسول خص بها بعض أصحابه دعوى كاذبة خالية عن الدليل والبرهان.

بل إن عليًا رضي اللَّه عنه قد نفى تخصيص الرسول لهم بعلم خاص فقد روى الإمام البخاري في صحيحه أن أبا جحيفة قال : قلت لعلي : «هل عندكم كتاب ؟ فقال : لا ، إلا كتاب اللَّه أو فهم أعطيه رجل مسلم أو ما

في هذه الصحيفة . قلت : وما في هذه الصحيفة ؟ قال : العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مؤمن بكافر »[1] .

ففي هذا الأثر ينفي علي رضي اللّه عنه أن يكون خص رسول اللّه ﷺ أهل بيته بشيء وكتمه عن غيرهم وأنه ليس عندهم علم مكتوب أو غير مكتوب إلا كتاب اللّه أو فهم أي علم وهو أثر الفهم والاجتهاد وفي الصحيفة فليس عندهم إلا ما عند الناس والله سبحانه يختص بقوة الفهم من يشاء وهذا الأثر يعتبر أقوى دليلاً على بطلان مزاعم الصوفية الذين ادعوا بأن الرسول خص عليًا وأهل بيته وبعضًا من الصحابة بعلم خاص لأن عليًا رضي اللّه عنه قد نفى هذا الزعم الصوفي والحمد للّه فالقوم ليس لهم أي دليل يستندون عليه لإثبات هذه الدعوى وما دام ليس لهم أي مستند فدعواهم بأن هناك حقيقة تختلف عن الشريعة دعوى باطلة لأنه لا يمكن لإنسان أن يدعي دعوة لا أساس لها فيحاول فرضها على الناس عن طريق الكذب والدجل .

أما الحديث الذي أورده المتصوفة لإثبات بأن هناك علومًا مخزونة عند اللّه وأن هذه العلوم هي عبارة عن أسرار اللّه لا يبديها اللّه إلا لأوليائه .

أولاً : الحديث مكذوب على الرسول ﷺ اخترعه المتصوفة لإثبات دعواهم بأن الأولياء تنزل عليهم علوم من اللّه غير العلوم التي نزلت على الرسول ﷺ ونحن نقول للمتصوفة : إن الدعاوى لا يمكن أن تثبت عن طريق الكذب وإنما تثبت الدعاوى عن طريق الأدلة القوية الصحيحة أما اختراع الأحاديث ونسبتها إلى الرسول ﷺ فهذا غير جائز شرعًا كيف وقد قال

---

(١) « صحيح البخاري » مع الفتح (١/ ٢٤٦).

الرسول ﷺ : « **من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»[1] .

وادعاء تلقي العلوم عن اللّٰه سبحانه وتعالى يلزم منه بأن النبوة لم تختم لأن التلقي للعلوم عن اللّٰه لا يكون إلا عن طريق الوحي ويلزم منه أيضًا القول بأن هناك طريقًا آخر غير الطريق الذي جاء به الرسول ﷺ يغني عما جاء به الرسول ﷺ وهذا فيه مخالفة صريحة للنصوص فقد أخبرنا اللّٰه سبحانه وتعالى في كتابه بأن النبوة قد ختمت فقال تعالى : ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** ﴾[2] .

وفي الحديث فقد قال رسول اللّٰه ﷺ : « **لا نبي بعدي** »[3] .

وعلى هذا فالنبوة قد ختمت وبختم النبوة الوحي قد انقطع فدعوى الصوفية بأن هناك علمًا يلقيه اللّٰه على قلوبهم ويطلبون الهداية عن طريقه وأنه من الممكن أن يستغنوا به عن علم الشريعة فيه خطورة عظيمة عليهم فليرجعوا عنه وإلا يعتبرون منكرين شيئًا معلومًا من الدين بالضرورة فكل المسلمين مجمعون بأن النبوة قد ختمت وأن الوحي قد انقطع وأنه لا توجد علومًا يمكن أن تزكي النفس وتطهرها إلا علم الكتاب والسنة اللذين جاء بهما الرسول ﷺ من عند اللّٰه .

وحتى يتضح لنا مقصود الصوفية بمصطلح الحقيقة والشريعة إليك بعض النصوص من بطون كتبهم .

---

(١) « صحيح البخاري » مع الفتح (١/ ٢٠٠).

(٢) الأحزاب : (٤٠) .

(٣) « صحيح مسلم » مع النووي (١٢/ ٢٣١) .

فقد قال القشيري في معرض حديثه لإيضاح معنى الحقيقة والشريعة في « الفكر الصوفي » :

« الشريعة أمر بالتزام العبودية والحقيقة مشاهده الربوبية » .

ثم قال : « فالشريعة أن تعبده والحقيقة أن تشهده والشريعة قيام بما أمر والحقيقة شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر »[1] .

فكلام القشيري السابق واضح جدًا بأن الصوفية يعنون بالحقيقة خلاف الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ وأنهم يعنون بالحقيقة رؤية اللّٰه عز وجل والإطلاع على قضاء اللّٰه وقدره وما أخفاه اللّٰه وأظهره .

ونحن نقول رؤية اللّٰه عز وجل في الدنيا لا يمكن أن تحصل لأحد كائنًا من كان لأنها لم تحصل للرسل وهم أفضل الناس فيكف تحصل لمن دونهم؟! وحينما طلب موسى بن عمران رؤية اللّٰه سبحانه وتعالى قال له : **﴿لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[2] .

ثم إن ادعاء القشيري بأن الحقيقة مشاهدة ما قضاه اللّٰه وقدره وأخفاه وأظهره فيه جرأة كبيرة على اللّٰه عز وجل لأن هذا يعتبر ادعاء علم الغيب مع أن اللّٰه سبحانه وتعالى قد أخبر بأن الغيب لا يطلع عليه أحد إلا من ارتضى من رسله حيث قال سبحانه وتعالى في كتابه: **﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾**[3] .

---

(١) « الرسالة القشيرية » لأبي القاسم القشيري (١/ ٢٦١) ط حسان القاهرة ش الحسيني .

(٢) الأعراف : (١٤٣) .

(٣) الجن : (٢٦ ـ ٢٧) .

والرسل أيضًا لا يعلمون من الغيب إلا ما أعلمهم اللَّه به عن طريق الوحي فالرسول ﷺ قد أخبر عن الأحداث التي حصلت للأمم الماضية مع أممهم وأقوامهم وذلك لأن اللَّه أعلمه بذلك عن طريق الوحي.

وقد أمر اللَّه رسوله محمداً ﷺ أن ينفي عن نفسه علم الغيب فقال له: **﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾**[1] .

إذا فدعوى القشيري بأن الحقيقة هي الاطلاع على قضاء اللَّه وقدره أمر لا يمكن أن يكون لأحد مهما كان فعلم الغيب خاص باللَّه سبحانه وتعالى.

وقد جر مصطلح الحقيقة والشريعة المتصوفة إلى القول بأن العلم علمان ظاهر وباطن وأن العلم الظاهر هو علم الشريعة والعلم الباطن هو علم الحقائق .

فقد روى المتصوفة حديثًا ونسبوه إلى الرسول كذبًا وزوراً حيث قالوا إن أحد الصحابة سأل رسول اللَّه ﷺ عن علم الباطن فقال : « **سألت جبريل عن علم الباطن فقال : سألت اللَّه جل ثناؤه عن علم الباطن فقال : هو سر من سري أجعله في قلب عبدي لا يقف عليه أحد من خلقي** »[2] .

فمن هذا الحديث المكذوب نخرج بنتيجة وهي أن المتصوفة يعنون بعلم الباطن غير علمي الكتاب والسنة وأن هذا العلم لا يعلمه أحد حتى الرسول ﷺ بل هو علم يقذف في قلوب المتصوفة حسب زعمهم ولا يخفى

---

(١) الأنعام : (٥٠) .

(٢) كتاب « السيف الحداد في أعناق أهل الزندقة والإلحاد » لمصطفى كمال الدين علي البكري (ص١٦) المطبعة المتوسطة بالعشماوي ـ مصر .

ما في هذا الكلام من تفضيل أنفسهم على الرسول ﷺ لأنَ هذا الرجل الصوفي زعم بأن الرسول سئل عن هذا العلم فقال اللَّه له هو سر من سري ولم يعلمه إياه وعلى هذا فالصوفية يزعمون بأنهم يعلمون علومًا لم يعلمها رسول اللَّه ﷺ وهذا يعتبر منهم انحرافًا خطيرًا واستهتارًا بالرسول ﷺ وتقليلاً من شأنه بالإضافة إلى أنهم كذبوا عليه وقد قال الرسول ﷺ : « من **كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»[(١)] .

وقال في نفس الصفحة : « وعلوم المشاهدات والمكاشفات هي التي تختص بعلم الإشارة وهو العلم الذي تفردت به الصوفية بعد جمعها سائر العلوم وإنما قيل علم الإشارة لأن مشاهدات القلوب ومكاشفات الأسرار لا يمكن العبارة عنها على التحقيق بل تعلم بالمنازلات والمواجيد ولا يعرفها إلا من نازل تلك الأحوال وتلك المقامات »[(٢)] .

ونقل أيضًا عن غانم المقدسي ما يلي :

« اعلم أن العلم علمان علم الظاهر للشريعة وعلم الباطن للحقيقة » وكذب على الرسول فقال : « العلم علمان علم باللسان وعلم بالقلب فأما علم اللسان فهو حجة اللَّه على عباده وأما علم القلب فهو العلم الأعلى الذي لا يخشى اللَّه العباد إلا به »[(٣)] .

ثم قال : « فعلم القلب هو العلم اللدني لم يسطر في السطور وإنما هو

---

(١) « صحيح البخاري » مع الفتح (١/ ٢٠٠) .

(٢) كتاب « السيف الحداد في أعناق أهل الزندقة والإلحاد » لمصطفى كمال الدين البكرى (ص١٦) المطبعة المتوسطة بالعشماوي ـ مصر .

(٣) نفس المرجع (ص١٠٧) .

تلقين من اللَّه سبحانه وتعالى بغير واسطة ملك ولا سفارة »[١] .

فالنصوص المتقدمة كلها تثبت بأن المتصوفة يؤمنون بأن هناك علمين ظاهر وباطن وأن العلم الظاهر هو العلم الذي جاء به رسول اللَّه ﷺ من عند اللَّه وأنه مجرد حجة فقط وأن العلم الذي يورث خشية اللَّه سبحانه وتعالى هو علمهم المزعوم الذي سموه بعلم الحقيقة وزعموا أنهم يتلقونه عن اللَّه سبحانه وتعالى وهذا الاعتقاد يعتبر كفرًا فلا يمكن لإنسان يؤمن باللَّه ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا ورسولاً أن يفضل أي علم عن علمي الكتاب والسنة ولا يمكن أن يقول بأنه يتلقى علمًا عن اللَّه سبحانه وتعالى يغنيه عن العلم الذي جاء به الرسول ﷺ وإنما يقدم على مثل هذه الأقوال من فرغ قلبه عن الإيمان باللَّه وبرسوله وبكتابه وإلا فكيف يدعي الإنسان تلقي العلم عن اللَّه مع بقاء الإيمان عنده .

وقال ابن عجيبة الحسني : « فالعلم الظاهر هو علم الشريعة والعلم الباطن هو علم الطريقة والحقيقة فإذا لم يحصل شيئًا من هذين العلمين ثم ادعى مرتبة الشيخوخة فأخرجه من سفينة دائرة الشيخوخة وألقه في بحر لجج النفاق »[٢] .

ونقل عن أحد المتصوفة بأنه لا يعتبر أحد من الرجال الذين يقتدى بهم إلا أن يكون جامعًا لعلمي الظاهر والباطن حيث نقل عنه بأنه قال : « لا يقتَدِي في طريقتنا هذه بظاهر ولا بباطن وإنما يقتدى بمن جمع بينهما »[٣] .

---

(١) « السيف الحداد » (ص١٠٨) .

(٢) « إيقاظ الهمم في شرح الحكم » لابن عجيبة (١/ ١٩٥) .

(٣) نفس المرجع (١/١٥٩) .

ثم قال ابن عجيبة :

« واعلم أن ما شرطه هذا العارف في شيخ التربية من العلم الظاهر والباطن صحيح»[1] .

وقال ابن عجيبة في وصف الحقيقة :

« الحقيقة شهود الحق. . . ولا تطاق إلا بعد موت النفوس وحط الرءوس وتصفية البواطن من الأغيار وتحليتها بالأنوار فمن اطلع عليها قبل ذلك خيف عليه التزندق لأن الحقيقة لا تدرك بالعلم وإنما هي أذواق ووجدان. . .» ثم قال : « اطلاع المريد على الحقيقة قبل كمال الطريقة توجب له التقصير في الأعمال والتفتر في الخدمة فإن الحقيقة حلوة قد يشتغل بها ويهمل الشريعة ولذا قيل من تصوف ولم يتشرع فقد تزندق لتعريته الحقيقة عن الشريعة »[2] .

ففي هذا النص صرح ابن عجيبة بأن الحقيقة عارية عن الشريعة .

وقال ابن عربي في « الفتوحات المكية » في معرض حديثه بأن المتصوفة تفيض عليهم العلوم فيضانًا من اللّه :

« ولما رأت عقول أهل الإيمان باللّه تعالى أن اللّه قد طلب منها أن تعرفه بعد أن عرفته بأدلتها النظرية علمت أن ثم علمًا آخر باللّه تعالى لا تصل إليه من طريق الفكر فاستعملت الرياضات والخلوات والمجاهدات. . . والانفراد والجلوس مع اللّه بتفريغ المحل وتقديس القلب عن شوائب الأفكار».

---

(١) « إيقاظ الهمم » (١/ ١٥٩) .

(٢) « إيقاظ الهمم في شرح الحكم » لابن عجيبة (٢/ ١٣٣) .

ثم قال: « فتوجه العقل إليه بالكلية والانقطاع من كل ما يأخذه عنه من هذه القوى فعند هذا التوجه أفاض اللَّه عليه من نوره علمًا إلهيًا عرفه بأن اللَّه تعالى من طريق المشاهدة والتجلي لا يقبله كون ولا يرده كون »[1] .

وقال أبو حامد الغزالي في معرض حديثه عن أنواع العلوم التي يحصل عليها الإنسان :

« اعلم أن العلوم التي ليست ضرورية إنما تحصل في القلب في بعض الأحوال تختلف الحال فتارة تهجم على القلب كأنه ألقي فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارًا واستبصارًا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم إلى ما لا يدري العبد أنه كيف حصل له ومن أين حصل وإلى ما يطلع معه على السبب الذي استفاد منه ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقى في القلب والأول : يسمى إلهامًا ونفثًا في الروع والثاني : يسمى وحيًا وتختص به الأنبياء والأول يختص به الأولياء والأصفياء والذي قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلماء .

وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لأن تنجلي فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها وإنما حيل بينه وبينها للحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى اللَّه به إلى يوم القيامة وتجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح المحفوظ في مرآه القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد وأخرى يزول بهبوب الرياح تحركه وكذلك قد تهب رياح الألطاف وتنكشف الحجب عن أعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ

---

(١) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٤/ ١٢١) .

ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل وتمام ارتفاع الحجاب بالموت فيه ينكشف الغطاء وينكشف أيضًا في اليقظة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من اللّٰه تعالى فيلمع في القلوب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف وأخرى على التوالي إلى حدى ما دوامه في غاية الندور »[1] .

وقد قسم ابن عربي العلم إلى قسمين : فطري ووهبي حيث قال :

« الحكيم عبارة عمن جمع العلم الإلهي والطبعي والرياضي والمنطقي وما ثم إلا هذه الأربع مراتب من العلوم » .

ثم قال : « العلم النظري والعلم الوهبي وتختلف الطريق في تحصيلها تحصيل العلوم بين الفكر والوهب وهو الفيض الإلهي وعليه طريقة أصحابنا ليس لهم في الفكر دخول لما يتطرق إليه من الفساد ، والصحة فيه مظنونة فلا يوثق بما يعطيه وأعني بأصحابنا أصحاب القلوب والمشاهدات والمكاشفات لا العباد والزهاد ولا مطلق الصوفية إلا أهل الحقائق والتحقيق منهم ولهذا يقال في علوم النبوة والولاية إنها وراء طور العقل وليس للعقل فيها دخول بفكر لكن له القبول خاصة عند سليم العقل الذي لم تغلب عليه شبهة خيالية فكرية يكون من ذلك فساد نظره وعلوم الأسرار كثيرة »[2] .

فالنصوص المتقدمة التي نقلناها من كتب أئمة التصوف تثبت لنا بأن القوم يعنون بكلمة علم الباطن والظاهر أو الحقيقة والشريعة بأن هناك علمًا آخر غير العلم الذي جاء به رسول اللّٰه ﷺ وأنهم يتلقون هذا العلم عن اللّٰه بواسطة الملك أو مباشرة عن اللّٰه بدون واسطة أو عن طريق الاطلاع على

---

(١) « إحياء علوم الدين » للغزالي (٣/ ٢٠) .

(٢) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٤/ ١٦١) .

اللوح المحفوظ والاطلاع على ما قدره اللَّه وقضاه منذ الأزل.

والاعتقاد بأن هناك طريقًا آخر غير الطريق الذي رسمه لنا رسول اللَّه ﷺ بأمر من ربه يغني عن الوحي الذي أتى به رسول اللَّه ﷺ أو يكون في منزلة الوحي الذي أوحاه اللَّه إلى رسوله أو هو أفضل منه يعتبر كفرًا بواحًا لأن اللَّه عز وجل قال: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾[2].

وقد جعل اللَّه علامة محبته اتباع رسوله فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾[3].

وباختصار أقول: فإن الدين كمل وإن النبوة قد ختمت فكل من يدعي تلقي العلوم عن اللَّه بواسطة أو بغير واسطة فهو كاذب مفتر وادعاؤه تلقي العلوم عن اللَّه يغنيه عن علمي الكتاب والسنة أو تكون في مستويهما أو أحسن منهما يعتبر انحرافًا عقديًا يجب أن يتوب منه لأن ادعاء تلقي العلوم عن اللَّه معناه أن النبوة لم تختم بعد وهذا يعتبر مخالفة صريحة للنصوص القرآنية والحديثية التي صرحت بختم النبوة وكمال الدين يقول تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾[4].

ويقول الرسول ﷺ: « **لا نبي بعدي** »[5].

فدعوى الصوفية بأنهم يتلقون العلوم عن اللَّه وينظرون إلى اللوح

---

(١) الحشر: (٧).

(٢) النور: (٥٤).

(٣) آل عمران: (٣١).

(٤) الأحزاب: (٤٠).

(٥) « صحيح مسلم » مع النووي (١٢/٢٣١).

المحفوظ دعوى كاذبة عارية عن الصحة تمامًا وإنما هي دجل وافتراء من أجل التعمية على العوام والقضاء على الإسلام والمسلمين لأن المتصوفة رأوا أن علومهم تختلف تمام الاختلاف مع ما جاء به رسول اللّه ﷺ فأسسوا قاعدة العلم الظاهر والعلم الباطن وأن العلم الباطن لمجموعة خاصة ليس لأحد غيرهم المقدرة على معرفته بل هو علم خاص بهم كما يدعون ولذا لا ينبغي لغيرهم أن يعترض عليهم لأنه محجوب عن علم الحقيقة وعلى حسب هذه القاعدة وهي القول بأن هناك علمين ظاهر وباطن فقد قسم المتصوفة العلوم إلى عدة أقسام واختلفوا في تقسيمها مع أنهم كلهم متفقون بأن هناك علمًا آخر يسمى علم الباطن يتلقونه عن اللّه سبحانه وتعالى .

فقد ذكر الهجويري عن محمد بن الفضل البلخي أنه قال في تقسيم العلوم :

« العلوم ثلاثة علم من اللّه وعلم مع اللّه وعلم باللّه » .

ثم قال : « فالعلم باللّه هو علم المعرفة الذي عرفه جميع أوليائه ولو لم يكن تعريفه وتعرفه لما عرفوه .

وأما العلم من اللّه فهو علم الشريعة وهو أمر وتكليف منه لنا وأما العلم مع اللّه فهو علم مقامات الطريق الحق وبيان درجات الأولياء »[1] .

وقد ذكر الهجويري بأن لكل من علمي الحقيقة والشريعة أركانًا خاصة به وهذا مما يدل على أن المتصوفة يعنون بالحقيقة غير الشريعة فقال :

« ولعلم الحقيقة أركان ثلاثة :

الأول : العلم بذات اللّه .

---

(١) « كشف المحجوب » للهجويري (١/ ٢١٠) .

الثاني : العلم بصفات اللّه وأحكامها .

الثالث : العلم بأفعال اللّه .

ولعلم الشريعة أركان ثلاثة :

الأول : الكتاب .

الثاني : السنة.

الثالث : الإجماع »[1] .

وقد سبب ادعاء المتصوفة بأن هناك علمًا يسمى علم الحقيقة يختلف تمامًا مع علم الشريعة الاستهتار بعلم الشريعة وأهلها وأنها ما جاءت إلا للعوام وطبعًا هم يقصدون بكلمة العوام كل من لم يندرج تحت لوائهم ولو كان بحرًا في علوم الشريعة .

فقد نقل أبو طالب المكي عن أحد المتصوفة أنه قال :

« إن اللّه سبحانه وتعالى اطلع على قلوب طائفة من عباده فلم يرها تصلح لمعرفته ولا موضعًا لمشاهدته فرحمها فوهب له العبادات والأعمال الصالحة »[2] .

فنفهم من هذا النص أن المتصوفة يعتبرون العبادات والأعمال الصالحة إنما أنزلها اللّه سبحانه وتعالى لأناس لا تصلح قلوبهم لمعرفة اللّه ولذا شرع لهم الأعمال الصالحة والعبادات بكل أنواعها وبما أن المتصوفة يعتبرون أنفسهم أنهم العارفون باللّه حقيقة فلا تجب عليهم العبادات والأعمال الصالحة يعتبرون قد انسلخوا تمامًا من الأوامر والنواهي التي أنزلها اللّه في كتابه وفي سنة رسوله لأنه ليس هنـــاك إسلام مجــرد عن العبادات

---

(١) « كشف المحجوب » للهجويري (١/٢٠٧) .

(٢) « قوت القلوب في معاملة المحبوب » لأبي طالب المكي (٢/٦١) .

والأعمال الصالحة إلا إذا قال المتصوفة بأن علمهم الذي سموه علم الحقيقة ينص على هذا وهذا ليس ببعيد لأن علمهم المزعوم ما هو إلا من القاء الشيطان ووساوسه فمن الممكن جداً أن يوحي إليهم الشيطان بأن هذه التكاليف ما أنزلها اللّه إلا للعوام أما الزاعمون بأنهم عرفوا اللّه فليسوا مكلفين بها .

وقد صرح المتصوفة بأنهم صعب عليهم التوفيق بين علم الشريعة وعلم الحقيقة المزعومة ومما يدل على هذا قول أبي يزيد البسطامي: «عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئًا أشد علي من العلم ومتابعته »[1] .

وقد تولى المنوفي الصوفي المعاصر المعروف بأن مقصود أبي يزيد بهذا هو أنه صعب عليه تطبيق الباطن على الظاهر والحقيقة على نهج الشريعة.

ومن هذا النص نستخلص بأن الحقيقة عند المتصوفة تناقض تمامًا علم الشريعة الغراء التي جاء بها محمد رسول اللّه عليه الصلاة والسلام وما دام اعترف المتصوفة أنفسهم بهذا فنحن نقول إن من أهم العوامل التي أدت إلى انحراف المتصوفة هو قولهم أو زعمهم بأن علم الحقيقة يختلف عن علم الشريعة ومن يعتقد مثل هذا الاعتقاد لا شك أن مصيره هو الضلال كما حصل للمتصوفة لأنه ليس هناك علم ينجي صاحبه من النار يوم القيامة إلا علم الكتاب والسنة .

وقد بالغ المتصوفة في رفع شأن علمهم المزعوم وأوجبوا على كل إنسان أن يذهب إلى زعماء الطرق الصوفية من أجل أن يحصل على علم الحقيقة من اللّه مباشرة .

وفي هذا يقول المنوفي :

---

(١) « التمكين » للهروي (ص١٩٦) .

« اعلموا رحمكم اللّه أن علم التصوف يقال له علم الباطن » ثم قال : « لا ينبغي للعالم ولو تبحر في العلوم حتى صار وحيد أهل زمانه أن يقنع بما علمه وإنما الواجب عليه الاجتماع بأهل الطريق المستقيم حتى يكون ممن يحدثهم الحق تعالى في سرائرهم من شدة صفاء باطنهم ويصير أهلاً لفيضان العلوم اللدنية على قلبه ولا يتيسر ذلك عادة إلا بسلوك الطريق على يد شيخ كامل عالم بعلاج النفوس وتطهيرها من الخبائث»[1] .

وقد صرح المتصوفة بأن علماء الظاهر ـ ويعنون بهم علماء الشريعة الإسلامية ـ ليسوا بحجة على علماء الباطن وهم علماء الحقيقة وذلك لأن علماء الحقيقة يعلمون علمًا لدنيا خاصًا بهم يتلقونه عن اللّه مباشرة حسب زعمهم بينما علماء الظاهر لا يعلمون إلا الكتاب والسنة وهذه في نظر المتصوفة لا قيمة لها وفي هذا نقل ابن عجيبة عن أحد المتصوفة أنه قال : « لا تجعلوا أهل الظاهر حجة على أهل الباطن » ثم قال ابن عجيبة : « أي لأن أهل الباطن نظرهم دقيق وغزلهم رقيق لا يفهم إشاراتهم غيرهم »[2] .

وقد صرح المتصوفة بأنه ليس بينهم وبين علماء الشريعة أي محبة ولا مودة وإنما هو عداء وصراع مستمر وصدقوا في هذا لأن علماء الشريعة يقفون أمامهم حجر عثرة ويبددون أفكارهم الواهية التي يزعمون بأنها حقائق ولكنها في الحقيقة ما هي إلا علوم شيطانية .

وفي هذا يقول الشعراني نقلاً عن شيخه إبراهيم المتبولي وغيره قال إنه سمعهم يقولون : « ما بيننا وبين هؤلاء المنكرين الذين ينكرون علينا مودة ولا محبة لأنه ليس معهم شيء لنستفيده ولا يقبلون منا ما هو معنا من

(١) « بداية الطريق » للمنوفي (ص ٦٦) .

(٢) « إيقاظ الهمم في شرح الحكم » لابن عجيبة (١/٦٣) .

المعارف والأسرار»[1] .

وفي هذا النص لقد صرح المتصوفة بأن علوم الظاهر لا تفيدهم شيئًا لأنهم ليسوا في حاجة إليها وماذا يعملون بها بعد أن ادعوا الأخذ عن اللَّه مباشرة حسب زعمهم .

وقد قال الشعراني :

« إن أقل درجات الأدب مع القوم أن يجعلهم المنكر كأهل الكتاب لا يصدقهم ولا يكذبهم »[2] .

وهنا جنى الشعراني على نفسه وعلى أصحابه المتصوفة حيث صرح أنه ينبغي للمسلم أن يقف من المتصوفة وعلومهم كموقفه من أهل الكتاب وإنما قال الشعراني هذا الكلام لأنه رأى تناقضًا واضحًا بين الشريعة وعلمهم المزعوم وأنه لا يمكن التوفيق بينهما ولم ير مخرجًا يخرجه من هذا المأزق إلا أن يصرح بأنهم كالكتابيين ونحن نقول لا نقف منهم موقف أهل الكتاب لأن أهل الكتاب نزلت عليهم الكتب ثم حرفت ولذا نقف مما يقولونه موقف المحايد فلا نصدقهم ولا نكذبهم إلا ما صدقه شرعنا أو كذبه بخلاف المتصوفة فإننا لا نعترف لهم بأنهم تنزل عليهم علوم خاصة من اللَّه تختلف مع علم الشريعة الإسلامية ولذا يجب علينا إذا صدر من المتصوفة أو من غيرهم أي فعل يخالف الشريعة أن ننكر عليهم لأن من أوصاف هذه الأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾[3] .

(١) « لطائف المنن » للشعراني (١/ ١٤٥) .

(٢) « لطائف المنن » للشعراني (١/ ١٢٥) .

(٣) آل عمران : (١١٠).

وقد نقل الشعراني عن سيده علي الوفا أنه كان يقول :

« التسليم للقوم أسلم والاعتقاد فيهم أغنم والإنكار عليهم سم ساعة في إذهاب الدين وربما تنصر بعض المنكرين ومات على ذلك » .

ثم قال الشعراني :

« فإن أردت يا أخي عدم الإنكار فَأَجْلِ مرآة قلبك فإنك تشهد الصوفية من خيار الناس ويقل إنكارك وإلا فمن لازمك كثرة الإنكار لأنك لا تنظر في مرآتك إلا صورة نفسك »[1] .

وقد وصف المتصوفة المنكر عليهم بأوصاف قبيحة .

يقول ابن عجيبة في معرض حديثه عن علوم المتصوفة التي تلقى عليهم من قبل اللَّه عز وجل وهي من الأسرار التي لم يطلع عليها إلا الخواص فإذا سمعها العوام أنكروها ثم قال : « ومن جهل شيئًا عاداه » وضرب المثل العربي المعروف والذي هو : « ومن يكن ذا فم مر مرير يجد مرًا به الماء الزلالا » .

واستشهد بقول البوصيري :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد   وينكر الفم طعم الماء من سقم

ثم قال : « وقال مشائخ الطريقة : المنكر علينا كالعنين ينكر شهوة الجماع والمزكوم ينكر رائحة المسك الأذخر والمحموم ينكر حلاوة السكر وفي مثلهم قال الشاعر :

وكم عائب ليلى ولم ير وجههـــا   فقال له الحرمان حسبك ما كان»[2]

---

(١) « لطائف المنن » للشعراني (ص١٢٥) .

(٢) « الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية » على هامش « إيقاظ الهمم في شرح الحكم» له (١/ ٢٩) .

ومن هذه النصوص يتضح لنا بأن المتصوفة يعتبرون غيرهم كالمرضى لأنهم لا يعلمون شيئًا عن علومهم المزعومة التي هي تختلف تمامًا مع العلوم التي جاء بها رسول اللّه ﷺ لذلك يعتبرون كل من ينكر عليهم كالمريض الذي يقول للحلو مر لعلة فيه مع سلامة الشيء وبقائه على حلاوته ولذا شبه المتصوفة المنكرين كالمرضى وهذه استهانة بعلماء المسلمين وبالشريعة الإسلامية في آن واحد فالعلماء لا ينكرون على المتصوفة إلا إذا وقعت منهم مخالفة صريحة لنصوص الشريعة الإسلامية لأن المنكر ما أنكرته الشريعة والمعروف ما قالت عنه الشريعة أنه معروف .

والحقيقة أن المتصوفة يضربون هذه الأمثلة للتشنيع بالشريعة والعلماء في آن واحد لأنهم يعلمون بأن علومهم في نظر الشريعة الإسلامية وعلمائها ما هي إلا أضغاث أحلام ولذا يضربون هذه الأمثال لتنفير الناس عن علماء الأمة الإسلامية .

ونحن نقول إن أي إنسان يرتكب أمرًا مخالفًا لما جاء به الرسول ﷺ يجب أن ينكر عليه كائنًا من كان ولا عبرة بمن يقول إنه يفعل هذا الفعل لأنه أوحي إليه من اللّه وأمره بفعله فإن هذا كذب وبهتان وافتراء على اللّه فلا نبوة بعد نبوة سيدنا محمد بن عبد اللّه ولا شريعة بعد شريعته فالنبوة قد ختمت والشريعة قد كملت فكل من يريد أن يأتي إلينا بتشريعات جديدة يجب أن يرد بحزم ويؤمر بتوبة فإن تاب وإلا فيجب أن يقطع عنقه حتى لا ينشر فساده لأن ادعاء تلقي علمًا آخرَ يحل ما حرمته الشريعة أو يحرم ما أحلته الشريعة ليس بأمر سهل بل أمر خطير جدًا يؤدي بصاحبه إلى الهلاك الدنيوي والأخروي ويفتح الباب على مصراعيه لكل دجال أفاك كذاب يكيد للإسلام والمسلمين.

موقف المتصوفة من القرآن الكريم :

أما موقف المتصوفة من القرآن الكريم فقد فسروا القرآن الكريم تفسيراً باطنيًا يختلف تمامًا مع التفسير الذي فسره به السلف وعلماء الأمة الإسلامية عبر التاريخ وبعيدًا كل البعد عن المعاني التي تدل عليها الألفاظ عند العرب وذلك من أجل إخضاع الآيات القرآنية لعقائدهم الفاسدة وإليك نماذج من تفسيرهم الباطني حتى تعرف بأن المتصوفة من ألد الأعداء لكتاب اللّٰه عز وجل.

يقول محيي الدين بن عربي في تفسير قوله تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾.

قال : « إيجاز البيان فيه :

يا محمد ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ أي ستروا محبتهم في عنهم

فسواء عليهم أأنذرتهم بوعيدك الذي أرسلتك به

﴿ **أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ بكلامك فإنهم لا يعقلون غيري وأنت تنذرهم بخلقي ، وهم ما عقلوه ولا شاهدوه » .

ثم قال : « وكيف يؤمنون بك يا محمد وقد ختمت على قلوبهم فلم أجعل فيها متسعًا لغيري

﴿**وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ**﴾ فلا يسمعون كلامًا في العالم إلا مني

﴿**وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ**﴾ من بهائي عند مشاهدتي فلا يبصرون سواي »[١] .

---

(١) « الفتوحات المكية » (٤/٢٠٦) ط المكتبة العربية القاهرة .

ثم قال مرة أخرى في تفسير نفس الآيات حيث أراد أن يوضح تفسيره جيدًا فقال :

« انظر كيف أخفى سبحانه أولياءه في صفة أعدائه وذلك أنه لما ابتدع الأمناء من اسمه اللطيف وتجلى لهم من اسمه الجميل فأحبوه تعالى والغيرة من صفات المحبة في المحبوب والمحب بوجهين مختلفين فستروا محبته تعالى غيرة منهم عليه كالشبلي وأمثاله وسترهم الحق بهذه الغيرة عن أن يعرفوا فقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي ستروا ما بدا لهم في مشاهدتهم من أسرار الوصلة فقال : لابد من أن أحجبكم عن ذاتي بصفاتي فهو كذلك. . .

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فلم يسعها غيره وعلى سمعهم فلا يسمعون سوى كلامه على ألسنة العالم فيشهدونه في العالم متكلمًا بلغاتهم.

﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ من سناه إذ هو النور، وبهائه إذ له الجلال والهيبة فأبقاهم الحق غرقى في بحور اللذات بمشاهدة الذات فقال لهم : لابد لكم من ﴿ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

فما فهموا ما العذاب لاتحاد الصفة عندهم فأوجد لهم الحق علم الكون والفساد وعلمهم جميع الأسماء وأنزلهم على العرش الرحماني وفق عذابهم وقد كانوا مخبوئين عنده في خزائن غيوبه فلما أبصرتهم الملائكة خرت سجودًا لهم فعلموهم الأسماء فأما أبو يزيد فلم يستطع الاستواء ولا أطاق العذاب فصعق من حينه فقال تعالى : « ردوا عليّ حبيبي فإنه لا صبر له عني ».

فحجب بالشوق والمخاطبة وبقي للكفار فنزلوا من العرش إلى الكرسي فنبتت لهم المقدمان فنزلوا عليهما من الثلث الباقي من ليلة هذه النشأة الجسمية إلى السماء الدنيا « النفس » فخاطبوا أهل الثقل الذين لا يقدرون

على الوجد هل من داع فيستجاب له هل من تائب فيتاب عليه هل من مستغفر فيغفر له »(1) .

ويقول في تفسير قوله تعالى : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾(2) .

قال : « فشبه نوره بالمصباح فلم يكن أقرب إليه تعالى قبولاً في ذلك الهباء إلا حقيقة محمد ﷺ المسماة بالعقل فكان سيد العالم بأسره وأول ظاهر في الوجود فكان وجوده من ذلك النور الإلهي ومن الهباء ومن الحقيقة الكلية وفي الهباء وجد عينه وعين العالم من تجليه وأقرب الناس إليه علي بن أبي طالب وأسرار الأنبياء »(3) .

ونكتفي بهذه النماذج لإثبات أن المتصوفة فسروا القرآن الكريم بأهوائهم من أجل أن يوافق معتقدهم الفاسد وهذا يتضح لنا من خلال تفسيرات ابن عربي التي أوردناها كنماذج فقط فابن عربي في تفسيره للآية الأولى حاول أن يثبت وحدة الأديان وأنه ليس هناك مؤمن ولا كافر بل الكل واحد وأثبت أيضًا من خلال تفسيره القول بوحدة الوجود أن الكل رب لأن هذا العالم كله مظاهر ومجال للَّه سبحانه وتعالى حسب زعمه .

وأما الآية الثانية وهي قوله تعالى : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ فقد فسرها كما رأينا تفسيرًا باطنيًا باطلاً بعيدًا كل البعد عن المعنى الذي تدل عليه الآية .

وهو لجأ إلى هذا التفسير كما هو واضح من أجل أن يثبت عقيدته التي يعبر عنها بالحقيقة المحمدية رغم أن الآية بعيدة كل البعد عن التفسير الذي

---

(1) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٢/٢٠٨) ط المكتبة العربية القاهرة .

(2) النور : (٣٥) .

(3) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٢/٢٢٧) .

فسرها به ابن عربي فالرسول ﷺ بشر ولد من أب وأم معروفين وليس هو مخلوق من نور كما يزعم المتصوفة الأفاكين ومناقشة عقيدة المتصوفة تجاه الرسول لها باب خاص في البحث فلا داعي لمناقشتها هنا .

ومن هنا يتضح لنا بأن المتصوفة حاولوا أن يخضعوا معاني القرآن لتوافق معتقدهم الفاسد وذلك عن طريق التأويلات الباطلة .

أما السنة فإنهم بعيدون عنها كل البعد فهم دائمًا تراهم يحبون البدع وينشئونها ويشجعون عليها ويروون لتأييدها أحاديث وينسبونها إلى الرسول كذبا وزوراً فهم قوم هلكى غرقى في البدع والخرافات بل هم وكر البدع والخرافات وناشروها في الأمة الإسلامية .

موقف العلماء من تقسيم الصوفية الدين إلى شريعة وحقيقة :

قد رفض علماء الأمة الإسلامية تقسيم الدين إلى شريعة وحقيقة واستنكروها وإليك نماذج من أقوالهم حتى تعلم بأن المتصوفة ما أتوا بهذا التقسيم إلا لتأييد مذهبهم الباطل حتى لا يحتج عليهم الناس بالنصوص فيبطلون ماهم عليه من الأعمال المخالفة للنهج الإسلامي.

فقد قال الإمام ابن القيم مستنكراً قول الصوفية بأن هناك علمًا باطنًا وظاهراً :

« ومن كيد الشيطان ما ألقاه إلى جهال المتصوفة من الشطح والطامات وأبرز لهم في قالب الكشف من الخيالات فأوقعهم في أنواع الأباطيل والترهات وفتح لهم أبواب الدعاوى الهائلات وأوحى إليهم أن وراء العلم طريقًا إن سلكوه أفضى بهم إلى الكشف العياني وأغناهم عن التقيد بالسنة والقرآن فحسن لهم رياضة النفوس وتهذيبها وتصفية الأخلاق والتجافي عما

عليه أهل الدنيا وأهل الرياسة والفقهاء وأرباب العلوم والعمل على تفريغ القلب وخلوه من كل شيء حتى ينقش فيه الحق بلا واسطة تعلم فلما خلا من صورة العلم الذي جاء به الرسول نقش فيه الشيطان بحسب ما هو مستعد له من أنواع الأباطيل وخيله للنفس حتى جعله كالمشاهد كشفا وعيانًا فإذا أنكره عليهم ورثة الرسل قالوا لكم العلم الظاهر ولنا الكشف الباطن ولكم ظاهر الشريعة وعندنا باطن الحقيقة ولكم القشور ولنا اللباب فلما تمكن هذا من قلوبهم سلخها من الكتاب والسنة والآثار كما ينسلخ الليل من النهار ثم أحالهم في سلوكهم على تلك الخيالات وأوهمهم أنها من الآيات البينات وأنها من قبل اللَّه الهامات فلا تعرض على السنة والقرآن ولا تعامل إلا بالقبول والإذعان ، وكلما ازدادوا بعدًا وأعراضًا عن القرآن وما جاء به الرسول كان هذا الفتح على قلوبهم أعظم »[1] .

وقال ابن عقيل في معرض نقده للمتصوفة والتحذير منهم :

« فاللَّه اللَّه في الإصغاء إلى هؤلاء الفرغ الخالين من الإثبات وإنما هم زنادقة جمعوا بين مدايح العمال مرقعات وصوف وبين أعمال الخلعاء الملحدة أكل وشرب ورقص وسماع وإهمال لأحكام الشرع ولم تتجاسر الزنادقة أن ترفض الشريعة حتى جاءت المتصوفة فجاءوا بوضع أهل الخلاعة.

فأول ما وضعوا أسماء وقالوا حقيقة وشريعة. وهذا قبيح لأن الشريعة ما وضعه الحق لمصالح الخلق. فما الحقيقة بعدها سوى ما وقع في النفوس من إلقاء الشياطين وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع»[2] .

---

(١) « إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان » لابن القيم (١/ ١١٩) .

(٢) « تلبيس إبليس لابن الجوزي » (٣٧٤) ط دارالكتب العلمية بيروت لبنان.

وقال الإمام ابن الجوزي رحمه اللّه :

« وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة وهذا جهل من قائله لأن الشريعة كلها حقائق » .

ثم قال : «وقد أنكر جماعة من قدمائهم في إعراضهم عن ظواهر الشرع »[1] .

ومن هذه النصوص التي أوردتها عن الأئمة الكبار من علماء الأمة الإسلامية يتضح لنا بأن ادعاء الصوفية تقسيم العلم إلى حقيقة وشريعة أو ظاهر وباطن كذب وافتراء فليس هناك حقيقة وشريعة وإنما عندنا الشريعة فقط فهي الحقيقة عندنا ولكن في الإسلام عندنا أعمال القلوب وأعمال الجوارح وهذه كلها موجودة في الشريعة الإسلامية ولذا نقول للمتصوفة لا يمكن أن تصلوا إلى الحقيقة خارج الشريعة فإن كنتم تبحثون عن الحقيقة بالفعل فارجعوا إلى الشريعة التي جاء بها محمد بن عبد اللّه ﷺ فهي الحقيقة لا غير .

الانحرافات التي وقع فيها الصوفية بسبب هذه القاعدة :

إن المتصوفة قد وقعوا في انحرافات عديدة بسبب هذه القاعدة التي وضعوها وهي القول بأن الحقيقة تختلف عن الشريعة ومن هذه الانحرافات التي وقعوا فيها ما يلي :

١ ـ اتهام الرسول بأنه خص أناسًا بعلم خاص وهذا يترتب عليه اتهامه بكتمان ما أنزل إليه والواجب تجاه الرسل الاعتقاد بأنهم قد بلغوا ما أمرهم اللّه به .

---

(١) « تلبيس إبليس » لابن الجوزي (ص ٣٢٤) .

٢ ـ تعطيل وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحجة أنه نزل عليهم علوم تختلف عن علم الشريعة ولذا لا ينبغي أن ينكر عليهم .

٣ ـ ادعاء التلقي عن اللّٰه مباشرة وهذا يؤدي إلى القول بعدم ختم النبوة وهو انحراف عقدي خطير .

٤ ـ الاستهزاء بعلماء الأمة الإسلامية والتقليل من شأنهم ووصفهم بأنهم عوام وبأنهم محجوبون بظواهر الشريعة عن علوم الحقيقة .

٥ ـ تفسير القرآن الكريم بأهوائهم وتأويله بحيث يؤيد معتقدهم إلى جانب تحريفهم لمعاني السنة النبوية وتصحيح الأحاديث عن طريق كشفهم المزعوم مما أدى بهم إلى نسبة أحاديث كثيرة كذبًا وزورًا إلى الرسول ﷺ لتأييد معتقدهم الفاسد كما مر بنا بعضها في موضوع تفريق الصوفية بين الحقيقة والشريعة .

* * *

المبحث الثالث

الغلو الزائد في الرسول ﷺ والأولياء

إن من أهم العوامل التي أدت إلى انحراف المتصوفة عن الطريق المستقيم هو الغلو في الرسول ﷺ والأولياء .

وقبل أن نتعرض لتوضيح غلوهم في هذا المجال نحب أن نتعرض لتعريف الغلو في اللغة والاصطلاح مع ذكر موقف الإسلام من الغلو عمومًا بايجاز كتمهيد للموضوع .

أولاً : تعريف الغلو :

الغلو لغة التجاوز عن الحد والخروج عن القصد في كل شيء وغلا في الدين والأمر يغلو جاوز حده وأفرط فيه .

واصطلاحًا :

قال ابن الأثير في « النهاية » في قوله ﷺ : « **إياكم والغلو في الدين**» «أي التشدد فيه ومجاوزة الحد كحديثه الآخر : « **إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق** » .

وقيل معنى الغلو البحث عن بواطن الأشياء والكشف عن عللها وغوامض متعبداتها .

ومنه الحديث : « **وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه** » إنما قال ذلك لأن من أخلاقه وآدابه التي أمر بها القصد في الأمور وخير الأمور

أوساطها وكلا طرفي قصد الأمور ذميم .

ومنه حديث عمر : « **لا تغالوا صداق النساء** » وفي رواية : « **لا تغلوا في صدقات النساء** » أي لا تبالغوا في كثرة الصداق ، وأصل الغلاء الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء يقال غاليت الشيء وبالشيء وغلوت فيه أغلو إذا جاوزت فيه الحد »[1] .

إذا نظرنا في التعريف اللغوي للغلو نجد أن معناه هو المبالغة في أي شيء كان ومجاوزة الحد به ورفعه فوق مستواه .

وكذلك التعريف الاصطلاحي للغلو يدل على أن المراد بالغلو هو التشدد في أي شيء كان ومجاوزة الحد به .

ومن التعريف الاصطلاحي للغلو أيضًا هو المبالغة في الشيء .

والخلاصة التي نخلص بها من التعريفين اللغوي والاصطلاحي أن من المعاني التي يدل عليها الغلو هو مجاوزة الحد في أي شيء كان ورفعه فوق منزلته الحقيقية .

ثانيًا : موقف الإسلام من الغلو :

لقد حذر الإسلام من الغلو بجميع صوره وعاب على أهل الكتاب غلوهم في دينهم فقال تعالى : ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**﴾[2] .

وما وقع الغلو في أمة إلا وأهلكها فقد ثبت في الحديث أن النبي ﷺ

(١) « النهاية في غريب الحديث والأثر » لابن الأثير (٣/ ٣٨٢) .

(٢) المائدة : (٧٧) .

قال محذراً أمته من الغلو : « **إياكم والغلو فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين** »[1] .

وما اجتاحت الشياطين البشرية عن فطرتها إلا بالغلو في رجال صالحين ذكرهم اللَّه سبحانه وتعالى في كتابه فقال تعالى : ﴿ **وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا** ﴾[2] .

وقد روى ابن جرير في معنى هذه الآية ما يلي :

« ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر كانوا قومًا صالحين بين آدم ونوح وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كانوا أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم ، فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال : إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم »[3] .

ونهى النبي ﷺ عن إطرائه خشية أن يقال فيه ما قالته النصارى في عيسى عليه السلام فقد روى البخاري عن ابن عباس أنه سمع عمر رضي اللَّه عنه يقول على المنبر : سمعت النبي ﷺ يقول : « **لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد اللَّه ورسوله** »[4] .

وعن أنس رضي اللَّه عنه أن ناسًا قالوا : يا رسول اللَّه يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا . فقال : « **يا أيها الناس قولوا ببعض قولكم ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد عبد اللَّه ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي**

---

(١) « مسند أحمد » (١/ ٢١٥) .

(٢) نوح : (٢٣ ـ ٢٤) .

(٣) « جامع البيان » للطبري (٢٩/ ٦٢) .

(٤) البخاري مع الفتح (٦/ ٤٧٨) ط دار الفكر .

التي أنزلني اللَّه عز وجل »[1] .

بمثل هذا نهى الإسلام عن الغلو لأن الغلو هو السبب الرئيس في حدوث الشرك باللَّه لأول مرة في تاريخ البشرية ولا شك أن الشرك باللَّه يعتبر أعظم ما عصي به اللَّه على وجه الأرض ومما يدل على هذا قول اللَّه عز وجل على لسان لقمان : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[3] .

والصوفية وقفوا من هذه النصوص موقف المعاند فلم يلقوا لها بالاً ولم يتقيدوا بها بل أتوا بنقيضها فغلوا في الرسول ﷺ ونسبوا إليه أمورًا لو كان حيا لقاتل قائلها ، وتوجهوا إليه بطلب المنفعة ودفع المضرة والأخذ باليد يوم الحشر وشكوا إليه نوائب الدهر ونسوا اللَّه الذي بيده مقاليد كل شيء ولم يقف المتصوفة في غلوهم في الرسول ﷺ بل غلوا أيضًا في مشايخهم فاعتقدوا فيهم أمورًا لا تليق إلا باللَّه عز وجل .

وليس الغلو أن يعتقد الإنسان بأن فلانًا من البشر يستطيع أن يخلق ويوجد فحسب فإن هذا المعتقد ما اعتقده أحد من المشركين الذين بعث اللَّه إليهم الرسل وليس هو الذي وقعت فيه الخصومة وذلك أن المشركين لم يشركوا في ربوبية اللَّه كما أخبرنا اللَّه بذلك في كتابه حيث قال تعالى :

---

(١) « مسند أحمد » (٣/١٥٣) .

(٢) لقمان : (١٣) .

(٣) النساء : (٤٨) .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[2] .

إنما استحقوا الشرك لإشراكهم في ألوهية اللَّه بغلوهم في رجال صالحين كعيسى وعزير وود وهذا عين ما تفعله الصوفية حيث غلوا في الرسول ﷺ والأولياء حتى رفعوهم إلى منزلة الألوهية والربوبية وهذا سيتضح لنا الآن أثناء تعرضنا لإيراد نماذج من غلو الصوفية تجاه الرسول والأولياء وإليك البيان وسنبدأ بضرب نماذج من غلو الصوفية تجاه الرسول ثم سنتبعه ثانيًا بضرب نماذج أخرى نثبت بها غلو الصوفية تجاه الأولياء :

المطلب الأول

غلوهم في الرسول محمد ﷺ

لقد غلا المتصوفة غلواً مفرطًا في الرسول محمد ﷺ حتى رفعوه فوق منزلته التي أنزله اللَّه فيها واعتقدوا فيه عقائد فاسدة باطلة لا أساس لها من الصحة ونحن هنا لا نريد أن نناقش كل معتقدات الصوفية المنحرفة تجاه الرسول محمد ﷺ وإنما سنضرب نماذج فقط نثبت بها بأن من أهم العوامل التي أدت إلى انحراف المتصوفة عن الخط المستقيم هو غلوهم الزائد تجاه الرسول ﷺ وذلك لأن انحرافات المتصوفة تجاه الرسول ﷺ قد عقدنا لها فصلاً خاصًا في الباب الثالث من هذه الرسالة وسنناقش كل انحرافاتهم تجاهه هناك مناقشة تفصيلية حتى نثبت بأن المتصوفة أتوا بهذه العقائد من

(١) الزمر : (٣٨) .

(٢) يوسف : (١٠٦) .

عند أنفسهم مع براءة الإسلام منها كلية[1] .

ومن الانحرافات التي وقع فيها المتصوفة بسبب غلوهم في الرسول ﷺ ما يلي :

١ ـ الانحراف الأول: اعتقادهم بأن الرسول ﷺ خلق من نور وأنه أول مخلوق على الإطلاق وأن اللَّه خلق من نور محمد جميع ما في هذا الكون من أرض وسماء وما فيهما وما بينهما :

وإليك النصوص من بطون كتب القوم.

قال أحمد بن المبارك راويًا عن شيخه عبد العزيز الدباغ[2] :

« وسمعته رضي اللَّه عنه يقول في قوله : « وانفلقت الأنوار » أن أول ما خلق اللَّه تعالى نور سيدنا محمد ﷺ ثم خلق منه القلم والحجب السبعين وملائكتها ثم خلق اللوح ثم قبل كماله وانعقاده خلق العرش والأرواح والجنة والبرزخ. . . » ثم قال مفصلاً ما مضى :

« ثم إن اللَّه تعالى خلق ملائكة الأرضين من نوره ﷺ وأمرهم أن يعبدوه عليها وأما الأرواح والجنة إلا مواضع منها فإنها أيضًا خلقت من نور وخلق ذلك النور من نوره ﷺ وأما البرزخ فنصفه الأعلى من نوره ﷺ فخرج من هذا أن القلم واللوح ونصف البرزخ والحجب السبعين وجميع ملائكتها وجميع ملائكة السموات والأرضين كلها خلقت من نوره ﷺ بلا واسطة وأن العرش والماء والجنة والأرواح خلقت من نور خلق من نوره ﷺ »[3] .

---

(١) انظر (٣٣٩ ـ ٥٠١) .

(٢) عبد العزيز الدباغ هو عبد العزيز بن مسعود المعروف بالدباغ صوفي مشهور من آثاره « الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز » في التصوف جمعه أحمد بن المبارك السلجمان أحد تلاميذه الذين تربوا تحت رعياته . انظر « معجم المؤلفين » لعمر رضا كحالة (٥/٢٦٣) .

(٣) « الإبريز » لعبد العزيز الدباغ (٢٥٢) .

هذا هو النموذج الأول مما تعتقده الصوفية تجاه الرسول ﷺ حيث ادعوا في هذا النص بأن أول ما خلق اللّه نور الرسول ﷺ وأن جميع ما في هذا الكون خلق من نوره ﷺ .

ولنعرض هذا المعتقد الصوفي على الكتاب والسنة لنرى هل أتوا بهذا المعتقد من عند أنفسهم أم أخذوه من الكتاب والسنة .

فنقول أولاً : إن ادعاء المتصوفة بأن أول ما خلق اللّه نور الرسول ﷺ غير صحيح بل هو ادعاء باطل وكذب محض وليس لهم أي دليل يستندون عليه لإثبات دعواهم هذه سوى الحديث الموضوع والذي نصه « **أول ما خلق اللّه نور نبيك يا جابر**»[1] والحديث الموضوع لا يصلح أن يكون دليلاً لإثبات قضية عادية فضلا عن أن يكون دليلاً لإثبات قضية عقدية ولهذا نقول إن المتصوفة أتوا بهذا المعتقد من عند أنفسهم ليضللوا به العوام عن المعتقد الصحيح الموجود في كتاب اللّه وفي سنة رسوله ﷺ وإلا فالرسول ﷺ ليس مخلوقًا من نور كما يزعمون بل خلق مما يخلق منه البشر ولكن اللّه فضله بالرسالة وجعله خاتم رسله وجعله أفضل مخلوقاته .

وقد أخبرنا اللّه سبحانه وتعالى بأن أول مخلوق بشري هو أبونا آدم عليه السلام وبين لنا من أي شيء خلقه وذكر لنا المراحل التي مر بها أثناء إنشائه فقال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾[2] .

---

(١) « الإبريز » لعبد العزيز الدباغ (ص٢٥٢) .

(٢) المؤمنون : (١٢ ـ ١٤) .

والشاهد في الآية هو قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ والمقصود بها أصل الإنسان وهو أبونا آدم عليه السلام حيث خلقه اللَّه من طين .

ومما يدل على أن أصل الإنسان من طين قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾[١] .

فهذه الآيات التي أوردتها وغيرها كثير كلها أثبتت لنا بأن أصل الإنسان من طين وأن أول مخلوق بشري هو أبونا آدم عليه السلام وبما أن الرسول ﷺ هو أحد أفراد ذرية آدم عليه السلام فأصله من تراب.

ولهذا نقول ونحن موقنون ومتأكدون مما نقوله بأنه حق وما عداه باطل بأن الرسول ليس أول مخلوق ولا هو مخلوق من نور كما تدعي الصوفية بل الرسول ولد من أب وأم قرشيين معروفين وهذا معلوم لدى الجميع إلا من أصيب بالمكابرة والعناد وكون الرسول خلق كما يخلق غيره من البشر لا ينقص هذا من قيمته ومكانته العالية وذلك لأن اللَّه سبحانه وتعالى قد فضله بالرسالة الخاتمة وجعله خير الخليقة على الإطلاق ولكن مع ذلك كله فهو عبد اللَّه وقد وصفه اللَّه بالعبودية له في آيات عديدة من كتابه سبحانه وتعالى منها :

قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾[٢] .

ومنها قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

---

(١) ص : (٧١ ـ ٧٢) .

(٢) الجن : (١٩) .

إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا﴾[1] الآية.

وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾[2].

وقد أمره اللَّه سبحانه وتعالى أن يقول أنه بشر مثلنا فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[3] الآية.

وبعد أن سقنا هذه الأدلة وأبطلنا حجج المتصوفة بها نقول: إن الاعتقاد الواجب تجاه الرسول ﷺ من حيث خلقه هو أنه خلق كما يخلق البشر غيره من أب وأم ثم أكرمه اللَّه سبحانه وتعالى وشرفه بالرسالة الخاتمة وجعله أفضل جميع الخلق على الإطلاق وما يعتقده المتصوفة من أنه خلق من نور فغير صحيح بل هو اعتقاد باطل وكذب محض أتوبه من عند أنفسهم لإفساد عقيدة المسلمين حتى يردوهم إلى أمة وثنية تعبد الأشخاص والأحجار والأشجار.

وبما أننا أبطلنا دعوى الصوفية بأن الرسول خلق من نور فلا حاجة لمناقشة الصوفية في ادعائهم الآخر وهو قولهم إن الكون خلق من نور محمد ﷺ لأن الأساس الذي أقاموا عليه دعوتهم قد هدمناه وبينا بأنه كذب محض وأثبتنا بأن الرسول بشر خلق كغيره من أب وأم وولد كما يولد البشر[4] فالادعاء الثاني وهو زعم المتصوفة بأن الكون خلق من نوره باطل أيضًا لأنها ليس لها أي أساس تعتمد عليه وليس لهم برهان من اللَّه ولا من رسوله على

---

(١) الإسراء: (١).

(٢) البقرة: (٢٣).

(٣) الكهف: (١١٠).

(٤) انظر: (١٤٢ ـ ١٤٤).

صحة دعواهم هذه .

والخلاصة أن الرسول ليس مخلوقًا من نور وليس الكون مخلوقًا من نوره كما تدعي الصوفية بل هو بشر قد ولد من أب وأم قرشيين معروفين فضله اللَّه بالرسالة الخاتمة وجعله أفضل الخليقة وادعاء الصوفية بأنه خلق من نور كذب محض ومصادمة صريحة مع نصوص الكتاب والسنة فيجب أن ترد عليهم ويضرب بها على وجوههم.

٢ ـ الانحراف الثاني الذي وقع فيه المتصوفة : هو قولهم بأن جميع الأنبياء فاضت عليهم العلوم من الرسول ﷺ :

لقد بالغ المتصوفة في الغلو في الرسول ﷺ حتى وصل بهم الأمر إلى ادعاء أن جميع الأنبياء فاضت عليهم العلوم من الرسول ﷺ وإليك النصوص الدالة على هذا :

فقد قال أحمد مبارك ناقلاً عن شيخه الدباغ :

« وسمعته رضي اللَّه عنه يقول مرة أخرى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإن سقوا من نوره لم يشربوه بتمامه بل كل واحد يشرب منه ما يناسبه وكتب له فإن النور المكرم ذو ألوان كثيرة وأحوال عديدة وأقسام كثيرة فكل واحد شرب لونًا خاصًا ونوعًا خاصًا » قال رضي اللَّه عنه : « فسيدنا عيسى ﷺ شرب من النور المكرم فحصل له مقام الغربة وهو مقام يحمل صاحبه على السياحة وعدم القرار في موضع واحد وسيدنا إبراهيم شرب من النور المكرم فحصل له مقام الرحمة والتواضع مع المشاهدة الكاملة فتراه إذا تكلم مع أحد يخاطبه بلين ويكلمه بتواضع عظيم فيظن المتكلم أنه يتواضع له وهو إنما يتواضع للَّه عز وجل لقوة مشاهدته وسيدنا موسى ﷺ شرب من

النور المكرم فحصل له مقام مشاهدة الحق سبحانه في نعمه وخيراته وعطاياه التي لا يقدر قدرها وهكذا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والملائكة الكرام والله أعلم »[1] .

وقال البوصيري[2] :

وإن من جودك الدنيا وضرتهـا ومن علومك علم اللوح والقلم

وكل آي أتى الرسل الكرام بها فإنمـــا اتصلت من نوره بهم[3]

فالنصوص المتقدمة تدل دلالة واضحة بأن الصوفية يعتقدون بأن جميع الرسل شربوا من نور الرسول ﷺ كل واحد منهم حسب ما يناسبه وأن جميع الرسل فاضت عليهم العلوم من نور الرسول ﷺ .

ولكن الصوفية ليس لهم دليل يستندون عليه لإثبات هذا المعتقد الباطل لا من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ بل هي دعوى مبنية على الهراء البحت فقط .

والرسل عليهم الصلاة والسلام لم تفض عليهم العلوم من الرسول كما يزعمون بل نزلت عليهم من الله عز وجل وحيًا كما نزلت على الرسول محمد ﷺ ومما يدل على هذا قول الله عز وجل : ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ** ﴾الآية[4] .

---

(١) « الإبريز » لعبد العزيز الدباغ (٢٥٤) .

(٢) هو الأديب البليغ والشاعر المجيد والصوفي المتحقق شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله وقد تلقى علومه ومعارفه على طائفة من علمـاء عصـره كأبي حيان وهو من تلاميذ أبي العباس المرسي الشاذلي وقد توفي بالإسكندرية (٦٩٤هـ).

(٣) « بردة المديح » للبوصيري (١٤ ـ ١٥) .

(٤) « النساء : (١٦٣) .

فهذه الآية نص قاطع في أن جميع الرسل نزل عليهم الوحي من اللّه ولم تفض عليهم العلوم من نور الرسول كما يزعم الصوفية الكذبة .

وقد أخبرنا اللّه عز وجل في كتابه بأن رسولنا محمداً ﷺ ما كان يعرف الكتاب ولا الإيمان قبل أن يوحي اللّه إليه فكيف أخذ الرسل منه العلوم التي أوحيت إليهم وفي هذا يقول اللّه عز وجل : ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾[1] .

ومن هنا نقول ما دام الرسول ﷺ ما كان يدرى الكتاب ولا الإيمان قبل أن يوحي إليه اللّه عز وجل فمن باب أولى أن الرسل لم يأخذوا العلوم التي أوحيت إليهم منه بالإضافة إلى أن الرسل أوحي إليهم قبل أن يخلق الرسول ﷺ ويظهر في الوجود ومن أجل هذا نقول إن دعوى الصوفية بأن الرسل أخذوا العلوم من نوره ﷺ دعوى باطلة تماماً وليس لها أي أساس تعتمد عليه .

٣ ـ الانحراف الثالث الذي وقع فيه المتصوفة هو اعتقادهم بأن الرسول ينفع ويضر من دون اللّه والتوجه إليه بالدعاء والاستغاثة به :

لقد غلا المتصوفة غلواً مفرطاً في الرسول ﷺ حتى رفعوه من مقام العبودية إلى مقام الألوهية فقد توجهوا إليه بأنواع من العبادات التي لا ينبغي صرفها لغير اللّه عز وجل رغم أن الرسول ﷺ حذر من الغلو والإطراء فيه في أحاديث كثيرة وقد نهى اللّه عز وجل عن الغلو فقال تعالى : ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا**

(١) الشورى : (٥٢) .

﴿كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[1] .

وإليك نماذج من كلام المتصوفة الذي يظهر فيه الغلو واضحًا جليًا وتشم منه رائحة الشرك العفنة المنتنة الذي نهى عنه الرسول ﷺ في سنته ونهى اللَّه عنه في كتابه والذي يعتبر أكبر جريمة عصي بها اللَّه عز وجل في هذا الكون على الإطلاق .

فقد قال محمد الفقي في كتابه « التوسل والزيارة » في إحدي قصائده والتي زعم أنها إحدى القصائد التي نظمها في مدح النبي ﷺ متوسلاً به مستغيثًا به وزعم أن الرسول تحدث معه بشأنها ونحن لا نريد إيراد القصيدة كلها هنا وإنما نريد أن نأخذ منها مقتطفات فقط لتكون لنا شواهد على ما نقول :

يقول في تلك القصيدة :

إلى مصدر الأنوار والأنس نهرع ... وفي الساحة العليا نحط ونفزع
حماك ملاذ اللاجئين وقصدهم ... يطوف به وفد وآخر يضرع
ألا يا رسول اللَّه ما لي ملجأ ... سواك أناجيه وجاهك واسع
أناجيك في سري وأدعوك جهرة ... يهيجني وجد وشوق ومطمع
وليس بخاف أنني كنت دائمًا ... أروح بحبي في رضاك وأرجع
وما ذاك إلا أنك الفضل كله ... وأنك غوث للأنام ومفزع
وأنك يوم العرض حصن وموئل ... رؤوف رحيم شافع ومشفع
فيا من عهدناه الوسيلة للورى ... يلبي دعاء المستجير ويسمع
ويا من عهدناه الشفيع إذا دعا ... إلى الموقف الداعي وعم التطلع

---

(١) المائدة : (٧٧) .

سألتك فضلاً يسعف القلب والنهى	يقوم به مثلي ويحيا ويخشع
فجد لي به واعطف فعطفك نعمة	وكل الورى يصبو إليه ويطمع
ألست لنا بعد المهيمن رحمة	وبابًا لعفو اللَّه والكل يقرع
فيا سيدي إني على الباب قائم	أموت وأحيا هواك وأولع[1]

فهذه الأبيات إذا نظرنا إليها نظرة فاحصة سنجد فيها أن الرجل وقع في شرك صريح باللَّه عز وجل حيث صرف للرسول ﷺ عبادات لا ينبغي صرفها لغير اللَّه عز وجل لأن المعبود هو اللَّه سبحانه وتعالى وحده لا شريك له أما غيره فكلهم عبيد له سبحانه يتصرف فيهم كما يشاء ، ففي البيت الأول الرجل صرح بأنه إذا أصيب بأي مصيبة يسرع إلى الرسول ويفزع إليه حتى ينقذه مما أصيب به حسب زعمه وكذلك في البيت الثاني وصف الرسول بأن كل من يطلب شيئًا يتوجه إلى الرسول وأن هناك وفود تطوف بالرسول وطبعًا يقصد قبره ووفود أخرى تتضرع إلى الرسول ، وفي البيت الثالث صرح الرجل بأنه يناجي الرسول في سره ويدعوه علنًا طالبًا منه ما يريده ، وفي البيت الرابع وصف الرسول بأنه يعلم الغيب ويعلم ما فيه من حالة وأنه بذل جهده لإرضاء الرسول ﷺ ، وفي البيت الخامس كما هو واضح وصف الرسول بأنه كل الفضل وأنه مغيث لجميع من في الكون ومفزعهم عند الشدائد ، وفي البيت السادس وصف الرسول بأنه حصن لجميع المخلوقات وموئلهم يوم القيامة ، وفي البيت السابع وصف الرسول بأنه وسيلة جميع الورى وأنه يستجيب دعاء من يدعوه ويسمعهم ، وفي البيت العاشر والحادي عشر صرح الرجل بأن الفضل بيد الرسول وطلب منه أن يجود له به ثم صرح بأن جميع من في هذا الكون يتوجهون إليه ويطمعون

(١) « التوسل والزيارة » لمحمد الفقي (١٣٤) .

في فضله ، وفي البيت الأخير صرح الرجل بأنه قائم على باب الرسول ويعني به طبعًا باب قبره طلبًا للمغفرة والرحمة منه وقضاء جميع ما يحتاجه.

وهكذا غلا المتصوفة في الرسول ﷺ حتى أعطوه أمورًا لا يملكها إلا اللَّه عز وجل حيث تجاوزوا به حدود البشرية وأوصلوه إلى حدود الألوهية والربوبية فتوجهوا إليه بأنواع العبادات رغم أن الرسول ﷺ نهى عن الغلو وحذر منه تحذيرًا شديدًا ، منها حديث : « **لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد اللَّه ورسوله** »[1] ومع ذلك فقد بالغ المتصوفة في تعظيمه ﷺ حتى رأوا أن الطواف بقبره والتمسح بترابه والسجود له من القربات التي يتقرب بها إلى اللَّه عز وجل واعتقدوا أنه ينفع ويضر ويعطي ويمنع وأنه يفرج الكربات وأنه يشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء وهذا غلو منهم ومبالغة ممقوتة تؤدي بصاحبها إلى الشرك والانسلاخ الكامل من الدين إن لم يتب منها .

وقد صرح الرسول ﷺ بأنه لا يملك نفعًا ولا ضرًا كما أمره اللَّه عز وجل في كتابه فقال : ﴿ **قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾[2] .

ففي هذه الآية نفى اللَّه عن رسوله ملك النفع والضر وأنه لو كان يملك ذلك لما أصابه السوء بل لدفعه عنه ومعروف أن الرسول ﷺ قد أصيب في حروبه مع المشركين إصابات كما في غزوة أحد[3] فلو كان يملك تفريج

---

(١) « صحيح البخاري » مع الفتح (٦/ ٤٧٨) .

(٢) الأعراف : (١٨٨) .

(٣) انظر « الروض الأنف » للسهيلي (٥/ ٤٤١) و « السيرة النبوية » لابن حبان (٢٢٣) وفي =

الكربات لفرج عن نفسه ولكنه لا يملك شيئًا من ذلك بل الرسول يدعو اللَّه عز وجل واللَّه يفرج عنه فهو عبد من عباد اللَّه فضله اللَّه بالرسالة وجعله خير ما خلقه اللَّه على الإطلاق ولكن مع ذلك لم يخرج عن كونه عبداً للَّه .

والرسول ﷺ لم يرسله اللَّه إلا للنهي عن الشرك باللَّه والدعوة إلى توحيده فكل من يدعو غير اللَّه يعتبر محاداً للَّه ولرسوله لأنه يريد أن يعيد الشرك الذي وصفه اللَّه بأنه أعظم ظلم وحاربه رسوله ﷺ .

فالمخلوق لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضراً سواءً كان نبيًا أو ملكًا أو وليًا فالكل عبيد اللَّه فالتوجه إليهم بالدعاء والاستغاثة يعتبر شركًا أكبر وقد وصف اللَّه عز وجل من يتوجه إلى غيره بالدعاء بأنه مثل الذي يريد إيصال الماء إلى فيه مع بسط كفيه وهذا تشبيه دقيق ومقنع فكما أن الذي يريد أن يوصل الماء إلى فيه مع بسط كفيه لا يمكن أن يصل إلى فيه ويشرب منه فكذلك الذي يتوجه بالدعاء إلى غير اللَّه لا يمكن أن يحصل على مطلوبه لأن الذي يتوجه إليه بهذا الدعاء لا يملك ما يطلبه منه وفاقد الشيء لا يعطيه وإليك الآية قال تعالى : ﴿**لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ**﴾[1] .

وقد أخبر اللَّه سبحانه وتعالى بأن المدعوين من دونه لا يملكون كشف الضر ولا تحويله عمن يدعوهم فقال تعالى : ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً**﴾[2] .

= « نور اليقين في سيرة سيد المرسلين » (١٣٨) .

(١) الرعد : (١٤) .

(٢) الإسراء : (٥٦) .

وقد أخبر اللَّه عز وجل بأن المشركين دَعوا شركاءهم فلم يستجيبوا لهم حيث قال تعالى : ﴿ **وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ** ﴾[1] .

وقد أخبرنا اللَّه سبحانه وتعالى بأن المدعوين من دونه لا يملكون شيئًا ولو كان شيئًا بسيطًا جدًا كالقطمير فقال تعالى : ﴿ **إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** ﴾[2] .

وبعد أن أوردنا هذه الآيات نقول إن كل من يتوجه إلى غير اللَّه بالدعاء والاستغاثة وطلب قضاء الحوائج سواء كان المدعو ميتًا أو حيًا ولكنه غائب وسواء كان المدعو نبيًا أو ملكًا أو وليًا يعتبر قد وقع في الشرك الأكبر الذي بعث اللَّه الرسل لمحاربته .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في « الرسالة السنية » :

« فإذا كان على عهد النبي ﷺ من انتسب إلى الإسلام ممن مرق منه مع عبادته العظيمة فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة في هذه الأزمان أيضًا قد يمرق وذلك بأسباب : منها الغلو الذي ذمه اللَّه في كتابه حيث قال: ﴿ **يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم** ﴾ وكذلك الغلو في بعض المشايخ بل الغلو في علي بن أبي طالب بل الغلو في المسيح عليه السلام فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعًا من الإلهية مثل أن يقول يا سيدي فلان انصرني أو أغنني أو ارزقني فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن

---

(١) القصص : (٦٤) .

(٢) فاطر : (١٤) .

تاب وإلا قتل فإن اللَّه إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده ولا يدعى معه إله آخر والذين يدعون مع اللَّه آلهة أخرى مثل المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق أو تنزل المطر أو تنبت النبات وإنما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو يعبدون صورهم يقولون : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾[1] . ويقولون : ﴿هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾[2] فبعث اللَّه رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة.

ولهذا نقول أن ما يعتقده المتصوفة تجاه الرسول ﷺ من أنه ينفع ويضر من دون اللَّه وتوجههم إليه بأنواع من العبادات التي لا ينبغي صرفها لغير اللَّه عز وجل يعتبر شركًا أكبر باللَّه عز وجل وقد اتضح لنا جيدًا من خلال النصوص التي سقناها عن المتصوفة أنفسهم أنهم يتوجهون بطلب كل ما يحتاجونه إلى الرسول ﷺ من تفريج كرب أو تحقيق مطلب من المطالب أو جلب منفعة من المنافع مع أن هذه الأشياء لا يقدر عليها إلا اللَّه عز وجل في حياته فكيف بعد مماته والرسول ﷺ قد نفى عن نفسه هذه المهام التي يزعم المتصوفة أنه بإمكانه أن يحققها كما في قوله تعالى : ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3] .

وقال : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[4] .

---

(١) الزمر : (٣) .

(٢) يونس : (١٨) .

(٣) الأعراف : (١٨٨) .

(٤) الكهف : (١١٠) .

فالآيات المتقدمة تكفي للرد على المتصوفة بأن ما يعتقدونه تجاه الرسول ﷺ من أنه ينفع ويضر ويعطي ويمنع ويفرج كرب المكروبين وهم المهمومين ويستجيب لمن دعاه باطل واعتقاد فاسد مخالف تمام المخالفة لما جاء به الرسول ﷺ بل هو شرك محض لا علاقة له بالإسلام دين التوحيد لأن الرسول ﷺ قد صرح بأنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا وقد أخبر بأنه بشر وأن ميزته الوحيدة هي أنه يوحى إليه وأنه أفضل جميع الخليقة ولكن كونه أفضل جميع الخليقة لا يدعونا ذلك إلى أن ندعوه من دون اللَّه ونرفعه إلى درجة الربوبية .

وقد نهى اللَّه عز وجل عن أن يتجه الإنسان بالدعاء إلى غيره فقال تعالى : ﴿ **وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ** ﴿١٠٦﴾ **وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ** ﴾[1] .

إذًا فدعاء غير اللَّه يعتبر شركًا باللَّه وأن المدعو من دون اللَّه ليس بمقدوره النفع والضر وأنه لا يستطيع أن يرفع البلاء ولا أن يرد الخير وقد أخبر اللَّه عز وجل بأن كل من يدعو من دون اللَّه أحدًا من خلقه يعتبر كافرًا باللَّه فقال تعالى : ﴿ **وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ** ﴾[2] .

وهذه الآية نص صريح في أن دعاء غير اللَّه والاستغاثة به شرك أكبر ولهذا قال تعالى : ﴿ **وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ** ﴾[3] .

---

(١) يونس : (١٠٦ ـ ١٠٧) .

(٢) المؤمنون : (١١٧) .

(٣) يونس : (١٠٧) .

لأنه المتفرد بالملك والقهر والعطاء والمنع ولازم ذلك إفراده بتوحيد الألوهية لأنهما متلازمان وإفراده بسؤال كشف الضر وجلب الخير لا يكشف الضر إلا هو ولا يجلب الخير إلا هو قال تعالى : ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1] .

فتعين أن لا يدعى لذلك إلا هو وبطل دعاء من سواه ممن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعًا فضلاً عن غيره وكما قالوا : فاقد الشيء لا يعطيه .

المطلب الثاني

غلوهم في الأولياء

لقد غلا المتصوفة في الأولياء كما غلوا في الرسول ﷺ غلواً شديداً حتى رفعوهم إلى منزلة الأنبياء ولم يقفوا عند هذا بل تجاوزوا بهم منزلة الأنبياء حتى أوصلوهم إلى منزلة الألوهية والربوبية فوقعوا بذلك في عقائد باطلة تصطدم تمامًا مع العقيدة التي جاء بها محمد بن عبد اللّه ﷺ ونحن هنا لا نريد أن نتتبع الانحرافات التي وقع فيها الصوفية تجاه الأولياء فإن هذا له باب خاص في البحث سيأتي[2] وإنما غرضنا هنا هو الإتيان ببعض النماذج لكي نثبت بأن من أهم العوامل التي أدت إلى انحراف المتصوفة هو غلوهم في الأولياء وإليك البرهان على ما نقول :

١ ـ الانحراف الأول : رفع مشايخهم إلى منزلة الألوهية والربوبية :

أولاً : النصوص عنهم من كتبهم :

---

(١) فاطر : (٢) .

(٢) انظر : (٥٠٤ ـ ٦٠٢) .

قال ابن عربي في منزلة القطب :

« القطب هو مركز الدائرة ومحيطها ومرآة الحق عليه مدار العالم له رقائق ممتدة إلى جميع قلوب الخلائق ومنزلة حضرة الإيجاد والصرف فهو الخليفة ومقامه تنفيذ الأمر وتصريف الحكم وحاله الحالة العامية لا يتقيد بحال تخصيص فإنه الستر العام في الوجود وبيده خزائن الوجود والحق له متجلٍ على الدوام وله من البلاد مكة ولو سكن حيث ما سكن بجسمه فإن محله مكة ليس إلا »[1] .

وقال الدسوقي :

ومكنني في سائر الأرض كلها   وفي الجن والأشباح والمردية

وفي أرض صين الصين والشرق كلها   لأقصى بلاد اللَّه تحت ولايتي

ففي هذا النص يتضح لنا جيداً بأن المتصوفة يعتقدون في مشايخهم ما لا يجوز اعتقاده إلا في اللَّه عز وجل حيث اعتقدوا فيه بأنه منفذ للأمور ومصرف للحكم وأن خزائن الوجود كلها بيده .

ولو عرضنا هذه المعتقدات على الكتاب والسنة سنجد بأنها عقائد مخالفة تمامًا لما فيهما .

فاللَّه سبحانه وتعالى قد أخبرنا في كتابه بأن كل الأمور بيده وأن جميع ما في الكون له سبحانه وتعالى لا يشركه فيه أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي من أولياء اللَّه عز وجل .

---

(١) كتاب « الإنسان الكامل والقطب الغوث الفرد من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي» جمع وتأليف محمود محمود العزب بدون ذكر مكان الطبع وتاريخه.

قال تعالى : ﴿قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾[(١)] .

وقال تعالى : ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾[(٢)] .

وقال تعالى : ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[(٣)] .

فهذه الآيات كلها تفيد بأن كل ما في السماوات وما في الأرض للَّه سبحانه وتعالى لأنه المتصرف فيه وحده لا شريك له لأنه هو الذي خلقه وبالتالي فهو الذي يسيره لا يشركه في ذلك أي أحد من مخلوقاته مهما كانت منزلته ولذا نقول : إن زعم الصوفية بأن مشايخهم لهم التصرف في هذا الكون كذب محض لا يعتمد على أي دليل لا عقلي ولا نقلي بل هو زعم يؤدي بصاحبه إلى الشرك في توحيد الربوبية إن لم يتب منه لأن من الواجب للَّه سبحانه وتعالى إفراده في توحيد ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته والقول بأن للمشايخ تصرفًا في هذا الكون يعتبر شركًا في توحيد الربوبية يجب أن يتوبوا منه ويرجعوا إلى اللَّه فيوحدوه حق توحيده .

ولم يكتف الصوفية بهذا بل ادعوا بأن مشائخهم لهم القدرة الكاملة على إجابة كل من استغاث بهم وأنهم يستطيعون تفريج كرب من دعاهم بل بالغوا فيهم حتى زعموا بأنهم باستطاعتهم أن يتحدُّوا اللَّه في قضائه وقدره وإليك الدليل على ما أقول :

فقد ذكر صاحب كتاب « مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني » راويًا عن الرفاعي[(٤)] أنه قال :

---

(١) المؤمنون : (٨٤ ـ ٨٥) .

(٢) المؤمنون : (٨٨ ـ ٨٩).

(٣) الأعراف : (٥٤) .

(٤) هو أحمد بن أبي الحسين الرفاعي نسبة إلى بني رفاعة قبيلة من العرب وسكن أم عبيدة =

« توفي أحد خدام الغوث الأعظم وجاءت زوجته إلى الغوث فتضرعت والتجأت إليه وطلبت حياة زوجها فتوجه الغوث إلى المراقبة فرأى في عالم الباطن أن ملك الموت عليه السلام يصعد إلى السماء ومعه الأرواح المقبوضة في ذلك اليوم فقال : يا ملك الموت قف وأعطني روح خادمي فلان وسماه باسمه فقال ملك الموت : إني أقبض الأرواح بأمر إلهي وأأديها إلى باب عظمته كيف يمكنني أن أعطيك روح الذي قبضته بأمر ربي؟؟ فكرر الغوث عليه إعطاءه روح خادمه إليه فامتنع من إعطائه وفي يده ظرف معنوي كهيئة الزنبيل فيه الأرواح المقبوضة في ذلك اليوم فبقوة المحبوبية جر الزنبيل وأخذه من يده فتفرقت الأرواح ورجعت إلى أبدانها فناجى ملك الموت عليه السلام ربه وقال : يا ربي أنت أعلم بما جرى بيني وبين محبوبك ووليك عبد القادر فبقوة السلطنة والصولة أخذ مني ما قبضته من الأرواح في هذا اليوم فخاطبه الحق جل جلاله : يا ملك الموت إن الغوث الأعظم محبوبي ومطلوبي لم لا أعطيته روح خادمه وقد راحت الأرواح الكثيرة من قبضتك بسبب روح واحد فتندم هذا الوقت »[1] .

وذكر أحد الصوفية بأن الشيخ محمد صديق وقع في البحر ولم يكن يعرف السباحة فكاد أن يغرق فناداه ـ أي عبد القادر ـ مستغيثًا به فحضر وأخذ بيده وأنقذه من الغرق .

= بأرض البطائح إلى أن مات بها عام (٥٧٠هـ) وكانت انتهت إليه الرياسة في علوم الطريق وشرح أحوال القوم وكشف مشكلات منازلهم وبه عرف الأمر بتربية المريدين بالبطائح وإليه تنتسب الطريقة الرفاعية . انظر ترجمته في « الطبقات الكبرى » للشعراني (١/ ١٤٠) .

(١) كتاب « تفريج الخاطر في مناقب تاج الأولياء وبرهان الأصفياء الشيخ عبد القادر الجيلاني » (ص١٧) .

وحكى في نفس الصفحة أنه كان جالسًا يومًا مع أصحابه في رباطه إذ ابتلت يده الشريفة وكمه إلى إبطه فعجبوا من ذلك وسألوه عنه فقال رضي اللَّه عنه : استغاث بي رجل من المريدين تاجرًا كان راكبًا في السفينة وقد كادت أن تغرق فخلصتها من الغرق فابتل لذلك كمي ويدى فوصل هذا التاجر بعد مدة وحدث بهذا الأمر كما أخبر الشيخ رضي اللَّه عنه »[1] .

فلو نظرنا في النصوص المتقدمة نلاحظ بأن الصوفية يجيزون الالتجاء إلى المخلوق والاستغاثة به ويقولون بأن بإمكان الولي أن يعلم بكل ما في هذا الكون وهو جالس في مكانه وأن باستطاعته تغيير القدر الذي قدره اللَّه في الأزل وأنه يسمع كل من ناداه واستغاث به ويفرج عنه كربه ولو عرضنا هذه الاعتقادات كلها على الكتاب و السنة سنجدها تصطدم تمامًا مع ما فيهما من الاعتقادات التي أمرنا اللَّه سبحانه وتعالى أن نعتقدها .

ولنبدأ أولاً بمناقشة موضوع الاستغاثة بغير اللَّه والالتجاء إلى غيره بإيجاز شديد جدًا.

فالصوفية كما اتضح لنا في النصوص السابقة التي نقلناها عنهم يجوزون الاستغاثة بغير اللَّه والالتجاء إلى غيره عند الشدائد والملمات مع أن الاستغاثة تعتبر عبادة لأن الاستغاثة هي طلب الغوث وهي بمعنى الدعاء وإذا كان الأمر كذلك فلا يجوز الاستغاثة بغير اللَّه لأنها عبادة لا يجوز صرفها لغير اللَّه سبحانه وتعالى بل يجب أن يعبد اللَّه وحده ولا يشرك معه أحد غيره في عبادته سبحانه وتعالى وبما أن المخلوق ليس لديه القدرة على إغاثة من استغاث به فلا يجوز التوجه إليه بالدعاء وطلب الإغاثة إذا كان غائبًا

---

(١) « المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية » لمحمد أمين الكردي (ص٢١٠) .

أو ميتًا أما إذا كان حاضراً فيجوز طلب الإغاثة منه فيما يقدر عليه فقط وادعاء الصوفية بأن مشائخهم بإمكانهم إغاثة من استغاث بهم بعد مماتهم أو في حياتهم حال غيابهم يعتبر كذبًا محضًا وافتراءً على اللَّه بغير علم ولا هدى ولا كتاب مبين لأن المغيث هو اللَّه وحده لا شريك له أما من عداه فلا يستطيع أن يغيث أحدًا وقد أخبرنا اللَّه سبحانه وتعالى على أن أي مدعو من دونه لا يملك كشف ضر عن أحد أو تحويله عنه فقال تعالى : ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً**﴾[1] .

وقد أخبرنا اللَّه سبحانه وتعالى بأن المشركين دعوا شركاءهم فلم يستجيبوا لهم فقال تعالى : ﴿**وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ**﴾[2] .

وقد أخبرنا اللَّه سبحانه وتعالى بأن أي مدعو من دونه لا يملك شيئًا ولو كان صغير الحجم قليل القيمة أو فاقد القيمة فقال تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**﴾[3] .

فهذه النصوص القرآنية التي أوردتها تفيد بأن المدعو من دون اللَّه سبحانه وتعالى لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا فضلاً عن غيره فلذا لا يجوز دعاء غير اللَّه عز وجل وكل من خالف هذه النصوص ودعا غير اللَّه عز وجل يعتبر وقع في الشرك الأكبر والذي يعتبر أكبر ظلم عصي به اللَّه عز وجل على الإطلاق وقد نهى اللَّه عز وجل في كتابه عن دعاء غيره فقال تعالى :

---

(١) الإسراء : (٥٦) .

(٢) القصص : (٦٤) .

(٣) فاطر : (١٣ ـ ١٤) .

﴿وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[3] .

واللَّه عز وجل لم ينهنا عن دعاء غيره ويتركنا هكذا حيارى بل أمرنا أن ندعوه وحده ولا نشرك معه أحدًا غيره لا ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلاً ولا وليًا فقال تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[5] .

إلى غير ذلك من الآيات التي تحثنا كلها على دعاء اللَّه سبحانه وتعالى والالتجاء إليه والاستغاثة به عند الشدائد .

وفي الحديث : « **ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ثم يقول : من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له** »[6] .

---

(١) يونس : (١٠٦) .

(٢) القصص : (٨٨) .

(٣) الجن : (١٨) .

(٤) البقرة : (١٨٦) .

(٥) غافر : (٦٠) .

(٦) « صحيح مسلم » تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (١/ ٥٢١) .

وفي حديث آخر : قال الرسول ﷺ : « **الدعاء هو العبادة** »[1]

وفي حديث آخر : قال الرسول ﷺ : « **الدعاء مخ العبادة** »[2] .

وأما ادعاء الصوفية بأن أحد مشايخهم نظر إلى ملك الموت وهو يصعد بالأرواح في زنبيل ثم أخذها منه ورجعت الأرواح إلى أصحابها وأن أحد مشائخهم أنقذ سفينة من الغرق وهو جالس في مكانه بالإضافة إلى إنقاذ إنسان آخر استغاث به فهذه كلها ادعاءات كاذبة مبنية على الكذب المحض لا أساس لها من الصحة ولا يمكن أن يقبلها إنسان به أقل شيء من العقل السليم من التأثر بالخرافات الصوفية وأوهامهم الفاسدة ولذا لا نريد أن نطول في الرد عليها بل نقول بإيجاز شديد إن علم الغيب مختص باللّه سبحانه وتعالى ولا يمكن لأحد أن يعلم الغيب كائنًا من كان .

كما قال تعالى : ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا** ﴾[3] .

ومشائخ الصوفية ليسوا أنبياءً ولا رسلاً حتي يدعي أتباعهم بأنهم يوحى إليهم عن اللّه ولذا نقول بأن ادعاء الصوفية بأن مشائخهم يشاهدون ما في هذا الكون وهم جالسون في مكانهم لا أساس له من الصحة بل محض دجل وافتراء متعمد لتضليل العوام بتهويل قدر مشائخ الصوفية في أعينهم حتى يصرفوهم عن عبادة اللّه الواحد القهار إلى عبادة القبور والأحجار.

وأما زعم هذا الصوفي بأن أحد مشائخ الصوفية أخذ الأرواح من ملك

---

(١) « سنن الترمذي » (٥/٤٢٦) .

(٢) « سنن الترمذي » (٥/٤٢٥) .

(٣) الجن : (٢٦ ـ ٢٧)

الموت وردها إلى أصحابها فهذا يجر الصوفية إلى الاعتقاد بأن أحدًا ما من المخلوقات باستطاعته منازعة اللَّه في قضائه وقدره وذلك لأن من المعلوم والواجب اعتقاده بأن كل شيء يقع في هذا الكون يكون بقضاء اللَّه وقدره وأن اللَّه سبحانه وتعالى قد حدد الآجال والأرزاق فكل ميت لا يمكن أن يموت قبل اليوم الذي قدره اللَّه له ولا يمكن أن يحيا كذلك بعدها ولو لحظة ومن الأدلة في هذا المجال الآيات التالية :

قوله تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[(١)] .

وقوله تعالى : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾[(٢)] .

وقوله تعالى : ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[(٣)] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[(٤)] .

وقوله تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[(٥)] .

ولهذا نقول إن زعم هذا الصوفي بأن شيخه أخذ الأرواح وردها إلى أصحابها ليس بصحيح وإنما هو كذب وافتراء على اللَّه ويلزم أصحاب هذا القول الاعتقاد بأن المخلوق يستطيع أن يغالب اللَّه في قضائه وقدره وهذا يعتبر شركًا في توحيد الربوبية وذلك لأن من أقسام التوحيد هو إفراد اللَّه في

---

(١) القمر : (٤٩) .

(٢) الفرقان : (٢)

(٣) الحديد : (٢٢) .

(٤) نوح : (٤) .

(٥) الأعراف : (٣٤) .

ربوبيته واللَّه سبحانه وتعالى قد قدر كل الأشياء قبل أن يظهرها لنا ومما يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[1] .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾[2] .

والمعنى : أي على أمر قد علم في سابق علم اللَّه سبحانه وتحتم وقوعه فوقع كما قدره اللَّه سبحانه وتعالى .

ومنها قوله تعالى : ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾[3] .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾[4] .

ولهذا نقول إن الإيمان بقضاء اللَّه وقدره أمر واجب على كل مسلم ومعنى الإيمان بقضاء اللَّه وقدره هو أن نؤمن بأن اللَّه سبحانه وتعالى قد قدر كل ما يقع في هذا الكون وقضاه وكل شيء قدره اللَّه لابد وأن يقع ولا يمكن لأحد كائن من كان أن يغير شيئًا مما قدره اللَّه سبحانه وعلى هذا تصبح دعوى الصوفية بأن الشيخ نزع الأرواح من ملك الموت ورجعت إلى أصحابها كذب وافتراء بحت وذلك لأن اللَّه سبحانه قد قدر بأن هذه الأرواح ستموت في هذا اليوم وما دام قدر اللَّه أن تموت في هذا الوقت فلا يمكن أن تعود هذه الأرواح إلى أصحابها إلا إذا قال الصوفية بأنهم يؤمنون بأن مشائخهم باستطاعتهم أن ينازعوا اللَّه في قضائه وقدره والتصرف في هذا

---

(١) الحديد : (٢٢) .

(٢) القمر : (١٢) .

(٣) النمل : (٥٧) .

(٤) الأحزاب : (٣٨) .

الكون وإذا قالوا بهذا فإنهم قد وقعوا في الشرك باللَّه في توحيد ربوبيته لأن من الأمور الواجب اعتقادها تجاه اللَّه سبحانه وتعالى هو الإيمان بأن كل ما في هذا الكون تحت تصرفه سبحانه وتعالى لا يشركه فيه أحد ولا يستطيع أحد أن ينازعه مهما كانت مكانته لا نبيًا مرسلاً ولا ملكًا مقربًا ولا وليًا لأن الكل عبيد للَّه سبحانه وتعالى يتصرف فيهم كما يشاء .

٢ ـ الانحراف الثاني الذي وقع فيه الصوفية بسبب غلوهم في مشائخهم هو الادعاء بأن لهم علومًا خاصة يتلقونها عن اللَّه وعن رسوله مباشرة:

لقد وصل الغلو بالصوفية إلى أن ادعوا بأن لمشائخهم علومًا خاصة يتلقونها عن اللَّه مباشرة تختلف تمامًا مع العلوم التي جاء بها رسول اللَّه ﷺ من ربه وادعوا أيضًا بأنهم يتلقون علومًا خاصة بهم عن رسول اللَّه ﷺ وهم يسمون هذه العلوم علوم الخاصة أي علومًا يختصون بها هم دون سائر الأمة الإسلامية وإليك الأدلة من بطون كتبهم :

قال صاحب « الرماح » الذي بهامش « جواهر المعاني »[1] في الفصل الثاني والعشرين :

« إنهم لا ينطقون إلا بما يشاهدون ويأخذون عن اللَّه ورسوله الأحكام الخاصة للخاصة لا مدخل فيها للعامة لأنه ﷺ كان يلقي إلى أمته الأمر الخاص. . . » .

ثم قال : « إن الكامل منهم ينزل عليه الملك بالأمر والنهي »[2] .

---

(١) هو علي بن برادة من أتباع الطريقة التيجانية المشهورة ومن غلاتهم له كتاب « جواهر المعاني » في التصوف .

(٢) « الرماح بهامش جواهر المعاني » (١/ ١٥٦) .

ونقل الشعراني عن ابن عربي أنه قال :

« حدثني قلبي عن ربي أو حدثني ربي عن قلبي أو حدثني ربي عن نفسه بارتفاع الوسائط »[1] .

فالنصان السابقان يدلان دلالة واضحة على أن الصوفية يؤمنون بأن مشائخهم يتلقون علومًا خاصة بهم عن اللَّه مباشرة .

والرد عليهم بإيجاز : إن ادعاءهم هذا يؤدي بهم إلى القول بعدم ختم النبوة وبقاء بابها مفتوحًا لكل من يدعي التلقي عن اللَّه وهذا يعتبر انحرافًا عقديًا خطيراً وذلك لأن عقيدة ختم النبوة تعتبر من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة يعرفها العامي فضلاً عن العالم وقد وردت نصوص قرآنية وأحاديث نبوية تدل دلالة قاطعة على ختم النبوة فمن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى : ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً** ﴾[2] .

ومن الأحاديث الدالة على أن النبوة قد ختمت قوله ﷺ : « **لا نبي بعدي** »[3] .

فالآية والحديث السابقان يدلان دلالة واضحة على أن النبوة قد ختمت بالرسول محمد ﷺ وذلك لأن اللَّه سبحانه وتعالى قد أخبرنا بأن محمداً بن عبد اللَّه عليه أفضل الصلاة والسلام خاتم النبيين ونفى الرسول ﷺ أن يكون نبيٌّ بعده .

---

(١) « لطائف المنن » للشعراني (١/ ١٤٥) .

(٢) الأحزاب : (٤٠) .

(٣) « صحيح مسلم » مع النووي (١٢/ ٢٣١) .

فكل من يدعي بأنه تنزل عليه علوم من اللّٰه سبحانه وتعالى بعد هذا الدليل القاطع يعتبر دجالاً مفتريًا على اللّٰه يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا فيجب أن تقطع عنقه حتى لا يفتن المسلمين في دينهم وذلك لأن ادعاء التلقي عن اللّٰه يؤدى إلى الإتيان بأحكام وعقائد جديدة تختلف مع العقيدة والشريعة التي أتى بها محمد بن عبد اللّٰه عليه الصلاة والسلام من ربه وإذا اعترض عليه أي معترض يستطيع أن يقول بكل سهولة أنه تلقاه عن اللّٰه تعالى كما يزعم الصوفية ذلك وهذا يعتبر هدمًا وتقويضًا للعقيدة والشريعة الإسلامية والقضاء عليها نهائيًا.

٣ ـ الانحراف الثالث الذي وقع فيه الصوفية بسبب غلوهم في المشائخ : هو الادعاء بأن لهم الاطلاع على الغيب :

لقد وصل غلو الصوفية في مشائخهم إلى أن زعموا بأنهم يعلمون الغيب حيث ادعوا بأن الأولياء يعلمون الأشياء المكتوبة على أوراق الشجر والماء والهواء وكل ما في البر والبحر وما في السماء وكل ما يقع للإنس والجن في حياتهم وبعد مماتهم وأنهم يسمعون كل من ناداهم من قريب أو بعيد فيقضون له طلبه وإليك الأدلة على هذا من بطون كتبهم :

فقد قال إبراهيم الدسوقي[1] في معرض حديثه عن خصائص العارف باللّٰه عندهم :

« وكذلك لهم الاطلاع على ما هو مكتوب على أوراق الشجر والماء

(١) هو إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن الدسوقي الصوفي ولد سنة (٨٣٣هـ) ولبس خرقة التصوف من شهاب الدين ولقنه الذكر أبو العباس المرسي (ت٦٧٦هـ) .
انظر « الكواكب السائرة » (١/ ١٠٠) .

والهواء وما في البر والبحر وما هو مكتوب على صفحة قبة خيمة السماء وما في حياة الإنس والجان مما يقع لهم في الدنيا والآخرة ولا يحجب من حكيم يتلقى علمًا من حكيم عليم »[1] .

وحكى أحد الصوفية عن أحد الصوفية أنه وقع في البحر ولم يكن يعرف السباحة فكاد أن يغرق فناداه مستغيثًا به فحضر وأخذ بيده وأنقذه من الغرق[2] .

فالنصان السابقان يدلان بأن الصوفية يعتقدون بأن مشائخهم يعلمون الغيب ويفرجون كرب كل من استغاث بهم ودعاهم .

والذي نريد أن نناقشه هنا هو مسألة علم الغيب وهل يمكن للمخلوق أن يعلمه أم أن علم الغيب مختص باللَّه سبحانه وتعالى .

فلو نظرنا في كتاب اللَّه عز وجل سنجد فيه آيات كثيرة وكلها تتحدث في اختصاص اللَّه تعالى بعلم الغيب وليس بإمكاننا الأن أن نذكر كل الآيات التي تتحدث في هذا المجال وإنما نريد أن نذكر آية واحدة مع إيراد بعض أقوال المفسرين فيها وهي بالفعل كافية ومقنعة في هذا المجال لمن يبحث عن الحق ويريد الوصول إليه أما المعاند المكابر فلا يمكن أن يقتنع مهما أتينا له بالآيات .

والآية التي نريد أن نستدل بها على أن علم الغيب خاص باللَّه تعالى وأنه لا يمكن لأحد أن يطلع على الغيب إطلاقًا باستثناء الرسل عليهم الصلاة

---

(١) « جمهرة الأولياء » للمنوفي (٢/ ٢٤٢) .

(٢) « المواهب السرمدية » لمحمد أمين الكردي (ص٢١٠) مطبعة السعادة مصر ط ١ (١٣٢٩هـ) .

والسلام فإن اللّه سبحانه وتعالى يطلعهم على بعض غيبه تأييداً لهم حتى يكون ذلك مساعداً لهم لإقناع أقوامهم بما يدعونهم إليه هي قوله تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾[1] .

وإليك أقوال بعض المفسرين الأعلام في هذه الأمة حتى نستطيع التوصل إلى الحكم الصحيح في كل من يدعي علم الغيب :

فقد قال القرطبي :

« والغيب ما غاب عن العباد فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يظهره على ما يشاء من غيبه لأن الرسل مؤيدون بالمعجزات ومنها الإخبار عن بعض الغائبات. . . » .

ثم قال : « والأولى أن يكون المعنى: أي لا يظهر على غيبه إلا من ارتضى أي اصطفى للنبوة فإنه يطلعه على ما يشاء من غيبه ليكون ذلك دالاً على نبوته »[2] .

ثم قال القرطبي :

« قال العلماء رحمة اللّه عليهم : لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتب ويزاجر الطير ممن ارتضاه من رسول

(١) الجن : (٢٦ ـ ٢٨) .

(٢) « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبي (١٩/ ٢٧) .

فيطلعه على ما يشاء من غيبه بل هو كافر باللَّه مفتر عليه بحدسه وتخمينه »[1].

وقال ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية في المجلد الثاني عشر :

« يعني بعالم الغيب عالم ما غاب عن أبصار خلقه فلم يروه فلا يظهر على غيبه أحداً فيعلمه أو يريه إياه ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ فإنه يظهره على ما يشاء من ذلك ».

ونقل عن ابن عباس أنه قال في تفسيرها :

« أعلم اللَّه سبحانه الرسل من الغيب الوحي وأظهرهم عليه بما أوحى إليهم من غيبه وما يحكم اللَّه فإنه لا يعلم ذلك غيره » .

ونقل عن قتادة أنه قال في تفسير هذه الآية :

« فإنه يصطفيهم ويطلعهم على ما يشاء من الغيب » .

ونقل عن ابن جرير أنه قال في تفسيرها :

« ينزل من غيبه ما شاء على الأنبياء أنزل على رسول اللَّه الغيب القرآن قال : وحدثنا فيه بالغيب بما يكون يوم القيامة »[2] .

وقال عبد الرحمن بن ناصر السعدي في كتابه « تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن » :

« فلا يظهر على غيبه أحداً من الخلق بل انفرد بعلم الضمائر والأسرار والغيوب ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ أي فإنه يخبره بما اقتضت حكمته أن

---

(١) « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبي (١٩/٢٨) .

(٢) « تفسير ابن جرير الطبري » (٢٩/٧٦).

يخبره به وذلك لأن الرسل ليسوا كغيرهم فإن اللَّه أيدهم بتأييد ما أيده أحدًا من الخلق وحفظ ما أوحاه إليهم حتى يبلغوه على حقيقته من غير أن تقربه الشياطين فيزيدوا فيه أو ينقصوا منه »[1] .

فالأقوال التي أوردتها عن هؤلاء العلماء الأجلاء الذين سبق ذكرهم كلها اتفقت على نفي علم الغيب على جميع ما في هذا الكون ومن هنا نقول إن باب علم الغيب مسدود نهائيًا وكل من يحاول أن يعلم الغيب إنما يسعى لكي يضله اللَّه عز وجل وإلا فما الداعي لإنسان يؤمن بأن القرآن كلام اللَّه أن يسعى للاطلاع على علم الغيب بعد أن أخبر اللَّه عز وجل في كتابه بأن الغيب خاص به سبحانه وأنه لا يطلع عليه أحدًا إلا رسله فإنه يطلعهم على جزء من غيبه حتى يكون لهم معجزة فيساعدهم في إيمان أقوامهم أو إقناعهم وحتى الوحي الذي يوحيه إليهم يعتبر غيبًا وقد قال بعض المفسرين بهذا كما سبق .

والخلاصة أن غلو المتصوفة في مشائخهم واعتقادهم بأنهم يعلمون الغيب يعتبر اعتقادًا فاسدًا وأن الواجب عليهم التراجع عن هذا الغلو الذي صار سببًا في ضلالهم كما ضل بسببه كثير ممن كان قبلهم من الأمم الماضية ومعروف أن أول شرك حصل في الأرض كان سببه الغلو في رجال صالحين.

* * *

---

(١) « تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن » (٨/ ١٨٢) المطبعة السلفية مصر (١٣٧٧هـ).

المبحث الرابع

تأثرهم بالفكر اليوناني الوثني

إن من أهم العوامل التي أدت إلى انحراف الصوفية هو تأثرهم بالفكر اليوناني الوثني .

ومما يدل على تأثر المتصوفة بأفكار الفلاسفة اليونانيين كأفلاطون وأرسطو طاليس ثناء كبار المتصوفة على هؤلاء الفلاسفة وتمجيدهم ووصفهم بالطهر والثناء على طريقتهم بوصفهم لها بأنها من أحسن الطرق التي ينبغي اتباعها لتطهير النفوس وصفائها .

وإلى جانب ذلك فقد أثبت المفكرون الإسلاميون الذين كتبوا عن التصوف تأثر المتصوفة بالفكر اليوناني في قضايا اعتقادية وسلوكية كثيرة وبما أنه يصعب حصر هذه الأشياء التي أخذها المتصوفة عن اليونانيين سأكتفي بذكر نماذج فقط لأن المقصود هو الإثبات بأن من أهم العوامل التي أدت إلى انحراف المتصوفة هو تأثرهم بالفكر اليوناني وليس المقصود حصر الأمور التي يلتقي فيها المتصوفة مع فلاسفة اليونان فإن هذا يحتاج إلى رسالة مستقلة وإليك بيان هذا فيما يلي :

أولاً : أقوال كبار أئمة التصوف التي تدل على تأثرهم بفلاسفة اليونان وإعجابهم بهم :

فمن المتصوفة الذين ذكروا إعجابهم بفلاسفة اليونان عبد الكريم

الجيلي[1] فقد قال في كتابه « الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر » في الجزء الثاني منه كلامًا يدل دلالة صريحة وواضحة على حبه العميق لموجدي الفلسفة اليونانية وإعجابه بهم وإليك نص كلامه الذي يدل على ما قلناه :

فقد قال : « ولقد اجتمعت بأفلاطون الذي يعدونه أهل الظاهر كافراً فرأيته وقد ملأ العالم الغيبي نوراً وبهجة ورأيت له مكانة لم أرها إلا لآحاد من الأولياء فقلت له : من أنت ؟ قال : قطب الزمان وواحد الأوان ولكم رأينا من عجائب وغرائب مثل هذا ليس من شرطها أن تغشى وقد رمزنا لك في هذا الباب أسراراً كثيرة ما كان يسعنا أن نتكلم فيها بغير هذا اللسان فالق القشرة من الخطاب وخذ اللب إن كنت من أولي الألباب »[2] .

وقد ذكر في مكان آخر من كتابه بأن أرسطو تلميذ أفلاطون لزم خدمة الخضر واستفاد منه علومًا جمة وكان من تلامذته[3] .

قلت : ادعاء عبد الكريم الجيلي بأن أفلاطون التقى بالخضر كذب محض وليس بصحيح لأن أفلاطون رجل وثني كافر والخضر نبي من أنبياء اللّه على القول الراجح ولأن الخضر قد مات أيضًا على القول الراجح كما سنبينه في الباب الثالث من هذه الرسالة[4] .

---

(١) عبد الكريم الجيلي هو : عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي بن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني من كبار علماء الصوفية وله كتب كثيرة منها « الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل في اصطلاحات الصوفية » و« المناظر الإلهية » و« مراتب الوجود » و« قاب قوسين وملتقى الناموسين » انظر الأعلام للزركلي (٤/ ٢٧٥) .

(٢) « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي (٢/ ٥٢ ـ ٥٣) .

(٣) « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي (٢/ ١١٧) .

(٤) انظر (٤١٥ ـ ٥٠٤) .

وهل عبد الكريم الجيلي يدعي مثل هذا الادعاء لكي يبرر الأخذ من الوثنيين اليونانيين وينشر عقائدهم في أوساط المسلمين لو لم يكن معجبًا بهم.

ومن المتصوفة الذين مدحوا الفلاسفة اليونانيين لسان الدين الخطيب[1] فقد نقل عن أرسطو أنه قال :

« إني ربما خلوت بنفسي كثيراً وجعلت بدني جانبًا وصرت كأني مجرد بلا بدن عري من الملابس الطبيعية فأكون داخلاً في ذاتي خارجًا من سائر الأشياء فأرى في ذاتي من الحسن السناء والبهاء والضياء والمحاسن العجيبة والمناظر الأنيقة ما أبقى له متعجبًا متحيراً باهتًا فأعلم أني جزء من أجزاء العالم الأعلى الشريف فلما أيقنت بذلك رقيت بذهني إلى العلة الإلهية المحيطة بالكل فصرت كأني موضوع متعلق بها فأكون فوق العالم كله فرآنى كأني واقف في ذلك الموقف الشريف المقدس الإلهي فأرى هنالك من النور والبهاء والبهجة والسناء ما لا تقدر الألسن على صفته والأسماع على نعته ولا الأوهام أن تحيط به فإذا استغرقني ذلك النور والبهاء لم أطق على احتماله ولا الصبر عليه فارتددت عاجزاً عن النظر إليه وهبطت من العقل إلى الفكر والروية فإذا صرت في عالم الفكر والروية حجبت الفكرة عن ذلك النور والبهاء وحالت بيني وبينه الأوهام فأبقى متعجبًا كيف انحدرت من ذلك الموضع الشاهق العالي الإلهي وصرت سفلاً في موضع الفكر والضيقة بعد أن قويت نفسي على التخلف عن بدنها والرجوع إلى ذاتها والترقي إلى العالم العقلي ثم العالم الإلهي مع العقول فوق العوالم كلها حتى صرت في موضع

---

(١) هو محمد بن عبد بن سعيد المعروف بلسان الدين الخطيب وينسب إلى سلمان وهو حي من مراد من عرب اليمن انتقل إلى الشام ثم هاجر إلى الأندلس واستقر في غرناطة وقد مات قتيلاً بسبب كتابه « روضة التعريف بالحب الشريف » وذلك لما يحتويه من أباطيل ومنكرات عظيمة .

انظر ترجمته في « الإحاطة » (٤/ ٤٣٩) .

البهاء والنور والسناء متجلية الذي هو علة كل نور وبهاء وسبب كل دوام وبقاء ومن العجيب أني كنت قد رأيت نفسي ممتلئة نوراً وهي في البدن كهيأتها والبدن ومعها وهي خارجة عنه على أني لما أطلت الفكر ومحضت الروية وأجلت الآي وصرت كالمتحير المبهوت تذكرت الفلطنوس فإنه أمر بالطلب والبحث عن جوهر النفس الشريفة والحرص على الصعود إلى ذلك العالم الأعلى ولحق بالجواهر الإلهية والأسباب الكلية يجزي أحسن الجزاء اضطراراً فلا ينبغي لأحد أن يفتر عن الطلب والحرص والجد في الارتقاء إلى ذلك العالم وإن تعب وكد ونصب فإن أمامه الراحة التي لا تعب بعدها في حياة دائمة وعيشة راضية ولذات باقية لا يتناهى أمدها ولا يقطع مددها مخلوقة للإنسان كلها والإنسان مخلوق لها أليس عجزاً أن تمر ساعة من عمره في غير ما خلق من ذلك أليس من فرط في السعي لذلك ظالم لنفسه ومهلكًا ذاته وفاعلاً بجوهرته النفسية ما لم يفعل به أعدى عدو له فيندم حين لا ينفعه الندم » .

ثم علق لسان الدين الخطيب على كلام أرسطو هذا بما يلي :

فقال : « وبيان هذه السعادة من تعرض له فقد تعاطى ما لا تستقل به نفس ولا تطمع فيه قوة إنسانية . . . وسبيل السعادة عندهم الرياضة وعلاج الأخلاق حتى يصير شبيها بالخير المحض وهو المبدأ أو تلطيف السر وأن يصرف عن النفس شواغل الجسم ويترقى في معارج المحبة والشوق إلى ذلك الكمال بالفكرة حتى تحس النفس بانجذابها إلى عالمها وتفيض عليها عجائبه وقد أخبر هؤلاء الإلهيون عن أنفسهم بما ذكرنا آنفًا من أنهم نزعوا جلابيب الجسمانية في هذا العالم وترقوا إلى العالم العلوي فأبصروا من نوره ولذاته أموراً مذهلة ثم عادوا إلى عالم الحس ورمزوا ذلك في كتبهم حسبما نقل سقراط الدنان ومعلم الخير أفلاطون وإمام المشائين أرسطو »[1] .

---

(١) « روضة التعريف بالحب الشريف » للسان الدين الخطيب (٥٥٩ ـ ٥٦٠) .

إذا نظرنا في كلام لسان الدين الخطيب نرى أنه قد صرح بإعجابه بهذه الطريقة التي يسلكها فلاسفة اليونان لتربية النفس ومما يدل على هذا وصفه للفيلسوف اليوناني الوثني أفلاطون بأنه معلم الخير ووصفه لأرسطو بالإمام ومن هنا نفهم بأن أقطاب التصوف كانوا معجبيين بآراء فلاسفة اليونان وقد تأثروا بهم بالفعل تأثراً كبيراً.

ومن المتصوفة الذين أكدوا تأثر بعض الصوفية بالأفكار اليونانية المنوفي الصوفي المعاصر المصري[1] فقد قال :

« وأما وحدة الوجود الحلولية التي تجعل من اللَّه شيئًا كائنًا يحل في مخلوقاته أو الاتحادية بالمعنى المفهوم خطأ .

تلك تجعل من الكائن الفاني شخصية تتحد بالوجود الدائم الباقي المنزه عن سائر النسب والإضافات والأحياز الزمانية والمكانية المحدثة أو يتحد به شيء منها فإنها مذهب هندي أو مسيحي وليس بإسلامي ولا يعرفه الإسلام استمده أهل الشذوذ في التصوف الإسلامي من الفلسفة البائدة وغذوا به مذهبهم الشاذ بفكر أفلاطونية وآراء بوذية وفارسية عن طريق الفارابي وابن سينا وأن المتتبع لحياة الحلاج ومؤلفات السهروردي وابن عربي يرى أنهم تأثروا بالمتفلسفة المسلمين الذين أخذوا عن الفلسفة الأفلاطونية القديمة والأفلاطونية الحديثة والأرسطوطالسية »[2] .

إذا نظرنا في كلام المنوفي نرى أنه صرح بأن المتصوفة تأثروا فعلاً بفلاسفة اليونان وأنهم أتوا بتلك العقائد الإلحادية التي توجد في التصوف من

---

(١) هو أبو الفيض محمود المنوفي من كبار الصوفية المعاصرين وله كتب كثيرة في التصوف منها « جمهرة الأولياء » و« بداية الطريق » .

(٢) « جمهرة الأولياء » للمنوفي (١/ ٢٩٢) .

أولئك الفلاسفة اليونانيين الوثنيين ومع أن المنوفي صوفي إلا أنه لم يستطع أن ينكر تأثر المتصوفة بفلاسفة اليونان وهذا في الحقيقة دليل قاطع ومخرس لكل من ينكر تأثر المتصوفة بأفكار فلاسفة اليونان الوثنيين.

وقال المنوفي في مكان آخر في معرض حديثه عن تأثر غلاة المتصوفة بفلاسفة اليونان :

« فكان بعضهم يعلن أنه اطلع على الغيب وأن في مقدوره الإتيان بخوارق العادات ثم يذهب إلى ما هو أبعد من هذا مثل قولة الحلاج المشهورة : « ما في الجبة غير اللَّه » وغيره « أنا الحق » .

وبمثل هذا وذاك ثار على الحلاج معاصروه ورموه بالسحر تارة والجنون أخرى وعذب عذابًا أليمًا إلى أن مات في أوائل القرن الرابع واللَّه أعلم بحاله وكان من أمثال الحلاج من بالغوا مبالغة قلت أم كثرت كشهاب الدين عمر السهروردي المقتول[١] ورئيس جماعة الإشراقيين ومحيي الدين بن عربي الأندلسي وابن سبعين السقلي وهم من رجال القرنين السادس والسابع وتابعهم جماعة من شعراء الفرس وأمثال جلال الدين الرومي وفريد الدين العطار وكلهم يرمي إلى أن يقيم التصوف الإسلامي على دعائم فلسفية أو فارسية وهندية أو يونانية »[٢] .

ثانيًا : الكُتَّاب الذين كتبوا عن التصوف وأثبتوا تأثرهم بالفكر اليوناني الوثني :

---

(١) هو عمر بن محمد بن عبد اللَّه أبو حفص شهاب الدين القرشي البكري السهروردي من كبار الصوفية كان شيخ الشيوخ ببغداد وله كتب كثيرة في التصوف منها « عوارف المعارف » و« جذب القلوب إلى مواصلة المحبوب » توفي (٦٣٢هـ) انظر « الأعلام » للزركلي (٥/ ٢٢٣) .

(٢) « جمهرة الأولياء » للمنوفي (١/ ٢٧٦) .

لقد أثبت كثير من الكتاب الذين كتبوا في الفكر الصوفي تأثر المتصوفة إلى حد بعيد بفلاسفة الفكر اليوناني الوثني ومن هؤلاء الكتاب الذين كتبوا عن تاريخ التصوف الدكتور عبد الرحمن بدوي حيث قال في معرض حديثه عن الأثر اليوناني في التصوف تحت عنوان « التأثير اليوناني في التصوف » :

« وأهم نص في هذا الباب هو كتاب « أرثولوجية أرسطو طاليس » وهو كما تعلم فصول ومقتطفات منتزعة من التساعات الأفلاطونية وفيه نظرية الفيض[١] والواحد التي ستلعب دوراً خطيراً في التصوف الإسلامي خصوصًا عند السهروردي المقتول وابن عربي وفيه أيضًا نظرية الكلمة[٢] .

ثم قال عبد الرحمن بدوي : « ولا شك في تأثر الصوفية المسلمين ابتداءً من القرن الخامس الهجري بما في « أرثولوجية » من آراء وإنما الخلاف هنا هو في هل وصل تأثيره إلى التصوف الإسلامي مباشرة أو عن طريق كتب الإسماعيلية وكلها حافلة بالتأثر به ويتلوه في الأهمية الكتب المنسوبة إلى هرمس[٣] وشخصيته بارزة التأثير عند السهروردي المقتول وابن عربي والأول خصوصًا في فكرة الطباع التام الذي تأثر بها كل الإشراقيين بعد

---

(١) الفيض عند الصوفية هو ما يفيده التجلي الإلهي فإن ذلك التجلي هيولاني الوصف وإنما يتعين ويتقيد بحسب المتجلي فإن كان المتجلي له عينًا ثابتة غير موجودة يكون هذا التجلي بالنسبة إليه تجليًا وجوديًا فيفيد الوجود وإن كان المتجلي له موجودًا خارجيًا كالصورة يكون التجلي بالنسبة إليه بالصفات ويفيد صفة غير الوجود كصفة الحياة ونحوها والفيض الأقدس عبارة عن التجلي الحسي الذاتي الموجب لوجود الأشياء واستعداداتها في الحضرة العلمية ثم العينية .

انظر « معجم مصطلحات الصوفية » (ص٢٠٨) .

(٢) أما الكلمة فهي عين من الأعيان الثابتة في العلم الإلهي الداخلة تحت الإيجاد .

انظر « معجم مصطلحات الصوفية » (ص٢٠٨) .

(٣) هو أحد فلاسفة اليونان الوثنيين وقد أعجب به كثير من الصوفية ومدحوه وقلدوه في عقائده الوثنية كما قلدوا أفلاطون . انظر « نظرية المعرفة الإشراقية » د . إبراهيم هلال.

السهروردي والطباع التام هو « النور » ويسمى أيضًا الروحانية والطبيعة الكريمة . . . ومن النصوص المهمة المنسوبة إلى هرمس رسالة هرمس في معاذلة النفس التي نشرناها في كتابنا الأفلاطونية المحدثة عند العرب فهي مناجيات للنفس وتحليل لها وتأنيب للنفس الأمارة ودعوة للنفس من أجل التطهر والتقدس ومن السهل أن نجد أصداءً لها ومشابه في مناجيات الصوفية المسلمين ثم إن هناك فصولاً منحولة لأفلاطون وسقراط وغيرهما من الفلاسفة اليونانيين معظمها آداب وأقوال وكلها تتشابه في بعض آرائها مع الأقوال المنسوبة إلى كبار الصوفية المسلمين في كتب طبقات الصوفية المختلفة كالقشيري والسلمي والشعراني والهروي والعطار والجامي وغيرهم»[(١)].

ومن الكتاب الذين كتبوا عن التصوف وأقروا تأثره بالفكر اليوناني الوثني الدكتور أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني فقد قال متحدثًا عن تأثر المتصوفة بالأفكار اليونانية :

« ونحن لا ننكر الأثر اليوناني على التصوف الإسلامي فقد وصلت الفلسفة اليونانية عامة والأفلاطونية المحدثة خاصة إلى صوفية الإسلام عن طريق الترجمة والنقل أو الاختلاط مع رهبان النصارى في الرها وحران وقد خضع المسلمون لسلطان أرسطو وإن كانوا قد عرفوا فلسفة أرسطو على أنها فلسفة إشراقية لأن عبد المسيح بن ناعمة الحمصي حينما ترجم الكتاب المعروف بـ « أرثولوجية أرسطوطاليس » قدمه إلى المسلمين على أنه لأرسطو على حين أنه مقتطفات من تاسوعات أفلاطون وليس من شك في أن فلسفة أفلوطين السكندري التي تعتبر أن المعرفة مدركة بالمشاهدة في حال الغيبة عن النفس وعن العالم المحسوس كان لها أثرها في التصوف الإسلامي

---

(١) « تاريخ التصوف » لعبد الرحمن بدوي (ص ٤١ ـ ٤٢) .

فيما نجده من كلام متفلسفي الصوفية عن المعرفة وكذلك كان لنظرية أفلوطين السكندري في الفيض وترتيب الموجودات عن الواحد والأول أثرها على الصوفية المتفلسفين من أصحاب الوحدة كالسهروردي المقتول ومحيي الدين بن عربي وابن الفارض وعبد الحق بن سبعين و عبد الكريم الجيلي ومن نحا نحوهم ونلاحظ بعد ذلك أن أولئك المتفلسفة من الصوفية نتيجة اطلاعهم على الفلسفة اليونانية قد اصطنعوا كثيراً من مصطلحات هذه الفلسفة مثل « الكلمة »[١] « العقل الأول »[٢] « العقل الكلي » [٣] « العلة والمعلول»[٤] وغير ذلك من المصطلحات الفلسفية اليونانية »[٥] .

ومن العلماء الكبار الذين أثبتوا تأثر المتصوفة بالفلاسفة في عقائدهم الضالة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّٰه تعالى فقد تكلم عن سبب وقوع المتصوفة في القول بوحدة الوجود وأثبت أن سبب ذلك هو سلوكهم مسلك الفلاسفة وبعدهم عن الكتاب والسنة فقال :

---

(١) الكلمة : عين من الأعيان الثابتة في العلم الإلهي تحت الإيجاد ولكلمة الحضرة إشارة إلى قوله « كن » فهي صورة الإرادة الكلية . انظر « معجم مصطلحات الصوفية ». (٢٢٥).

(٢) العقل الأول : هو مرتبة الوحدة وقيل هو محل تشكيل العلم الإلهي في الوجود لأنه العلم الأعلى ثم ينزل منه العلم إلى اللوح المحفوظ . انظر « معجم مصطلحات الصوفية » (١٧٥ ـ ١٨٦).

(٣) العقل الكلي : هو القسطاس المستقيم وهو ميزان العدل وبالجملة هو العاقلة أي المدركة النورية التي ظهرت بها صور العلوم المودعة في العقل الأول . انظر « المعجم الفلسفي » (١٨٦) .

(٤) العلة في اللغة اسم لعارض يتغير به وصف المحل بحلوله لا عن اختيار ومنه سمي المرض علة لأنه بحلوله يتغير حال الشخص من القوة إلى الضعف وكل أمر يصدر عنه أمر آخر بالاستقلال أو بانضمام الغير إليه فهو علة لذلك الأمر والأمر معلول له والعلة عند الحكماء ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجًا ومؤثرًا فيه . انظر « المعجم الفلسفي » (٩٥) .

(٥) « مدخل إلى التصوف » للدكتور أبي الوفاء الغنيمي التفتازاني (٣٣ ـ ٣٤) .

« ولهذا لما سلك ابن عربي وابن سبعين وغيرهما هذه الطرق الفاسدة أورثهم ذلك الفناء المذموم عن الوجود السوي فجعلوا الموجود واحداً ووجود كل مخلوق هو عين وجود الحق وحقيقة الفناء عندهم أن لا يرى إلا الحق وهو الرائي والمرئي والعابد والمعبود والذاكر والمذكور والآمر خالقه والآمر المخلوق وهو المتصف بكل ما يوصف به الوجود من مدح وذم وعباد الأصنام ما عبدوا غيره وما ثم موجود مغاير له ألبتة عندهم وهذا منتهى سلوك هؤلاء الملحدين فحقيقة قولهم قول فرعون لأن فرعون كان في الباطن عالمًا بأن ما يقوله باطل وكان جاحداً مريداً للعدو والفساد ولهذا جحد وجود الصانع بالكلية وأما هؤلاء فجهال ضلال يحسبون أن ما يقولونه هو حقيقة إثبات الرب وتعظيمه وهو في الحقيقة قول فرعون فإن فرعون ما كان ينكر وجود هذا العالم ولا ينكر أن الموجودات تشترك في مسمى الوجود وإنما ينكر أن لهذا الوجود خالقًا مباينًا له ولهذا أمر ببناء الصرح ليكذب موسى بزعمه أن للعالم إلهًا فوقه كما حكى اللَّه لنا في كتابه فقال : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ ﴾[١] .

وأكثر هؤلاء الملاحدة القائلين بوحدة الوجود يقولون إن فرعون أكمل من موسى . . .

ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

« وهؤلاء ليسوا مسلمين ولا يهوداً ولا نصارى بل كثير من المشركين

(١) غافر : (٣٦ ـ ٣٧) .

أحسن حالاً منهم وهؤلاء أئمة نظار المتفلسفة وصوفيتهم وشيعتهم كان من أسباب تسلطهم وظهورهم هو بدع أهل البدع من الجهمية المعتزلة والرافضة ومن نحا نحوهم في بعض الأصول الفاسدة فإن هؤلاء اشتركوا هم وأولئك الملاحدة في أصول فاسدة يجعلونها قضايا عقلية صادقة وهي باطلة كاذبة مخالفة للشرع والعقل »[١] .

ومن الكتاب الذين كتبوا عن التصوف وأكدوا تأثر المتصوفة بالفكر اليوناني الوثني الدكتور قاسم غني الفارسي فقد قال :

« وقد أثر في التصوف والعرفان ذيوع آراء أفلاطون وظهور الفلسفة الأفلاطونية الحديثة بين المسلمين أكثر من أي شيء وبعبارة أخرى أحرز التصوف الذي كان إلى ذلك الحين زهداً عملياً أساساً نظرياً وعلمياً وإذا دققنا في آراء الأفلاطونية الحديثة وجدنا أن الصوفي الزاهد الذي غض الطرف عن الدنيا وما فيها بحكم أنها فانية وتعلق خاطره بما هو خالد يشعر بلذة الرضى في فلسفة أفلوطين بل يحصل على منتهى غايته في تلك الآراء وموضوع وحدة الوجود في الفلسفة الأفلاطونية الحديثة جذب أنظار الصوفية أكثر من أي شيء آخر لأن الذين يؤمنون بهذه العقيدة يرون أن العالم كله مرآة لقدرة الحق تعالى وكل موجود بمثابة مرآة تتجلى ذات الله فيها إلا أن المرايا كلها ظاهرة والوجود المطلق والوجود الحقيقي هو الله وينبغي على الإنسان أن يسعى حتى يمزق الحجب ويجعل نفسه محلاً لتجلي جمال الحق الكامل ويبلغ السعادة الأبدية على السالك أن يطير بجناح العشق نحو الله تعالى ويحرر نفسه من قيد وجوده الذي ليس إلا مظهر فحسب وينمحي ويفنى في ذات الله

---

(١) « الرد على المنطقيين » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥٢١ ـ ٥٢٢ ـ ٥٢٣) .

أي الموجود الحقيقي »[1] .

فهذه آراء بعض الكتاب الباحثين الذين كتبوا عن التصوف وكما هو واضح أمامنا فقد أثبتوا كلهم تأثر المتصوفة بالفكر اليوناني الوثني ومما ينبغي أن يعلم أن هؤلاء الكتاب الذين نقلت عنهم هذه الأقوال إما متصوفة بحت وإما من الموالين لهم والمدافعين عنهم إلا شيخ الإسلام ابن تيمية .

وقد صرح كثير من الكتاب الغربيين بتأثر المتصوفة بالفكر اليوناني الوثني ومنهم المستشرق نيكلسون فقد قال مقرراً تأثر المتصوفة بالفكر اليوناني :

« وقد كان لمصر والشام دائمًا الصدارة بين الأمم التي انتشرت فيها الحضارة اليونانية وهما البلدان اللذان ظهر فيهما التصوف لأول مرة بمعناه الدقيق . . . والرجل الذي اضطلع بأكبر قسط في تطور هذا النوع من التصوف هو ذو النون المصري الذي وصف بأنه حكيم كيمائي أو بأنه بعبارة أخرى أحد أولئك الذين نهلوا من منهل الثقافة اليونانية فإذا أضفنا إلى هذا أن المعاني التي تكلم فيها ذو النون هي في جوهرها المعاني التي نجدها في كتابات يونانية مثل كتابات « ديونيسيون » وليس عندي من شك في أن المذهب الغنوصي بعدما أصابه من التغيير والتحوير على أيدي مفكري المسيحية واليهودية وبعد امتزاجه بالنظريات اليونانية كان من المصادر الهامة التي أخذ عنها رجال التصوف وإن بين التصوف والغنوصية مواضع اتفاق كثيرة هامة ولا شك عندي أيضًا في أن دراسة هذه المسألة دراسة دقيقة وافية لما يأتي بأطيب الثمرات ولكني على يقين من أننا إذا نظرنا إلى الظروف

---

(١) « التصوف الإسلامي » للدكتور قاسم غني ترجمة عربية صادق نشأت (١٤٢ ـ ١٤٣) .

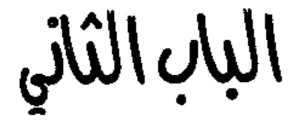
التاريخية التي أحاطت بنشأة التصوف استحال علينا أن نرد أصله إلى عامل هندي أو فارسي ولزم أن نعتبره وليداً لاتحاد الفكر اليوناني والديانات الشرقية أو بمعنى أدق وليد اتحاد الفلسفة الأفلاطونية الحديثة والديانة المسيحية والمذهب الغنوصي »[1] .

والخلاصة بعد أن أوردنا نصوصًا عديدة عن الصوفية أنفسهم التي مدحوا فيها فلاسفة اليونان وأوردنا أقوال بعض الباحثين الذين كتبوا عن التصوف قديمًا وحديثًا والذين أثبتوا كلهم تأثر الصوفية بالفكر الفلسفي اليوناني نقول إن تأثر الصوفية بالفكر اليوناني الوثني كان من أهم العوامل التي أدت إلى انحراف الصوفية عن الطريق القويم في العقيدة والعبادة والسلوك وذلك لأنهم ابتغوا الهدى في غير الكتاب والسنة فوقعوا في متاهات وضلالات وخرافات وبدع عقدية وسلوكية وتعبدية .

* * *

(١) « في التصوف الإسلامي وتاريخه » لنيكلسون (٧٣ ـ ٧٤) .





الباب الثاني

انحرافات الصوفية في الإلهيات

وتحته فصلان :

الفصل الأول : انحراف الصوفية في التوحيد مع ذكر المفهوم الصحيح لتوحيد اللَّه.
(وتحته ثلاثة مباحث)

الفصل الثاني: انحــراف الصوفية في المحبة واعتقادهم بأن اللَّه يحل في بعض مخلوقاته . (وتحته مبحثان)



الفصل الأول

انحراف الصوفية في التوحيد مع ذكر المفهوم الصحيح لتوحيد اللَّه

وتحته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف التوحيد في اللغة والاصطلاح مع توضيح المفهوم الصحيح لتوحيد اللَّه الذي أرسل اللَّه به الرسل وأنزل به الكتب.

المبحث الثاني : موقف الصوفية من التوحيد.

المبحث الثالث : مفهوم التوحيد عند غلاة الصوفية والمضاعفات التي ترتبت على هذا المفهوم مع ذكر حكم من يعتقد بوحدة الوجود .

(وتحته ثلاثة مطالب)



المبحث الأول

تعريف التوحيد في اللغة والاصطلاح
مع توضيح المفهوم الصحيح لتوحيد اللَّه
الذي أرسل اللَّه به الرسل وأنزل به الكتب

أولا : تعريف التوحيد في اللغة :

كلمة التوحيد مصدر للفعل الثلاثي المزيد بتضعيف عينه وهي تعني الوحدة والانفراد والتفرد يقال رأيته وحده وجلس وحده أي منفردًا وفلان لا واحد له وواحد دهره أي لا نظير له .

واللَّه الواحد الأحد المنفرد بالذات والصفات في عدم المثل والنظير ، واحد اللَّه تعالى ووحده أي نسبه إلى الوحدة والانفراد فهو سبحانه منفرد في ذاته وصفاته[1] .

وأما المدلول الشرعي لكلمة التوحيد فهو اعتقاد أنه إله واحد لا شريك له وإفراده عز وجل بالعبادة والتوجه إليه وحده بطلب المنافع ودفع المضار ونفي الكفء والمثل عن ذاته تعالى وصفاته فهو المتصف بصفات الكمال الذاتية ونفي الشريك له في الربوبية واعتقاد أنه وحده الخالق الرازق القادر المحيي المميت المعز المذل النافع الضار

---

(١) انظر مادة « وحد » في « الصحاح » (٢/٥٤٧) و« القاموس المحيط » (١/٣٤٣) و« المفردات في غريب القرآن » للأصبهاني (٥١٤) .

المتصرف في هذا الكون بمن فيه وما فيه[1] .

ثانيًا : المفهوم الصحيح لتوحيد اللَّه عز وجل :

إذا أردنا أن نعرف المفهوم الصحيح لتوحيد اللَّه عز وجل فلابد وأن نرجع إلى كتاب اللَّه عز وجل وسنة رسوله محمد ﷺ ونفهمهما الفهم الصحيح وقد تتبع علماء أهل السنة والجماعة نصوص الكتاب والسنة فخرجوا بالنتيجة التالية ألا وهي أن توحيد اللَّه سبحانه وتعالى يعني إفراد اللَّه سبحانه وتعالى في توحيد ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، وقد قسموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام وهي:

أولاً : توحيد الربوبية :

وتعريفه قال الراغب الأصفهاني في « المفردات » :

« الرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام يقال ربه ورباه وربيبه وقيل : لأن يربيني رجل من قريش خير من أن يربيني رجل من هوازن يعني لأن يملكني »[2] .

قال الدكتور هراس رحمه اللَّه :

« فالرب مصدر مستعار مستعمل للفاعل ولا يقال الرب مطلقًا إلا للَّه تعالى المتكفل بمصلحة الموجودين نحو قوله : ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[3] وعلى هذا قال : ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾[4] أي آلهة

---

(١) « رسالة توحيد الألوهية أساس الإسلام » (ص ٢) .

(٢) « المفردات في غريب القرآن » للراغب الأصفهاني (ص١٨٤) .

(٣) سبأ : (١٥) .

(٤) آل عمران : (٨٠) .

وبالإضافة يقال له ولغيره نحو : ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] و﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾[2] ويقال رب الدار ورب الفرس لصاحبهما .

وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾[3] .

وقوله : ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾[4] .

قيل عني به اللَّه وقيل عني به الملك الذي رباه والأول أليق بقوله »[5] .

وفي « النهاية » لابن الأثير :

« الرب يطلق في اللغة على المالك والسيد والمدبر والمربي والقيم والمنعم ولا يطلق غير مضاف إلا على اللَّه تعالى وإذا أطلق على غيره أضيف فيقال رب كذا .

فأما قوله تعالى : ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ فإنه خاطبه على المتعارف عندهم وعلى ما يسمونهم به .

فأما الحديث في ضالة الإبل حتى يلقاها ربها فإن البهائم غير متعبدة ولا مخاطبة فهي بمنزلة الأموال التي يجوز إضافة مالكيها إليها وجعلهم أربابًا لها »[6] .

---

(١) الفاتحة : (٢) .

(٢) الشعراء : (٢٦) .

(٣) يوسف : (٤٢) .

(٤) يوسف : (٢٣) .

(٥) « دعوة التوحيد » لمحمد خليل هراس (ص٣١) .

(٦) « النهاية في غريب الحديث والأثر » لابن الأثير (٢/ ١٧٩) .

قال الهراس :

« من هذا يتبين أن للفظ الرب عدة معانٍ وهذه المعاني كلها مما يصح أن تراد بلفظ الرب إذا أطلق على اللّه تعالى فهو المربي للأشياء الذي ينميها وينقلها في الأطوار المختلفة حتى يبلغ بها غاية كمالها وهو المالك لها والسيد عليها والمبدر لمصالحها والقائم بحفظها وكلاءتها لهذا كانت شئون الربوبية كلها من الخلق والرزق والملك والتدبير والتصريف مختصة به سبحانه لا يشاركه فيها أحد من خلقه وهذا أمر مركوز في الفطرة لا يكاد ينازع فيه أحد حتى أن المشركين الذين بعث فيهم رسول اللّه ﷺ كانوا يقرون بذلك ولا ينكرونه ولا يجعلون أحداً من آلهتهم شريكًا للّه في ربوبيته.

قال اللّه تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾[2] .

وغير ذلك من الآيات التي تفيد إقرار المشركين من العرب بتوحيد الربوبية وانفراد اللّه عز وجل بجميع شئونها من خلق ورزق وإحياء وإماتة وتدبير وتصريف ولم يعرف عن أحد من طوائف العالم نازع في هذا إلا

---

(١) يونس : (٣١) .

(٢) المؤمنون : (٨٤ ـ ٨٩) .

الدهرية الذين يجحدون الصانع ويزعمون أن العالم يسير بنفسه ويقولون ما حكى اللَّه عنهم في القرآن : ﴿ **وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ** ﴾[1] .

ولكن لما وجد في الناس من ينازع في توحيد اللَّه بالربوبية ويجعل لغير اللَّه عز وجل شيئًا من الشركة معه في الخلق والرزق أو التدبير لم يهمل القرآن الكريم الاحتجاج له بل قرره أبدع تقرير في قوله من سورة المؤمنون حيث قال تعالى : ﴿ **مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾[2] .

قال شارح الطحاوية رحمه اللَّه بعد ذكره لهذه الآية :

« فتأمل هذا البرهان بهذا اللفظ الوجيز الظاهر فإن الإله الحق لابد أن يكون خالقًا فاعلاً يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر فلو كان معه سبحانه إله آخر يشركه في ملكه لكان له خلق وفعل وحينئذ فلا يرضى تلك الشركة بل إن قدر على قهر ذلك الشريك وتفرده بالملك والإلهية دونه فعل وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه إذا لم يقدر المتفرد على قهر الآخر والعلو عليه فلابد من أحد ثلاثة أمور :

١ ـ إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه .

٢ ـ وإما أن يعلو بعضهم على بعض .

٣ ـ وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء ولا

---

(١) الجاثية : (٢٤) .

(٢) المؤمنون : (٩١) .

يتصرفون فيه بل يكون وحده هو إلاله وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه .

وانتظام أمر العالم كله وإحكام أمره من أدل دليل على أن مدبره إله واحد وملك واحد ورب واحد لا إله للخلق غيره ولا رب لهم سواه . . . إلى أن يقول : فالعلم بأن وجود العالم عن صانعين متماثلين ممتنع لذاته مستقر في الفطرة معلوم بصريح العقل بطلانه فكذا تبطل إلهية اثنين فالآية الكريمة موافقة لما ثبت واستقر في الفطرة من توحيد الربوبية دالة مثبتة مستلزمة لتوحيد الإلهية »[1] .

بعض الآيات الدالة على توحيد الربوبية :

إن كل من يتلو القرآن الكريم بتدبر ويتأمل في معانيه يلاحظ بوضوح أن اللَّه سبحانه وتعالى دائمًا يلزم المشركين بما أقروا به من تفرد اللَّه سبحانه وتعالى بتوحيد الربوبية فيجعله برهانًا واضحًا على وجوب إفراده سبحانه بتوحيد الألوهية .

وذلك لأن الذي يستحق العبادة والخضوع له هو من كان ربًا خالقًا ومالكًا مدبرًا بخلاف من لا يخلق ولا يدبر الأمور فإنه لا يصلح أن يكون إلها معبودًا إذا لم يصلح لأن يكون ربًا مقصودًا ولهذا نرى دائمًا يسوق اللَّه عز وجل الآيات والدلائل الشاهدة بربوبيته تعالى لكل شيء ثم ينتقل منها إلى الدعوة لعبادته وحده قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ**

(١) « شرح العقيدة الطحاوية » لابن أبي العز الحنفي (ص٢٥) .

تَعْلَمُونَ ﴾[1] .

فهذا خطاب عام لجميع الناس أن يعبدوا اللَّه سبحانه وتعالى ويفردوه ويخصوه بالعبادة لأنه لا رب لهم سواه فهو الذي خلقهم وخلق آباءهم الأولين وهو الذي جعل لهم هذه الأرض مهاداً يتقلبون علهيا ويمشون في مناكبها وهو الذي أنزل لهم من السحاب ماءً فأجراه أنهاراً فسلكه ينابيع فأخرج لهم به من جميع الثمرات فلا تجعلوا للَّه أنداداً أي نظراء من خلقه تساوونهم به في استحقاق العبادة وأنتم تعلمون أنها لم تخلق شيئًا .

وقال تعالى : **﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾**[2] .

وقال سبحانه : **﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ**

---

(١) البقرة : (٢١ ـ ٢٢) .

(٢) البقرة : (١٦٣ ـ ١٦٤) .

وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1] .

فالآيات المتقدمة كلها تنفي أن يكون إله معه ما دام هو الرب وحده .

ويقول جل شأنه في سورة النحل بعد أن ذكر آيات ربوبيته في الخلق والتدبير : **﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾**[2] .

فنفى الإلهية عن كل ما يُدعى من دونه لأنه لا يخلق شيئًا بل هو مخلوق ولأنه ميت غير حي ولا يدري متى يبعث.

أما الأحاديث الدالة على توحيد الربوبية فكثيرة جدًا وإليك هذان الحديثان :

الحديث الأول : قوله ﷺ في سيد الاستغفار : « **اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت** »[3] .

ففي هذا إقرار العبد واعترافه بأن اللّه هو ربه الذي لا رب غيره وأنه لا معبود بحق في الوجود كله سواه فإنه هو الذي خلقه وسواه ثم يعاهده بأنه

---

(١) النمل : (٦٠ ـ ٦٤) .

(٢) النحل : (١٧ ـ ٢٢) .

(٣) « سنن الترمذي » مع التحفة (٩/ ٣٣٣٧) .

سيظل قائمًا على عهده ووعده ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ثم يلجأ إليه ويحتمي به من شر ما جنى على نفسه ثم يبوء ويرجع إليه بسبب إنعامه عليه ثم يرجع إليه من ذنبه طالبًا أن يغفر له لأنه هو الغفور الرحيم .

ومثل هذا قوله ﷺ : « **اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من كل ذي شر أنت آخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر** »[1] .

النوع الثاني من أنواع التوحيد : توحيد الألوهية :

بعد أن عرفنا توحيد الربوبية وأوردنا الأدلة من الكتاب والسنة على أنه من أقسام التوحيد الذي جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام نريد أن ندخل في القسم الثاني من أقسام التوحيد ألا وهو توحيد الألوهية .

تعريفه :

هو إفراد الخالق جل وعلا بالعبادة وإخلاص الدين له وحده فإن الإلهية نسبة إلى الإله بمعنى المعبود : يقال أله يأله إلهة وألوهة وألوهية بمعنى عبد عبادة .

والإله اسم للمعبود مطلقًا بحق أو بغير حق فهو يطلق على اللّه عز وجل كما يطلق على غيره من المعبودات الباطلة وجمعه آلهة .

وأما اللّه فمختص بالمعبود بحق لا يطلق على غيره فهو يشبه أن يكون

---

(١) « صحيح مسلم » مع النووي (١٧/ ٣٦) والترمذي مع التحفة (٩/ ٣٤٣) .

علمًا عليه وإن كان الصحيح أنه مشتق كما قدمنا[١] .

وهذا التوحيد هو الذي بعث اللَّه الرسل وأنزل الكتب من أجله وهو الذي وقع فيه النزاع والخصام بين الرسل وأممهم وهذا واضح جلي في القرآن الكريم وذلك لأن المشركين من كل أمة كانوا يتخذون من دون اللَّه أندادًا يشركونهم مع اللَّه في العبادة وكانوا يقصدون بذلك التقرب بهم إلى اللَّه تعالى وجعلهم شفعاء ووسطاء عند اللَّه وذلك زعمًا منهم أنه لا تقضى لهم حاجة ولا يسمع لهم دعاء ولا تفتح لهم أبواب السماء إلا بشفاعة هؤلاء الوسطاء .

قال شارح الطحاوية متحدثًا عن منزلة توحيد الألوهية :

« اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق وأول مقام يقوم فيه السالك إلى اللَّه .

قال تعالى : ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ**﴾[٢] .

وقال هود عليه السلام لقومه : ﴿**اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ**﴾[٤] .

وقال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿**اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ**﴾[٥] .

وقال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا**

---

(١) « دعوة التوحيد » لمحمد خليل هراس (ص٣٧ ـ ٣٨) .

(٢) الأعراف : (٥٩) .

(٣) الأعراف : (٦٥) .

(٤) الأعراف : (٨٥) .

(٥) النحل : (٣٦) .

الطَّاغُوتَ﴾[1] .

وقال تعالى : **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾**[2] .

وقال ﷺ : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه** »[3] .

ولهذا كان الصحيح أن أول واجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه ، لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان . . إلى أن قال : فالتوحيد أول الأمر وآخره أعني توحيد الألوهية »[4] .

وقال الشيخ سليمان بن عبد اللَّه بن محمد بن عبد الوهاب متحدثًا عن مكانة توحيد الألوهية :

« وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره وهو أول دعوة الرسل وآخرها وهو معنى قول لا إله إلا اللَّه فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة والخشية والإجلال والتعظيم وجميع أنواع العبادة ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب وبه افترق الناس مؤمنين وكفارًا وسعداء أهل الجنة وأشقياء أهل النار قال تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ**

---

(١) النحل : (٣٦) .

(٢) الأنبياء : (٢٥) .

(٣) « صحيح مسلم » مع النووي (١/ ٢١٢).

(٤) « شرح العقيدة الطحاوية » لابن أبي العز الحنفي (ص١٤) .

اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1] فهذا أول أمر في القرآن .

وقال تعالى : **﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾**[2] فهذه دعوة أول رسول بعد حدوث الشرك .

وقال النبي ﷺ لمعاذ : « **إنك تأتي على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة اللّه عز وجل** »[3] .

وهذا التوحيد هو أول واجب وآخر واجب وأول ما يدخل به الإسلام وآخر ما يخرج من الدنيا قال ﷺ : « **من كان آخر كلامه لا إله إلا اللّه دخل الجنة** »[4] وقال : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه** »[5] .

ثم قال : « ويسمى هذا النوع من التوحيد توحيد الإلهية لأنه مبني على إخلاص التأله وهو أشد المحبة للّه وحده وذلك يستلزم إخلاص العبادة وتوحيد العبادة لذلك .

وتوحيد الإرادة لأنه مبني على إرادة وجه اللّه بالأعمال وتوحيد القصد لأنه مبني على إخلاص القصد المستلزم لإخلاص العبادة للّه وحده وتوحيد العمل لأنه مبني على إخلاص العمل للّه وحده » .

---

(١) البقرة : (٢١) .

(٢) الأعراف : (٥٩) .

(٣) « صحيح مسلم » مع النووي (١/ ١٩٩) .

(٤) « سنن أبي داود » مع بذل المجهود (١٤/ ٧٩) .

(٥) « صحيح مسلم » مع النووي (١/ ٢١٢) .

وقال أيضًا : « وهذا التوحيد هو حقيقة دين الإسلام الذي لا يقبل اللَّه من أحد سواه كما قال النبي ﷺ : « **بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت** »[1] .

فأخبر أن الإسلام مبني على هذه الأركان الخمسة وهي الأعمال فدل على أن الإسلام هو عبادة اللَّه وحده لا شريك له بفعل المأمور وترك المحظور والإخلاص في ذلك للَّه وقد تضمن ذلك جميع أنواع العبادة فيجب إخلاصها للَّه تعالى فمن أشرك بين اللَّه وبين غيره في شيء فليس بمسلم »[2] .

وحق اللَّه على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا كما في الحديث الصحيح الذي رواه معاذ عن النبي ﷺ أنه قال :

« كنت رديف رسول اللَّه على حمار يقال له عفير قال فقال : «**يا معاذ تدرى ما حق اللَّه على العباد وما حق العباد على اللَّه** »؟ قال : قلت : اللَّه ورسوله أعلم . قال : « **فإن حق اللَّه على العباد أن يعبدوا اللَّه ولا يشركوا به شيئًا وحق العباد على اللَّه عز وجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا** » . قال : قلت : يا رسول اللَّه أفلا أبشر الناس . قال : « **لا تبشرهم فيتكلوا** » »[3] .

---

(١) « صحيح البخاري » مع الفتح (١/ ٤٩) وكذلك « صحيح مسلم » مع النووي (١/ ١٧٧) .

(٢) « تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد » للشيخ سليمان بن عبد اللَّه (٣٦ ـ ٣٩) .

(٣) « صحيح مسلم » مع النووي (١/ ٢٣٢) .

النوع الثالث : من أنواع التوحيد توحيد الأسماء والصفات :

أولاً : تعريفه :

هو الإقرار بأن اللَّه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وأنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم له المشيئة النافذة والحكمة البالغة وأنه سميع بصير رؤوف رحيم على العرش استوى وعلى الملك احتوى وأنه الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان اللَّه عما يشركون إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى والصفات العلى(١) .

ثانيًا : الأسس التي يقوم عليها توحيد الأسماء والصفات :

يقوع هذا النوع من التوحيد على أسس ثلاثة وهي :

١ ـ **الأساس الأول** : أن أسماء اللَّه عز وجل وصفاته كلها توقيفية لا يجوز إطلاق شيء منها على اللَّه في الإثبات أو في النفي إلا بإذن من الشرع فلا نثبت للَّه سبحانه من الأسماء والصفات إلا ما أثبته هو لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ ولا ننفي عنه كذلك من الأسماء والصفات إلا ما نفاه هو عن نفسه أو نفاه عنه رسوله محمد ﷺ وما لم يصرح الشرع بإثباته ولا بنفيه يجب التوقف فيه حتى يعلم ما يراد به فإن أريد به معنى صحيحًا موافقًا لما جاء به النص قبل وإلا وجب رده .

الأصل في ذلك أن معرفة اللَّه عز وجل بأسمائه وصفاته وبما يجب له أو يمتنع أو يجوز عليه لا سبيل إلى إدراكها بالعقل وحده لأنها من شئون الغيب التي لا تدخل في نطاق قدرته وإنما كل وظيفة العقل في ذلك في أن يفهم ما تضمنته النصوص من معاني أسماء الرب وصفاته .

---

(١) « تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد » (ص٣٤) .

٢ـ **الأساس الثاني** : أن اللّٰه عز وجل في كل ما ثبت من الأسماء والصفات لا يماثل شيئًا من خلقه ولا يماثله شيء بل كل ما ثبت له من صفات الكمال التي وردت بها النصوص الصريحة من الكتاب والسنة فهو مختص به لا يشركه فيه أحد من خلقه .

وليس معنى هذا أن ما يطلق على الرب أو على صفاته من أسماء لا يسمى به غيره فقد يكون الاسم مشتركًا بينه وبين غيره أو بين صفته وصفة غيره ولكن هذا الاشتراك في الاسم لا يوجب مماثلة المخلوقين فيما دلت عليه هذه الأسماء .

فتسميته تعالى عالمًا وتسمية العبد عالمًا لا يوجب مماثلة علم اللّٰه لعلم العبد وكذلك تسميته تعالى مريدًا أو حيًا أو سميعًا وبصيرًا أو متكلمًا إلى غير ذلك من الأسماء التي قد تطلق على المخلوقين لا يوجب أن تكون إرادتهم كإرادته ولا حياتهم كحياته .

والأصل في ذلك أن ما يوصف اللّٰه عز وجل به ويوصف به العباد إنما يوصف اللّٰه به على ما يليق به ويوصف به العباد على ما يليق بهم فالاشتراك إنما هو في مفهوم الاسم الكلي وذلك إذا أخذ الاسم مطلقًا غير مضاف فإذا أضيف صار مختصًا لا يقبل الشركة فإذا قيل علم اللّٰه وقدرة اللّٰه وإرادة اللّٰه ونحو ذلك كان المراد صفته الخاصة به التي لا يشاركه فيها المخلوق.

وإذا قيل علم العبد وقدرته وإرادته ونحو ذلك كان المراد صفته الخاصة به التي يتنزه عنها الخالق جل شأنه .

وإذا فهم هذا الأساس الثاني على هذا الوجه البين لم يكن هناك موجب أصلاً لنفي بعض الصفات الثابتة بالكتاب والسنة بحجة أن إثباتها يوهم

المماثلة بين اللَّه وبين خلقه وذلك لأنها إذا أطلقت على اللَّه عز وجل حملت ما يليق به مما لا يماثل صفة المخلوق وإذا أطلقت على المخلوق حملت على ما يليق به مما لا يماثل صفة الخالق ، وحينئذ لا نحتاج إلى التعسف في تأويل هذه النصوص وصرفها عن معانيها المتبادرة منها لا سيما وأن هذه النصوص في الكتاب والسنة من الكثرة والصراحة حيث لا يمكن تأويلها إلا إذا اعتبرنا الشارع كله أحاجي وألغاز لا يدل لفظ منه على معناه وهذا اتهام للشرع بأن خطابه غير مفهم ولا مبين ولا دال على الحق الذي يجب اعتقاده .

٣ ـ الأساس الثالث : أن صفاته كلها صفات كمال :

أن صفاته سبحانه صفات كمال كلها فهو موصوف بصفات الكمال التي لا غاية وراءها بريء من صفات النقص والاحتياج والحدوث والواجب أن يثبت له أقصى ما يمكن من الأكملية بحيث لا يكون هناك كمال عار عن النقص إلا وهو ثابت له يستحقه بكمال ذاته ويتنزه عن الاتصاف بضده وضابط ذلك أن أي كمال ثبت للمخلوق وأمكن أن يتصف به الخالق كان الخالق أولى به وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أولى بالتنزه عنه ولكن ينبغي أن يعلم أن الكمال لا يكون إلا أمرًا وجوديًا أما الأمور السلبية أو العدمية فلا تكون كمالاً إلا إذا تضمنت أمرًا وجوديًا فإن العدم المحض ليس بشيء أصلاً فضلاً عن أن يكون كمالاً لهذا لم يرد في الكتاب ولا في السنة صفة سلب إلا وهي متضمنة إثبات ما يضادها من الكمال.

فنفي العجز مثلاً في قوله تعالى : **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ﴾** متضمن لإثبات كمال قدرته .

ونفي السنة والنوم في قوله : ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ لإثبات كمال حياته وقيوميته ونفي الشريك والند والصاحبة والولد لإثبات كمال غناه وعظمته[1] .

ثالثًا : الواجب على المسلم تجاه أسماء اللَّه وصفاته :

إن الواجب على أي مسلم هو أن يصف اللَّه بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز في ذلك ما جاء في القرآن والحديث مع الاعتقاد الجازم بأنه لا يوجد أي تشابه بين صفات اللَّه وصفات المخلوقين وإن توافقت بعض الصفات في مجرد الاسم فقط لأن اللَّه سبحانه موصوف بصفات الجلال والكمال كما يليق به سبحانه وتعالى والمخلوق موصوف بصفات هي لائقة به .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية متحدثًا عن صفات اللَّه سبحانه وتعالى وواجب المسلم تجاه هذه الصفات :

« ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف اللَّه بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث .

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه : لا يوصف اللَّه إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث .

ومذهب السلف أنهم يصفون اللَّه بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ونعلم أن ما

---

(١) « دعوة التوحيد » للشيخ الهراس (ص١٢) ونحوه في « القواعد المثلى » للشيخ العثيمين (ص١٣).

وصف اللَّه من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه لا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول وأفصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله فكما نتيقن أن اللَّه سبحانه له ذات حقيقية وله أفعال حقيقية فكذلك له صفات حقيقية وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وكل ما أوجب نقصًا أو حدثًا فإن اللَّه متنزه عنه حقيقة فإنه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه واستلزام الحدوث سابقة العدم ولافتقار الحدث إلى محدث والوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى .

ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل فلا يمثلون صفات اللَّه بصفات خلقه كما لا يمثلون ذات اللَّه بذت خلقه ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فيعطلوا أسماءه الحسنى وصفاته العليا ويحرفوا الكلم عن مواضعه ويلحدوا في أسماء اللَّه وآياته.

وكل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل فهو جامع بين التعطيل والتمثيل أما المعطلون فإنهم لم يفهموا من أسماء اللَّه وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات فقد جمعوا بين التعطيل والتمثيل مثلوا أولاً وعطلوا آخراً وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسماء اللَّه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم وتعطيل لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة باللَّه سبحانه وتعالى »[1] .

---

(١) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (٥/٢٦ ـ ٢٧) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا :

« فما وصف اللّه من نفسه وسماه على لسان رسول ﷺ سميناه كما سماه ولم نتكلف منه صفة ما سواه لا هذا ولا هذا لا نجحد ما وصف ولا نتكلف معرفة ما لم يصف »[1] .

وقال أيضًا : « والراسخون في العلم الواقفون حيث انتهى علمهم الواصفون لربهم بما وصف من نفسه التاركون لما ترك من ذكرها لا ينكرون صفة ما سمى منها جحدًا ولا يتكلفون وصفه بما لم يسمه تعمقًا لأن الحق ترك ما ترك وتسميته ما سمى ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ »[2] .

وقال أبو سليمان الخطابي إجابة لسائل سأله عن الموقف الواجب اتباعه تجاه صفات اللّه عز وجل :

« فأما ما سألت عنه من الصفات وما جاء منها في الكتاب والسنة فإن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته اللّه وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف وإنما القصد في سلوك الطريقة المستقيمة بين الأمرين ودين اللّه تعالى بين الغالي فيه والجافي والمقصر عنه .

والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ويحتذي في ذلك حذوه ومثاله فإذا كان معلومًا أن إثبات الباري سبحانه إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا

(١) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (٥/٤٤) .

(٢) نفس المرجع (٥/٤٦) .

إثبات تحديد وتكييف فإذا قلنا يد وسمع وبصر وما أشبهها فإنما هي صفات أثبتها اللَّه لنفسه ولسنا نقول إن معنى اليد القوة أو النعمة ولا معنى السمع والبصر العلم ولا نقول إنها جوارح ولا نشبهها بالأيدي والأبصار والأسماع التي هي جوارح وأدوات الفعل ونقول إن القول إنما وجب بإثبات الصفات لأن التوقيف ورد بها ووجب نفي التشبيه عنها لأن اللَّه ليس كمثله شيء ، وعلى هذا جرى قول السلف في أحاديث الصفات »[١] .

وقال أبو عمر بن عبد البر :

« أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة »[٢] .

وقال القاضي أبو يعلى[٣] :

« لا يجوز رد هذه الأخبار ولا التشاغل بتأويلها والواجب حملها على ظاهرها وأنها صفات اللَّه لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من الخلق ولا يعتقد التشبيه فيها لكن على ما رُوي عن الأمام أحمد وسائر الأئمة » .

وقال عن التأويل :

« ويدل على إبطال التأويل أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين

---

(١) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (٥/٥٨ ـ ٥٩) .

(٢) نفس المرجع (٥/٨٧) .

(٣) القاضي أبو يعلى : عالم العراق أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي الحنبلي كان آية في معرفة مذهب الإمام أحمد وقد صنف تصانيف فائقة توفي (٤٥٨هـ) .

انظر « الحاشية على الحموية » (ص٥٣) .

حملوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفوها عن ظاهرها فلو كان التأويل سائغًا لكانوا أسبق إليه لما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة » .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :

« الصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها القطع بالطريقة الثابتة كالآيات والأحاديث الدالة على أن اللَّه سبحانه وتعالى فوق عرشه وتعلم طريقة الصواب في هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة والإجماع على ذلك دلالة لا تحتمل النقيض وفي بعضها قد يغلب على الظن ذلك مع احتمال النقيض وتردد المؤمن في ذلك هو بحسب ما يؤتاه من العلم والإيمان ومن لم يجعل اللَّه له نورًا فما له من نور »[1] .

وقال الشيخ حافظ بن أحمد حكمي :

« وجميع آيات الأسماء والصفات وأحاديثها نمرها صريحة أي على ظواهرها كما أتت عن اللَّه وعن رسوله بنقل العدل عن العدل متصلاً إلينا كالشمس في وقت الظهيرة صحوًا ليس دونها سحاب مع اعتقادنا إيمانًا وتسليمًا لما له اقتضت من أسماء ربنا تبارك وتعالى وصفات كماله ونعوت جلاله كما يليق بعظمته وعلى الوجه الذي ذكره وأراده من غير تحريف لألفاظها »[2] .

رابعًا : أركان الإيمان بأسماء اللَّه الحسنى :

والإيمان بالأسماء الحسنى له ثلاثة أركان :

الركن الأول : الإيمان بالاسم .

---

(١) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (٥/ ٨٧ ـ ٩٠) . وكذلك الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٥٣) .

(٢) « معارج القبول » لحافظ بن أحمد حكمي (١/ ٣١٩) .

الركن الثاني : الإيمان بما دل عليه الاسم .

الركن الثالث : الإيمان بما يتعلق به من الآثار .

فنؤمن بأن اللَّه رحيم ذو رحمة واسعة وسعت كل شيء ويرحم عباده ، قدير ذو قدرة وتقدير على كل شيء غفور ذو مغفرة ويغفر لعباده[1] .

خامسًا : دلالة الأسماء الحسنى : ثلاثة أنواع :

أسماء اللَّه كلها حسنى وكلها تدل على الكمال المطلق وكلها مشتقة من أوصافها فالوصف فيها لا ينافي العلمية والعلمية لا تنافي الوصف .

ودلالتها ثلاثة أنواع :

١ ـ دلالة مطابقة : إذا فسرنا الاسم بجميع مدلوله .

٢ ـ دلالة تضمن : إذا فسرناه ببعض مدلوله .

٣ ـ دلالة الالتزام : إذا استدللنا به على غيره من الأسماء التي يتوقف هذا الاسم عليها فمثلاً الرحمن دلالته على الرحمة والذات دلالة مطابقة وعلى أحدهما دلالة تضمن لأنه داخلة في الضمن ودلالته على الأسماء التي لا توجد الرحمة إلا بثبوتها كالحياة والعلم والإرادة والقدرة ونحوها دلالة التزام وهذه الأخيرة تحتاج إلى قوة فكر وتأمل ويتفاوت فيها أهل العلم فالطريق إلى معرفتها أنك إذا فهمت اللفظ وما يدل عليه من المعنى وفهمته فهمًا جيدًا ففكر فيما يتوقف عليه ولا يتم بدونه وهذه القاعدة تنفعك في جميع النصوص الشرعية فدلالتها الثلاث كلها حجة لأنها معصومة محكمة[2] .

---

(١) « شرح أسماء اللَّه الحسنى » لسعيد بن علي بن وهف القحطاني (ص١٦).

(٢) « توضيح الكافية الشافية » للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ص١٣٢) .

المبحث الثاني

موقف الصوفية من التوحيد

الذي أرسل اللّه به رسله وأنزل به كتبه

لقد وقف الصوفية من التوحيد الذي أرسل اللّه به رسله وأنزل به كتبه موقفًا معاديًا تمامًا ويتمثل ذلك :

أولاً : قال بعضهم أنه لا يمكن التعبير عن التوحيد بل هو شيء خيالي ومن عبر عنه فقد أشرك وكفر .

ثانيًا : لقد صرح الصوفية بأن التوحيد الذي أرسل اللّه الرسل وأنزل الكتب من أجله توحيد العوام أما الخواص يعتبر هذا التوحيد عندهم شركًا .

ثالثًا : لقد قسم الصوفية التوحيد إلى أقسام لم ترد في الكتاب ولا في السنة .

وباختصار فإنهم وقفوا من التوحيد الصحيح موقفًا معاديًا وأتوا بتصورات جديدة من عند أنفسهم للتوحيد وإليك بيان هذا بنقل عباراتهم التي تدل على ما قلناه .

فمن مشائخ المتصوفة الذين تكلموا عن التوحيد الشبلي حيث سأله أحد الأشخاص عن التوحيد قائلاً له :

« أخبرنا عن توحيد مجرد وبلسان حق مفرد » .

فأجابه الشبلي قائلاً :

« ويحك من أجابك عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد ومن أشار إليك فهو ثنوى ومن أومأ إليه فهو عابد وثن ومن نطق به فهو غافل ومن سكت عنه فهو جاهل ومن توهم أنه واصل فليس بحاصل »[1] .

وقال الشبلي أيضًا :

« ما شم روائح التوحيد من تصور عنده التوحيد »[2] .

فإذا تدبرنا في النصين السابقين اللذين أوردتهما عن الشبلي والذي يعتبر من الأئمة العظام عند المتصوفة نرى أن الشبلي استنكر على السائل سؤاله عن التوحيد وذلك لأنه يعتقد أن التوحيد غير معلوم ولذا فإنه لا يمكن التعبير عنه وأن كل من حاول التعبير عن التوحيد فهو ملحد لا محالة بل ادعى أن مجرد الإشارة إلى التوحيد أو الإيماء إليه تخرج الإنسان من الإسلام وتحوله إلى عابد الأوثان وأن النطق بالتوحيد يعتبر غفلة والسكوت عنه جهل وأن كل من توهم أنه وصل إلى معرفة توحيد اللّه فليس بواصل لأنه لا يمكن الوصول إلى معرفة توحيد اللّه نهائيًا وهذا حسب زعم الدجاجلة من المتصوفة وإلا فالتوحيد معروف ومعلوم وواضح عند المسلمين الذين جعلوا منهجهم كتاب اللّه وسنة رسوله وليس بمعقد بهذه الصورة التي صوره بها الشبلي وهذا يبين لنا مدى عداء المتصوفة لتوحيد اللّه عز وجل حيث أن الإنسان يخرج من هذا التصوير الذي صور به التوحيد الشبلي بأنه لا شيء في الوجود يسمى توحيداً نهائيًا والمتصوفة يصورون التوحيد بهذه الصورة

---

(١) « الرسالة القشيرية » (٢/٥٨٦) .

(٢) « الرسالة القشيرية » (٢/٥٨٧) .

ويعقدون معرفته مثل هذا التعقيد من أجل أن يبعدوا الناس عن معرفة توحيد اللَّه معرفة صحيحة وذلك حتى يسهل نقلهم إلى عقائد باطلة تدريجيًا حتى ينسلخوا نهائيًا عن العقيدة الإسلامية الصحيحة .

وفي النص الثاني قرر الشبلي أن مجرد التصور لتوحيد اللَّه سبحانه وتعالى تبعد الإنسان عن معرفة توحيد اللَّه بل حتى عن مجرد شمة توحيد اللَّه فضلاً أن يكون موحدًا ، ومن هنا نخرج بنتيجة ألا وهي أن المتصوفة يعتقدون أن التوحيد غير متصور نهائيًا بل هو شيء مجهول غير معلوم .

وهذا اعتقاد باطل مخالف للكتاب والسنة وذلك لأن اللَّه سبحانه وتعالى عبر عن التوحيد بأنواعه الثلاثة في كتابه وكذلك الرسول ﷺ عبر عن التوحيد في سنته ولذا فالتوحيد واضح كل الوضوح بل هو أوضح من الشمس في وضح النار.

وهذه العبارة التي صور بها الشبلي التوحيد ليس له عليها دليل يعتمد عليه لإثباتها من الكتاب والسنة بل هو تصوير أتى به من عند نفسه قصد من ورائه تضليل عوام المسلمين وإبعادهم عن توحيد اللَّه سبحانه وتعالى .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه تعالى :

« قول المتصوفة : إنه لا تصح العبارة عن التوحيد ، كفر بإجماع المسلمين فإن اللَّه قد عبر عن توحيده ورسوله عبر عن توحيده والقرآن مملوء من ذكر التوحيد بل إنما أرسل اللَّه الرسل وأنزل الكتب بالتوحيد قال تعالى:﴿ **وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ** ﴾[1] .

---

(١) الزخرف : (٤٥) .

وقال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾[1] .

ولو لم يصح عنه عبارة لما نطق به أحد .

وأفضل ما نطق به الناطقون هو التوحيد كما قال النبي ﷺ : « **أفضل الذكر لا إله إلا اللّه وأفضل الدعاء الحمد للّه**»[2] .

وفي حديث آخر قال رسول اللّه ﷺ : « **أشهد أن لا إله إلا اللّه وأني رسول اللّه لا يلقى اللّه بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة** »[3] .

ومن المتصوفة الذين اعتبروا التوحيد الذي جاء في الكتاب والسنة شركًا وجحودًا لسان الدين الخطيب فقد قال هذا الرجل معبرًا عن المعتقد الصوفي وموقفهم من توحيد اللّه الذي جاء في كتابه وسنة رسوله محمد ﷺ :

« قالوا فمن وحد ونعت فقد عين قضية ثلاثية من موحِّد محدث هو نفسه وموحَّد قديم هو معبوده وتوحيد حديث هو فعل نفسه وقد تقدم أن التوحيد انتفاء عين الحدوث وعين الحدوث الآن ثابت متعدد والتوحيد مجحود والدعوى كاذبة كمن يقول لغيره وهمًا في بيت واحد ليس في البيت غيرك فيجيبه الآخر إنما يصح هذا إذا عدمت أنت » .

ونقل عن أحد الحكماء مستشهدًا به لإثبات نظريته تجاه التوحيد ما يلي فقال :

---

(١) الأنبياء : (٢٥) .

(٢) « سنن ابن ماجة » (٢/١٢٤٩) .

(٣) « صحيح مسلم » مع النووي (١/٢٢٦) .

(قال الحكيم في قولهم : « خلق اللَّه الزمان » : هذه ألفاظ تناقض أصولها لأن خلق الزمان وهو فعل لابد من وقوعه في زمان وهذا اقتضاه ضيق العبارة عنه وعدم تأدية اللسان إلى الحق فيه فإذا تحقق فكان الموحد هو الموحد وعدم سواه وذهب الحدوث جملة صح التوحيد الذاتي وهو قولهم : «لا يعرف اللَّه إلا اللَّه »)[1] .

من خلال هاتين الحكايتين اللتين أوردتهما عن لسان الدين الخطيب يتضح لنا جليًا بأن هذا الرجل يعتبر التوحيد الذي أرسل اللَّه به الرسل وأنزل به الكتب ليس توحيدًا صحيحًا بل هو عين التعدد وذلك لأنه يتكون من شخص والذي يطلق عليه مُوَحِّد ومن اللَّه سبحانه وتعالى ويطلق عليه مُوَحَّد ومن توحيد .

ونحن أمة مسلمة مؤمنة باللَّه ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً لا نعتبر هذا تعددًا في المُوَحَّدِ بل هو عين التوحيد لأن اللَّه سبحانه وتعالى أرسل رسله وأنزل كتبه على خلقه من أجل أن يوحدوه وقد بلغ الرسل صلوات اللَّه وسلامه عليهم هذا التوحيد الذي أمرهم اللَّه بتبليغه فوحد المؤمنون ربهم بهذا التوحيد .

ولذا فإن اعتبار لسان الدين الخطيب هذا تعددًا إنما هو مغالطة واضحة منه قصد من ورائها القضاء على توحيد اللَّه سبحانه وتعالى الذي أرسل اللَّه به الرسل وأنزل الكتب من أجله ليسهل بعد ذلك نقلهم إلى اعتناق عقائد فاسدة التي نقلها المتصوفة من الفلسفات الوثنية القديمة والديانات المحرفة مثل القول بحلول اللَّه في مخلوقاته وهذا واضح في قول لسان الدين

---

(١) « روضة التعريف بالحب الشريف » للسان الدين الخطيب (ص٤٩٩) .

الخطيب السابق : « لا يعرف اللَّه إلا اللَّه » وقوله : « فكان المُوَحِّدُ هو الموحد » هذه العبارات تساوى القول بحلول اللَّه في مخلوقاته وهي عقيدة باطلة مخالفة لما جاء في الكتاب والسنة من الاعتقاد الواجب تجاه اللَّه سبحانه وتعالى حيث إن من العقائد المعلومة بالضرورة تجاه اللَّه سبحانه وتعالى هو الاعتقاد بأن اللَّه سبحانه وتعالى مباين لمخلوقاته في ذاته وصفاته وأفعاله كما في قوله تعالى :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[1] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[2] .

وقوله سبحانه : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾[3] .

وقد نقل لسان الدين عن أحد المتصوفة ولم يذكر اسمه أنه قال عن التوحيد :

« اعلم أن لطائف التوحيد أرق وألطف من أن تخرج بكثيف العبارة »[4] .

وحكى عن منصور المغربي أنه قال :

« كنت بجامع بغداد والحصرى يتكلم في التوحيد فرأيت ملكين يعرجان إلى السماء فقال أحدهما لصاحبه : هذا علم والتوحيد غيره »[5] .

---

(١) الشورى : (١١) .

(٢) الإخلاص : (٤) .

(٣) مريم : (٦٥) .

(٤) « روضة التعريف بالحب الشريف » (ص٤٩٨) .

(٥) « روضة التعريف بالحب الشريف » (ص٤٩٨) .

وقال ابن عطاء أنه قال :

« حقيقة التوحيد نسيان التوحيد »[1] .

ونقل عن الواسطي أنه قال :

« لا تصح المعرفة وفي العبد استغناء باللَّه وافتقار إليه »[2] .

فالنصوص السابقة كلها منقولة عن كتاب متصوفة كبار معروفين وبالإضافة إلى ذلك قالها أناس متصوفة وألفاظها واضحة صريحة لا تحتاج إلى توضيح أو شرح .

ففي النص الأول : زعم هذا الصوفي أنه لا يمكن أن يعبر عن التوحيد لأن العبارة كثيفة والتوحيد رقيق ولطيف وهو افتراء على اللَّه بغير علم ولا هدى ولا كتاب مبين .

وفي النص الثاني : يقول هذا الصوفي أنه كان الحصري يتكلم في التوحيد واللَّه أعلم بنوع التوحيد الذي كان يتكلم عنه هذا الرجل وأنه سمع ملكين يقول أحدهما لصاحبه : إن ما يقوله هذا الرجل علم ولكن التوحيد غيره .

وفي النص الثالث : يزعم هذا الصوفي بأن حقيقة التوحيد هي نسيان التوحيد ولا أدري كيف يمكن الوصول إلى تحقيق التوحيد مع نسيانه ؟!! إن هذا لشيء عجاب بل هو استهزاء واستهتار وسخرية بعقول الناس وما هذه العبارة إلا دعوة إلى نسيان التوحيد حتى يسهل لهم غرس الشركيات في

---

(١) « الرسالة القشيرية » (٢/٥٨٨) .

(٢) « الرسالة القشيرية » (٢/٦٠٣) .

قلوب الناس بعد أن يفرغوها تمامًا من التوحيد الصحيح الذي جاء من عند اللَّه سبحانه وتعالى .

أما النص الرابع : فقد زعم فيه هذا الصوفي أنه لا يمكن أن يطلق على أحد أنه عارف باللَّه سبحانه وتعالى ومعرفة اللَّه سبحانه وتعالى حسب ما جاء في كتاب اللَّه وسنة رسول ﷺ عند أهل السنة والجماعة هي توحيد اللَّه في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وتحليل ما أحله اللَّه وتحريم ما حرمه اللَّه وطاعته الطاعة المطلقة وطاعة رسوله هذه هي معرفة اللَّه ومتطلباتها أما من شرط للمعرفة عدم الاستغناء باللَّه والافتقار إليه فهذه ليست معرفة اللَّه بل هي كفر باللَّه وتكبر عليه ولعل هذا الرجل يقصد القول بعقيدة الحلول .

ومن مشائخ الصوفية الذين تكلموا عن التوحيد جمال الدين محمد أبو المواهب الشاذلي[1] في كتابه « قوانين حكم الإشراق » فقد قال متحدثًا عن التوحيد عند الصوفية :

« توحيد هو تعداد وتوحيد أنا إفراد فإذا أردت أن تستغرق بحر الإفراد وتقف على الساحل مع الأفراد فاجعل توحيدك هو بلا هو فهناك تذهب بينونة البين »[2] .

ففي هذا النص يتضح لنا جليًا بأن هذا الصوفي اعتبر كلمة « هو » دالة على التعدد و« هو » وجود رب وعبد وأن هذا ليس بتوحيد صحيح لأنه يفهم

---

(١) هو جمال الدين محمد أبو المواهب الشاذلي كان من الظرفاء الأجلاء وكان له خلوة فوق سطحه وكان يغلب عليه السكر وكان كلامه ينشد في الموالد والاجتماعات والمساجد على رؤوس العلماء والصالحين فيتمايلون طربًا من حلاوته (ت ٨٠٠هـ) .

انظر « طبقات الشعراني » (٢/٦٧) .

(٢) « قوانين حكم الإشراق » لجمال الدين (ص١٠) .

منه أن هناك مخلوقًا وخالقًا وأن التوحيد الصحيح حسب زعم المتصوفة هو أن يلقى هذا المعتقد ويصل إلى مرحلة يقول فيها « أنا » فإذا وصل هذه المرحلة فقد حقق التوحيد لأنه نفى وجود أي شيء إلا اللّٰه سبحانه وتعالى وبمعنى أدق يرمي هذا الرجل إلى عقيدة وحدة الوجود والتي هي أن كل ما في هذا الكون مجالي ومظاهر للّٰه سبحانه وتعالى وبالتالي يجوز عبادة كل ما في هذا الكون ولذا فالتوحيد الذي يدعو إليه المتصوفة هو القول بوحدة الوجود وهذا ليس توحيدًا بل هو الإلحاد بعينه وأي إلحاد أعظم من هذا الإلحاد الذي يجعل كل ما يدب على وجه الأرض أربابًا وآلهة سبحانك هذا بهتان عظيم وإفك مبين .

وقد قسم هذا الرجل المعرفة إلى أقسام ثلاثة فقال بعد ذكره للمرتبتين الأولى والثانية :

« ... ومن المرتبة الثالثة مرتبة الإحسان وهي معرفة أهل العقول القدسية ومعرفتهم أن يشهدوا معروفهم في جميع المتفرقات كلها شيئًا واحدًا ويسمعوا نطقًا واحدًا ويشاهدوا تعريفًا واحدًا »[1] .

نلاحظ في النص السابق بأن الرجل صرح بأن نهاية معرفة اللّٰه سبحانه وتعالى وبلوغ الغاية القصوى فيها هي رؤية اللّٰه سبحانه وتعالى في جميع ما في هذا الكون وبالتالي أن يعتقدوا بأن كل ما يسمعونه ما هو إلا شيء ينطق به واحد بمعنى أن كل ما يشاهدونه يطلق عليه الرب والإله وأن كل ما في هذا الكون من مخلوقات ما هو إلا مجال ومظاهر للّٰه سبحانه وتعالى في نظر المتصوفة .

---

(١) « قوانين حكم الإشراق » لجمال الدين (٤٩) .

والمقصود من إيراد هذه العبارات هو الإثبات بأن المتصوفة يقفون من التوحيد الذي أرسل اللَّه به الرسل وأنزل به الكتب موقفًا معاديًا ويعتبرونه شركًا باللَّه سبحانه وتعالى وأن التوحيد الحقيقي عندهم هو الاعتقاد بوحدة الوجود وهو معتقد إلحادى كما هو معروف وسنفرد لهذه العقيدة الإلحادية مبحثًا خاصًا بعد هذا المبحث مباشرة فلا حاجة لمناقشتها هنا[1] .

ونقل أبو القاسم عن سهل بن عبد اللَّه أنه قال في « المعرفة » :

« المعرفة غايتها شيئان الدهش والحيرة »[2] .

وقال ذو النون المصري في وصفه لأعرف رجل باللَّه :

« أعرف الناس باللَّه أشدهم تحيرًا فيه »[3] .

وقال الشبلي :

« بداية هذا الأمر حيرة ونهايته دهشة كالطفل أوله طفولة ثم يرد إلى علم ثم يرد إلى جهل »[4] .

والقصد من إيراد هذه النصوص هو أن هؤلاء الأئمة الكبار عند المتصوفة كلهم مدحوا الحيرة بل صرح أحدهم وهو ذو النون المصري والذي يعتبره المتصوفة قاطبة أنه أكثر من تكلم في المعرفة من أئمة التصوف بأن أعلى درجة يبلغها العارف باللَّه هو الذي يكون فيهم أكثر تحيرًا فيه .

ولو نظرنا في كتاب اللَّه عز وجل سنجد بأن اللَّه سبحانه وتعالى قد ذم

---

(١) انظر : (٣٣٨ ـ ٣٨٤) .

(٢) « الرسالة القشيرية » (٢/ ٦٠٥) .

(٣) « الرسالة القشيرية » (٢/ ٦٠٥) .

(٤) « روضة التعريف بالحب الشريف » للسان الدين الخطيب (ص٤١٩) .

الحيرة وكيف يكون الحائر عارفًا باللَّه وهو جاهل وضال لا يعرف إلى أين يتجه لتحيره قال تعالى : ﴿ **قُلْ أَنَدْعُو من دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ** ﴾[1] .

ومن هنا نقول الحيرة تعتبر من جنس الجهل والضلال والتيه لأن الحائر هو الذي غلبه أمر من الأمور ولم يعرف إلى أين يتجه أو ماذا يفعل أو ماذا يعتقد فلا يمكن أن تكون الحيرة نهاية المعرفة بل هي جهل وضلال مبين ، صحيح أن الإنسان من الممكن أن يكون حائراً قبل معرفة اللَّه سبحانه وتعالى أما أن تكون الحيرة هي أقصى حد يبلغها العارف باللَّه فهذا ليس بصحيح بل هو كذب وافتراء.

ونحن نعتقد اعتقاداً جازمًا بأن الرسول ﷺ أعرف باللَّه على الإطلاق ولم نجد في القرآن الكريم ولا في السنة الصحيحة أنه كان متحيراً في اللَّه وكيف يكون متحيراً في اللَّه وهو الذي بعثه اللَّه لهداية البشرية والجن إلى الطريق القويم والصراط المستقيم ويدل على هذا قول اللَّه عز وجل : ﴿ **وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾[2] ومن وصفه اللَّه بهداية الخلق فلا يمكن أن يكون حائراً بل هو على بينة وبرهان من ربه .

قال تعالى : ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ** ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** ﴾[4] .

---

(١) الأنعام : (٧١) .

(٢) الشورى : (٥٢) .

(٣) النجم : (١ ـ ٣) .

(٤) إبراهيم : (١) .

وقال تعالى : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه تعالى راداً على المتصوفة الذين مدحوا الحيرة :

« ولم يمدح الحيرة أحد من أهل العلم والإيمان ولكن مدحها طائفة من الملاحدة كصاحب الفصوص ابن عربي وأمثاله من الملاحدة الذين هم حيارى فمدحوا الحيرة وجعلوها أفضل من الاستقامة وادعوا أنهم أكمل الخلق وأن خاتم الأولياء منهم يكون أفضل في العلم باللَّه من خاتم الأنبياء وأن الأنبياء يستفيدون العلم باللَّه منهم وكانوا في ذلك كما يقال فيمن قال : ﴿ فخر عليهم السقف من تحتهم ﴾ لا عقل ولا قرآن فإن الأنبياء أقدم فكيف يستفيد المتقدم من المتأخر وهم عند المسلمين واليهود والنصارى أفضل من الأولياء فخرج هؤلاء عن العقل والدين دين المسلمين واليهود والنصارى »[2] .

ومن المتصوفة الذين صرحوا بأن كل من زعم أنه موحد للَّه سبحانه وتعالى فهو جاحد وأنه لا يمكن أن يوجد من يوحد اللَّه سبحانه وتعالى حقًا إلا اللَّه سبحانه وتعالى : الهروي[1] .

---

(١) الحديد : (٢٨) .

(٢) « الفتاوى الكبرى » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/٥٩) .

(٣) الهروي هو عبد اللَّه بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر بن منصور الأنصاري الهروي أبو إسماعيل ولد بقندهار وحدث وتوفي بهراة في ذي الحجة ، من تصانيفه « منازل السائرين إلى الحق المبين » .

انظر « معجم المؤلفين » للكحالة (٦/١٣٣) .

وإليك الأبيات التي قالها الهروي معبراً بها عما قلناه فقد قال :

ما واحد الواحد مـن واحد ... إذ كل من وحده جاحد

توحيد من ينطق عن نعتــه ... تثنية أبطلها الواحـــــد

توحيـده إيـــاه توحيــده ... ونعت من ينعته لاحد[1]

فأبو إسماعيل الهروي يقصد بهذه الأبيات التوحيد الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب وبه بعث اللَّه الأولين والآخرين من الرسل قال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[4] .

وقد أخبرنا اللَّه سبحانه وتعالى عن الرسل مثل نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم أنهم قالوا لقومهم جميعًا اعبدوا اللَّه ما لكم من إله غيره وهذا أول دعوة الرسل وآخرها .

قال النبي ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه

---

(١) « منازل السائرين إلى الحق المبين » للهروي .

(٢) الزخرف : (٤٥) .

(٣) النحل : (٣٦) .

(٤) الأنبياء: (٢٥) .

وأني رسول اللّه فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على اللّه »[1] .

وفي حديث آخر قال رسول اللّه ﷺ : **« أشهد أن لا إله إلا اللّه وأني رسول اللّه لا يلقى اللّه بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة»**[2] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

« والقرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد والدعوة إليه وتعليق النجاة والفلاح واقتضاء السعادة في الآخرة به ومعلوم أن الناس متفاضلون في تحقيقه وحقيقته إخلاص كله للّه والفناء في هذا التوحيد مقرون بالبقاء وهي أن تثبت إلهية الحق في قلبك وتنفي إلهية ما سواه فتجمع بين النفي والإثبات فتقول لا إله إلا اللّه فالنفي هو الفناء والإثبات هو البقاء وحقيقته أن تفني بعبادته عما سواه ومحبته عن محبة ما سواه وبخشيته عن خشية ما سواه وبطاعته عن طاعة ما سواه وبموالاته عن موالاة ما سواه وبسؤاله عن سؤال ما سواه وبالاستعاذة به عن الاستعاذة بما سواه وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه»[3] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في صفحة أخرى من نفس الكتاب في معرض رده على الهروي وأمثاله من المتصوفة :

« وهذا التوحيد كثير في القرآن وهو أول الدين وآخره وباطن الدين وظاهره وذروة سنام هذا التوحيد لأولي العزم من الرسل ثم للخليلين محمد

---

(١) « صحيح مسلم » مع النووي (١/ ٢١٢) .

(٢) « صحيح مسلم » مع النووي (١/ ٢٢٦) .

(٣) « منهاج السنة النبوية » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ٣٤٧) .

وإبراهيم صلى اللَّه عليهما وسلم تسليمًا . . . وأفضل الرسل بعد محمد ﷺ إبراهيم فإنه قد ثبت في الصحيح أنه قال عن خير البرية أنه إبراهيم وهو الإمام الذي جعله اللَّه إمامًا وجعله أمة والأمة القدوة الذي يقتدى به فإنه حقق هذا التوحيد وهو الحنيفية ملته »[1] .

قال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[3] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه في نفس الكتاب في صفحة أخرى :

« والمقصود هنا أن الخليلين هما أكمل خاصة الخاصة توحيدًا فلا يجوز أن يكون في أمة محمد ﷺ من هو أكمل توحيدًا من نبي من الأنبياء فضلاً عن الرسل فضلاً عن أولي العزم فضلاً عن الخليلين وكمال توحيدهما

(١) « منهاج السنة النبوية » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ٣٤٩) .

(٢) الممتحنة : (٤ ـ ٦) .

(٣) الزخرف : (٢٦ ـ ٢٨) .

بتحقيق إفراد الألوهية وهو أن لا يبقى في القلب شيء لغير اللَّه أصلاً بل يبقى العبد مواليًا لربه في كل شيء يحب ما أحب ويبغض ما أبغض ويرضى بما يرضى ويسخط بما سخط ويأمر بما أمر وينهى عما نهى »[1] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الهروى « منازل السائرين » :

« وقد ذكر في كتابه أشياء حسنة نافعة وأشياء باطلة ولكن هو فيها ينتهي إلى الفناء في توحيد الربوبية ثم إلى التوحيد الذي هو حقيقة الاتحاد ولهذا قال : باب التوحيد : قال اللَّه تعالى : ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ** ﴾[2] التوحيد تنزيه اللَّه عن الحدث ، قال : وإنما نطق بما نطقوا به وأشار المحققون إلى ما أشاروا إليه في هذا الطريق لقصد تصحيح التوحيد وما سواه من حال أو مقام فكله مصحوب العلل »[3] .

أقسام التوحيد عند الصوفية :

لقد قسم المتصوفة التوحيد إلى ثلاثة أقسام وهذه الأقسام الثلاثة وإن اختلفوا في العبارات التي ساقوها بها إلا أنهم يتفقون جميعًا في المضمون الذي يرمون إليه وكلهم متفقون على أن التوحيد الحقيقي الذي يجب أن يحققه الصوفي ليس التوحيد الذي أرسل به الرسل وأنزل به الكتب وهو إفراد اللَّه بالعبادة وحده لا شريك بل يعتبرون هذا التوحيد للعوام فقط أما الخاصة وخاصة الخاصة فليس هذا توحيدهم بل توحيد خاصة الخاصة هو القول بوحدة الوجود وهذا ليس وصولاً إلى حقيقة التوحيد بل هو وصول

---

(١) « منهاج السنة النبوية » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ٣٥٥) .

(٢) آل عمران : (١٨) .

(٣) « الفتاوى الكبرى » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ٣٤٢) .

إلى قمة الإلحاد الذي لم يسبقهم إليه أحد من أهل الديانات السماوية المحرفة كاليهودية والنصرانية .

وإلى جانب ذلك فهذه الأقسام التي قسمها المتصوفة للتوحيد تخالف تمامًا الأقسام التي قسمها أهل السنة والجماعة لتوحيد اللَّه عز وجل استقراءً من النصوص الشرعية .

وأبدأ بذكر نماذج من النصوص التي تثبت انحراف المتصوفة في تقسيم التوحيد .

فمن الأئمة الكبار عند المتصوفة الذين تكلموا عن التوحيد عند الصوفية وقسموه إلى أقسام ثلاثة أبو إسماعيل الهروي فقد تكلم عن التوحيد وقسمه إلى ثلاثة أقسام فقال :

والتوحيد على ثلاثة أوجه :

الأول : توحيد العامة الذي يصح بالشواهد .

والثاني : توحيد الخاصة وهو الذي يثبت بالحقائق .

والوجه الثالث : توحيد قائم بالقدم وهو توحيد خاصة الخاصة .

فأما التوحيد الأول فهو شهادة أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد هذا هو التوحيد الظاهر الجلي الذي نفى الشرك الأعظم وعليه نصبت القبلة وبه وجبت الذمة وبه حقنت الدماء والأموال وانفصلت دار السلام من دار الكفر وصحت به الملة للعامة وإن لم يقوموا بحسن الاستدلال بعد أن سلموا من الشبهة والحيرة والريبة بصدق شهادة صححها قبول القلب.

هذا توحيد العامة الذي يصح بالشواهد والشواهد هي الرسالة .

قال : وأما التوحيد الثاني الذي يثبت بالحقائق فهو توحيد الخاصة وهو

إسقاط الأسباب الظاهرة والصعود عن منازلات العقول وعن التعلق بالشواهد وهو أن لا يشهد في التوحيد دليلاً ولا في التوكل سببًا ولا في النجاة وسيلة فيكون شاهدًا سبق الحق بحكمه وعلمه ووضعه الأشياء مواضعها وتعليقه إياها بأحايينها وإخفائه إياها في رسومها ويحقق معرفة العلل ويسلك سبيل إسقاط الحدث هذا توحيد الخاصة. . . . . . .

ثم قال : وأما التوحيد الثالث فهو توحيد اختصه الحق لنفسه واستحقه وألاح منه لائحًا إلى أسرار طائفة من صفوته وأخرسهم عن نعته وأعجزهم عن بثه والذى يشاربه إليه على ألسن المشيرين أنه إسقاط الحدث وإثبات القدم على أن هذا الرمز في ذلك التوحيد علة لا يصح ذلك التوحيد إلا بإسقاطها .

ثم قال : هذا قطب الإشارة إليه على ألسن علماء أهل هذا الطريق وإن زخرفوا له نعوتًا وفصلوها تفصيلاً فإن ذلك التوحيد تزيده العبارة خفاءً والصفة نورًا والبسط صعوبة وإلى هذا التوحيد شخص أهل الرياضة وأرباب الأحوال وإليه قصد أهل التعظيم وإياه عني المتكلمون في عين الجمع وعليه تصطلم الإشارات ثم لم ينطق عنه لسان ولم تشر إليه عبارة فإن التوحيد وراء ما يشير إليه سكون أو يتعاطاه حين أو يقله سبب »[1] .

ثم قال : وقد أجبت في سالف الدهر سائلاً عن توحيد الصوفية بهذه القوافي الثلاث :

---

(١) « منازل السائرين » للهروي (ص٤٧) .

٢ ـ وكذلك « روضة التعريف » للسان الدين الخطيب (ص٤٩٧) .

٣ ـ وكذلك « قوانين حكم الإشراق » لجمال الدين (ص١٣) .

ما وحد الواحد من واحد إذ كل من وحده جاحد

توحيد من ينطق عن نعته عارية أبطلها الواحـــد

توحيـــده إياه توحيـــده ونعت من ينعته لاحـــد

من خلال هذه العبارات التي نقلتها عن أئمة التصوف يتضح لنا بأن المتصوفة أعرضوا عن الأقسام التي قسمها أهل السنة والجماعة للتوحيد عن طريق الاستقراء لنصوص الكتاب والسنة وأتوا بتقسيمات جديدة من عند أنفسهم للتوحيد ما أنزل اللَّه بها من سلطان لأن هذه الأقسام الثلاثة التي للتوحيد لم نجدها لا في كتاب اللَّه ولا في سنة رسول اللَّه محمد ﷺ بل هي تقسيمات أتوا بها من عند أنفسهم متبعين أهواءهم الضالة وأراءهم الفاسدة ولو رجعوا إلى كتاب اللَّه وسنة رسوله محمد ﷺ وفهموا معناهما لوصلوا إلى حقيقة التوحيد وأقسامه الصحيحة والذي يتلخص بأنه « هو إفراد اللَّه في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ولما وقعوا في هذه المتاهات والخرافات والضلالات التي أوقعتهم في مزالق خطيرة وقعوا بسببها في كلام واعتقاد خطير جدًا يؤدي بصاحبه إلى الهلاك الأبدي إن لم يتب منه ألا وهو اعتبارهم التوحيد الذى جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب بأنه خاص بالعوام الذين لا يدركون حقائق الأمور فقط أما الخواص الذين يدركون الحقائق فإنه بالنسبة لهم يعتبر شركًا وهذا كلام خطير جدًا فإن هذا التوحيد الذي يصفونه بهذه الأوصاف هو التوحيد الذي أنزل اللَّه الكتب وأرسل الرسل من أجله فكيف تجرءوا على أن يصرحوا قائلين إنه توحيد العوام وأن توحيدهم توحيد الحقائق وكذبوا واللَّه فإن توحيد الحقائق هو هذا التوحيد الذي أرسل اللَّه به الرسل وأنزل به الكتب وهو إفراد اللَّه في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته.

أما التوحيد الذي يدعيه دجاجلة المتصوفة فليس بتوحيد إنما هو إلحاد وخرافة وزندقة وبهتان وكذب وافتراء على اللّه بغير علم ولا هدى ولا كتاب مبين .

والتقسيمات التي نعرفها عن أهل السنة والجماعة من خلال استقرائنا لنصوص الكتاب والسنة هي أقسام ثلاثة فقط وهي كلها تختلف مع هذه التقسيمات التي ذكرها المتصوفة للتوحيد :

فالقسم الأول : هو توحيد الألوهية .

والقسم الثاني : هو توحيد الربوبية .

والقسم الثالث : هو توحيد الأسماء والصفات .

ولا نريد أن نتعرض لتعريفها وتوضيحها هنا لأننا قد بيناه في المبحث السابق[1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية متحدثًا عن تقسيمات المتصوفة هذه للتوحيد وقد تكلم عن كل الأقسام الثلاثة ونقضها ولكني أريد أن أورد كلامه عن القسم الثالث فقط خشية الإطالة قال رحمه اللّه :

« وأما التوحيد الثالث فهو توحيد اختصه الحق لنفسه واستحقه بقدره ... إلى آخر كلامه . فهؤلاء هم الذين أنكر عليهم أئمة الطريق الجنيد وغيره حيث لم يفرقوا بين القديم والمحدث وحقيقة قول هؤلاء الاتحاد والحلول الخاص من جنس قول النصارى في المسيح وهو أن يكون الموحد هو الموحد ولا يوحد اللّه إلا اللّه وكل من جعل غير اللّه يوحد اللّه فهو

(١) انظر : (١٨٥ ـ ٢٠٥) .

جاحد عندهم كما قال :

ما وحد الواحد « أي من واحد غيره » إذ كل من وحده جاحد .

فإنه على قولهم هو الموحد والموحد ولهذا قال :

توحيد من ينطق عن نعته عارية أبطلها الواحـــــد

يعني إذا تلكم العبد بالتوحيد وهو يرى أنه المتكلم فإنما ينطق عن نعت نفسه فيستعير ما ليس له فيتكلم به وهذه عارية أبطلها الواحد ولكن إذا فني عن شهود نفسه وكان الحق هوالمتكلم على لسانه حيث فنى من لم يكن وبقي من لم يزل فيكون الحق هو الناطق بنعت نفسه لا بنعت العبد ويكون هو الموحد وهو الموحد ولهذا قال توحيده إياه توحيده .

أي توحيد الحق إياه أي نفسه هو توحيده هو لا توحيد المخلوقين له » فإنه لا يوحده عندهم مخلوق بمعنى أنه هو الناطق بالتوحيد على لسان خاصة ليس الناطق هو المخلوق كما يقول النصارى في المسيح أن اللاهوت تكلم بلسان الناسوت .

وحقيقة الأمر أن كل من تكلم بالتوحيد أو تصوره وهو يشهد غير اللّه فليس بموحد عندهم وإذا غاب وفني عن نفسه بالكلية فتم له مقام توحيد الفناء الذي يجذبه إلى توحيد أرباب الجمع صار الحق الناطق المتكلم بالتوحيد وكان هو الموحِّد وهو الموحَّد لا موحد غيره .

وحقيقة هذا القول لا يكون إلا بأن يصير الرب والعبد شيئًا واحدًا وهو الاتحاد فيتحد اللاهوت والناسوت كما يقول النصارى إن المتكلم بما كان يسمع من المسيح هو اللّه وعندهم إن الذين سمعوا منه هم رسل اللّه وهم عندهم أفضل من إبراهيم وموسي ولهذا تكلم بلفظ اللاهوت والناسوت طائفة

من الشيوخ الذين وقعوا في الاتحاد والحلول مطلقًا ومعينًا فكانوا ينشدون قصيدة ابن الفارض ويتحلون بما فيها من تحقيق الاتحاد العام ويرون كل ما في الوجود هو مجلى ومظهر ظهر فيه عين الحق .

ثم قال شيخ الإسلام ناقدًا لقول المتصوفة في النص السابق في وصفهم للقسم الثالث من أقسام التوحيد :

« وألاح منه لائحًا إلى أسرار طائفة من صفوته وأخرسهم عن نعته وأعجزهم عن بثه قال أفضل صفوته هم الأنبياء وأفضلهم الرسل أولو العزم وأفضل أولو العزم محمد ﷺ وما ألاحه اللّه على أسرار هؤلاء فهو أكمل توحيد عرفه العباد وهم قد تكلموا بالتوحيد ونعتوه وبثوه وما يقدر أحد قط أن ينقل عن نبي من الأنبياء ولا وارث نبي أنه يدعي أنه يعلم توحيدًا لا يمكنه النطق به بل كل ما علمه القلب أمكن التعبير عنه لكن قد لا يفهمه إلا بعض الناس.

فأما أن يقال : إن محمدًا ﷺ عاجز عن أن يبين ما عرفه اللّه من توحيده فهذا ليس كذلك .... ثم قال شيخ الإسلام في شرحه لقول المتصوفة في النص السابق وبالتحديد في القسم الثالث من أقسام التوحيد عندهم :

« والذي يشار إليه على ألسن المشيرين أنه إسقاط الحدث وإثبات القدم

يقال مرادهم بهذا نفي المحدث أي ليس هنا إلا القديم وهذا على وجهين فإن أيد به نفي المحدث بالكلية وأن العبد هو القديم فهذا شر من قول النصارى فإن اليعقوبية يقولون : إن اللاهوت والناسوت امتزجا واختلطا فصارا جوهرًا واحدًا وأقنومًا واحدًا وطبيعة واحدة .... فقول القائل :

إسقاط الحدوث إن أراد به أن المحدث عدم فهذا مكابرة وإن أراد به إسقاط المحدث من قلب العبد وأنه لم يبق في قلبه إلا القديم فهذا إن أريد به ذات القديم فهو قول النسطورية من النصارى وإن أريد به معرفته والإيمان به وتوحيده أو قيل مثله أو المثل العلمي أو نوره أو نحو ذلك فهذا المعنى صحيح فإن قلوب أهل التوحيد مملوءة بهذا لكن ليس في قلوبهم ذات الرب القديم وصفاته القائمة به وأما أهل الاتحاد العام فيقولون : ما في الوجود إلا الوجود القديم وهذا قول الجهمية » [1] .

والخلاصة التي توصلنا إليها من خلال دراستنا لموقف المتصوفة من التوحيد الذي أرسل اللَّه به الرسل وأنزل الكتب من أجله هي أن مواقفهم من التوحيد مواقف مخالفة ومضادة لما جاء في الكتاب والسنة عن توحيد اللَّه سبحانه وتعالى ويتلخص هذا :

أولاً : يعتقد المتصوفة بأنه لا يجوز التعبير عن التوحيد ومن عبر عنه فقد كفر وألحد لأنه شيء غامض غير متصور وقد بينا مخالفة هذا المعتقد لما جاء في الكتاب والسنة من التعبير عن التوحيد بشتى الصور .

ثانيًا : يعتقد المتصوفة بأن التوحيد الذى جاء في الكتاب والسنة ليس بتوحيد صحيح بل هو عين التعدد والشرك وأن الموحد الصحيح هو الذي يصل إلى مرحلة يحل فيه اللَّه فيقول : أنا اللَّه ـ حسب زعمهم ـ .

ثالثًا : يعتقد المتصوفة بأن هذا التوحيد الذي أرسل اللَّه به الرسل وأنزل الكتب من أجله إنما هو توحيد خاص بالعوام فقط أما الخواص وخواص الخواص فتوحيدهم غير هذا تمامًا حيث أن الوقوف عند التوحيد الذي جاء

---

(١) « منهاج السنة » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ٣٧٠ ـ ٣٨٣) باختصار .

في الكتاب والسنة يعتبر عندهم شركًا.

وعلى هذا فالصوفية يقفون من التوحيد الذي أمر اللَّه به موقفًا معاديًا ويااليت المتصوفة يقفون عند هذا الحد بل ذهبوا بعد أن نفروا الناس عن التوحيد الصحيح إلى ابتداع عقائد إلحادية وسموها التوحيد الحقيقي الذي ينبغي أن يصل إليه الإنسان وهذا ما سنبينه في المبحث الآتي إن شاء اللَّه[1].

* * *

(١) انظر (ص٢٣٦ ـ ٢٦٥).

المبحث الثالث

مفهوم التوحيد عند غلاة الصوفية

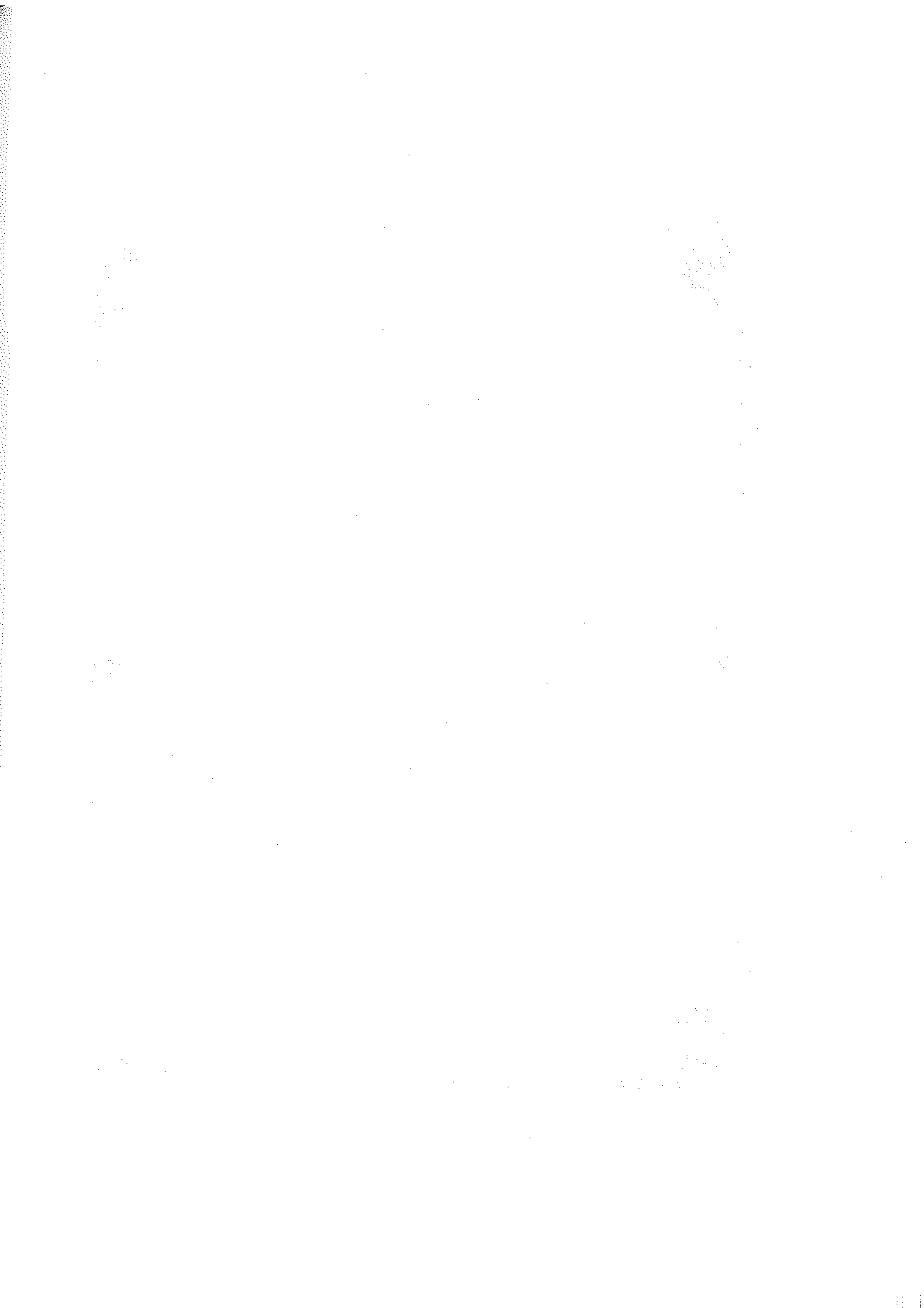
هو القول بوحدة الوجود

وتحته ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : النصوص التي تثبت على أن التوحيد عند غلاة الصوفية هو القول بوحدة الوجود.

المطلب الثاني : المضاعفات التي ترتبت على القول بوحدة الوجود.

المطلب الثالث : حكم من يعتقد بعقيدة وحدة الوجود في ميزان الإسلام.



المطلب الأول

ذكر النصوص التي تدل على أن الصوفية يعتقدون بأن حقيقة التوحيد هو القول بوحدة الوجود

لقد بينا في المبحث السابق موقف الصوفية ، من التوحيد الذي أرسل اللَّه به الرسل وأنزل به الكتب ورأينا هناك بأنهم يقفون من هذا التوحيد موقفًا معاديًا حيث صرح بعضهم بأنه لا يمكن التعبير عن التوحيد لأنه شيء غامض جدًا بل لا يمكن حتى مجرد تصوره هذا بل من عبر عنه أو تصوره فهو جاحد كافر مع أن اللَّه طلب من عباده أن يعبروا عن التوحيد في كتابه بشتى الصور وعبر عنه الرسول في سنته ولم يكتفوا بهذا بل قال بعضهم بأن التوحيد الذي جاء في الكتاب والسنة إنما هو توحيد يليق بالعوام فقط أما الخواص فإن هذا التوحيد بالنسبة لهم يعتبر شركًا ويقصد المتصوفة بالعوام كل الأمة الإسلامية ما عداهم .

وفي هذا المطلب نريد أن نبين بأن المتصوفة لم يقفوا عند هذه الضلالات التي سبق ذكرها بل ادعوا بأن حقيقة التوحيد التي ينبغي أن يصل إليها الإنسان هي القول بوحدة الوجود وهذا ليس وصولاً إلى حقيقة التوحيد وإنما هو وصول إلى حقيقة الإلحاد وقمته ونهايته .

ووحدة الوجود تعني في المعتقد الصوفي :

أنه ليس هناك موجود إلا اللَّه فليس غيره في الكون وما هذه الظواهر

التي نراها إلا مظاهر لحقيقة واحدة هي الحقيقة الإلهية ـ تعالى اللَّه عن ذلك علواً كبيراً ـ .

هذه الحقيقة التي تنوعت وجوداتها ومظاهرها في هذا الكون المشاهد وليس هذا الكون في هذه العقيدة الباطلة إلا اللَّه في زعمهم تعالى اللَّه عن ذلك علواً كبيراً »[1] .

والآن بعد أن عرفنا معنى وحدة الوجود إليك نصوص عن أئمة التصوف ومن بطون كتبهم تثبت لنا بأن المتصوفة بالفعل يعتنقون هذه العقيدة الإلحادية ويعتبرونها قمة التوحيد ونهايته رغم أن العكس هو الصحيح وهو أن هذه العقيدة هي قمة الإلحاد ونهايته وليس هناك في هذا الكون إلحاد أعظم منها .

* فمن الأئمة الكبار عند المتصوفة الذين قالوا بوحدة الوجود محيي الدين بن عربي :

وهذا الرجل يعتبر من المتصوفة الكبار الذين تفانوا في توضيح هذه العقيدة الإلحادية بشتى الأساليب حتى لقد حاول صرف معاني الآيات القرآنية عن معانيها الصحيحة التي تدل عليها من أجل تأييد عقيدة وحدة الوجود وهو بالفعل يعتبر الرجل الوحيد الذي فاق من سبقه ومن لحق به ومن عاصره في توضيح هذه العقيدة الإلحادية ويلاحظ هذا كل من يقرأ في كتبه مثل «فصوص الحكم » و « الفتوحات المكية » .

وإليك النصوص التي تثبت أن هذا الرجل كان يقول بوحدة الوجود بألفاظ صريحة وواضحة ودالة دلالة مباشرة على هذه العقيدة الكفرية الإلحادية الخالصة .

قال متحدثًا عن الإله في معتقده الصوفي الفاسد :

---

(١) انظر « الفكر الصوفي » لعبد الرحمن عبد الخالق (ص٦٩) .

« فالإله المطلق لا يسعه شيء لأنه عين الأشياء وعين نفسه والشيء لا يقال فيه يسع نفسه ولا يسعها فافهم »[1] .

فإذا نظرنا في هذا النص نجده يدل دلالة واضحة على اعتقاد الرجل بوحدة الوجود ويتضح لنا هذا في قوله : « فالإله المطلق لا يسعه شيء لأنه عين الأشياء » أي أن اللّه سبحانه وتعالى عين كل الأشياء الموجودة في هذا الكون وإذا كان اللّه عين كل الأشياء فإذًا كل ما في هذا الكون مجالي ومظاهر للّه وبالتالي يطلق عليه اللّه وهذه هي بعينها عقيدة القول بوحدة الوجود.

ويقول ابن عربي أيضًا معبرًا عن عقيدته الإلحادية وموضحًا لها :

« .... وإذا كان الحق وقاية للحق بوجه والعبد وقاية بوجه فقل في الكون ما شئت إن شئت قلت : هو الخلق وإن شئت قلت : هو الحق وإن شئت قلت : هو الحق الخلق وإن شئت قلت : لا حق من كل وجه ولا خلق من كل وجه وإن شئت قلت بالحيرة »[2] .

فالنص واضح فيه عقيدة الرجل بوحدة الوجود حيث قال : إنه يصح إطلاق الربوبية على هذا الكون حيث أنه يعني بكلمة الحق اللّه سبحانه وتعالى ، ثم قال : إنه يجوز أن يوصف هذا الكون بأنه حق وخلق أي مزدوج وهذه عقيدة الاتحاد والشاهد في النص هو قول ابن عربي في الكون:

« إن شئت قلت : هو الحق وإن شئت قلت : هو الحق الخلق » .

---

(١) « فصوص الحكم » لمحيي الدين بن عربي « فص فردية في كلمة محمدية » (٤٤٠) مع شرح بالي أفندي .

(٢) « فصوص الحكم » لابن عربي (ص١١٣) .

ويقول ابن عربي أيضًا معبرًا عن عقيدته الوجودية :

فلولاه ولولانا لما كان الذي كانـــا فأنا أعبـــد حقًا وإن اللّه مولانـــا

وأنا عينه فاعلـــم إذا ما قلت إنسانًـــا فلا تحجب بإنسان فقد أعطاك برهانـا

فكن حقًا وكن خلقًا تكن باللّه رحمانا وغذ خلقه منه تكن روحًا وريحـانـا

فأعطيناه ما يبدو بـــه فينـــا وأعطانـــا فصار الأمر مقســـومًا بإياه وإيانـــا

فكنا فيه أكوانًا وأعيانًا وأزمانا[1]

ففي هذه الأبيات الشعرية عبر ابن عربي عن عقيدته الإلحادية وهو القول بوحدة الوجود فانظر مثلاً في البيت الثاني :

(وأنا عينه فاعلـم إذا ما قلـت إنسانًـــا فلا تحجب بإنسان فقد أعطاك برهانـا)

معنى هذا البيت يقول ابن عربي: إنه هو بنفسه عين اللّه أي هو اللّه ويحذر من أن تحجب صورته البشرية عن أنه عين اللّه ويقول لا تحجب بإنسان فقد أعطاك برهانًا .

ومعنى البيت الثالث يأمر ابن عربي أن يكون أي مخلوق مخلوقًا وخالقًا في آن واحد أي ازدواجيين الخالق والمخلوق .

ومعنى البيت الرابع يقول ابن عربي: إن المخلوقات أعطت للّه سبحانه وتعالى هذه الهياكل والأشكال ليظهر فيها ولهذا صار الأمر بين اللّه وبين الخلق بمعنى أن كل المخلوقات هذه هي مظاهر ومجالي للّه سبحانه وتعالى تعالى اللّه عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وفي البيت الأخير يصرح ابن عربي بأن كل ما يطلق عليه كون أو أعيان أو أزمان فهي كلها مظاهر مجالي للّه سبحانه وتعالى ولا حقيقة لوجود أي

(١) « فصوص الحكم » لابن عربي الفص العيسوي (ص١٤٣) .

شيء سوى اللّٰه سبحانه وتعالى وهذه بعينها هي القول بوحدة الوجود .

ويقول ابن عربي في كتابه « فصوص الحكم » موضحًا عقيدته الوحدوية أي عقيدة وحدة الوجود :

« ومن أسمائه الحسنى « العلي » على من . . . . وما ثم إلا هو فهو العلي لذاته أو عن ماذا وما هو إلا هو فعلوه لنفسه وهو من حيث الوجود عين الموجودات فالمسمى المحدثات هي العلية لذاتها وليست إلا هو فهو العلي لا علو إضافة لأن الأعيان التي لها العدم الثابتة فيه ما شمت رائحة من الوجود فهي على حالها مع تعداد الصور في الموجودات والعين واحدة من المجموع في المجموع فوجود الكثرة في الأسماء وهي النسب وهي أمور عدمية وليس إلا العين الذي هو الذات فهو العلي لنفسه لا بالإضافة فما في العالم من هذه الحيثية علو إضافة لكن الوجوه الوجودية متفاضلة فعلو الإضافة موجود في العين الواحدة من حيث الوجوه الكثيرة لذلك نقول فيه هو لا هو أنت لا أنت .

قال الخراز رحمه اللّٰه تعالى :

وهو وجه من وجوه الحق ولسان من ألسنته ينطق عن نفسه بأن اللّٰه تعالى لا يعرف إلا بجمعه بين الأضداد في الحكم عليه بها فهو الأول والآخر والظاهر والباطن فهو عين ما ظهر وهو عين ما بطن في حال ظهوره وما ثم من يراه غيره ثم من يبطن عنه فهو ظاهر لنفسه باطن عنه وهو المسمى أبا سعيد الخراز وغير ذلك من المحدثات »[1] .

ففي هذا النص عقيدة وحدة الوجود ظاهرة جدًا في عدة ألفاظ فمثلاً

---

(١) « فصوص الحكم » لابن عربي (ص٧٦) .

قوله «عليٌّ وما ثم إلا هو» هنا في هذا النص نفي أن يكون غير اللَّه موجودًا.

ثم في قوله : « وهو من حيث الوجود عين الموجودات » .

ففي هذا النص قول ابن عربي بوحدة الوجود واضح جدًا لأنه قال : إن اللَّه عين الموجودات وكلمة الموجودات تشمل كل ما في هذا الكون من أرض وسماء وما فيهما وما بينهما ففي نظر ابن عربي أن هذه الموجودات كلها هي اللَّه ، تعالى اللَّه عن ذلك علوًا كبيرًا ، والنص فيه شواهد كثيرة للتدليل على أن هذا الرجل من القائلين بوحدة الوجود ولكن اكتفينا بذكر بعض الشواهد خشية الإطالة لأن المقصود هو ذكر دليل يثبت اعتناق ابن عربي لعقيدة وحدة الوجود وقد تم ذلك .

ولم يتورع ابن عربي مع ذلك أن ينسب ما في هذا الوجود كله من شر وقبائح وسفك دماء إلى اللَّه عز وجل بل جعل كله ذلك هو اللَّه سبحانه وتعالى وإليك نص كلامه الدال على ذلك .

فقد قال : « فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق به جميع الأمور الوجودية حيث لا يمكن أن يفوته نعت فيها وسواء كانت محمودة عرفًا وعقلاً وشرعًا أو مذمومة عرفًا وعقلاً وليس ذلك إلا لمسمى اللَّه خاصة »[1] .

فعلى قول ابن عربي هذا أن القائلين بوحدة الوجود يصفون اللَّه عز وجل بكل ما في هذا الكون من أوصاف سواء كانت هذه الأوصاف قبيحة أو حسنة بل يصفونه بكل موجود في هذا الكون من حيوان وإنسان وجن وغيرها من مخلوقات اللَّه وذلك لأنهم يعتقدون بأنه لا موجود في هذا الكون إلا اللَّه

---

(١) « فصوص الحكم » لابن عربي (ص٧٩) .

أما ما عداه فهي مجرد مجالي ومظاهر للّه سبحانه وتعالى وهذا كفر بواح بل ليس على الأرض كفر أكبر من هذا الكفر ولقد كرر مثل هذا المعنى في كتابه « الفصوص » مرات عديدة فقال :

« ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات وأخبر بذلك عن نفسه وبصفات النقص وبصفات الذم »[١] .

ولم يكتف ابن عربي بهذا بل زعم أن الحق لا يشهد أتم شهود ولا يعرف حق المعرفة إلا في المرأة . . . حال اللذة والشهوة وإليك نص عبارته الوقحة البعيدة عن الأدب حيث قال :

« ولما أحب الرجل المرأة طلب الوصلة أي غاية الوصل التي تكون في المحبة فلم يكن في صورة النشأة العنصرية أعظم وصلة من النكاح ولهذا تعم الشهوة أجزاءه كلها ولذلك أمر بالاغتسال منه فعمت الطهارة كما عم الفناء فيها عند حصول الشهوة فإن الحق غيور على عبده أن يعتقد أنه يلتذ بغيره فطهره بالغسل ليرجع بالنظر إليه فيمن فني فيه إذ لا يكون إلا ذلك فإذا شاهد الرجل الحق في المرأة كان شهودًا في منفعل وإذا شاهد في نفسه من حيث ظهور المرأة عنه شاهده في فاعل وإذا شاهده في نفسه من غير استحضار صورة ما تكون عنه كان شهوده في منفعل عن الحق بلا واسطة فشهوده للحق في المرأة أتم وأكل . . . لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل منفعل . . . ومن نفسه من حيث هو منفعل خاصة فلهذا أحب الرسول ﷺ النساء لكمال شهود الحق فيهن إذ لا يشهد الحق مجردًا عن المواد أبدًا »[٢] .

---

(١) « فصوص الحكم » لابن عربي (ص٨٠) .

(٢) « فصوص الحكم » لابن عربي (ص٢١٧) .

واستطرد ابن عربي مقرراً هذا المعنى شارحًا له فقال :

« فشهود الحق في النساء أعظم الشهود وأكمله » .

وقال أيضًا : « فمن أحب النساء على هذا الحد فهو حب إلهي » .

وقال أيضًا :

صح عند الناس أني عاشق غير أن لم يعرفوا عشقي لمن[1]

قال الشيخ عبد الرحمن الوكيل معلقًا على قول ابن عربي هذا :

« الرجل والمرأة عند ابن عربي صورتان من صور اللّه ، يعني حقيقة تتجلى في صورتي رجل وامرأة وفي حال المواقعة يسمى الرجل فاعلاً والمرأة منفعلة ويدين الزنديق بأن ربه فاعل منفعل معًا فهو فاعل لتعينه في صورة رجل وهو منفعل لتعينه في صورة امرأة مع رجل ولما كانت المرأة هكذا يصور الزنديق تعتبر فاعلة لشدة تأثيرها في الرجل في تلك الحال العاصفة بالشهوة فإن شهود الإله الصوفي في المرأة الهلوك أتم وأكمل إذ يشاهده فيها في صورة فاعل ومنفعل . وهنا يبدو خطر التصوف الجامح على الخلق والعرض والأمة ماذا يفعل الصوفي وهو يؤمن أن المرأة هي أتم وأكمل مجالي الإله ماذا سيحدث منه وهو يؤمن أن ربه امرأة يواقعها رجل . اعفني من الجواب لأنك ستدرك الجواب وستدرك أن التصوف دعوة ملحة إلى الإباحية الماجنة وهذا يؤكد لك ما قررته من قبل وهو أن لحيوان الشهوة المعربد في أعماق ابن عربي أثرًا بعيدًا في تصوفه فقد توله وهو بمكة حين زارها سنة (٥٩٨هـ) بحب غانية هي ابنة الشيخ مكين الدين الأصفهاني ولكنها لم تهدهد من نزواته الفواجر ولم ترو غلة ذئبه الظامىء إلى الدم

---

(١) « فصوص الحكم » لابن عربي (ص٢١٨) .

فنظم يستدرجها إلى الغواية فيها ديوان شعره المسمى « ترجمان الأشواق » وابن عربي نفسه يقر بأنه نظم ديوانه هذا بتلك الغانية القتول وحين عصفت الفضيحة بهواه فر هاربًا من مكة حتى لا يجابه عار الفضيحة بيد أن الهوى ظل يعصف به ويلهبه وثمة نفس عن جحيمه بخيلات زندقته فراح يصور به في صورة امرأة ويزعم أنه يتجلى أجمل وأحلى ما يتجلى في صورة امرأة تقترف كل هذا من أجل امرأة لم تستطع شهوته أن تضرس منها اللحم وتعرق العظم[1] .

* ومن المتصوفة الكبار الذين قالوا بوحدة الوجود وألفوا فيها كتبًا ابن سبعين[2] .

يعتبر ابن سبعين من كبار مشائخ الصوفية الملاحدة الذين قالوا بوحدة الوجود وإليك نماذج من مقالاته التي كتبها لتوضيح عقيدة وحدة الوجود.

---

(١) « مصرع التصوف » لبرهان الدين البقاعي هامش (ص١٤٤) .

(٢) هو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الإشبيلي المرسي أبو محمد من القائلين بوحدة الوجود وله كتب كثيرة في التصوف والفلسفة وقد كفره كثير من الناس له مريدون وأتباع يعرفون بالسبعينية .

قال ابن دقيق العيد : جلست مع ابن سبعين من ضحوة إلى قريب الظهر وهو يسرد كلامًا ما تعقل مفرداته ولا تعقل مركباته .

وقال الذهبي : أشهد عن ابن سبعين أنه قال : لقد تحجر ابن آمنة واسعًا بقوله : «لا نبي بعدي» وكان يعتقد في اللَّه عز وجل أنه حقيقة الموجودات وقصد في مكة فنزل يجرى حتى مات نزفًا وقال محمد بن شاكر الكتبي بعد أن حكى كلمات الكفر عن ابن سبعين : فإن كان ابن سبعين قال هذا فقد خرج به من الإسلام مع أن هذا الكلام هو أخف وأهون من قوله في ربه أنه حقيقة الموجودات تعالى اللَّه عن ذلك علوًا كبيراً .

انظر « لسان الميزان » (٣/ ٣٩٢) و«دائرة المعارف الإسلامية » (١/ ١٨٨) و« الأعلام » للزركلي (٤/ ٥١) .

فقد قال في إحدي رسائله والتي تسمى بـ « الرسالة النورية » مخاطبًا أحد تلاميذه وموجهًا له إلى المعتقد الذي يجب أن يعتقده نحو ربه حيث أوصاه لكي يذكر ربه بأي شيء أراد وأن يسميه بأى اسم يخطر في باله وأخبره بأن كل ما في هذا الكون هو اللَّه سبحانه وإليك نص كلامه :

قال ابن سبعين :

« وجميع ما توجه الضمير إليه اذكره به ولا تبال وأي شيء يخطر ببالك سمه به من اسمه « الوجود » كيف بأسماء منحصرة هيهات ؟

اللَّه لا اسم له إلا الاسم المطلق أو المفروض فإن قلت نسميه بما سمى به أو نبيه يقال لك : من سمى نفسه « اللَّه » قال لك : إن كل شيء وجميع من تنادي أنا »[1] .

ففي هذا النص قول ابن سبعين بوحدة الوجود ظاهر في قوله لتلميذه : « إن كل شيء وجميع من تنادي أنا » .

وهذا نص آخر يزعم فيه ابن سبعين بأن الموجود في هذا الكون اللَّه فقط ولذا فهو عين الحامد والحمد وهو عين كل شيء ظاهر في هذا الوجود.

وإليك نص كلامه الدال على ما قلته .

فقد قال في إحدى رسائله معبراً عن عقيدته الوجودية وموضحًا لها :

« اللَّه فقط ، اللَّه المستعان والمستعين والإعانة معنى فيه في كونه معينًا ومستعينًا الحمد للَّه في الأزل والأبد والمجد ومن هو بهما عين الحامد

---

(١) « رسائل ابن سبعين » (ص١٨٤) .

والحمد ولا حول ولا قوة إلا بالساري بذاته في أفعاله عن أسمائه بصفاته أحب فتسمى بالحي وأحاط فتسمى بالعالم . . . هو عين كل ما ظهر فحق له أن يتسمى بالظاهر وهو معنى كل معنى فحق له أن يتسمى بالباطن »[1] .

ففي هذا النص صرح ابن سبعين بعقيدته الصوفية وحدة الوجدة ويظهر هذا في كل النص وبالتحديد يظهر جليًا في قوله : « عين الحامد والحمد » أي أن اللَّه سبحانه وتعالى عين كل أحد يحمده ولذا فكل من حمد اللَّه فقد حمد نفسه لأنه عين اللَّه وأن الحمد المحمود به اللَّه سبحانه وتعالى هو عين اللَّه وعلى هذا فليس هناك إله يحمد ويعبد لأن كل ما في هذا الكون «اللَّه».

ويظهر أيضًا في قوله : « هو عين كل ما ظهر » ومعنى هذا أن اللَّه سبحانه وتعالى عين كل شيء ظاهر في هذا الوجود ومعنى هذا أن كل الموجودات هي « اللَّه » ولذا فليس هناك عابد ولا معبود .

ويقول ابن سبعين أيضًا معبرًا عن عقيدته الوجودية وموضحًا لها :

« فإن الحق واحد وما عداه وهم والأوهام هي المستندة والمستند إليها بوجه ما ونحن تلك الأوهام بل نحن نحن بل هو هو بل لا يقال : نحن ولا هو من حيث الإشارة والميل ولكنها تشعر بالشيء الذي يجد ذلك الشيء من كل الجهات ويصرف هو والهو هو إلى أنا ويجد الإنية والهوية معًا[2] »[3] .

---

(١) « رسائل ابن سبعين » (ص١٩٠) .

(٢) الأنانية والأنينة عبارة عن الحقيقة التي يضاف إليها كل شر من العبد كقولك نفسي وروحي ويدي وتكون حقيقتك وباطنك غير الحق ونفي الأنينية هو عين معنى الإله ثم إثبات الحق سبحانه في باطنك .

ثانيًا : هو عين معنى إلا اللَّه انظر « معجم مصطلحات الصوفية » (ص٢٦) .

(٣) « رسائل ابن سبعين » رسالة الألواح (ص٢٧٦) .

فإذا نظرنا في هذا النص نجد أن ابن سبعين اعتبر أن الموجود في هذا الكون موجودًا واحدًا فقط وهو اللَّه وما عداه من الموجودات فهي أوهام لا حقيقة لها ألبتة ولذا لا يقال نحن ولا هو بل يقال الصحيح حسب زعمه أن يقال : أنا وذلك كما هو واضح في آخر النص يقول الإنسان هو هو هو إلى أن يصل إلى مرحلة يقول فيها أنا وحينئذ فقد وصل إلى نهاية المعرفة عند المتصوفة وذلك لأنه اعتبر نفسه إلهًا واعتقد أن كل الموجودات في هذا الكون آلهة لأنها مظاهر ومجالي للَّه سبحانه وتعالى وهذه هي عقيدة وحدة الوجود بعينها .

ويقول ابن سبعين في نص آخر أيضًا معبرًا عن عقيدته وحدة الوجود الوجودية في أحد الوصايا التي أوصى بها أصحابه معرفًا لهم بأن العلم الإلهي الصحيح هو معرفة وحدة الوجود وأنه لا يوجد في هذا الكون غير الوحدة المحضة وإليك نص كلامه .

فقد قال : « والذي تحتاج إليه أن تعلمه أن الأولى أن يطلق العلم الإلهي على معرفة الوحدة وأن المقصود منه هو التوحيد وأن الموحد صاحب النتيجة الماحية لكل معلوم فيه غير الوحدة المحضة والذي يبلغ هذه الدرجة أدرك المقصود »[1] .

فإذا نظرنا في هذا النص نجد أن ابن سبعين صرح بعقيدة وحدة الوجود في عدة ألفاظ منه فمثلاً في قوله : « والذي تحتاج إليه أن تعلمه أن الأولى أن يطلق العلم الإلهي على معرفة الوحدة » والمتصوفة يقصدون بكلمة الوحدة « وحدة الوجود » ويظهر أيضًا في قوله : « وأن الموحد صاحب

---

(١) « رسائل ابن سبعين » (ص٣١٤) .

النتيجة الماحية لكل معلوم فيه غير الوحدة المحضة » والمعنى أن الموحد يتدرج في التوحيد إلى أن يصل إلى الاعتقاد بوحدة الوجود وهذه هي غاية التصوف التي يسعون للوصول إليها وهي كما تعلم نهاية الإلحاد والكفر.

وقال الدكتور أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني بعد أن ذكر جملة من عبارات ابن سبعين التي تدل على الوحدة المطلقة :

« إن ابن سبعين يريد أن يقول : إن العقول القاصرة تميز بين الذوات المجردة وغيرها وبين الواجب والممكن والمحال والحقيقة إن هذا التمايز باطل ووهم لأن الوجود واحد، والواحد لا يتعدد والرب المألوف الذي يتصوره البعض متميزاً عن وجود الممكنات قد يكون نقطة البداية التي يبدأ منها المسترشد فإذا ما وصل إلى نهاية تحقيقه تبين له أنه لا تمايز إطلاقًا بين الذوات وأن الممكن هو عين الواجب فيكون ما يدين به بعد وصوله أعلى مرتبة مما كان يدين به قبل الوصول ويكون فهمه للألوهية في الإسلام أرقى من فهم الواقفين عند حد الإثنينية بين الخالق والمخلوق وكأن ابن سبعين يريد أن يقول: إن عوام المسلمين لقصور عقولهم عن إدراك الوحدة المطلقة يفرضون تصورًا معينًا للألوهية على أنفسهم ولا كذلك الخواص الذين يتحررون عما فرضه أولئك العوام من قصور الألوهية فيثبتون الوحدة الوجودية المطلقة التي هي عين التوحيد الحقيقي الذي دعا إليه الإسلام »[1].

* ومن كبار أئمة التصوف الذين قالوا بوحدة الوجود عبد الكريم الجيلي ويظهر ذلك من خلال كلامه الآتي حيث أنشد الأبيات التالية معبراً بها عن عقيدته وحدة الوجود حيث قال :

---

(١) « كتاب ابن سبعين وفلسفته الصوفية » للتفتازاني (ص٢٢٣) .

فما ثم شيء سوى اللَّه في الــورى　　وما ثم مسموع وما ثم سامع

هو العرش والكرسي والمنظر العلي　　هو السدرة اللاتي إليه المراجع

هو الأصل حقًا والرسوم مع الهـوى　　هو الفلك الدوار وهو الطبائع

هو النور والظلماء والماء والهــوى　　هو العنصر الناري وهو الطبائع[(١)]

ففي هذه الأبيات صرح عبد الكريم الجيلي بأنه لا يوجد شيء في هذا الكون غير اللَّه ولذا فليس هناك شيء يسمى مسموعًا وشيء آخر يسمى سامعًا لأن الكل حسب زعمه الباطل آلهة ثم بدأ في التفصيل فقال : إن اللَّه هو الكرسي وهو العرش وهو الفلك الذي يدور وهو الطبائع الأربع البرودة والحرارة وغيرها من أصناف الطبائع وهو النور المضيء وهو الظلمة الحالكة وهو الماء والهواء الذي نستنشقه بل هو النور أيضًا وهذه هي بعينها عقيدة وحدة الوجود حيث أن القاعدة التي تقوم عليها هي اعتبار بأن ما في هذا الكون كله رب معبود وما هذه الأشكال والهياكل إلا مظهر من مظاهر اللَّه كما يزعمون تعالى اللَّه عن ذلك علواً كبيراً .

وقال عبد الكريم الجيلي أيضًا موضحًا عقيدة وحدة الوجود :

« اعلم أن جميع حقائق الوجود وحفظها في مراتبها تسمى الألوهية وأعني بحقائق الوجود أحكام المظاهر مع الظاهر فيها أعني الحق والخلق فشمول المراتب الإلهية وجميع المراتب الكونية وإعطاء كل حقه من مرتبة الوجود هو معنى الألوهية »[(٢)] .

ويقول أيضًا : « واعلم أن للرب في كل موجود وجهًا كاملاً وذلك

---

(١) « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي (١/ ٦١م) و« فتوح الغيب » للجيلاني (ص٢٠٣) .

(٢) « الإنسان الكامل » للجيلي (١/ ٣٧) .

الوجه على صورة ذلك الموجود وروح ذلك الموجود على صورة محسوسة وجسد وهذا الأمر للرب أمر ذاتي »[(١)] .

ففي النصين السابقين اعتقاد الرجل بوحدة الوجود واضح جداً ويظهر لنا ذلك في قوله : « اعلم أن جميع حقائق الوجود وحفظها ومراتبها تسمى الألوهية » والمعنى أن كل الموجودات في هذا الكون يصح أن يطلق عليها لفظ الآلهه لأنها لا وجود لها في الحقيقة بل الموجود الوحيد في هذا الكون هو اللّٰه سبحانه وتعالى وما عداه ما هو إلا مظاهر ومجالي للّٰه سبحانه وتعالى وهذه هي عقيدة وحدة الوجود لا غير .

* ومن أئمة التصوف الذين قالوا بوحدة الوجود ابن عجيبة الحسني[(٢)] ويتضح لنا هذا من خلال كلامه الآتي حيث قال معبراً عن عقيدة وحدة الوجود ووصف العارفين :

« وأما العارفون فقد ظفروا بنفوسهم ووصلوا إلى شهود معبودهم فهم يستأنسون بكل شيء لمعرفتهم في كل شيء يأخذون النصيب من كل شيء ويفهمون عن اللّٰه في كل شيء فإذا مدحوا انبسطوا باللّٰه لشهودهم المدح من اللّٰه وإلى اللّٰه ولا شيء في الكون سواه »[(٣)] .

ففي هذا النص يظهر لنا بوضوح قول ابن عجيبة بوحدة الوجود ويظهر لنا هذا في قوله : « فإذا مدحوا انبسطوا باللّٰه لشهودهم المدح من اللّٰه ولا

---

(١) « الإنسان الكامل » للجيلي (١/ ٢٤) .

(٢) هو أحمد بن محمد المهدي بن عجيبة الحسني صوفي من أهل المغرب وله كتب كثيرة في التصوف انظر (ص٤٧) من هذا الكتاب .

(٣) « الفتوحات الإلهية » لابن عجيبة (ص٤١٣) .

شيء في الكون سواه » ومعنى هذا الكلام واضح جلي لا يحتاج إلى بيان ولكن من باب تحديد الشاهد في النص فقط للفصل ومعنى هذا الكلام أن العارفين باللَّه ينبسطون إذا مدحوا لأنهم يعتقدون أن المادح اللَّه وأن الممدوح اللَّه أيضًا وذلك لأن في هذا الكون لا يوجد سوى اللَّه شيء وما دام الأمر كذلك إذًا فكل ما يوجد في هذا الكون آلهة تمشي وعلى هذا فلا مانع من عبادة كل ما يدب على وجه الأرض.

* ومن أئمة التصوف الذين قالوا بوحدة الوجود أبو سعيد الحزاز[1] ويظهر لنا هذا في كلامه الآتي حيث قال شارحًا لقول ابن عربي الآتي :

« أنت لا أنت » قال أبو سعيد الحزاز أنه وهو وجه من وجوه الحق ولسان من ألسنته كما علمت[2] .

وقال أيضًا حين سئل فقيل له : « بم عرفت اللَّه » ؟ قال : بجمعه بين الأضداد وما هو إلا ظهور الحق في صورته بجميع أسمائه المتضادة فهو محكوم عليه بها كالحق بل هو حق من حيث الحقيقة وجه خاص من وجوهه من حيث تعينه وخصوصيته كسائر المحدثات إذ ليس في الوجود غيره إلا أن الوجود متفاوتة متفاضلة بحسب ظهور الأسماء فيها وبطونها وغلبة أحكام الوجوب والإمكان فيها بعضها على بعض كغلبة الروحانيات في بعضها والجسمانية في بعضها »[3] .

ففي النصين السابقين يتضح لنا قول الحزاز بوحدة الوجود صراحة

---

(١) أبو سعيد الحزاز هو أحمد بن عيسى قال عنه الجنيد لو طالبنا اللَّه بحقيقة ما عليه أبو سعيد الحزاز لهلكنا توفي (٢٧٧هـ) وقيل (٢٨٦هـ) انظر في « صفة الصفوة » لابن الجوزي(٢/ ٢٤٥) .

(٢) « شرح القاشاني على الفصوص » (ص٧٨) .

(٣) « شرح القاشاني على الفصوص » (ص٧٨) .

حيث قال في شرح قول ابن عربي « أنت لا أنت » : إن ابن عربي يقصد بهذا أنه واللَّه وجه من وجوه الحق ولسان من ألسنته لأنه لا موجود في هذا الكون غير اللَّه حسب عقيدة أهل وحدة الوجود وفي النص الثاني تظهر لنا عقيدة وحدة الوجود في أبي سعيد الحزاز في قوله : « إذ ليس في الوجود غيره إلا أن الوجود متفاوتة متفاضلة بحسب ظهور الأسماء فيها » إذًا ما دام لا يوجد شيء في هذا الكون غير اللَّه فكل ما يمشي على وجه هذه الأرض فهو مجالي ومظاهر للَّه سبحانه وتعالى تنزه اللَّه عما يقول الظالمون وتقدس.

* ومن أئمة التصوف الذين قالوا بوحدة الوجود ابن الفارض ومن النصوص الدالة على هذا قوله في الأبيات التالية قال :

تجلت في تجليها الوجود لناظري ... ففي كل مرئى أراها برؤية

وأشهدت غيبي إذ بدت فوجدتني ... هنالك إياها بجلوة خلوتي

وطاح وجودي في شهودي وبنت عن ... وجود شهودي ما حيا غير مثبت

وعانقت ما شاهدت في محو شاهده ... بمشهده للصحو من بعد سكري[1]

ففي هذه الأبيات صرح ابن الفارض بوحدة الوجود ويظهر لنا هذا جليًا في البيت الأول حيث صرح بأنه يرى اللَّه في كل شيء يراه ومعنى ذلك لا يوجد شيء سوى اللَّه في هذا الكون وما هذه الأشباح الموجودة إلا مظاهر ومجالي للَّه سبحانه وتعالى وليس لها وجود في الحقيقة وهذا حسب معتقد أهل وحدة الوجود الباطل.

قال الدكتور مصطفى حلمي تعليقًا على هذه الأبيات التي أوردتها عن

---

(١) « ابن الفارض والحب الإلهي » لمصطفى حلمي (ص١٩٠) .

ابن الفارض :

« لترى أن الشاعر هنا يذهب إلى ما يشتم منه رائحة وحدة الوجود فهو يقول إن المحبوبة في حال تجليها وظهورها قد أظهرت لعينه الوجود بحيث أصبح يراها في كل موجود وأنه حين كشف عن باطنه الحجاب شهد أن ذاته هي عين ذات المحبوبة وأن وجوده قد انمحى في شهوده ولترى فوق هذا كله أنه تمسك في صحوه الحاصل بعد سكره بما شاهده في باطنه وهو أن المحبوبة هي الوجود المطلق وهذا ينتهي بابن الفارض إلى أن يصبح فناؤه من فناء الملاحدة القائلين بوحدة الوجود وبأن الرب الذي هو عند ابن الفارض المحبوبة عين الوجود أي أن وجود الرب هو عين وجود العالم »[1] .

وقال الدكتور مصطفى حلمي أيضًا :

« يدور الاتحاد عند ابن الفارض حول فكرة الجمع »[2] .

وقال أبو سعيد الحزاز موضحًا معنى الجمع في المصطلح الصوفي :

قال : « الجمع عبارة عن إيجاد الحق نفسه في أنفس السالكين بل إعدامه لوجودهم لأنفسهم عند وجودهم له »[3] .

وقال القاشاني[4] في معنى الجمع في المصطلح الصوفي :

(١) « ابن الفارض والحب الإلهي » لمصطفى حلمي (ص١٩٠) .

(٢) « ابن الفارض والحب الإلهي » لمصطفى حلمي (ص١٩٨) .

(٣) « التعرف لمذهب أهل التصوف » (ص١٤٤) .

(٤) القاشاني هو عبد الرزاق القاشاني كمال الدين صوفي ومن تصانيفه « شرح منازل السائرين » للهروي و « شرح فصوص الحكم » لابن عربي وله كتب كثيرة في التصوف.
انظر ترجمته في « معجم المؤلفين » لكحالة (٥/ ٢١٥) .

« إن معني الجمع أنه تزول فيه التفرقة بين القدم والحدوث إذ لما انجذبت الروح إلى مشاهدة جمال الذات استتر نور العقل الفارق بين الأشياء في غلبة نور الذات القديمة وارتفع التمييز بين القدم والحدوث لزهوق الباطل عند مجيء الحق»[1] .

* ومن أئمة التصوف الذين قالوا بوحدة الوجود ابن عطاء اللَّه السكندري[2] .

ويظهر لنا معتقده هذا من خلال كلامه الآتي حيث قال معبراً عن عقيدته الوجودية :

« الأولياء وليان :

١ ـ ولي يفنى عن كل شيء فلا يشهد مع اللَّه شيئًا .

٢ ـ وولي يبقى في كل شيء فيشهد اللَّه في كل شيء وهذا أتم لأن اللَّه سبحانه لم يظهر المملكة إلا كي يشهد فيها فالكائنات مرايا الصفات فمن غاب عن الكون غاب عن شهود الحق فيه فما نصبت الكائنات لتراها ولكن لترى فيها هو لا هي فمراد الحق منك أن تراها بعين من لا يراها : تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث كونيتها »

ثم أنشد الأبيات التالية :

---

(١) « ابن الفارض والحب الإلهي » لمصطفى حلمي (ص١٩٨) .

(٢) ابن عطاء اللَّه السكندري هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء اللَّه تاج الدين أبو الفضل الإسكندراني الشاذلي صحب الشيخ الشاذلي أبا العباس الشاذلي المرسي الشاذلي وصنف مناقبه ومناقب شيخه وكان المتكلم على لسان الصوفية في زمانه وهو من المتصوفة الذين قاموا على شيخ الإسلام ابن تيمية وقد بالغ في عدائه لشيخ الإسلام إلى أبعد الحدود (ت٧٠٧هـ) .

انظر ترجمته في « الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة » لابن حجر العسقلاني (١/ ٢٩١) .

مـــــا أبينـــت لك العوالـــم إلا   لتراها بعين من لا يراهـــا

فارق عنها رقي من ليس يرضـى   حالة دون أن يرى مولاهـا

ثم قال : « فالناظر في الكائنات غير شاهد للحق فيها غافل والفاني عنها عبد بسطوات الشهود ذاهل والشاهد للحق فيها عبد مخصص كامل وإنما ترفع الهمة عن الكون من حيث كونيته لا من حيث ظهور الحق فيه وذلك لعدم نفوذهم إليه من كل شيء لا لعدم ظهوره في كل شيء فإنه ظاهر في كل شيء حتى إنه ظاهر فيما احتجب به فلا حجاب » .

ثم أنشد الأبيات التالية :

وأنت الذي أظهرت ثم ظهرت في   جميع المبادي مثل ما شهد العرف

ظهر لكل الكون فالكون مظهر   وفيه له أيضًا كما جاءت الصحف[1]

إذا نظرنا في النصوص السابقة سنجد أن القول بوحدة الوجود ظاهر فيها جدًا فمثلاً في قوله : « ولي يفنى عن كل شيء فلا يشهد مع اللّه شيئًا » وفي قوله : « ولي يبقى في كل شيء فيشهد اللّه في كل شيء وهذا أتم لأن اللّه سبحانه لم يظهر المملكة إلا كي يشهد فيها فالكائنات مرايا الصفات ».

وابن عطاء السكندري يقصد بهـذا أن يقول : إن العارف الحقيقي هو « الذي لا يشهد في هذا الكون مع اللّه شيئًا بل يرى اللّه فقط وأن من يرى اللّه فقط في هذا الكون أكمل منه ممن يرى اللّه في كل شيء في هذا الكون وما خلق اللّه هذه الكائنات إلا لكي يظهر فيها اللّه سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً » .

---

(١) «لطائف المنن» لابن عطاء اللّه السكندري تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود (٩٠ ـ ٩١) .

وهذه هي عقيدة وحدة الوجود بعينها .

* ومن أئمة التصوف الذين قالوا بوحدة الوجود إبراهيم الدسوقي .

وقد بالغ هذا الرجل في توضيح هذه العقيدة ويتضح لنا هذا من خلال أبياته التالية التي قالها معبراً عن عقيدته الوجودية حيث قال :

تجلى لي المحبوب في كل وجهة	فشاهدته في كل معنى وصورة
وخاطبني مني يكشف سرائري	فقال أتدري من أنا قلت منيتي
فأنت مناي بل أنا أنت دائمـًا	إذا كنت أنت اليوم عين حقيقتي
وانظر في مرآة ذاتي شاهــدًا	لذاتي بذاتي وهي غايــة بغيتي
وما شهدت عيني سوى عين ذاتها	وإن سواها لا يلــم بفكرتي
بذاتي تقوم الذات في كــل ذروة	أجد فيها حلــة بعــد حلة
فليلى وهند والرباب وزينــب	وعلوى وسلمى بعدهــا وبثينة
عبارات أسماء بغيــر حقيقــة	وما لوحوا بالقصد إلا لصورتي[1]

ويقول أيضًا : « من أدخل دار الفردانية وكشف له عن الجلال والعظمة بقي هو بلا هو »[2] .

إذا نظرنا في الأبيات السابقة نجد بأن قول إبراهيم الدسوقي بوحدة الوجود واعتناقه لها ظاهر جلي ففي البيت الأول صرح بأن اللَّه ظهــر له في كل الجهات وأنه رآه في كل شيء سواء كان هذا الشــيء معنويًا أو حسيًا .

وفي البيت الثالث : يقول إبراهيم الدسوقي مخاطبًا اللَّه سبحانه وتعالى: « بل أنا أنت » .

---

(١) « الطبقات الكبرى » للشعراني (١/ ١٨٢) .

(٢) « الطبقات الكبرى » للشعراني (١/١٦٧) .

والمعنى أنه هو اللّٰه وأن اللّٰه عين حقيقة الدسوقي حسب زعمه وأن ذات اللّٰه تقوم بذات الدسوقي في كل مرة وأنه يظهر فيها الله واحدة تلو الأخرى .

وأن كل ما يسمى بليلى وهند والرباب وزينب وعلوى وسلمى وبثينة ما هي إلا الأسماء مجردة عن الحقيقة .

فالكل يطلق عليه إله وأن الجميع ما لوحوا بالقصد إلا لصورة إبراهيم الدسوقي لأنه عين ذات اللّٰه كما يزعم وهذه هي عقيدة وحـدة الوجود بعينها.

* ومن أئمة الصوفية الذين قالوا بوحدة الوجود لسان الدين الخطيب ويتضح لنا هذا من خلال كلامه الآتي فقد قال معبـراً عن عقيدة وحدة الوجود :

« وأول مراتب العلم الإلهي هو عين الذات المعبر عنه بحقيقة الحقائق الكلية وسريانه في كل اعتبار ففي الإلهية إلهيًا وفي الكونية كونيًا والكل مظاهره وهو قسمان ذاتي ووجداني يلازمه الغني معناه شهود الذات نفسه من حيث الوحدانية التي هي مظهر للأمرية بجميع الاعتبارات والشئون معنويها ومثاليها وحسيها دنيا وبرزخًا وآخرة دفعة واحدة من حيث الكل في شهود الحق عينًا واحدة[1]

وقال أيضًا حاكيًا عن المتصوفة مثله :

« قالوا وإذا شهد العارفون الحق على ما هو عليه بعدم ذواتهم من غير

---

(١) « روضة التعريف بالحب الشريف » للسان الدين الخطيب (ص٥٨١) .

حجاب تجلت لهم جميع الصور الموجودات ما رأيت شيئًا إلا رأيت اللَّه فيه»[1] .

فإذا نظرنا في النصين السابقين نجد قول لسان الدين الخطيب بوحدة الوجود ظاهراً . ويظهر لنا هذا في السطرين الأولين من النص الأول وبالذات في قوله « والكل مظاهره » أي أن جميع ما في هذا الكون مظاهر ومجالي للَّه سبحانه وتعالى وفي النص الثاني يظهر لنا قول لسان الدين بوحدة الوجود في قوله : « تجلت لهم جميع الصور الموجودات ما رأيت شيئًا إلا رأيت اللَّه فيه » أي أن اللَّه سبحانه وتعالى يتجلى ويظهر في جميع الصور الموجودة في هذا الكون وهذه هي عقيدة وحدة الوجود بعينها.

* ومن أئمة التصوف الذين قالوا بوحدة الوجود علي وفا[2] ويظهر ذلك من خلال تفسيره للآية الآتية حيث فسر قوله تعالى : ﴿**ألا أنه بكل شيء محيط**﴾ فقال : أي كإحاطة ماء البحر بأمواجه معنى وصورة فهو حقيقة كل شيء وهو ذات كل شيء وكل شيء عينه وصفته فافهم[3] .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن قول علي وفا واضح فيها وبالأخص في آخر النص ألا وهو قوله : « فهو حقيقة كل شيء وهو ذات كل شيء

---

(١) « روضة التعريف بالحب الشريف » للسان الدين الخطيب (ص٤٦٤) .

(٢) قال عنه الشعراني في ترجمته وهو يعدد أقطاب التصوف :

ومنهم العارف باللَّه سيدي محمد وفا ـ رضي اللَّه عنه ـ كان من أكابر العارفين وأخبر ولده سيدي علي أنه هو خاتم الأولياء صاحب الرتبة العلية وكان أمينًا وله لسان غريب في علوم القوم ومؤلفاته كثيرة . . . ولما دنت وفاته خلع منطقته على الإبرازي صاحب الموشحات وقال هي وديعة عندك حتى تخلعها على ولدي علي . انظر « الطبقات الكبرى » للشعراني (٢/ ٢١) .

(٣) « الطبقات الكبرى » للشعراني (٢/ ٢٣) .

وكل شيء عينه وصفته فافهم » والشاهد من النص أن علي وفا صرح بأن اللّٰه حقيقة وذات وعين وصفة كل شيء موجود في هذا الكون وعلى هذا فلا موجود في هذا الكون إلا اللّٰه وهذه هي عقيدة وحدة الوجود .

* ومن أئمة التصوف الذين قالوا بوحدة الوجود أحمد الفاروقي

ويتضح لنا هذا في كلامه الآتي حيث قال معبرًا عن عقيدته الوجودية وموضحًا لها :

« وجدت اللّٰه عين الأشياء كما قاله أرباب التوحيد الوجودي من متأخري الصوفية ثم وجدت اللّٰه في الأشياء من غير حلول ولا سريان ثم ترقيت في البقاء وهو ثاني قدم في الولاية فوجدت الأشياء ثانيًا فوجدت اللّٰه عينها بل عين نفسي ثم وجدت اللّٰه تعالى في الأشياء بل في نفسي ثم مع الأشياء بل مع نفسي »[1] .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن أحمد الفاروقي قال بوحدة الوجود صراحة ويتضح لنا هذا في السطر الأول من النص وهو قوله : « وجدت اللّٰه عين الأشياء كما قاله أرباب التوحيد الوجودي من متأخري الصوفية » وأرباب التوحيد الوجودي يعني بهم أهل وحدة الوجود وبما أنه يؤكد هذه العقيدة ويشهد على أنه بالفعل وجد اللّٰه عين الأشياء فهو من أهل وحدة الوجود.

* ومن أئمة التصوف الذين قالوا بوحدة الوجود عبيد اللّٰه أحرار .

فقد قال مبينًا عقيدة وحدة الوجود :

« كمال الحمد أن يحمده العبد ويعرف أنه لا حامد إلا هو تعالى وأنه

---

(١) « المواهب السرمدية » (ص١٨٢) .

العبد عدم محض لا رسم له ولا اسم ولا فعل وإنما يبتهج سرورًا بكونه تعالى جعله مظهرًا لصفاته »[1] .

* ومن أئمة التصوف الذين قالوا بوحدة الوجود عبد الرزاق القاشاني ويتضح لنا ذلك من خلال كلامه الآتي حيث قال موضحًا عقيدته :

« فإن للحق في كل خلق ظهورًا بحسب استعداد ذلك الخلق فهو الظاهر في مفهوم بقدر استعداد الفاهم . . . فإن الحقيقة الإلهية المطلقة لم تكن هوية إلا باعتبار تقييدها ولو تقيد الإطلاق كقوله : « هو اللَّه أحد » وأما من حيث هي هي فهي مطلقة مع تقيدها بجميع القيود الأسمائية فالعالم هويته أي حقيقته بقيد الظهور »[2] .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن القاشاني قال بوحدة الوجود صراحة ويظهر هذا في قوله : « فالعالم هويته أي حقيقته » والمعنى أن كل ما في هذا العالم حقيقة اللَّه سبحانه وتعالى وهذه هي عقيدة وحدة الوجود .

وقال القاشاني أيضًا في شرح بيت ابن عربي الآتي :

وما حكمه في موطن دون موطن ولكنه بالحق للخلق سافر[3]

قال القاشاني :

« أي ليس حكمه في موطن أولى به من موطن آخر فإن المواطن كلها بالنسبة إلى الحق سواء ففي أي موطن تجلى كان حكم تجليه في سائر المواطن كذلك ولكنه تعالى بحقيقته يسفر عن وجه الحق للخلق قال وفيه إيماء إلى اللَّه أنه يظهر بحقيقته للخلق في صورة الخلق فلم يظهر لأنه إنما

---

(١) « الأنوار القدسية » للشعراني (١٦١) .

(٢) « شرح القاشاني على الفصوص » (ص٥٧) .

(٣) « الفصوص مع شرح القاشاني » (ص١٠٧) .

يبرز في صورة العين الثانية لكل واحد من الخلائق فيعرفونه ويشهدونه بقدر ما تجلى لهم فيهم »[(١)] .

وقال أيضًا في شرح بيت ابن عربي الآتية :

ونزهـــــه وشبهـــــه وقم في مقعد الصدق[(٢)]

قال القاشاني :

« ونزهه عن أن يكون متعينًا بتعين فيشبه متعينًا آخر فيلزم الشرك وشبهه بالخلق من حيث الحقيقة فيكون عين كل متعين إذ لا موجود سواه فهو هو أي فاجمع بين التنزيه والتشبيه بنفي ما سواه مطلقًا فتقوم في مقعد الصدق في مقام التوحيد الذاتي والجمع بين المطلق والمقيد »[(٣)] .

وقال القاشاني في شرح قول ابن عربي : « أنت لا أنت » :

« ينطق عن نفسه بأن اللّه لا يعرف إلا بجمعه بين الأضداد في الحكم عليه بها فهو الأول والآخر والباطن فهو عين ما ظهر وهو عين ما بطن في حال ظهوره وما ثم من يراه غيره وما ثم من يبطن عنه فهو ظاهر لنفسه باطن عنه وهو المسمى أبا سعيد الحزاز وغير ذلك من أسماء المحدثات»[(٤)] .

إذا نظرنا في النصوص السابقة نجد أن القول بوحدة الوجود ظاهر وواضح فيها ولا أظنها تحتاج إلى شرح .

* ومن أئمة التصوف الذين قالوا : بوحدة الوجود بالي أفندي[(٥)] .

---

(١) « شرح القاشاني على الفصوص » (ص١٠٧) .

(٢) « فصوص الحكم مع شرح القاشاني » (ص ١٢٠) .

(٣) « شرح القاشاني على الفصوص » (ص١٢٠) .

(٤) « شرح القاشاني على الفصوص » (ص٧٨) .

(٥) هو بالي أفندي صوفي زمانه وشيخ عصره وهو المكنى بخليفة الصوفية (ت٩٦٠هـ). انظر الصفحة الأولى من « شرح الفصوص » .

ومما يدل على أنه قال بوحدة الوجود كلامه الآتي الذي قاله معبراً به عن عقيدته حيث قال : مفسراً قول ابن عربي الآتي : « أنت لا أنت » :

« أي الموجودات عين الحق من حيث الأحدية « لا أنت » أي الموجودات ليست عين الحق من حيث التعينات الخليقية »[١] .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن بالي أفندي صرح بعقيدة وحدة الوجود ويظهر لنا هذا جليًا في قوله :

« أي الموجودات عين الحقيقة من حيث الأحدية » .

* ومن أئمة الصوفية الذين قالوا بوحدة الوجود أحمد الرفاعي

ومما يدل على أنه كان يعتقد عقيدة وحدة الوجود قوله الآتي :

« وراقبه في الخلوات والجلوات واحمده واشكره على الفقر والغنى واترك الأغيار فما في الذر غيره ديار وكن صوفيًا صافيًا »[٢] .

ويقول أيضًا : « الذكر حفظ القلب من الوسواس وترك الميل إلى الناس والتخلي عن كل قياس وإدراك الوحدة بالكثرة وحسن ملاحظة المعنى »[٣] .

ففي النصين السابقين قول أحمد الرفاعي بوحدة الوجود واضح فيهما أما النص الأول فالشاهد فيه هو قول الرفاعي :

« واترك الأغيار فما في الذر غيره ديار » أي لا يوجد شيء في هذه

---

(١) « هامش شرح الفصوص » للقاشاني (ص٧٨) .

(٢) « قلادة الجواهر » للصيادي (ص١٥١) .

(٣) « قلادة الجواهر » للصيادي (ص١٤٨) .

الحياة وكلمة «الأغيار» يعني بها الصوفية الغير أي اترك وجود اعتقاد شيء في هذا الكون غير اللّٰه وإذا كان كذلك فكل ما يوجد في هذا الكون لا حقيقة لوجوده وإنما هو مظاهر ومجال للّٰه سبحانه وتعالى .

أما في النص الثاني فقد صرح فيه الرفاعي بعقيدة وحدة الوجود ويتضح لنا هذا في قوله : « وإدراك الوحدة بالكثرة » .

ويعني بهذا أن ما في هذا الكون مع كثرته في الظاهر ينبغي أن يعتقد الإنسان الصوفي الواصل أو العارف أنه مظاهر ومجال للّٰه سبحانه وتعالى وبالتالي فلا موجود إلا اللّٰه .

ومن أوراد الطريقة الشاذلية الدالة على أنهم يقولون بوحدة الوجود الورد الآتي :

« وزج بي في بحار الأحدية وانشلني من أوحال التوحيد وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أحس إلا بها »[(١)] .

ويقول أبو الحسن الشاذلي[(٢)] معبراً عن عقيدة وحدة الوجود :

« إلهي لطفك الخفي ألطف من أن يرى وأنت اللطيف الذي لطفت بجميع الورى حجبت من سريان سرك في الأكوان فلا يشهده إلا أهل المعرفة والعيان »[(٣)] .

---

(١) « النفحة العلية في الأوراد الشاذلية » (ص١٦) .

(٢) أبو الحسن الشاذلي هو عبد اللّٰه بن عبد الجبار الشاذلي مؤسس الطريقة الشاذلية إحدى الطرق الصوفية الواسعة الانتشار في العالم نسبة إلى قرية اسمها شاذلة قرية من قرى أفريقيا وقد وصفه كثير من الصوفية بأنه قطب الزمان حجة الصوفية القطب الغوث الجامع حسب زعمهم (ت٦٥٦هـ) . انظر ترجمته في « طبقات الشعراني » (٢/ ٤) .

(٣)

* ومن أئمة التصوف الذين قالوا بوحدة الوجود الششتري[1] .

وقد ادعى هذا الصوفي بأن ربه قد ظهر في كل ما في هذا الكون من المخلوقات سواء كانت عاقلة أو غير عاقلة أو جمادات وإليك نص كلامه :

« محبوبي قد عم كل الوجود وقد ظهر في بيض وسود وفي النصارى مع اليهود وفي الخنازير مع القرود وفي الحروف مع النقط أفهمني قط أفهمني قط عرفته طول الزمان ظهر لي في كل أوان وفي المياه وفي الدلوان وفي الطلوع وفي الهبوط أفهمني قط أفهمني قط »[2] .

فقول هذا الرجل بوحدة الوجود ظاهر وواضح وجلي وما أظنه يحتاج إلى الشرح لأنه قد صرح بأن محبوبه ويقصد به اللّٰه سبحانه وتعالى قد ظهر في كل الموجودات .

ومن أوراد الطريقة القادرية التي تدل على أنهم يقولون بوحدة الوجود[3] الورد الآتي :

« الحمد للّٰه الذي كيف الكيف وتنزه عن الكيفية وأين الأين وتعزز عن الأينية ووجد في كل شيء وتقدس عن الظرفية وحضر عند كل شيء وتعالى عن العندية »[4] .

ومنها : « يا أول كل شيء ويا آخر كل شيء ويا ظاهر كل شيء ويا

---

(١) الششتري هو علي بن عبد اللّٰه المتوفي (٦٦٨هـ) انظر ترجمته في « الأعلام » للزركلي (٣/ ٢٣٩) .

(٢) « إيقاظ الهمم في شرح الحكم » لابن عجيبة (ص٤٣) .

(٣) الطريقة القادرية نسبة إلى عبد القادر الجيلاني وهي طريقة واسعة الانتشار على امتداد العالم الإسلامي .

(٤) « الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية » (ص٤١ عقيدة الغوث) .

باطن كل شيء »[1] .

إذا نظرنا في هذين النصين نجد أن دندنة القادريين بوحدة الوجود واضحة فمثلاً في النص الأول يظهر لنا قولهم بوحدة الوجود في قولهم : « ووجد في كل شيء » والمعنى أن اللّٰه حالٌّ في كل ما في هذا الكون وأن الجميع مظاهره.

وفي النص الثاني : عقيدة وحدة الوجود ظاهرة فيه .

ونكتفي بهذا في إيراد النصوص عن مجموعة من أئمة التصوف لإثبات بأن المتصوفة بالفعل يعتقدون هذه العقيدة الإلحادية وننتقل إلى المطلب الثاني والذي سأذكر فيه بعض المفاسد التي ترتبت على القول بوحدة الوجود[2] .

المطلب الثاني

المضاعفات التي ترتبت على القول بوحدة الوجود

بعد أن بينت في المطلب السابق اعتناق المتصوفة لعقيدة وحدة الوجود وأثبت ذلك بإيراد مجموعة من النصوص عن أئمتهم العظام عندهم والذين يفتخرون بهم[3] أحب أن أذكر بعض العقائد الباطلة الخطيرة التي وقع فيها المتصوفة نتيجة اعتقادهم بوحدة الوجود رغم أن الاعتقاد بوحدة الوجود كاف جدًا لوحده لتحويل من يعتقد هذه العقيدة إلى ملحد كافر برب العالمين أريد أن أذكر نماذج من المضاعفات العظيمة التي وقعوا فيها زيادة في الإيضاح لبيان خطورة اعتناق هذه العقيدة الكفرية .

---

(١) « الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية » (ص١٥ورد الصبح) .

(٢) انظر (ص٢٧٤ ـ ٢٨١) .

(٣) انظر (ص٢٣٦ ـ ٢٦٥) .

أولاً : من العقائد الفاسدة التي وقع فيها المتصوفة القائلون بوحدة الوجود : تجويز عبادة كل شيء موجود في هذا الكون :

لقد جوز المتصوفة القائلون بوحدة الوجود عبادة كل شيء موجود في هذا الكون وذلك انطلاقًا من عقيدتهم الباطلة التي تقول بأن كل ما في هذا الكون يعتبر مجالي ومظاهر للَّه سبحانه وتعالى ولذا يجب على الإنسان أن يعبد كل شيء في هذا الوجود ويحب كل شيء لأن عبادته لأي شيء من الأشياء من هذا الكون يعتبر عبادة اللَّه سبحانه وتعالى لأن الكل يطلق عليه عند القائلين بوحدة الوجود « اللَّه » بل يعتقد المتصوفة بأن حصر العبادة على اللَّه سبحانه وتعالى يعتبر نقصًا في التوحيد وحصرها في بعض أجزاء الإله لأن الكل في هذا الوجود يعتبر جزءًا من اللَّه تعالى اللَّه عما يقولون علواً كبيراً ولذا يجب عبادة كل شيء .

فمن الأمور الدالة على أنهم يجوزون عبادة كل شيء هو تصريحهم بأن عبدة الأوثان والأصنام تعتبر عباداتهم صحيحة وأنهم يعتبرون بعبادتهم للأوثان والأصنام من دون اللَّه عبدوا اللَّه سبحانه وتعالى وذلك انطلاقًا من معتقدهم الفاسد بأن الكل في هذا الكون يطلق عليه « اللَّه » لأنه مظهر من مظاهر اللَّه ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

فابن عربي يعتبر موقف السامري وصناعته للعجل من أجل أن يعبده بنو إسرائيل من دون اللَّه صحيحًا وأن موقف هارون عليه السلام النبي المرسل من عند اللَّه تعالى خطأ لأن السامري عرف الحق في نظر ابن عربي وهارون لم يعرف الحق ولذا أنكر على بني إسرائيل عبادة العجل لأن هارون ـ حسب زعم ابن عربي المفتري ـ لم يعرف هذا العقيدة الإلحادية التي يقول بها ابن

عربي والتي تعتبر كل ما في هذا الكون آلهة ولم يكتف بهذا بل زعم أن موسى عرف الحق وأنكر على السامري حصر الإله في شيء واحد فقط لأن كل شيء في هذا الكون يعتبر مجالي ومظاهر للَّه سبحانه .

وإليك كلام ابن عربي نصًا حتى يتضح الأمر جيدًا فقد قال ابن عربي مصححًا موقف السامري ومنكرًا موقف هارون وزاعمًا أن موسى وقف مع السامري في دعوته إلى عبادة غير اللَّه قال :

« ثم قال هارون لموسى عليه السلام : إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل . فتجعلني سببًا في تفريقهم فإن عبادة العجل فرقت بينهم فكان منهم من عبده اتباعًا للسامري وتقليدًا له ومنهم من توقف عن عبادته حتى يرجع إليهم موسى فيسألونه عن ذلك فخشي هارون أن ينسب ذلك الفرقان بينهم إليه فكان موسى أعلم بالأمر من هارون لأنه علم ما عبده أصحاب العجل لعلمه أن اللَّه قضى أن لا يعبد إلا إياه . . . وما حكم اللَّه بشيء إلا وقع فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه فإن العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء »[1] .

ثم يواصل ابن عربي توضيح عقيدته الباطلة فيحرف معنى قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴾[2] قائلاً :

« يعني فيما صَنعت من عدو لك إلى صورة العجل على الاختصاص » أي لماذا خصص العجل فقط بكونه إلهًا والحال في هذه العقيدة أن كل شيء هو اللَّه ولذلك حرق موسى العجل حتى لا يحصر الإله في شيء واحد

(١) « فصوص الحكم » لابن عربي (ص١٩٢) .

(٢) طه : (٩٥) .

تعالى اللَّه عن ذلك علوًا كبيرًا ثم يستطرد ابن عربي قائلاً : « وقال له : ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ﴾ فسماه إلهًا بطريق التنبيه للتعليم أنه بعض لمجال الإلهية »[1] .

فانظر كيف زعم أن قول موسى للسامري :﴿وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ﴾ أن هذا اعتراف من موسى بألوهية العجل لأنه بعض الأشياء التي يتجلى فيها الرب حسب زعم ابن عربي ، سبحانك هذا بهتان عظيم ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا.

ثم يعلل ابن عربي عدم تسلط هارون على نسف العجل وإحراقه وكون موسى هو الذي سلط على ذلك زاعمًا أن هذا كان ليعبد اللَّه في كل صورة والعجل هو إحدى هذه الصور التي يجب عنده أن يعبد اللَّه فيها ويتضح لنا هذا من خلال تحريفه لمعنى الآية الآتية وهي قوله تعالى : ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ حيث قال :

« فللَّه درجات يعبد فيها وكل صنم وإله عبد في الأرض فهو إحدى الدرجات وأسماها »

ثم قال : « فكان عدم قوة إرداع هارون بالفعل أن ينفذ في أصحاب العجل بالتسليط على العجل كما سلط موسى عليه حكمة من اللَّه تعالى ظاهرة في الوجود ليعبد في كل صورة وإن ذهبت تلك الصورة بعد ذلك فما ذهبت إلا بعد ما تلبست عند عابدها بالألوهية .

ثم قال : « وما عبد شيء من العالم إلا بعد التلبيس بالرفعة عند العابد والظهور بالدرجة في قلبه وكذلك تسمى الحق لنا برفيع الدرجات ولم يقل رفيع الدرجة فكثر الدرجات في عين واحدة فإنه قضى أن لا يعبد إلا إياه في

(١) « فصوص الحكم » لابن عربي (ص١٩٢) .

درجات مختلفة أعطت كل درجة مجلى إلهيًا عبد فيها وأعظم مجلى عبد فيه وأعلاه الهوى كما قال : ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ وهو أعظم معبود فإنه لا يعبد شيء إلا به ولا يعبد هو إلا بذاته وفيه أقول :

وحق الهوى أن الهوى سبب الهوى   ولولا الهوى في القلب ما عبد الهوى[1]

ثم قال ابن عربي :

« والعارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه ولذلك سموه كلهم إلهًا مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان أو كوكب أو ملك »[2] .

ثانيًا : يعتقد المتصوفة القائلون بوحدة الوجود أن كل الذين يعبدون غير اللَّه مؤمنون حقًا :

لقد ذهب المتصوفة إلى القول بأن كل العباد في هذا الكون سواءً كانوا عابدين للَّه وحده أو عابدين لغيره من الأوثان والأصنام والأحجار والأشجار والحيوان وغيرها مما يوجد في هذا الكون مؤمنون حقًا لأن الكل يعتبر عابدًا للَّه في نظر المتصوفة وذلك بناءً على معتقدهم الباطل والقائل بأن كل ما في هذا الكون مجالي ومظاهر للَّه فقط وكل فيه جزء من الألوهية فإذا عبدت أي شيء مما يوجد في هذا الكون فكأنما عبد اللَّه ويتضح لنا هذا من خلال زعم ابن عربي بأن قوم نوح أجابوا نوحًا حقًا في دعوته وبما أن نوحًا مكر بهم فلذا هم أيضًا بالمقابل مكروا به وأن تمسك قوم نوح بمعبوداتهم الباطلة وهي الأصنام والأوثان التي كانوا يعكفون حولها ويعبدونها من دون اللَّه يعتبر حقًا

---

(١) « الفصوص » (ص ١٩٤) .

(٢) « الفصوص » (ص١٩٥) .

أراد نوح عليه السلام أن يزيحهم عنه ولكنهم صمدوا على معبوداتهم .

وإليك عبارته نصًا في هذا المجال حتى يتضح الأمر جليًا :

« علم العلماء باللَّه ما أشار إليه نوح عليه السلام في حق قومه من الثناء عليهم بلسان الذم وعلم أنهم إنما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان والأمر قرآن لا فرقان ومن أقيم في القرآن لا يصغي إلى الفرقان وإن كان فيه . . . دعاهم ليغفر لهم لا ليكشف لهم وفهموا ذلك منه ﷺ لذلك جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وهذه كلها صورة الستر التي دعاهم إليها فأجابوا دعوته بالفعل لا بلبيك »(1) .

ثم قال ابن عربي :

« . . . ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ لأن الدعوة إلى اللَّه تعالى مكر بالمدعو ، ﴿ادعوا إلى الله﴾ فهذا عين المكر ، فأجابوه مكرًا كما دعاهم »(2) .

فانظر كيف جعل الدعوة إلى اللَّه مكرًا بالمدعوين ، بل عين المكر ثم بين نوح المكر الذي قابل به قوم نوح نوحًا فيقول :

« فقالوا في مكرهم : ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ فإنهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء فإن للحق في كل معبود وجهًا يعرفه من يعرفه ويجهله من يجهله فما عبد غير اللَّه في كل معبود »(3) .

فمن النصوص المتقدمة يتضح لنا بأن ابن عربي يعتبر الدعوة إلى عبادة

---

(1) « فصوص الحكم » (ص ٧١) .

(2) « فصوص » (ص٧٢) .

(3) « فصوص » (ص ٧٢) .

اللّه وحده مكر ومكيدة بالمدعو مع أن اللّه عز وجل اعتبر الدعوة إلى اللّه من أوضح وأشرف وأحسن الوظائف حيث قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[1] .

وقد أمر اللّه رسوله محمداً ﷺ بالدعوة إلى اللّه فقال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[2] .

ومن هنا نقول أن الدعوة إلى اللّه من أشرف الوظائف وهي وظيفة الأنبياء والمرسلين ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين وليست مكرًا كما يزعم ابن عربي ولم يكتف ابن عربي بهذا بل اعتبر تمسك قوم نوح بعبادة أصنامهم حقًا وأنهم لو تركوا عبادة تلك الأوثان وعبدوا اللّه وحده لاعتبروا بذلك جهالاً باللّه تعالى لأن الكل في هذا الكون يطلق عليه « اللّه » حسب زعم ابن عربي ولذا يعتبر العابد الكل في نظره كل من يصرف العبادات لجميع ما في هذا الكون لا من يحصر عبادته في اللّه سبحانه وتعالى وهذه دعوة صريحة إلى الشرك الذي أرسل اللّه الرسل وأنزل الكتب من أجل نهي الخليقة عنه ولا غرابة في ذلك فإن من يعتقد بوحدة الوجود يعتقد بأن كل ما في هذا الكون مجالي ومظاهر للّه سبحانه وتعالى .

ثم واصل ابن عربي تحريفاته لمعاني الآيات القرآنية فاعتبر قوم نوح غرقى في بحار العلم باللّه تعالى وأن اللّه كان ناصرهم وأن المقصود بالضلال بالنسبة لقوم نوح إنما كان حيرة لمعرفتهم أسرار الربوبية واعتقادهم بأن كل موجود هو اللّه فصاروا بذلك أربابًا عند أنفسهم حسب زعمه وإليك نص كلامه في هذا المجال حيث قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ مِّمَّا

(١) فصلت : (٣٣) .

(٢) النحل : (١٢٥) .

خَطِيئَاتِهِمْ﴾[1] .

« فهي التي خطت بهم فغرقوا في بحار العلم باللَّه تعالى . . . ﴿**فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا**﴾ فكان اللَّه عين أنصارهم فهلكوا فيه إلى الأبد»[2] .

ثم واصل تحريفاته لمعاني الآيات فقال في تفسير قوله تعالى : ﴿**إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ**﴾ قائلاً :

« أي يحرروهم فيخرجوهم من العبودية إلى ما هم فيه من أسرار الربوبية فينظرون أنفسهم أربابًا بعد ما كانوا عند أنفسهم عبيدًا فهم العبيد الأرباب »[3] .

واعتبر ابن عربي أيضًا كفار قريش الذين تمسكوا بآلهتهم الباطلة قائلين: « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى اللَّه زلفى »غير منكرين للَّه بل متعجبين لأنهم وقفوا مع كثرة الصور ونسبوا الألوهية لها ثم يزعم أن الرسول محمدًا ﷺ قد جاء داعيًا لهم إلى إله يعرف ولا يشهد ثم يصف ابن عربي هذا الإله قائلاً :

« فدعا أي الرسول محمد ﷺ إلى إله يصمد إليه ويعلم من حيث الجملة . . . ولا يشهد ولا تدركه الأبصار اللطيفة وسريانه في أعيان الأشياء فلا تدركه الأبصار كما أنها لا تدرك أرواحها المدبرة أشباحها وصورها الظاهرة وهو اللطيف الخبير : والخبرة ذوق ، والذوق تجلي والتجلي في صور فلابد منها ولابد منه فلابد أن يعبده من رآه بهواه إن فهمت .

---

(١) نوح : (٢٥) .

(٢) « الفصوص » (ص٧٣) .

(٣) « الفصوص » (ص٧٤) .

ولم يكتف ابن عربي بتصحيح موقف قوم نوح وكفار قريش بل صرح بأن فرعون اللعين الذي لم تعرف الأرض أكفر منه ولا أظلم من المؤمنين الموحدين الفائزين بالجنة وإليك نص كلامه في هذا المجال فقد قال :

« ولما كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت وأنه الخليفة بالسيف وإن جار بالعرف الناموسي لذلك قال : ﴿**أنا ربكم الأعلىٰ**﴾ أي وإن كان الكل أربابًا بنسبة ما فأنا ربكم الأعلىٰ بما أعطيته في الظاهر من التحكم فيكم ولما علمت السحرة صدقه في مقاله لم ينكروه بل أقروا له بذلك فقالوا : ﴿**فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**﴾[1] ﴿**فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ**﴾ فالدولة لك فصح قوله أنا ربكم الأعلىٰ »[2] .

ويقول ابن عربي متحدثًا عن فرعون أيضًا معقبًا على قوله تعالى : ﴿**قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ**﴾[3] وحاكمًا بنجاة فرعون من عذاب الآخرة :

« فيه قرت عينها بالكمال الذى حصل لها وكان قرة عين لفرعون بالإيمان الذي أعطاه اللَّه عند الغرق فقبضه اللَّه طاهرًا مطهرًا ليس فيه شيء من الخبث » .

وقال عنه أيضًا : « فنجاه اللَّه من عذاب الآخرة في نفسه ونجى بدنه فقد عمته النجاة حسًا ومعنى »[4] .

ففي هذا النص حكم ابن عربي بنجاة فرعون من النار وأنه قبضه اللَّه مؤمنًا فمات طاهرًا مطهرًا وأن النجاة عمت بدنه حسًا ومعنى وهذا يعتبر

---

(١) طه : (٧٢) .

(٢) « الفصوص » (٢١٠ ـ ٢١١) .

(٣) القصص : (٩) .

(٤) « الفصوص » (٢٠١ ـ ٢١٢) .

تكذيبًا للَّه سبحانه وتعالى وكفرًا بكتابه وذلك لأن اللَّه عز وجل أخبرنا بأن فرعون مات كافرًا فمن نصدق أنصدق اللَّه أم نصدق ابن عربي الدجال المفتري؟ . . ولاشك أننا نؤمن بكلام ربنا ونعتقد بأن فرعون مات كافرًا ونكفر بكلام هذا الصوفي الذي يعتقد بأن كل الناس الموجودين في هذا الكون مؤمنون حقًا وأنه ليس هناك تقسيم الناس إلى مؤمنين وكافرين في نظره وهذا معتقد مخالف تمام المخالفة لما جاء في الكتاب والسنة المطهرة حيث قال اللَّه سبحانه وتعالى عن فرعون : ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾[1] .

ثالثًا : من المضاعفات التي ترتبت على القول بوحدة الوجود القول بوحدة الأديان :

إن من أهم المفاسد الخطيرة التي ترتبت على القول بوحدة الوجود والتي يعني بها المتصوفة بأن اللَّه عين خلقه وما الأشياء الموجودة في هذا الكون إلا مظهر من مظاهر اللَّه عز وجل ترتبت على هذه العقيدة الإلحادية قول الصوفية بوحدة الأديان سواء كانت هذه الأديان الأديان الوثنية الباطلة من مجوسية وبوذية وغيرها من الأديان التي ليس لها صلة بالوحي السماوي لا من قريب ولا من بعيد أو الأديان التي لها أساس من الوحي السماوي إلا أنها حرفت وبدلت حتى انقلبت إلى أديان وثنية سَوَّىٰ المتصوفة بين هذه الأديان حتى وصل بهم الأمر إلى أن يساووا بين الإيمان والتوحيد والكفر والشرك وأن الإسلام دين الهدى والقدسية والطهر هو عين الأديان الباطلة التي تدعو إلى الضلال والباطل.

---

(١) غافر : (٤٦) .

يقول ابن عربي في تقرير هذه العقيدة وتوضيحها :

عقد الخلائق في الإله عقائد وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه[1]

وقال أيضًا :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه داني

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائـــف وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنى توجهـت ركائبه فالدين ديني وإيماني[2]

إذا نظرنا في الأبيات السابقة نجد أن ابن عربي قد صرح بأنه يعتقد جميع العقائد الموجودة في هذا الكون وكلمة جميع تعني أنه يعتقد كل العقائد التي يعتقدها البشر على اختلاف عقائدهم تجاه اللَّه سبحانه وتعالى وهذا طبعًا بناه على عقيدته الإلحادية الفاسدة وهي عقيدة وحدة الوجود التي تعتبر أن الكل في هذا الكون ما هو إلا مظاهر ومجالي للَّـه سبحانه فإذا عبد الإنسان أي نوع من هذه الأنواع الموجودة في هذا الكون فعبادته صحيحة لأنه عبد اللَّه في إحـدى صوره وعلى هذا فليس عند ابن عربي ومن يقول من المتصوفة بوحدة الوجود مؤمن ولا كافر بل الجميع مؤمنون حقًا.

ثم في الأبيات الثانية صرح ابن عربي بأنه كان ينكر صاحبه قبل أن يصل إلى هذا المعتقد الإلحادي صاحبه إذا اختلف معه في الدين ولكن بعد أن وصل إلى قمة الإلحاد والاعتقاد بأن كل ما يمشي على وجه الأرض آلهة

---

(١) « فصوص الحكم » لابن عربي (ص٣٤٥) .

(٢) « ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق » لابن عربي (ص٣٩) .

أصبح يحب أي مخلوق بقطع النظر عما يحمله من معتقد وذلك لأن قلبه أصبح متهيئًا لقبول أي صورة معبودة في هذا الكون وأن قلبه أصبح قابلاً لعبادة الرهبان النصارى وعبادة الأوثان وعبادة المسلمين وعبادة اليهود وأكد أنه يدين بدين الحب فقط وأنه يحب الكل وأن كل الديانات الموجودة في هذا الكون دينه وإيمانه بقطع النظر عن مصدر هذه الديانات أهي ديانة إلهية أم ديانة وثنية لأن كل الأديان في نظر أهل وحدة الوجود واحدة وليس هناك دين صحيح ودين باطل بل الجميع صحيح .

وحذر ابن عربي من الإيمان بدين خاص والكفر بما سواه فقال :

« فإياك أن تتقيد بعقد مخصوص وتكفر بما سواه فيفوتك خير كثير بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه فكن في نفسك هيولي[1] لصور المعتقدات كلها فإن اللّٰه تعالى أوسع وأعظم من أن يحصره عقد دون عقد فالكل مصيب وكل مصيب مأجور سعيد وكل سعيد مرضي عنه »[2] .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن ابن عربي حذر من أن يعتقد أحد بدين واحد فقط ويكفر بما سواه وذلك حتى لا يفوته الخير الكثير ودعا إلى أن يكون أي أحد قابلاً لكل المعتقدات على اختلافها لأن اللّٰه سبحانه وتعالى أوسع من أن يكون محصورًا في معتقد واحد فقط وصرح بأن كل عابد في هذه الدنيا مصيب أيًا كان معبوده وأن الكل سعداء مرضي عنهم وعلى هذا ففي معتقد أهل وحدة الوجود ليس هناك كافر قط بل الكل مؤمنون حقًا .

(١) الهيولي لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة وفي الاصطلاح هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين الجسمية والنوعية .

انظر « المعجم الفلسفي » (ص٥٣٦) .

(٢) « فصوص الحكم » لابن عربي .

وهذا المعتقد الخبيث وصل بالصوفية إلى نفي عذاب الآخرة وصرحوا بأنه سمي عذاب الآخرة عذابًا لعذوبة طعمه وليس هذا القول بغريب فيمن يعتقد بأن كل ما في هذا الكون يطلق عليه « اللّٰه » وما دام كل ما في هذا الكون يطلق عليه الرب إذًا فالمشرك والموحد أيضًا من جملة ما في هذا الكون يطلق عليهما الرب ولذا يستحيل أن يعذب الرب نفسه ولهذا يقول ابن عربي مقررًا بأن الجنة والنار متساوية وأن كلاً منهما فيه نعيم وراحة :

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده ... وما لوعيد الحق عين تعاين
وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم ... على لذة فيها نعيم مباين
نعيم جنان الخلد فالأمر واحد ... وبينهما عند التجلي تباين
يسمى عذابًا من عذوبة طعمه ... وذاك كالقشر والقشر صائن[1]

ولا غرابة في قول ابن عربي هذا ما دام يعتقد بأن الرب عين العبد وأن الإيمان صنو الكفر حقيقة وغاية فما الذي يمنعه من الإيمان بأن الوعد عين الوعيد وأن نعيم الجنة وكوثرها عين عذاب السعير وغسلينها فأي قضاء على الدين والأخلاق أشد طغيانًا من ذلك إذا كان العمل الصالح والعمل الخبيث يستويان وإذا كانت الفضيلة عين الرذيلة وإذا كان الخير قرين الشر وما مصير الإنسانية لو آمنت بهذه الصوفية إلا الهلاك والدمار.

وبناء على هذا المعتقد الباطل حكم ابن عربي بنجاة فرعون موسى حيث قال معقبًا على قوله تعالى : ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ :

« فبه قرت عينها بالكمال الذي حصل لها وكان قرة عين لفرعون بالإيمان الذي أعطاه اللّٰه عند الغرق فقبضه طاهرًا مطهرًا ليس فيه شيء من الخبث »[2] .

---

(١) « فصوص الحكم » لابن عربي (١/ ٩٤) بتحقيق الدكتور عفيفي .

(٢) « فصوص الحكم » (ص١ ٢٠) .

ويقول عن فرعون أيضًا :

« نجاه اللَّه من عذاب الآخرة في نفسه ونجى بدنه فقد عمته النجاة حسًا ومعنى »[1] .

* ومن المتصوفة الذين قالوا بوحدة الأديان عبد الكريم الجيلي وإليك نص كلامه فقد قال معبراً عن عقيدة وحدة الأديان :

وأسلمت نفسي حيث أسلمني الهوى   وما لي عن حكم الحبيب تنازع
فطورًا تراني في المساجد راكعًا   وإني طورًا في الكنائس راتع
إذا كنت في حكم الشريعة عاصيًا   فإني في علم الحقيقة طائع[1]

ففي النص السابق صرح عبد الكريم الجيلي بالقول بوحدة الأديان وأنه هو بنفسه مرة يركع في المساجد ومرة في الكنائس وذلك لأنه يعتقد أن الأديان كلها واحدة وإن اختلفت العقائد التي تقوم عليها هذه الأديان وسواء كانت هذه الأديان وثنية أو صليبية أو يهودية أو إسلامية قائمة على توحيد اللَّه عز وجل وعبادته وحده لا شريك له فالكل عنده سواسية ولذلك لا غرابة عنده في الجمع بين هذه الديانات.

ويقول عبد الكريم الجيلي مفسراً « لا إله إلا اللَّه » :

« يعني الإلهية المعبودة ليست إلا أنا فأنا الظاهر في تلك الأوثان والأفلاك والطبائع وفي كل ما يعبده أهل كل ملة ونحلة فما تلك الآلهة كلها إلا أنا ولهذا أثبت لهم لفظ الآلهة وتسميته لهم بهذا اللفظ من جهة ما هم عليه في الحقيقة ، تسمية حقيقية لا مجازية إنه أراد أن يبين لهم أن تلك

---

(١) « فصوص الحكم » (ص٢١٢) .

(٢) « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي (١/ ٢٣) .

الآلهة مظاهر وأن حكم الألوهية فيهم حقيقة وأنهم ما عبدوا في جميع ذلك إلا هو فقال: «لا إله إلا أنا» أي ما ثم من يطلق عليه اسم الإله إلا هو أنا.. لا إله إلا أنا أي ما ثم إلا أنا، وكل ما أطلق عليه اسم الإله فهو أنا »[١].

* ومن المتصوفة الذين قالوا بوحدة الأديان ابن الفارض

فقد قال معبراً عن معتقده بأن الأديان واحدة وأن بإمكان الإنسان أن يجمع بين هذه المعتقدات المتناقضة فيصلي في المساجد ومرة يذهب إلى بيع اليهود ومرة إلى كنائس النصارى وذلك من أجل أن يجمع بين هذه الأديان لأنه يعتقد أن كلها واحدة وكذلك يسجد للأشجار والأحجار والأصنام والأوثان ويسجد للَّه أيضًا وأن الكل في نظره عبادة للَّه سبحانه وتعالى لأن كل موجود في هذا الكون عند الصوفية الوجودية يطلق عليه الرب.

وإليك كلام ابن الفارض نصًا فقد قال في « تائيته الكبرى »:

مجلس الأذكار سمع مطالع ... ولي حانة الخمار عين طليعة
وما عقد الزنار حكمًا سوى يدي ... وإن حل بالإقرار بي فهي حلت
وإن نار بالتنزيل محراب مسجد ... فما يا رب الإنجيل هيكل بيعة
وأسفار توراة الكليم لقومه ... يناجي بها الأحبار في كل ليلة
وإن خر للأحجار في البد عاكف ... فلا وجه للإنكار بالعصبية
وزاغت الأبصار من كل ملة ... وما زاغت الأفكار من كل نحلة
وما احتار من للشمس عن غرة صبا ... وإشراقها من نور أسفار غرتي
وإن عبد النار المجوس وما انطفت ... كما جاء في الأخبار في ألف حجة
فما قصدوا غيري وإن كان قصدهم ... سوايا وإن لم يظهروا عقد نية[١]

---

(١) « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي (١/ ٢٣).

(٢) « التائية الكبرى » لابن الفارض ضمن ديوانه المسمى بـ « ديوان ابن الفارض » (ص١١٤).

فمن خلال هذه الأبيات الشعرية يتضح لنا معتقد ابن الفارض الفاسد الباطل حيث صرح في هذه الأبيات بأن الحانات التي تشرب فيها الخمور والأماكن التي يتعبد فيها اليهود والكنائس التي يتعبد فيها النصارى وهياكل المجوس والصائبة وبيوت الأصنام ومجالس ذكر اللّه ومساجد اللّه التي يعبد فيها اللّه سبحانه وتعالى كل هذه الأماكن عند ابن الفارض سواسية لا فرق بينها فهي أماكن يعبد فيها اللّه عبادة يحبها ويرضاها ولا غرابة في هذا فكل من يعتقد بوحدة الوجود يرى أن العابد والمعبود شيء واحد ولذا يرى ابن الفارض أن البشرية على اختلاف دياناتها وعقائدها كلها على بينة من الهدى والفرقان ذلك لأن القائل بوحدة الوجود يرى أن كل ما في هذا الكون ما هو إلا الذات الإلهية متعينة في صور بشرية .

ويقول جوليد زيهر :

« مهما تظاهر الصوفيون بتقديرهم للإسلام فلغالبيتهم نزعة مشتركة إلى محو الحدود الفاصلة بين العقائد والأديان وعندهم أن هذه العقائد كلها لها نفس القيمة النسبية إزاء الغاية المثلى التي ينبغي الوصول إليها »[1] .

والخلاصة التي نخرج بها هي أن المتصوفة بالفعل قالوا : بوحدة الوجود وقد أثبت ذلك بإيراد نصوص من أئمة التصوف وأن هذا المعتقد الإلحادي جر المتصوفة القائلين به إلى تجويز عبادة كل شيء في هذا الكون وذلك انطلاقًا من عقيدتهم الباطلة التي تقول : إنه لا موجود في هذا الكون إلا اللّه وأن جميع ما فيه ما هو إلا مظاهر ومجالي للّه سبحانه وتعالى .

وجرهم أيضًا أن يقولوا : إن عباد الأوثان والأصنام عبادتهم صحيحة

---

(١) « العقيدة والشريعة » لجوليد زيهر (ص١٧٠) .

وأنهم كانوا أفقه من الأنبياء حينما رفضوا توحيد اللَّه وأصروا على عبادتها بل صرح كبيرهم وشيخهم الذي يعتبرونه الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر بأن فرعون مات مؤمنًا وقد قبضه اللَّه طاهرًا مطهرًا.

وجرهم أيضًا هذا المعتقد إلى القول بأن الأديان كلها واحدة سواء كانت هذه الأديان لها صلة بالوحي السماوي أم لم يكن لها فكل عابد فهو عابد للَّه ولو عبد الوثن والصنم لأن الصنم المعبود حسب معتقد أهل وحدة الوجود فيه وجه من الألوهية .

وهذه كلها عقائد باطلة كل منها كما نرى كاف لإخراج الإنسان من الإسلام وتحويله إلى ملحد كافر وسيتضح لنا هذا في المبحث الآتي بعد هذا مباشرة حينما نذكر موقف الإسلام من عقيدة وحدة الوجود إن شاء اللَّه[1] .

المطلب الثالث

حكم من آمن بوحدة الوجود في ميزان الإسلام

لقد اتضح لنا فيما سبق بأن عقيدة وحدة الوجود هي الاعتقاد بأنه لا موجود في هذا الكون إلا اللَّه وما هذه الأشياء التي نراها بأعيننا إلا مظاهر ومجالي للَّه سبحانه وتعالى[2] .

ومذهب أهل السنة والجماعة أن اللَّه سبحانه وتعالى بائن من خلقه لا يشبهه شيء من مخلوقاته متصف بصفات الكمال فله الأسماء الحسنى والصفات العلى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فهو المتفرد بالجلال

---

(١) انظر (ص٢٨١ ـ ٢٩٥) .

(٢) انظر : (ص٢٣٦ ـ ٢٦٥) .

المتصف بصفات الكمال المنزه عن النقائص والعيوب فمن اعتقد أن اللَّه تعالى متحد بمخلوقاته وأن العبد عين الرب ، والرب عين العبد فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ وخالف الفطر والشرائع وقد كفّر اللَّه تعالى النصارى الذين قالوا : إن اللَّه اتحد بعيسى عليه السلام فقال سبحانه : ﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم**﴾ فكيف بمن يقول إن اللَّه متحد مع جميع مخلوقاته فهو أولى بأن يكون كافراً لأنه يعتقد أن اللَّه متحد بجميع ما في هذا الكون.

أما الآن فإليك أقوال العلماء في حكم من يعتقد بوحدة الوجود :

ولنبدأ بشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه تعالى رحمة واسعة فهو أكثر من كتب في الرد على هؤلاء الملاحدة وبيّن معتقدهم الخبيث ورد عليهم ردوداً مقنعة في كثير من كتبه وإليك نبذة من مقالاته التي كتبها في الرد عليهم :

فقد قال رحمه اللّه راداً على الاتحادية تحت عنوان اتحاد الصوفية أشر من كفر أهل الكتاب :

« فهذه المقالات وأمثالها من أعظم الباطل وقد نبهنا على بعض ما يعرف معناها وأنه باطل والواجب إنكارها فإن إنكار هذا المنكر الساري في كثير من المسلمين أولى من إنكار دين اليهود والنصارى الذي لا يضل به المسلمون لا سيما وأقوال هؤلاء شر من قول اليهود والنصارى ومن عرف معناها واعتقدها كان من المنافقين الذين أمر اللَّه بجهادهم بقوله تعالى: ﴿**جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ**﴾[1] والنفاق إذا عظم كان صاحبه شراً من كفار أهل الكتاب وكان في الدرك الأسفل من النار وليس لهذه المقالات

---

(١) التوبة : (٧٣) .

وجه سائغ ولو قدر أن بعضها يحتمل في اللغة معنى صحيحًا فإنما يحمل عليها إذا لم يعرف مقصود صاحبها وهؤلاء قد عرف مقصودهم كما عرف دين اليهود والنصارى والرافضة ولهم في ذلك كتب مصنفة وأشعار مؤلفة وكلام يفسر بعضه بعضًا وقد علم مقصودهم بالضرورة فلا ينازع في ذلك إلا جاهل لا يلتفت إليه ويجب بيان معناها وكشف مغزاها لمن أحسن الظن بها أو خيف عليه أن يحسن الظن بها أو أن يضل فإن ضرر هذه على المسلمين أعظم من ضرر السراق والخونة الذين لا يعرفون أنهم سراق وخونة فإن هؤلاء غاية ضررهم موت الإنسان أو ذهاب ماله وهذه مصيبة في دنياه قد تكون سببًا لرحمته في الآخرة وأما هؤلاء فيسقون الناس شراب الكفر والإلحاد في آنية أنبياء اللَّه وأوليائه ويلبسون ثياب المجاهدين في سبيل اللَّه وهم في الباطن من المحاربين للَّه ولرسوله ويظهرون كلام الكفار والمنافقين في قوالب ألفاظ أولياء اللَّه المحققين فيدخل الرجل معهم على أن يصير مؤمنًا وليًا للَّه فيصير منافقًا عدوًا للَّه.

ولقد ضربت لهم مرة مثلاً بقوم أخذوا طائفة من الحجاج ليحجوا بهم فذهبوا بهم إلى قبرص فقال لي بعض من كان قد انشكف له ضلالهم من أتباعهم : لو كانوا يذهبون بنا إلى قبرص لكانوا يجعلوننا نصارى وهؤلاء يجعلوننا شرًّا من النصارى والأمر كما قال هذا القائل »[1] .

ولقد ذكر شيخ الإسلام رحمه اللَّه جملة من العلماء الذين قالوا : بتكفير أهل الوحدة والاتحاد فقال :

« من المشائخ الذين قالوا بتكفير الاتحادية : هم سعيد بن المسيب والحسن البصري وعمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس والأوزاعي وإبراهيم

(١) « الرسائل والمسائل » لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١٣٠) .

ابن أدهم وسفيان الثوري والفضيل بن عياض والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم » .

إلى أن قال : « كل هؤلاء متفقون على تكفير هؤلاء ومن هو أرجح منهم وأن اللَّه سبحانه ليس هو خلقه ولا جزءًا من خلقه وصفة لخلقه بل هو سبحانه وتعالى مميز بنفسه المقدسة بائن بذاته المعظمة عن مخلوقاته وبذلك جاءت الكتب الأربعة الإلهية من التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وعليه فطر اللَّه تعالى عباده وعلى ذلك دلت العقول »[1] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض حديثه عن ابن عربي وعقيدته الوجودية :

« ليس عند ابن عربي رب وعالم كما تقول الفلاسفة الإلهيون الذين يقولون بواجب الوجود وبالعالم الممكن الوجود بل عنده وجود العالم هو وجود اللَّه وهذا يطابق قول الدهرية الطبائعية الذين ينكرون وجود الصانع مطلقًا ولا يقرون بوجود واجب غير العالم كما ذكر اللَّه عن فرعون وذويه وقوله مطابق لقول فرعون لكن فرعون لم يكن مقرًا باللَّه وهؤلاء يقرون باللَّه ولكن يفسرونه بالوجود الذي أقر به فرعون لم يكن مقرًا باللَّه وهؤلاء يقرون باللَّه ولكن يفسرونه بالوجود الذي أقر به فرعون فهم أجهل من فرعون وأضل وفرعون أكفر منهم في كفره من العناد والاستكبار ما ليس في كفرهم كما قال تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[2] .

وقال له موسى : ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾[3] .

---

(١) « الرسائل والمسائل » لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١٨٦) .

(٢) النمل : (١٤) .

(٣) الإسراء : (١٠٢) .

وجماع أمر صاحب الفصوص وذويه هدم أصول الإيمان الثلاثة فإن أصول الإيمان :

الإيمان باللَّه والإيمان برسله والإيمان باليوم الآخر .

فأما الإيمان باللَّه فزعموا أن وجوده وجود العالم ليس للعالم صانع غير العالـم .

وأما الرسول فزعموا أنهم أعلم باللَّه منه ومن جميع الرسل ومنهم من يأخذ العلم باللَّه الذي هو التعطيل ووحدة الوجود من مشكاته وأنهم يساوونه في أخذ العلم بالشريعة عن اللَّه .

وأما الإيمان باليوم الآخر فقد قال :

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده ... وما لوعيد الحق عين تعاين

وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم ... على لذة فيها نعيم مباين

وهذا يذكر عن بعض أهل الضلالة قبله أنه قال : إن النار تصير لأهلها طبيعة نارية يتمتعون بها وحينئذ فلا خوف ولا محذور ولا عذاب لأنه أمر مستعذب . ثم إنه في الأمر والنهي عنده الآمر والناهي والمأمور والمنهي واحد »[1] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أثناء تقسيمه للقائلين بالاتحاد :

قال : « الرابع : الاتحاد العام : وهو قول هؤلاء الملاحدة الذين يزعمون أنه عين وجود الكائنات وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى من وجهين :

---

(١) « الرسائل والمسائل » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٨٢) .

الأول : من جهة أن أولئك قالوا إن الرب يتحد بعبده الذي قربه واصطفاه بعد أن لم يكونا متحدين وهؤلاء يقولون ما زال الرب هو العبد وغيره من المخلوقات ليس هو غيره .

والثاني : من جهة أن أولئك خصوا ذلك بمن عظموه كالمسيح وهؤلاء جعلوا ذلك ساريًا في الكلاب والخنازير والقذر والأوساخ وإذا كان اللّٰه تعالى قال : ﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم**﴾ فكيف بمن قال : إن اللّٰه هو الكفار والمنافقون والصبيان والمجانين والأنجاس والأنتان وكل شيء، وإذا كان اللّٰه قد رد قول اليهود والنصارى لما قالوا : ﴿**نحن أبناء الله وأحباؤه**﴾ وقال لهم ﴿**قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق**﴾ فكيف بمن يزعم أن اليهود والنصارى هم أعيان وجود الرب الخالق ليسوا غيره ولا سواه ولا يتصور أن يعذب إلا نفسه وأن كل ناطق في الكون فهو عين السامع كما في قوله ﷺ : « **إن اللّٰه تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها** » وأن الناكح عين المنكوح. . . » .

ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

« وهؤلاء الملاحدة الاتحادية ضلال أكثرهم لا يعقلون قول رؤوسهم ولا يفقهونه وهم في ذلك كالنصارى كلما كان الشيخ أحمق وأجهل كان للّٰه أعرف وعندهم أعظم ولهم حظ من عبادة الرب الذي كفروا به كما للنصارى هذا ما دام أحدهم في الحجاب فإذا ارتفع عن قلبه وعرف أنه هو فهو بالخيار بين أن يسقط عن نفسه الأمر والنهي لحفظ المراتب وليقتدي به الناس المحجوبون وهم غالب الخلق ويزعمون أن الأنبياء كانوا كذلك إذ عدوهم كاملين »[1] .

---

(١) « الرسائل والمسائل » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٢٩ ـ ٣١) .

وقد ناقش شيخ الإسلام ابن تيمية الاتحادية بالأدلة النظرية فقال رحمه اللّٰه في بعض ما يظهر به كفرهم وفساد قولهم :

« . . . وذلك من وجوه :

أحدها : أن حقيقة قولهم أن اللّٰه لم يخلق شيئًا ولا ابتدعه ولا برأه ولا صوره لأنه إذا لم يكن وجود إلا وجوده فمن الممتنع أن يكون خالقًا لوجود نفسه أو بارئًا لذاته فإن العلم بذلك من أبين العلوم وأبدهها للعقول إن الشيء لا يخلق نفسه ولهذا قال سبحانه : ﴿**أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون**﴾ فإنهم يعلمون أنهم لم يكونوا مخلوقين من غير خالق ويعلمون أن الشيء لا يخلق نفسه فتعين أن لهم خالقًا وعند هؤلاء الكفار الملاحدة الفرعونية أنه ما ثم شيء يكون الرب قد خلقه وبرأه أو أبدعه إلا نفسه المقدسة ونفسه المقدسة لا تكون مخلوقة مربوبة مصنوعة مبروءة لامتناع ذلك في بدائه العقول من ذلك من أظهر الكفر عند جميع أهل الملل وأما على رأى صاحب الفصوص فما ثم إلا وجوده والذوات الثابتة في العدم الغنية عنه ووجوده لا يكون مخلوقًا والذوات غنية عنه فلم يخلق اللّٰه شيئًا .

الثاني : أن عندهم أن اللّٰه ليس رب العالمين ولا مالك الملك أو ليس إلا وجوده وهو لا يكون رب نفسه ولا يكون الملك المملوك هو الملك المالك وقد صرحوا بهذا الكفر مع تناقضه وقالوا : أنه هو ملك الملك بناء على وجوده مفتقر إلى ذوات الأشياء وذوات الأشياء مفتقرة إلى وجوده فالأشياء مالكة لوجوده فهي ملك الملك .

الثالث : أن عندهم أن اللّٰه لم يرزق أحدًا شيئًا ولا أعطى أحدًا شيئًا ولا رحم أحدًا ولا أحسن إلى أحد ولا هدى أحدًا ولا أنعم على أحد نعمة

ولا علم أحدًا علمًا ولا علم أحدًا البيان ، وعندهم في الجملة لم يصل منه إلى أحد لا خير ولا شر ولا نفع ولا ضرر ولا عطاء ولا منع ولا هدى ولا ضلال أصلاً وأن هذه الأشياء جميعها عين محض وجوده فليس هناك غير يصل إليه ولا أحد سواه ينتفع بها ولا عبد يكون مرزوقًا أو منصورًا أو مهديًا .

ثم على رأى صاحب « الفصوص » أن هذه الذوات ثابتة في العدم والذوات هي أحسنت وأساءت ونفعت وضرت وهذا عنده سر القدر .

وعلى رأى الباقين ما ثم ذات ثابتة غيره أصلاً بل هو ذات نفسه بنفسه ولا عن نفسه بنفسه وهو المرزوق المضروب المشتوم وهو الناكح والمنكوح والآكل والمأكول وقد صرحوا بذلك تصريحًا بينًا .

الرابع : أن عندهم أن اللَّه هو الذي يركع ويسجد ويخضع ويعبد ويصوم ويجوع ويقوم وينام وتصيبه الأمراض والأسقام وتبتليه الأعداء ويصيبه البلاء وقد صرحوا بذلك وصرحوا بأن كل كرب يصيب النفوس فإنه هو الذي يصيبه وأنه إذا أنفس الكرب فإنما يتنفس عنه ولهذا كره بعض هؤلاء الذين هم من أكفر خلق اللَّه وأعظمهم نفاقًا وإلحادًا وعتوًا على اللَّه وعنادًا أن يصبر الإنسان على البلاء لأن عندهم هو المصاب المبتلى وقد صرحوا بأنه موصوف بكل نقص وعيب فإنه ما ثم من يتصف بالنقائص والعيوب غيره فكل عيب ونقص وكفر وفسوق في العالم فإنه هو المتصف به لا متصف به غيره كلهم متفقون على هذا الوجود »[1] .

وقال الإمام أبو علي بن خليل السكوتي بعد أن حذر من ابن عربي واتباعه :

(١) « الرسائل والمسائل » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٨٦) .

« . . . وليحذر مواضع كثيرة من كلام ابن عربي الطائي في فصوصه وفتوحاته المكية وغيرهما وليحترز أيضًا من مواضع كثيرة من كلام ابن الفارض الشاعر وأمثاله مما يشيرون بظاهره إلى القول بالحلول والاتحاد لأنه باطل بالبراهين القطعية فكل كلام أو إطلاق يوهم الباطل فهو باطل بالإجماع فأجدى وأولى بطلانه إذا كان صريحًا في الباطل »[1] .

وقال الإمام برهان الدين البقاعي :

« وقد تواتر نسبة ابن عربي وابن الفارض إلى الكفر تواترًا معنـويًا وشاع ذلك على ألسنة المؤمنين الصادقين وإذا كان اللَّه سبحانه حكم بالكفر في كتابه الكريم على من قال إن اللَّه هو المسيح فلم لا يحكم المسلمون على قطبي مذهب الحلول والاتحاد وكل منهما يقول : اللَّه عين كل شيء»[2] .

وقال الإمام محمد بن عبد السلام عن ابن عربي حين سئل عنه في مصر :

« إنه شيخ سوء مقبوح يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجًا »[3] .

وقال الشيخ إبراهيم الجعبري :

« رأيت ابن عربي شيخًا مخضوب اللحية وهو شيخ نجس يكفر بكل كتاب أنزله اللَّه وكل شيء أرسله اللَّه »[4] .

---

(١) « مصرع التصوف » لبرهان الدين البقاعي (ص١٣٧) .

(٢) « مصرع التصوف » لبرهان الدين البقاعي (ص٢١٧) .

(٣) « مجموعة الرسائل والمسائل » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٨٤) .

(٤) نفس المرجع (٢/ ٨٥) .

وقال الدكتور أنــور الجندي عن أهل وحدة الوجود وموقف المسلمين منها :

« وقد رد المسلمون قول ابن عربي الذي قال : إن ذاته وذات اللَّه قد أصبحتا ذاتًا واحدة أي أن مظاهر العالم المختلفة هي مظاهر للَّه تعالى أي ليس للَّه وجود إلا الوجود القائم بالمخلوقات والمسلمون يؤمنون بأن اللَّه صاحب كل شيء وخالق كل شيء ومالك كل شيء ولكن اللَّه ليس حالاً أو متحداً بهذه الأشياء كلها ولا بالإنسان ولا يقر الإسلام مذهبًا حلول اللَّه في جسد الإنسان أو الأشياء الأخرى »[1] .

وقال الشيخ محمود عبد الرؤوف القاسم عن عقيدة وحدة الوجود:

« وحدة الوجود كفر مبين ومعتقدها كافر مبين كافر حسب الشريعة وكافر حسب الحقيقة الحقة التي هي الشريعة الإسلامية له في الدنيا عقوبة المرتد عن الإسلام وله في الآخرة عذاب أليم إلا أن يتداركه اللَّه سبحانه بلطفه وعفوه والصوفي الحق هو الذي يبطن وحدة الوجود ويظهر التمسك بالشريعة وهو منافق حقًا بل هو شر أنواع النفاق وليكن مطمئنًا من مقام الطمأنينة أن مقامه الحقيقي هو في الدرك الأسفل من النار إن لم يتداركه اللَّه برحمته »[2] .

وقال أيضًا الدكتور محمود عبد الرؤوف القاسم رادًا على القائلين بوحدة الوجود وموضحًا بطلانها :

« يقول سبحانه : ﴿ **وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ**

---

(١) « المؤامرة على الإسلام » لأنور الجندي (ص٥٣) .

(٢) « حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ » (ص٧١٠) .

لَمُحْضَرُونَ ﴾[1] طبعًا وحدة الوجود تجعل الجن جزءًا من اللَّه تعالى وليس بعد هذا النسب ما هو أقوى منه لأنه نسب بعض الذات إلى الذات لكن الآية الكريمة تستهجن هذه الفكرة نفيًا لها ودحضًا وتنزه اللَّه سبحانه وتعالى عما يصفه هؤلاء الواصفون والعبارة ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ واضحة الدلالة على أن الجن لو كانوا يتصلون بنسب إلى اللَّه سبحانه لما جعلهم من المحضرين وعدم وجود النسب بينه سبحانه وبين الجنة ينفي وحدة الوجود نفيًا كاملاً.

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾[2] .

ويقول : ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾[3] .

الآيتان واضحتان كل الوضوح أن اللَّه سبحانه خلق الإنسان من لا شيء من العدم ولو كانت وحدة الوجود واقعة لكان الإنسان شيئًا قبل أن يوجد كما هو الآن شيء بعد وجوده فكون الإنسان خلق من لا شيء من العدم ينفي وحدة الوجود جملة وتفصيلاً لأن اللَّه تعالى ليس عدمًا إنه الحي القيوم الخالق البارئ المصور. . . . » .

ثم قال : « ولو كان الخلق هو الحق كما يفترون وكانت المخلوقات جزءًا من اللَّه سبحانه تعينت بهذه الأشكال المختلفة لما بقي أي معنى للأسماء الحسنى (الخالق البارئ الفاطر بديع السموات والأرض) التي تعني كلها الإيجاد من العدم ولو كانت وحدة الوجود صحيحة لكان الإنسان جزء من اللَّه ولكانت الآية : ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ باطلة وكان الإنسان في ربح

---

(١) الصافات : (١٥٨) .

(٢) مريم : (٩) .

(٣) مريم : (٦٧) .

سواء آمن أو لم يؤمن وعمل صالحًا أم لم يعمل وتواصى بالحق والصبر أم لم يتواصى لأنه جزء من اللَّه .

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تصبح شتمًا للَّه لو صحت عقيدة الصوفية بوحدة الوجود مثل قوله سبحانه : ﴿ **وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ** ﴾[1] لأن عادًا حسب زعمهم وعقيدتهم الباطلة هم جزء من اللَّه سبحانه حيث يصبح معنى الآية الكريمة : إن جزءًا من اللَّه ـ تعالى عما يصفون ـ أتبع في هذه الدنيا ويوم القيامة »[2] .

وقال الدكتور صابر طعمية بعد ذكره جملة من كلام ابن عربي الدال على اعتقاده بوحدة الوجود :

« فهل بقي أدنى شك أو ذرة أو حاجة إلى دليل لكي يعرف الناس جميعًا أن ابن عربي ومن على شاكلته أو على طريق منهجه وعقيدته في وحدة الوجود هم أكثر من كفار وأكفر من الكفار وأبعد ما يكونون عن نقاء الفطر السليمة وضوابط العقول المستنيرة »[3] .

وقال الدكتور صابر طعمية في مكان آخر من كتابه أيضًا :

« لما كان الإيمان بواحدة من هاتين العقيدتين وحدة الوجود أو وحدة الشهود يعتبر شركًا صريحًا وكفرًا بواحًا لا يحتاج إلى تبرير ولا إلى تأويل فقد كان من البداهة أن تكون المؤثرات في هاتين العقيدتين غير إسلامية ومن ثم أن يكون مردها غير إسلامي ذلك أن وثنية وحدة الوجود استلزمت عند

---

(١) هود : (٦٠) .

(٢) « حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ » (ص ٧٠٤ ـ ٧٠٦) باختصار .

(٣) « الصوفية معتقدًا ومسلكًا » للشيخ صابر طعمية (ص٢٣٦) .

الصوفية الإيمان بوحدة الأديان بل وقد ترتب على معتقد الذين اعتقدوا بالفناء وهذا تعطيل ما بعده تعطيل ومعتقد الذين آمنوا بأن اللَّه سبحانه هو عين خلقه: أن تساوى عندهم الكفر والشرك والمجوسية واليهودية والمسيحية وكل ضروب الضلال مع الإسلام. . . » .

ثم قال : « فأي كفر يكون ما عليه القوم إن كفر أبي جهل وأبي لهب يهون بجوار كفر أصحاب الشهود»[1] .

وقال الاستاذ عبد المنعم خلاف :

« لقد غزا مذهب وحدة الوجود عقول الفلاسفة والصوفية الذين آفتهم أن طلبوا أن يدركوا اللَّه وما وراء الطبيعة بالحواس التي يدركون بها الطبيعة وبالعقل البشري المخلوق لإدراك النسب بين الكائنات الطبيعية وحدها أولاً فلما عجزوا عن رؤيته تعالى وإدراكه كما هو المنتظر ذهبوا إلى أنه لابد أن يكون اللَّه هو هذا الوجود الظاهر وأنه يحل فيه وليس له وجود منفصل عنه وهكذا تجد الوثنية التي حاربتها الأديان والفلسفات سنداً عظيمًا من هذه الفلسفة الإلحادية » .

إلى أن قال : « وقول أصحاب مذهب وحدة الوجود بأن اللَّه والمادة وحدة لا تتجزأ هو خروج عن مفهوم الإسلام الحق الذي يقول بأن كل مسبب لابد له من سبب وكل معلول لابد له من علة والمسبب لا يقوم بنفسه وإنما يقوم بالسبب وكذلك المعلول فإنه لا يوجد بذاته وإنما يوجد بوجود العلة فإذا زال السبب أو العلة زال المسبب وزال المعلول واللَّه سبحانه وتعالى هو الأول وهو الآخر والحدوث مستحيل عليه باعتباره من صفات المعلولات والمادة معلولة وحادثة ولها خالق فإذا قيل بقدم المادة شاركت المادة اللَّه في قدمه »[2] .

---

(١) « الصوفية معتقداً ومسلكًا » (ص٢٤٣ ـ ٢٤٥) .

(٢) « المؤامرة على الإسلام » لأنور الجندي (ص٥٣) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن تكلم عن أصول الفلاسفة :

« وكثير من ملاحدة المتصوفة كابن عربي وابن سبعين والقنوي والتلمساني وغيرهم يوافقونهم في أصولهم لكن يغيرون العبارات الإسلامية عما هو قولهم ... وهؤلاء المتفلسفة ومتصوفوهم كابن سبعين وأتباعه يجوزون أن يكون الرجل يهوديًا أو نصرانيًا أو مشركًا يعبد الأوثان فليس الإسلام عندهم واجبًا ولا التهود والتنصر والشرك محرمًا لكن قد يرجحون شريعة الإسلام على غيرها وإذا جاء المريد إلى شيخ من شيوخهم وقال أريد أن أسلك على يديك ، يقول له : على دين المسلمين أو اليهود أو النصارى؟ فإذا قال له المريد : اليهود والنصارى أما هم كفار ؟ يقول : لا ولكن المسلمون خير منهم ، وهذا من جنس جدل التتر أول ما أسلموا فإن الإسلام عندهم خير من غيره وإن كان غيره جائزاً لا يوالون عليه ويعادون عليه »[١] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا متحدثًا عن حكم أهل وحدة الوجود في نظر الإسلام :

« وهؤلاء ليسوا مسلمين ولا يهوداً ولا نصارى بل كثير من المشركين أحسن حالاً منهم وهؤلاء أئمة النظار المتفلسفة وصوفيتهم وشيعتهم كان من أسباب تسلطهم وظهورهم هو بدع أهل البدع من الجهمية المعتزلة والرافضة ومن نحا نحوهم في بعض الأصول الفاسدة فإن هولاء اشتركوا هم وأولئك الملاحدة في أصول فاسدة يجعلونها قضايا عقلية صادقة وهي باطلة كاذبة مخالفة للشرع والعقل »[٢] .

(١) كتاب « الرد على المنطقيين » لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٢٨١ ـ ٢٨٢) .
(٢) نفس المرجع (ص ٥٢١ ـ ٥٢٣) .

والخلاصة التي نخرج بها من هذا المطلب أن عقيدة وحدة الوجود عقيدة إلحادية بحته ليست من الإسلام في شيء وأن علماء الإسلام وقفوا ضدها بكل حزم وعزم وألفوا في الرد على أصحابها كتبًا ووصفوا معتنقيها بأنهم ملاحدة كفرة وعلى هذا فكل من يعتقد بهذه العقيدة الإلحادية ليس من الإسلام في شيء بل الإسلام بريء منه كل البراءة كبراءة الذئب من دم يوسف عليه السلام .

* * *

الفصل الثاني

انحراف الصوفية في المحبة واعتقادهم بأن اللَّه يحل في بعض مخلوقاته

وتحته مبحثان :

المبحث الأول : انحراف الصوفية في المحبة

المبحث الثاني : اعتقاد الصوفية بأن اللَّه يحل في بعض مخلوقاته الذين يتفانون في الرياضة على الطريقة الصوفية (وتحته مطلبان).



المبحث الأول

انحراف الصوفية في محبة اللَّه عز وجل

تمهيـــد :

إن حب اللَّه حبًا صحيحًا كما جاء في الكتاب والسنة أمر واجب وذلك لأنه شعبة من شعب الإيمان وقد ذكر الإمام البيهقي ذلك في كتابه « شعب الإيمان » فقال :

« العاشر من شعب الإيمان : وهو باب في المحبة للَّه عز وجل »[1] .

وقد أخبرنا اللَّه سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بأن المؤمنين يحبون اللَّه حبًا شديدًا فقال سبحانه : ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا**﴾[2] وهذا يدل على أن حب اللَّه جل جلاله من الإيمان لأن قوله : ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ**﴾ إشارة إلى أن الإيمان يحرك على حب اللَّه جل جلاله ويدعو إليه جل ثناؤه .

وقد أخبرنا اللَّه سبحانه وتعالى في كتابه بأن من علامات المحبة الصادقة للَّه هو اتباع الرسول ﷺ وعدم مخالفته فقال سبحانه : ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾[3] .

---

(١) « شعب الإيمان » للإمام البيهقي .

(٢) البقرة : (١٦٥).

(٣) آل عمران : (٣١) .

وهذه الآية الكريمة تدل دلالة صريحة على أن علامة الحب الصادق هو اتباع الرسول ﷺ لأنه السبيل الوحيد للوصول إلى محبة اللّه سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين وهذا يدل على أن الذين يدعون محبة اللّه بدون متابعة الرسول ما هم إلا كذبة وذلك لأن اتباع الرسول شرط لكي يصل الإنسان إلى مرحلة يحبه اللّه فيها وهذه غاية كل مسلم يسعى ليل نهار للوصول إليها .

وقال تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾[1] .

قال الإمام البيهقي رحمه اللّه بعد إيراده ، لهذه الآية في كتابه « شعب الإيمان » :

« فأبان بهذه الآية أن حب اللّه وحب رسوله والجهاد في سبيله فرض وأنه لا ينبغي أن يكون شيء سواه أحب إليهم منه وبمثل ذلك جاءت السنة النبوية »

فعن أبي قلابة عن أنس بن مالك رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال : « **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون اللّه ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا للّه ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار** »[2] .

---

(١) التوبة : (٢٤) .

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (١/ ٦٠) و« شعب الإيمان » للبيهقي (٢/ ٣٤٠) .

قال الإمام البيهقي بعد إيراده لهذا الحديث :

« فأبان المصطفى ﷺ بهذا أن حب اللَّه وحب رسوله من الإيمان وفي ذلك دلالة علي وجوب المحبة »[1] .

وقد ذكر الحليمي معانٍ كثيرة لمحبة اللَّه عز وجل ومن جملة هذه المعاني التي ذكرها :

« الحرص على أداء الفرائض والتقرب إليه بالنوافل »[2] .

ومن هنا نقول أن الطريق الوحيد للوصول إلى مرحلة يحب اللَّه فيها عباده المؤمنين هو الإيمان باللَّه ورسوله وبجميع ما جاء في الكتاب والسنة وأداء الفرائض المفروضة في أوقاتها وأداء ما كتبه اللَّه من النوافل وذلك لما جاء في الحديث الصحيح :

« من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ورجله التي يمشي بها ويده التي يبطش بها »[3] .

قال الشيخ محمد السفاريني الحنبلي تعليقًا على هذا الحديث :

« فدل هذا الحديث أنه لا طريق يوصل إلى التقرب إلى اللَّه وولايته ومحبته سوى طاعته التي شرعها على لسان رسوله ﷺ من أداء الفرائض واجتناب المحارم والاهتمام بنوافل العبادات الموصلة لمحبة اللَّه تعالى فمن

(١) « شعب الإيمان » للبيهقي (٢/ ٣٤٠) .

(٢) « المنهاج في شعب الإيمان » للحليمي (١/ ٤٩٦) .

(٣) « صحيح البخاري » مع الفتح (١١/ ٣٤٠) .

أحب اللّه سبحانه رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره »[1] .

والخلاصة من خلال الأدلة القرآنية والحديثية السابقة نخرج بأن الطريق الوحيد الذي يمكن أن يصل الإنسان عن طريقه إلى محبة اللّه عز وجل هو الإيمان الصحيح والقيام بالفرائض وأداء المستطاع من النوافل أما أن يدعي الإنسان بأنه محب للّه سبحانه وتعالى بدون الخضوع لأوامر اللّه ورسوله فهذا مجرد زعم باطل فقط .

خطأ الصوفية في مفهوم الحب الإلهي :

وإذا نظرنا إلى الصوفية فإننا نجدهم لم يفهموا الحب الإلهي فهمًا صحيحًا بل فهموه فهمًا خاطئًا فلذلك وقعوا في ضلالات ومتاهات أوقعتهم في عقائد باطلة ومخالفة تمامًا للعقيدة الإسلامية .

وقد ظهرت أول نظرية في الحب الإلهي في المفهوم الصوفي المنحرف في مدرسة البصرة وكان ظهورها عند جماعة لقبوا بالزنادقة أو زنادقة الزهاد وهو اسم أطلقه عليهم أبو داود السجستاني المتوفى (٢٧٥هـ) ومن هؤلاء رابعة العدوية توفيت (١٨٥هـ) ورياح بن عمرو القيسي المتوفى سنة (١٨٨هـ) وجبان أو ابن جبان الحريري وأبو حبيب العجمي وقد أطلق هذا الاسم أيضًا على عبد الواحد بن زيد المتوفى سنة (١٧٧هـ) وكليب وعبدك الصوفي الشيعي وامرأة رباح القيسي وأبي العتاهية الشاعر.

ولا شك أن ظهور الكلام في الحب الإلهي في بيئة البصرة في صورة قوية ناضجة له مغزاه وإن كنا لا نعرف الكثير عن الظروف التي أحاطت برجال مدرستها ولكنا نعرف على الأقل أن منهم من كان متأثرًا بالفلسفة

---

(١) « شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد » للسفاريني (ص١٤١) .

المانوية[١] التي عرفت بنظرية خاصة في الحب الإلهي خلاصتها أن أرواح الأبرار ذرات نورانية انبثقت من ينبوع النور الأعظم فهي دائمًا تنجذب إليه وتحن إلى العودة إليه وتحاول جاهدة الفرار من هياكلها المظلمة فغايتها الفرار من ربقة عبوديتها والانطلاق من سجنها الأرض[٢] .

وأول من تغنى بنغمة الحب الإلهي من هذه الطبقة كانت رابعة العدوية التي أحبت اللَّه لذاته لا خوفًا من ناره ولا طمعًا في جنته وكان أقصى أمانيها أن يكشف اللَّه لها عن وجهه الكريم ويرفع عن قلبها الحجب التي تحول دون مشاهدته وفي هذا تقول مخاطبة الذات الإلهية :

أحبك حبين حـــب الهـــوى وحبًا لأنـــك أهـــل لذاكا
فأما الذي هو حب الهـــوى فكشفك لي الحجب حتى أراكا
وأما الذي أنت أهـــل لـــه فلست أرى الكون حتـى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لـــي ولكن الحمـــــد في ذا وذاكا

أدركت رابعة العدوية سر الحياة الصوفية وجوهرها وذلك السر هو إنكار الذات وفناء الحب في المحبوب إذ لا يعرف اللَّه حقًا ولا يحب الحب الحقيق وفي النفس أدنى شعور بذاتها وبالعالم المحيط بها[٣] حسب زعمها.

ولم تكن رابعة العدوية وحدها القائلة بهذه النظرية بل يتفق معها كثير من المتصوفة الذين أتوا بعدها والذين تغنوا بنغمة الحب الإلهي كما يزعمون

---

(١) المانوية نسبة إلى رجل فارسي وثني اسمه ماني وهي مزيج من الزردشتية والنصرانية وعلى كل فهي ديانة وثنية وقد تأثر بها الصوفية انظر الفلسفة الصوفية في الإسلام للدكتور عبد القادر محمود.

(٢) « التصوف بين الحق والخلق » لمحمد فهر شقفة (ص٥٧) .

(٣) « التصوف بين الحق والخلق » لشقفة (ص٥٨) .

بل هذه نظرية سبق فيها المتصوفة من أصحاب الديانات الأخرى متصوفة الإسلام.

فهذا أبو عبد اللَّه القرشي[1] يقول في المحبة عند المتصوفة :

« حقيقة المحبة أن تهب كلك من أحببت فلا يبقى لك منك شيء »[2] ومعنى ذلك إذا لم يبق منك ففيه إشارة إلى القول بالفناء المذموم والذي يعني حلول اللَّه في خواص عباده كما يزعم المتصوفة.

ويقول الجنيد في معنى المحبة في المفهوم الصوفي :

«المحبة هي دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب»[3].

إذا نظرنا في تعريف الجنيد للمحبة في المفهوم الصوفي نجده قد عرفها بأن مفهوم المحبة الحقيقي عند المتصوفة هي التي يصل فيها المحب إلى استبدال صفاته بصفات المحبوب وسواء كان المحبوب إنسانًا أو أي مخلوق آخر في هذا الكون أو كان المحبوب اللَّه جل جلاله فإنه لا يمكن أن يطلق على أحد محب للَّه حتى يخلع صفاته الآدمية ويتحلى بالصفات الإلهية والإنسان لا يمكن أن يخلع صفاته البشرية التي خلقه اللَّه عليها والتي هي دائمًا صفات النقص مهما أحب اللَّه وأطاعه في أوامره ونواهيه وعبده حق عبادته مهما فعل ذلك فإنه سيبقى بشرًا ناقصًا ولذا أقول تعريف الجنيد للمحبة بهذا التعريف لم يسبقه إليه أحد من سلف الأمة الذين يقتدى بهم ولم يقله أحد بعده أيضًا لأن تعريف الجنيد هذا تشم منه القول بالحلول وهو

---

(١) « الرسالة القشيرية » (٢/ ٦١٥).

(٢) « الرسالة القشيرية » (٢/ ٦١٥).

(٣) « الرسالة القشيرية » (٢/ ٦١٥).

إمكانية حلول اللّه في عباده الذين أحبهم واصطفاهم كما يزعم المتصوفة ذلك وهذا مفهوم منحرف لحب اللّه عز وجل أدى بالمتصوفة إلى الاعتقاد بإمكانية حلول اللّه في مخلوقاته .

وقال أبو يعقوب السوسي في تعريف المحبة :

« حقيقة المحبة أن ينسى العبد حظه من اللّه وينسى حوائجه إليه »[(١)] .

وإذا نظرنا في هذا التعريف للمحبة نجده يصطدم مع ما جاء في القرآن الكريم لأنه قال : إن المحبة وحقيقتها هي نسيان العبد نصيبه من اللّه واحتياجه إليه وكيف تكون نهاية المحبة الحقيقية هذه وقد قال اللّه سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾[(٢)] ففي هذه الآية أخبرنا اللّه سبحانه وتعالى بأن جميع الناس فقراء محتاجون إلى اللّه سبحانه وتعالى فكيف تكون هذه نهاية المحبة وهي تتناقض مع ما جاء في القرآن الكريم .

وقد أمر اللّه سبحانه وتعالى أن يدعوه عباده فقال سبحانه : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾[(٣)] ولذا أقول : إن هذا التعريف الذي عرفه السوسي للمحبة إنما هو على المفهوم الصوفي الخاطيء أما على المفهوم الإسلامي الصحيح فإنه مصادم للكتاب والسنة وما دام كذلك فليس من الإسلام في شيء فضلاً عن أن يكون تعريفًا لحقيقة المحبة .

---

(١) « الرسالة القشيرية » (٢/٦١٦).

(٢) فاطر : (١٥) .

(٣) البقرة : (١٨٦) .

وقال الحسين بن منصور :

« حقيقة المحبة قيامك مع محبوبك بخلع أوصافك »[1] .

إذا نظرنا في تعريف الحسين بن منصور هذا لحقيقة المحبة نجده أنه عرفها بأن الوصول إلى حقيقة المحبة لا يمكن أن يصل إليه أحد إلا أن يقوم مع محبوبه بعد أن يخلع أوصافه ولا أدري ماذا يقصد بهذا أيقصد أن الإنسان الذي يدعي محبة اللَّه ينبغي أن يخلع أوصافه البشرية ويقوم مع اللَّه بعد ذلك فإذا كان يعني ذلك فإن خلع الإنسان أوصافه البشرية غير ممكن نهائيًا مهما كان محبًا للَّه فإنه لن يصل إلى أن ينخلع عن أوصافه البشرية وهل إذا تخلى عن أوصافه البشرية سيتصف بالصفات الإلهية وإذا كان مقصوده هذا فإن هذا هو عين القول بالحلول ولذا أقول إن هذا المفهوم للمحبة إنما هو مفهوم صوفي وهو مفهوم منحرف كما نرى يقصد به المتصوفة بأن نهاية حب اللَّه هو حلول اللَّه في المحب أما ما دون ذلك فلا يسمى حبًا عندهم وهذا غير صحيح فإن الرسول كان أكثر الناس حبًا للَّه وكذلك صحابته ولم نسمع أنهم ادعوا حلول اللَّه فيهم .

أقسام المحبة عند المتصوفة :

لقد قسم المتصوفة حب اللَّه عز وجل إلى قسمين وهما حب عام وحب خاص ، ويقصد المتصوفة بالحب العام امتثال أوامر اللَّه واجتناب نواهيه فهذا يعتبره المتصوفة حب اللَّه عز وجل ولكنه حب عام أي هو أدنى من الحب الخاص لأن هذا الحب لا يتوصل إليه الإنسان إلا بامتثال أوامر اللَّه واجتناب نواهيه وهذا الطريق عند المتصوفة طريق يسلكه العوام للوصول

---

(١) « الرسالة القشيرية » (٢/٦١٧).

إلى حب اللَّه العام أما هم فأرفع من هذا!!!

وأما الحب الخاص فهو الحب الذي يتحصل عليه الإنسان هبة من اللَّه عز وجل ولا يمكن الحصول عليه عن طريق طاعة اللَّه عز وجل وإنما يحصل عليه الإنسان عن طريق مشاهدة الروح حيث يتجلى نور اللَّه عز وجل على الكائنات حسب زعمهم ويسمي المتصوفة هذا الحب حب الخواص ويعنون بهذا أنفسهم .

وإليك النص الدال على هذا من بطون كتبهم :

فقد قال المنوفي في معرض حديثه عن أقسام حب اللَّه عند المتصوفة :

« والحب حبان : حب عام وحب خاص :

فالحب العام يفسر بامتثال الأمر ومن شرط المحب أن يكون مطيعًا وهذا الذي عناه بعض شيوخ الطريق حين وضع الحب في المقامات لا في الأحوال فيكون الحب هنا منظوراً إليه بعين الكسب بالأعمال وهو أيضًا صحيح ولكنه حب عام يدخل فيه كل أهل طاعة اللَّه كسبًا بطاعتهم ويدل على هذا قوله تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ﴾[1] .

وأما الحب الخاص والذي هو من أعلى وأرقى الأحوال الموهوبة هو حب الذات للذات هبة من اللَّه وفضلاً وينشأ عن مطالعة الروح وهو من نور اللَّه إلى تجلي نور اللَّه على الكائنات والعوالم وهو من اصطفاء اللَّه ومنته على عبده كما قلنا وهذا الحب ليس للكسب فيه دخل ولذلك كان من أشرف الأحوال وأجل المذاهب الإلهية »[2] .

---

(١) آل عمران : (٣١) .

(٢) « جمهرة الأولياء » للمنوفي (١/ ٢٤١) .

ثم قال : « وذلك الحب الخالص هو حب الخواص من عباد اللّه أهل المقامات الرضية والأحوال السنية »[1] .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن المنوفي قسم الحب إلى قسمين وهما حب عام وحب خاص وصرح بأن الحب العام هو الذي يتوصل إليه الإنسان عن طريق امتثال أوامر اللّه ورسوله واجتناب نواهيهما وأن هذا الحب يجوز أن يطلق عليه حب ولكنه ليس حب المتصوفة المنحرفين حيث أنهم لهم طريق آخر يتوصلون عن طريقه إلى حب اللّه تعالى وهذا الطريق ليس عن طريق طاعة اللّه عز وجل وطاعة رسوله لأن الوصول إليه عن هذا الطريق طويلة وشاقة ولا تصلح إلا للعوام أما الخاصون من عباد اللّه حسب زعم المنوفي فإنهم يتوصلون إلى حب اللّه عن طريق أقصر من هذا هو حب الذات البشرية للذات الإلهية وهذا الحب هو هبة من اللّه محضة ويتحصل عليه المتصوفة عن طريق مطالعة الروح وهو من تجلي نور اللّه إلى تجلي نور اللّه على هذه الكائنات الموجودة في هذا الكون والعوالم وأن هذا الحب ليس للكسب فيه أي شيء ويعني هذا أن هذا الحب لا يتوصل إليه المتصوفة عن طريق طاعة اللّه وطاعة رسوله ولا عن طريق عبادة اللّه بالصوم والصلاة والزكاة والحج وغير ذلك من العبادات التي شرعها اللّه عز وجل لأن هذا الطريق هو طريق الكسب والمشقة وهو طريق طويل .

وقد أطلق المنوفي على هذا الحب بأنه هو حب الخواص من عباد اللّه وكلمة الخواص يعني بها المتصوفة كل من انضوى تحت أي طريقة من الطرق الصوفية .

---

(١) « جمهرة الأولياء » للمنوفي (١/ ٢٤٣) .

ونحن نقول باختصار: إن الطريق الوحيد الذي يتوصل به العبد إلى محبة اللَّه ومرضاته هو الطريق الذي شرعه اللَّه في كتابه وعلى لسان رسوله وأن أى أحد يزعم بأنه يتوصل إلى حب اللَّه من غير امتثال أوامر اللَّه وأوامر رسوله كاذب مفتر فاللَّه سبحانه وتعالى قد أمر رسوله محمداً ﷺ أن يقول: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ﴾[1] فهنا في هذه الآية جعل اللَّه الشرط الأساسي لحب اللَّه لعباده المؤمنين متابعة الرسول ﷺ وطاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وبهذا تتحقق المتابعة وبما أن متابعة الرسول فيها أوامر ونواهٍ فهي التكليف للقيام بأعمال عدة منها إفراد اللَّه بالعبادة وحده والصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد وغير ذلك من أعمال الإسلام العظيمة التي يترقى فيها المسلم درجة درجة إلى أن يحبه اللَّه عز وجل وكما في الحديث الصحيح : « **من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها** » .

وقد قسم المنوفي مرة أخرى المحبة بنوعيها وهما المحبة العامة والخاصة إلى قسمين مرة أخرى حيث قسمها إلى ظاهر وباطن ويقصد بهذا التقسيم إلى أن المحبة الخاصة والعامة كل منهما ينقسم إلى محبة ظاهرة وباطنة .

وإليك النص من كلامه على هذا التقسيم حيث قال :

« اعلم أن المحبة بنوعيها ظاهر وباطن فظاهرها اتباع الشرع لبلوغ رضا

---

(١) آل عمران : (٣١) .

المحبوب وباطنها دوام مناجاة الحبيب السر بالسر والعلن بالعلن وكم وراء ذلك من أغوار وأسرار لا يكشفها الأصفياء الأمناء ولا لأهل المحبة والاجتباء »[1] .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن المنوفي زعم بأن كل قسم من أقسام المحبة وهما المحبة العامة والخاصة ينقسم إلى قسمين إلى محبة ظاهرة وباطنة وفسر الظاهرة بأنها هي التي يتبع فيها الشرع للبلوغ إلى حب اللَّه ورضاه وهذه ليست هي المحبة التي يطلبها المتصوفة لأنها من نصيب العوام.

وإنما المحبة التي يطلبها المتصوفة هي المحبة الباطنة وهي التي يناجون فيها اللَّه سبحانه وتعالى سرًا وعلنًا ويطلعون فيها على الأسرار والغيوب وأنهم لا يطلعون على هذه الأسرار والغيوب التي يطلعون عليها إلا الأمناء عليها وذلك حتى لا تفشى هذه الأسرار للعوام أو علماء الإسلام فينكروها عليهم لأنها غالبًا ما تخالف ما جاء به الشرع .

ونحن نقول للمنوفي في هذا التقسيم لحب اللَّه تقسيم باطل لا أساس له من الصحة وذلك لأنه لم يذكر أي دليل يستند إليه لكي يثبت بأن تقسيمه هذا تقسيم شرعي مما يدل على أنه أتى بهذا التقسيم من عند نفسه فقط متبعًا هواه وضاربًا بالشريعة عرض الحائط.

اعتقاد الصوفية بأن من أحب أي شيء في هذا الكون فقد أحب اللَّه:

يعتقد المتصوفة المنحرفون بأنه ليس هناك دين أرفع ولا أرقى من دين

---

(١) « جمهرة الأولياء » للمنوفي (١/٢٤٣) .

الحب والشوق إلى اللَّه بأي طريق كان هذا الحب مشروعًا أو غير مشروع لأن الحب عندهم هو الهدف الأسمى ولذا يرحب المتصوفة بدين الحب على أي صورة ظهر هذا الحب ولذا صرح كبار المتصوفة بأنهم يحبون جميع أهل الأديان على اختلاف عقائدهم لأنهم جميعًا ما عبدوا إلا اللَّه سبحانه حيث يعتقد هؤلاء المتصوفة بأن كل ما في هذا الكون ما هو إلا مظاهر ومجالي للَّه وأن عبادة أي شيء في هذا الكون جائزة لأن الكل مظهر من مظاهر اللَّه وتغنى بعض مشائخ المتصوفة الضالون بالعاهرات وزعم بأنه يتغنى بحب اللَّه سبحانه لأن هؤلاء العاهرات ما هن إلا مظهر من مظاهر اللَّه سبحانه وتغنى أحد المتصوفة الكبار بحب اللَّه وصرح بأنه يجمع كل الأديان والعقائد المختلفة .

وإليك النصوص الدالة على هذا من بطون كتبهم فقد قال محيي الدين ابن عربي والذي يصفه المتصوفة في العالم أجمع بأنه الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر مبينًا وموضحًا بأن قلبه أصبح صالحًا لقبول أي دين سواء كان هذا الدين إسلامًا أو وثنيًا أو يهوديًا أو مسيحيًا لأن المهم عنده هو الحب المطلق لأي شيء في هذا الكون لأنه يعتبر بأن كل ما في هذا الكون مظهر من مظاهر اللَّه ولا يهم ابن عربي وأمثاله أن يكون حب هذا الشيء محمودًا في الشريعة الإسلامية أو مذمومًا.

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنى توجهت ... ركائبه فالدين ديني وإيماني

لنا أسوة في بشر هند وأختها ... وقيس وليلى ثم في وغيلان[1]

---

(١) « ذخائر الإعلان » لابن عربي (ص٣٩) .

ففي هذه الأبيات الشعرية صرح ابن عربي بأن قلبه أصبح صالحًا لتقبل أي صورة وأنه يجمع في قلبه كل العقائد والأديان وأنه يدين بدين الحب فقط بقطع النظر عن توجه هذا الحب ثم ذكر بأن أسوته في هذا الحب هند وأختها وقيس وليلى وغيلان واتخذ ابن عربي هؤلاء أسوة له لأنه يعتبرهم محبين للّه لأن كلاً منهم أحب شخصًا وهذا الشخص الذي أحبه مظهر من مظاهر اللّه فهم محبون للّه وذلك حسب زعمه .

وقد شرح البيت الأخير بنفسه فقال :

« الحب من حيث هو حب لنا ولهم حقيقة واحدة غير أن المحبين مختلفون لكونهم تعشقوا بكون وإنا تعشقنا بعين والشروط والأسباب واللوازم واحدة فلنا أسوة بهم فإن اللّه تعالى ما هيم هؤلاء وابتلاهم بحب أمثالهم إلا ليقيم بهم الحجج على من ادعى محبته ولم يهم في حبه هيمان هؤلاء حين ذهب الحب بعقولهم وأفناهم عنهم »[1] .

وهذا ابن الفارض والذي يلقبه المتصوفة بسلطان العاشقين يقول متغنيًا بحب اللّه حسب زعمه :

ففي النشأة الأولى تراءت لآدم ... بمظهر حوا قبل حكم النبوة

وتظهر للعشاق في كل مظهر ... من اللبس في أشكال حسن بديعة

ففي مرة لبنى وأخرى بثينة ... وآونة تدعى بعزة عزت[2]

فإذا نظرنا في هذه الأبيات نجد أن ابن الفارض زعم أن ربه ظهر لآدم في صورة حواء ولقيس في صورة لبنى ولجميل في صورة بثينة ولكثير في صورة عزة.

---

(١) « ذخائر الإعلان » لابن عربي (ص٣٩) .

(٢) « ديوان ابن الفارض » (ص١٧٥).

وعلى هذا فما حواء أم البشر في نظر ابن الفارض إلا الحقيقة الإلهية وما أولئك العشاق سكرت على شفاههن خطايا القبل المحرمة وتهاوت بهن اللهفة الجسدية الثائرة تحت شهوات العشاق ما أولئك جميعًا سوى رب الصوفية تجسد في صورة غوان تطيش بهداهن نزوة ولهى أو نشوة سكرى أو رغبة تتلظى في عين عاشق[1] .

ويقول عبد الرحمن الوكيل بعد إيراده لأبيات عديدة عن ابن الفارض التي قالها متغنيًا بحب اللّه حسب زعمه :

« فليفهم كل عاشق يطويه الليل على خاطئة أنه حين يقترف الخطيئة مع أنثاه وتعربد في جسدها الرخص أنيابه وأظفاره ليفهم كل عاشق أن أنثاه هذه التي يعرف أنوثتها ليست إلا رب الصوفية الأعظم !! وليصحح مؤرخو الأدب تاريخه فابن الفارض يؤكد أن أولئك العشاق قيس ، جميل ، كثير ، وكل شعراء العشق لم يريقوا خمور الغزل إلا للذات الإلهية متجسدة في صور عشيقاتهن القواتل !!

أوعيت أذن علة إطلاق الصوفية علي أربابهم أسماء نسوة جلهن عواطل من الفضيلة عوار عن الشرف !! كهان الصوفية أو حواريهم أن أربابهم تتجلى دائمًا في صور إناث تجردن لخطايا العشق وآثم الليل في حان الغرام »[2] .

وقال الدكتور محمد فهر شقفة :

« ويرى ابن عربي أن المحبوب على الحقيقة في كل ما يحب إنما هو الحق الذي يتجلى فيما لا يتناهى من صور الجمال سواء أكانت حسية أم

---

(١) انظر « هذه هي الصوفية » لعبد الرحمن الوكيل (ص٣١) .

(٢) « هذه هي الصوفية » لعبد الرحمن الوكيل (ص٣٢) .

معنوية أم روحية وهو إذا تغنى بحب ليلى وسعدى وهند وغيرهن فإنما يرمز بالاسم إلى حقيقة المسمى وبالصورة إلى صاحب الصورة ولا يعنيه الرمز قدر ما يعنيه المرموز إليه وقد كتب ديوانًا بأكمله هو « ترجمان الأشواق » يتعزل فيه بالنظام ابنة الشيخ مكين الدين بن شجاع بن رستم الذي لقيه بمكة حين نزل بها ويصف فيه محاسن هذه الغادة الخلقية »(١) .

وهذا جلال الدين الرومي الصوفي يعبر في ديوانه عن حبه الإلهي بتعبيرات شركية رهيبة فيقول :

نفسي أيها لانور المشرق   لا تنأ عني لا تنأ عني

حبي أيها المشهد المتألق   لا تنأ عني لا تنأ عني

انظر إلى العمامة أحكمتها فوق رأسي بل أنظر إلى زنار زرادشت حول خصري أحمل الزنار وأحمل المخلاة لابل أحمل النور فلا تنأ عني لا تنأ عني

مسلم أنا ولكني نصراني وبراهمي وزرادشتى توكلت عليك أيها الحق الأعلى فلا تنأ عني لا تنأ عني

ليس لي سوى معبد واحد مسجد أو كنيسة أو بيت أصنام ووجهك الكريم فيه غاية نعمتي فلا تنأ عني لا تنأ عني(٢) .

ولم يكتف كثير من المتصوفة على ادعاء الحب الإلهي بأساليبهم الغريبة بل راحوا يتلفظون بالعشق الإلهي ! جاء في كتاب « تلبيس إبليس» :

---

(١) « التصوف بين الحق والخلق » لمحمد فهر شقفة (ص٥٩) .

(٢) « التصوف بين الحق والخلق » لمحمد فهر شقفة (ص٥٩) .

« قال السراج : وبلغني أن أبا الحسين النوري شهد عليه غلام الخليل أنه سمعه يقول : أنا أعشق اللَّه عز وجل وهو يعشقني . فقال النوري : سمعت اللَّه يقول : ﴿**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ وليس العشق بأكثر من المحبة » .

وقد قال الإمام ابن الجوزي في الرد على ذلك :

« وهذا جهل من ثلاثة أوجه : أحدها : من حيث الاسم فإن العشق عند أهل اللغة لا يكون إلا لما ينكح . والثاني : أن صفات اللَّه عز وجل منقولة فهو يحب ولا يقال يعشق كما يقال يعلم ولا يقال يعرف . والثالث : من أين له أن اللَّه تعالى يحبه فهذه دعوى بلا دليل »[1] .

وراح المتصوفة أيضًا يذكرون الخمرة وكؤوسها والعشق ومغامراته ويدعون ذلك حبًا إلهيًا قال شاعرهم :

اسقني طـــاب الصبوح	**ما تـــرى النجـم يلوح**
اسقني كاســـات راح	**هـــــي للأرواح روح**
غني لي باســـم حبيبـــي	**فلعلنـــي أستـــريـــح**
نحن قوم فـــي سبيـــل الـ	**عشـــق نغـــدو ونـــروح**
نحن قـوم نكتـــم الأراء	**والدمـــع يبـــوح**[2]

والخلاصة التي نخرج بها أن المتصوفة انحرفوا في حب اللَّه عز وجل انحرافات عديدة وتتلخص هذه الانحرافات :

أولاً : اعتبروا أن الحب الإلهي الحقيقي هو الذي يصل فيه الإنسان إلى مرحلة ينخلع فيها عن صفاته البشرية ويتصف بالصفات الإلهية وهذا يؤدي

---

(١) « تلبيس إبليس » لابن الجوزي (ص١٧١) .

(٢) « العلم الشامخ » للإمام المقبلي (ص٣٧٧) .

إلى القول بالحلول وهو معتقد باطل بل هو الحلول بعينه وهو معتقد فاسد كفيل بإخراج من يعتنقه من الإسلام.

ثانيًا : قسم المتصوفة الحب الإلهي إلى قسمين حب العوام وحب الخواص واعتقدوا أن حب العوام هو الذي يتوصل فيه الإنسان عن طريق طاعة اللَّه وطاعة رسوله وأكدوا بأن الحب الحقيقي هو الحب الصوفي الذي يصل فيه المتصوفة عن طريق مطالعة الروح كما يزعمون.

وهذا مفهوم خاطئ لحب اللَّه عز وجل وذلك لأن الحب الحقيقي هو الذي يتوصل فيه الإنسان عن طريق امتثال أوامر اللَّه ورسوله واجتناب نواهيهما والإتيان بالفرائض والإكثار من النوافل أما الحب الذي يدعيه المتصوفة وهو الوصول إلى حب اللَّه بدون القيام بالأعمال الصالحة فهذا حب مزعوم وهو ادعاء فقط لا أساس له من الصحة وليس لديهم نص يؤيدهم على قولهم هذا .

ثالثًا : لقد تغنى المتصوفة بالغانيات وادعوا أنهم حينما يتغنون بهن فإنما يتغنون باللَّه وصرحوا بأنهن مظهر من مظاهر الذات الإلهية وقد ذكرنا من ذلك نماذج وهذا انحراف عقدي خطير يؤدي إلى القول بالحلول بل هو الحلول بعينه وانحراف المتصوفة في الحب الإلهي أدى بهم إلى القول بالحلول والذي سنتكلم عنه في المبحث القادم إن شاء اللَّه[1] .

وممن نقد مزاعم الصوفية ومسالكهم في مفهومهم المنحرف لحب اللَّه شيخ الإسلام ابن تيمية فقد قال رحمه اللَّه :

« ولهذا وجد في المتأخرين من انبسط في دعوى المحبة حتى أخرجه

---

(١) انظر : (٣٢٢ ـ ٤١٦) .

ذلك إلى نوع من الرعونة والدعوى التي تنافي العبودية وتدخل العبد في نوع من الربوبية التي لا تصلح إلا للّه ويدعي أحدهم دعاوى تتجاوز حدود الأنبياء والمرسلين أو يطلبون من اللّه ما لا يصلح بكل وجه إلا للّه لا يصلح للأنبياء والمرسلين وهذا باب وقع فيه كثير من الشيوخ وسببه ضعف تحقيق العبودية التي بينتها الرسل وحررها الأمر والنهي الذي جاءوا به بل ضعف العقل الذي به يعرف العبد حقيقته وإذا ضعف العقل وقل العلم بالدين وفي النفس محبته انبسطت النفس بحمقها في ذلك كما ينبسط الإنسان مع حمقه وجهله ويقول أنا محب فلا أؤاخذ بما أفعله من أنواع يكون فيها عذران وجهل فهذا عين الضلال وهو شبيه بقول اليهود والنصارى : ﴿ **نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ** ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿**قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ**﴾[2] فإن تعذيبه لهم بذنوبهم يقتضي أنهم غير محبوبين ولا منسوبين إليه بنسبة النبوة بل يقتضي أنهم مربوبون مخلوقون.

فمن كان اللّه يحبه استعمله فيما يحبه محبوبه لا يفعل ما يبغضه الحق ويسخطه من الكفر والفسوق والعصيان ومن فعل الكبائر وأصر عليها ولم يتب منها فإن اللّه يبغض منه ذلك كما يحب منه ما يفعله من الخير إذ حبه للعبد بحسب إيمانه وتقواه ومن ظن أن الذنوب لا تضره لكون اللّه يحبه مع إصراره عليها كان بمنزلة من زعم أن تناول السم لا يضره مع مداومته عليه وعدم تداويه منه بصحة مزاجه »[3] .

---

(١) المائدة : (١٨) .

(٢) المائدة : (١٨) .

(٣) « الفتاوى الكبرى » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/١٩٨) .

وقال شيخ الإسلام أيضًا :

« وكثير من السالكين سلكوا في دعوى حب اللَّه أنواعًا من أمور الجهل بالدين إما من تعدي حدود اللَّه وإما من تضييع حقوق اللَّه وإما من ادعاء الدعاوى الباطلة التي لا حقيقة لها »[1] .

وقال أيضًا : « وكثير ممن يدعي المحبة يخرج عن شريعته وسنته ويدعي من خيلات . . حتى يظن أحدهم سقوط الأمر وتحليل الحرام له وغير ذلك مما فيه مخالفة شريعة الرسول وسنته وطاعته »[2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمة أيضًا رحمه اللَّه متحدثًا عن كلام بعض الصوفية في المحبة :

« وفي كلام بعض الشيوخ : المحبة نار تحرق في القلب ما سوى مراد المحبوب .

قال : أرادوا أن الكون كله قد أراد اللَّه وجوده ، فظنوا أن كمال المحبة أن يحب العبد كل شيء حتى الكفر والفسوق والعصيان ولا يمكن أحد أن يحب كل موجود بل يحب ما يلائمه وينفعه ويبغض ما ينافيه ويضره ولكن استفادوا بهذا اتباع أهوائهم فهم يحبون ما يهوونه كالصدور والرئاسة وفضول المال والبدع المضلة زاعمين أن هذا من محبة اللَّه ، ومن محبة اللَّه بغض ما يبغضه اللَّه ورسوله وجهاد أهله بالنفس والمال »[3] .

وقال رحمه اللَّه مقارنًا بين الذين يحبون اللَّه حقيقة وبين أدعياء المحبة

---

(١) « الفتاوى الكبرى » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/١٩٩) .

(٢) نفس المرجع (٥/ ٢٠٠) .

(٣) نفس المرجع (٥/ ٢٠٠) .

كالمتصوفة وأمثالهم :

« فاتباع الشريعة والقيام بالجهاد من أعظم الفروق بين أهل محبة اللَّه وأوليائه الذين يحبهم ويحبونه وبين من يدعي محبة اللَّه ناظرًا إلى عموم ربوبيته أو متبعًا لبعض البدع المخالفة لشريعته فإن دعوى هذه المحبة للَّه من جنس دعوى اليهود والنصارى المحبة للَّه بل قد تكون دعوى هؤلاء شرًا من دعوى اليهود والنصارى لما فيهم من النفاق الذين هم به في الدرك الأسفل من النار »[1] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه أيضًا متحدثًا عن المتصوفة الذين يدعون محبة اللَّه مع مخالفة أوامره :

« وكثير من المخطئين الذين اتبعوا أشياخًا في الزهد والعبادة وقعوا في بعض ما وقع فيه النصارى من دعوى المحبة للَّه مع مخالفة شريعته وترك المجاهدة في سبيله ونحو ذلك ويتمسكون في الدين الذي يتقربون به إلى اللَّه بنحو تمسك النصارى من الكلام المتشابه والحكايات التي لا يعرف صدق قائلها ولو صدق لم يكن قائلها معصومًا فيجعلون متبوعيهم شارعين لهم دينًا ثم إنهم يتنقصون العبودية ويدعون أن الخاصة يتعدونها كما يدعي النصارى في المسيح ويثبتون للخاصة من المشاركة في اللَّه من جنس ما تثبته النصارى في المسيح وأمه »[2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه متحدثًا عن استدلال المتصوفة على محبة كل جميل بالحديث « **إن اللَّه جميل يحب الجمال**

---

(١) « الفتاوى الكبرى » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ٢٠٠) .

(٢) نفس المرجع (٥/ ٢٠١) .

الكبر بطر الحق وغمط الناس »[1] :

« وهذا الحديث قد ضل قوم بما تأولوه عليه وآخرون رأوه معارضًا لغيره من النصوص ولم يهتدوا للجمع .

فالأولون قد يقولون كل مصنوع الرب جميل لقوله تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾[2] فنحب كل شيء وقد يستدلون بقول بعض الشيوخ: « المحبة نار تحرق في القلب كل ما سوى المحبوب » والمخلوقات كلها مرادة وهو ما يقوله قائلهم . فصرح بإطلاق الجمال ، وأقل ما يصيب هؤلاء أنهم يتركون الغيرة للَّه والنهي عن المنكر والبغض في اللَّه والجهاد في سبيله وإقامة حدوده وهم في ذلك متناقضون إذ لا يتمكنون من الرضا بكل موجود فإن المنكرات هي أمور مضرة لهم ولغيرهم ويبقى أحدهم مع طبعه وذوقه وهواه ينكر ما يكره ذوقه دون ما لا يكره ذوقه وينسلخون عن دين اللَّه وربما دخل أحدهم في الاتحاد والحلول المطلق ومنهم من يخص الحلول أو الاتحاد ببعض المخلوقات كالمسيح وعلي بن أبي طالب أو غيرهم من المشايخ والملوك والمردان فيقولون بحلوله في الصور الجميلة ويعدونها .

ومنهم من لا يرى ذلك لكن يتدين بحب الصور الجميلة من النساء الأجانب والمردان وغير ذلك ويرى هذا من الجمال الذي يحبه اللَّه ويحبه هو ويلبس المحبة الطبيعية المحرمة بالمحبة الدينية ويجعل ما حرمه اللَّه مما يقرب إليه : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾»[1] .

---

(١) مسلم مع النووي (٢/٨٩) وأحمد في « المسند » (٤/١٢٢، ٢٤ ، ١٥١) .

(٢) السجدة : (٧) .

(١) الأعراف : (٢٨) ، « الاستقامة » لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/٢٢٢ ـ ٢٢٥) .



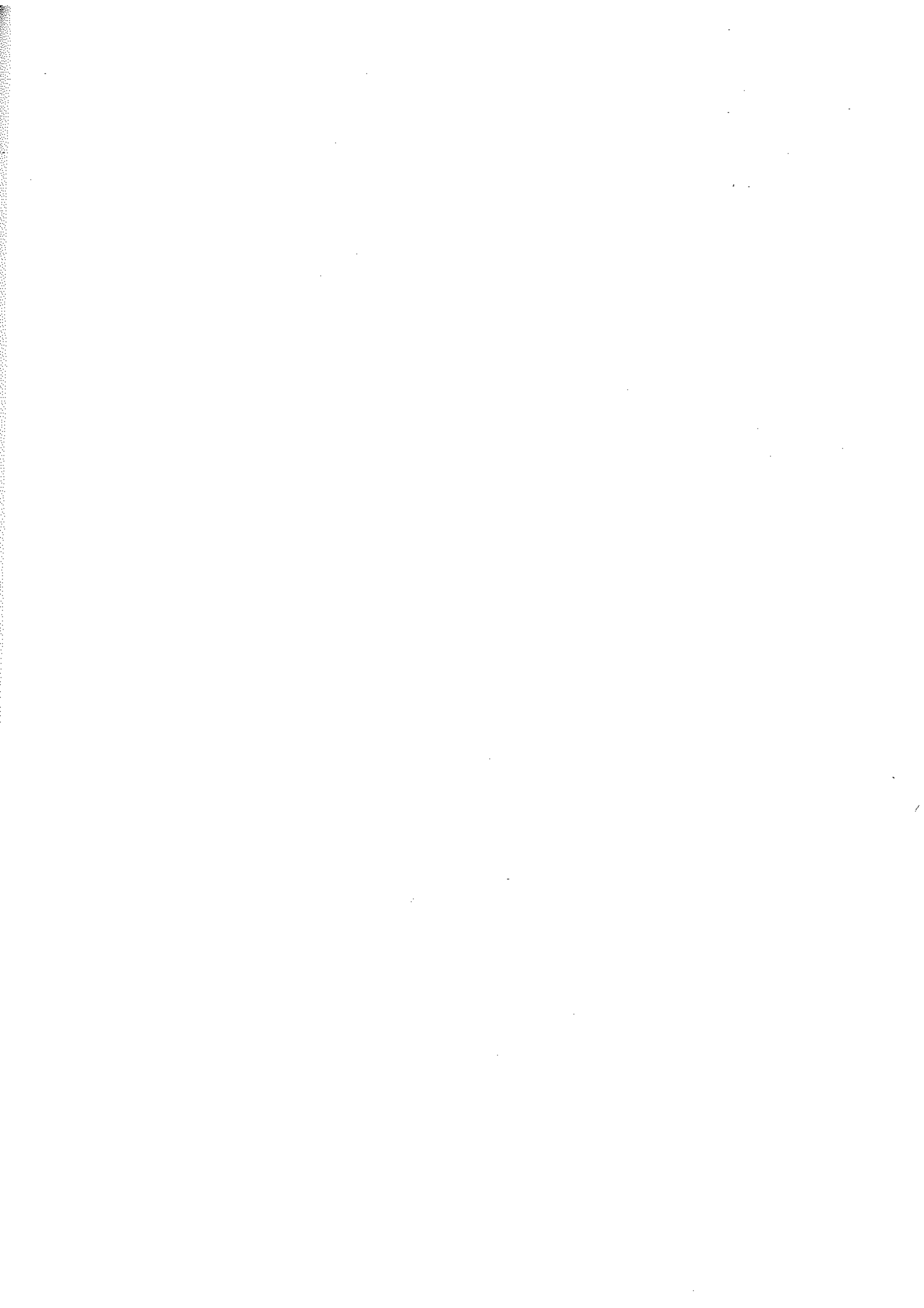
المبحث الثاني

اعتقاد الصوفية بحلول اللَّه في خلقه

وتحت هذا المبحث مطلبان:

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تثبت قولهم بالحلول.

المطلب الثاني : موقف أهل الإسلام من القائلين بالحلول



المطلب الأول

ذكر النصوص التي تثبت قول الصوفية بالحلول

لقد وقع المتصوفة في انحرافات عقدية خطيرة تجاه اللَّه عز وجل وذلك نتيجة لاتباع أهوائهم ونبذهم لكتاب اللَّه عز وجل وسنة رسوله محمد ﷺ وزعمهم بأن سلوك طريق الكتاب والسنة لمعرفة اللَّه إنما هو خاص للعوام فقط أما الخواص فينبغي أن يبحثوا عن الوصول إلى معرفة اللَّه بطريق أقصر من هذا الطريق ولذا وقع المتصوفة في هذه العقائد الإلحادية الباطلة ومن هذه العقائد الإلحادية التي وقع فيها المتصوفة هي اعتقادهم بإمكانية حلول اللَّه في مخلوقاته وقد صرح بذلك كبار مشائخهم وكل من يقرأ في كتب المتصوفة قديمًا وحديثًا سيجد بأن المتصوفة دائمًا يدندنون بهذه العقيدة ويعتبرونها هي الغاية التي يسعى أئمة التصوف للوصول إليها ويعتبرون أن الإنسان إذا لم يصل إلى هذه المرحلة فإنه لم يصل إلى معرفة اللَّه حقيقة فعليه أن يسعى إلى أن يصل إلى مرحلة يحل فيه اللَّه وحينئذ فقد تخلص من صفاته البشرية واتصف بالصفات الإلهية وهذا سيتضح لنا في النصوص الآتية التي سأوردها عن أئمة التصوف الكبار.

النصوص التي تثبت قول الصوفية بالحلول :

* إن من أئمة التصوف الكبار الذين قالوا بالحلول وكتبوا عنه الكثير شعرًا ونثرًا الحلاج

وإليك النصوص من أقواله التي تدل على أنه كان حلوليًا.

فقد نقل المنوفي عن أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الكريم الحلواني وهو أقرب خدام الحلاج أنه سمع الحلاج يومًا يدعو بعد أن أدى الصلاة بالدعاء التالي :

يا إله الآلهة ويا رب الأرباب ويا من لا تأخذه سنة ولا نوم رد إليّ نفسي لئلا يفتنن بي عبادك يا هو أنا وأنا هو لا فرق بين آنيتي وهويتك إلا الحدث والقدم ثم رفع رأسه ونظر إليّ وضحك في وجهي ضحكات ثم قال : يا أبا إسحاق أما ترى أن ربي ضرب قدمه في حدثي حتى استهلك حدثي في قدمه فلم يبق لي صفة إلا صفة القدم ونطقي في تلك الصفة والخلق كلهم أحداث ينطقون عن حدث ثم إذا نطقت عن القدم ينكرون عليّ ويشهدون بكفري ويسعون إلى قتلي وهم بذلك معذورون وبكل ما يفعلون مأجورون[١] .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن الحلاج ادعى فيه بأنه لا فرق بينه وبين اللَّه وأنه هو اللَّه واللَّه هو الحلاج ويتضح لنا ذلك في قوله : « يا هو أنا وأنا هو » .

ثم ادعى الحلاج بأنه تجرد من صفاته البشرية الحادثة واتصف بالصفات الإلهية لأنه حل فيه اللَّه حسب زعمه ولذلك فهو يتكلم مع الناس كأنه اللَّه ويخاطبهم كأنه ربهم وهذا يتضح لنا في قوله : « ثم قال : يا أبا إسحاق أما ترى أن ربي ضرب قدمه في حدثي حتى استهلك حدثي في قدمه فلم يبق لي صفة إلا صفة القدم ونطقي في تلك الصفة والخلق كلهم أحداث ينطقون عن حدث ثم إذا نطقت عن القدم ينكرون عليّ ويشهدون بكفري ويسعون إلى قتلي » .

وعلى كل حال ففي هذا النص قول الحلاج بالحلول واضح وصريح

(١) « جمهرة الأولياء » للمنوفي (٢/ ١٧١) .

وليس فيه أي غموض . ويقول الحلاج أيضًا معبرًا عن عقيدته الحلولية :

مزجت روحك في روحي كما تمزج الخمرة بالماء الزلال
فإذا مسك شيء مسني فإذا أنت أنا في كل حال[1]

ففي هذا النص يدعي الحلاج بأن روحه مزجت بروح اللّه وشبه هذا الخلط كما تختلط الخمرة بالماء وذلك إذا اختلط الخمرة والماء فإنهما يصبحان شيئًا واحدًا فكذلك الحلاج يدعي بأنه حل فيه اللّه مثل هذا الحلول ويدعي بأنه إذا مس أي شيء للّه سبحانه وتعالى فقد مس الحلاج وذلك لأنهما أصبحا شيئًا واحدًا ويدعي أخيرًا بأن اللّه هو الحلاج في كل حال وهذا حلول واضح.

ويقول الحلاج أيضًا في صورة أوضح من ذلك وفي أبيات شعرية طويلة:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ليس في المرآة شيء غيرنا
فدسها المنشد إذا أنشده نحن روحان حللنا بدنـــا
أثبت الشركة شـركًا واضحًا كل من فرق فرقًا بيننا
لا أناديـــــه ولا أذكـــره إن ذكري وندائي يا أنا
يا سر ســـــرى تدق حتى تخفي على وهم كل حي
وظاهـــــرًا باطنًـــا تجلى في كل شيء بكل شيء
إن اعتذاري إليك جهل وعظم شكي وفرط عني
يا جملة الكل لست غيري فما اعتذاري إذن إلي
أنا أنـــت بـــلا شـــك فسبحانـــك سبحـــاني

---

(١) « ديوان الحلاج » (ص ٨٢) .

فتوحيدك توحيـــدي   وعصيانك عصيانـــي
أنا الحق والحق للحق حق   لابس ذاته فما ثم فرق
قد تجلت طوالع زهرات   يتشعشعن في لومع برق
ما وحد الواحد من واحد   إذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته   عبارة أبطلها الواحد
توحيده إياه توحيده   ونعت من ينعته لاحد[1]

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن الحلاج صرح فيه بالحلول بكل وضوح ويتضح لنا ذلك من خلال أقواله التالية في النص السابق.

أولاً في قوله :

(لا أناديـــــه ولا أذكـــره   إن ذكري وندائي يا أنا)

ففي هذا البيت يقول الحلاج إنه لن ينادي اللّٰه سبحانه وتعالى ولا يذكره لأنه يقول ما الفائدة من ذكر اللّٰه وندائه بعد أن حل فيه حسب زعمه وهو زعم باطل طبعًا .

ويظهر لنا أيضًا في قوله :

(وظاهـــــراً باطنًـــا تجلى   في كل شيء بكل شيء)

ففي هذا البيت يزعم الحلاج بأن اللّٰه ظهر في كل شيء موجود في هذا الكون وهذا حلول عام ويدعي أيضًا بأنه ظهر لكل شيء موجود في هذا الكون وهو زعم باطل ولكن قصدنا نحن هنا هو الإثبات بأنه من القائلين بالحلول.

---

(١) « أخبار الحلاج » (ص٧٨) نقلا عن « حقيقة الصوفية » (ص١١١) .

ويظهر لنا أيضًا في قوله :

يا جملة الكل لست غيري فما اعتذاري إذن إلي
أنا أنـت بـلا شـك فسبحانـك سبحـاني

إذا نظرنا في البيتين السابقين نجد أن الحلاج زعم بأن اللّه جملة كل شيء موجود في هذا الكون وأن اللّه ليس غيره ولذا لا فائدة من تقديم الاعتذار والتوبة إليه بعد أن أصبح اللّه سبحانه وتعالى حالاً في الحلاج لأنهما أصبحا شيئًا واحدًا ثم يدعي بأنه اللّه بلا ريب وأن تسبيح اللّه هو تسبيحه بعينه لأنه يزعم بأنه لا فرق بينه وبين اللّه بعد حلوله فيه .

ويقول الحلاج أيضًا :

أدعوك بل أنت تدعوني فهل ناديت إياك أم ناجيت إياي
يا كل كلي ويا سمعي ويا بصري يا جملتي وتباعيضي وأجزائي(١)

إذا نظرنا في الأبيات السابقة نجد أن الحلاج صرح فيها بأنه حل فيه اللّه سبحانه وتعالى ويظهر لنا هذه في قوله :

يا كل كلي ويا سمعي ويا بصري يا جملتي وتباعيضي وأجزائي

والنص واضح في أن الحلاج ادعى بأن اللّه كله وسمعه وبصره وجملته وتباعيضه وأجزاؤه وهذا هو القول بالحلول بعينه ولا يوجد وصف لحلول اللّه في مخلوقاته أكثر وأوضح من هذا .

ويقول الحلاج :

(١) « ديوان الحلاج » (ص٧) .

اقتلوني يا تقاه إن في قتلي حياتي ومماتي في حياتي وحياتي في مماتي
كفرت بدين اللَّه والكفر واجب لدي وعند المسلميـــــن قبيـــــح
للناس حج ولي حج إلى مسكني تهدى الأضاحي وأهدى مهجتي ودمي
إذا بلغ الصب الكمال من الهوى وغاب عن المذكور في سطوة الذكر
فيشهد صدقًا حيث أشهده الهوى بأن صلاة العاشقين من الكفر(١)

إذا نظرنا في الأبيات السابقة نجد إنكار الحلاج لتوحيد اللَّه عز وجل وعبادته في مختلف صورها حيث صرح كما هو واضح أمامنا بأنه قد كفر بدين اللَّه بل لم يقف بالتصريح بهذا الكفر حيث قال بأن الكفر واجب عليه وذلك لأن الكفر هو الإيمان عنده ولو كان الكفر قبيحًا وغير مقبول عند المسلمين فهو لم يبال بهذا وذلك لأنه ليس منهم وخير شاهد على أنه ليس منهم الأبيات الآتية التي قالها بنفسه :

ألا أبلغ أحبائي بأني ركبت البحر وانكسر السفينة
على دين الصليب يكون موتي ولا البطحا أريد ولا المدينة(٢)

إذا نظرنا في هذه الأبيات نرى بأن الحلاج صرح أن يجعل اللَّه موته على الصليبية وأكد بأنه لا يريد البطحاء التي توجد بمكة ولا المدينة أيضًا وذلك لأن مكة والمدينة من الأماكن المقدسة عند المسلمين وهو قد تمنى أن يكون موته على دين الصليبيين النصارى .

ويقول الحلاج أيضًا مؤكدًا بأن اللَّه يظهر حالاً في مخلوقاته :

سبحان من أظهر ناسوته سر مسني لاهوته الثاقب

---

(١) « ديوان الحلاج » (ص٣٤) .

(٢) « ديوان الحلاج » (ص٨٥) .

حتى بدا في خلقه ظاهرًا   في صورة الآكل والشارب[1]

ففي البيتين السابقين صرح الحلاج كما نرى بأن اللّه يظهر في مخلوقاته في صورهم الأصلية وفي طبيعتهم التي جبلوا عليها وهو الأكل والشرب وغيرهما من الطباع التي فطر اللّه البشر عليها فالجميع قد حلت فيه الذات الإلهية .

وقال الدكتور نيكلسون مؤكدًا تأثر الحلاج بالمسيحية :

« والواقع الذي سندرك تفصيله أن كلمة : أنا الحق ، ليست شطحة جذب وإنما هي نظرية متكاملة في الإلهيات وهي تؤكد ثنائية الطبيعة الإلهية في اللاهوت والناسوت وهما الاصطلاحان اللذان أخذهما الحلاج عن الفلسفة المسيحية عن طريق السريان اللذين استعملوهما للدلالة على طبيعة المسيح . من هنا نرى أنه كان امتدادًا مسيحيًا ضخمًا في الفلسفة الصوفية الإسلامية لأنه على الرغم من إيمانه بقدم النور المحمدي كما سنرى ، ذلك النور الذي انبثقت منه جميع أنوار النبوة إلا أنه يجد في عيسى عليه السلام المثال الكامل لفلسفة الولاية الصوفية التي تسمو على درجة النبي في الأنبياء ولأنه يجد فيه الإنسان الذي وصل إلى مقام القربى فحل فيه روح اللّه ومن هنا أراد الحلاج أن يعيشه ويحياه ويتحقق بحقيقته فالوحدة التي يدعو إليها الحلاج إذن وحدة الشهود لا وحدة الوجود »[2] .

والإنسان في نظر الحلاج هو في أصلـه وصفوة عنصره رباني فقد خلق اللّه آدم على صورته ثم أبرز من ذاته تلك الصورة من حبه الخالد حتى

---

(١) « ديوان الحلاج » (ص٣١) .

(٢) « الصوفية في الإسلام » لنيكلسون (ص١٤٠) .

يرى نفسه كمن ينظر في مرآة مما يدل على أن الحلاج قال بما قال به المسيحيون بإمكانية حلول اللّه في المخلوقات هذه التي تتواجد في هذا الكون وإن كان المسيحيون يؤمنون بحلول خاص أما الحلاج فهو يؤمن بحلـول عام.

وقال الدكتور عبد القادر محمود :

« والحلاج في واقع مذهبه ينتمي لمذهب الخلاص المسيحي الذي يؤكد أنه لا سعادة إلا في خلاص الروح من حجابه وهو الجسد ولهذا سعى لتحطيم هذا الحجاب وكل حجب أخرى من الشعائر التي تقف حاجزًا بينها وبين حقيقتها المطلقة .

ومن هنا قال الحلاج :

بيني وبينك أني ينازعني فارفع بفضلك أني من البين »[1]

وقال نيكلسون تعليقًا على أبيات الحلاج :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

« وهذا المذهب في التأله الشخصي على الشكل الخاص الذي طبعه به الحلاج بينه وبين المذهب المسيحي الأساسي نسب واضح ولذا كان هذا المذهب عند المسلمين كفرًا من شر أنواع الكفر وقد قيض اللّه له أن يعيش دون تغيير فيه بين أتباعه الأقربين والحلوليين وهم الذين يقولون بالتجسيد يستوي الصوفية على وجه العموم وأهل السنة في نبذهم أشد النبذ والتشنيع عليهم »[2] .

(١) « الفلسفة الصوفية في الإسلام » للدكتور عبد القادر محمود (ص١٢٧) .

(٢) « الصوفية في الإسلام » لنيكلسون (ص١٤١) .

* ومن أقطاب الصوفية الذين قالوا بالحلول أبو يزيد البسطامي وإليك النصوص الدالة على هذا :

يقول البسطامي :

« كنت اثنتي عشرة سنة حداد نفسي وخمس سنين كنت مرآة فقلبي وسنة أنظر فيما بينهما فإذا في وسطي زنار فعملت على قطعه خمس سنين أنظر كيف أقطعه فكشف لي فنظرت إلى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات » .

وقال أيضًا : « منذ ثلاثين سنة كان الحق مرآتي فصرت اليوم مرآة نفسي لأني لست الآن من كنته وفي قولي أنا والحق إنكار لتوحيد الحق لأني عدم محض فالحق تعالى مرآة نفسه به أنظر أن الحق مرآة نفسي لأنه هو الذي يتكلم بلساني أما أنا فقد فنيت » .

وذكر أن رجلاً دق الباب على أبي يزيد فقال له : من تطلب ؟ فقال : أطلب أبا يزيد قال : سر ويحك فليس في الدار غير اللَّه »[١] .

وقد اعتبر البسطامي إلى أن الإشارة من المشير شرك وأبعد الخلق من اللَّه أكثرهم إشارة إلى اللَّه[٢] .

وقال البسطامي أيضًا :

« رفعني اللَّه مرة فأقامني بين يديه وقال لي : يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك . فقلت : زيني بوحدانيتك وألبسني أنانيتك وارفعني إلى أحديتك حتى إذا رآني خلقك قالوا : رأيناك فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هنا »[٣] .

---

(١) « الملحق بكتاب شطحات الصوفية » للدكتور عبد الرحمن بدوي (ص٦٥) .

(٢) « تاريخ بغداد » .

(٣) « اللمع » للطوسي (ص٤٦١) .

إذا نظرنا في النصوص السابقة نجد أن البسطامي بالفعل قال بالحلول ويظهر لنا هذا في أقواله الآتية :

أولاً : في قوله : « وفي قولي أنا والحق إنكار لتوحيد الحق لأني عدم محض » فهنا في هذا النص اعتبر البسطامي قوله « أنا والحق » إنكاراً لتوحيد اللَّه عز وجل وذلك لأن هذا القول يفهم منه الثنائية أي أن هناك عبداً ورباً أما التوحيد الكامل في نظر الحلوليين كالبسطامي فهو أن يقول الإنسان أنا فقط وذلك لأنهم يعتقدون أن اللَّه يحل في بعض مخلوقاته التي وصلت إلى قمة معرفة اللَّه حسب زعمهم وإن كان في الإسلام أن الإنسان الذي يصل إلى هذه المرحلة قد وصل إلى قمة الإلحاد.

ويظهر لنا قول أبي يزيد أيضًا بالحلول في قوله لمن أتى يطلبه ودق الباب عليه أنه قال له : « من تطلب ؟ فقال : أطلب أبا يزيد . فقال له : سر ويحك فليس في الدار غير اللَّه » .

ففي هذا النص صرح أبو يزيد بأنه لا يوجد في دار أبي يزيد غير اللَّه رغم أنه كان موجوداً فيها ومن هنا نقول إن أبا يزيد يعني بهذا أن اللَّه قد حل فيه فليس هناك في داره غير اللَّه أما شخصية أبي يزيد البشرية فقد محيت كما يزعم هو وإن كان هذا كلام عار عن الصحة ومحض افتراء قصد من ورائه تضليل عوام المسلمين وإفساد عقيدتهم .

ويظهر لنا أيضًا قول أبي يزيد بالحلول في قوله : « حتى إذا رآني خلقك قالوا رأيناك فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هنا » ففي هذا النص طلب أبو يزيد أن يرفعه اللَّه إلى أحديته بحيث إذا رأته المخلوقات في هذا الكون تصبح كأنها رأت اللَّه وبالتالي هو واللَّه سبحانه شيء واحد وهذا هو الحلول.

وقد قال الطوسي وهو صوفي كبير ولكنه مع ذلك نطق بكلمة الحق وصرح بأن فرعون لم يقل ما قاله أبو يزيد البسطامي وإليك نص كلامه :

قال : « إن فرعون لم يقل ما قاله أبو يزيد رحمه اللَّه لأن فرعون قال: أنا ربكم الأعلى ، والرب يسمى به المخلوق فيقال رب بيت ورب مال ولكن أبا يزيد رحمه اللَّه قال : سبحاني سبوح ، وسبحان اسم من أسماء اللَّه لا يجوز أن يسمى به غير اللَّه »[١] .

وقال الدكتور عبد القادر محمود في كتابه الفلسفة الصوفية في الإسلام:

« والمهم البسطامي من يقصد بالاتحاد الاتحاد باللَّه كاملاً وإلا انتفى معنى الاتحاد لأن هدف الشوق العارم هو أن يصير المحب والمحبوب شيئًا واحداً سواء في الجوهر أو الفعل أي في الطبيعة والمشيئة والفعل الصادر منها فتكون الإشارة إلى الواحد عين الإشارة إلى الآخر ثم تختفي الإشارة لانعدام المشير »[٢] .

وقال الدكتور عبد الرحمن بدوي :

« إن أحوال الوجد وطلب الاتحاد والسكر كلها توجد في أنواع التصوف الأخرى أما هذا التبادل في الأدوار بين العبد والحق والإذن له بالتعبير بصيغة المتكلم فهو الجديد حقًا عند صوفية الإسلام » .

ويتبجح عبد الرحمن بدوى ولم يستح من هذا الهراء الصوفي السافل فيقول مؤيداً إمكانية حلول اللَّه في المخلوق ، قال :

---

(١) « اللمع » للطوسي (ص٤٧٢) .

(٢) « الفلسفة الصوفية في الإسلام » للدكتور عبد القادر محمود (ص٣١٥) .

« وإن الشريعة إذا بالغت في التفريق بين اللَّه والإنسان فعلى الحقيقة أن تأتي بعقيدة مضادة لما جاء به الرسول ﷺ »[1] .

ويعني الصوفية بالحقيقة العلوم الوهمية التي يدعي مشائخهم تلقيها عن اللَّه كذبًا وزورًا.

وإليك نص كلام هذا الكاتب الذي يؤيد عقيدة تخالف عقيدة الإسلام تمامًا حتى تكون الحجة واضحة حيث قال مفسرًا نظرية الحلول عند المتصوفة :

« إذا كانت الشريعة قد جاءت بالغلو في الفارق بين اللَّه والإنسان فلتأت الحقيقة والطريقة بالغلو في التوحيد بين العبد والمعبود »[2] .

ويقول الدكتور عبد القادر محمود :

« إن ظاهرة الشطح عند البسطامي وأمثاله لا نجد لها مجالاً في الفلسفة الصوفية المسيحية والسبب أن فكرة التوسط تلعب منذ البداية دورها الخطير في التقريب بين اللَّه والمخلوقات والتجسد هو أظهر تعبير عند هذا التوسط بحيث كان من العقائد التقليدية في المسيحية اتحاد اللاهوت بالناسوت في شخص السيد المسيح عليه السلام من هنا لم يكن للصوفي المسيحي أن يتطرق في ذاته في جانب الاتحاد لأن اتحاده دائمًا يجيء عن طريق وسيط هو السيد المسيح وفي الوقت نفسه حالت فكرة الوسيط دون قيام صلة مباشرة بين العبد والرب بينما هي في الفلسفة الصوفية مباشرة بين اللَّه والعبد عن طريق الفناء لدى مدرسة البسطامي

(١) « شطحات الصوفية » لعبد الرحمن بدوي (ص١١) .

(٢) « شطحات الصوفية » لعبد الرحمن بدوي (ص١١) .

ومن تطور في طريقه »[1].

ثم قال الدكتور عبد القادر محمود :

« ونصل من هذا إلى أن هذا النوع من التوحيد عبر الاتحاد الذي لا إشارة فيه ولا مشار ولا مشير هذا النوع من التوحيد يتلقاه الصوفي حال السكر وهو فناء الذات الخاصة في ذات الألوهية وأنه ما ثم إلا اللّٰه فوجود العبد وجود الرب والعكس ومن هنا ينسب للعبد ما نسب للرب»[2] .

ويقول الجرجاني :

« والحالات التي تعبر عن الشطح بعيدة عن التفكير المنطقي لأنها تعيش بمعزل عن الشعور وهي في نظر أصحابها كما قلنا أسرار مقدسة فضح أمرها وكشف عنها الحلاج فباح فصلب وقد طالب الشبلي بعدم البوح بالأسرار لأنه وقد كان صديقًا وتلميذاً للحلاج وشاهد مصيره القاسي العنيف آثر أن يدعو إلى عدم البوح طالبًا للسلامة وقد صرح الشبلي بأنه جن جنونه حين جبن عن التصريح بما شاهد بينما عقل الحلاج بما أذاع مما كاشفه به الحق ومن هنا خلص الجنون الشبلي وأهلك العقل الحلاج حيث قال الشبلي: « أنا والحلاج في شيء واحد خلصني جنوني وأهلكه عقله »[3] .

إذا نظرنا في هذا النص نجد أن الشبلي وهو صوفي كبير قد أقر بأن معتقده كان مثل الحلاج تمامًا ولكن كتمه عن الناس خوفًا من الإعدام لأنه رأى بأم عينيه مقتل الحلاج وكيف صار مصيره إلى الانتقال عن هذه الدنيا

---

(١) « الفلسفة الصوفية في الإسلام » للدكتور عبد القادر محمود (ص٣١٩) .

(٢) نفس المرجع (ص٣١٩) .

(٣) « التعريفات » للجرجاني.

نهائيًا ولذا لا يستطيع الإنسان أن يصدق أي صوفي بما يتظاهر به من تمسكه بالشعائر الدينية لأنهم يظهرون خلاف ما يبطنون وهذه صفة قبيحة بل هي من شر الصفات التي يتصف بها الإنسان لأنها صفة من صفات المنافقين التي يتميزون بها عن سائر الناس.

ومن أئمة التصوف الذين قالوا بالحلول محمد عبد الجبار النفري والنفري هذا يعتبر من المتصوفة المبالغين والمغالين في القول بحلول اللّه في خلقه والنفري يسمي أعلى درجات الفناء بكلمة « الواقفة » ويسمي الثاني بـ «الواقف » ويعتبر أن العارف إذا وصل إلى أعلى درجة في الفناء انعدم كل تمايز بينه وبين اللّه .

ولهذا نقول إن النفري يقصد بالواقف المنقطع عن الطلب من اللّه لفنائه فيه حسب زعمه ومما يدل على هذا قوله الآتي :

« وإذا ذهبت الوقفة من عقله أضحى نوراً كله فثناؤه على اللّه ثناؤه من اللّه على نفسه ومعرفته هي عين معرفة اللّه الذي يرى نفسه واحداً كما كان من قبل »[1] .

ويقول أيضًا : « دخل الواقف كل بيت فما وسعه وشرب من كل مشرب فما روى فأفضى إلي وأنا قراره وعندي وقفه »[2] .

ويقول الدكتور عبد القادر محمود في شرح هذا الكلام :

« معنى هذا أن الواقف أدرك الصفات الربانية فلم يقنع بالأسماء دون المسمى ولا بالصفات دون الموصوف ولكنه طلبه وتفكر في ذات اللّه فرآه

---

(١) « المواقف » للنفري (١٠ ، ١٤ ، ١٥) .

(٢) « المواقف » للنفري (١٠، ١٤ ، ١٥) .

بشخصه في ذاته فلا يدعو لأن الدعاء يكون من الإنسان للَّه وليس في الوقفة أحد والواقف لا يدع وارثًا وراءه عن اللَّـه . . . لأن الواقـف تجرد عن بشريته »[1] .

* ومن أئمة التصوف الذين قالوا بالحلول عبيد اللَّه أحرار النقشبندي حيث قال معبراً عن عقيدته الحلولية :

« فإذا تجلى الحق تعالى على قلبه « قلب السالك » بالتجلي القهري يمحو منه الغير والسوا فلا يبقى فيه إلا هو فلا جرم يسمع في هذا القلب : ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ و« سبحاني ما أعظم شأني » و« أنا الحق» و« هل في الدار غيري» »[2] .

ومن أقواله الدالة على أنه كان حلوليًا أيضًا الآتي :

« إن العارف من فنيت ذاته وصفاته في ذاته تعالى وصفاته فلم يبق له اسم ولا رسم »[3] .

إذا نظرنا في النصين السابقين نجد أن عبيد اللَّه أحرار قد صرح بالحلول ويتضح لنا هذا جليًا في النص الثاني بالذات في قوله : « إن العارف من فنيت ذاته وصفاته في ذاته تعالى وصفاته » حيث أن معنى هذا الكلام هو أن الإنسان العارف حقيقة في المفهوم الصوفي هو من وصل إلى مرحلة تفنى فيها ذاته وصفاته البشرية وتتحول إلى صفات إلهية بمعنى أنه يصل إلى مرحلة يحل فيه اللَّه وبالتالي يصبح إلهًا وهذا هو الحلول بعينه فليس هناك

---

(١) « الفلسفة الصوفية في الإسلام » للدكتور عبد القادر محمود (ص٣٩٣) .

(٢) « المذاهب السرمدية في مناقب النقشبندية » (ص١٦٢) .

(٣) « الأنوار القدسية » للشعراني (ص١٦٣) .

تصريح بالحلول أكثر من هذا .

* ومن القائلين بالحلول من الصوفية محمد بارسال .

ويدل على هذا قوله :

«إن حقيقة الذكر عبارة عن تجليه سبحانه لذاته بذاته في عين العبد»[1] .

ويقصد بهذا أن الذاكر يصبح نفس المذكور والمذكور نفس الذاكر وليس هناك قول بالحلول أكثر وأوضح من هذا حيث صرح بأن اللَّه يتجلى بذاته في عين العبد والمعنى أن اللَّه يحل في العبد بذاته وما دام اللَّه قد حل في العبد فليس هناك ذكر وذاكر ومذكور فالكل أصبح شيئًا واحدًا وهذا حسب زعم المتصوفة الدجالين الذين تركوا كتاب اللَّه وراء ظهورهم وأصبحوا يبحثون عن الهدى والرشد خارج كتاب اللَّه وسنة رسوله محمد ﷺ فوقعوا في متاهات واعتناق عقائد إلحادية وثنية جاء الإسلام لمحاربتها فأحياها الصوفية من جديد في أوساط الأمة الإسلامية .

* ومن أئمة التصوف الذين قالوا بالحلول أبو الحسن الشاذلي شيخ الطريقة الشاذلية المعروفة[2] .

ومن الأدلة التي تثبت لنا لأنه كان حلوليًا النص الآتي :

حيث قال : « من أطاعني في كل شيء بهجرانه لكل شيء أطعته في كل شيء بأن أنجلي له في كل شيء حتى يراني أقرب إليه من كل شيء هذه

---

(١) « الأنوار القدسية » للشعراني (ص١٦٣) .

(٢) أبو الحسن الشاذلي هو عبد اللَّه بن عبد الجبار الشاذلي بالشين والذال المعجمتين وشاذلة قرية في أفريقيا الضرير الزاهق نزيل الإسكندرية وشيخ الطائفة الشاذلية وقد مات بصحراء عيذاب قاصدًا الحج وقد وصفه كثير من الصوفية بأنه قطب الزمان والحامل في وقته لواء أهل العيان حجة الصوفية القطب الغوث الجامع (ت٦٥٦هـ) .

انظر ترجمته في « طبقات الشعراني » (٢/ ٤) .

هي طريق أولى وهي طريق السالكين ، وطريق كبرى من أطاعني في كل شيء بإقباله على كل شيء لحسن إرادة مولاه في كل شيء أطعته في كل شيء بأن أنجلي له في كل شيء حتى يراني كأني عين كل شيء »[1] .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن الشاذلي يدندن حول القول بالحلول وكما هي عادة المتصوفة فقد حاول أن يلبس الأمر حتى لا يفهم منه القاريء بأن الشيخ يقول بالحلول لكن مع كل هذه المراوغة واللف والدوران فإن قوله بالحلول واضح جدًا وخاصة في قوله : « بأن أنجلي له في كل شيء حتى يراني كأني عين كل شيء » فمن هذا النص نفهم بأن الرجل صرح بالفعل بالحلول حيث أن معنى هذا النص أن اللّه سبحانه وتعالى يظهر في كل شيء موجود في هذا الكون وهذا هو القول بالحلول بعينه وليس هناك للتعبير عن الحلول عبارة أكثر وضوحًا من هذا .

* ومن أئمة التصوف الذين قالوا بالحلول لسان الدين الخطيب وإليك نص كلامه في هذا المجال :

« قال : المتصوفة في هذا المجال قسمان :

١ ـ قسم زعم أنه تلاشت رسومه وقسم تدرج في المراتب غير المكانية ولا الزمانية يبتغي القرب من اللّه حتى صح أن ذلك حقيقة العدم ، يعني أن خلق اللّه صفته فالأشياء سواه أفعاله وصفاته مع وجود اللّه عدم وإنه تيقن وجود وجوده بإدراكه وإدراكه باللّه لا بذاته »[2] .

ثم قال : « والقسم الثاني ومن زعم أنه تلاشت رسومه وفني عن

---

(١) كتاب « لطائف المنن » لابن عطاء اللّه السكندري (ص٨٩) .

(٢) « روضة التعريف بالحب الشريف » (ص٢٠٢) .

وجوده ثم فني عن فنائه وأدرك عند ذلك حقيقة ذاته وفني من لم يكن وبقي من لم يزل»[1] .

إذا نظرنا في النصوص السابقة نجد بأن لسان الدين الخطيب قسم المتصوفة القائلين بالحلول إلى قسمين :

القسم الأول من المتصوفة هو الذي يزعم بأنه تتلاشى وتذهب صفاته الأصلية البشرية نهائيًا وبالتالي يكون مهيئًا لحلول اللّٰه فيه .

وأما القسم الثاني هو الذي يتقرب إلى اللّٰه حتى يوقن بأنه عدم محض وأنه ما هو إلا صفة من صفات اللّٰه خلق ليكون مظهرًا لذات اللّٰه سبحانه وتعالى هذا هو مضمون الكلام الذي يدندن لسان الدين الخطيب حوله ولكن كما هو عادة المتصوفة فإنهم يحبون المراوغة وإخفاء معتقدهم واستعمال الألغاز حتى لا يتعرضوا للنقد من قبل المسلمين ولكن مهما فعلوا فإن معتقدهم وقولهم بالحلول واضح جدًا لأنه ما من كتاب صوفي إلا وتجد فيه الدندنة حول القول بعقيدة الحلول.

المطلب الثاني

موقف أهل الإسلام من القائلين بالحلول

بعد أن بينت ووضحت بأن المتصوفة قالوا بالفعل بحلول اللّٰه في خلقه وذلك بإيراد نصوص من بطون كتبهم ومن مقـالات مشائخهم الكبار وألزمتهم بأن هذا المعتقد بالفعل قالوا به أحب أن أذكر موقف الإسلام من هذه العقيدة الإلحادية التي جلبها المتصوفة من الأمم التي لا زالت تعبد

---

(١) « روضة التعريف بالحب الشريف » (ص٢٠٤) .

الأوثان والأصنام[1] .

وإذا أردنا أن نبين موقف الإسلام من الحلول نقول باختصار إن من الأمور الضرورية التي يعتقدها أي مسلم هو أن اللَّه سبحانه وتعالى مستوٍ على عرشه بائن عن خلقه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

إذًا فاللَّه سبحانه وتعالى لا يمكن أن يحل بحال من الأحوال في مخلوقاته بل هو الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد وإن المتصوفة القائلين بالحلول ليس لهم أي أدلة يستندون عليها وإنما قالوا هذا الكلام من مجرد أهوائهم وإن الإسلام بريء من هذه العقائد الباطلة ومما يدل على أن عقيدة الحلول ليست من الإسلام في شيء أقوال علماء الإسلام الآتية حيت وصفوا هذه العقيدة بأنها عقيدة دخيلة على الإسلام وأنها عقيدة إلحادية وأن من يعتنقها ليس من الإسلام في شيء :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه :

« الحلول والاتحاد أربعة أقسام :

واعلم أن هذه المقالات لا أعرفها لأحد من أمة قبل هؤلاء على هذا الوجه ولكن رأيت في بعض كتب الفلسفة المنقولة عن أرسطو أنه حكى عن بعض الفلاسفة قول أن الوجود واحد ورد ذلك وحسبك بمذهب لا يرضاه متكلمة الصابئين.

وإنما حدثت هذه المقالات بحدوث دولة التتار وإنما كان الكفر الحلول العام أو الاتحاد أو الحلول الخاص.

---

(١) انظر (٣٢٠ ـ ٣٣٩) .

وذلك أن القسمة رباعية لأن من جعل الرب هو العبد حقيقة فإما أن يقول بحلوله فيه أو اتحاده به وعلى التقديرين فإما أن يجعل ذلك مختصًا ببعض الخلق كالمسيح أو يجعله عامًا لجميع الخلق فهذه أربعة أقسام:

الأول : هو الحلول الخاص : وهو قول النسطورية من النصارى ونحوهم ممن يقول إن اللاهوت حل في الناسوت وتدرع به كحلول الماء في الإناء وهؤلاء حققوا كفر النصارى بسبب مخالطتهم للمسلمين وكان أولهم في زمن المأمون وهو قول من وافق هؤلاء النصارى من غالبية هذه الأمة كغالية الرافضة الذين يقولون : إنه حل بعلي بن أبي طالب وأئمة أهل بيته وغالية النساك الذين يقولون بالحلول في الأولياء ومن يعتقدون فيه الولاية أو بعضهم كالحلاج ويونس والحاكم وغيرهم.

والثاني : هو الاتحاد الخاص : وهو قول يعقوبية النصارى وهم أخبث قولاً وهم للسودان والقبط ، يقولون : إن اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا كاختلاط اللبن بالماء وهو قول من وافق هؤلاء من غالبية المنتسبين إلى الإسلام .

والثالث : هو الحلول العام : وهو القول الذي ذكره أئمة أهل السنة والحديث عن طائفة من الجهمية المتقدمين وهو قول غالب متعبدة الجهمية الذين يقولون : إن اللَّه بذاته في كل مكان ويتمسكون بمتشابه القرآن كقوله : **﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾**[1] وقوله : **﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾**[2] .

(١) الأنعام : (٣) .

(٢) الحديد : (٤) .

الرابع : الاتحاد العام : وهو قول هؤلاء الملاحدة الذين يزعمون أنه عين وجود الكائنات وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى من وجهين :

الأول : من جهة أن أولئك قالوا : إن الرب يتحد بعبده الذي قربه واصطفاه بعد أن لم يكونا متحدين وهؤلاء يقولون : ما زال الرب هو العبد وغيره من المخلوقات ليس هو غيره .

والثاني : من جهة أن أولئك خصوا ذلك بمن عظموه كالمسيح وهؤلاء جعلوا ذلك ساريًا في الكلاب والخنازير والقذر والأوساخ وإذا كان اللَّه تعالى قال : ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ**﴾[1] فكيف بمن قال : إن اللَّه هو الكفار والمنافقون والصبيان والمجانين والأنجاس والأنتان وكل شيء .

وإذا كان اللَّه قد رد قول اليهود والنصارى لما قالوا : ﴿**نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ**﴾ وقال لهم : ﴿**قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ**﴾[2] فكيف بمن يزعم أن اليهود والنصارى هم أعيان وجود الرب الخالق ليسوا غيره ولا سواه ولا يتصور أن يعذب إلا نفسه ؟

وإن كل ناطق في الكون فهو عين السامع كما في قوله ﷺ : «**إن اللَّه تجاوز عن أمتي عما حدثت به أنفسها**»[3] وإن الناكح عين المنكوح »[4] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا :

---

(١) المائدة : (١٧) .

(٢) المائدة : (١٨) .

(٣) « صحيح مسلم » مع النووي (٢/١٤٦) .

(٤) « مجموعة الرسائل والمسائل » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨ ـ ٣٠) .

« إن الاتحاد بين الخالق والمخلوق ممتنع لأن الخالق والمخلوق إذا اتحدا فإما أن يكونا بعد الاتحاد اثنين كما كانا قبله وهذا تعدد وليس اتحاداً وإما أن يستحيلا إلى شيء ثالث كما يتحد الماء واللبن والنار والحديد فيلزم أن يكون الخالق قد استحال وتبدلت حقيقته كسائر ما يتحد مع غيره وهذا ممتنع على اللَّه إذ الاستحالة تقتضي عدم ما كان موجوداً واللَّه تعالى واجب الوجود بذاته وصفاته الملازمة له والتي هي كمال إذا عدمت كان ذلك نقصًا يتنزه اللَّه تعالى عنه »[1] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا في معرض رده على الحلولية والاتحادية :

« وهؤلاء الحلولية والاتحادية منهم من يخصه بالصور الجميلة ويقول بمظاهر الجمال ومنهم من يقول بالاتحاد المطلق والحلول المطلق لكن هو يتخذ لنفسه من المظاهر ما يحبه فهو كما قال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[3] »[4] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا رحمه اللَّه :

« وأما اتحاد ذات العبد بذات الرب بل اتحاد ذات عبد بذات عبد أو

---

(١) « الفتاوى الكبرى » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٣٣٩) .

(٢) الفرقان : (٤٣) .

(٣) الجاثية : (٢٣) .

(٤) كتاب « الاستقامة » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ١٩٦) .

حلول حقيقة في حقيقة كحلول الماء في الوعاء فهذا باطل قطعًا بل ذلك باطل في العبد مع العبد فإنه لا تتحد ذاته بذاته ولا تحل ذات أحدهما في ذات الآخر وهذا هو الذي وقعت فيه الاتحادية والحلولية من النصارى وغيرهم من غالية هذه الأمة وغيرها وهو اتحاد متجدد بين ذاتين كانتا متميزتين فصارتا متحدتين أو حلول أحدهما في الأخرى فهذا بيّن البطلان.

وأبطل منه قول من يقول ما زال واحدًا وما ثم تعدد أصلاً وإنما التعدد في الحجاب فلما انكشف الأمر رأيت أني أنا وكل شيء هو اللَّه سواء قال بالوحدة مطلقًا أو بوحدة الوجود المطلق دون المعين أو بوحدة الوجود دون الأعيان الثابتة في العدم فهذا وما قبله مذاهب أهل الكفر والضلال »[(١)] .

وقال الدكتور عبد القادر محمود متحدثًا عن مذهب الحلاج الحلولي ومؤكدًا بأن الحلاج أخذ هذا المعتقد الباطل من المسيحيين غير معتقدهم الصحيح بسبب تأثرهم بالفلسفات الوثنية التي كانت منتشرة وبمكيدة من اليهودي شاؤل .

قال الدكتور : « والحلاج في واقع مذهبه ينتمي لمذهب الخلاص المسيحي الذي يؤكد أنه لا سعادة إلا في خلاص الروح من حجابه وهو الجسد ولهذا سعى لتحطيم هذا الحجاب وكل حجب أخرى من الشعائر تقف حاجزًا بينها وبين حقيقتها المطلقة »[(٢)] .

وتحدث الدكتور نيكلسون المستشرق الأوروبي أيضًا عن علاقة مذهب الحلول الصوفي بالحلول المسيحي فأثبت العلاقة الوثنية بينهما فقال :

---

(١) « مجموع فتاوى » شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٤٣٥) .

(٢) « الفلسفة الصوفية في الإسلام » للدكتور عبد القادر محمود (٣٥٥) .

« وهذا المذهب في التأله الشخصي على الشكل الخاص الذي طبعه به الحلاج بينه وبين المذهب المسيحي الأساسي نسب واضح ولذا كان هذا المذهب عند المسلمين كفراً من شر أنواع الكفر.

وقد قيض اللَّه له أن يعيش دون تغيير فيه بين أتباعه الأقربين والحلوليين وهم الذين يقولون بالتجسيد »[1] .

وقال أنور الجندي :

« والحقيقة أن القول بالاتحاد بين الخالق والمخلوق يأباه العقل الذي سلم من الشبهات ويدل دلالة واضحة على أنها باطلة لأن أي إنسان تسمح له نفسه أن يدعي بأنه حل به الإله وصار مع اللَّه وحدة واحدة ولا يمكن أن يخرج مثل هذا الادعاء الباطل من إنسان له عقل سليم أو به ذرة من إيمان »[2] .

والخلاصة التي نخرج بها من هذا المطلب أن القول بحلول اللَّه فيمن اصطفاهم اللَّه في مخلوقاته أو حلوله المطلق في كل ما في هذا الكون قول غير صحيح بل هو كذب محض أتى به المتصوفة من عند أنفسهم أو أخذوه من الوثنية القديمة وأن الإسلام بريء من عقيدة حلول اللَّه في مخلوقاته لأنها عقيدة إلحادية وقد جاء الإسلام لمحاربة الإلحاد والكفر والشرك ونشر توحيد اللَّه في هذه المعمورة بين العباد من توحيد الربوبية والألوهية وتوحيد الأسماء والصفات وأن اللَّه مستو على عرشه بائن من خلقه ولا يمكن بأي شكل من الأشكال أن يحل في شيء من الأشياء الموجودة في

---

(١) « الصوفية في الإسلام » لنيكلسون (ص١٤١) .

(٢) « المؤمراة على الإسلام » لأنور الجندي (ص٥٢) .

هذا الكون لأنه خالقها وهي مخلوقة ولا يمكن أن يحل الخالق بالمخلوق نهائيًا.

وبما أن بعض غلاة المتصوفة بالفعل وقعوا في القول بحلول اللَّه كما سبق ذكره فإن الإسلام يعتبر ذلك منهم انحرافًا عقديًا خطيرًا كفيلاً بإخراج صاحبه من الإسلام نهائيًا وقد ذكرت ذلك عن طائفة من علماء الإسلام في هذا المطلب.

* * *



الباب الثالث

انحرافاتهم في الرسول ﷺ والخضر عليه السلام والأولياء رحمهم الله

وتحته ثلاثة فصول :

الفصل الأول : انحرافاتهم في الرسول ﷺ

الفصل الثاني : انحرافاتهم في الخضر عليه السلام .

الفصل الثالث : انحرافاتهم تجاه الأولياء .



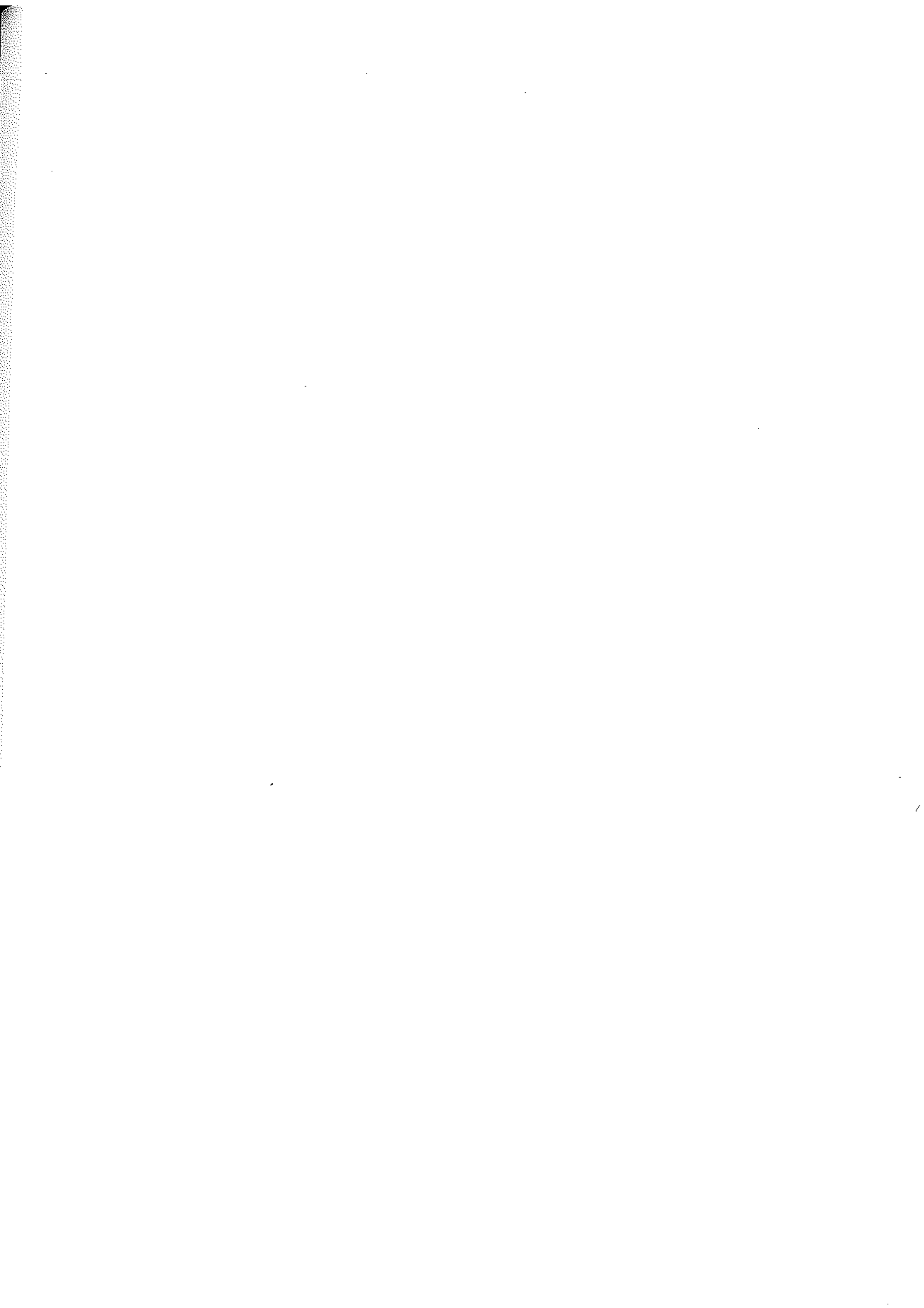
الفصل الأول

انحرافاتهم في الرسول ﷺ

وتحته مبحثان :

المبحث الأول : انحرافاتهم في مبدإ خلقه والمادة التي خلق منها. (وتحته ثلاثة مطالب)

المبحث الثاني :اعتقاد الصوفية بجواز التوجه إلى الرسول ﷺ بالدعاء والاستغاثة وشبههم ومناقشتها وحكم التوجه إلى الرسول ﷺ بالدعاء والاستغاثة . (وتحته ثلاثة مطالب)



المبحث الأول

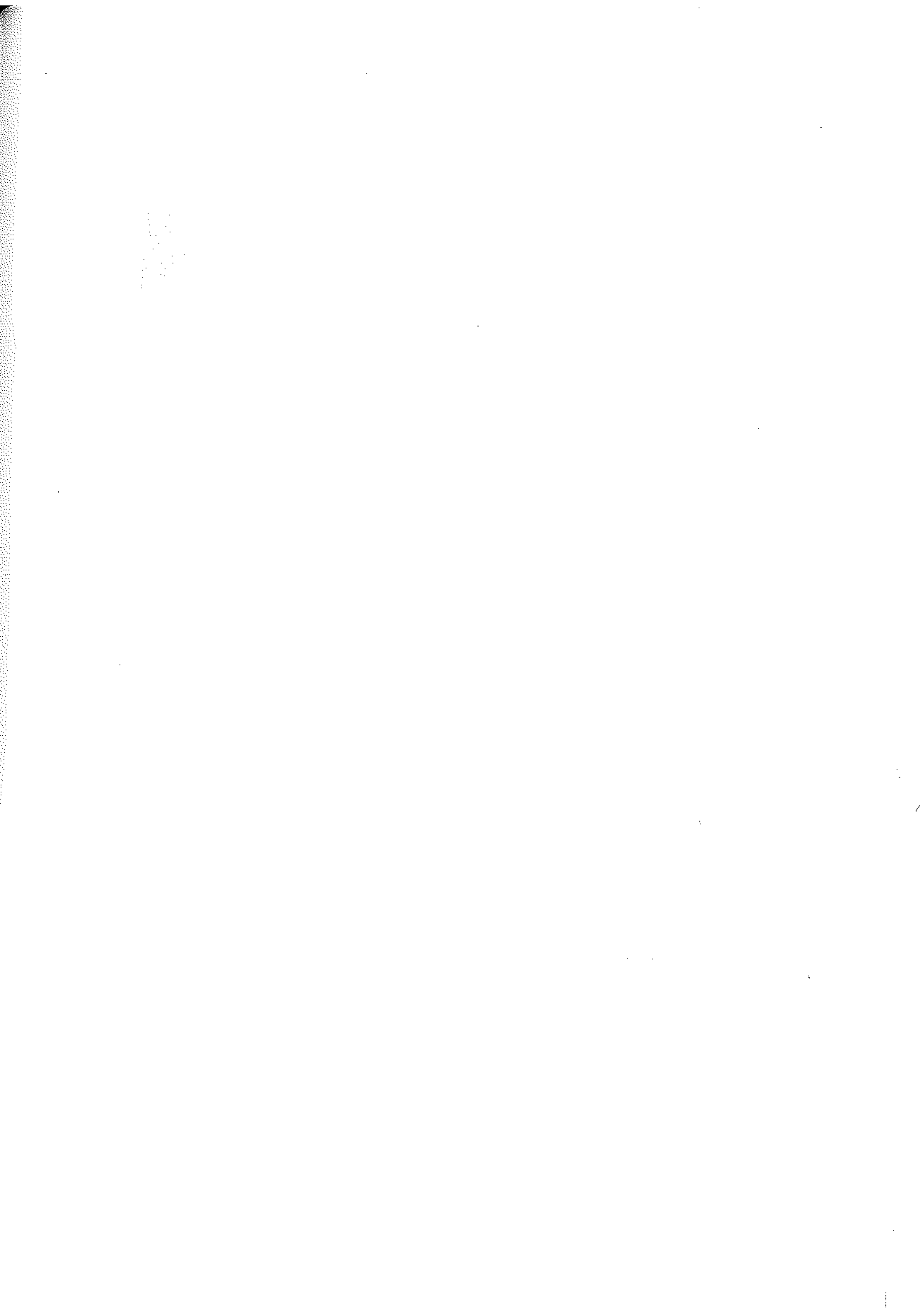
انحرافهم في مبدإ خلقه والمادة التي خلق منها

وتحت ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : اعتقادهم بأن الرسول أول مخلوق وأنه خلق من نور .

المطلب الثاني : اعتقادهم بأن الكون خلق من نور محمد ﷺ .

المطلب الثالث : اعتقادهم بأن الكون خلق من أجل محمد ﷺ وأن جميع العلوم جزء من علمه حتى علم اللوح والقلم.



المبحث الأول

انحرافهم في مبدإ خلقه والمادة التي خلق منها :

تمهيد :

لقد انحرف المتصوفة تجاه الرسول محمد ﷺ انحرافًا خطيرًا حتى تجاوزوا به المنزلة التي أنزله اللّٰه فيها فادعوا بأنه أول مخلوق وأنه مخلوق من نور وأن جميع ما في هذا الكون تفرع عنه بعد ذلك وأن جميع علوم الرسل الذين أرسلوا من قبله فاضت عليهم من علمه بل ادعوا بأن علم اللوح والقلم من علمه ﷺ وأن الدنيا وما فيها والآخرة وما فيها من جوده ﷺ .

المطلب الأول

اعتقادهم بأن الرسول أول مخلوق وأنه مخلوق من نور

لقد انحرف الصوفية في الزمن الذي خلق فيه الرسول محمد ﷺ وفي المادة التي خلق منها فادعوا بأنه أول مخلوق وأنه مخلوق من نور وأن جميع مخلوقات اللّٰه تفرعت عنه وإليك النصوص التي تثبت هذا من بطون كتبهم.

أولاً : ذكر النصوص التي تثبت معتقدهم هذا :

* فمن الصوفية الذين قالوا بأن محمدًا أول مخلوق محيي الدين بن عربي الذي يسميه الصوفية الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر ويعتبرونه العلامة الذي لا يساويه أحد في معرفة اللّٰه عز وجل حسب زعمهم وإلا فما أبعده عن معرفة اللّٰه .

فقد قال متحدثًا عن بدء العالم :

« بدأ العالم ومثاله الهباء والحقيقة المحمدية :

كان اللَّه ولا شيء معه ثم أدرج فيه أي في هذا الحديث وهو الآن على ما عليه كان لم يرجع إليه سبحانه من إيجاده العالم صفة لم يكن عليها بل كان موصوفًا لنفسه ومسمى قبل خلقه بالأسماء التي يدعوه بها خلقه فلما أراد تعالى وجود العالم وبدءه على ما علمه بعلمه بنفسه انفصل عن تلك الإرادة المقدسة بضرب تجلى من تجليات التنزيه إلى الحقيقة الكلية نقول انفصل عنها حقيقة تسمى الهباء هي بمنزلة طرح البناء الجص ليفتح فيها ما شاء من الأشكال والصور وهذا هو أول موجود في العالم . . . ثم إنه سبحانه تجلى بنوره إلى ذلك الهباء ويسميه أصحاب الأفكار الهيولي الكل والعالم كله فيه القوة والصلاحية فقبل منه كل شيء في ذلك الهباء على حسب قوته واستعداده كما تقبل زوايا البيت نور السراج وعلى قدر قربه من ذلك يشتد ضوءه وقبوله .

قال تعالى : ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ فشبه نوره بالمصباح فلم يكن أقرب إليه تعالى قبولاً في ذلك الهباء إلا حقيقة محمد ﷺ المسماة بالعقل فكان سيد العالم بأسره وأول ظاهر في الوجود فكان وجوده من ذلك النور الإلهي ومن الهباء ومن الحقيقة الكلية وفي الهباء وجد عينه وعين العالم من تجليه وأقرب الناس إليه علي بن أبي طالب وأسرار الأنبياء»[1] .

والشاهد في النص هو تصريح ابن عربي بأن محمدًا أول من ظهر في هذا الوجود وأنه من نور اللَّه وأن هذا العالم وجد من نور الرسول محمد ﷺ

---

(١) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٢/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧) .

وهذا كذب وافتراء على اللّه من ابن عربي فإن محمداً ليس بأول موجود ولا هو موجود من نور وبما أننا نريد أولاً إيراد الأدلة من بطون كتبهم لإثبات معتقدهم هذا ثم سنتبعه بالرد عليهم وإبطال معتقدهم فنترك الرد لحينه ولنأت بجملة من الأدلة عنهم .

* ومن المتصوفة الذين قالوا بأن محمدًا أول مخلوق عبد الكريم الجيلي .

وإليك نص عبارته حيث قال :

« إن العقل المنسوب إلى محمد ﷺ خلق اللّه جبريل منه في الأزل فكان محمد ﷺ أبًا لجبريل وأصلاً لجميع العالم وسمي العقل الأول بالروح الأمين لأنه خزانة علم اللّه وأمينه ويسمى بهذا الاسم جبريل من تسمية الفرع باسم أصله . . . . »[1] .

ثم قال : « لما خلق اللّه سبحانه وتعالى العالم جميعه من نور محمد ﷺ كان المحل المخلوق منه إسرافيل قلب محمد ﷺ »[2] .

وقال أخيراً : « اعلم أن الإنسان الكامل « الحقيقة المحمدية » هو الذي يستحق الأسماء الذاتية والصفات الإلهية استحقاق الأصالة والملك بحكم المقتضى الذاتي »[3] .

فهذه النصوص التي أوردتها عن الجيلي تدل دلالة صريحة بأن المتصوفة يعتقدون بأن محمداً ﷺ أول موجود وأصل لجميع ما في هذا العالم من إنسان وجن وحيوان وملائكة وغيرها من مخلوقات اللّه وهذا طبعًا

---

(١) « الإنسان الكامل » (٢/٢٩) .

(٢) « الإنسان الكامل » (٢/) .

(٣) « الإنسان الكامل » (٢/٧٧) .

معتقد باطل جاء به المتصوفة من الديانات الوثنية أما الإسلام فبريء من هذا المعتقد الوثني فالرسول ﷺ ليس أول مخلوق ولا مخلوق من نور ولا هو أصل للعالم بل هو بشر مثلنا فضله اللّه بالرسالة وإلا فتاريخ ميلاده معروف وهو مولود من أم وأب قرشيين معروفين وعلى هذا فدعوى الصوفية هذه ما هي إلا هراء وكذب ودجل قصدوا من ورائها إفساد عقائد المسلمين.

* ومن المتصوفة الذين قالوا بأن محمداً أصل الوجود محمد البكري[1] ويظهر لنا معتقده هذا في الصلاة التي ابتدعها من عند نفسه ليصلي بها المتصوفة على محمد رسول اللّه ﷺ حيث قال :

« اللهم صل وسلم وبارك على من تشرفت به جميع الأكوان وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي ظهرت به معالم الفرقان وصل وسلم وبارك على عين الأعيان والسبب في وجود كل إنسان »[2] .

والشاهد في هذا النص أن البكري قال : إن محمداً رسول اللّه ﷺ هو عين لجميع الأعيان أي هو الأصل لجميع ما في هذا الكون وهو السبب في وجود كل إنسان موجود في هذه الحياة .

ونحن نقول هذا معتقد باطل مخالف للمعتقد الذي جاء به محمد بن عبد اللّه عليه الصلاة والسلام فإن محمداً ﷺ ليس بأصل لجميع ما في هذا

---

(١) قال عنه الشعراني : هو الإمام العامل الراسخ في العلوم اللدنية والمنح المحمدية الكامل ابن الكامل سيدي محمد البكري.. وقد أعطاه اللّه التكلم على أحوال السموات والأرض نقلاً وكشفًا ويقينًا لا ظنًا وتخمينًا درس وأفتى في علم الظاهر والباطن «الطبقات الكبرى» للشعراني (ص١٢٣). قلت : وهذا مجرد زعم فقط لأن علم الغيب خاص باللّه سبحانه وليس عندنا علمان باطن وظاهر بل العلم الذي عندنا هو العلم الظاهر الواضح ألا وهو كتاب اللّه وسنة رسوله محمد ﷺ.

(٢) « مجموع الأوراد الكبير » (ص٢٥) .

الكون بل الأشياء الموجودة في هذا الكون كل منها له أصل مستقل فالبشر أصلهم من تراب والملائكة من نور والجن من نار كما ذكر اللَّه ذلك في كتابه .

وبالإضافة إلى ذلك فالرسول محمد ﷺ لم يتجاوز منذ خلقـه اللَّه أربعة عشر قرنًا والعالم كان قبله موجودًا فكلام المتصوفة باطل عقلاً ونقلاً وتاريخًا .

ويقول محمد البكري متحدثًا عن الحقيقة المحمدية :

قبضة النور من قديم أرتنا	في جميع الشئون قبضًا وبسطا
وهي أصل لكل أصل تبدى	بسطت فضلها علـى الكون بسطا
وهي وتر قد أظهرت عدد الشفع	بعلـم فجـل حصـرًا وضبطا
ولدت شكلها فأنتـج شكـلاً	بشريًا أقـام للعـدل قسطا
وهو عبد قد حررتـه لديهـا	بيديها وكـم أفـاد وأعطـى
هي ناسوت انسنـا والهيـولا	شمس سر الوجود بكرًا وشمطا
كل والكـل منـه	وعليه مبناه ما اختل شرطا[1]

فالأبيات السابقة قد قرر فيها البكري بأن محمدًا رسول اللَّه أصل لكل الأشياء التي ظهرت في هذا الوجود وأن حقيقة الرسول مركبة من الإنسانية والإلهية وأن كل شيء موجود في هذه الحياة من الرسول ﷺ وأن الرسول خلق من قبضة نورانية .

وهذه كلها اعتقادات باطلة مناقضة للعقيدة الصحيحة التي جاء بها الرسول ﷺ .

(١) « أوراد البكرى » (ص٧٤) نقلاً عن « التصوف » لشقفة (ص٨٢) .

فالرسول ﷺ ليس أصلاً لهذا الكون ولا هو مخلوق من نور ولا هو مركب من الإنسانية والإلهية بل هو بشر خالص كما قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾[1] .

* ومن المتصوفة الذين قالوا بأن محمداً رسول اللّه ﷺ أصل الوجود ابن مشيش .

ويظهر معتقد هذا الرجل من خلال الصلاة التي اخترعها وابتدعها من عند نفسه ليصلي بها على الرسول محمد ﷺ ويصلي بها كل من انضوى تحت طريقته ويتلوها صباحًا ومساءً.

وإليك هذه الصلاة :

« اللهم صلِّ على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة ولا شيء إلا وهو به منوط إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط »[2] .

ففي هذه الصلاة صرح ابن مشيش بأن جميع الأسرار انشقت من الرسول ﷺ وأن جميع الأنوار انفلقت منه أيضًا وأن رياض الملكوت بجماله مونقة وأن أنوار الرسول تتدفق على كل ما في هذا الوجود وأن كل شيء في هذا الوجود متعلق بهذا النور وهذا معتقد باطل مخالف لما في الكتاب والسنة فالرسول ﷺ ليس محلاً لجميع الأسرار الإلهية ولا هو نور حتى

---

(١) الكهف : (١١٠) .

(٢) « مجموع الأوراد » للبكري (ص٢٢) .

تتوزع منه الأنوار وليست جميع الأشياء معلقة به كما يدعي ابن مشيش بل هو مخلوق كغيره فضله اللَّه بالرسالة الخاتمة وجعله خير الخليقة كلها ومع ذلك فهو عبد من عباد اللَّه تعالى .

ولكن نعم نقول إن الرسول جاء بالنور من عند اللَّه وهو كتاب اللَّه وسنته ﷺ .

* ومن المتصوفة الذين قالوا بأن محمداً أصل الوجود وأول موجود عبد المنعم الحلواني.

ويظهر لنا ذلك في قصيدته التي سماها المستجيرة حيث قال فيها :

أنشاك نوراً ساطعًا قبل الورى　　فرد الفرد والبرية في العدم

ثم استمد جميع مخلوقاته　　من نورك السامي فيا عظم الكرم[1]

ففي البيتين السابقين صرح الحلواني بأن الرسول خلق من نور وأنه سبق جميع ما في هذا الكون في الخلق ثم خلق جميع ما في هذا الكون من نور الرسول محمد ﷺ وهذا معتقد باطل لا أساس له من الصحة لا شرعًا ولا عقلاً بل هو غلو محض واتباع للهوى فقط قصد من ورائه إفساد عقائد المسلمين ونشر العقائد الوثنية في أوساطهم .

* ومن المتصوفة الذين قالوا بأن محمداً رسول اللَّه ﷺ أصل لجميع ما في هذا الكون الرفاعي

ويتضح لنا معتقده هذا من خلال صلاته التي ابتدعها واخترعها من عند نفسه ليصلي بها على الرسول ﷺ وإليك نص كلامه فقد قال :

« اللهم صلِّ وسلم على نورك الأسبق وصراطك المحقق من أبرزته رحمة شاملة لوجودك وأكرمته بشهودك واصطفيته لنبوتك ورسالتك وأرسلته

---

(١) رسالة لأحمد عبد المنعم الحلواني (ص١٤) نقلاً عن « التصوف » لشقفة (ص٨٥) .

بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إليك بإذنك وسراجًا منيرًا نقطة مركز بهاء الدائرة الأولية وسر أسرار الألف القطبية الذي فتقت به رتق الوجود وخصصته بأشرف المقامات لمواهب الامتنان والمقام المحمود وأقسمت بحياته في كلامك المشهود لأهل الكشف والشهود فهو سرك القديم الساري وماء جوهر الجوهرية الجاري الذي أحييت به الموجودات من معدن وحيوان ونبات فهو قلب القلوب وروح الأرواح وعلم الكلمات الطيبات القلم الأعلى والعرش المحيط روح جسد الكونين وبرزخ البحرين وثاني اثنين وفخر الكونين أبو القاسم سيدنا محمد بن عبد اللّٰه بن عبد المطلب عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا بقدر عظمة ذاتك في كل وقت وحين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد للّٰه رب العالمين »[1].

ففي هذه الصلاة صرح الرفاعي بأن الرسول ﷺ نور اللّٰه السابق لجميع ما في هذا الكون ووصفه بأنه سر اللّٰه القديم وأن اللّٰه قد أحيا بمحمد الموجودات كلها من معادن وحيوانات ونباتات وعلى هذا يعتبر الرفاعي بأن محمدًا أول الموجودات ثم أحيا اللّٰه به الموجودات الأخرى الموجودة في هذا الكون.

وطبعًا هذا اعتقاد فاسد وباطل مخالف لما جاء في الكتاب والسنة لأن اللّٰه عز وجل وصف رسوله في كتابه بأنه بشر مثلنا فقال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾[2].

---

(١) « مجموع الأوراد والأدعية والاستغاثات » للبكري (ص١٦٤).

(٢) الكهف: (١١٠).

ومن المتصوفة الذين قالوا بأن أصل الوجود محمد بن عبد اللَّه عليه أفضل الصلاة والتسليم أحمد الدرديري [1] ويظهر لنا معتقده هذا من خلال صلاته التي ابتدعها من عند نفسه ليصلي بها على الرسول ﷺ حيث قال :

« اللهم اجعل أفضل صلواتك أبدًا وأنمى بركاتك سرمدًا وأزكى تحياتك فضلاً وعددًا على أشرف الخلائق الإنسانية ومجمع الحقائق الإيمانية وطور التجليات الإحسانية ومهبط الأسرار الرحمانية واسطة عقد النبيين ومقدم جيش المرسلين وقائد ركب الأنبياء المكرمين وأفضل الخلق أجمعين حامل لواء العز الأعلى ومالك أزمة المجد الأسنى شاهد أسرار الأزل وشاهد أنوار السوابق الأول وترجمان لسان القدم ومنبع العلم والحلم والحكم سر الجود الجزئي والكلي وإنسان عين الوجود العلوي والسفلي روح جسد الكونين وعين حياة الدارين . . . » .

إلى أن قال : « اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد شجرة الأصل النورانية ولمعة القبضة الرحمانية وأفضل الخليقة الإنسانية وأشرف الصور الجسمانية ومعدن الأسرار الربانية وخزائن العلوم الاصطفائية صاحب القبضة الأصلية والبهجة السنية والمرتبة العلية من اندرج النبيون تحت لوائه فهم منه وإليه »[2] .

فالصلاة الدرديرية نلاحظ فيها أولاً وصف الرسول ﷺ بأنه يعلم أسرار الأزل وأن حياة الدارين وهما الدنيا والآخرة هما عينه وأن محمدًا الأصل للشجرة النورانية وأنه خلق من قبضة النورانية وهذا قول جميع الصوفية حيث

---

(١) هو أحمد بن محمد بن أحمد الخلوتي الشهير بالدردير أبو البركات فقيه أصولي تولى مشيخة الطريقة الخلوتية وتوفي بالقاهرة ومن تصانيفه « تحفة الإخوان في آداب أهل العرفان » في التصوف . « معجم المؤلفين » لكحالة (٢/ ٦٧) .

(٢) « مجموع الأوراد » للبكري (ص١٩ ـ ٢١) .

يعتقدون بأن اللّه تعالى قبض قبضة من نوره فقال لها : كوني محمد بن عبد اللّه فكانت ووصفه أيضًا بأنه معدن أسرار اللّه وخزائن لعلوم اللّه .

وهذا اعتقاد فاسد فالرسول ﷺ لا يعلم من أسرار اللّه تعالى إلا بقدر ما علمه اللّه سبحانه وتعالى عن طريق الوحي وليس محمد حياة الدارين بل مخلوق بشري فضّله اللّه بالرسالة وليس مخلوقًا من قبضة نورانية بل هو مخلوق من نطفة كما يخلق غيره من البشر قال تعالى : ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾(١) .

ولا يحط هذا من منزلته فهو أفضل جميع المخلوقات على الإطلاق وأمته أفضل الأمم وله خصائص يختص بها دون غيره من الأنبياء كما سنذكرها في حينها إن شاء اللّه .

ويعتقد المتصوفة بأن النور المحمدي كان ينتقل من أصلاب أجداده الطاهرين إلى أرحام جداته الطاهرات إلى أن وصل أباه وأمه الطاهرين ﷺ .

وقد ذكر النبهاني القصة التالية عن كعب الأحبار حيث قال :

« روي عن كعب الأحبار قال : لما أراد الجليل جل جلاله أن يخلق محمدًا ﷺ أمر جبريل عليه السلام أن يأتيه بالطينة البيضاء التي هي قلب الأرض وبهاء الأرض ونور الأرض ، قال : فهبط جبريل عليه السلام في ملائكة الفردوس وملائكة الرفيق الأعلى فقبض قبضة رسول اللّه ﷺ من موضع قبره وهي يومئذ بيضاء فعجنت بماء النسيم وجعلت كالدرة البيضاء وغمست في كل أنهار الجنة وطيف بها في السماوات والأرض والبحار فعرفت الملائكة محمدًا قبل أن تعرف آدم عليه السلام وفضله فلما خلق آدم عليه السلام سمع من تخطيط أسارير وجهه نشيشًا كنشيش الطير فقال :

---

(١) الإنسان : (٢) .

سبحانك ما هذا ؟ قال اللّٰه عز وجل : يا آدم هذا تسبيح خاتم النبيين وسيد ولدك من المرسلين . قال : فكان نور محمد ﷺ يرى في دائرة غرة آدم عليه السلام كالشمس في دوران فلكها وكالقمر في ديجور ليلة ظلماء وقال اللّٰه لآدم عليه السلام : خذه ـ يعني النور النبوي ـ بعهدي وميثاقي على أن لا تودعه إلا في الأصلاب الطاهرة والمحصنات الزاهرة . قال : نعم يا إلهي وسيدي قد أخذته بعهدك على أن لا أدعه إلا في المطهرين من الرجال والمحصنات من النساء . قال : وكانت الملائكة يقفون صفوفًا خلفي فقال اللّٰه سبحانه وتعالى : ينظرون إلى نور خاتم الأنبياء الذي أخرجه من ظهرك. قال : رب أرنيه . فأراه اللّٰه تعالى إياه عليه السلام فآمن به وصلى عليه مشيراً بأصبعه »[1] .

فهذه القصة التي أوردها النبهاني عن كعب الأحبار فيها عدة ملاحظات:

الملاحظة الأولى : قوله : « إن اللّٰه أمر جبريل أن يأتي بالطينة البيضاء ليخلق منها محمداً ﷺ » وهذا افتراء على اللّٰه تعالى بغير برهان وذلك لأن الرسول ﷺ لم يخلق من طين وإنما خلق من نطفة كما يخلق غيره من البشر وعلى هذا تعتبر هذه فرية منه لأنها تصطدم مع حقيقة أثبتها القرآن الكريم.

الملاحظة الثانية : قوله :« إن الملائكة عرفت محمداً قبل أن تعرف آدم وهذه أيضًا فرية ثانية لأن آدم عليه السلام خلق قبل محمد ﷺ وذلك لأن آدم جد جميع البشرية ومحمد من ذرية آدم عليه السلام كسائر البشر ولا يمكن أن يولد الفرع قبل الأصل كما هو الواقع في القدر والشرع والعقل والفطرة».

---

(١) « حجة اللّٰه على العالمين » للنبهاني (ص٢١٦) .

وكذلك الملائكة ما كانت تعرف البشر قبل خلق آدم عليه السلام ولذلك قالت الملائكة كما حكى اللّٰه لنا قصتهم حينما أخبرهم بخلق آدم عليه السلام : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[1] .

فلو أمعنا النظر في معاني الآيات السابقة فسنجد بأن الملائكة كانوا يجهلون تمامًا النوع البشري وأن أول بشر عرفوه هو أبونا آدم عليه السلام وعلى هذا تعتبر دعوى النبهاني وإيراده القصة عن كعب الأحبار دعوى عارية عن الصحة تمامًا وما ساق النبهاني هذه القصة إلا لإثبات معتقده الفاسد الذي هو القول بخلق محمد قبل جميع المخلوقات وأنه خلقه اللّٰه من النور الإلهي وليعلم النبهاني ومن يسير على نهجه من المتصوفة بأن العقائد لا يمكن أن تثبت بسرد قصص مكذوبة ونقل أقوال الخرافيين الذي يقولون بأولية خلق محمد قبل جميع ما في هذا الكون وإنما العقائد تثبت بنصوص قرآنية وأحاديث نبوية صحيحة ولا مجال فيها لأراء الرجال ونقل القصص من بطون كتب أهل الكتاب الذين أخبرنا اللّٰه سبحانه وتعالى بأنهم حرفوا كتبهم.

ومن الصلوات التي ابتدعها المتصوفة للصلاة بها على الرسول ويظهر

---

(١) البقرة : (٣٠ ـ ٣٤) .

فيها هذا المعتقد :

« اللهم صل بجميع الشئون في الظهور والبطون على من منه انشقت الأسرار الكامنة في ذاته العلية ظهوراً وانفلقت الأنوار المنطوية في سماء صفاته السنية . . . ورياض الملك بزهر جماله مونقة وحياض معالم الجبروت بفيض أنوار سره الباهر متدفقة ولا شيء إلا وهو به منوط وبسره السارى محوط »[1] .

ويقول أحد المتصوفة والذي يسمى بمحمد نور وهو يتحدث عن حقيقة الرسول في المعتقد الصوفي :

« اعلم أن الروح الأعظم هو الروح الإنساني الذي هو من أمر ربي سر عظيم ولطيفة ربانية لا يعلم كنهها إلا اللَّه وله في العالم الكبير أسماء ومظاهر وله في العالم الصغير أعني عالم الإنسان أسماء ومظاهر فأسماؤه ومظاهره في العالم الكبير العقل الأول والقلم الأعلى واللوح والحقيقة المحمدية والروح المحمدي أول موجود أبدعه اللَّه تعالى وأوجده وهو الخليفة الأكبر والسر الأعظم »[2] .

ومن المتصوفة الذين يقولون بأن محمداً أول مخلوق عبد العزيز الدباغ حيث قال في كتابه « الإبريز » في معرض حديثه عن الرسول ﷺ :

« وأنه أول ما خلق اللَّه تعالى وسقى المخلوقات والأنبياء والأولياء والمؤمنين من نوره عليه الصلاة والسلام كل على قدر طاقته » .

وقال أيضًا : « وكذلك سائر المخلوقات سقيت من النور المكرم

---

(١) « سعادة الدارين » للنبهاني (٢٧٢ ـ ٢٧٣) .

(٢) « منهاج الراغبين » لمحمد نور (ص٤١) .

ولولا النور الكريم الذي فيها ما انتفع أحد منها بشيء » .

وقال أيضًا : « ولولا نوره ﷺ الذي في ذوات الكافرين فإنها سقيت به عند تصويرها في البطن وعند الخروج وعند الرضاعة لخرجت إليهم جهنم وأكلتهم أكلاً ولا تخرج إليهم في الآخرة وتأكلهم حتى ينزع منهم ذلك النور الذي صلحت به ذواتهم »[1] .

ففي هذا النص صرح عبد العزيز الدباغ بأن الرسول أول مخلوق خلقه اللّه وأن جميع المخلوقات سقيت من هذا النور النبوي عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وهذا كذب وافتراء ودجل منه فقط وليس له أي دليل يستند عليه لإثبات هذه الدعوى .

ومن المتصوفة الذين قالوا بأن محمداً ﷺ أول موجود أبو المواهب الشاذلي[2] حيث قال في شرح قول البدوي « ولمعة القبضة الرحمانية » :

« واعلم أن الرحمة رحمتان رحمة خاصة وهي التي تدارك اللّه بها عباده في أوقات مخصوصة ورحمة عامة وهي حقيقة محمد ﷺ وبها رحم اللّه حقائق الأشياء كلها فظهر كل شيء في مرتبته في الوجود فلذلك أول ما خلق اللّه روح محمد ﷺ فرحم به الموجودات الكونية . . . » ثم قال : « إذ لولا أسبقية وجوده ما وجد موجود ولولا نوره في ضمائر الكون إلى أن

---

(١) « الإبريز » لعبد العزيز الدباغ (ص٢٥٣) .

(٢) هو محمد أبو المواهب الشاذلي قال عنه الشعراني : كان من الظرفاء الأجلاء وكانت له خلوة فوق سطحه وكان يغلب عليه السكر وكان كلامه ينشد في الموالد والاجتماعات والمساجد على رؤوس العلماء والصالحين فيتمايلون طربًا من حلاوته . انظر «الطبقات الكبرى» للشعراني (٢/ ٦٧).

قلت : لعله يقصد بالعلماء والصالحين الصوفية أما العالم الذي يعرف الكتاب والسنة فلا يمكن أن يطرب له .

برز لتهدمت دعائم الوجود فهو الذي وجد أولاً وتبعه الوجود وصار مرتبطًا به لا استغناء عنه » [1] .

ففي هذا النص أتى الشاذلي بكلمة جديدة انفرد بها دون غيره من المتصوفة الذين نقلنا عنهم النصوص قبله حيث قال : « إن أول مخلوق روح محمد ﷺ » بينما المتصوفة الذين ذكرناهم قبله كانوا يقولون : إن أول مخلوق نور محمد ﷺ .

وذكر في النص أيضًا أن اللَّه يرحم الموجودات بمحمد ﷺ وصرح أيضًا بأن محمدًا لو لم يكن أول موجود لما وجد أي أحد في هذا الكون وقال أيضًا لولا وجود الرسول في ضمائر كل موجود في هذا الكون لتهدم الكون وتساقط .

وذكر أيضًا بأن الكون خلق بعد محمد ﷺ فهو مرتبط به ولا يمكن أن يستغني عنه بأي حال من الأحوال .

وأنا أقول : إن كلام الشاذلي هذا محض افتراء ودجل وإلا فبأي برهان يستطيع أن يثبت هذا الكلام الذي قاله .

فروح الرسول ليست أول من وجد كما يدعي هو وليس وجود هذا الكون مرتبطًا بأسبقية وجود محمد بل هذا الكون أوجده اللَّه سبحانه وتعالى قبل أن يوجد محمد ﷺ بسنوات عديدة نعجز عن عدها لأن الرسول ﷺ تاريخ ميلاده معروف للجميع حيث ولد في القرن الميلادي السادس .

والخلاصة التي خرجت بها من خلال إيرادي لهذا النصوص من كتبهم أنفسهم هو أنني استطعت أن أثبت بأن المتصوفة يعتقدون في الرسول محمد

---

(١) « حجة اللَّه على العالمين » للنبهاني (ص٤٨) .

ﷺ العقيدتين التاليتين وهما :

أولاً : اعتقادهم بأن محمدًا أول مخلوق .

ثانيًا : اعتقادهم بأن محمدًا مخلوق من نور اللَّه .

ثانيًا : الشبه التي تعلق بها المتصوفة لإثبات هذا المعتقد الفاسد :

إذا نظرنا في الشبه التي تعلق بها المتصوفة لإثبات معتقدهم الباطل هذا تجاه الرسول محمد ﷺ فسنجدها كلها أحاديث موضوعة فقط وضعها الخرافيون عمدًا لإفساد عقائد المسلمين وتحويل الأمة الإسلامية إلى أمة وثنية مشركة تعبد الأشخاص من دون اللَّه وإلا فما الدافع للمتصوفة إلى هذه المحاولات الخسيسة سوى نيتهم السيئة التي بيتوها للأمة الإسلامية وبالفعل استطاع المتصوفة بث هذا المعتقد الفاسد في أوساط كثير من أفراد الأمة الإسلامية حيث أن كل من يأخذ جولة في أنحاء العالم الإسلامي يجد الأمة غارقة في أوحال هذه الخرافات المنتنة التي تتزعمها الصوفية العالمية ومن ورائها الدول الاستعمارية الكبرى لإدراك هذه الدول بأن الطرق الصوفية أحسن معول هدم للقضاء على عقيدة الأمة الإسلامية الصافية ولذا تجد الدول الاستعمارية الكبرى تقف دائمًا إلى جانب هذه الطرق وتدعهما بكل ما تريد والأحاديث التي اعتمد عليها المتصوفة تتمثل في الأحاديث الآتية :

أولاً : الحديث الموضوع الذي ينسبونه إلى الرسول محمد ﷺ ولفظه: « **كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين** » قال الشيخ ناصر الدين الألباني عن هذا الحديث : إنه حديث موضوع[1] .

---

(١) « سلسلة الأحاديث الضعيفة » للألباني رقم (٣٠٢) (ج١/٣١٦) المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة .

ثانيًا : من أدلتهم أيضًا الحديث الموضوع التالي الذي ينسبونه إلى الرسول ﷺ كذبًا وزورًا وهذا لفظه : « **كنت نبيًا وآدم ولا ماء ولا طين** » قال عنه ناصر الدين الألباني : إنه حديث موضوع[1] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا الحديث الأخير في رده على البكرى :

« لا أصل له لا من نقل ولا من عقل فإن أحدًا من المحدثين لم يذكره ومعناه باطل فإن آدم عليه السلام لم يكن بين الماء والطين قط فإن الطين ماء وتراب وإنما كان بين الروح والجسد »[2] .

ثالثًا : من أدلتهم أيضًا الحديث الموضوع التالي ولفظه : « **كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث** » وهذا الحديث أيضًا حديث موضوع ذكره ملا علي القاري في « الموضوعات الكبرى »[3] .

رابعًا : من أدلتهم أيضًا الحديث التالي الموضوع ولفظه :

عن عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن عباس قال : قلت يا رسول اللّه أين كنت وآدم في الجنة قال : « **كنت في صلبه وأهبط إلى الأرض وأنا في صلبه وركبت السفينة في صلب أبي نوح وقذفت في النار في صلب أبي إبراهيم لم يلتق لي أبوان قط على سفاح** »[4] .

---

(١) « سلسلة الأحاديث الضعيفة » للألباني رقم (٣٠٣) (ج١/ ٣١٦) المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة .

(٢) « الرد على البكرى » لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٩) .

(٣) انظر « الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة » لملا علي القاري تحقيق محمد الصباغ (ص٢٧٢ ـ ٢٧٣) ط دار الأمانة ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان .

(٤) انظر « اللآليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة » للسيوطي (ج١/ ٢٦٤) ط دار المعرفة.

وهذا الحديث قد ذكره السيوطي في « اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ».

وذكر هذا الحديث أيضًا أبو الحسن علي بن محمد الكناني في كتابه « تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة »[1] .

وعلى هذا فإن الأحاديث التي استدل بها المتصوفة لإثبات قدم ذات النبي محمد ﷺ وأنه أول مخلوق أحاديث موضوعة لا تصلح لكي تكون أدلة لإثبات أمر مستحب أو مندوب فضلاً عن أن تكون أدلة يعتمد عليها لإثبات أمر عقدي ولذا أقول ما جاء المتصوفة بهذه الفرية وهي قولهم بأن محمداً أول مخلوق وأنه خلق من نور إلا من عند أنفسهم .

فالرسول محمد ﷺ ليس أول مخلوق ولا هو مخلوق من نور كما يزعم المتصوفة بل الرسول ﷺ مخلوق بشري خلق مما يخلق منه البشر ومر بنفس الأدوار التي يمر بها البشر في بطن أمه ثم وضعته أمه كما تضع الأمهات ثم توفي عنه أبوه وتربى يتيمًا مع أعمامه ومع هذا أقول : كوننا نقول إنه بشر مثلنا لا يحط هذا من مكانة الرسول ﷺ بل الكل يقر بأن الرسول أفضل الخليقة على الإطلاق من إنس وجن وملائكة وله خصائص كثيرة خصه اللّٰه بها دون غيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام.

وبما أن الرسول محمداً ﷺ من ذرية آدم عليه السلام كغيره من البشر وآدم أصله من تراب فإن أصل الرسول محمد أيضًا من تراب ومما يدل على أن أصل البشر من تراب الآيات التالية :

---

(١) انظر « تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة » لأبي الحسن علي بن محمد الكناني (ج١/ ٣٢١) نشر مكتبة القاهرة الطبعة الأولى .

أولاً : قول اللّه تعالى : ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[1] .

ومن الأدلة في هذا المجال أيضًا قول اللّه عز وجل : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[2] .

وعلى هذا نقول إن أول مخلوق بشري هو آدم عليه السلام وبما أن الرسول من ذرية آدم عليه السلام فهو بشر إذًا وقد خلق مما يخلق منه البشر وهو الماء كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[3] .

والرسول بشر فهو مخلوق إذًا من نطفة كغيره من البشر وقد أمره اللّه أن يقول إنه بشر بقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[4] .

ومعلوم أن الرسول ﷺ ولد من أبوين قرشيين معروفين في القرن السادس الميلادي ولذا أقول إن اعتقاد المتصوفة بأن الرسول ﷺ أول مخلوق وأنه مخلوق من نور اعتقاد باطل يصطدم مع النصوص القرآنية والحديثية القاطعة التي تثبت بشرية الرسول محمد ﷺ .

---

(١) ص : (٧١ ـ ٧٤) .

(٢) المؤمنون : (١٢ ـ ١٤) .

(٣) الإنسان : (٢) .

(٤) الكهف : (١١٠) .

وبعد إبطال دعوى الصوفية بأن محمداً أول مخلوق وأنه خلق من نور والرد على شبههم التي اعتمدوا عليها استحسن إتباع ذلك بذكر الأشياء التي خلقها اللَّه أولاً إكمالاً الفائدة .

ثالثًا : أول ما خلق اللَّه :

لقد اختلف العلماء في تحديد أول شيء خلقه اللَّه سبحانه وتعالى وذلك لاختلاف النصوص الواردة في تحديد أول مخلوق.

فمنهم من قال : إن أول ما خلق اللَّه العرش.

ومنهم من قال : إن أول ما خلق اللَّه القلم.

ومنهم من قال : إن أول ما خلق اللَّه الماء .

ولكل واحد من هؤلاء نصوصه التي يعتمد عليها .

وإليك الأقوال واحداً واحداً مع ذكر دليل كل قول .

أولاً : القائلون بأن العرش أول مخلوق .

من أدلة هؤلاء الأحاديث الآتية :

الحديث الأول : حديث عمران بن حصين رضي اللَّه عنهما قال : جاء نفر من بني تميم إلى النبي ﷺ فقال : « **يا بني تميم أبشروا** » فقالوا : بشرتنا فأعطنا فتغير وجهه فجاء أهل اليمن فقال : « **يا أهل اليمن اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم** » فقالوا : قبلنا فأخذ الرسول ﷺ يحدث عن بدء الخلق والعرش فجاء رجل فقال يا عمران راحلتك تفلتت ، ليتني لم أقم[1] .

---

(١) البخاري مع الفتح (٦/ ٢٨٦) .

وروى البخارى الحديث من طريق آخر قال : حدثنا عمران بن حصين ابن غياث حدثنا أبي الأعمش حدثنا جامع بن شداد عن صفوان بن محرز أنه حدثه عن عمران بن حصين رضي اللَّه عنهما قال : دخلت على النبي ﷺ وعلقت ناقتي بالباب فأتاه ناس من بني تميم فقال : « **أبشروا يا بني تميم** » قالوا : بشرتنا فأعطنا (مرتين) ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال : « **اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إن لم يقبلها بنو تميم** » قالوا : قبلنا يا رسول اللَّه قالوا : قد جئناك نسألك عن هذا الأمر قال : « **كان اللَّه ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض** » فنادى مناد : ذهبت ناقتك يا ابن الحصين ، فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب فواللَّه لوددت أني كنت تركتها[1] .

فالحديث السابق نستفيد منه الفوائد التالية :

أولاً : أن اللَّه سبحانه وتعالى كان موجودًا ولم يكن معه غيره .

ثانيًا : أن العرش كان موجودًا على الماء.

ثالثًا : الحديث لم يذكر فيه أن القلم كان موجودًا في ذاك الوقت ولذا يستفاد من هذا الحديث بأن العرش خلق قبل القلم .

ومن الأدلة التي استدل بها القائلون بخلق العرش أولاً حديث عبد اللَّه ابن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « **كتب اللَّه مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال وكان عرشه على الماء** » رواه مسلم[2] .

---

(١) البخاري مع الفتح (٦/ ٢٨٦) .

(٢) « صحيح مسلم بشرح النووي » (١٦/ ٢٠٣) .

وهذا الحديث نستفيد منه بأن العرش خلق قبل القلم لأنه أي العرش كان موجودًا على الماء وقت كتابة المقادير ولم يذكر وجود القلم .

ومن الأدلة التي استدل بها القائلون بأن العرش خلق قبل القلم ما ذكره الحافظ ابن حجر عن أبي حازم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: « **خلق اللَّه اللوح المحفوظ مسيرة خمسمائة عام فقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش : اكتب ، فقال : وما أكتب ؛ قال علمي في خلقي إلى يوم القيامة** »[1] .

ثم قال ابن حجر : وليس في هذا سبق خلق القلم على العرش بل فيه سبق العرش وهو كما قال ابن حجر.

ثانيًا : أدلة القائلين بأن القلم خلق قبل العرش :

الدليل الأول الحديث الذي أخرجه الترمذي في جامعه حيث قال : حدثنا يحيى بن موسى أخبرنا أبو داود الطيالسي أخبرنا عبد الواحد بن سليم قال : قدمت مكة فلقيت عطاء بن أبي رباح فقلت : يا أبا محمد إن ناسًا عندنا يقولون في القدر فقال عطاء لقيت الوليد بن عبادة بن الصامت فقال : حدثني أبي قال سمعت رسول اللَّه يقول : « **إن أول ما خلق اللَّه القلم فقال : اكتب فجرى بما هو كائن إلى الأبد** » قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب[2] .

وهذا الحديث صرح فيه الراوي بأن الرسول ﷺ قال : « **أول ما خلق اللَّه القلم** » وذلك على العكس تمامًا لما ذكر في الأحاديث السابقة .

(١) « فتح الباري بشرح صحيح البخاري » لابن حجر (٦/ ٢٨٩) .

(٢) « جامع الترمذي بشرح تحفة الأحوذي » المجلد الرابع (ص٢٣٢) .

ومن الأدلــة التي استدل بها هؤلاء الحديث الذي أخرجه البيهقي في « الأسماء والصفــات » من طريق الأعمـش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال : « **أول ما خلق اللَّه القلم فقال له : اكتب فقال : يا رب وما أكتب؟ قال : اكتب القدر فجرى بما هو كائن من ذلك اليوم إلى قيام الساعة** »[١] .

فهذا الحديث أيضًا ورد فيه بأن القلم خلق قبل العرش .

وقال أبو العلاء الهمداني أن للعلماء قولين في أيهما خلق أولاً العرش أو القلم قال والأكثر على سبق خلق العرش واختار ابن جرير ومن تبعه على أن القلم خلق قبل العرش[٢] .

وقال الطيبي في قوله ﷺ : « **وكان عرشه على الماء** » .

أشار بقوله : « **وكان عرشه على الماء** » إلى أن الماء والعرش كانا مبدأ هذا العالم لكونهما خلقا قبل خلق السماوات والأرض ولم يكن تحت العرش إذ ذاك إلا الماء[٣] .

ومما تقدم نخلص على أن للعلماء ثلاثة أقوال في هذه المسألة .

فقوم قالوا : إن أول مخلوق العرش .

وقوم قالوا : إن أول مخلوق القلم .

وقوم قالوا : إن أول مخلوق الماء والعرش.

وقد حاول الإمام ابن حجر رحمه اللَّه أن يجمع بين هذه النصوص فقال :

---

(١) « الأسماء والصفات » للبيهقي (ص٣٢٨) .

(٢) « فتح الباري » (٦/ ٢٨٩) .

(٣) « فتح الباري » (٦/ ٢٨٩) .

« إن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا الماء والعرش أو بالنسبة إلى ما منه صدر من الكتابة أي أنه قيل اكتب أول ما خلق »[1] .

وبما أن الجمع بين النصوص أفضل إذا أمكن الجمع بينهما أرى جمع ابن حجر بين هذه النصوص وجيهًا ولهذا أقول واللَّه أعلم بالصواب : إن العرش والماء خلقا قبل القلم ثم خلق القلم فكتب المقادير .

وهذه النصوص مع ما فيها من اختلاف في تحديد أول ما خلق اللَّه تثبت لنا بأن أول مخلوق العرش أو القلم أو الماء وليس أول مخلوق محمد ابن عبد اللَّه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ولا نوره لأنه ليس مخلوقًا من نور وإنما هو مخلوق من نطفة كسائر البشر ومع أنه بشر مثلنا فهو أفضل من خلق اللَّه على الإطلاق.

وعلى هذا تصبح دعوى الصوفية بــأن أول مخلــوق نور محمــد دعوى كاذبة فارغة عارية عن الصحة وليس لها أي دليل تستند عليه لا عقلي ولا نقلي بل هي دعوى مبنية على اتباع الهوى والكذب على اللَّه وعلى رسوله ﷺ .

المطلب الثاني

اعتقادهم بأن الكون خلق من نور محمد ﷺ

إن اعتقاد المتصوفة بأن جميع ما في هذا الكون من أرض وسماء خلق من نور محمد ﷺ واضح وجلي جداً ويظهر هذا المعتقد لكل من يقرأ في كتب أئمة التصوف وخاصة في الصلوات التي ابتدعتها المتصوفة من عند

---

(١) « فتح الباري » (٦/ ٢٨٩) .

أنفسهم لإفساد عقائد المسلمين وإبعادهم عن تلاوة كتاب اللَّه عز وجل وذلك لأن كثيراً من عوام المسلمين الذين انخرطوا في الطرق الصوفية أصبحوا يتلون هذه الصلوات المملوءة بالباطل تاركين تلاوة كتاب اللَّه عز وجل .

وإليك نماذج من النصوص منقولة من كتب المتصوفة أنفسهم التي تؤكد لنا وتوضح بأن المتصوفة بالفعل قالـوا : إن الكون خلق من نور محمد ﷺ .

فمن مشائخ التصوف الذين قالوا بأن جميع ما في هذا الكون خلق من نور محمد ﷺ عبد العزيز الدباغ .

والحقيقة أن عبد العزيز الدباغ هذا قد صرح بأن جميع ما في هذا الكون من أرض وسماء وما فيهما وما بينهما بل وما فوق السموات السبع خلق من نور محمد ﷺ وقد أطال وفصل ووضح هذا الرجل هذا المعتقد الصوفي الباطل بألفاظ صريحة واضحة كل الوضوح حيث ادعى بأن أول مخلوق هو النور المحمدي ثم خلق اللَّه منه جميع ما في هذا الكون بما في ذلك القلم والملائكة واللوح المحفوظ والعرش والأرواح والجنة والبرزخ وأن جميع هذه المخلوقات الموجودة في هذا الكون سقيت من نور النبي محمد ﷺ مع تفاوت نسبة السقيا فيما بينها وأن أرواح الكفار كرهت الشراب من النور المحمدي وامتنعت منه فلما رأت ما وقع للأرواح التي شربت منه من السعادة الأبدية والارتقاءات السرمدية ندمت وطلبت سقيا فسقيت من الظلام وأن الطفل في بطن أمه يسقى من نور النبي لتلين مفاصله وتنفتح أسماعها وأبصارها وكذلك يسقى من النور عند خروجه من بطن أمه من أجل أن يلهم الأكل وإلا لما أكل من فمه ويسقى من النور أيضًا عند التقامه ثدي أمه في أول وضعه ويسقى من النور المحمدي عند نفخ الروح ولولا ذلك لما دخلت فيه الروح .

وإليك نص كلامـه في هذا المجـال حتى تتضـح العقيدة الصوفية تجاه الرسول محمد ﷺ حيث قال متحدثًا عن معتقد الصوفية تجاه الرسول محمد ﷺ :

حيث قال أحمد بن مبارك أحد تلامذة عبد العزيز الدباغ راويًا عنه :

« قال : وسمعته رضي اللَّه عنه يقول في قوله : « وانفلقت الأنوار » إن أول ما خلق اللَّه تعالى نور سيدنا محمد ﷺ ثم خلق منه القلم والحجب السبعين وملائكتها ثم خلق اللوح ثم قبل كماله وانعقاده خلق العرش والأرواح والجنة والبرزخ .

أما العرش فإنه خلقه تعالى من نور وخلق ذلك النور من النور المكرم نور نبينا ومولانا محمد ﷺ وخلقه أي العرش ياقوتة عظيمة لا يقاس قدرها وعظمها وخلق في وسط هذه الياقوتة جوهرة فصار مجموع الياقوتة والجوهرة كبيضة بيضها هو الياقوتة وصفارها هو الجوهرة ثم إن اللَّه تعالى أمد تلك الجوهرة وسقاها بنوره ﷺ فجعل يخرق الياقوته ويسقي الجوهرة فسقاها مرة ثم مرة ثم مرة إلى أن انتهى إلى سبع مرات فسالت الجوهـرة بـإذن اللَّه تعالى فرجعت ماءً ونزلت إلى أسفل الياقوتة التي هي العرش فخلقهم من صفائه وخلق من ثقله الريح وله قوة وجهد عظيم فأمرها تعالى أن تنزل تحت الماء فسكنت تحته فحملته ثم جعلت تخدم وجعل البرد يقوى في الماء فأراد الماء أن يرجع إلى أصله ويجمد فلم تدعه الرياح بل جعلت تكسر شقوقه التي تجمد وجعلت تلك الشقوق تتعفن ويدخلها الثقل والنتون وشقوق تزيد على شقوق ثم جعلت تكبر وتتسع وذهب إلى جهات سبع وأماكن سبع فخلق اللَّه منه الأرضين السبع ودخل الماء بينها والبحور وجعل الضباب يتصاعد من الماء لقوة جهد الريح ثم جعل يتراكم فخلق اللَّه منه السموات

السبع ثم جعلت الريح تخدم حدقة عظيمة على عادتها أولاً وآخراً فجعلت النار تزيد في الهواء من قوة حرق الريح للماء والهواء وكلما ازداد لهب النار أخذتها الملائكة وذهبت بها إلى محل جهنم اليوم فذلك أصل جهنم اليوم فالشقوق التي تكونت منها الأرضون تركوها على حالها والضباب التي تكونت منه السموات تركوه على حاله والنار التي زندت في الهواء أخذوها ونقلوها إلى محل آخر لأنهم لو تركوها لأكلت الشقوق التي فيها الأرضون السبع والضباب الذي منه السموات السبع بل وتأكل الماء وتشربه بالكلية لقوة جهد الريح ثم إن اللّه تعالى خلق ملائكة الأرضين من نوره ﷺ وأمرهم أن يعبدوه عليها .

وأما الأرواح والجنة إلا مواضع منها فإنها أيضًا خلقت من نور وخلق ذلك النور من نوره ﷺ .

وأما البرزخ فنصفه الأعلى من نوره ﷺ فخرج من هذا أن القلم واللوح ونصف البرزخ والحجب السبعين وجميع ملائكتها وجميع ملائكة السموات والأرضين كلها خلقت من نوره ﷺ بلا واسطة وأن العرش والماء والجنة والأرواح خلقت من نور خلق من نوره ﷺ ثم بعد هذا فهذه المخلوقات أيضًا سقيت من نوره ﷺ أما القلم فإنه سقي سبع مرات سقيًا عظيمًا وهو أعظم المخلوقات بحيث أنه لو كشف نوره لجرم الأرض لتدكدكت وسارت رميمًا وكذلك الماء فإنه سقي سبع مرات ولكن ليس كسقي القلم .

وأما الحجب السبعون فإنها في سقي دائم .

وأما العرش فإنه سقي مرتين مرة في بدء خلقه ومرة عند تمام خلقه كي

تستمسك ذاته وكذا الجنة فإنها سقيت مرتين مرة في بدء خلقها ومرة بعد تمام خلقها لتستمسك ذاتها وأما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكذا سائر المؤمنين من الأمم السابقة ومن هذه الأمة فإنهم سقوا ثمان مرات.

الأولى: في عالم الأرواح حين خلق اللّه نور الأرواح جملة فسقاه.

الثانية : حين جعل يصور منه الأرواح فعند تصور كل روح سقاها بنوره ﷺ .

الثالثة : يوم ﴿ **ألست بربكم** ﴾ فإن كل من أجاب اللّه تعالى من أرواح المؤمنين والأنبياء عليهم الصلاة والسلام سقي من نوره ﷺ لكن منهم من سقي كثيراً ومنهم من سقي قليلاً فمن هنا وقع التفاوت بين المؤمنين حتى كان منهم أولياء وغيرهم وأما أرواح الكفار فإنها كرهت شرب ذلك النور وامتنعت منه فلما رأت ما وقع للأرواح التي شربت منه من السعادة الأبدية والارتقاءات السرمدية ندمت وطلبت سقيًا فسقيت من الظلام والعياذ باللّه .

الرابعة : عند تصويره في بطن أمه وتركيب مفاصله وشق بصره فإن ذاته تسقى من النور المكرم لتلين مفاصله وتنفتح أسماعها وأبصارها ولولا ذلك ما لانت مفاصلها .

الخامسة : عند خروجه من بطن أمه فإنه يسقى من النور المكرم ليلهم الأكل من فمه ولولا ذلك ما أكل من فمه أبداً.

السادسة : عند التقامه ثدي أمه في أول وضعه فإنه يسقى من النور الكريم أيضًا .

السابعة : عند نفخ الروح فيه فإنه لولا سقيا الذات بالنور الكريم ما دخلت فيها الروح أبداً ومع ذلك فلا تدخل فيها إلا بكلفة عظيمة وتعب

يحصل للملائكة معها ولولا أمر اللّه تعالى لها ومعرفتها به ما قدر ملك على إدخالها بالذات »[1] .

ويقول الدباغ في مكان آخر واصفًا نور الرسول ﷺ :

« اعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش وفرش وسموات وأرضين وجنات وحجب وما فوقها وما تحتها إذا جمعت كلها وجدت بعضًا من نور النبي وأن مجموع نوره لو وضع على العرش لذاب ولو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت ولو جمعت المخلوقات كلها ووضع ذلك النور العظيم عليها لتهافتت وتساقطت »[2] .

إذا أمعنا النظر في النصوص التي أوردتها عن عبد العزيز الدباغ فسنجد بأن هذا الصوفي الدجال قد صرح تصريحًا واضحًا بأن كل ما في هذا الكون من أرض وسماء وما فيهما وما بينهما خلق من نور محمد ﷺ ولو سألنـا عبد العزيز الدباغ عن دليله الذي يعتمد عليه لإثبات دعواه هذه فلن يجد دليلاً واحدًا يثبت به هذا المعتقد الفاسد الذي أتى به من عند نفسه أو أوحاه إليه الشيطان لأن شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض ويدل على هذا قوله تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** ﴾[3] .

وبما أننا أبطلنا في المطلب الأول من هذا المبحث كون الرسول

---

(١) « الإبريز » للدباغ (ص٢٥٢) .

(٢) « الإبريز » للدباغ (ص٢٦٠) .

(٣) الأنعام : (١١٢) .

مخلوقًا من نور فهنا تسقط دعوى الدباغ في قوله : إن الرسول خلق من نور وإن الكون كله خلق من نوره وذلك لأننا أثبتنا في المطلب الأول بأن الرسول بشر مثلنا خلق كغيره من البشر من نطفة ولم يخلق من نور ولذا فلا حاجة إلى التطويل وتكرار الرد مرة أخرى[١] .

ومن المتصوفة الذين قالوا بأن الكون خلق من نور محمد ﷺ أحمد التيجاني[٢] حيث ادعى هذا الرجل أن اللّه سبحانه وتعالى لما خلق نور محمد جمع فيه جميع أرواح الأنبياء والأولياء .

وإليك نص كلامه حتى تتضح الصورة جيداً.

قال التيجاني :

« لما خلق النور المحمدي جمع في هذا النور المحمدي جميع أرواح الأنبياء والأولياء جمعًا أحديًا قبل التفصيل في الوجود العيني وذلك في مرتبة العقل الأولي »[٣] .

وهكذا ادعى التيجاني بأن جميع أرواح الأنبياء والأولياء تم توزيعها من النور المحمدي وهي دعوى مجردة عن أي دليل تستند عليه لأن شأن الروح حتى الرسول ﷺ لم يعلمه فضلاً عن أن يكون مركزًا لتوزيع الأرواح على غيره وقد أمر اللّه رسوله محمداً ﷺ إذا سئل عن الروح أن يقول إنها من أمر ربي ويدل على هذا قول اللّه عز وجل : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ**

---

(١) انظر (ص٣٦٩ ـ ٣٧٠) من هذا البحث.

(٢) هو أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد التيجاني شيخ الطائفة التيجانية بالمغرب إحدى الطرق الصوفية المنتشرة هناك انتشاراً واسعًا وقد استقر بمدينة فاس إلى أن توفي .

(١٢٣هـ) ولبعض أصحابه كتب في سيرته منها « جواهر المعاني » و« السيرة القدسية في السيرة الأحمدية » . انظر « الأعلام » للزركلي (١/ ٢٣٢) .

(٣) « الرماح » لعمر بن سعيد التيجاني (١/ ١٤٧) .

أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[1] . والتيجاني ما قال هذا الكلام عن علم ومعرفة وإنما قصد من وراء ذلك إفساد عقائد المسلمين وقلبهم إلى أمة وثنية تعبد الأشخاص والأحجار من دون اللّٰه وإلا فما الدافع لأحمد التيجاني أن يأتي لنا بأقوال تتناقض مع ما جاء في كتاب اللّٰه وسنة رسوله محمد ﷺ وقد أكد اللّٰه عز وجل في كتابه بأن الرسول بشر وأكد رسوله في سنته بأنه بشر لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضراً.

ولكن المتصوفة لا يتورعون عن الكذب فهم الأركان الأساسية للكذب على اللّٰه وعلى رسوله بعد أسيادهم الشيعة .

ويظهر لنا معتقد المتصوفة بأن كل ما في هذا الكون خلق من نور محمد ﷺ في الصلوات التي ابتدعوها للصلاة بها على الرسول ﷺ وهي صلوات مملوءة بالباطل من أولها إلى آخرها وقد فرضوها على أتباعهم فأصبحوا يتلونها ليلاً ونهاراً تاركين كتاب اللّٰه عز وجل .

وإليك نماذج من هذه الصلوات التي صرح فيها المتصوفة بأن جميع ما في هذا الكون خلق من نور محمد ﷺ .

فالصلاة الأولى التي يتعبد بها المتصوفة ويتلونها صباحًا ومساءً الصلاة الآتية وهي :

« اللهم صل على مولانا محمد نورك اللامع ومظهر سرك الجامع الذي فتحت ظهور العالم من نور حقيقته ولولاه ما ظهرت لصورة عين من العدم الرميم »[2] .

---

(١) الإسراء : (٨٥) .

(٢) « أفضل الصلوات » (ص١٦٧) .

ففي هذه الصلاة نلاحظ بأن هذا الصوفي الذي اخترع وابتدع هذه الصلاة من عند نفسه صرح فيها بأن محمداً نور اللَّه وأنه مظهر سر اللَّه الجامع وأن اللَّه خلق هذا العالم من نوره وأنه لولا محمد لما وجد شيء واحد مما في هذا الكون.

وهذا الصوفي لو سئل عن الحجة والبرهان لإثبات هذه الدعوى لن يستطيع أن يأتي بدليل من كتاب اللَّه أو من سنة رسول اللَّه ﷺ لأنه ما قال هذا الكلام إلا اتباعًا لهواه ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾[1] .

والذي يهمنا من إيراد هذا النص هو الإثبات بأن المتصوفة يقولون بأن الكون خلق من نور محمد ﷺ وهذا واضح وجلي لكل من ينظر بعين فاحصة في هذه الصلاة .

ومن الصلوات التي يتعبد بها المتصوفة ويتلونها ليلاً ونهارًا هذه الصلاة وهي معروفة بالصلوات البكرية وهي :

« اللهم إني أسألك بنير هدايتك الأعظم وسر إرادتك المكنون من نورك المطلسم مختارك منك لك قبل كل شيء ونورك المجرد بين مسالك اللقى كنزك الذي لم يحط به سواك وأشرف خلقك الذي بحكم إرادتك كونت من نوره أجرام الأفلاك وهياكل الأملاك فطافت به الصافون حول عرشك تعظيمًا وتكريمًا وأمرتنا بالصلاة والسلام عليه وزجيت به في نور ألوهيتك العظمى ... خليفتك بمحض الكرم على سائر مخلوقاتك وشيدت به قوائم عرشك المحوط بحيطتك الكبرى بحر فيضك المتلاطم بأمواج الأسرار »[2] .

---

(١) القصص : (٥٠) .

(٢) « أفضل الصلوات » (ص١٣١ ـ ١٣٢) .

فالبكرى في هذه الصلاة قد صرح بأن الرسول نور اللّه وأن الرسول لم يحط به أحد إلا اللّه تعالى وأن اللّه كوّن من نور الرسول جميع الأجرام الفلكية وهياكل الملائكة وأن اللّه زج بالرسول في نور ألوهيته وأنه شيد به قوائم عرشه .

وهذه كلها معتقدات باطلة وفاسدة مخالقة تمامًا للمعتقد الذي جاءنا به رسول اللّه ﷺ من عند ربه .

ففي كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ ما هو إلا بشر وأنه ليس مخلوقًا من نور ولا العالم مخلوق من نوره وليس للمتصوفة أي دليل يعتمدون عليه لا من كتاب اللّه ولا من سنة رسول اللّه لإثبات هذا المعتقد الوثني الباطل وإنما جاءوا بهذا المعتقد من عند أنفسهم وهم على علم بأن هذا باطل ولكنهم بيتوا للإسلام وأهله المكيدة لإخراج المسلمين من عقيدتهم الصحيحة الصافية والقيام بنشر عقائد وثنية قديمة بينهم مثل عقائد البوذية والهندوسية والمسيحية واليهودية المحرفة وقد فعلوا بكثير من المسلمين ذلك .

ومن الصلوات التي يتلوها المتصوفة ليلاً ونهارًا ويتعبدون بها ، الصلاة المسماة بالصلوات الزاهرة وهي :

« اللهم صل وسلم على الجمال الأنفس والنور الأقدس والحبيب من حيث الهوية والمراد في اللاهوتية مترجم كتاب الأزل والمتعالي بالحقيقة عن حقيقة الأثر .

والمخصوص الأول والحكمة السارية في كل موجود . . .روح صور الأسرار الملكوتية محمدك وأحمدك وتر العدد ولسان الأبد العرش القائم بتحمل كلمة الاستواء الذاتي فلا عارض المتجلي بسلطان تحصرك على ظلم

الأغيار لمحق كل معارض النقطة التي عليها مدار حروف الموجودات بجميع الاعتبارات . . . لوح الأسرار ونور الأنوار ومظهر أنوار اللاهوت في ناسوت المثل القائم بكل حقيقة سريانًا وتحكيمًا . . . المتجلي بملابس الحقائق الفردانية الحافظ على الأشياء قواها المحد لذرات الكائنات بما به برزت من العدم إلى الوجود بقدرتك كعبة الاختصاص الرحماني . . . أقنوم الوحدة ولا أقنوم إنما نورك بنورك موصول »[1] .

ففي هذا الصلاة وصف هذا الصوفي الرسول ﷺ بأوصاف عديدة تتناقض هذه الأوصاف مع الأوصاف التي وصف بها الرسول ﷺ في كتاب اللَّه .

فقد وصفه بأنه النور وأنه لسان الأبد وبأنه عرش قائم وأن الموجودات كلها تدور حوله وأنه لوح الأسرار ونور الأنوار وأنه المظهر الحقيقي لأنوار الألوهية حالة فيه وهنا جاءت عقيدة الحلول التي أخذها المتصوفة من المسيحية والبوذية .

ووصفه بأنه حافظ قوى جميع الأشياء ووصفه أيضًا بأنه نور اللَّه وهو موصول باللَّه بمعنى أن الرسول جزء من اللَّه .

وهذه كلها معتقدات باطلة أتى بها المتصوفة من الديانات الوثنية القديمة وإلا فالرسول ﷺ ليس بنور كما يزعم المتصوفة بل هو بشر وليس بلسان الأبد ولا هو عرش قائم ولا تدور الموجودات حوله فهو من جملة خلق اللَّه فما العلة التي تدور بها الموجودات حوله وليس هو لوح أسرار اللَّه بل هو رسول اللَّه أوحى اللَّه إليه وحيًا وأمره بإبلاغ هذا الوحي إلى الإنس

---

(١) « أفضل الصلوات » (ص١٣٤) .

والجن وقد بلغه أتم تبليغ وليس الرسول مظهراً من مظاهر اللَّه كما يزعم المتصوفة لأن الرسول مخلوق وبين الخالق والمخلوق فرق بعيد لا يمكن أن يحصل بينهما حلول بأي حال من الأحوال.

وليس الرسول بحافظ قوى هذه المخلوقات بل الحافظ لهذه المخلوقات كلها هو اللَّه عز وجل وحده لا شريك له فالرسول مخلوق وهو بنفسه في حاجة إلى حفظ اللَّه له وليس الرسول بنور اللَّه كما تزعم الصوفية بل هو عبد من عباد اللَّه المقربين إليه فكل المعاني التي أوردها صاحب هذه الصلاة باطلة ومناقضة لما في كتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه ﷺ .

ومن المتصوفة الذين قالوا بأن كل ما في هذا الكون خلق من النور المحمدي وأنه أصل لكل موجود ابن قضيب البان الصوفي الشهير.

فقد قال : « موقف الحقيقة المحمدية : أوقفني الحق على مرتبة بيان الحقيقة المحمدية وكشف لي عن حقائق الأسماء في مسمياتها العلوية ثم قال لي : انظر إلى كل اسم من حيث صورته ومعناه فرأيت الأسماء الإلهية قامت في الأعين الثابتة « أي في المخلوقات » وقال لي هي أربابها وقال لي رب الأرباب : الاسم الأعظم وسر الحقيقة المحمدية هو سر قلبك وقطب وجودك . ثم كشف لي عن جملة التجلي الأول ومظاهر التجليات ومجمع صور المربوبات . . . ثم كشف لي عن صور العقل الأول فإذا هو شيء لا يكيف عند النظر وكليات الوجود مندرجة تحت إشراقه ورأيته قد قابل شيئًا مثله في الصورة وقد اشتمل على الجزئيات فقال لي هو لوح القضاء والدرة البيضاء وقال لي الحقيقة المحمدية هي الرحمة التي وسعت كل شيء وهي أم الكتاب وحضرة العلم الجامع وإنسان العين السامع ومنها كشف لي عن أسرار

النور والوجود والعلم فقال لي كل ذلك مظاهرها وكلمتها الجامعة وصحيفتها الكاملة ثم كشف لي منها عن ناد العشق الأزلي والاتحاد العيني وأراني تعلقه في الهمم الإنسانية وقال لي هو إنشاء الإرادات وبه توجه الحب وقال لي هو أصل كل موجود وعدته .

ثم كشف لي عن سر عرش الحقيقة المحمدية وقال لي هو القلب الذي هو بيت عزتي ومخزن سري ومنبع نوري ومظهر سعة علمي وسرير سلطة اسمي وقال لي قالبه الهيكل الذي بنيته بيدي وهو مجمع البحرين وقاب قوسين وكشف لي فيه عن خزائن الرحمة وتنزلت الآيات وكيفية حلولها من غير ممازجة وسريانها في الأسماع والأبصار بسر التجريد في قوالبها ورأيت حكم سريانها في مرآة الخيال وقيامها في مظاهر النبوات »[1] .

وإذا نظرنا في هذا النص الذي أوردناه عن ابن قضيب ألبان نلاحظ فيه انحرافات عديدة منها وصفه للرسول بأنه سر قلبه وأنه قطب وجوده ووصف الرسول أيضًا بأنه الرحمة التي وسعت كل شيء ووصفه بأنه أم الكتاب وأنه حضرة العلم الجامع وإنسان العين السامع وذكر بأنه كشف له عن أسرار النور والوجود والعلم وذكر بأن اللَّه أخبره بأن كل ما في هذا الوجود ما هو إلا مظاهر الحقيقة المحمدية .

ثم وصف الرسول بأنه أصل الوجود وعدته ثم ذكر في النص بأن هناك عرشًا يسمى عرش الحقيقة المجمدية ووصفه بأنه بيت عزة اللَّه ومخزن سر اللَّه ومنبع نور اللَّه ومظهر سعة علم اللَّه .

وهذه أوصاف لم يصفه اللَّه بها في كتابه ولا ذكرها الرسول في سنته

---

(١) « الإنسان الكامل في الإسلام » (ص١٩٥) .

بل كلها أوصاف فيها تجاوز وغلو أتى بها المتصوفة من عند أنفسهم وإلا فالرسول ﷺ ليس هو أصل الموجودات بل هو خلق من خلق اللَّه خلقه اللَّه كغيره من البشر وفضله على الجميع بالرسالة الجامعة الخاتمة المهيمنة على جميع الرسالات السماوية التي نزلت قبلها .

وقد وضح الشيخ محمود عبد الرؤوف القاسم مقصود الصوفية بالحقيقة المحمدية فقال :

« وملخص أقوالهم أن اللَّه سبحانه وتعالى عما يصفون عندما أراد أن يجعل قسمًا من ذاته متعينًا بشكل مخلوقات كان أول شيء فعله هو أنه قبض قبضة من نور وجهه وقال لها كوني محمدًا فكان محمد هو أول التعينات وهذه القبضة من النور هي التي يطلقون عليها اسم الذات المحمدية ومن هذه الذات المحمدية انبثقت السماوات والأرض والدنيا والآخرة التي يسمونها فيما يسمونها « تعينات » فهي كلها تصدر عن الذات المحمدية ثم تعود إليها وهذا هو ما يسمونه الحقيقة المحمدية ولننتبه إلى الشبه التام بينهم وبين الهنادكة الذين يقولون إن الخلائق صدروا من وجه براهمان ومن يديه ومن فخذيه ثم من قدميه (حسب الطبقات الهندوكية) »[1] .

ويقول الدكتور زكي مبارك :

« إن الحقيقة المحمدية ترجع في أصولها إلى العقائد النصرانية وعلى ذلك تكون نظرية الحقيقة المحمدية عند غلاة الصوفية مأخوذة من أصول نصرانية فعيسى هو ابن اللَّه ومعنى ذلك فيما افترض أنه الصلة بين اللَّه وبين الوجود ومحمد هو أول التعينات وليس فوقه إلا الذات الأحدية كما لم يكن

---

(١) « حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ » (ص٢٨٠) .

فوق عيسى إلا الأب والنصارى يتمثلون إليه حين يخاطبون عيسى فلولا عيسى لانعدم الوجود والصوفية يتمثلون اللّٰه حين يخاطبون محمدًا فلولا محمد لانعدم الوجود وعيسى هو ابن اللّٰه ولكنه يتمثل في صورة بشرية أو هو الموجد في صورة بشرية فعيسى لولاه لامتنعت الصلاة بين اللّٰه وبين الوجود فانعدم الوجود ومحمد حسب زعم المتصوفة :

لولاه ما كان أرض ولا أفق ولا زمان ولا خلق ولا جيل

وعيسى هو الكلمة وأتباعه من الرسل الذين بلغوا دعوته كلمات ومحمد عند الصوفية هو الكلمة وجميع الأنبياء كلمات لهم خصوصية وبعض أتباع محمد لهم خصوصية » .

ثم قال الدكتور زكي مبارك :

« والواقع أن الحقيقة المحمدية أسطورة من الأساطير وهي في رأينا مأخوذة من النظرية النصرانية كما أن النظرية النصرانية مأخوذة من الفلسفة اليونانية إلى تقسيم القوى إلى عقول وهذا في رأينا أيضًا صحيح خصوصًا إذا علمنا أن ابن عربي وهو من القائلين بهذه النظرية يقول أنه هضم ما درس من الفلسفة اليونانية ومن أصول الديانة اليهودية والديانة النصرانية والديانة الإسلامية ثم أحال ذلك كله إلى مزاج من الفكر الفلسفي الدقيق يعز على من رامه ويطول »[(١)] .

فهذه المقارنة التي عقدها الدكتور زكي مبارك بين النظرية النصرانية تجاه عيسى عليه السلام والنظرية الصوفية تجاه محمد ﷺ أراها مقارنة في

---

(١) انظر « التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق » د . زكي مبارك (١/ ٢١٠ ، ٢٧٩ ، ٢٠١) .

محلها فقد استطاع أن يثبت بأن المتصوفة أخذوا هذا المعتقد الباطل من المسيحية المحرفة والتي أخذته هي بدورها من الفلسفة اليونانية .

وعلى هذا فقول الصوفية بالحقيقة المحمدية وأنه أول مخلوق وأنه مخلوق من النور وأن جميع الكون خلق من نوره وأنه لولا محمد لما وجد شيء من هذا الكون عقائد وثنية بحتة أتى بها المتصوفة من الديانات المحرفة كالمسيحية والوثنيات القديمة كاليونانية ولهذا نقول للمتصوفة ومن يسير على دربهم أن الإسلام بريء من هذا المعتقد الوثني وأهله .

ويقول الدكتور زكي مبارك :

« إن ما ادعاه النصارى لعيسى عين ما ادعاه الصوفية لمحمد فعيسى عند النصارى رب ولكن له أب هو رب الأرباب وكذلك محمد هو عند الصوفية رب له أصل هو الذات الأحدية .

ومن العجيب أن نظرية التثليث لا تبدو شيئًا خطرًا عند الصوفية فهم يقولون بها في غير تهيب ولا إشفاق . . . بل يذهبون في التسامح إلى أبعد من ذلك فيحكمون بأن الديانات كلها حق »[1] .

ويقول في مكان آخر بعد أن ذكر مذهب الصوفية تجاه الرسول :

« لا يهمنا كما قلت : أن نطمئن إلى صحة تلك المذاهب وإنما يهمنا أن نعرف أن الصوفية يجعلون محمداً أصل الوجود لأنه أول التعينات للذات الأحدية ومن هنا صح لمادحي الرسول أن يقضوا بأنه لولاه ما كان شمس ولا قمر ولا نجم ولا أرض ولا سماء ولا جماد ولا حيوان ولا إنسان ولا بحار ولا أنهار ولا جبال .

---

(١) « التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق » (ص٢٧٧) .

ومن هنا أيضًا صح لهم أن يحكموا بأن جميع الأنبياء إنما هم من نور ذلك الرسول كما قال البوصيري في البردة :

وكل آي أتى الرسل الكرام بها فإنما اتصلت من نوره بهم[1]

المطلب الثالث

اعتقادهم بأن الكون خلق من أجل محمد وأن جميع العلوم جزء من علمه

لقد غلا المتصوفة في الرسول ﷺ غلوًا شديدًا حتى وصل بهم هذا الغلو إلى اعتناق معتقدات باطلة تتصادم مع المعتقد الصحيح الذي جاء به محمد بن عبد اللّه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

فمن المعتقدات الباطلة التي يعتقدها المتصوفة تجاه الرسول محمد ﷺ هو قولهم بأن جميع العلوم التي أوحيت إلى الرسل وأن جميع المعجزات التي صدرت منهم إنما أوحيت إليهم من علم الرسول محمد ﷺ .

ولم يقف المتصوفة عند هذا الحد بل ادعوا بأن علم اللوح المحفوظ وعلم القلم أيضًا جزء من علم الرسول ﷺ وواصلوا في غلوهم حتى قالوا بأن الدنيا والآخرة من جود الرسول محمد ﷺ ولم يقفوا عند هذا الحد بل قالوا : إن الكون خلق من أجل محمد ﷺ .

وإليك النصوص من بطون كتب القوم للإثبات على أن القوم بالفعل يعتقدون هذا المعتقد :

---

(١) « التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق » (٢٧٦) .

فالبوصيري الشاعر الصوفي الا شهور والذي يتغنى المتصوفة بأشعاره صباحًا ومساءاً قال مقرراً عقيدة المتصوفة تجاه محمد ﷺ :

وكل آي أتى الرسل الكـــرام بهـا   فإنمـــا اتصلت من نـــوره بهـــم
فإنه شمس فضيل هم كواكبهـــا   يظهرن أنواها للناس في الظلم(١)

فهذا البيت عبر فيه البوصيري عن معتقد الصوفية تجاه الرسول ﷺ حيث صرح في البيت بأن جميع العلوم التي أوحيت إلى الرسل وجميع المعجزات التي وقعت على أيديهم إنما جاءتهم من نور الرسول ﷺ وذلك بناءً على معتقد الصوفية بأن الرسول مخلوق من النور وهو معتقد باطل كما سبق والمعتقد الذي بنوه عليه أيضًا باطل لأنه مبني على الباطل والمبني على الباطل ليس له إلا أن يكون باطلاً .

ولم يقف المتصوفة عند هذا الحد بل وصل بهم الغلو إلى أن ادعوا بأن علم اللوح المحفوظ والقلم جزء من علم الرسول محمد ﷺ ويظهر ذلك في بيت البوصيري الآتي :

وإن من جودك الدنيا وضرتها   ومن علومك علم اللوح والقلم(٢)

ففي هذا البيت قد قرر البوصيري عقيدة من معتقدات الصوفية الباطلة وهو اعتقاد المتصوفة بأن الدنيا والآخرة وما فيهما من جود الرسول محمد ﷺ وأن علم اللوح المحفوظ والقلم الذي كتبت به ما هي إلا جزء من علم الرسول محمد ﷺ .

وهذا معتقد باطل وفاسد لأنه فيه رفع الرسول فوق منزلته وتجريد اللّه

---

(١) « بردة المديح » للبوصيري (ص١٤) ط . مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني .

(٢) نفس المرجع (ص٣٥) .

عن ملكه وذلك إذا كانت الدنيا والآخرة من جود الرسول ﷺ فماذا بقي للَّه من ملكه أم ستقول الصوفية إن الكون كله ملك لمحمد وذلك على معتقدهم الفاسد بأن محمداً مظهر من مظاهر اللَّه وهو القول بوحدة الوجود.

فاعتقاد المتصوفة بأن الكون كله من جود محمد كفر وإلحاد في اللَّه وإذا قالوا أيضًا بأن محمداً مظهر من مظاهر اللَّه فهو إلحاد آخر أيضًا.

والمعتقد الصحيح هو أن الدنيا والآخرة وما فيهما ملك للَّه سبحانه وتعالى وأن الرسول مخلوق كغيره من المخلوقات فهو ملك للَّه أيضًا وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾[1].

ويقول اللَّه عز وجل: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[2].

ويقول اللَّه عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

وكذلك ليس علم اللوح والقلم جزءًا من علم الرسول كما يدعي المتصوفة بل علم الرسول ﷺ الذي آتاه اللَّه إياه ما هو إلا جزء قليل جداً بالنسبة إلى علم اللَّه سبحانه وتعالى وذلك كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[4].

فعلم اللَّه أوسع بكثير جداً من هذا العلم الذي أوحاه اللَّه إلى رسوله

---

(١) الليل: (١٣).

(٢) البقرة: (٢٨٤).

(٣) المائدة: (١٧).

(٤) الكهف: (١١٠).

محمد ﷺ فدعوى الصوفية بأن علم اللوح والقلم جزء من علم الرسول دعوى باطلة خالية تمامًا عن الصحة وليس لها دليل تستند عليه إلا اتباع الهوى ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من اللَّه إن اللَّه لا يهدى القوم الظالمين .

وكيف يدعي المتصوفة بأن الدنيا والآخرة من جود الرسول وهو قد قال في سنته : إنه لا يملك لنفسه ولا لأقاربه من اللَّه نفعًا ولا ضرًا بل هو عبد من عباد اللَّه اصطفاه اللَّه بالرسالة الخاتمة وجعله خير الخليقة .

وقد أمره اللَّه أن يقول في كتابه بأنه لا يملك شيئًا لنفسه من النفع والضر وذلك كما في قوله تعالى : **﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾**[1] .

وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي اللَّه عنه أخبر الرسول قريشًا وأقاربه من الأعمام والعمات وحتى بناته بأنه لا يملك لهم من اللَّه شيئًا وأمرهم أن يعتقوا أنفسهم من النار بالإيمان والعمل الصالح وإليك نص الحديث .

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قام رسول اللَّه ﷺ حين أنزل اللَّه عليه **﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾**[2] قال : « **يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من اللَّه شيئًا يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من اللَّه شيئًا يا صفية عمة رسول اللَّه ﷺ لا أغني عنك من اللَّه شيئًا ويا**

(١) الأعراف : (١٨٨) .

(٢) الشعراء : (٢١٥) .

فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من اللّه شيئًا »[1] .

ففي هذا الحديث أخبر الرسول ﷺ بأنه لا يملك من اللّه شيئًا وأن كل فرد مسئول عن عمله وأنه ليس مسئولاً عن أحد بل كل أحد سيجازي بعمله إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر ولذا نقول : إن دعوى الصوفية بأن الدنيا والآخرة من جود الرسول دعوى باطلة لا أساس لها من الصحة بل هي دعوى مبنية على اتباع الهوى فقط .

وقال صاحب كتاب « تيسير العزيز الحميد » الشيخ سليمان بن عبد اللّه بن محمد بن عبد الوهاب بعد ذكره لهذا الحديث :

« فإذا صرح وهو سيد المرسلين لأقاربه المؤمنين وغيرهم خصوصًا سيدة نساء العالمين وعمه وعمته وآمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق ثم نظر إلى ما وقع في قلوب كثير من الناس من الاعتقاد فيه وفي غيره من الأنبياء والصالحين إنهم ينفعون ويضرون ويغنون من عذاب اللّه حتى يقول صاحب البردة :

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

تبين له التوحيد وعرف غربة الدين فأين هذا القول من قول صاحب البردة السابق والبرعي وأضرابهما من المادحين له صلى اللّه عليه وسلم بما يتبرأ منه ليلاً ونهارًا وبين اختصاصه بالخالق تعالى وتقدس كما قال تعالى : ﴿ **قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾[2] .

---

(١) « صحيح مسلم » مع النووي (٣/ ٨٠) .

(٢) الأعراف : (١٨٨) .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ .. ﴾[1] .

تاللَّه لقد تاهت عقول تركت كلام ربها وكلام نبيها لوساوس وما ألقاه الشيطان في نفوسها ومن العجيب أن اللعين كادهم مكيدة أدرك بها مأموله فأظهر لهم هذا الشرك في صورة محبته ﷺ وتعظيمه ومحبة الصالحين وتعظيمهم ولعمر اللَّه إن تبرئتهم من هذا التعظيم والمحبة هو التعظيم لهم والمحبة وهو الواجب المتعين وأظهر لهم التوحيد والإخلاص في صورة بغض النبي ﷺ وبغض الصالحين والتنقص بهم وما شعروا أنهم تنقصوا الخالق سبحانه وتعالى وبخسوه حقه وتنقصوا النبي ﷺ والصالحين بذلك .

أما تنقصهم للخالق تعالى فلأنهم جعلوا المخلوق العاجز مثل الرب القادر في القدرة على النفع والضر .

وأما بخسهم حقه تعالى فلأن العبادة بجميع أنواعها حق للَّه تعالى فإذا جعلوا شيئًا منها لغيره فقد بخسوه حقه .

وأما تنقصهم للنبي ﷺ وللصالحين فلأنهم ظنوا أنهم راضون منهم بذلك أو أمروهم به وحاشا للَّه أن يرضوا بذلك أو يأمروا به كما قال تعالى[2] : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[3] .

وهذا النبهاني قد أورد في كتابه « رحمة اللَّه على العالمين » مثبتًا على أن جميع الآيات والمعجزات التي حصلت للرسل عليهم الصلاة والسلام قبل الرسول ما هي إلا من الرسول وإليك الأبيات :

وكلهم من رسول اللَّه ملتمس   غرفًا من البحر أو رشفًا من الديم

(١) يونس : (٣٢) .

(٢) « تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد » (ص٢٦١ ـ ٢٦٢) .

(٣) الأنبياء : (٢٥) .

فإنه شمس هم فضل كواكبها   يظهرن أنوارها للناس في الظلم[1]

وأورد أيضًا الأبيات التالية عن العلوي الحسيني :

فإلى المرسلين أنـت رسـول   منـــك حقًا غشتهـم الأضـــواء
أنـــت أصل لكل أصل فكـل   عنـــك فـرع وإنهـــم آبــــاء

ففي هذه الأبيات يقول الحسيني : إن الرسول محمد ﷺ أرسل إلى جميع الرسل من اللَّه وأن جميع الأضواء التي حصل عليها الرسل إنما جاءتهم من الرسول محمد ﷺ ، ثم قرر في البيت الثاني أن الرسول أصل لكل شيء في هذا الكون وأن الكل بالنسبة للرسول يعتبر فرعًا.

وهذا معتقد باطل فالرسول ﷺ لم يرسل إلى الرسل وذلك لأن الرسل الذين كانوا قبله قد أرسلوا برسالات من اللَّه إلى أقوامهم وأبلغوها كما أمرهم اللَّه تعالى ولم يقصروا شيئًا تجاه تبليغ هذه الرسالة وقد أوحى اللَّه إليهم وحيًا كما أوحى إلى رسوله محمد ﷺ ولم يأتهم الوحي من نور الرسول كما تدعي الصوفية والدليل القاطع للإثبات بأن الرسل أوحي إليهم كما أوحي إلى رسوله محمد ﷺ قوله تعالى :

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[2] .

---

(١) « رحمة اللَّه على العالمين » للنبهاني (ص٥١) .

(٢) النساء : (١٦٣ ـ ١٦٥) .

ولذا نقول إن دعوى الصوفية بأن علوم الرسل جزء من علم الرسول محمد وأنهم فاضت عليهم من نوره كذب محض ودجل وافتراء وتقول على اللّه فقط لأنه مصادم لما جاء في كتاب اللّه وسنة رسوله محمد ﷺ وذلك لأن الرسول آخر من خلق من الرسل فكيف يكون أصلاً لهم وهو آخر من بعث منهم فكيف تفيض عليهم العلوم منه سبحانك هذا بهتان عظيم .

وهذا أحد المتصوفة يزعم أيضًا بأن جميع العلوم والمعجزات التي حصل عليها الرسل إنما تحصلوا عليها من نور الرسول وفي هذا يقول في شرح بيت البوصيري :

وكل آي أتى الرسل الكرام بها   فإنما اتصلت من نوره بهم

قال : « إن كل معجزة أتى بها كل واحد من الرسل فإنما اتصلت لكل واحد منهم من نور محمد ﷺ وما أحسن قوله : « فإنما اتصلت من نوره بهم » فإنه يعطي أن نوره لم يزل قائمًا به ولم ينتقص منه شيء وإنما كانت آيات كل واحد منهم من نوره ﷺ لأنه شمس ففضل كواكب تلك الشمس يظهرن أن تلك الكواكب أنوار تلك الشمس للناس في الظلم فالكواكب ليست مضيئة بالذات وإنما هي مستمدة من الشمس فهي عند غيبة الشمس تظهر نور الشمس فكذلك الأنبياء قبل وجوده عليه الصلاة والسلام كانوا يظهرون فضله فجميع ما ظهر على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام من الأنوار فإنما هي من نوره الفائض ومدده الواسع من غير أن ينتقص منه شيء وأول ما ظهر ذلك في آدم عليه السلام حيث جعله اللّه خليفة وأمده بالأسماء من مقام جوامع الكلم التي لمحمد ﷺ فظهر بعلم الأسماء كلها على الملائكة القائلين : ﴿ **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا** ﴾ الآيات . . . وأن نور الرسول أول ما ظهر ظهر في آدم عليه السلام وتعلم آدم الأسماء كلها من الرسول

محمد ﷺ »[1] .

وهذا اعتقاد فاسد وباطل ومخالف لما في كتاب اللَّه تمامًا فآدم عليه السلام لم يتعلم علم الأسماء من نور الرسول كما تزعم الصوفية وإنما علمه اللَّه إياها ويدل على هذا قول اللَّه تعالى : ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** ﴾[2] .

وقال عبد العزيز الدباغ :

« إن أرباب الكشف والعيان يشاهدون سيد الوجود ﷺ ويشاهدون ما أعطاه اللَّه عز وجل وما أكرمه به ربه مما لا يطيقه غيره ويشاهدون غيره من المخلوقات الأنبياء والملائكة وغيرهم ويشاهدون ما أعطاهم اللَّه من الكرامات ويشاهدون المادة سارية من سيد الوجود ﷺ إلى كل مخلوق في خيوط من نوره فائضة من نوره ﷺ ممتدة إلى ذوات الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام وذوات غيرهم من المخلوقات فيشاهدون عجائب ذلك الاستمداد وغرائبه قال رضي اللَّه عنه : ولقد أخذ بعض الصالحين طرف خبزة ليأكله فنظر فيه ومن النفخة التي رزقها بنو آدم قال فرأى في ذلك الخبز خيطًا من نوره فتبعه بنظره فرآه متصلاً بخيط نوري الذي اتصل بنوره ﷺ فرأى الخيط المتصل بالنور الكريم واحدًا ثم بعد أن امتد قليلاً جعل يتفرع إلى خيوط كل خيط متصل بنعمة من نعم تلك الذوات »[3] .

وهذا النص واضح حيث ادعى فيه الدباغ أن المادة سارية من الرسول

---

(١) « حجة اللَّه على العالمين » للنبهاني (ص١٤) .

(٢) البقرة : (٣١ - ٣٢) .

(٣) « حجة اللَّه على العالمين » للنبهاني (ص٥٢) .

إلى كل ما في هذا الكون بما فيهم الملائكة والأنبياء وحتى الخبز وهو افتراء على اللّه بغير علم لا يحتاج إلى مناقشة وردود ويكفي ما سبق في الرد عليه فكلهم قد قالوا هذا الكلام وعقيدتهم واحدة مهما اختلفت طرقهم وتباعدت أزمانهم وأماكنهم .

ادعاء المتصوفة بأن الكون خلق من أجل محمد ﷺ :

لم يكتف المتصوفة بادعائهم بأن الرسول أول مخلوق وأنه خلق من نور وأن جميع الكون خلق من نوره وأن الدنيا والآخرة كليهما وما فيهما وما بينهما من جوده وأن العلوم كلها من اللوح المحفوظ والقلم وعلوم الرسل كلها جزء من علمه ﷺ بل ادعوا أيضًا بأن هذا الكون خلق من أجل محمد ﷺ مخالفين بذلك النصوص الواردة في هذا المجال والتي تحدد غاية خلق الخلق وهي عبادة اللّه وحده لا شريك له .

أولاً : ذكر النصوص التي تثبت بأن المتصوفة يعتقدون هذا المعتقد:

من النصوص التي تثبت بأن المتصوفة يقولون بأن جميع ما في هذا الكون خلق من أجل محمد ﷺ قول ابن نباته المصري[1] والذي قاله معبراً عن معتقده :

لولاه ما كان أرض ولا أف ق ولا … ولا زمان ولا خلق ولا جيل
مناسك فيها للهدي شهب … ولا ديار بها للوحي تنزيل[2]

---

(١) هو عبد العزيز بن عمر بن محمد بن نباته أبي الحاج التميمي السعدي توفي ببغداد (٤٠٥) انظر ترجمته في « وفيات الأعيان » لابن خلكان (١/ ٢٩٥).

(٢) « التصوف بين الحق والخلق » لشقفة (ص٧٧) .

فالأبيات السابقة ادعى فيها ابن نباته المصري بأن جميع ما في هذا الكون من أرض وسماء وما فيهما وما بينهما خلق من أجل محمد ﷺ ولو نظرنا إلى هذا المعتقد بعين فاحصة ناقدة فسنجده بأنه معتقد باطل ومخالف تمام المخالفة لما جاء في الكتاب والسنة كما سأوضحه أثناء الرد عليهم في معتقدهم هذا بعد قليل إن شاء اللَّه [1] .

ومن النصوص التي تثبت بأن المتصوفة يعتقدون بأن الكون خلق من أجل محمد قول أحد المتصوفة حيث قال معبراً عن هذا المعتقد :

« لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك »[2] .

فالنص السابق صرح فيه هذا الصوفي بأنه لولا محمد بن عبد اللَّه عليه أفضل الصلاة والتسليم ما خلقت هذه الأفلاك كلها من أرض وسماء .

وهو معتقد باطل بين البطلان فاللَّه عز وجل لم يخلق الإنس والجن والملائكة وكل شيء في هذا الكون إلا لعبادته سبحانه وتعالى .

ثانيًا : شبههم :

إن الشبه التي وقع بسببها المتصوفة في هذا المعتقد الفاسد تتلخص فيما يأتي :

أولاً : الحديث الذي أخرجه الحاكم في مستدركه عن عبد اللَّه بن مسلم الفهري عن إسماعيل بن مسلمة عن عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن عمر ابن الخطاب رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**لما اقترف آدم**

---

(١) انظر : (٤١٠ ـ إلى نهاية الباب) .

(٢) انظر « سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة » للألباني (ص٢٩٩) وهو موضوع.

الخطيئة قال : يا رب بحق محمد لم غفرت لي ؟ قال : وكيف عرفت محمداً ؟ قال : لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا « لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه » فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك ، قال : صدقت يا آدم ولولا محمد ما خلقتك »[1] .

ووجه الاستشهاد بهذا الحديث هو قوله : « **ولولا محمد ما خلقتك** » وبهذا يستدل المتصوفة فيقولون : إن الكون خلق من أجل محمد ﷺ .

ثانيًا : من الشبه التي استدل بها المتصوفة على أن الكون خلق من أجل محمد ﷺ الحديث الموضوع الآتي : « **لولاه ما خلقت الأفلاك** »[2] .

ففي هذا الحديث الموضوع تصريح بأن الكون خلق من أجل محمد ﷺ .

هذه هي الشبه التي يستدل بها المصرفة لإثبات هذا المعتقد الباطل .

إبطال هذه الشبه :

أولاً : أقوال العلماء على الحديث الأول :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

« ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه فإنه نفسه قد قال في كتابه « المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم » : عبد الرحمن بن زيد بن أسلم

---

(١) « مستدرك الحاكم على الصحيحين » (٢/ ٦١٥) وكذلك « معجم الطبراني الصغير » (٢/ ٨٢ ـ ٨٣) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٤٨٩) .

(٢) « سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة » للألباني (ص٢٩٩ رقم ٢٨٢) .

روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا تخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه .

قلت : وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم يغلط كثيراً ضعفه أحمد بن حنبل وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي والدارقطني وغيرهم .

وقال أبو حاتم بن حبان : كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك من روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف فاستحق الترك .

وأما تصحيح الحاكم لمثل هذا الحديث وأمثاله فهو مما أنكره عليه أئمة العلم بالحديث وقالوا : إن الحاكم يصحح أحاديث وهي موضوعة مكذوبة عند أهل المعرفة بالحديث . . . ولهذا كان أهل العلم بالحديث لا يعتمدون على مجرد تصحيح الحاكم وإن كان غالب ما يصححه فهو صحيح لكن هو في الصحيحين بمنزلة الثقة الذي يكثر غلطه وإن الصواب أغلب عليه وليس فيمن يصحح الحديث أضعف من تصحيحه. . . » .

ثم قال شيخ الإسلام :

« وهذا الحديث المذكور في آدم يذكره طائفة المصنفين بغير إسناد وما هو من جنسه مع زيادات أخر كما ذكر القاضي عياض قال : وحكى أبو محمد المكي وأبو الليث السمرقندي وغيرهم أن آدم عند معصيته قال : اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي . قال : ويروى : تقبل توبتي . فقال اللّه له : من أين عرفت محمداً ؟ قال : رأيت في كل موضع من الجنة مكتوب : «لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه » قال : ويروى : « محمد عبدي ورسولي » فعلمت أنه أكرم خلقك عليك . فتاب عليه وغفر له » .

قال شيخ الإسلام :

« ومثل هذا لا يجوز أن تبنى عليه الشريعة ولا أن يحتج به في الدين

باتفاق المسلمين فإن هذا من جنس الإسرائيليات ونحوها التي لا يعلم صحتها إلا بنقل ثابت عن النبي ﷺ وهذه لو نقلها مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وأمثالهما ممن ينقل أخبار المبتدأ وقصص المتقدمين عند أهل الكتاب لم يجز أن يحتج بها في دين المسلمين باتفاق المسلمين فكيف إذا نقلها من لا ينقلها لا عن أهل الكتاب ولا عن ثقات علماء المسلمين بل إنما ينقلها عمن هو عند المسلمين مجروح ضعيف لا يحتج بحديثه واضطرب عليه اضطرابًا يعرف به أنه لم يحفظ ذلك ولا ينقل ذلك ولا ما يشبه أحد من ثقات علماء المسلمين الذين يعتمد على نقلهم وإنما هي من جنس ما ينقله إسحاق بن بشر وأمثاله في كتب المبتدأ وهذه لو كانت ثابتة عن الأنبياء لكانت شرعًا لهم وحينئذ فكان الاحتجاج بها مبنيًا على أن شرع من قبلنا هل هو شرع لنا أم لا؟ والنزاع في ذلك مشهور ، لكن الذي عليه الأئمة وأكثر العلماء أنه شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه وهذا إنما هو فيما ثبت أنه شرع لمن قبلنا من نقل ثابت عن نبينا محمد ﷺ أو بما تواتر عنهم لا بما يروى على هذا الوجه فإن هذا لا يجوز أن يحتج به في شرع أحد من المسلمين »[1] .

وقال الحافظ ابن عبد الهادي في رده على السبكي في الصارم المنكي متعجبًا في تقليد السبكي للحاكم في تصحيح هذا الحديث[2] . :

« وإني لأتعجب منه كيف قلد الحاكم في تصحيحه مع أنه حديث غير صحيح ولا ثابت بل هو حديث ضعيف الإسناد جدًا وقد حكم عليه بعض الأئمة بالوضع وليس إسناده من الحاكم إلى عبد الرحمن بن زيد بصحيح بل مفتعل على عبد الرحمن كما سنبينه ولو كان صحيحًا إلى عبد الرحمن لكان

---

(١) « التوسل والوسيلة » لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٨٥ ـ ٨٧) باختصار .

(٢) « الصارم المنكي في الرد على السبكي » (ص٢٦) .

ضعيفًا غير محتج به لأن عبد الرحمن في طريقه وقد أخطأ الحاكم وتناقض تناقضًا فاحشًا كما عرف له ذلك في مواضع فإنه قال في كتاب « الضعفاء » بعد أن ذكر عبد الرحمن منهم : فهؤلاء الذين قدمت ذكرهم قد ظهر عندي جرحهم لمن طالبني بهم فإن الجرح لا أستحله تقليدًا والذي أختاره لطالب هذا الشأن أن لا يكتب حديث واحد من هؤلاء الذين سميتهم فالرّاوي لحديثهم داخل في قوله ﷺ : « **من حدث عني حديثًا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين** »[1] .

وقال الشيخ محمد خليل هراس معلقًا على هذا الحديث :

« هذا الحديث باطل واللَّه لم يخلق آدم ولا غيره من أجل أحد وإنما خلق الكل لعبادته كما قال تعالى : ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ كما لا يجوز أن يسأل اللَّه بحق أحد من خلقه فلا حق لأحد على اللَّه »[2] .

وقد تعقب الذهبي الحاكم في تصحيحه لهذا الحديث فقال :

« قلت : بل موضوع وعبد الرحمن واه »[3] .

وقال في الميزان في ترجمة عبد اللَّه بن مسلم الفهري :

(روى خبرًا باطلاً فيه « يا آدم لولا محمد ما خلقتك »)[4] .

وقد حكم ابن حجر أيضًا ببطلان هذا الحديث في «لسان الميزان»[5] .

---

(١) « سنن الترمذي » مع التحفة (٧/ ٤٢٢) .

(٢) « الخصائص الكبرى » للسيوطي في الهامش (١/ ١٧) .

(٣) « تلخيص المستدرك » (٢/ ٦١٥) .

(٤) « الميزان » (٢/ ٥٠٤) .

(٥) « لسان الميزان » (٣/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠) .

وأما الحديث الثاني الذي استدل به المتصوفة وهو : « لولاك لما خلقت الأفلاك » قال عنه الشيخ الألباني : « إنه حديث موضوع » كما قاله الصنعاني في « الأحاديث الموضوعة » (ص٧) .

وأما قول الشيخ القاري (ص٦٧ ـ ٦٨) :

« ولكن معناه صحيح فقد روي الديلمي عن ابن عباس مرفوعًا أتى جبريل فقال : يا محمد لولاكِ لما خلقت الجنة ولولاك ما خلقت النار . وفي رواية ابن عساكر : لولاك ما خلقت الدنيا . فأقول : يجزم بصحة معناه لا يليق إلا بعد ثبوت ما نقله عن الديلمي وهذا مما لم أر أحدًا تعرض لبيانه وأنا وإن كنت لم أقف على سنده فإني لا أتردد في ضعفه وحسبنا في التدليل على ذلك تفرد الديلمي به وأما رواية ابن عساكر فقد أخرجها ابن الجوزي أيضًا في حديث طويل عن سلمان مرفوعًا وقال : إنه موضوع . وأقره السيوطي في « اللآلي » (١/ ٢٧٢) [١] .

وعلى هذا فاستدلال المتصوفة بهذين الحديثين لا يصح لأن الحديثين كليهما موضوعان كما هو واضح أمامنا وإلى جانب ذلك فإن معناهما يخالف ما جاء في كتاب اللَّه عز وجل وذلك إذا تدبرنا في كتاب اللَّه عز وجل فسنجد فيه الجواب الشافي الكافي وهو أن كل ما في هذا الكون من إنس وجن وحيوان وكافة الموجودات خلقت لغاية واحدة ألا وهي إفراد اللَّه بالعبادة الذي لا مثيل له ولا شريك له سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[٢] وقد صرح القرآن بهذا في

---

(١) « سلسلة الأحاديث الضعيفة » للألباني (ص٢٩٩) .

(٢) الإخلاص : (٣ ـ ٤) .

أوضح عبارة وأجلى بيان إذ قال سبحانه : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[2] .

والرسول محمد ﷺ بشر وهو من جملة مخلوقات اللَّه خلقه اللَّه لعبادته كما خلق غيره وفضله بالرسالة الخاتمة وجعله أفضل الخليقة على الإطلاق، ومع ذلك فليس الكون مخلوقًا من أجله بل هو مخلوق من أجل عبادة اللَّه سبحانه وتعالى .

ولا حاجة للإطالة في الرد عليهم لأنهم ليس لهم دليل يعتمدون عليه لإثبات هذه العقيدة الباطلة سوى الشبه التي قد سبقت وقد بينت بطلانها ولأن مثل هذه العقيدة التي تخالف الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ظاهرة البطلان لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وقال الشيخ خالد محمد علي الحاج بعد أن ذكر الأدلة على أن الجن والإنس خلقا لعبادة اللَّه وحده :

« نعم خلق اللَّه الجن والإنس وكل دابة في الأرض لتدين له وحده بالولاء والطاعة والعبودية . . . » ثم قال : « ولا ندري كيف يزعمون أن الكون مخلوق من أجل محمد نحن نطالب دعاة الضلال وأصحاب الإفك والبهتان أن يأتوا بسبب واحد يدعمون به باطلهم.

نقول إن محمدًا بشر ممن خلق اللَّه وسبقه كثير من إخوانه الرسل

---

(١) الذاريات : (٥٦ ـ ٥٨) .

(٢) الإسراء : (٤٤) .

والأنبياء جميعًا صلوات اللَّه عليهم وقد أمرنا اللَّه سبحانه أن لا نفرق بين أحد من رسله »[1] .

* * *

(١) « الكشاف الفريد عن معاول الهدم ونقائض التوحيد » لخالد محمد علي الحاج (٢/ ٢٤٦).



المبحث الثاني

اعتقاد الصوفية بجواز التوجه إلى الرسول ﷺ بالدعاء والاستغاثة وشبههم وحكم التوجه إلى الرسول ﷺ بالدعاء والاستغاثة

وتحت ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تدل على أنهم يتوجهون إلى الرسول ﷺ بالدعاء والاستغاثة.

المطلب الثاني : أهم الشبه التي يوردها الصوفية لتجويز دعاء الرسول ﷺ والاستغاثة به ومناقشتها .

المطلب الثاث : حكم التوجه إلى الرسول ﷺ بالدعاء والاستغاثة .



المبحث الثاني

اعتقاد الصوفية بجواز التوجه إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة من دون اللَّه وشبههم ومناقشتها وحكم التوجه إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة

لقد غلا المتصوفة تجاه الرسول ﷺ غلوًا شديدًا حتى وصل بهم هذا الغلو إلى رفع الرسول ﷺ من منزلة العبودية إلى منزلة الألوهية فتوجهوا إليه بالدعاء والاستغاثة طالبين منه غفران الذنوب وتفريج الهموم والكروب ناسين اللَّه عز وجل الذي قال في كتابه : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾[2] .

ومع أن الدعاء عبادة من أجل العبادات التي يتعبد الإنسان بها ربه سبحانه وتعالى دعوا الأنبياء والأولياء بحجة أنهم مقربون إلى اللَّه ليكون لهم وسطاء بينهم وبين اللَّه سبحانه وتعالى وهذه هي نفس الحجة التي كان يحتج بها عباد الأوثان والأصنام الذين بعث إليهم الرسول محمد ﷺ سنة اللَّه ولن تجد لسنة اللَّه تبديلا ولن تجد لسنة اللَّه تحويلا .

---

(١) البقرة : (١٨٦) .

(٢) غافر (٦٠) .

وسأقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب :

أما المطلب الأول : فسأخصصه لإيراد مقالات كبار المتصوفة التي تثبت توجههم إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة .

وأما المطلب الثاني : فسأخصصه لذكر أهم الشبه التي يستدل بها المتصوفة لتجويز التوجه إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة .

وأما المطلب الثالث : فسأذكر فيه حكم التوجه إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة من دون اللّه .

المطلب الأول

نماذج من مقالات الصوفية التي تثبت توجههم إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة

إن غلو الصوفية في الرسول محمد ﷺ وتوجههم إليه بالدعاء والاستغاثة من دون اللّه عز وجل يظهر لنا في الأناشيد التي قالها أئمة التصوف لمدح الرسول ﷺ بها وكل قاريء لهذه الأناشيد يرى فيها الغلو الشديد حيث أن المتصوفة نسوا اللّه عز وجل وصرفوا وجوههم نحو الرسول ﷺ مع أن الرسول لم يبعثه اللّه إلا لمحاربة أمثال هذه الشركيات التي وقع فيها الصوفية .

وقبل أن أذكر نصوصًا عنهم تثبت وقوعهم في دعاء الرسول ﷺ سأعرف الدعاء في اللغة والاصطلاح وذلك حتى أبين معنى الدعاء .

أولاً : تعريف الدعاء في اللغة والاصطلاح :

١ ـ معنى الدعاء اللغوي :

أطلقت هذه المادة (دع) في الكتاب والسنة وكلام العرب وأهل العلم على معان شتى ولكن تلك المعاني بينها تفاوت فمنها ما استعملت فيه كثيراً وهو المراد عند الإطلاق ومنها ما استعملت فيه نادراً هذا مع ورود تلك المعاني وصحتها .

ويمكن عند التأمل إرجاع تلك المعاني إلى أصل واحد تدور عليه وهو إمالة الشيء قال ابن فارس رحمه اللّه :

« دعوا الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام فيكون منك » .

ثم بين رحمه اللّه كيف أن المعاني المتعددة ترجع إلى ذلك فبين أن قولهم دعا اللّه فلانًا يمكره أي أنزله به يرجع إلى ذلك لأنه إذا فعل ذلك به أماله إليه وأن قولهم تداعت الحيطان إذا سقط واحد وآخر بعده صار كان الأول دعا الثاني وأماله إلى نفسه ودواعي الدهر صروفه كأنها تميل الحوادث[١] .

فمن المعاني التي يدل عليها لفظ الدعاء : الطلب والسؤال

قال الحافظ أبو بكر بن العربي المالكي (ت٥٤٣هـ) :

« الدعاء في اللغة والحقيقة هو الطلب »[٢] .

---

(١) « معجم مقاييس اللغة » لابن فارس (٢/ ٢٧٩) وكذلك (٢/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠) .

(٢) « أحكام القرآن » لابن العربي (٢/ ٨١٥) .

وقال محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) :

« معنى الدعاء حقيقة وشرعًا هو الطلب »[١] .

ثم إن هذا المعنى هو أكثر استعمالاً من المعاني الأخرى في الكتاب والسنة واللغة ولسان الصحابة ومن بعدهم من العلماء[٢] .

ومما ورد من الآيات التي تدل على أن الدعاء من معانيه الطلب والسؤال الآيات التالية :

١ ـ قوله تعالى : ﴿ **وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ** ﴾[٣] .

٢ ـ وقوله عز وجل : ﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ** ﴾[٤] .

٣ ـ وقوله عز وجل : ﴿ **هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ** ﴾[٥] .

٤ ـ وقوله سبحانه : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ** ﴾[٦] .

---

(١) « فتح القدير » (٤/٤٩٨) .

(٢) « فتح المجيد » (ص١٨٠) .

(٣) الأعراف : (١٣٤) .

(٤) البقرة : (٦١) .

(٥) آل عمران : (٣٨) .

(٦) الأنعام : (٤٠ ـ ٤١) .

٥ ـ وقوله : ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[١] .

٦ ـ وقوله : ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾[٢] .

٧ ـ وقوله : ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾[٣] .

٨ ـ وقوله : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً﴾[٤] .

٩ ـ وقوله : ﴿وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾[٥] .

وقد تبين من هذه الآيات أن الدعاء معناه الطلب وليس هو مطلق الطلب بل طلب خاص وهو طلب الأدنى من الأعلى تحصيل شيء بلا غضاضة من الأعلى[٦] .

وذلك لأن صيغة الطلب والاستدعاء تختلف بحسب الطالب والمطلوب منه فإذا كانت ممن يقدر على قهر المطلوب منه فإنها تقال على وجه الأمر وإذا كانت من الفقير من كل وجه للغني من كل وجه فإنها تقال على وجه السؤال بتذلل وافتقار[٧] .

---

(١) الأنعام : (٦٣)

(٢) يونس : (١٢) .

(٣) النمل : (٦٢) .

(٤) الإسراء : (٥٦) .

(٥) الإسراء : (١١) .

(٦) « نزهة النواظر في علم الوجوه والنظائر » لابن الجوزي (ص٢٤٤) .

(٧) « الفتاوى » (١٠/٢٤٦) .

فيسمى ما كان من الأدنى للأعلى دعاءً وما كان من أعلى لأدنى أمراً وما كان من الأقران بعضهم من بعض التماساً .

ومن المعاني التي يشتمل عليها لفظ « الدعاء » العبادة .

وهذا المعنى ورد بكثرة في استعمالات القرآن الكريم والسنة النبوية وكلام أهل العلم وممن صرح بهذا المعنى أبو إسحاق الزجاج فقد قال في قوله تعالى : ﴿ **أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾[(١)] قال :

« معنى الدعاء للَّه عز وجل على ثلاثة أضرب : فضرب منها توحيده والثناء عليه كقولك : يا اللَّه لا إله إلا أنت ، وقوله : ربنا ولك الحمد »[(٢)].

وقال الزجاج أيضًا عن قوله تعالى : ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً** ﴾ في تفسير خفية :

« أي اعتقدوا عبادته في أنفسكم لأن الدعاء معناه العبادة »[(٣)] .

وقال الإمام أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري اللغوي المشهور (ت ٣٧٠هـ) .

« وقد يكون الدعاء عبادة ومنه قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ** ﴾[(٤)] أي الذين تعبدون من دون اللَّه » .

ثم قال : « وروي مثل ذلك عن سعيد بن المسيب في قوله : ﴿ **لَن**

---

(١) البقرة : (١٨٦) .

(٢) « معاني القرآن وإعرابه » للزجاج (٢/ ٣٤٤) .

(٣) نفس المرجع (٢/ ٣٤٤) .

(٤) الأعراف : (١٩٤) .

تَدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا﴾[1] أي لن نعبد إلهًا من دونه » .

وقال عز وجل : ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً﴾[2] أي أتعبدون ربًا سوى اللّه .

وقال : ﴿فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾[3] أي لا تعبده[4] .

وفوق هذا كله بيان الرسول ﷺ هـذا المعنى بقوله : « **الدعاء هو العبادة** »[4] .

ومن استعماله في هذا المعنى قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[5] .

وقوله : ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾[6] .

وقوله سبحانه : ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾[7] .

المعنى الشرعي للدعاء والمناسبة بينه وبين اللغوي :

لقد تنوعت عبارات العلماء في تعريف الدعاء وتعددت كلماتهم وكلها تهدف إلى الكشف عن حقيقة معناه الشرعي وإليك نماذج من هذه التعريفات .

---

(١) الصافات : (١٢٥) .

(٢) الشعراء : (٢١٣) .

(٣) « تهذيب اللغة » (٣/١١٩ ـ ١٣٤) .

(٤) « جامع الترمذي » (٥/ ٣٧٤) .

(٥) الأنعام : (٥٦) .

(٦) النساء : (١١٧) .

(٧) الكهف : (٢٨) انظر « معاني القرآن » للفراء (١/١٩) و« غريب القرآن » لابن قتيبة (ص٤٣) و« تهذيب اللغة » للأزهري (٣/١١٩) .

قال أبو سليمان الخطابي في تعريف الدعاء :

« الدعاء استدعاء العبد ربه عز وجل العناية واستمداده إياه المعونة وحقيقة إظهار الافتقار إليه والتبرؤ من الحول والقوة »[1] .

وقال القاضي أبو بكر بن العربي في تعريف الدعاء :

« حقيقة الدعاء مناداة اللَّه تعالى لما يريد من جلب منفعة أو دفع مضرة من المضار والبلاء بالدعاء فهو سبب لذلك واستجلاب لرحمة المولى »[2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :

« إن دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره ودفعه »[3] .

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب :

« هو الطلب بياء النداء لأنه ينادي به القريب والبعيد وقد يستعمل في الاستغاثة أو بأحد أخواتها »[4] .

من كل ما تقدم من تعريف الدعاء في اللغة والاصطلاح نخلص إلى أن الدعاء يأتي بمعنى السؤال والطلب ويأتي بمعنى العبادة وكلا النوعين من أنواع الدعاء يعتبران عبادة لا يجوز صرفهما لغير اللَّه ومع ذلك فإن الصوفية صرفوا هذه العبادة للرسول ﷺ .

ثانيًا : ذكر نماذج من مقالات الصوفية التي تثبت توجههم إلى الرسول ﷺ بالدعاء والاستغاثة :

فمن المتصوفة الذين يعتبروا وصلوا القمة في المدائح النبوية وغلوا فيه غلوًا مفرطًا زائدًا عن الحد عبد الرحيم البرعي[5] .

---

(١) « شأن الدعاء » للخطابي (ص٤) .

(٢) « نبذة في الدعاء » لليافعي (ص٢٢) .

(٣) « الفتاوى » (١٥/ ١٠) .

(٤) « الرسائل الشخصية » من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص٤) .

(٥) عبد الرحيم البرعي هو عبد الرحيم بن علي البرعي الهاجري اليمني . انظر ترجمته في =

وإذا نظرنا في القصائد التي مدح بها الرسول ﷺ نرى أنه قد غلا فيها غلواً شديداً زائداً عن الحد حيث تجاوز بالرسول منزلة العبودية ورفعه إلى منزلة الألوهية .

ومع الأسف الشديد فإن القصائد التي أنشدها عبد الرحيم البرعي يتغنى بها المتصوفة ليلاً ونهاراً على امتداد العالم الإسلامي وقد سمعناها في بلاد شتى فما من مناسبة كبيرة أو صغيرة يجتمع فيها المتصوفة إلا ويتلون فيها أمثال هذه القصائد المليئة بالشركيات .

وإليك نماذج من هذه المدائح البرعية :

فقد قال مادحًا للرسول ﷺ ومتوجهًا إليه بالدعاء والاستغاثة سائلاً إياه أن يأخذ بيده وينجيه مما هو فيه من الكرب والمصائب :

فخذ بيدي وجد بالعفو يا من	**إذا ناديتـــه لبـــى سريعـــا**
وقل عبد الرحيم غداً رفيقي	**وما يخشى رفيقك أن يضيعـــا**
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي	**في كل هول من الأهوال ألقاه**
إن كان زارك قوم لم أزر معهـــم	**فإن عبـــدك عاقتـــه خطايـــاه**
والعفو أوسع عن تقصير من قعدت	**به الذنوب فلم تنهض مطاياه**
يا صاحب القبر المقيم بيثرب	**يا منتهى أملي وغاية مطلبي**
يا من نرجيه لكشف عظيمة	**ولحل عقد ملتو متصعب**
يا من يجود على الوجود بأنعم	**خضر تعم عموم صوب الصيب**
يا غوث من في الخافقين وغيثهم	**وربيعهم في كل عام مجدب**
يا رحمة الدنيا وعصمة أهلها	**وأمان كل مشرق ومغرب**[1]

= « البدر الطالع » للشوكاني (٢/ ٢١٢) .

(١) « ديوان عبد الرحيم البرعي » (ص١٤) .

إذا نظرنا في هذه الأبيات التي قالها البرعي مادحًا بها الرسول ﷺ نرى أنه قد غلا في مدح الرسول غلوًا شديدًا حتى وصل به هذا الغلو إلى أن يصرف عبادات لا يجوز صرفها لغير اللّٰه عز وجل حيث توجه إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة وطلب منه أن يأخذ بيده وصرح بأنه إذا نادى الرسول فإنه ينفذ له مطلوبه وطلب من الرسول أن ينجيه من كل الأهوال التي تصيبه في هذه الدنيا ووصفه أيضًا بأن الرسول ﷺ هو الذي يجود بالنعم لكل ما في هذا الكون وأخيرًا وصف الرسول بأنه مغيث كل من في الخافقين وأنه أمان لكل من في المشرق والمغرب.

وهذه الأوصاف كلها لا تليق إلا باللّٰه عز وجل ولكن الغلو الزائد أوقع البرعي في هذه الشركيات التي نراها واضحة في هذه الأبيات التي أوردناها عنه وهي لا تحتاج إلى الإيضاح والبيان لأن التوجه إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة واضح فيها من أولها إلى آخرها .

وهذه أبيات أخرى عن البرعي يتوجه فيها إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة فيقول :

ماذا نعامل يا شمس النبوة من ... أضحى إليك من الأشواق في كبدي

فامنع جناب صريع لا صريخ له ... نائي المزار غريب الدار مبتعد

حليف ودك وه الصبر منتظر ... لغارة منك يا ركني ويا عضدي

أسير ذنبي وزلاتي ولا عمل ... أرجو النجاة به إن أنت لم تجد

* * *

وحل عقدة كربي يا محمد من ... هم على خطرات القلب مطرد

أرجوك سكرات الموت تشهدني ... كما يهون إذا الأنفاس في صعد

وإن نزلت ضريحًا لا أنيس به ... فكن أنيس وحيد فيه منفرد

وارحم مؤلفها عبد الرحيم ومن	يليه من أجله وانعشه وافتقد
وإن دعاك فأجبه واحم جانبه	من حاسد شامت أو ظالم نكد

* * *

يا رسول اللَّه يا ذا الفضل يا	بهجة في الحشر جاهًا ومقامًا
عد على عبد الرحيم الملتجي	بحمى عزك يا غوث اليتامى
وأقلني عثرتي يا سيدي	في اكتساب الذنب في خمسين عامًا

* * *

يا سيدي يا رسول اللَّه يا أملي	يا موئلي يا ملاذي يوم يلقاني
هبني بجاهك ما قدمت من زلل	جودًا ورجح بفضل منك ميزاني
واسمع دعائي واكشف ما يساورني	من الخطوب ونفس كل أحزاني
فأنت أقرب من ترجى عواطفه	عندي وإن بعدت داري وأوطاني
إني دعوتك من نيابتي برع	وأنت أسمع من يدعوه ذو شان
فامنع جنابي وأكرمني وصل نسبي	برحمة وكرامات وغفران[(١)]

إذا نظرنا في الأبيات السابقة نرى فيها الشرك واضحًا وصريحًا وأظن إذا لم تكن مثل هذه الألفاظ شركًا فليس هناك شيء يسمى شركًا وذلك لأن الأبيات من أولها إلى آخرها فيها التوجه إلى الرسول ﷺ بالدعاء والاستغاثة ولا يمكن أن تجد فيها ولو بيتًا واحدًا فيه التوجه إلى اللَّه سبحانه وتعالى وذلك لأن المتصوفة أعرضوا عن اللَّه كلية وولوا وجوههم نحو الرسول والأولياء بحيث إذا رأينا أحوال المتصوفة في العالم فإننا نراهم دائمًا يدعون الأنبياء والأولياء وقل أن ترى صوفيًا يتوجه إلى اللَّه وحده بالدعاء والاستغاثة.

---

(١) « ديوان عبد الرحيم البرعي » (ص٢٥) .

ومن المتصوفة الذين بلغوا القمة في مدح الرسول ﷺ عند المتصوفة وغلوا فيه غلواً شديداً أدى بهم إلى أن يخرجوا الرسول من منزلة العبودية إلى منزلة الألوهية فتوجهوا إليه بأنواع من العبادات التي لا يجوز صرفها لغير اللَّه شرف الدين أبو عبد اللَّه البوصيري[1] وهذه القصائد البوصيرية يتلوها المتصوفة العوام منهم والخواص على حد سواء في المناسبات العامة التي يقيمونها طوال السنة ويحفظونها حفظًا متقنًا ويتغنون بها .

وإليك نماذج من هذه المدائح فقد قال البوصيري في بردة المديح متوجهًا إلى الرسول ﷺ بالدعاء والاستغاثة طالبًا منه غفران الذنوب ومعترفًا له بأنه إن لم يأخذ الرسول يوم القيامة بيده فقد هلك وأنه ليس له أي شيء يلوذ به ويلتجيء ويدعوه ويستغيث به عند حلول الحوادث والكرب والمصائب إلا الرسول محمد ﷺ .

قال البوصيري :

إن آت ذنبًا فما عهدي بمنتقضي ... من النبي ولا حبلي بمنصرم

فإن لي ذمة منه بتسميتي ... محمداً وهو أوفى الخلق بالذمم

إن لم يكن في معادي آخذ بيدي ... فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم

حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه ... أو يرجع الجار منه غير محترم[2]

وقال أيضًا :

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

ولن يضيق رسول اللَّه جاهك بي ... إذا الكريم تجلى باسم منتقم[3]

---

(١) هو الأديب البليغ والشاعر المجيد والصوفي المتحقق شرف الدين أبو عبد اللَّه محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد اللَّه وقد تلقى علومه ومعارفه على طائفة من علماء عصره كأبي حيان وهو من تلاميذ أبي العباس المرسي . انظر ترجمته في « أبو العباس المرسي » (٨٩) .

(٢) « بردة المديح » للبوصيري (ص٣٣) .

(٣) « بردة المديح » للبوصيري (ص٣٥) .

وقال البوصيري أيضًا في القصيدة الهمزية في مدح خير البرية :

قد تمسكت من ودادك بالحبل   الذي استمسكـــت به الشفعـــاء
وأبى اللَّه أن يمسنـــي السوء   بحال ولي إليـــك التجـــاء
قد رجوناك للأمـــور التـــي   أبردها في قلوبنـــا رمضـــاء
وأتينا إليك أنضـــاء فقـــر   حملتنا إلى الغنـــى أنضـــاء
وانطوت في الصدر حاجات نفسي   ما لها عن نديـــدك انطـــواء
فأغثنا يا مـــن هـــو الغوث   والغيث إذا أجهد الورى اللأواء
والجواد الذي بـــه تفرج الغمة   عنا وتكشـــف الحوبـــاء
يا بني الهدى استغاثة ملهوف   أضرت بحالـــة الحوبـــاء[1]

إذا نظرنا في الأبيات السابقة التي أوردتها عن البوصيري نرى فيها الغلو الشديد الذي أدى به إلى أن يتجاوز بالرسول منزلة العبودية إلى منزلة الألوهية حيث توجه إليه بالدعاء والاستغاثة ووصفه بأنه هو الذي ينجيه يوم القيامة من الهلاك وأنه ليس له غيره منجى له ويظهر هذا الغلو في الأبيات الآتية :

أولاً : في قوله :

إن لم يكن في معادي آخذ بيدي   فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم

وفي قوله :

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العمم

وفي قوله :

---

(١) « قصيدة الهمزية في مدح خير البرية » للبوصيري (ص٢٧ ـ ٢٨) .

واسمع دعائي واكشف ما يساورني   من الخطوب ونفس كل أحزاني
وفيك يا ابن خليل اللّٰه يوم غد   ألوذ من سوء زلاتي وعصياني

ففي البيت الأول صرح البوصيري بأنه إن لم يأخذ الرسول بيده وينجيه من العذاب يوم القيامة فإن مصيره الهلاك لأنه ليس هناك منجى من العذاب إلا الرسول ﷺ ونحن نقول : وأين اللّٰه يا بوصيري ؟!!

وفي البيت الثاني صرح بأنه لا يوجد أحد يلتجيء إليه ويتعلق به غير الرسول ﷺ ونحن نقول : وأين اللّٰه يا بوصيري ؟!!

وفي البيت الثالث لقد توجه البوصيري إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة وسأله أن يكشف عنه المصائب وأن يزيل عنه أحزانه التي أصابته .

وفي البيت الرابع أكد البوصيري بأن ملجأه الوحيد يوم القيامة هو الرسول ﷺ لكي يغفر له ذنوبه ومعاصيه التي ارتكبها .

وهذه الأبيات كلها الشرك باللّٰه عز وجل واضح فيها كل الوضوح وإذا لم تكن هذه الألفاظ وأمثالها شركًا فليس هناك شرك .

ومن المتصوفة الذين مدحوا الرسول ﷺ أحمد عبد المنعم الحلواني فقد قال في قصيدته المستجيرة مخطابًا فيها الرسول ﷺ وواصفًا له بأنه مفزع جميع المخلوقات في الدنيا والآخرة ومفرج كربهم وواصفًا له بأن جميع خزائن الرحمن في يده .

وإليك الأبيات التي تثبت ذلك ، قال :

أنشاك نورًا ساطعًا قبل الورى   فرد الفرد والبرية في العدم
ثم استمد جميع مخلوقاته   من نورك السامي فيا عظم الكرم
فلذا إليك الخلق تفزع كلهم   في هذه الدنيا وفي اليوم الأهم
وإذا دهتهم كربة فرجتها   حتى سوى العقلاء في ذاك منتظم

جد لي فإن خزائن الرحمن في يدك اليمنى وأنت أكرم من قسم[1]

إذا نظرنا في الأبيات السابقة نرى فيها الغلو الزائد في الرسول ﷺ واضحًا فيها حيث ادعى فيها الحلواني بأن الرسول أول مخلوق وأنه مخلوق من نور وأن جميع المخلوقات استمدت من نوره .

وأما البيت الثالث والرابع والخامس فإن الشرك فيها واضح حيث أن عبد المنعم الحلواني زعم أن جميع الخلائق يفزعون إلى الرسول يوم القيامة وفي هذه الدنيا أيضًا لإنجائهم من المهالك ولتحقيق المطالب وهذا رفع للرسول ﷺ عن منزلة العبودية إلى منزلة الألوهية والربوبية .

وزعم أيضًا بأن الرسول هو المفرج لجميع الكرب التي تصيب البشرية ثم سأل الرسول أن يجود له من الخزائن التي في يده لأنه حسب زعم الحلواني إن خزائن الرحمن كلها في يد الرسول ﷺ وكل هذا يعتبر شركًا باللّه سبحانه وتعالى فإن خزائن اللّه في يده سبحانه وتعالى وليست في يد غيره ويدل على هذا قوله تعالى : ﴿ **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ** ﴾[2] .

ومن المتصوفة الذين لهم الباع الطويل في مجال مدح الرسول ﷺ وغلوا فيه غلوًا شديدًا حتى تجاوزوا به حدود البشرية ورفعوه إلى منزلة الألوهية فتوجهوا إليه بالدعاء والاستغاثة جعفر الصادق الميرغني[3] في ديوانه المسمى برياض المديح متوجهًا إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة :

---

(١) رسالة لأحمد عبد المنعم الحلواني (ص١٤) نقلاً عن « التصوف بين الحق والخلق » لشقفة (ص٨٥) .

(٢) الحجر : (٢١).

(٣) جعفر الصادق الميرغني هو أحد أبناء محمد عثمان الميرغني الختمي مؤسس الطريقة الختمية بالسودان والتي تنتشر انتشاراً واسعًا في السودان وأرتيريا.

من استجار به ينجيه من كرب فجاه طه وسيع لا بمنحصر
رب استجرت به في كل حادثة وكل نائبة ما عشت من عمري
وفي القيام وفي حشر لينقذني من كل ما أخشى من سيء القدر
كم جاء ذو ترح فعاد ذا فرح يرعى لذي قرح قصد لذي خطر
شفاء ذي وصب نجاة ذي عطب غياث ذي نصب في السهل والوعر
من راح قاصده يلقى مقاصده كالبحر في كرم والغيث والمطر
يا ذا النوال وذا الإحسان يا أملي يا سيدي سندي ذخري ومدخري
قد صرت في حالة حيران مكتئبًا بباكم ملتج يا سيد البشر
فلا تخيب رجائي أنت أرأف بي من لي سواك مزيل الغم والضرر
وأحسن ختامي إذا وافى الحمام وصل حبلي بحبل رجاء منك مستتر[1]

ويقول جعفر صادق الميرغني أيضًا في قصيدة أخرى مستغيثًا بالرسول ﷺ وداعيًا له من دون اللَّه :

يا رســـــول اللَّه غوثًا عجلا فعظيم الخطــب فينـــا نــزلا
يا رســـــول اللَّه دارك سيدي أبدل العسر بيســـر حصــلا
يا رسول اللَّه فـــرج سندي أصلح الشـأن وســد الخللا
أنت حصـن اللَّه مــن لاذ بــه أمن الخــوف ونـــال الأمــلا
أنت سر اللَّه يا نـــور الهـدى أنت غوث الخلق مــن كـل البلا
يا رفيع القدر يـــا كهــف الـورى يا منيــع الفخــر يــا غيث الملا
يا مزيل الخطــب إن خطــب دها سيـدي أنــت لهـا غــث عجـلا
فأغثني سيــدي الأبنـــــاء مـــن فــرجًا للنــــاس كـلا ارسلا

(١) « الديوان الكبير » لجعفر صادق الميرغني (ص ٥٠ ـ ٥١) .

أبدل الحال بحـال حسـن واجبر الكسر وبلغ أمـلا
يا رجائي يا رجائـي أملـي أحسن العقبى وأصلح عمـلا
حاشا من لاذ بكم يسعى لكـم قاصداً يرجع من غير صـلا
فاكشف الغماء عني عجـلا يا مغيثًا يا عظيمًا بطـلا
عبدك الموثوق ذنبًا جعفـر كن به في كل أمر حفـلا[1]

ويقول جعفر الصادق الميرغني أيضًا في قصيدة أخرى متوجهًا إلى الرسول ﷺ بالدعاء والاستغاثة :

أمان الكون في علو وسفـل نجاة الآبـق العبـد الذليـل
رسول اللَّه داركنا فإنـا بشوءم الذنب فـي هـم طويـل
حبيب اللَّه إنا منك نرجـو فيوضا منك تشفي للغليـل
وسرا منك يسرى في فـؤادي دواء الجسم والقلب العليـل
وخذلانا لنا وينـا بسـوء يلاقي الذل مع خزى وبيـل
وليس لنا سواك يغيث فـادرك بهذا الدهر من قال وقيـل
فعليك جعفر قد ضـاق ذرعـا فعجل بالغياث إلى السبيـل
وأنت دواء روحـي بـل وروحـي ملاذي ناصري عوني كفيلـي

إذا نظرنا في الأبيات السابقة التي قالها جعفر الصادق الميرغني الختمي الذي يعتبر من ذرية مؤسس الطريقة الختمية المنتشرة في السودان انتشاراً واسعًا وكذلك في أرتيريا نرى فيها كلها من أولها إلى آخرها الشرك الصريح حيث أنه أعرض عن اللَّه كلية وتوجه إلى الرسول ﷺ وطلب منه أموراً لا يقدر عليها إلا اللَّه سبحانه وتعالى وقطعًا إن الرسول لو كان حيًّا وسمع مثل

---

(١) « الديوان الكبير » لجعفر الصادق الميرغني (ص٨٨ ـ ٨٩) .

هذا الكلام لأمره بالتوبة وشهادة أن لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه من جديد.

ومع الأسف الشديد فإن مثل هذه الأبيات هي التي يتلوها المتصوفة ليل نهار في أنحاء العالم الإسلامي.

ويقول جعفر الصادق الميرغني في قصيدة أخرى مادحًا للرسول ﷺ ومتوجهًا إليه بالدعاء والاستغاثة:

أغثني يا حبيب اللَّه دارك ... بسر منك يسري للفؤاد

ووصل يغني عن زيد وعمرو ... وهند ثم علوي مع سعاد

رسول اللَّه باب اللَّه فرج ... وأصلح حالتي يا خير هادي

وكن لي ناصرًا في كل حال ... بسيف قاطع كبد الأعادي

أتاك الميرغني يرجو نوالا ... أنله الفيض يا بحر الجواد(١)

هذه الأبيات التوجه إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة واضح فيها وكما هو معلوم فإن التوجه إلى غير اللَّه يعتبر شركًا باللَّه سبحانه وتعالى.

ومن المتصوفة الذين مدحوا الرسول ﷺ بقصائد كثيرة وتجاوز فيها الحد بالغلو في الرسول ﷺ حتى أدى بهم هذا الغلو إلى رفع الرسول إلى منزلة الألوهية فتوجهوا إليه بالدعاء والاستغاثة ووصفوه بأنه كاشف الكرب والمنقذ من المصائب والمهالك بجميع أنواعها لمن دعاه عبد الرحمن بن عبد اللَّه المشهور بالشيخ حاج صوفي الصومالي القادري نسبة إلى الطريقة القادرية فقد قال:

---

(١) «الديوان الكبير المسمى برياض المديح» (ص٢٧).

ومنجي البرايا بصرفه البلا ملاذ الخلائق
إمام الهدى سيد الأولياء ومن فوقهم فهو غيث العلا[1]

إذا نظرنا في البيتين السابقين نرى أن الشرك فيهما واضح كل الوضوح حيث وصف الرسوْل ﷺ بأنه المنجي للخلائق وملاذهم ومغيث من في العلا وهذه أوصاف لا تليق بالرسول ﷺ لأنه بشر لا يملك نفعًا ولا ضرًا وإنما الذي يستحق هذا هو اللّه سبحانه وتعالى الذي بيده كل شيء والذي يستطيع أن يغيث من استغاث به وينجي من الهلاك من لاذ به أما غيره من المخلوقات كائنًا من كان فإنه لا يملك لا لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًا فالكل عبيد اللّه سبحانه وتعالى يتصرف فيهم كيف يشاء وكل تحت قبضته وتصرفه .

ومن المتصوفة الذين مدحوا الرسول ﷺ بقصائد كثيرة وتجاوزوا فيها الحد حتى رفعوه إلى منزلة الألوهية فتوجهوا إليه بالدعاء والاستغاثة محيي الدين بن محمد بن جمعال المعروف بصوفي القادري (نسبة إلى الطريقة القادرية) فقد قال متوجهًا إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة :

رسول اللّه مولانا محمد أغثني أنت يا نور الفؤادي
طبيبي يا حبيب اللّه دارك عبيدًا خائفًا واء البعاد
ألا يا خير خلق اللّه يا من يلوذ به الخلائق في الشداد
ألا يا سيد السادات كن لي ظهيرًا دائمًا في كل ناد
ألا يا زين الوجود ويا مجيري فجد بالسلامة وازدياد
وهب منك عزا يا عمادي ويا عوني ويا عين المراد[2]

---

(1) « جلاء العينين » (ص٦٤) .

(2) « تذكرة أهل اليقين في مناقب الشيخ محيي الدين » (ص١٣٣ ـ ١٣٤) .

وقال الشيخ محيي الدين الصوفي أيضًا بعد أن ذكر سلسلة مشائخه في الطريقة القادرية مادحًا للرسول ﷺ ومتوجهًا إليه بالدعاء والاستغاثة لغفران الذنوب وكشف الكروب :

هو المصباح منبع كل خير ... هو المقصود مختار الجياد
هو البحر المحيط جميع در ... هو المحمود في كل الأيادي

* * *

ملاذ المؤمنين محل خير ... مذاكرة فشت في كل واد
كريم أكرم الكرما جميعًا ... وكاشف كربتي كنزي وزادي
بمدح المصطفى سر عظيم ... أناديه وأجعله عمادي
سميع مادحيه ومن يصلي ... عليه أو يسلم والمنادي
يصلي دائمًا صلوات خمس ... ويمشي في البلاد وفي البوادي
يحج البيت حج كل عام ... ويعتمر بإذن اللّه هادي
يصوم وتعرض الأعمال عرضًا ... لأمته عليه في الأبادي
يولي من شاء من الخيار ... ويعليهم على أهل الفساد
بذا ورد الدليل فلا تمار ... كزنديق وناء بالعناد
رسول اللّه مولانا محمد ... أغثني أنت يا نور الفؤاد[1]

إذا نظرنا في الأبيات السابقة نرى أن الشرك فيها واضح حيث ادعى هذا الصوفي بأن الرسول ﷺ هو المحمود في كل النعم التي يتنعم بها العباد في هذا الكون .

ثم إنه وصف الرسول بأنه ملاذ المؤمنين وملجأهم الوحيد .

(١) « تذكرة أهل اليقين » (ص١٢٩) .

ثم قال إن الرسول ﷺ هو الذي يكشف كربه وينجيه من المهالك والمصائب.

وهذه كلها شركيات واضحة فإن الذي يستحق الحمد في كل النعم التي يتنعم بها العباد هو اللّه سبحانه وتعالى لأنه هو الذي أوجدها أما الرسول فليس موجدها بل هو يحمد اللّه سبحانه وتعالى على نعمه التي أنعم اللّه بها عليه ومن أكبرها نعمة الرسالة أما أن يكون الرسول هو المقصود المحمود فهذا شرك باللّه سبحانه وتعالى:

وكذلك كاشف الكرب هو اللّه وحده أما غيره فليس باستطاعتهم ذلك كما قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[1].

أما ادعاء هذا الصوفي بأن الرسول ﷺ بعد انتقاله من هذه الحياة الدنيا إلى الدار الآخرة يصلي الصلوات الخمس ويسبح في كل البلاد ويحج البيت ويعتمر ويصوم وتعرض أعمال أمته عليه ويولي من يشاء فهذه كلها افتراءات وكذب صريح على اللّه وعلى رسوله محمد ﷺ وليس له أي دليل يعتمد عليه لإثبات هذه الادعاءات والصوفية يقصدون من وراء نشر مثل هذه الأكاذيب توجيه الناس إلى عبادة الرسول ﷺ من دون اللّه.

وإلا فالرسول ﷺ قد مات كما يموت غيره من البشر وانقطع عمله بموته كما ينقطع عمل غيره قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾[2].

---

(١) النمل: (٦٢).

(٢) آل عمران: (١٤٤).

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ** ﴾[1] .

ويقول الرسول ﷺ : « **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له** »[2] .

والرسول ﷺ لم يخبرنا بأنه سيؤدي الصلوات الخمس وسيحج البيت ويعتمر ويطوف في البلاد وتعرض عليه أعمال أمته في حديث صحيح وعلى هذا فهذا الحديث يشمله لأنه من بني آدم وإن كان له الفضل الكبير والمكانة العظيمة التي لا يملكها غيره من هذه المخلوقات.

ومن المتصوفة الذين مدحوا الرسول ﷺ وغلوا فيه غلواً شديداً حتى تجاوزوا به حدود البشرية ورفعوه إلى منزلة الألوهية فصرفوا له أنواعًا من العبادات كالدعاء والاستغاثة أويس الصومالي القادري فقد قال مادحًا للرسول ﷺ ومتوجهًا إليه بالدعاء والاستغاثة :

أغثني يا محمد باسمك محمد   أنـــــا أويـــــس أحمـــــد
مالي سواك شافع ليوم الناس جامع   عند المكان طامع رجائي فيك أحمد
الحبيب ذخرنا عين الكمل كنزنا   ونصرة ليومنا ملاذ الخلق أحمد
المهتدي بنـا سبيـــــل لإرشادنا   اغفر لما أصابنا مما جنينا باليد[3]

وقال أويس الصومالي أيضًا مادحًا للرسول ﷺ ومتوجهًا إليـه بالدعـاء :

---

(١) الزمر : (٣٠ ـ ٣١) .

(٢) « صحيح مسلم » مع النووي (١١/ ٥٤ ـ ٥٨) .

(٣) « تذكرة أهل اليقين في مناقب الشيخ محيي الدين » (ص١٤٦) .

يا ابن عبد اللَّه يا علم الهدى   يا نور عرش اللَّه أنت محمد
يا من بنا غوثًا وغيثًا للورى   يا بهجة الكونين أنت محمد
يا من به شقت البدور بأمره   والشمس قد ردت لأجل محمد
طوبى لمن حج وزار قبة   خضر وفيها أحمد ومحمد[1]

وقال الشيخ أويس مادحًا للرسول ﷺ ومستجيرًا مستغيثًا به :

ألا يا رسول اللَّه قلبي مهيم   ونفسي بكت في وجهك المتلمع
ألا يا حبيب اللَّه أنت شرابنا   وأنت غذاؤنا عند كل مشبع
ألا يا رسول اللَّه أنت ملاذنا   وأنت رجانا عند كل مشفع
أغثنا أغثنا يا حبيبي وكن لنا   رؤوفا رحيمًا عند خفض ومرفع[2]

إذا نظرنا في الأبيات السابقة التي أوردتها عن الشيخ أويس يتضح لنا بجلاء أنها تحتوي على دعاء الرسول والتوجه إليه بالدعاء والاستغاثة من دون اللَّه سبحانه وتعالى وهذا يعتبر شركًا باللَّه سبحانه وتعالى لأنه فيه إخراج للرسول من درجته البشرية إلى درجة الألوهية وذلك لأن الدعاء عبادة ولذا فهو لا يستحقها إلا اللَّه سبحانه وتعالى الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء أما غيره من مخلوقاته فلا يستحق العبادة كائنًا من كان لا ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلاً .

ونقل لنا النبهاني أبياتًا عديدة عن كثير من الذين غلوا في الرسول ﷺ وتجاوزوا به حد البشرية والعبودية إلى منزلة الألوهية بتوجههم إليه بالدعاء والاستغاثة ووصفه بأوصاف لا تليق إلا باللَّه سبحانه وتعالى وقد أورد

---

(١) « تذكرة أهل اليقين في مناقب الشيخ محيي الدين » (ص١٤٨) .
(٢) « الجوهر النفيس في خواص الشيخ أويس » (ص٥٨) .

النبهاني هذه الأبيات عن هؤلاء الغلاة لكي يدلل بها على جواز التوجه إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة وفات النبهاني أن الذي يصح أن يكون حجة هو نص من كتاب اللَّه أو من سنة رسول اللَّه ﷺ فقط لا غير ولا يمكن كلام أحد كائنًا من كان أن يكون حجة في دين اللَّه في أي شيء كان من أمور الشريعة الإسلامية حتى في المندوبات والمستحبات فضلاً عن أن يكون حجة لإثبات أمر عقدي أمرت الشريعة أن يكون للَّه فقط والدعاء يعتبر من العبادات التي أمر اللَّه أن يعبد بها فقال في كتابه : ﴿ **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾[(١)] .

وقال الرسول ﷺ : « **الدعاء هو العبادة** »[(٢)] .

ومع وجود هذه الأدلة القطعية من الكتاب والسنة أراد يوسف النبهاني الصوفي الشاذلي أن يثبت مشروعية دعاء غير اللَّه فأورد عدة أبيات عن من ابتلوا بالغلو ومجاوزة الحد وهذه الأبيات كلها تفوح منها رائحة الشرك بل هي كلها مليئة بألفاظ صريحة تدل دلالة لفظية واضحة على الشرك باللَّه سبحانه وتعالى وإليك الآن نماذج من تلك الأبيات التي أوردها النبهاني عمن سبقوه من أسلافه الذين ابتلوا بتعظيم الرسول التعظيم المبتدع الذي وصل بهم إلى أن يشركوه مع اللَّه في عبادته .

قال النبهاني : قال شرف الدين الأبوصيري المتوفي سنة (٦٩٦هـ) :

يا أبا القاسم الذي ضمن أقسا … مي عليه مدح لـه وثنـاء
الأمان الأمان إن فـؤادي … من ذنوب أتيتهـن هـواء
قد تمسكـت من ودادك بالحب … الذي استمسكـت به الشفعـاء
وأبي اللَّه أن يمسنـي السوء … بحال ولي إليـك التجـاء
قد رجوك للأمـور التـي … أبردها في فؤادنـا رمضـاء

(١) غافر : (٦٠) .

(٢) « سنن الترمذي » (٥/٤٢٦) .

فأغثنـــا يا مـــن هـــو الغوث والغيث إذا أجهد الـــورى اللأواء
والجواد الذي به تفرج الغمة عنا وتكشـــف الحـــوباء[1]

ونقل عن شمس الدين النواحي المصري المتوفي سنة (٨٥٩هـ) الأبيات التالية :

يا رسول الإله إنـــي غريـــب فأغثنـــي يا ملجـــأ الغرباء
يا رسول الإله إنـــي فقيـــر فأعنـــي يـــا منجـــد الفقراء
يا رسول الإله إني ضعيـــف فاشفني أنـــت مقصـــد للشفاء
يا رسول الإله إن لم تغثنـــي فإلى من ترى يكون التجائي
أنت ذخري وعـــدتي وملاذي وغياثي وعمدتي ورجائي[2]

ونقل النبهاني عن الشيخ عبد العزيز بن علي الزمزمي المكي المتوفى سنة (٩٦٣هـ) أنه قال متوجهًا إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة راجيًا منه تفريج الكرب والهموم وقد افتتح الأبيات بقوله :

يا حبيب الإله يا أعظم الخلق اختصاصًا ورفعـــة واجتبـــاء
يا منيع الحمى إليك التجائي من عني ما جـــددت منـــه لجاء
من به الملتجيء يؤول لخير ويعـــود ابتآســـه نعمـــاء
نفحة لمحـــبـــة غياثًا عيـــاذًا عطفة جذبـــة جـــوابًا نـــداء
ضقت ذرعًا وسوح بابك رحب يسع المقتريـــن والأغنيـــاء
كم هموم من الديون علتني أنا في فكرها صبـــاح مساء
ثقلت عند حملها غير أني بك أرجو وضعًا لهـــا أو وفـــاء
أنت في كل مطلب نصب عيني لا أرى لي إلى سواك التجاء

(١) « شواهد الحق » للنبهاني (ص٣٥٠) .
(٢) « شواهد الحق » للنبهاني (ص٣٥٢) .

يا مرجى الخطوب أنت المرجى | عندما ترجـــى الخطـوب الرجاء
عظمت كربتي فجئتك قاصداً | قاصـــداً للعظائـم العظمـــاء
وأجزني على الصراط إذا ما | صح هول الجواز أن لا نجـــاء
يا ملاذي إذا الموازين وازت | عملي وهو لا يوازي الهباء
يا عياذاً إذا تطايرت الصحف | يمينًـــــا ويســـرة ووراء
يا أماني من خيفتي هد روعي | إن روعي أغـــرى بـــه العرواء
يا غياثي إذا دنا لهب الشمس | وأذكـــى لعابهـــا الرمضـــاء
أنت لي جنة هناك ودرع | سابـغ أتقـــي بـــه اللأواء[1]

ونقل النبهاني أيضًا عن محمد الجمال الحلبي أنه قال متوجهًا إلى الرسول ﷺ مستغيثًا به ولائذًا ومستنصراً :

يا ملاذي يا منجدي يا منائي | يا معاذي يا مقصدي يا رجائي
يا نصيري يا عمدتي يا مجيري | يا خفيري يا عدتي يا شفائي
أدرك أدرك أغث أغث يا شفيعي | عند ربي واعطف وحبه الرضاء
أنت عوني وملجأي وغياثي | وجلا كربتي وأنت غنائي[2]

ونقل النبهاني عن مصطفي البابي الحلبي أنه قال متوجهًا إلى الرسول ﷺ بالدعاء والاستغاثة وناصحًا لكل الناس أن يتوجهوا إليه بجميع مطالبهم قال :

وإن ضقت ذرعًا من تعاظم ما مضى | فلا تنس عفواً اللّه فالعفو أرحب
ولذ بجانب الفاتح الخاتم الذي | به يطمئن الخائف المترقب

---

(١) « شواهد الحق » للنبهاني (ص٣٥٣) .

(٢) « شواهد الحق » للنبهاني (ص٣٥٥) .

إذا الخطب أبدى ناجذيه فناده تجد خير جار في الملمات يندب
وإن لدغتك الموبقات فداوها به فهو ترياق الخطوب المجرب
به تكشف الغمى به يدفع البلا به الداء يستشفى به الصدع
إليك رسول اللَّه قد جاء ضارعًا أخو عثرة يرجو الإقالة مذنب
فبابك باب اللَّه ما عنه مذهب وطالبه من غير بابك يحجب
أغثني تداركني أجرني فإنني لقى أن تراخي عنه لطفك يعطب
غريق ذنوب خانه الحول فاغتدى بملتطم الأمواج يطفو ويرسب
ذنوب يحتل المعذب فالخوف غالب ولكني رجائي في جنابك أغلب[1]

ونقل عن عبد الغني النابلسي أنه قال متوجهًا إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة :

يا بهجة الكون يا طه الرسول ومن له مقام عظيم كله أدب
يدعوك مسكينك العبد الذي بطشت أيد العباد به والقلب مكتئب
فاكشف له كربة أودت بمهجته يا خير من كشفت عنا به الكرب
وما دعوناك في تفريج شدتنا إلا لأنك في تفريجها سبب[2]

ونقل النبهاني أيضًا عن عبد اللَّه الشبراوي المصري المتوفي سنة (١١٧٢هـ) حين زيارته للنبي ﷺ :

يا أخا الأشواق هذا المصطفى بث شكواك له وانتحب
واكحل الآماق من تربته ينجلي عنك جميع النصب
وتذلل وتضرع وابتهل وتوسع في الأماني واطلب

(١) « شواهد الحق » للنبهاني (ص٣٦٣) .
(٢) « شواهد الحق » للنبهاني (ص٣٦٤) .

فهو بحر زاخـــــــر مـــن جاءه طالبًـــــا فاز بأسنـــى مطلب[1]

ونقل النبهاني عن مصطفي البكري شيخ الطريقة الخلوتية أنه حكى عن محمد الحنفي الحكاية التالية :

أن محمد الحنفي فرش سجادته على البحر وقال لمريده : قل يا حنفي وامش . فمشى المريد خلفه فخطر له لم تقول يا حنفي هلا قلت يا اللّه ؟ فلما قالها غرق فأمسك الشيخ بيده وقال له : أنت الحنفي تعرفه فكيف باللّه فإذا عرفت اللّه فقل يا اللّه[2] .

وهذه القصة وأمثالها توضح لنا مدى الوقاحة التي وصل إليها المتصوفة حيث إنهم ارتفع عنهم خوف اللّه عز وجل وأعرضوا عنه بالكلية حتى وصل بهم الأمر إلى أن يقولوا: إن من توجه إلى اللّه بالدعاء والاستغاثة فإن مصيره الهلاك بخلاف من استغاث بغير اللّه من الأنبياء والأولياء فإن النجاة لهم حتمية وهذا يدل على مدى انحطاط المتصوفة وإيغالهم في الشرك باللّه حيث جعلوه دينهم الذي يدينون به واعتبروا توحيد اللّه من موارد الهلاك والدمار كما هو واضح أمامنا في هذه القصة التي فيها الجرءة على اللّه والاستهانة به، وبالفعل مثل هذا الكلام لا يمكن أن يخرج من إنسان فيه مثقال ذرة من إيمان وإنما يمكن أن يخرج من إنسان انسلخ قلبه من الإيمان باللّه وبرسوله محمد ﷺ .

والخلاصة بعد إيرادنا تلك المقالات الشعرية عن المتصوفة ومن سار

---

(١) « شواهد الحق » للنبهاني » (ص٣٦٥) .

(٢) « شواهد الحق » للنبهاني (ص٧٤٧) وانظر كذلك في استغاثات المتصوفة بالرسول : الكتب التالية : كتاب « منتخب التصوف لماء العينين » (ص٤) ، وكذلك كتاب « قصيدة زاد القيامة » لمحمد أبي الهدى الرفاعي (ص١٧) ، وكذلك « الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة » لمحمد فتحا (١/٧١، ٨٠ ، ٨١) ، وكذلك « شرح منحة الصفا » (ص١١٠) .

على نهجهم من القبوريين التي مدحوا فيها الرسول وتجاوزوا فيه الحد حيث غلوا في الرسول ورفعوه إلى منزلة الألوهية والربوبية نستطيع أن نقول : إن المتصوفة قد وقعوا في انحراف عقدي خطير جدًا حيث توجهوا إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة طالبين منه غفران الذنوب وتفريج الكروب وغير ذلك من المطالب تاركين اللَّه عز وجل وراء ظهورهم معرضين عن دعائه سبحانه وتعالى الذي قال في كتابه : ﴿ **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾[1] .

وقال سبحانه : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾[2] .

وبما أن الدعاء يعتبر عبادة من أجل العبادات فإن صرفه للرسول ﷺ يعتبر شركًا باللَّه سبحانه وتعالى وذلك لأن الرسول عبد من عباد اللَّه ولا يستحق شيئًا من حقوق الألوهية بل هو ﷺ كان يعبد ربه ويصلي الليل حتى تتفطر قدماه وكان يستغفر اللَّه كثيراً ﷺ .

ولأن غفران الذنوب وتفريج الكروب والإنجاء من المهالك في الدنيا والآخرة خاص باللَّه سبحانه وتعالى قال تعالى : ﴿ **وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾[3] والجواب لا أحد يغفر الذنوب إلا اللَّه سبحانه وتعالى لا نبيًا مرسلاً ولا ملكًا مقربًا ولا وليًا.

وعلى هذا فالمتصوفة بتوجههم بالدعاء إلى الرسول والاستغاثة به وطلب غفران الذنوب منه يعتبروا قد وقعوا في الإشراك باللَّه غيره لأن الدعاء عبادة فصرفه لغير اللَّه يعتبر شركًا باللَّه سبحانه وتعالى .

---

(١) غافر : (٦٠) .

(٢) البقرة : (١٨٦) .

(٣) آل عمران : (١٣٥) .

المطلب الثاني

أهم الشبه التي يستدل بها الصوفية لتجويز التوجه إلى النبي ﷺ والأولياء بالدعاء والاستغاثة من دون اللَّه

إن الشبه التي يوردها الصوفية ليحتجوا بها على جواز التوجه إلى النبي ﷺ والأوليـــاء كثيرة جدًا يصعب حصرها وأهم الشبه تنحصر في الأشياء التالية :

أولاً : سوء فهم المتصوفة للأحاديث الواردة في التوسل بالنبي ﷺ وعدم تفريقهم بين التوسل بالنبي ﷺ وبين دعائه والاستغاثة به من دون اللَّه حيث إننا إذا نظرنا في كتب المتصوفة نرى أنهم دائمًا يوردون الأحاديث الواردة في التوسل المشروع ليحتجوا بها على جواز التوجه إلى النبي ﷺ بالدعاء والاستغاثة وعلى جواز التوسل بذاته مع أننا إذا نظرنا في الأحاديث التي تتكلم عن توسل الصحابة بالنبي ﷺ فإننا نراها لا تخرج عن شيء واحد ألا وهو التوسل بدعاء النبي ﷺ حيث إن الصحابة كانوا يأتون إلى النبي ويطلبون منه الدعاء فيدعو لهم الرسول وهنا لا نزاع بيننا وبين المتصوفة في هذا التوسل ولكن هذا الآن غير ممكن لأن الرسول قد مات ثم إن الاستدلال بأحاديث التوسل المشروع على جواز التوسل الممنوع ألا وهو التوسل بذات النبي يعتبر استدلالاً بنص ليس نصًا في محل النزاع بل هو خارج عنه ولذا فلن أناقش المتصوفة في الأحاديث التي وردت في توسلات الصحابة بدعائه في حياته لأن هذا ليس محل النزاع بيننا وبينهم واستدلالهم بهذه الأحاديث على جواز التوسل بذات النبي وجاهه ومكانته عند اللَّه والتوجه إليه بالدعاء والاستغاثة كما يفعل المتصوفة هذا يعتبر استدلالاً باطلاً

لأنه ليس هناك ولو نصًا واحدًا من كتاب اللَّه ولا من سنة رسول اللَّه يجيز التوجه إلى النبي بالدعاء والاستغاثة بل العكس كل النصوص تحذر من صرف العبادات لغير اللَّه كائنًا من كان .

ثانيًا : النصوص التي تثبت لنا على أن المتصوفة يخلطون بين التوسل بالنبي ﷺ وبين دعائه والاستغاثة به وأنهم يرون الكل بمعنى واحد .

فقال قال النبهاني :

« وينبغي للزائر أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل والتوجه به ﷺ فجدير بمن استشفع به أن يشفعه اللَّه تعالى فيه فإن كلاً من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه للنبي كما في تحقيق النصرة ومصباح الظلام وغيرهما واقع في كل حال قبل خلقه وبعده في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة » .

واستدل النبهاني في الاستشفاع به قبل خلقه بقصة آدم وفي حياته بحديث الضرير[(١)] .

مما تقدم يتضح لنا أن النبهاني لا يرى فرقًا نهائيًا بين التوسل بالنبي ﷺ وبين التوجه إليه بالدعاء والاستغاثة حيًّا وميتًا ومما يدل على هذا قول النبهاني في مكان آخر من نفس الكتاب وهو يصف الرسول ﷺ بأوصاف لا تليق إلا باللَّه حيث قال :

« فهو الوسيلة إلى نيل المعالي واقتناص المرام والمفزع يوم الجزع والهلع لكافة الرسل الكرام واجعله أمامك فيما نزل بك من النوازل وأمامك

---

(١) « الأنوار المحمدية » للنبهاني (ص٦٠٤) .

فيما تجادل من القرب والمنازل فإنك تظفر من المراد بأقصاه وتدرك رضا من أحاط بكل شيء علمًا وأحصاه »[(١)] .

وقال النبهاني أيضًا :

« لقد اتفق العلماء العارفين على جواز التوسل به عليه الصلاة والسلام إلى اللّه لقضاء الحاجات في حياته وبعد الممات وقد صار من المجربات أن من استغاث به ﷺ بإخلاص وصدق التجاء تقضى حاجته مهما كانت ولم يحصل التخلف لأحد إلا من ضعف اليقين وحصول التردد وعدم صدق الالتجاء »[(٢)] .

ومن المتصوفة الذين خلطوا بين التوسل بالنبي ﷺ وبين دعائه والاستغاثة به نور الدين علي بن أحمد السمهودي المتوفي (٩١١هـ) فقد قال :

« اعلم أن الاستغاثة والتشفع بالنبي ﷺ وبجاهه وبركته إلى ربه تعالى من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السلف الصالح واقع في كل حال قبل خلقه وبعد خلقه في حياته الدنيوية ومدة البرزخ وعرصات القيامة »[(٣)] .

وقد استدل بنفس الأدلة التي استدل بها النبهاني :

ومن المتصوفة الذين خلطوا بين التوسل بالنبي ﷺ وبين التوجه إليه بالدعاء والاستغاثة سلامة العزامي .

فقد قال بعد أن أورد حديث خطيئة آدم :

« وفي هذا الحديث التوسل برسول اللّه ﷺ قبل أن يتشرف هذا العالم

---

(١) «الأنوار المحمدية » للنبهاني (ص٦٠٥) .

(٢) « رحمة اللّه على العالمين » للنبهاني (ص٨١٤ ـ ٨١٥).

(٣) « وفاء الوفاء بأخبار المصطفى » للسمهودي (٤/ ١٣٧١) .

بوجوده فيه وأن المدار في صفة التوسل على أن يكون للمتوسل به القدر الرفيع عند ربه وأنه لا يشترط كونه حيًّا في دار الدنيا ومنه يعلم أن القول بأن التوسل لا يصح إلا وقت حياته في دار الدنيا قول من اتبع هواه بغير هدى من اللَّه »[1] .

واستدل العزامي أيضًا على جواز التوسل بالنبي ﷺ وندائه في مغيبه في حياته وبعد مماته بحديث الضرير حيث قال بعد إيراده لحديث الأعمى:

« وهو صريح في أمره ﷺ لذوي الحاجات بالتوسل به وندائه في مغيبه في حياته وبعد وفاته ﷺ وقد فهم الصحابة منه ذلك »[2] .

ومن المتصوفة الذين خلطوا بين التوسل بالنبي ﷺ والتوجه إليه بالدعاء والاستغاثة زيني دحلان حيث قال :

« فالتوسل والتشفع والاستغاثة كلها بمعنى واحد وليس لها في قلوب المؤمنين معنى إلا التبرك بذكر أحباء اللَّه تعالى لما ثبت أن اللَّه يرحم العباد بسببهم سواء كانوا أحياء أو أمواتًا »[3] .

ويقول زيني دحلان :

« ولا فرق في التوسل بين أن يكون بلفظ التوسل أو التشفع أو الاستغاثة أو التوجه لأن التوجه من الجاه وهو علو المنزلة وقد يتوسل بذي الجاه إلى من هو أعلى منه جاهًا والاستغاثة معناها طلب الغوث والمستغيث

---

(١) « البراهين الساطعة » للعزامي (ص٣٩٤) .

(٢) « البراهين الساطعة » للعزامي (ص٣٩٦) .

(٣) « الدرر السنية في الرد على الوهابية » (ص١٤) .

يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث من غيره وإن كان أعلى منه فالتوجه والاستغاثة به ﷺ وبغيره ليس لها معنى في قلوب المسلمين إلا طلب الغوث حقيقة من اللّه تعالى ومجازًا بالتسبب العادي من غيره ولا يقصد أحد من المسلمين غير ذلك المعنى فالمستغاث به حقيقة هو اللّه وأما النبي ﷺ فهو واسطة بينه وبين المستغيث »[1] .

المناقشـــــة

إن التوسل بالنبي ﷺ منه ما هو مشروع ومنه ما هو مبتدع فالتوسل المشروع هو التوسل بالإيمان بالنبي ﷺ وبطاعته ومحبته وكذلك التوسل بدعائه كما كان الصحابة يأتون إليه ويطلبون منه الدعاء .

وأما التوسل الممنوع هو التوسل بذات النبي ﷺ كما يفعل كثير من المتصوفة .

وإليك التفصيل في هذا :

أما التوسل بالإيمان بالنبي ﷺ وبطاعته ومحبته فهو من الأعمال الصالحة والأعمال الصالحة من الوسائل المشروعة التي يتقرب بها الإنسان إلى ربه .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه :

« وهذا التوسل بالإيمان به وطاعته فرض على كل أحد في كل حال باطنًا وظاهرًا في حياة رسول اللّه ﷺ وبعد موته في مشهده ومغيبه لا يسقط

---

(١) « الدرر السنية في الرد على الوهابية » (ص١٧) وانظر كذلك نحوه في كتاب « سعادة الدارين في الرد على الفرقتين » للسمنودي (ص٢٧٥) .

التوسل به بالإيمان به وبطاعته عن أحد من الخلق في حال من الأحوال بعد قيام الحجة عليه إلا بعذر من الأعذار ولا طريق إلى كرامة اللَّه ورحمته والنجاة من هوانه وعذابه إلا التوسل بالإيمان به وبطاعته وهو ﷺ شفيع الخلائق صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون فهو أعظم الشفعاء قدرًا وأعلاهم جاهًا عند اللَّه وقد قال تعالى عن موسى : ﴿وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾[1] .

وقال عن المسيح : ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[2] ومحمد ﷺ أعظم جاها من جميع الأنبياء والمرسلين لكن شفاعته ودعاؤه إنما ينتفع بهما من شفع له الرسول ﷺ ودعا له فمن دعا له الرسول وشفع له توسل إلى اللَّه بشفاعته ودعائه كما كان الصحابة يتوسلون إلى اللَّه بدعائه وشفاعته وكما يتوسل الناس يوم القيامة إلى اللَّه تبارك وتعالى بدعائه وشفاعته صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم تسليمًا.

ولفظ التوسل في عرف الصحابة كانوا يستعملونه في هذا المعنى والتوسل بدعائه وشفاعته ينفع مع الإيمان به وأما بدون الإيمان به فالكفار والمنافقون لا تغني عنهم شفاعة الشافعين في الآخرة »[3] .

ومما يدل على مشروعية التوسل بدعاء النبي ﷺ ما رواه شريك بن عبد اللَّه بن أبي غر أنه سمع أنس بن مالك يذكر أن رجلاً دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسوله ﷺ قائم يخطب فاستقبل رسول اللَّه ﷺ قائمًا فقال : يا رسول اللَّه هلكت المواشي وانقطعت السبل فادع اللَّه يغثنا

---

(١) الأحزاب : (٦٩) .

(٢) آل عمران : (٤٥) .

(٣) « التوسل والوسيلة » لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٥) .

قال فرفع رسول اللَّه ﷺ يديه فقال : « **اللهم اسقنا اللهم اسقنا** » قال أنس : ولا واللَّه ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئًا وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار قال فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت قال واللَّه ما رأينا الشمس ستًا ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول اللَّه ﷺ قائم يخطب فاستقبله قائمًا فقال يا رسول اللَّه : هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع اللَّه يمسكها قال فرفع رسول اللَّه ﷺ يديه ثم قال : « **اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب والأودية ومنابت الشجر** » قال قال فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس قال شريك : فسألت أنسًا أهو الرجل الأول ؟ قال : لا أدري »[(١)] .

ووجه الاستدلال بهذا الحديث هو أن هذا الصحابي الجليل جاء إلى الرسول ﷺ وطلب منه أن يدعو اللَّه عز وجل من أجل إنزال المطر وقد دعا الرسول ﷺ ربه فاستجاب له فسقى البلاد والعباد وهذا يدل على مشروعية التوسل بدعاء النبي ﷺ وذلك بأن يأتي الإنسان إلى الرسول كما أتى هذا الصحابي إليه ويطلب منه الدعاء وبما أن الرسول ﷺ قد مات فإن هذا التوسل الآن غير ممكن ولذا فالتوسل الباقي الآن بالنبي ﷺ هو التوسل إلى اللَّه بطاعته وحبه والإيمان به أما التوسل بدعائه فغير ممكن ومن زعم هذا فليس له أي دليل يستند عليه إلا اتباع الأهواء فقط لا غير .

وأما التوسل الممنوع هو التوسل بذات النبي ﷺ وقد قال بذلك المتصوفة وغيرهم من عباد القبور كما سبق ذكره .

---

(١) « صحيح البخاري » مع الفتح (١/ ٥٠١) .

ثالثًا : شبه الصوفية على جواز التوسل بالذوات :

وقد احتج المتصوفة لتجويز هذا التوسل بالحديثين الآتيين وهما :

أولاً : حديث الضرير الذي رواه عثمان بن حنيف أن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ فقال : ادع اللَّه أن يعافيني قال : « **إن شئت دعوت لك وإن شئت أخرت ذاك فهو خير**» وفي رواية : «**وإن شئت صبرت فهو خير لك**» فقال : ادعه فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه فيصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء : « **اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضي لي اللهم فشفعه في وشفعني فيه** » قال ففعل الرجل فبرأ »[1] .

وقد استدل المتصوفة كالنبهاني والعزامي وزيني دحلان والعلوي والسمهودي[2] بهذا الحديث على جواز التوسل بذات النبي ﷺ وبنوا على ذلك على أن التوسل به باق ولو بعد موته ولم يقفوا عند الرسول بل قالوا : يجوز التوسل بذوات الأولياء أحياءً وأمواتًا وذلك لأن النبي ﷺ علم الأعمى أن يتوسل به في دعائه وفعل الأعمى ذلك فعاد بصيراً هذا هو وجه استدلال المتصوفة بهذا الحديث وياليتهم وقفوا عند الاستدلال به على جواز التوسل بذات النبي والصالحين وذلك حتى يهون الشر وإن كان التوسل بالذوات هو الباب الذي وقع عن طريقه كثير من الأمة الإسلامية في الإشراك باللَّه .

بل تجاوزوا ذلك فأجازوا التوجه إلى الرسول وغيره من الصالحين

(١) « جامع الترمذي » مع شرح تحفه الأحوذي (١٠/ ٣٢) .

(٢) انظر « البراهين الساطعة » للعزامي (ص٣٩٤هـ) و « مفاهيم يجب أن تصحح » للعلوي (ص٥٢) و« الدرر السنية في الرد على الوهابية » لدحلان (ص٨) و« وفاء الوفاء بأخبار المصطفى » للسمهودي و« الأنوار المحمدية » للنبهاني (ص٦٠٤) .

بالدعاء والاستغاثة كما سبق ذكره في المطلب الأول من هذا المبحث .

ولو نظرنا إلى هذا الحديث وفهمنا معناه الفهم الصحيح سنرى أنه لا حجة فيه للمتصوفة وغيرهم الذين استدلوا به على جواز التوسل بذات النبي وغيره من الأولياء والصالحين بل الحديث دليل على التوسل المشروع بالنبي ﷺ وهو التوسل بدعائه وذلك لأنه لو كان التوسل بذات النبي كاف بدون التوسل بدعائه صلى اللّه عليه وسلم لما جاء ذاك الصحابي الجليل إلى النبي، وطلب منه الدعاء وإنما لاكتفى بتوسله بذات النبي ﷺ والتوجه إليه بالدعاء والاستغاثة كما يفعل المتصوفة هذا اليوم ولكن لما كان التوسل المشروع إلى اللّه هو التوسل بدعاء النبي ﷺ أتى إلى الرسول ﷺ وطلب منه أن يدعو اللّه له وعلى هذا فالحديث دليل عليهم لا لهم كما وهم المتصوفة والقبوريون عامة .

وإليك أقوال العلماء في تحليل ألفاظ هذا الحديث والأحكام التي تستفاد منه :

فمن العلماء الذين حللوا ألفاظ هذا الحديث تحليلاً دقيقًا الشيخ محمد نسيب الرفاعي فقد قال رادًا على الذين يستدلون بهذا الحديث على مشروعية التوسل بذات النبي ﷺ :

« إن قول الأعمى : « ادع اللّه أن يعافيني » فيه بيان واضح جلي لقصد الأعمى من المجيء وهو أنه ما جاء إلا من أجل أن يدعو له رسول اللّه ﷺ بالشفاء من ضره وإن قوله ﷺ مجيبًا للأعمى : « **إن شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير** » لدليل آخر على أن الأعمى ما جاء إلا من أجل الدعاء وفيه تخيير من رسول اللّه ﷺ بالدعاء أو الصبر حتى إذا شاء الأعمى الدعاء دعى

له وفي تخييره هذا وعد بالدعاء إن شاءه .

وإن إصرار الأعمى على الدعاء بقوله : « فادعه » لدليل ثالث على أن مجيئه لم يكن إلا من أجل الدعاء ومن إصراره يفهم أن رسول اللَّه ﷺ دعا له لأنه وعده بذلك إذا شاء الدعاء وقد شاء بقوله : « فادعه » على أن رسول اللَّه ﷺ أحب أن يكون للأعمى كذلك مشاركة في الدعاء ولكنه لم يترك الأعمى أن يدعو ربه بما شاء بل علمه دعاءً خاصًا وأمره أن يدعو اللَّه به بالإضافة إلى دعائه ﷺ .

وإن قول الأعمى في آخر الدعاء الذي علمه إياه رسول اللَّه ﷺ : «**اللهم شفعه فيّ**» لدليل رابع على الدعاء .

والشفاعة من رسول اللَّه ﷺ لا تسمى شفاعة ولا تكون إلا بدعاء الشافع للمشفوع له فدعاء الأعمى أن يقبل اللَّه شفاعة رسوله فيه يدل على أن رسول اللَّه قد دعا له فعلاً والأعمى يطلب من اللَّه قبول دعاء رسول اللَّه ﷺ »[1] .

ثم قال الشيخ نسيب الرفاعي :

« فإذا استجمعنا هذه الأدلة على ثبوت دعاء رسول اللَّه ﷺ للأعمى توحي لنا أمرًا هامًا يدور عليه مآل الحديث ونستكشف معناه بشكل واضح وهو أن معنى « اللهم إني أسألك بنبيك » أي بدعاء نبيك ولا يفهم منه التوسل بذاته ﷺ ولا كان هذا مراد الأعمى من مجيئه إلى الرسول ﷺ حتى وإن معنى التوسل المتبادر إلى أذهان الصحابة رضي اللَّه عنهم في ذلك الوقت كان محصورًا فيها في طلب الدعاء من المتوسل به وليس له المعنى

(١) « التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع » لمحمد نسيب الرفاعي (ص٢٢٩) .

المتعارف عليه عند البعض في زمننا الحاضر أي التوسل بذات المتوسل به فقد كان مثل هذا التوسل ينفر منه الصحابة لأنه من مفاهيم الجاهلية التي من أجل وجودها بعث اللَّه رسوله إلى الناس كافة »[1] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه مرجحًا أن الأعمى توسل بدعاء النبي ﷺ ليرد إليه بصره ولم يتوسل بذاته كما يزعم الكثيرون من المتصوفة وغيرهم :

« إن دعاء الموتى والغائبين من الأنبياء والملائكة والصالحين والاستغاثة بهم والشكوى إليهم لم يفعله أحد من السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا رخص فيه أحد من أئمة المسلمين.

وحديث الأعمى هو من القسم الثاني من التوسل بدعائه فإن الأعمى قد طلب من النبي ﷺ أن يدعو له بأن يرد اللَّه عليه بصره فقال له : « **إن شئت صبرت وإن شئت دعوت لك** » فقال : « بل ادعه » فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين ويقول : « **اللهم إني أسألك بنبيك نبي الرحمة يا محمد يا رسول اللَّه إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه ليقضيها اللهم فشفعه فيّ** » فهذا توسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته ودعا له النبي ﷺ ولهذا قال : « وشفعه فيّ » فسأل اللَّه أن يقبل شفاعة رسوله فيه وهو دعاؤه .

وهذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب وما أظهر اللَّه ببركة دعائه من الخوارق والإبراء من العاهات فإنه ﷺ ببركة دعائه لهذا الأعمى أعاد اللَّه عليه بصره »[2] .

---

(١) « التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع » لمحمد نسيب الرفاعي (ص٢٣١) .

(٢) « التوسل والوسيلة » لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٩٢) .

ويقول الشيخ ناصر الدين الألباني بعد أن رد على الذين يحتجون بهذا الحديث على جواز التوسل بذات النبي ﷺ وغيره من الصالحين :

« إذا تبين للقاريء الكريم ما أوردناه من الوجوه الدالة على أن حديث الأعمى إنما يدور حول التوسل بدعائه ﷺ وأنه لا علاقة له بالتوسل بالذوات فحينئذ يتبين له أن قول الأعمى في دعائه « اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بنبيك محمد ﷺ » إنما المراد به « أتوسل إليك بدعاء نبيك » أي حذف المضاف وهذا أمر معروف في اللغة كقوله تعالى : ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا**﴾ أي أهل القرية وأصحاب العير ونحن ومخالفونا متفقون على ذلك أي على تقدير مضاف محذوف. . . ».

ثم قال الشيخ الألباني :

« وثمة أمر آخر جدير بالذكر وهو أنه لو حمل حديث الضرير على ظاهره وهو التوسل بالذات لكان معطلاً لقوله فيما بعد : « **اللهم فشفعه فيّ وشفعني فيه** » وهذا لا يجوز كما لا يخفى فوجب التوفيق بين هذه الجملة والتي قبلها وليس ذلك إلا على ما حملناه من أن التوسل كان بالدعاء فثبت المراد وبطل الاستدلال به على التوسل بالذات المحمدية والحمد للَّه »[1] .

والخلاصة أن حديث الضرير ليس فيه أي دليل للذين يقولون بجواز التوسل بذات النبي ﷺ حيًّا وميتًا وإنما هو دليل عليهم لأنه لا يدل إلا على جواز التوسل بدعاء الرسول ﷺ كما كان يفعل كثير من الصحابة في حياته حيث كانوا يأتون إلى النبي ويطلبون منه الدعاء ومن جملة الصحابة هذا الصحابي الجليل الذي عمي بصره فأتى إلى النبي ﷺ وطلب منه أن يدعو

(١) « التوسل أنواعه وأحكامه » للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ص٧٦) .

اللّٰه له فدعا له فبريء وعلى هذا فلا حجة للمتصوفة في هذا الحديث.

وبالإضافة إلى ذلك فإن المتصوفة يستدلون بهذا الحديث على جواز التوجه بالدعاء والاستغاثة إلى النبي ، والأولياء كما اتضح لنا ذلك في الأناشيد الشعرية التي قالها المتصوفة والتي من أولها إلى آخرها شرك صريح باللّٰه عز وجل وتأليه الرسول ﷺ .

ولو نظرنا إلى حديث الأعمى فإننا لا نجد فيه ولو لفظًا واحدًا من قريب أو بعيد فيه إشارة إلى جواز التوجه إلى النبي رأسًا بالدعاء والاستغاثة كما رأينا في الأبيات السابقة التي توجه فيها المتصوفة إلى الرسول ﷺ وعلى هذا فإنني أقول : إن حديث الأعمى بالحقيقة ليس نصًا في محل النزاع وإنما هو شيء خارج عنه فإن نزاعنا مع المتصوفة الذين يدعون الأنبياء والأولياء ليس في التوسل فحسب بنوعيه المشروع والممنوع وإنما نزاعنا معهم هو في التوجه بالدعاء والاستغاثة إلى الرسول والأولياء الذي يفعلوه يوميًا ويسمونه توسلاً بالأنبياء والأولياء مع أنه ليس كذلك بل هو دعاء واستغاثة بالرسول ﷺ والأولياء وتسمية المتصوفة له بالتوسل لا يخرجه عن حقيقته وهو كونه دعاء واستغاثة بالرسول ﷺ وليس توسلاً به ولا بالأنبياء والأولياء وهو يعتبر من باب تسمية الشيء بغير اسمه، وتسمية الشيء بغير اسمه لا يغير من حقيقة الشيء فكون الخمر إذا سماه أحد من الناس عسلاً لا يغير ذلك من حقيقة الخمر بل هو باق على حقيقته الخمرية، وكون المتصوفة يسمون دعاء الرسول والاستغاثة به وكذلك الأولياء بأنه توسل بهم لا يغير ذلك من الحقيقة شيئًا بل هو باق على حقيقته وهو كون هذا الذي يفعله المتصوفة مع الرسول والأولياء دعاء واستغاثة بهم من دون اللّٰه وهو عين الشرك باللّٰه تعالى .

ومن الأدلة التي يستدل بها المتصوفة[1] وغيرهم في جواز التوسل بذوات الأنبياء والصالحين ما رواه أنس بن مالك رضي اللَّه عنه أن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال : « اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال : فيسقون »[2] .

ولقد فهم المتصوفة وغيرهم من القائلين بجواز التوسل بذوات الأنبياء والصالحين إلى اللَّه من هذا الأثر بأن توسل عمر رضي اللَّه عنه إنما كان بجاه العباس رضي اللَّه عنه ومكانته عند اللَّه سبحانه وتعالى وأن توسله كان مجرد ذكر للعباس في دعائه وطلبًا منه للَّه أن يسقيهم من أجله وأما سبب عدول عمر رضي اللَّه عنه عن التوسل بالرسول ﷺ بزعمهم وتوسله بدلاً منه بالعباس رضي اللَّه عنه فإنما كان لبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل ليس غير[3] .

المناقشـــــة

إن فهم المتصوفة هذا فهم خاطيء وتفسيرهم للحديث بهذا التفسير السابق مردود عليهم من وجوه كثيرة :

أولاً : من القواعد المهمة في الشريعة الإسلامية أن النصوص الشرعية

(١) استدل به زيني دحلان في « الدرر السنية » (ص١١) وكـذلك « خلاصـة الكلام » له ضمن « شواهد الحق » للنبهاني (ص١٥٧) وكذلك النبهاني في « شواهد الحق» (ص ١٥٧) .

(٢) البخاري مع الفتح (٢/ ٤٩٤) .

(٣) « شواهد الحق » للنبهاني (ص١٥٧) وكذلك « الدرر السنية في الرد على الوهابية » (ص١٣) .

يفسر بعضها بعضًا ولا يفهم شيء منها في موضوع ما بمعزل عن بقية النصوص الواردة فيه وبناءًا على ذلك فحديث توسل عمر السابق إنما يفهم على ضوء ما ثبت من الروايات والأحاديث الواردة في التوسل والجميع متفق على أن في كلام عمر : « كنا نتوسل إليك بنبينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا » شيئًا محذوفًا لابد له من تقدير وهذا التقدير إما أن يكون كنا نتوسل بجاه نبينا وإنا نتوسل بجاه عم نبينا على رأى المخالفين أو أن يكون كنا نتوسل إليك بدعاء نبينا وإنا نتوسل إليك بدعاء عم نبينا على رأينا نحن ولابد من الأخذ بواحد من هذين التقديرين ليفهم الكلام بوضوح وجلاء .

وإذا أردنا أن نعرف أي التقديرين أصح لابد من الرجوع إلى السنة لتبين لنا طريق توسل الصحابة الكرام بالنبي محمد ﷺ .

فإذا نظرنا إلى الصحابة الكرام هل كانوا إذا أجدبت بلادهم يقبع كل واحد منهم في بلده أو كانوا يجتمعون في بلده أو كانوا يجتمعون دون أن يكون معهم رسول اللَّه ﷺ وهو في الحياة فيدعون متوسلين بجاه محمد وذاته قائلين : «اللهم بنبيك محمد وحرمته عندك ومكانته لديك اسقنا الغيث» مثلاً أم كانوا يأتون النبي ذاته فعلاً ويطلبون منه الدعاء فيحقق ﷺ طلبهم ويدعو لهم ويسقون .

أما الأمر الأول وهو التوسل بذات الرسول وحرمته عند اللَّه ومكانته دون الإتيان إلى الرسول ﷺ وطلب الدعاء منه فلا وجود له في السنة النبوية الصحيحة ألبتة ولا عمله الصحابة الكرام وما ورد في ذلك من آثار فهي كلها موضوعة وضعها المغرضون لإيقاع الناس في الشرك في الدعاء .

وأما الأمر الثاني وهو التوسل إلى اللَّه بطلب الدعاء من الرسول ﷺ

فقد ورد كثير منه في السنة النبوية وقد كان الصحابة الكرام يفعلونه حيث أتى كثير من الصحابة يطلب الدعاء من الرسول ﷺ حينما أجدبت بلادهم وإليك حديث واحد يدل على أن الصحابة الكرام كانوا يتوسلون بدعاء النبي ﷺ لا بذاته وجاهه وحرمته ومكانته عند اللّه .

فقد روى أنس بن مالك رضي اللّه عنه حديثًا عن رسول اللّه ﷺ فقال : « بينما رسول اللّه يخطب يوم الجمعة إذ جاءه رجل فقال : يا رسول اللّه قحط المطر فادع اللّه أن يسقينا . فدعا فمطرنا فما كدنا أن نصل إلى منازلنا فما زلنا نمطر إلى الجمعة المقبلة قال : فقام ذلك الرجل أو غيره فقال : يا رسول اللّه ادع اللّه أن يصرفه عنا . فقال رسول اللّه ﷺ : « **اللهم حوالينا ولا علينا** » . قال : فلقد رأيت السحاب يتقطع يمينًا وشمالاً يمطرون ولا يمطر أهل المدينة »[1] .

ووجه الاستدلال بهذا الحديث أن الصحابة الكرام رضوان اللّه عليهم كانوا يتوسلون إلى اللّه بدعاء النبي ﷺ لأنهم كانوا يأتون إليه ويطلبون منه الدعاء ولو كانوا يتوسلون بذاته وجاهه ومكانته عند اللّه لما احتاجوا إلى الاتيان إلى المدينة وطلب الدعاء منه بل كانوا يتوسلون إلى اللّه وهم في أهليهم فيقولون : « اللهم بنبيك محمد ومكانته وجاهه وحرمته عندك اسقنا الغيث فيسقون » ولكن هذا لم يفعله الصحابة الكرام لأنهم يعلمون بأنه توسل غير مشروع ولذا نقول إن المحذوف في توسل عمر بالعباس هو « إنا كنا نتوسل إليك بدعاء نبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بدعاء عم نبينا فاسقنا » وعلى هذا فتقدير المجيزين للتوسل الممنوع وهو قولهم إن المحذوف في توسل عمر بالعباس هو كلمة الجاه في الموضعين غير صحيح لأنهم ليس

---

(١) البخاري مع الفتح (٢/٥٠٨) .

لهم دليل يستندون إليه .

وإلى جانب ذلك هناك قرائن كثيرة تدل على أن التوسل من عمر رضي اللَّه عنه كان بدعاء العباس لا بذاته ولا بجاهه ولا بمكانته وهذه القرائن هي :

١ ـ عدول عمر عن التوسل بالرسول ﷺ وهو أشرف خلق اللَّه وأن التوسل به أولى من التوسل بغيره وذلك لأن الرسول ﷺ قد مات ولا يمكن طلب الدعاء منه بعد موته ولذلك عدل عمر عن التوسل به إلى التوسل بالعباس بن عبد المطلب لأنه عم رسول اللَّه ﷺ فطلب منه الدعاء ولو كان عمر توجه بجاه العباس إلى اللَّه لتوسل بجاه النبي لأنه أكبر جاهًا عند اللَّه من العباس بن عبد المطلب ولكن لما كان التوسل المشروع هو التوسل بدعاء الرسول ﷺ عدل عن التوسل بالنبي ﷺ لأنه لا يمكن طلب الدعاء منه بعد موته فتوسل بدعاء العباس بن عبد المطلب لطلب السقيا وعلى هذا نقول إن استدلال المجيزين للتوسل بذات الشخص وجاهه ومكانته عند اللَّه بهذا الحديث استدلال باطل لأن الحديث ليس دليلاً لهم بل عليهم ولكن أوقعهم في الاستدلال به إما سوء فهمهم وإما سوء مقصدهم .

ويقول الشيخ محمود شكري الآلوسي رادًا على المتصوفة الذين يستدلون بتوسل عمر بالعباس على جواز التوسل بالذوات مبينًا بأن هذا الحديث دليل على عدم جواز التوسل بالذوات وأن التوسل المشروع هو التوسل بطلب الدعاء من الرجل الصالح إن وجد قال :

« بل هو أقوى الأدلة وأرجحها وأعلاها وأوثقها وأصحها وأصدقها لما ندعيه فإن قول عمر : « اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا . . إلخ » يدل دلالة

ظاهرة على انقطاع ذلك الذي هو الدعاء بدليل قوله : « إنا كنا » ولما كان العباس حيًّا طلبوه منه فلما مات فات فقصرهم له على الموجودين ولو كانوا مفضولين دليل ساطع وبرهان لامع على هذا المراد ولو كان المقصود الذوات كما يقولون لبقيت هذه التوسلات على حالها لم تتغير ولم تتبدل إلى المفضولين بعد وجود الفاضلين لا سيما الأنبياء والمرسلين فتأمل في هذا فإنه أحسن ما في الأوراق ، حقيق بأن يضرب عليه رواق الاتفاق واللَّه يهديك السبيل فهو نعم المولى ونعم الوكيل »[١] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رادًا على الذين يقولون بجواز التوسل بذات النبي وذات غيره من الأولياء ومؤكدًا بأن هذا لم يفعله الصحابة ولا التابعون بل هو من البدع المحدثة التي ابتدعها أهل الأهواء :

« فأما التوسل بذاته في حضوره أو مغيبه أو بعد موته مثل الإقسام بذاته أو بغيره من الأنبياء أو السؤال بنفس ذواتهم لا بدعائهم فليس هذا مشهوراً عند الصحابة والتابعين بل عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان ومن بحضرتهما من أصحاب رسول اللَّه ﷺ والتابعين لهم بإحسان لما أجدبوا استسقوا وتوسلوا واستشفعوا بمن كان حيًّا كالعباس ويزيد بن الأسود ولم يتوسلوا ولم يستشفعوا ولم يستسقوا في هذه الحال بالنبي ﷺ لا عند قبره ولا غير قبره بل عدلوا إلى البدل كالعباس وكيزيد بل كانوا يصلون عليه في دعائهم وقد قال عمر : « اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقينا » .

فجعلوا هذا بدلاً عن ذاك لما تعذر أن يتوسلوا به على الوجه المشروع

---

(١) « غاية الأماني في الرد على النبهاني » (ص٢٨٨) .

الذي كانوا يفعلونه وقد كان من الممكن أن يأتوا إلى قبره ويتوسلوا هناك ويقولوا في دعائهم بالجاه ونحو ذلك من الألفاظ التي تتضمن القسم بمخلوق على اللّٰه عز وجل أو السؤال به فيقولون : نسأله أو عليك بنبيك ونحو ذلك مما يفعله بعض الناس . . . » .

ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

« وكذلك علم الصحابة أن التوسل به إنما هو التوسل بالإيمان به وطاعته ومحبته وموالاته والتوسل بدعائه وشفاعته فلهذا لم يكونوا يتوسلون بذاته مجردة عن هذا وهذا فلما يفعل الصحابة رضوان اللّٰه عليهم شيئًا من ذلك ولا دعوا بمثل هذه الأدعية وهم أعلم منا وأعلم بما يحب اللّٰه ورسوله وأعلم بما أمر اللّٰه به ورسوله من الأدعية وما هو أقرب إلى الإجابة منا بل توسلوا بالعباس وغيره ممن ليس مثل النبي ﷺ فدل عدولهم عن التوسل بالأفضل إلى التوسل بالمفضول أن التوسل المشروع بالأفضل لم يكن ممكنا »(١) .

وقال الشيخ نعمان خير الدين الشهير بابن الآلوسي البغدادي مرجحًا بأن توسل عمر بالعباس رضي اللّٰه عنهما دليل على جواز التوسل بدعاء الرجل الصالح وعلى منع التوسل بالذوات :

« وأما ذكروه من الاستدلال بتوسل عمر بن الخطاب بالعباس بن عبد المطلب رضي اللّٰه تعالى عنهما فالمراد بذلك أن يدعو لهم ، يدل عليه ثبوت دعائه لهم بطلب السقيا كما جاءت به بقية الروايات ومثله استسقاء معاوية في الشام بيزيد بن الأسود فإنه قال : يا يزيد ارفع يديك . فرفع يديه

---

(١) « التوسل والوسيلة » لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص١٢٩ ـ ١٣١) .

ودعا ودعا الناس حتى سقوا . وهذا المعنى هو الذي عناه الفقهاء في باب الاستسقاء ومرادهم التوجه إلى اللّه تعالى بدعاء الصالحين فإن دعاءهم أرجى للإجابة ولو كان التوسل بالذوات هو المطلوب والمدلول الذي أقاموا عليه الدليل وهم بمقتضى دليلهم لا يخصون الأحياء بهذا التوسل ويستحبون التوسل بالذوات الشريفة ولو بندائهم ودعائهم وأنه على معنى أن الشفعاء يدعون لهم وقالوا : لا مانع من ذلك عقلاً وشرعًا فإنهم أحياء في قبورهم لكان التوسل بالنبي ﷺ في ذلك الأمر المهم وهم عنده بالمدينة أولى » .

ثم أورد توسل عمر بالعباس وقال :

« بل هذا الدليل الذي تمسكوا به من أقوى الأدلة وأرجحها وأظهرها على ما ندعيه من عدم الجواز فهو عليهم لا لهم عند من له أدنى فهم وإنصاف »[1] .

والخلاصة أن توسل عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه بالعباس رضي اللّه عنه دليل قاطع على أن التوسل المشروع بالنبي ﷺ إلى اللّه تعالى هو التوسل بمحبته وطاعته والإيمان به لأن هذه الأمور من الأعمال الصالحة والأعمال الصالحة من أهم الأشياء التي يتقرب بها الإنسان إلى اللّه سبحانه وتعالى ولأنه هو التوسل الباقي بعد موت الرسول حيث أن الصحابة كانوا يأتون إلى النبي ﷺ في حياته ويطلبون منه الدعاء فكان يدعو لهم ولكن لما علم الصحابة رضوان اللّه عليهم أن التوسل بدعاء النبي ﷺ غير ممكن بعد موته توسلوا إلى اللّه بدعاء العباس بن عبد المطلب حيث طلب منه عمر أن يدعو فدعا ولم يكن التوسل بالعباس بن عبد المطلب بجاهه كما يزعم المخالفون من المتصوفة وغيرهم وإنما كان التوسل بدعائه ولو كان التوسل

---

(١) « جلاء العينين » لنعمان خير الدين (ص٤٥٦) .

بالذوات والجاه جائزاً لما عدل عمر رضي اللّه عنه عن التوسل بجاه النبي ﷺ وذاته ومكانته عند اللّه لأن النبي ﷺ يتفوق على الجميع في هذا .

ولكن لما كان التوسل بذاته وجاهه ومكانته غير جائز عدل عن التوسل به إلى التوسل بالعباس بن عبد المطلب .

وبهذا نخلص إلى أن الأحاديث الصحيحة التي استدل بها المتصوفة على جواز التوجه إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة وبالأنبياء والصالحين ليس لهم أي دليل فيها بل هي ضدهم ومشائخ الصوفية لم يقعوا في هذا لعدم فهمهم لها وإنما يستدلون بها لسوء مقصدهم وفساد معتقدهم من أجل أن يبرروا للناس العوام الأعمال الشركية وقد فعلوها فما من بلد إسلامي في هذا العالم الواسع إلاّ ما شاء اللّه إلا ويمارس الشرك باسم التوسل رغم أن التوسل بالشخص ودعائه والاستغاثة به بينهما فرق كبير جدًا ومع هذا فالصوفية يخلطون بينهما عن عمد ويسمون دعاء الرسول والاستغاثة به وكذلك الأولياء بأنه توسل وهذا جهل عظيم وخطأ فادح وقع فيه المتصوفة عن عمد أو خطأ وعن علم أو جهل ، اللّه أعلم بحالهم .

وللشيخ محمود شكري الآلوسي كلام نفيس في هذا المجال وهذا نصه: فقد قال رحمه اللّه في كتابه « غاية الأماني في الرد على النبهاني » في معرض رده على النبهاني :

« أقول وباللّه التوفيق : إن الكلام على ما حواه كلامه من الكذب والزور والبطلان يطول جدًا فضلاً عما اشتملت عليه عباراته من الغلط وفساد التركيب وسوء التعبير فكتابه كله ظلمات بعضها فوق بعض فلو تكلمنا على ذلك كله لطال الكلام وكلت عن رقمه الأقلام فإن النبهاني هذا من أعظم

الغلاة المحادين للّه ورسوله وكلامه كله باطل وجهل مركب وبهت لأهل الحق وليس فيه جملة واحدة توافق الحق أصلاً فالحمد للّه الذي خذل أعداء دينه وجعلهم عبرة لأوليائه وعباده المؤمنين » .

ثم دخل الشيخ في التفريق بين دعاء الشخص والاستغاثة به من دون اللّه وبين التوسل به إلى اللّه فقال :

« أما مشروعية الاستغاثة ففيها تفصيل إذ الاستغاثة بالشيء على ما ذكره بعض المحققين : طلب الإغاثة والغوث منه ، كما أن الاستعانة : طلب الإعانة منه فإذا كان بنداء من المستغيث للمستغاث كان ذلك سؤالاً منه وظاهر أن ذلك ليس توسلاً به إلى غيره إذ قد جرت العادة أن من توسل بأحد عند غيره أن يقول لمستغاثه : أستغيثك على هذا الأمر بفلان . فيوجه السؤال إليه ويقصر أمر شكواه عليه ولا يخاطب المستغاث به ويقول له : أرجو منك أو أريد منك وأستغيث بك . ويقول : إنه وسيلتي إلى ربي . وإن كان كما يقول فما قدر المتوسل إليه حق قدره وقد رجا وتوكل والتجأ إلى غيره كيف واستعمال العرب يأبى عنه فإن من يقول : صار لي ضيق فاستغثت بصاحب القبر فحصل الفرج . يدل دلالة جلية على أنه قد طلب الغوث منه ولم يفد كلامه أنه توسل به بل إنما يراد هذا المعنى إذا قال : توسلت أو استغثت إليك بفلان . فيكون حينئذ مدخول الباء متوسلاً به ولا يصح إرادة هذا المعنى إذا قلت : استغثت بفلان . وتريد التوسل به سيما إذا كنت داعيه وسائله بل قولك هذا نص على أن مدخول الباء مستغاث وليس مستغاثًا به والقرائن التي تكتنفه من الدعاء وقصر الرجاء والالتجاء شهود عدول ولا محيد عما شهدت به ولا عدول فهذه الاستغاثة وتوجه القلب إلى المسئول بالسؤال والإنابة محظورة على المسلمين لم يشرعها لأحد من أمته

رسول رب العالمين وهل سمعتم أن أحدًا في زمانه ﷺ أو ممن بعده في القرون المشهود لأهلها بالنجاة والصدق ـ وهم أعلم منا بهذه المطالب وأحرص على نيل مثل تلك الرغائب ـ استغاث بمن يزيل كربته التي لا يقدر على إزالتها إلا اللَّه؟! أم كانوا يقصرون الاستغاثة على مالك الأمور ولم يعبدوا إلا إياه ولقد جرت عليهم أمور مهمة وشدائد مدهلمة في حياته ﷺ وبعد وفاته فهل سمعت عن أحد منهم أنه استغاث بالنبي ﷺ أو قالوا : إنا مستغيثون بك يا رسول اللَّه ؟! أم بلغك أنهم لاذوا بقبره الشريف وهو سيد القبور حيث ضاقت منهم الصدور ؟ كلا لا يمكن لهم ذلك وإن الذي كان بعكس ما هنالك فلقد أثنى اللَّه عليهم ورضي عنهم فقال عز من قائل : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾[1] .

مبينًا لنا أن هذه الاستغاثة أخص الدعاء وأجلى أحوال الالتجاء وهي من لوازم السائل المضطر الذي يضطر إلى طلب الغوث من غيره فيخص نداءه لدى استغاثته بمزيد الإحسان في سره وجهره ففي استغاثته بغيره تعالى عند كربته تعطيل لتوحيد معاملته » .

ثم قال : « فلا يقال لأحد حي أو ميت قريب أو بعيد : ارزقني أو أمتني أو أحيي ميتي أو اشف مريضي . إلى غير ذلك مما هو من الأفعال الخاصة بالواحد الأحد الفرد الصمد » .

ثم قال : « والقرآن ناطق بخطر الدعاء عن كل أحد لا من الأحياء ولا من الأموات سواء كانوا أنبياء أو صالحين أو غيرهم وسواء كان الدعاء بلفظ الاستغاثة أو بغيرها فإن الأمور الغير مقدورة للعباد لا تطلب إلا من خالق

---

(١) الأنفال : (٩) .

القدر ومنشيء البشر كيف والدعاء عبادة وهي مختصة به سبحانه »[1] .

ومن الشبه التي يستدل بها المتصوفة على جواز دعاء غير اللَّه والاستغاثة به هو زعمهم بأنهم يدعون الأنبياء والصالحين ليتوسطوا لهم إلى اللَّه .

ومما يدل على هذا قول النبهاني حيث قال :

« وقد يتوسل بذي الجاه إلى من هو أعلى جاهًا منه والاستغاثة طلب الغوث والمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث من غيره وإن كان ذلك الغير أعلى منه فالتوجه والاستغاثة به ﷺ وبغيره ليس لها معنى في قلوب المسلمين غير ذلك ولا يقصد بهما أحد منهم سواه فمن لم ينشرح صدره لذلك فليبك على نفسه والمستغاث به في الحقيقة هو اللَّه تعالى والنبي ﷺ واسطة بينه وبين المستغيث فهو سبحانه مستغاث به والغوث منه خلقًا وإيجادًا والنبي مستغاث والغوث منه سببًا وكسبًا »[2] .

إذا نظرنا في كلام النبهاني السابق نرى بوضوح أن العلة التي وقع بسببها المتصوفة في دعاء غير اللَّه تعالى هي نفس العلة التي وقع بسببها دعاة غير اللَّه عبر التاريخ ألا وهي علة الواسطة حيث إننا لو تتبعنا تاريخ الأمم سنجد بأن من أهم الأشياء التي وقعوا بسببها في الإشراك باللَّه هي دعوى الواسطة .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام نفيس في هذا المجال نريد أن ننقل منه مقتطفات .

---

(١) « غاية الأماني في الرد على النبهاني » (ص٢٥١ ـ ٢٥٢) .

(٢) « شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق » للنبهاني (ص٤٢٧) .

قال رحمه اللَّه بعد أن أثبت بأن الأنبياء والرسل واسطة بين اللَّه وبين الخلق في تبليغ الرسالة بكل ما تحمله هذه العبارة من العقائد والعبادات والأحكام الشرعية بشتى أنواعها .

قال رادًا على الذين يزعمون بأن الأنبياء والأولياء والصالحين وسائط بين اللَّه وبين خلقه في دفع المضار وجلب المنافع :

« وإن أراد بالواسطة أنه لابد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجعون إليه فيه فهذا من أعظم الشرك الذي كفر اللَّه به المشركين حيث اتخذوا من دون اللَّه أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار لكن الشفاعة لمن يأذن اللَّه له فيها حق قال اللَّه تعالى : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ** ﴾[1] .

وقال اللَّه تعالى : ﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ** ﴾[2] .

وقالت طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح والعزير والملائكة فبين اللَّه لهم أن الملائكة والأنبياء لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلاً وأنهم يتقربون إلى اللَّه ويرجون رحمته ويخافون عذابه قال تعالى : ﴿ **مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ**

---

(١) السجدة : (٤) .

(٢) سبأ : (٢٢ ـ ٢٣) .

اللَّه وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1] .

فبين سبحانه أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابًا كفر فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين. . . » .

وأخيرًا قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ناقش هذه الشبهة مناقشة طويلة :

« والمقصود هنا أن من أثبت وسائط بين اللَّه وبين خلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك بل هذا دين المشركين عباد الأوثان كانوا يقولون إنها تماثيل الأنبياء والصالحين وإنها وسائل يتقربون بها إلى اللَّه وهو من الشرك الذي أنكره اللَّه على النصارى حيث قال : **﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** »[2] .

ويقول الشيخ عبد اللطيف في رده على ابن جرجيس الذي استدل على جواز دعاء غير اللَّه والاستغاثة به بكونهم وسائط بين اللَّه وبين عباده ، قال :

« فالقول بجواز الاستغاثة بغير اللَّه ودعاء الأنبياء والصالحين وجعلهم وسائط بين العبد وبين اللَّه والتقرب إليهم بالنذر والنحر والتعظيم بالحلف

---

(١) آل عمران : (٧٩ ـ ٨٠) .

(٢) التوبة : (٣١) والموضوع « مجموعة التوحيد » المجلد الأول (ص١١٨ ـ ١٣١) .

وما أشبهه مناقضة ومنافاة لهذه الحكمة التي هي المقصودة بخلق السماوات والأرض وإنزال الكتب وإرسال الرسل وفتح لباب الشرك في المحبة والخضوع والتعظيم ومشاقة ظاهرة للَّه ولرسوله ولكل نبي كريم والنفوس مجبولة على صرف ذلك المذكور من العبادات إلى من أهلته لكشف الشدائد وسد الفاقات وقضاء الحاجات من الأمور العامة التي لا يقدر عليها إلا فاطر الأرض والسماوات » .

ثم قال الشيخ عبد اللطيف :

« الوجه الثاني أن هذا بعينه قول عباد الأنبياء والصالحين من عهد قوم نوح إلى أن بعث إليهم خاتم النبيين ولم يزيدوا على ما قال هؤلاء الغلاة فيما انتحلوا من الشرك الوخيم والقول الذميم كما حكى اللَّه عنهم ذلك في كتابه الكريم قال تعالى : ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ** ﴾[1] .

وقال اللَّه تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ** ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ **فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ** ﴾[3] .

فهذه النصوص المحكمة الصريحة في أن المشركين لم يقصدوا إلا الجاه والشفاعة والتوسل بمعنى جعلهم وسائط تقربهم إلى اللَّه وتقضي

---

(١) يونس : (١٨) .

(٢) الزمر : (٣) .

(٤) الأحقاف : (٢٨) .

حوائجهم منه تعالى وقد أنكر القرآن هذا أشد الإنكار وأخبر أن أهله هم أصحاب النار وأن اللَّه تعالى حرم عليهم الجنة دار أوليائه الأبرار وجمهور هؤلاء المشركين لم يدعوا الاستقلال ولا الشركة في توحيد الربوبية بل قد أقروا واعترفوا بأن ذلك للَّه وحده كما حكى سبحانه إقرارهم واعترافهم بذلك في غير موضع من كتابه .

فحاصل ما ذكر من جواز الاستغاثة والدعاء والتعظيم بالنذر والحلف مع نفي الاستقلال وإن اللَّه يفعل لأجله هو عين دعوى المشركين وتعليلهم وشبههم لم يزيدوا عليه حرفًا واحدًا إلا أنهم قالوا قربان وشفعاء والغلاة سموا ذلك توسلاً فالعلة واحدة والحقيقة متحدة . . . »

ثم قال الشيخ عبد اللطيف بعد أن ذكر الوجه الثالث الذي أثبت فيه بأن اللَّه سبحانه وتعالى أمر عباده بإفراده بالدعاء والاستغاثة وإنزال الحاجات به دون غيره حيث أورد آيات وأحاديث كثيرة في هذا المجال وأخيراً قال :

« وعلى القول بجعل الوسائط والشفعاء بين العباد وبين اللَّه تقلع أصول هذا الأصل العظيم الذي هو قطب رحى الإيمان وينهدم أساسه الذي ركب عليه البنيان فأي فرح وأي نعيم وأي فاقة سدت وأي ضرورة دفعت وأي سعادة حصلت وأي أنس واطمئنان إذا كان التوجه والدعاء والاستغاثة والذبح والنذر لغير الملك الحنان المنان . . . فصلاح السماوات والأرض بأن يكون اللَّه سبحانه هو إلهها دون ما سواه ومستغاثها الذي تفزع إليه وتلجأ إليه في مطالبها وحاجاتها . . . . وإن الشرع الذي جاء به محمد ﷺ والسنة التي سنها في قبور الأنبياء والصالحين وعامة المؤمنين تنافي هذا القول الشنيع وتبطله وتعارضه فإنه ﷺ سن عند القبور ما صحت به الأحاديث النبوية

وجرى عليه عمل علماء الأمة من إسلام عند زيارتها والدعاء لأصحابها وسؤال اللَّه العافية لهم من جنس ما شرعه من الصلاة على جنائزهم ونهى عن عبادة اللَّه عند القبور والصلاة فيها وإليها وخص قبور الأنبياء والصالحين بلعن من اتخذها مساجد يعبد فيها اللَّه تعالى ويدعو وتواترت بذلك الأحاديث خرجها أصحاب الصحيحين وأهل السنن ومالك في موطئه فمنها قوله ﷺ : « **اللهم لا تجعل قبرى وثنًا يعبد اشتد غضب اللَّه على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** »[1] .

وحديث ابن مسعود : « **إن من شر الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد** »[2] .

وحديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه : « **قاتل اللَّه اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** »[3] .

ثم قال الشيخ عبد اللطيف :

« ومن شم رائحة العلم وعرف شيئًا مما جاءت به الرسل عرف أن هذا الذي قاله الغلاة من جنس عبادة الأصنام والأوثان مناقض لما دلت عليه السنة والقرآن ولا يستريب في ذلك عاقل من نوع الإنسان . . . وأن من أعرض عن اللَّه وقصد غيره وأعد ذلك الغير لحاجته وفاقته واستغاث به ونذر له ولاذ به فقد أساء الظن بربه وأعظم الذنوب عند اللَّه إساءة الظن به فإن المسيء به

---

(١) « موطأ الإمام مالك » (١/ ١٧٢) وأحمد في « المسند » (٢/ ٢٤٦) وصححه الألباني في « تحذير الساجد » (ص٢٤) .

(٢) « مسند أحمد » (١/ ٤٣٥) وصححه ابن حبان (٣٤٠) وصححه الألباني في « تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد » (ص٢٦) .

(٣) « مسند أحمد » (٥/ ١٨٤) وكذلك (٥/ ١٨٦) .

الظن قد ظن به خلاف كماله المقدس فظن به ما يناقض أسماءه وصفاته ولهذا توعد سبحانه وتعالى الظانين به ظن السوء بما لم يتوعد به غيرهم كما قال تعالى : ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾[1] .

وقال تعالى لمن أنكر صفة من صفاته : ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[2] .

وقال تعالى عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[3] .

قال الشيخ عبد اللطيف :

« أي فما ظنكم أن يجازيكم إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره وما ظننتم بأسمائه وصفاته وربوبيته من النقص حتى أحوجكم ذلك إلى عبودية غيره فلو ظننتم به ما هو أهله من أنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وأنه غني عن كل ما سواه فقير إليه كل من عداه وأنه قائم بالقسط على خلقه وأنه المنفرد بتدبير خلقه لا يشرك فيه غيره والعالم بتفاصيل الأمور فلا تخفى عليه خافية من خلقه والكافي لهم وحده لا يحتاج إلى معين والرحمن بذاته فلا يحتاج في رحمته إلى من يستعطفه وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من الرؤساء

---

(١) الفتح : (٦) .

(٢) فصلت : (٢٣) .

(٣) الصافات : (٨٥ ـ ٨٧) .

فإنهم محتاجون إلى من يعرفهم أحوال الرعية وحوائجهم من الوسطاء الذين يعينونهم على قضاء حوائجهم وإلى من يسترحمهم ويستعطفهم بالشفاعة فاحتاجوا إلى الوسائط ضرورة لحاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم .

فأما القادر على كل شيء الغني بذاته عن كل شيء العليم بكل شيء الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء فإدخال الوسائط بينه وبين خلقه تنقص بحق ربوبيته وإلهيته وتوحيده وظن به ظن السوء وهذا يستحيل أن يشرعه لعباده ويمتنع في العقول والفطر وقبحه مستقر في العقول السليمة فوق كل قبح »[1] .

والخلاصة أن شبهة الوساطة التي يحتج بها المتصوفة لدعاء غير اللَّه من الأنبياء والأولياء هي نفس الشبهة التي وقع بسببها أمم كثيرة في الوقوع في الإشراك باللَّه حيث دعوا الأنبياء والأولياء بحجة أنهم يتوسطون لهم إلى اللَّه وقد وصفهم اللَّه تعالى بالمشركين لوقوعهم في دعاء غير اللَّه من الأنبياء والصالحين فكل من فعل مثل فعلهم فهو مثلهم ويتناوله الحكم الذي حكم اللَّه به على أسلافهم من عبدة القبور .

ثم إن اللَّه سبحانه وتعالى أقرب إلينا من حبل الوريد كما قال تعالى : ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** ﴾[2] فلا حاجة إلى الوسطاء بين اللَّه وبين عباده ولذا فقد أمر سبحانه عباده المؤمنين أن يدعوه ويطلبوا منه ما يريدونه رأسًا بلا وسائط فقال تعالى : ﴿ **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ**

(١) « منهاج التأسيس في الرد على ابن جرجيس » للشيخ عبد اللطيف نقلاً عن « غاية الأماني » (١/٢٦٣) .

(٢) ق : (١٦) .

عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ ﴾[2] .

وعلى هذا فحجة المتصوفة بأنهم يدعون الأنبياء والأولياء لأنهم وسطاء بينهم وبين اللَّه حجة باطلة أتوا بها من عند أنفسهم وليس لهم أي دليل يستندون عليه من الكتاب والسنة لإثبات شرعية استدلالهم بهذه الحجة بل إن دعاء الأنبياء والأولياء بهذه الحجة هو عين الشرك باللَّه كما سبق لنا .

المطلب الثالث

حكم التوجه إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة

لقد تحدثنا في المطلب الأول من هذا المبحث عن غلو المتصوفة في الرسول ﷺ وأثبتنا ذلك بإيراد عبارات عن أئمة التصوف أنفسهم وقد أوضحنا بأن هذا الغلو بالفعل أوقعهم في انحراف عقدي خطير حيث أدى بهم إلى صرف عبادة من أجل العبادات لغير اللَّه حيث توجهوا إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة من دون اللَّه سبحانه وتعالى[3] .

ثم أتبعنا ذلك في المطلب الثاني بذكر أهم الشبه التي يستدل بها المتصوفة لتجويز التوجه إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة وبينا بطلان استدلالهم بتلك الشبه التي أوردوها لكي يستدلوا بها على مشروعية دعاء غير

---

(١) غافر : (٦٠) .

(٢) البقرة : (١٨٦) .

(٣) انظر (ص ٤١٨ ـ ٤٣٨) .

اللَّه من الأنبياء والأولياء وقد أكدنا بأن النصوص الصحيحة من السنة النبوية التي أوردها المتصوفة على أنها أدلة مؤيدة لهم بأنها ضدهم[1] .

والآن في هذا المطلب نريد أن نرد على المتصوفة الذين يقولون بجواز التوجه إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة وسيشتمل هذا الرد على الإثبات بأن الدعاء عبادة من أجل العبادات وأنه لا يجوز صرفه لغير اللَّه كائنًا من كان وكذا سأتطرق في هذا الرد على بيان حقيقة الرسول محمد ﷺ والتأكيد بأنه عبد من عباد اللَّه لا يستحق شيئًا من حقوق الألوهية كالدعاء والاستغاثة وغيرها من العبادات التي يصرفها المتصوفة له .

وسأتطرق في هذا الرد أيضًا إلى بيان بأن التوجه إلى الرسول ﷺ يعتبر شركًا باللَّه سبحانه وتعالى مع بيان خطورة الشرك .

مكانة الدعاء في العقيدة الإسلامية :

يعتبر الدعاء في العقيدة الإسلامية عبادة من أجل العبادات التي يتعبد بها المؤمن ربه ولعظم مكانته فقد قال عنه الرسول ﷺ : « **الدعاء مخ العبادة** »[2] .

وللدعاء أقسام كثيرة ذكرها العلماء في كتبهم ولكن نظرًا لطولها أريد أن أختصر على أهم الأقسام التي ذكرها المحققون لأقسام الدعاء ولأن هذين القسمين من أقسام الدعاء هما القسمان المتعلقان بهذا البحث حيث أن المتصوفة يفرقون بين دعاء العبادة ودعاء المسألة فيقولون بأنه يجوز التوجه إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة لأن هذا دعاء مسألة ونداء وليس دعاء عبادة .

---

(١) انظر (ص٤٣٩ ـ ٤٧٠) .

(٢) « سنن الترمذي » (٥/٤٢٦) .

وقد قسم كثير من العلماء الدعاء إلى قسمين وهما : دعاء عبادة ودعاء مسألة .

ومن هؤلاء العلماء الذين قسموا الدعاء إلى هذين القسمين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه فقد قال في تفسير قول اللّه تعالى : ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[2] .

قال رحمه اللّه :

« هاتان الآيتان مشتملتان على آداب نوعي الدعاء دعاء العبادة ودعاء المسألة فإن الدعاء في القرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة ويراد به مجموعهما وهما متلازمان فإن دعاء المسألة هو طلب ما ينفع وطلب كشف ما يضره ودفعه وكل من يملك الضر والنفع فإنه هو المعبود لابد أن يكون مالكًا للنفع والضر ولهذا أنكر تعالى على من عبد من دونه ما لا يملك ضرًا ولا نفعًا وذلك كثير من القرآن الكريم لقوله تعالى : ﴿ **وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ** ﴾[3] .

وقال : ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ** ﴾[4] .

فنفى سبحانه عن هؤلاء المعبودين الضر والنفع القاصر والمتعدي فلا يملكون لأنفسهم ولا لعابديهم وهذا كثير في القرآن يبين تعالى أن المعبود

---

(١) الأعراف : (٥٥) .

(٢) الأعراف : (٥٦) .

(٣) يونس : (١٠٦) .

(٤) يونس : (١٨) .

لابد أن يكون مالكًا للنفع والضر فهو يدعو للنفع والضر دعاء المسألة ويدعو خوفًا ورجاءً دعاء العبادة فعلم أن النوعين متلازمان فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة .

وعلى هذا فقوله : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[1] يتناول نوعي الدعاء وبكل منهما فسرت الآية قيل : أعطيه إذا سألني وقيل أثيبه إذا عبدني ، والقولان متلازمان وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنييه كليهما أو استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه بل هذا استعماله في حقيقته المتضمنة للأمرين جميعًا فتأمله فإنه موضوع عظيم النفع وقل من يفطن له وأكثر آيات القرآن دالة على معنيين فصاعدًا فهي من هذا القبيل »[2] .

مما سبق تبين لنا أن الدعاء ينقسم إلى قسمين دعاء عبادة ودعاء مسألة وأن كلا النوعين من أنواع الدعاء من خصائص اللّه تعالى فلا يليق بأحد من المخلوقات كائنًا من كان سواءً كان ملكًا مقربًا أو نبيًا مرسلاً أن يصرف له أي نوع من أنواع الدعاء السابقة وهذا خلافًا لما يزعمه الذين يدعون غير اللّه ويقولون : إن الآيات القرآنية التي تنهى عن دعاء غير اللّه إنما هو المقصود بها دعاء العبادة فقط أما دعاء المسألة فإنه يجوز أن يصرف لغيره لأنه ليس عبادة وقد كذبوا فإن الدعاء من أجل العبادات التي يتعبد بها الإنسان المؤمن ربه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

« وكلا نوعي الدعاء مختصان باللّه تعالى حقان له لا يصلحان لغيره بل

---

(١) البقرة : (١٨٦) .

(٢) « مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية » (١٥/ ١٠ ـ ١١) وكذلك « بدائع الفوائد » لابن القيم (٣/ ٢) .

دعاء غيره بأحد النوعين شرك وذلك من معنى أنه الأحد الصمد فإن كونه أحدًا يوجب أن لا يشرك به في العبادة والاستغاثة فلا يدعى غيره والاسم الصمد جاء معرفًا يبين أنه هو الصمد الذي يستحق أن يصمد إليه بكلا نوعي الصمد وهذان الاسمان الأحد والصمد لم يذكرا في القرآن إلا في هذه السورة ـ يعني سورة الإخلاص ـ واللَّه هو المقصود لذاته ولما يطلب منه فهو مقصود مدعو لنفسه كما أنه مقصود مدعو لما يُسأل عنه ويطلب منه وهو الصمد في الأمرين لا يصلح لغيره أن يكون هو المعبود ولا أن يكون هو المتوكل عليه المستعان به المسئول منه »[١] .

وقال الشيخ سليمان بن عبد اللَّه بن محمد بن عبد الوهاب :

« واعلم أن الدعاء نوعان دعاء عبادة ودعاء مسألة ويراد به في القرآن هذا تارة وهذا تارة ويراد به مجموعهما وهما متلازمان» .

ثم قال : «الدعاء عبادة من أجل العبادات بل هو أكرمها على اللَّه فإن لم يكن الإشراك فيه شركًا فليس في الأرض شرك وإن كان في الأرض شرك فالشرك في الدعاء أولى أن يكون شركًا من الإشراك في غيره من أنواع العبادات بل الإشراك في الدعاء هو أكبر شرك المشركين الذين بعث اللَّه إليهم رسول اللَّه فإنهم يدعون الأنبياء والصالحين والملائكة ويتقربون إليهم ليشفعوا لهم عند اللَّه »[٢] .

وقال عبد اللَّه القصيمي :

« وقد ورد إطلاق العبادة على دعاء اللَّه بقوله تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ

---

(١) « بيان تلبيس الجهمية » لابن تيمية (٢/ ٤٥٧ ـ ٤٥٨) .

(٢) « تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد » (ص٢١٩) .

دَاخِرِينَ﴾[1] .

وقوله ﷺ : « **الدعاء مخ العبادة** »[2] .

والعبادة إذا ورد ذكرها في القرآن أو في السنة مطلقة كقوله : ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾[3] وقوله : ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**﴾[4] وقوله : ﴿ **فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ**﴾[5] .

فلا ريب أن العبادة إذا أطلقت كما في هذه الآيات تضمنت الدعاء وغيره من أنواع العبادات . . . ولا يختلف الناس أن من دعا اللّه فقد قام بجزء من العبادة المأمور بها بل لا يختلفون أن الدعاء من أفضل العبادات كما جاء في الحديث « **الدعاء هو العبادة** »[6] وذلك لشرفه وسمو منزلته حتى كأنه خلاصة العبادة وأطيبها ولا يختلف الناس أن الدعاء والنداء كانا من أجزاء العبادة . . . وقد نص القرآن والسنة نصًا جليًا علي أن الدعاء عبادة وذلك كقوله تعالى : ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾[7] .

فإن هذه الآية نص جلي على أن الدعاء عبادة وعلى أنه من أفضل أجزائها وأشرفها

أما النص من السنة على أن الدعـــاء عبـادة فهو قوله ﷺ : « **الدعاء هو العبادة** »[8] .

---

(١) غافر : (٦٠) .

(٢) « سنن الترمذي » (٥/ ٤٢٦) .

(٣) الحجر : (٩٩) .

(٤) النساء : (٣٦) .

(٥) الزمر : (٢) .

(٦) « سنن الترمذي » (٥/ ٤٢٦) .

(٧) غافر : (٦٠) .

(٨) « سنن الترمذي » (٥/ ٤٢٦) .

ومما سبق يتضح لنا جليًا بأن الدعاء يعتبر عبادة من أهم العبادات التي يتعبد بها المرء ربه وأن الذين يصرفون هذه العبادة لغير اللَّه سبحانه وتعالى قد صرفوا جزءاً من حقوق اللَّه سبحانه وتعالى إلى غيره وما دام الأمر كذلك فكل من صرف شيئًا من الدعاء إلى غير اللَّه سواء كان هذا المدعو ملكًا مقربًا أو نبيًا مرسلاً فقد وقع في الإشراك باللَّه سبحانه وتعالى وهذا ما سأوضحه إن شاء اللَّه فيما يأتي .

والآن بعد أن أثبتنا بأن الدعاء عبادة من أهم العبادات نريد أن نشرع في الرد على المتصوفة وسيشتمل الرد على الأمور التالية :

أولاً : إثبات بأن الرسول عبد من عباد اللَّه وهذا هو الوصف الذي وصفه اللَّه به وأنه لا يملك لنفسه ضراً وأنه لا يقدر على تخليص أحد من النار إلا أن يتغمده اللَّه برحمته وأن الشيء الوحيد الذي ينجي الإنسان بسببه هو الإيمان الصادق والعمل الصالح الموافق للكتاب والسنة .

وبعد هذا سأورد الآيات التي تنهى عن الإشراك باللَّه سبحانه وتعالى أحدًا من خلقه كائنًا من كان .

ثم سأتبع ذلك بأقوال العلماء في حكم دعاء الرسول والاستغاثة به .

الرد على الصوفية الذين يقولون بجواز التوجه إلى الرسول ﷺ بالدعاء والاستغاثة :

لقد رأينا في المدائح الصوفية التي أوردتها عن أئمتهم في المطلب الأول من هذا المبحث والتي غلوا فيها غلواً شديداً حتى رفعوا الرسول إلى منزلة الألوهية والربوبية فتوجهوا إليه بالدعاء والاستغاثة وطلبوا منه أموراً لا يجوز طلبها إلا من اللَّه سبحانه وتعالى كغفران الذنوب وتفريج الكروب

وإذهاب الهموم والغموم والنجاة من النار ووصفوه بأنه ملاذهم الوحيد الذي لا ملاذ لهم سواه[1] ونسوا اللَّه عز وجل الذي قال في كتابه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[2] .

ونحن نقول للمتصوفة : إن الرسول ﷺ ما هو إلا عبد من عباد اللَّه الذين خلقهم لعبادته وحده وفضله اللَّه بالرسالة وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين وفضله على العالمين وخصه بخصائص كثيرة دون إخوته من الأنبياء والمرسلين جميعًا ولكن مع ذلك كله لا يخرجه هذا عن طور العبودية للَّه سبحانه وتعالى وقد وصفه اللَّه عز وجل بالعبودية له في أكمل أحواله فقال في الإسراء : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[3] .

وقال في الإيحاء : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (10) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (11) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾[4] .

وقال في الدعوة : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾[5] .

وقال في التحدي : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ

---

(١) انظر (ص٧١٩ ـ ٨١٩) .

(٢) البقرة : (١٨٦) .

(٣) الإسراء : (١) .

(٤) النجم : (١٠ ـ ١٢) .

(٥) الجن : (١٩) .

مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1] .

إذا نظرنا في الآيات السابقة نرى أن اللَّه سبحانه وتعالى وصف رسوله بالعبودية له حيث أضافه إليه فقال : ﴿ **إِلَىٰ عَبْدِهِ**﴾ في الأماكن الأربعة وهو وصف عظيم في الحقيقة لا يجده إلا من حقق العبودية الكاملة للَّه سبحانه وتعالى ولذا أقول : الرسول عبد من عباد اللَّه لا يستحق شيئًا من العبادات التي يتعبد بها اللَّه وبما أن الدعاء عبادة والاستغاثة أيضًا فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه عبادة فلا يجوز صرفهما للرسول ﷺ لأنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضراً وما دام لا يملك ذلك لنفسه فمن باب أولى لا يملكه لغيره وقد أمره اللَّه في كتابه العزيز أن يقول إنه بشر لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا فقال تعالى : ﴿ **قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾**[2] .

ففي هذه الآية أمر اللَّه رسوله محمداً ﷺ أن يصرح بأنه لا يملك نفعًا ولا ضرًا لنفسه فضلاً عن أن يملك جر النفع ودع الضرر عن غيره وأنه لو كان النفع والضر بيده لما أصيب بأمور يكرهها في هذه الدنيا ولكن لما كان لا يملك ذلك فقد أصيب الرسول ﷺ بأذى كثير من الكفرة في غزواته ومنها الإصابات التي أصيب بها في غزوة أحد كما هو معروف في السير ولذا يعتبر توجه المتصوفة إليه بالدعاء والاستغاثة عبثًا وهراءً وشركًا باللَّه عز وجل وقد نهى اللَّه عز وجل عن الشرك باللَّه في كتابه العزيز ووصفه بأنه ظلم عظيم فقال تعالى حاكيًا لنا وصية لقمان لابنه : ﴿ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا**

---

(١) البقرة : (٢٣) .

(٢) الأعراف : (١٨٨) .

بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[1] .

ففي هذه الآية أوصى لقمان عليه السلام لابنه بالابتعاد عن الوقوع في الشرك باللَّه لأنه أكبر ظلم وكيف لا يكون كذلك وهو أكبر معصية عصي بها اللَّه عز وجل في هذا الكون .

وقد وصف اللَّه سبحانه وتعالى في آية أخرى بأن من يشرك باللَّه مثل الإنسان الذي يسقط من السماء فيصير قطعًا فتتخطفه الطيور أو تذروه الرياح وتبعثره وتذهب به إلى مكان سحيق وذلك لأن الشرك ضرره خطير قال تعالى : **﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾**[2] .

فالشرك كما ترى في هذه الآية أمره خطير جدًا ومن الآيات الدالة على خطورة الشرك أن اللَّه سبحانه وتعالى يغفر جميع الذنوب التي يرتكبها الإنسان المسلم مهما كانت إلا الشرك فإنه سبحانه وتعالى لا يمكن أن يغفر لإنسان مات مشركًا ويدل على هذا قول اللَّه تعالى : **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾**[3] .

ففي هذه الآية أخبر اللَّه سبحانه بأنه لا يغفر لمن مات مشركًا وأما ما دون الشرك فإنه تحت مشيئة اللَّه سبحانه ولذا ينبغي الحذر من الوقوع في الشرك باللَّه وقد أمر اللَّه رسوله أن يقول إنه بشر وأن ميزته التي يتميز بها عن البشر الآخرين هو الوحي وأن الإله الذي يستحق صرف العبادات جميعها له

---

(١) لقمان : (١٣) .

(٢) الحج : (٣١) .

(٣) النساء : (٤٨) .

هو اللَّه سبحانه وتعالى لا غيره فقال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[1] .

وقد أمره اللَّه في آية أخرى أيضًا أن يقول إنه لا يعلم ما سيفعل به هو شخصيًا ولا يعلم ما سيفعل بأمته وإنه ما هو إلا متبع لما يوحى إليه من قبل اللَّه عز وجل والذي لا يدري ما يفعل به ولا يدري ما سيفعل بأمته لا يستحق أن يصرف له شيء من العبادة التي لا يستحقها إلا اللَّه سبحانه وتعالى لأن الذي يدعى لابد أن يكون عالمًا بالشيء قادرًا على دفعه وهذا يبرأ منه الرسول ﷺ كما هو أمامنا في هذه الآية الآتية قال تعالى : ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[2] .

وإذا كان الرسول ﷺ لا يعرف ما يفعل به في المستقبل ولا بأصحابه وهو في الحياة الدنيا قبل موته فكيف يعرف مشاكل الصوفية بعد أن مات حتى يتوجهوا إليه بالدعاء والاستغاثة من دون اللَّه تعالى إلا إذا قال المتصوفة الشريعة ما هي إلا لأهل الظاهر فقط أما أهل الحقيقة فإنهم لهم شريعة أخرى غير القرآن والسنة .

والحاصل أنه قد تبين لنا من خلال الآيات السابقة التي أوردتها ومن أقوال العلماء التي ذكرتها أن الدعاء نوعان وأن كلاً من النوعين مستلزم للنوع الآخر وأن كلاً منهما عبادة لا يجوز صرفها لغير اللَّه سبحانه وتعالى كائنًا من كان وأن الرسول عبد من عباد اللَّه الذين خلقهم لعبادته واصطفاه برسالته وأن

---

(١) الكهف : (١١٠) .

(٢) الأحقاف : (٩) .

أفضل وصف وصف به هو وصفه بأنه عبد اللّٰه وما دام الأمر كذلك فقد بينا بأن صرف الدعاء والاستغاثة به يعتبر شركًا باللّٰه عز وجل وبينا خطورة الشرك وأنه من أكبر المعاصي التي لا يغفرها اللّٰه إلا بالتوبة منها قبل الموت وأن الرسول ﷺ قد تبرأ ممن يدعونه من دون اللّٰه وأخبر بأنه لا يملك شيئًا من النفع والضر فضلاً عن أن يملكه لغيره وعلى هذا نقول : إن كل من يدعو الرسول ويستغيث به محاد للّٰه ولرسوله فهو داخل تحت هذه الآية : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً**﴾[2] .

أما من السنة فقد وردت أحاديث كثيرة تؤكد بأن الرسول ﷺ لا يعلم ما سيفعل به في المستقبل وأنه لا يستطيع دخول الجنة إلا إذا أدخله اللّٰه فيها برحمته وإليك النصوص الدالة على هذا :

الحديث الأول : قال رسول اللّٰه ﷺ : « **واللّٰه ما أدري وأنا رسول اللّٰه ما يفعل بي** »[3] .

والحديث الثاني : قول الرسول ﷺ : « **لن يدخل أحدكم الجنة بعمله قالوا : حتى أنت يا رسـول اللّٰه : قال : حتى أنا إلا أن يتغمدني اللّٰه برحمة منه وفضل** »[4] .

---

(١) المجادلة : (٢٠ ـ ٢١) .

(٢) النساء : (١١٥) .

(٣) « صحيح البخاري » مع الفتح (٣/ ١١٤) .

(٤) « صحيح البخاري » مع الفتح ، مع اختلاف في بعض الألفاظ (١٠/ ١٢٧) .

ففي هذين الحديثين صرح الرسول ﷺ بأنه لا يعرف ما يفعل به وأنه لا يستطيع أن يدخل أحد بعمله الجنة إلا بفضل اللَّه حتى صلوات اللَّه وسلامه عليه وإذا كان الرسول كذلك لا يملك لنفسه دخول الجنة إلا برحمة اللَّه فتوجه المتصوفة إليه بالدعاء والاستغاثة يعتبر عبثًا وهراء وما أوقعهم في هذا الشرك إلا حبهم للخرافة والابتداع والوقوع في حبائل الشرك .

ومما يدل على أن الرسول لا يغني عن أحد شيئًا كائنًا من كان أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ﴾[1] دعا الرسول صلوات اللَّه وسلامه عليه قريشًا فلما اجتمعوا قال لهم : « **يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من اللَّه فإني لا أغني عنكم من اللَّه شيئًا يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من اللَّه شيئًا يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من اللَّه شيئًا يا صفية عمة رسول اللَّه لا أغني عنك من اللَّه شيئًا يا فاطمة بنت رسول اللَّه سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من اللَّه شيئًا** »[2] .

ففي هذا الحديث نصح الرسول ﷺ عشيرته الأقربين ودعاهم إلى الإيمان باللَّه سبحانه وتعالى الإيمان الصحيح والأعمال الصالحة من أجل أن ينقذوا أنفسهم من النار وأخبرهم بأن مجرد قرابتهم للرسول ﷺ لا تنفعهم وأنه لا يستطيع أن يخلصهم من عقاب اللَّه وهذا دليل واضح على أن الرسول ﷺ لا يملك جلب نفع لأحد ولا دفع ضر عنه وأنه ما هو إلا رسول فقط وأن مهمته هي تبليغ دعوة اللَّه لهذه البشرية حتى تخرج من الظلمات إلى النور أما أن يصرف له شيء من حقوق الألوهية فيتوجه إليه بالدعاء والاستغاثة من أجل تفريج الكروب وغفران الذنوب وأن يوصف بأنه الملاذ

---

(١) الشعراء : (٢١٤) .

(٢) « صحيح مسلم » مع النووي (٣/ ٨٠) .

الوحيد للخلائق فهذا ليس من شأنه بل هذا حق من حقوق اللَّه تعالى لا يجوز صرفه لغيره .

وكيف يتوجه إليه المتصوفة بالدعاء والاستغاثة ويطلبون منه أمورًا لا يجوز طلبها إلا من اللَّه وهو قد زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ثم قال رسول اللَّه ﷺ : « **استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكر الموت** »[1] .

وثبت أيضًا في « صحيح مسلم » أن رجلاً قال : يا رسول اللَّه أين أبي؟ قال : « **في النار** » فلما قفى دعاه فقال له : « **إن أبي وأباك في النار** »[2] .

فانظر كيف أن الرسول ﷺ لم يستطع أن ينفع والديه وهما أقرب الناس إليه فكيف نتصور أن الرسول ﷺ يغفر ذنوب من جاءوا بعد موته ويفرج همومهم من أولئك المتصوفة المخرفة الذين يتوجهون إليه بالدعاء والاستغاثة ضاربين بتلك الآيات التي تصف الداعي لغير اللَّه أضل إنسان عرض الحائط مثل قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ** ﴾[3] .

وناسين بل متناسين أيضًا تلك الآيات التي قررت بأن كل مدعو دون اللَّه ما هو إلا عبد وأنه لا يستطيع نصر من يدعوه سواء كان هذا المدعو ملكًا أو نبيًا أو حجرًا أو شجرًا ومن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن**

---

(١) « صحيح مسلم » مع النووي (٧/٤٦) .

(٢) « صحيح مسلم » مع النووي (٣/٧٩) .

(٣) الأحقاف : (٥ ـ ٦) .

دُون اللَّه عبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾[1] .

ففي هذه الآية أخبرنا اللَّه سبحانه وتعالى بأن المدعوين من دون اللَّه لا يستطيعون نصر من يدعونهم لأنهم عاجزون عن نصر أنفسهم فضلاً عن أن ينصروا غيرهم ومن كان عاجزاً عن نصر نفسه لا ينبغي أن يتوجه إليه بالدعاء والاستغاثة لأنه لا يملك إجابة دعاء من دعاه ولا إغاثة من استغاث به لأن هذه من خصوصية اللَّه عز وجل فلا ينبغي أن تصرف لغيره ومن صرفها لغيره فدعا غيره واستغاث بغيره فقد وقع في الشرك الأكبر .

وهناك نص قاطع من السنة النبوية بأن الرسول ﷺ قال للصحابة حينما قالوا : قوموا نستغيث برسول اللَّه : إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث باللَّه .

وهذا نص الحديث :

روى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول اللَّه ﷺ من هذا المنافق فقال النبي ﷺ : « **إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث باللَّه** »[2] .

وفي حديث آخر حينما قال الصحابي للرسول ﷺ : ما شاء اللَّه وشئت قال : « **بل ما شاء اللَّه وحده أجعلتني للَّه ندا** »[3] .

---

(١) الأعراف : (١٩٤ ـ ١٩٧) .

(٢) « مجمع الزوائد » (١٠/ ١٥٩) وأخرجه أحمد في « المسند » (١/ ٢١٤) .

(٣) البخاري في « الأدب المفرد » وحسنه الألباني في « الصحيحة » (ص١٣٩) .

إذا نظرنا في الحديثين السابقين نجد أن الرسول ﷺ أنكر على الصحابة الذين قالوا قوموا نستغيث برسول اللّه ﷺ وأخبرهم بأن الذي يستغاث به هو اللّه سبحانه وتعالى لأنه هو الذي يستطيع أن يغيث من استغاث به أما هو فلا يستغاث به لأنه عاجز عن إغاثة من استغاث به في الأمور التي لا يمكن أن يقدر عليها إلا اللّه سبحانه وتعالى وهذا في حال حياته أما بعد موته فإنه لا يجوز أن يستغاث برسول اللّه إطلاقًا لأنه انتقل من هذه الدار الفانية إلى الدار الباقية فكل من استغاث به بعد موته وطلب منه غفران الذنوب وتفريج الكرب وإزالة الهموم والغموم فقد صرف له شيئًا من العبادات التي لا يجوز صرفها لغير اللّه سبحانه وتعالى وحينئذ يعتبر وقع في الشرك .

أما في الحديث الثاني فقد أنكر الرسول ﷺ على الذي عطف مشيئته على مشيئة اللّه سبحانه وتعالى فقال له مبينًا له خطورة هذه الكلمة وهو قوله : «ما شاء اللّه وشئت » : « **أجعلتني للّه ندًا** » فالرسول كما نرى في هذا الحديث اعتبر عطف مشيئة الرسول على مشيئة اللّه بحرف الواو إشراكًا باللّه سبحانه وتعالى وهذا رد كاف ومقنع في الحقيقة على المتصوفة الذين رفعوا الرسول ﷺ إلى منزلة الألوهية فصرفوا له أنواعًا من العبادات رغم أن العبادات لا يجوز صرفها لغير اللّه سبحانه وتعالى لا لنبي ولا لولي ولا للملائكة ولا غيرهم من المخلوقات ولذا أقول إن توجه المتصوفة إلى الرسول ﷺ بالدعاء والاستغاثة يعتبر شركًا باللّه سبحانه وتعالى لأنه صرف شيء من العبادات لغير اللّه وصرف شيء من العبادات لغير اللّه يعتبر عبادة لغيره وما الشرك إلا هذا بعينه والشرك أمره خطير فيجب أن يبتعد عنه المسلم لأنه لا يمكن أن يبقى مع الشرك عمل صالح ويدل على هذا قول اللّه تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ**

﴿الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾[1] .

ففي هذه الآية أخبرنا اللّه سبحانه وتعالى بأنه أوحى إلى الرسول ﷺ وإلى الأنبياء من قبله بأنه لو وقعوا في الشرك باللّه لأحبط أعمالهم وأبطلها فإذا كان الشرك خطورته بهذا المستوى وهو أنه يحبط أعمال الأنبياء ولما بقي لهم أي عمل صالح لو وقعوا في الشرك فكيف بمن سواهم إذا وقع في الشرك فإنه من باب أولى يحبط عمله ويبطل ويصبح هباء منثوراً .

ولذا ينبغي للمتصوفة أن يتنازلوا عن هذه الأدعية الشركية التي توجهوا بها إلى الرسول ﷺ وطلبوا منه غفران الذنوب وتفريج الكرب والغموم والأخذ باليد يوم الميعاد ويتوجهوا إلى خالقهم الذي بيده ملكوت كل شيء والذي لا يغفر الذنوب سواه ولا يستطيع إجابة المضطر سواه .

قال تعالى : ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[4] .

والخلاصة التي نخرج بها أن الرسول ﷺ بشر مثلنا وأنه ما خلق إلا لعبادة اللّه كما خلق غيره من الإنس والجن وأنه لا يستحق شيئًا من العبادة وقد سبق لنا أنه قال لا يستغاث به وإنما يستغاث باللّه سبحانه وتعالى وأنه لا

---

(١) الزمر : (٦٥ ـ ٦٦) .

(٢) الأعراف : (٥٤) .

(٣) آل عمران : (١٣٥) .

(٤) النمل : (٦٢) .

يستطيع أن ينجي أحدًا من النار حتى ولو أقرب الأقربين إليه إلا إذا مات مؤمنًا باللّه ولذا أقول: إن توجه المتصوفة إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة يعتبر شركًا باللّه سبحانه وتعالى ومع أن ما قلناه كاف ومقنع لمن يريد الوصول إلى الحق والهداية إلى الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه فإننا نريد أن ندعم ما قلناه بآراء العلماء في حكم التوجه إلى الرسول ﷺ بالدعاء والاستغاثة وذلك حتى لا نتهم بأننا أول من أتى بهذا الكلام وأن هذا الأمر لم يتكلم عنه أحد في العصور السابقة من علماء الأمة الإسلامية عبر عصورها المختلفة كما يدعي عباد القبور من المتصوفة وغيرهم في أرجاء العالم الإسلامي .

أقوال العلماء في حكم التوجه إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة :

لقد أنكر العلماء قديمًا وحديثًا التوجه إلى الرسول أو إلى غيره من المخلوقات كائنًا من كان بالدعاء والاستغاثة واعتبروا ذلك صرف شيء من أجل العبادات وأعظمها لغير اللّه سبحانه وتعالى وحتى يتضح لك بأن دعاء الرسول والاستغاثة به يعتبر شركًا باللّه سبحانه وتعالى إليك طائفة من أقوال بعض أولئك العلماء الأجلاء .

أولاً : أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية في حكم التوجه إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة .

يعتبر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه من أكثر العلماء الذين أوتوا مقدرة فائقة في الرد على المبتدعين بشتى أصنافهم من صوفية وجهمية ومعتزلة وأشعرية وخوارج وشيعة وغيرها من الفرق الضالة .

ولقد اعتبر شيخ الإسلام ابن تيمية التوجه إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة شركًا باللّه عز وجل وإليك طائفة من أقواله في هذا المجال .

قال شيخ الإسلام بعد أن أورد هاتين الآيتين وهما قوله تعالى : ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾[١] .

وقوله سبحانه : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾[٢] .

قال شيخ الإسلام :

«قالت طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح والعزير والملائكة فبين اللّه أن الملائكة والأنبياء لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلاً وأنهم يتقربون إلى اللّه ويرجون رحمته ويخافون عذابه وقال تعالى : ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ﴾[٣] .

وقوله سبحانه : ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٤] » .

ثم قال شيخ الإسلام :

« فبين سبحانه أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابًا كفر . فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين »[٥] .

---

(١) الأنعام : (٥١) .

(٢) الإسراء : (٥٦) .

(٣) آل عمران : (٧٩) .

(٤) آل عمران : (٨٠) .

(٥) « الرسالة » لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن « مجموعة التوحيد » (ص١١٩) .

وقال في كتابه « التوسل والوسيلة » :

« فأما ما لا يقدر عليه إلا اللَّه تعالى فلا يجوز أن يطلب إلا من اللَّه سبحانه لا يطلب ذلك لا من الملائكة ولا من الأنبياء ولا من غيرهم ولا يجوز أن يقال لغير اللَّه اغفر لي واسقنا الغيث وانصرنا على القوم الكافرين أو اهد قلوبنا ونحو ذلك »[1] .

وقال في نفس الكتاب في مكان آخر :

« ولا يجوز لأحد أن يستغيث بأحد من المشائخ الغائبين ولا الميتين مثل أن يقول : يا سيدي فلانًا أغثني وانصرني وادفع عني وأنا في حسبك ، ونحو ذلك بل كل هذا من الشرك الذي حرمه اللَّه ورسوله وتحريمه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام وهؤلاء المستغيثون بالغائبين والميتين عند قبورهم وغير قبورهم لما كانوا من جنس عباد الأوثان صار الشيطان يضلهم ويغويهم كما يضل عباد الأصنام ويغويهم فتتصور الشياطين في صورة ذلك المستغاث به وتخاطبهم بأشياء على سبيل المكاشفة كما تخاطب الشياطين الكهان »[2] .

وقال أيضًا في نفس الكتاب :

« وأما دعاء الرسول وطلب الحوائج منه وطلب شفاعته عند قبره أو بعد موته فهذا لم يفعله أحد من السلف ومعلوم أنه لو كان قصد الدعاء عند القبر مشروعًا لفعله الصحابة والتابعون وكذلك السؤال به فكيف بدعائه وسؤاله بعد موته . . . فإن هذا كله من فعل النصارى وغيرهم من المشركين

(١) « التوسل والوسيلة » لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص١٣٦) .

(٢) « التوسل والوسيلة » لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص١٥٤) .

ومن ضاهاهم من مبتدعة هذه الأمة ليس هذا من فعل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ولا مما أقر به أحد من أئمة المسلمين »[١] .

وقال أيضًا في نفس الكتاب :

« وإذا تكلمنا فيما يستحقه اللَّه تبارك وتعالى من التوحيد بينا أن الأنبياء وغيرهم من المخلوقين لا يستحقون ما يستحقه اللَّه تبارك وتعالى من خصائص فلا يشرك بهم ولا يتوكل عليهم ولا يستغاث بهم كما يستغاث باللَّه ولا يقسم على اللَّه بهم ولا يتوسل بهم بذواتهم وإنما يتوسل بالإيمان بهم وبمحبتهم وطاعتهم وموالاتهم وتعزيرهم وتوقيرهم ومعاداة من عاداهم وطاعتهم فيما أمروا وتصديقهم فيما أخبروا وتحليل ما حللوه وتحريم ما حرموه »[٢] .

وقال شيخ الإسلام في « الرسالة السنية » :

« إن كل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعًا من الإلهية مثل أن يقول يا سيدي فلان أغثني أو انصرني أو ارزقني أو أجرني وأنا في حسبك ونحو هذه الأقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل فإن اللَّه إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده ولا يجعل معه إلهًا آخر .

والذين يدعون مع اللَّه آلهة أخرى مثل المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق أو تنزل المطر أو تنبت النبات وإنما كانوا

---

(١) « التوسل والوسيلة » لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٧٠) .

(٢) نفس المرجع (ص١٢٢) .

يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو صورهم ويقولون ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾.

ويقولون : ﴿هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ .

فبعث اللَّه رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة. . . » .

ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

« وعبادة اللَّه وحده لا شريك له هي أصل الدين وهو التوحيد الذي بعث اللَّه به الرسل وأنزل به الكتب »[١] .

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[٣] .

ثانيًا : إليك أقوال الإمام ابن القيم رحمه اللَّه في حكم الاستغاثة بغير اللَّه ودعاء غيره :

فقد قال رحمه اللَّه في كتابه « مدارج السالكين » متحدثًا عن أنواع الشرك :

« ومن أنواعه ـ أي الشرك ـ طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم

---

(١) « الرسالة السنية » لشيخ الإسلام ابن تيمية نقلا عن « تيسير العزيز الحميد » (ص٣٣٨) .

(٢) النحل : (٣٦) .

(٣) الأنبياء : (٢٥) .

والتوجه إليهم وهذا أصل شرك العالم فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعًا فضلاً لمن استغاث به أو سأله أن يشفع إلى اللَّه وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده فإن اللَّه سبحانه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه واللَّه سبحانه لم يجعل سؤال غيره سببًا لإذنه وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن والميت محتاج إلى من يدعو له كما أمرنا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم وندعو لهم ونسأل لهم العافية والمغفرة فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة وجعلوا قبورهم أوثانًا تعبد فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبتهم إلى التنقص بالأموات وهم قد تنقصوا الخالق سبحانه بالشرك وأولياءه الموحدين بذمهم ومعاداتهم وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص إذ ظنوا أنهم راضون منهم بذلك وأنهم أمروهم به وهؤلاء أعداء الرسل في كل زمان ومكان وما أكثر المستجيبين لهم وللَّه در خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيث قال : ﴿ **وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[1] .

وما نجا من أشرك بهذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده للَّه وعادى المشركين في اللَّه وتقرب بمقتهم إلى اللَّه »[2] .

وقال الإمام ابن القيم في « إغاثة اللهفان » :

« ومن المحال أن يكون دعاء الموتى أو الدعاء بهم أو الدعاء عندهم

(١) إبراهيم : (٣٥ ـ ٣٦) .

(٢) « مدارج السالكين » لابن القيم (١/ ٣٤٦) .

مشروعًا وعملا صالحًا ويصرف عنه أهل القرون الثلاثة المفضلة بنص رسول الله ﷺ ثم يرزقه الخلوف الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فهذه سنة رسول الله ﷺ في أهل القبور بضعًا وعشرين سنة حتى توفاه الله تعالى وهذه سنة خلفائه الراشدين وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان هل يمكن لبشر على وجه الأرض أن يأتي عن أحد منهم بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف أو منقطع أنهم كانوا إذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا بها فضلاً أن يصلوا عندها أو يسألوا الله بأصحابها أو يسألوهم حوائجهم فليوقفونا على أثر واحد أو حرف واحد في ذلك بلى يمكنهم أن يأتوا عن الخلوف التي خلفت بعدهم بكثير من ذلك وكلما تأخر الزمان وطال العهد كان ذلك أكثر حتى لقد وجد في ذلك عدة مصنفات ليس فيها عن رسول الله ولا عن خلفائه الراشدين ولا عن أصحابه حرف واحد من ذلك بلى فيها من خلاف ذلك كثير » (1) .

ثالثًا : قول الإمام الحافظ ابن عبد الهادي في حكم الاستغاثة برسول الله ﷺ والتوجه إليه بالدعاء :

قال رحمه الله :

« وقوله - أي قول السبكي -: إن المبالغة في تعظيمه - أي تعظيم الرسول ﷺ - واجبة إن أريد به المبالغة بحسب ما يراه كل أحد تعظيمًا حتى الحج إلى قبره والسجود له والطواف به واعتقاد أنه يعلم الغيب وأنه يعطي ويمنع ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع وأنه يقضي حوائج السائلين ويفرج كربات المكروبين وأنه يشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء ، فدعوى المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك وانسلاخ من

(1) « إغاثة اللهفان » للإمام ابن القيم (1/202) .

جملة الدين »[1] .

رابعًا : قول عبد اللّه علي القصيمي في حكم التوجه إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة قال عبد اللّه علي القصيمي :

« إن أعلم الناس بالإسلام وأنفذهم بصرًا في الدين وأتقاهم للّه وأحرصهم على العمل الصالح الذين شهدوا تنزل الوحي ونزول القرآن وعرفوا أسباب نزوله . . . والذين هم أعلم الناس على الإطلاق بمرامي القرآن ومقاصد السنة وروحهما وفحواهما وأعني بهؤلاء صحابة رسول اللّه من المهاجرين والأنصار .

فلم نجد أحدًا من هؤلاء حاول يومًا سؤال ميت حاجة من حاجاته لا الرسول الكريم ولا من هو دونه لا في حالات السراء ولا في حالات الضراء ولم يحاول أن يطلب ميتًا قضاء حاجة واحدة من حاجاته التي تلازمه كل وقت والتي لا تنقضي ولم يستصرخ الرسول ﷺ ولا غيره بعد الموت لنازلة نزلت أو عظيمة وقعت وقد أصيب الصحابة بعد موت النبي ﷺ بمصائب متنوعة دينية ودنيوية ووقعوا في أفانين من أشراك البلاء ووقعوا في نزاع في مسائل كثيرة وفي حروب طاحنة مؤلمة ولكنهم مع هذا لم يحاولوا أن يفضوا النزاع أو يكشفوا ما بهم من بلاء بالرجوع إلى الرسول وبالرجوع إلى سؤاله والاستغاثة به والاستصراخ بشفاعته لهم عند اللّه ليكشف ما بهم وما أصابهم . . . فاقتصار الصحابة عند ذلك كله بعد موت النبي الكريم وقد اصطدموا بحاجات ملحة إليه وبأمور طاغية باغية يتعلق المصطدم بها بالأسباب كلها قويها وضعيفها برهان لا يرام إضعافه ولا القدح فيه على أنهم يرون ذلك بعد

---

(١) « الصارم المنكي في الرد على السبكي » لابن عبد الهادي (ص٣٥١) .

الموت غير جائز وغير مشروع وعلى أنهم لا يختلفون في ذلك لأنه لم يأت عن أحد منهم يعبأ به أنه فعله »[1] .

ثم قال القصيمي :

« إن عدول الصحابة عن التوجه إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة هو الاعتراف بأن طلب الأموات وسؤالهم والاستغاثة بهم ليس جائزاً ولا مشروعًا ولا مستطاعًا باتفاق الصحابة ومن تبعهم بإحسان وبإجماع سيرتهم العملية الصامتة ثم الاعتراف بأن الاستغاثة بالموتى باطلة غير جائزة بالضرورة وبالإجماع الصامت وكل جواب غير هذا هو جواب باطل مدخول متكلف»[2] .

خامسًا : قول الشيخ محمد صديق خان في حكم التوجه إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة :

قال الشيخ رحمه اللَّه :

« من استغاث بالأموات زعمًا منه أنهم يشفعون له في الدنيا فقد سلك سبيل اليهود والنصاري .

قال : إذا قال قائل أنا أدعو الشيخ ليكون شفيعًا لي فهو من جنس النصارى .

والمؤمن من يرجو ربه ويخافه ويدعوه مخلصًا له الدين وحق شيخه أن يدعو له ويترحم عليه فإن أعظم قدراً هو رسول اللَّه ﷺ وأصحابه أعلم الناس بأمره وقدره وأطوع الناس له ولم يكن يأمر أحداً منهم عند الفزع والخوف أن يقول يا سيدي يا رسول اللَّه ولم يكونوا يفعلون ذلك في حياته ولا بعد مماته بل كان يأمرهم بذكر اللَّه ودعائه والصلاة والسلام

---

(١) « الصراع بين الوثنية والإسلام » للشيخ عبد اللَّه القصيمي (ص٣٠٩ ـ ٣١٠) بإيجاز .

(٢) نفس المرجع (ص٣١٢) .

عليه ﷺ »[1] .

وقال رحمه اللَّه في تفسيره « فتح البيان » تحت قوله تعالى : ﴿**قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَراًّ وَلا نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ**﴾ .

قال : « وفي هذا أعظم وازع وأبلغ زاجر لمن صار ديدنه وهجيراه المناداة لرسول اللَّه أو الاستعانة به عند نزول النوازل التي لا يقدر على دفعها إلا اللَّه سبحانه وتعالى وكذلك من صار يطلب من الرسول ﷺ ما لا يقدر على تحصيله إلا اللَّه سبحانه فإن هذا مقام رب العالمين الذي خلق الأنبياء والصالحين وجميع المخلوقين ورزقهم وأحياهم ويميتهم فكيف يطلب من نبي من الأنبياء أو ملك من الملائكة أو صالح من الصالحين ما هو عاجز عنه غير قادر عليه ويترك الطلب لرب الأرباب القادر على كل شيء الخالق الرازق المعطي المانع وحسبك بما في الآية من موعظة فإن سيد ولد آدم وخاتم الرسل يأمره اللَّه بأن يقول لعباده : ﴿**قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَراًّ وَلا نَفْعًا**﴾ فكيف يملكه لغيره وكيف يملكه غيره ممن رتبته دون رتبته ومنزلته لا تبلغ إلى منزلته لنفسه فضلاً عن أن يملكه لغيره فيا عجبًا لقوم يعكفون على قبور الأموات الذين قد صاروا تحت أطباق الثرى ويطلبون منهم الحوائج ما لا يقدر عليه إلا اللَّه عز وجل كيف لا يستفطنون لما وقعوا فيه من الشرك ولا ينتبهون لما حل بهم من المخالفة لمعنى « لا إله إلا اللَّه » ومدلول ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ .

وأعجب من هذا اطلاع أهل العلم على ما يقع من هؤلاء ولا ينكرون عليهم ولا يحولون بينهم وبين الرجوع إلى الجاهلية الأولى إلى ما هو أشد منها فإن أولئك يعترفون بأن اللَّه سبحانه هو الخالق الرازق المحيي المميت

---

(١) « الدين الخالص » للشيخ محمد صديق حسن خان (ص٢٦) .

الضار النافع وإنما أصنامهم شفعاء لهم عند اللّٰه ومقربون لهم إليه وهؤلاء يجعلون لهم القدرة على الضر والنفع وينادونهم تارة على الاستقلال وتارة مع ذي الجلال وكفاك من شر سماعه واللّٰه ناصر دينه ومظهر شريعته من أوضار الشرك وأدناس الكفر ولقد توسل الشيطان أخزاه اللّٰه بهذه الذريعة إلى ما تقر عينه وينثلج به صدره من كفر كثير من هذه الأمة المباركة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا وإنا للّٰه وإنا إليه راجعون »[1] .

سادسًا : أقوال الشيخ رشيد رضا في حكم التوجه إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة :

قال رحمه اللّٰه تحت تفسير قوله تعالى : ﴿**قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ**﴾ الآية :

« هذه الآية من أعظم أصول الدين وقواعد عقائده ببيانها لحقيقة الرسالة والفصل بينها وبين الربوبية والألوهية وهدمها لقواعد الشرك ومباني الوثنية من أساسها . . . والناس قد فتنوا منذ قوم نوح بمن اصطفاهم اللّٰه ووفقهم لطاعته وولايته من الأنبياء ومن دون الأنبياء من الصالحين فجعلوهم شركاء للّٰه تعالى فيما يرجوه عباده من نفع يسوقه إليهم وما يخشونه من شر يمسهم فيدعونه ليكشفه عنهم وصاروا يدعونهم كما يدعونه لذلك إما استقلالاً وإما إشراكًا إذ منهم من يظن أنه تعالى قد أعطاهم القدرة على التصرف في خلقه بما هو فوق الأسباب التي منحها اللّٰه تعالى لسائر الناس فصاروا يستقلون بالنفع والضر منحًا ومنعًا وإيجابًا وسلبًا ومنهم من يعتقد أن التصرف الغيبي الأعلى الذي هو فوق الأسباب الكسبية الممنوحة للبشر

---

(١) انظر « فتح البيان » للنواب صديق حسن خان (٤/ ٢٢٥) .

خاص بربهم لا يقدر عليه غيره ولكنهم يظنون مع هذا أن هؤلاء الأنبياء والأولياء عند اللَّه تعالى كوزراء الملوك وحجابهم وبطانتهم وبين من لم يصل إلى رتبتهم فالملك المستبد بسلطانه يعطي هذا ويعفو عن ذنب هذا بوساطة هؤلاء الوزراء والحجاب المقربين عنده وكذلك رب العالمين يعطي ويمنع ويغفر ويرحم وينتقم بوساطة أنبيائه وأوليائه بزعمهم فهم شفعاء للناس عنده تعالى يقربونهم إليه زلفى كما حكاه التنزيل عن المشركين في قوله تعالى : ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ** ﴾.

ثم قال الشيخ محمد رضا :

« وفي مثل هذا التشبيه الوثني وتمثيل تصرف الرب العظيم الغني عن عباده بتصرف الملوك المستبدين الجاهليين الذين يحتاجون إلى وزرائهم وبطائنهم في حمله على ما ينبغي له فيهم قال اللَّه تعالى : ﴿ **فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ** ﴾ .

وبين في هذه الآية وأمثالها أن رسل اللَّه تعالى وهم صفوة خلقه لا يشاركون اللَّه تعالى في شيء من ملكه بل هو المتصرف في هذا الكون كله وأن الرسالة التي اختصهم اللَّه تعالى بها لا يدخل في معناها إقدارهم على النفع والضر بسلطان فوق الأسباب المسخرة لسائر البشر .

وذلك أن مدار العبودية على توجه العباد إلى المعبود فيما يرجون من نفع ويخافون من ضر فاستعمل اللفظان في التنزيل في بيان أن الرب المستحق للعبادة هو من يملك الضر والنفع غير خاضع ولا مقيد بالأسباب العادية كقوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا** ﴾[1] .

---

(١) المائدة : (٧٦) .

وقوله في عجل بني إسرائيل : ﴿أَفَلا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعًا ﴾[1] وغير ذلك من الآيات » .

ثم قال الشيخ :

« فلما كان ملك الضر والنفع بهذا الإطلاق خاصًا برب العباد وخالقهم وكان طلب النفع أو كشف الضر عبادة لا يجوز أن يوجه إلى غيره من عباده مهما فضله تعالى عظيمًا عليهم أمر اللَّه رسوله أن يصرح بالبلاغ عنه أنه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضراً وقد تكرر هذا الأمر له في القرآن مبالغة في تقريره وتوكيده فقال تعالى : ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾[2] .

وقوله : ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا ﴾[3] .

وهذه الآية أبلغ وأشمل في معناها بما فيها من إيجاز واحتباك بحذف ما يقابل الضر والرشد المذكورين وهما ضدهما بدلالتهما عليهما والتقدير : لا أملك لكم ضراً ولا نفعًا ولا رشدًا ولا غواية »[4] .

سابعًا : أقوال الإمام الشوكاني في حكم التوجه إلى الرسول ﷺ بالدعاء والاستغاثة :

قال رحمه اللَّه :

« ولا شك أن من اعتقد في ميت من الأموات أو حي من الأحياء أنه يضره أو ينفعه إما استقلالاً أو مع اللَّه تعالى أو ناداه أو توجه إليه أو استغاث به في أمر من الأمور التي لا يقدر عليها المخلوق فلا يخلص التوحيد للَّه ولا

(١) طه : (٨٩) .

(٢) الأعراف : (١٨٨) .

(٣) الجن : (٢١) .

(٤) « تفسير المنار » للشيخ رشيد رضا (٩/٥٠٧ ـ ٥١٠) بإيجاز .

إفراده بالعبادة إذ الدعاء بطلب وصول الخير إليه ودفع الضر عنه هو نوع من أنواع العبادة ولا فرق بين أن يكون هذا المدعو من دون اللَّه أو معه حجرًا أو شجرًا أو ملكًا أو شيطانًا كما كان يفعل ذلك الجاهلية وبين أن يكون إنسانًا من الأحياء أو الأموات كما يفعله الآن كثير من المسلمين وكل عالم يعلم هذا ويقر به فالعلة واحدة وعبادة غير اللَّه تعالى وتشريك غيره معه يكون للحيوان كما يكون للجماد وللحي كما يكون للميت فمن زعم أن ثم فرقًا بين من اعتقد في وثن من الأوثان أنه يضر أو ينفع أو يقدر على أمر لا يقدر عليه إلا اللَّه تعالى فقد غلط غلطًا بينًا وأقر على نفسه بجهل كثير فإن الشرك هو دعاء غير الأشياء التي تختص به أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه أو التقرب إلى غيره بشيء مما لا يتقرب به إلا إليه ومجرد تسمية المشركين لما جعلوه شريكًا بالصنم والوثن والإله لغير اللَّه زيادة على التسمية بالولي والقبر والمشهد كما يفعله كثير من المسلمين بل الحكم واحد إذا حصل لمن يعتقد في الولي والقبر ما كان يحصل لمن كان يعتقد في الصنم والوثن إذ ليس الشرك هو مجرد إطلاق بعض الأسماء على بعض المسميات بل الشرك هو أن يفعل لغير اللَّه شيئًا يختص به سبحانه سواء أطلق على ذلك الغير ما كان تطلقه عليه الجاهلية أو أطلق عليه اسمًا آخر فلا اعتبار بالاسم فقط ومن لم يعرف هذا فهو جاهل لا يستحق أن يخاطب بما يخاطب به أهل العلم وقد علم كل عالم أن عبادة الكفار للأصنام لم تكن إلا بتعظيمها واعتقاد أنها تضر وتنفع والاستغاثة بها عند الحاجة والتقرب لها في بعض الحالات بجزء من أموالهم وهذا كله قد وقع من المعتقدين في القبور فإنهم قد عظموها إلى حد لا يكون إلا للَّه سبحانه بل ربما يترك العاصي منهم فعل المعصية إذا كان في مشهد من يعتقده أو قريبًا منه مخافة تعجيل

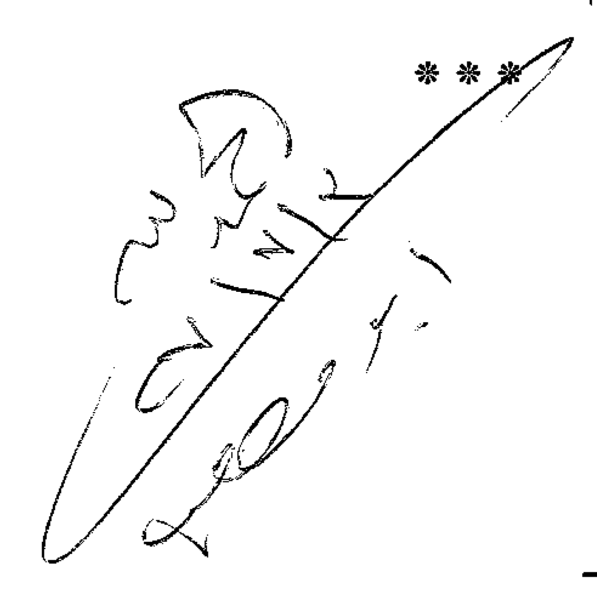
العقوبة من ذلك الميت وربما لا يتركها إذا كان في حرم اللَّه أو في مسجد من المساجد أو قريبًا من ذلك وربما حلف بعض غلاتهم باللَّه كاذبًا ولم يحلف بالميت الذي يعتقده .

وأما اعتقادهم أنها تضر وتنفع فلولا اشتمال ضمائرهم على هذا الاعتقاد لم يدع أحد منهم ميتًا أو حيًّا عند استجلابه لنفع أو استدفاعه لضر قائلا : يا فلان افعل لي كذا وكذا وعلى اللَّه وعليك وأنا باللَّه وبك »[1] .

وقال أيضًا في رسالته « شرح الصدور بتحريم رفع القبور » :

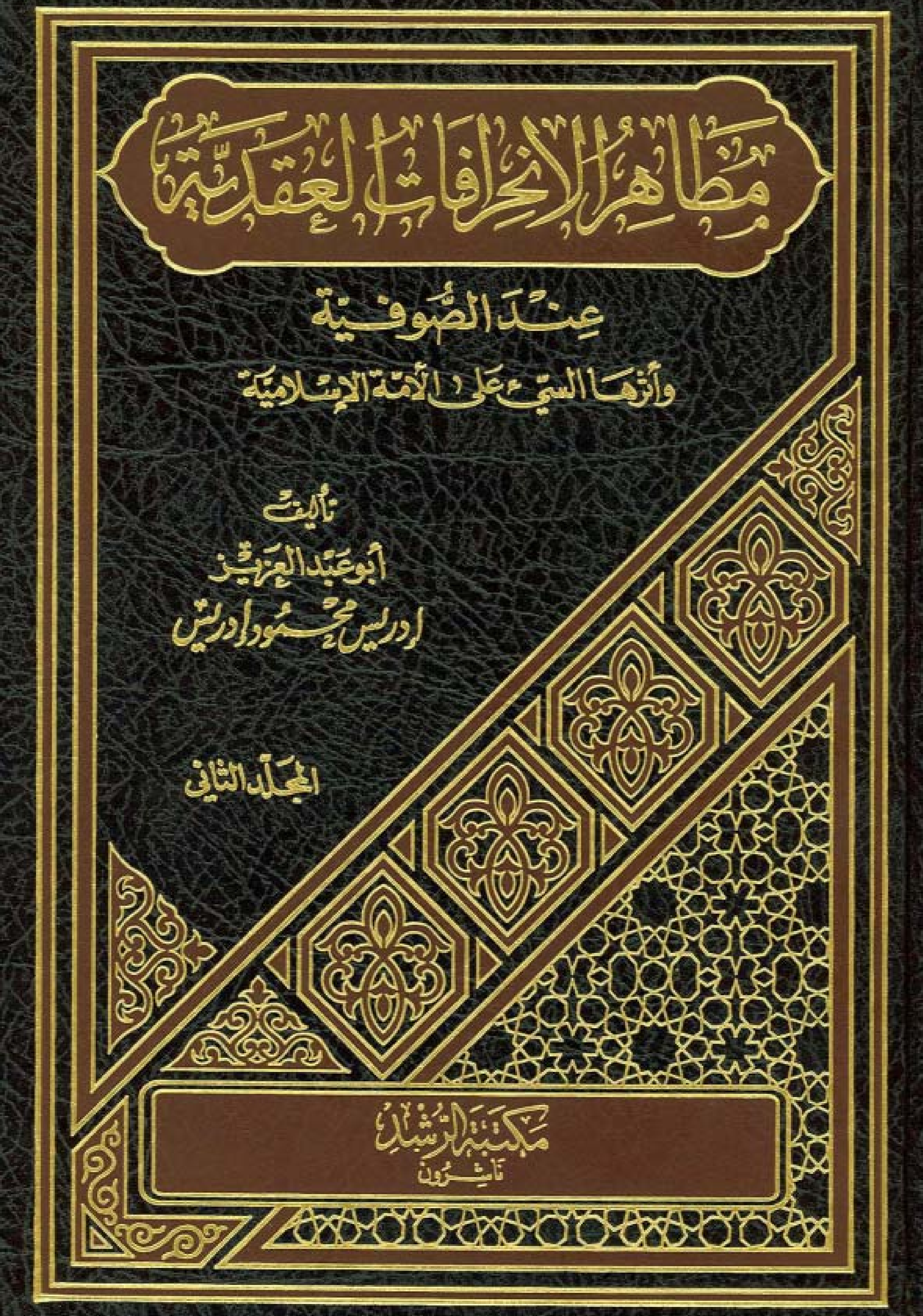
« لقد أمر اللَّه رسوله ﷺ أن ﴿**قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَراًّ وَلاَ نَفْعًا**﴾ فانظر كيف قال سيد البشر وصفوة خلقه في أنه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعًا وكذلك قال في الحديث : « **يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من اللَّه شيئًا** » الحديث. فإذا كان هذا قول رسول اللَّه في نفسه وفي أخص قرابته به وأحبهم إليه فما ظنك بسائر الأموات الذين لم يكونوا أنبياء معصومين ولا رسلاً مرسلين بل غاية ما عند أحدهم أنه فرد من أفراد هذه الأمة المحمدية »[2] .

* * *



(١) « الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد » للشوكاني (ص٣٣) .

(٢) « شرح الصدور بتحريم رفع القبور » للشوكاني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (ص٧١) .



مظاهر الانحرافات العقدية
عند الصوفية
وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية
تأليف
أبو عبد العزيز
إدريس محمود إدريس
المجلد الثاني
مكتبة الرشد
ناشرون

الفصل الثاني

انحرافاتهم في الخضر عليه السلام

وتحته مبحثان :

المبحث الأول : اعتقادهم بأن الخضر ولي وليس نبي وأن الولي أفضل من النبي ومناقشتهم .

المبحث الثاني : اعتقادهم بأن الخضر حي يرزق إلى يوم القيامة . (وتحته مطلبان)

المبحث الأول : اعتقادهم بأن الخضر ولي وليس بنبي وأن الولي أفضل من النبي .

المبحث الثاني : اعتقادهم بأن الخضر حي يرزق إلى يوم القيامة.

لقد انحرف المتصوفة في اعتقادهم تجاه الخضر عليه السلام حيث أنهم يعتقدون بأن الخضر عليه السلام ولي من أولياء اللّٰه تعالى وليس بنبي وبنوا ذلك على أن الولي يجوز له الخروج عن الشريعة كما خرج الخضر عليه السلام عن شريعة موسى حسب زعمهم الباطل وأنه يمكن للولي أن يصل إلى مرضاة اللّٰه سبحانه وتعالى بدون اتباع الرسول ﷺ .

وإلى جانب ذلك يعتقد المتصوفة أيضًا تجاه الخضر عليه السلام إلى أنه حي يرزق إلى الآن ويدعون أنهم يلتقون به ويتلقون عنه علمهم اللدني الذي هو خاص بالأولياء فقط ولا يمكن أن يعرفه غيرهم كائنًا من كان حتى الأنبياء .

* * *

المبحث الأول

اعتقاد الصوفية وغيرهم بأن الخضر ولي وليس بنبي
وأنه يجوز الخروج عن الشريعة للولي
كما خرج الخضر عن شريعة موسى عليه السلام

إن اعتقاد المتصوفة بأن الخضر عليه السلام ولي وليس بنبي واضح جداً وليس يخفي على أحد وذلك لأنهم يبنون على هذا الاعتقاد القول أن الولي أعلم من النبي وأنه يمكن أن يصل الولي إلى مرضاة اللّه ومحبته بدون متابعة النبي .

وكذلك اعتقاد المتصوفة بأنه يجوز الخروج عن الشريعة للولي كما خرج الخضر عن شريعة موسى عليه السلام واضح أيضًا.

ومما يدل على أن المتصوفة يعتقدون بأن الخضر ولي وليس بنبي قول محيي الدين بن عربي حين قال في « الفتوحات المكية » :

« اعلم أيها الولي الحميم أيدك اللّه أن هذا الوتد هو خضر صاحب موسى عليه السلام أطال اللّه عمره إلى الآن وقد رأينا من رآه واتفق لنا في شأنه أمر عجيب وذلك أن شيخنا أبا العباس العريبي رحمه اللّه تعالى جرت بيني وبينه مسألة في حق شخص كان قد بشر بظهوره رسول اللّه ﷺ فقال لي: هو فلان ابن فلان وسمى لي شخصًا أعرفه باسمه وما رأيته ولكن رأيت ابن عمته فربما توقفت فيه ولم آخذ بالقبول أعني قول شيخي العريبي فيه

لكوني على بصيرة في أمره ولا شك أن الشيخ رجع سهمه عليه فتأذى في باطنه ولم أشعر بذلك فإني كنت في بداية أمري في الطريق »[1] .

والذي يهمنا من إيراد هذه الحكاية عن ابن عربي هو أنه قال عن الخضر أنه وتد من الأوتاد وهذا الوصف يصف به المتصوفة من يصفونهم بالأولياء .

وبالإضافة إلى كلام ابن عربي فإنك لو سألت أي صوفي عن الخضر عليه السلام سيجيبك بأن الخضر ولي من أولياء اللَّه وليس بنبي وهم يقولون بهذا لأنهم بنوا عليه عقائد فاسدة كما ستتضح لنا الآن في هذا الفصل إن شاء اللَّه أثناء دراستنا لمعتقد الصوفية تجاه الخضر .

ونحن نرد على هذا فنقول أن النصوص تدل على أن الخضر عليه السلام نبي من أنبياء اللَّه وليس بولي فقط كما يزعم المتصوفة ومن سار على نهجهم من بعض العلماء الذين يقولون بأن الخضر ولي وليس بنبي .

قال الفخر الرازي في معرض حديثه عن الخضر عليه السلام وهل هو نبي أو ولي : والأكثرون أن ذلك العبد كان نبيًا واحتجوا عليه بوجوه:

الحجة الأولى : أنه تعالى قال : ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾[2] والرحمة هي النبوة بدليل قوله تعالى : ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾[3] .

وقوله : ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾[4] .

---

(١) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٢/ ١٨٠) .

(٢) الكهف : (٦٥) .

(٣) الزخرف : (٣٢) .

(٤) القصص : (٨٦) .

والمراد من هذه الرحمة النبوة .

الحجة الثانية : قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ وهذا يقتضي أنه تعالى علمه بلا واسطة تعليم معلم ولا إرشاد مرشد وكل من علمه اللَّه لا بواسطة البشر وجب أن يكون نبيًا يعلم الأمور بالوحي من اللَّه .

الحجة الثالثة : إن موسى عليه السلام قال : ﴿ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾[1] والنبي لا يتبع النبي في التعليم .

الحجة الرابعة : إن ذلك العبد أظهر الترفع على موسى حيث قال : ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾[2] .

وأما موسى فإنه أظهر التواضع حيث قال : ﴿ وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾[3] .

وكل ذلك يدل على أن ذلك العالم كان فوق موسى ومن لا يكون نبيًا لا يكون فوق النبي .

الحجة الخامسة : احتج الأصم على نبوته بقوله في أثناء القصة : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ ومعناه فعلته بوحي اللَّه وهو يدل على النبوة .

الحجة السادسة : ما روى أن موسى عليه السلام لما وصل إليه قال : السلام عليك . فقال : وعليك السلام يا نبي بني إسرائيل . فقال موسى عليه السلام : من عرفك هذا ؟ قال : الذي بعثك إليّ .

---

(١) الكهف : (٦٦) .

(٢) الكهف : (٦٨).

(٣) الكهف : (٦٩) .

قالوا وهذا يدل على أنه عرف ذلك بالوحي والوحي لا يكون إلا مع النبوة[1] .

قلت : وهذه الحجج أراها حجج قوية لإثبات بأن الخضر عليه السلام نبي وليس وليًا فقط كما يدعي المتصوفة ومن سار على طريقتهم .

واستدل الشيخ محمد الأمين على نبوة الخضر بقوله تعالى : ﴿**وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي**﴾ فقال :

« ومن أظهر الأدلة في أن الرحمة والعلم الذين امتن اللَّه بهما على عبده الخضر عن طريق النبوة والوحي قوله تعالى : ﴿**وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي**﴾أي وإنما فعلته عن أمر اللَّه جل جلاله وأمر اللَّه إنما يتحقق عن طريق الوحي إذ لا طريق تعرف بها أوامر اللَّه ونواهيه إلا الوحي من اللَّه جل وعلا ولا سيما قتل النفس البريئة في ظاهر الأمر وتعييب سفن الناس بخرقها لأن العدوان على سفن الناس وأموالهم لا يصح إلا عن طريق الوحي من اللَّه تعالى وقد حصر تعالى طريق الإنذار في الوحي في قوله تعالى : ﴿**قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ**﴾[2] وإنما صيغة حصر فإن قيل قد يكون ذلك عن طريق الإلهام فالجواب أن المقرر في الأصول أن الإلهام من الأولياء لا يجوز الاستدلال به على شيء لعدم العصمة وعدم الدليل على الاستدلال به ولوجود الدليل على عدم الاستدلال به .

وما يزعمه بعض المتصوفة من جواز العمل بالإلهام في حق الملهم دون غيره وما يزعمه بعض الجبرية أيضًا من الاحتجاج بالإلهام في حق

---

(١) « التفسير الكبير » للإمام الفخر الرازي (١٤٨/٢٢) .

(٢) الأنبياء : (٤٥).

الملهم وغيره جاعلين الإلهام كالوحي المسموع مستدلين بظاهر قوله تعالى : ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ﴾[1] وبخبر : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور اللَّه »[2] كله باطل لا يعول عليه لعدم اعتضاده بدليل وغير المعصوم لا ثقة بخواطره لأنه لا يأمن من دسيسة الشيطان وقد ضمنت الهداية في اتباع الشرع ولم تضمن في اتباع الخواطر والإلهامات ، والإلهام في الاصطلاح إيقاع شيء في القلب يثلج له الصدر من غير استدلال بوحي ولا نظر في حجة عقلية يختص اللَّه به من يشاء من خلقه ، أما ما يلهمه الأنبياء مما يلقيه اللَّه في قلوبهم فليس كإلهام غيرهم لأنهم معصومون بخلاف غيرهم .

وبالجملة فلا يخفى على من له إلمام بمعرفة دين الإسلام أنه لا طريق تعرف بها أوامر اللَّه ونواهيه وما يتقرب إليه به من فعل وترك إلا عن طريق الوحي فمن ادعى أنه غني عنه في الوصول إلى ما يرضي ربه عن الرسل وما جاءوا به ولو في مسألة واحدة فلا شك في زندقته .

والآيات والأحاديث الدالة على هذا لا تحصر قال اللَّه تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[4] ولم يقل حتى نلقي إلهامًا في القلوب .. وبذلك تعلم أن ما يدعيه كثير من الجهلة المدعين للتصوف من أن لهم ولأشياخهم طريقة باطلة توافق الحق عند اللَّه تعالى ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع كمخالفة ما فعله الخضر لظاهر العلم الذي عند موسى زندقة وذريعة

---

(١) الأنبياء : (٤٥) .

(٢) الأنعام : (١٢٥) .

(٣) « مسند الشهاب » (١/ ٣٨٧) وقال عنه المحقق : ضعيف .

(٤) الإسراء : (١٥) .

إلى الانحلال بالكلية من دين الإسلام بدعوى أن الحق في أمور باطنه تخالف ظاهره »[1] .

ومما يدل على أن الخضر عليه السلام نبي من أنبياء اللَّه وليس وليًا فحسب قوله لموسى عليه السلام : « **يا موسى إني على علم من علم اللَّه علمنيه اللَّه لا تعلمه وأنت على علم من علم اللَّه علمكه اللَّه لا أعلمه** »

وقوله لموسى أيضًا : « **ما نقص علمي وعلمك من علم اللَّه إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر** »[2] .

ويقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق :

« ولا شك أن ما فعله الخضر فعله عن وحي حقيقي من اللَّه وليس عن مجرد خيال أو إلهام لأن قتل النفس لا يجوز بمجرد الظن ولذلك قال الخضر : وما فعلته عن أمري . . . فلم يفعل إلا عن أمر اللَّه الصادق ووحيه القطعي ومثل هذا الأمر والوحي القطعي قد انقطع بوفاة النبي ﷺ فلا وحي بعده ومن ادعى شيئًا من ذلك فقد كفر لأنه بذلك خالف القرآن الذي يقول اللَّه فيه : ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** ﴾[3] .

والخلاصة من خلال الأدلة القرآنية والحديثية التي ذكرناها وأقوال العلماء يتضح لنا أن الراجح من الأقوال هو القول بأن الخضر عليه السلام نبي من أنبياء اللَّه وليس وليًا فقط كما يزعم المتصوفة ومن سار على نهجهم

---

(١) « أضواء البيان » (٤/ ١٧٣ ـ ١٧٤) .

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح قصة موسى والخضر (٦/ ٤٣٢) .

(٣) الأحزاب : (٤٠) ، والموضوع انظر له « الفكر الصوفي » لعبد الرحمن عبد الخالق (ص١٣٢) .

وبهذا يبطل دعوى الصوفية بأن الولي أعلم من النبي بناءًا على قصة الخضر مع موسى حيث يدعون أن الأولياء يعلمون علم الحقيقة الذي لا يعلمه الأنبياء ويستدلون بهذه القصة .

استنتاج المتصوفة من قصة الخضر وموسى على أنه يجوز للولي أن يخرج عن الشريعة وأنه يستطيع أن يصل إلى مرضاة اللّه من غير طريق النبي :

بناءًا على اعتقاد المتصوفة نحو الخضر عليه السلام من أنه ولي من أولياء اللّه وليس بنبي فقد قالوا : إن الأولياء يجوز لهم الخروج عن الأحكام الشرعية التي جاء بها الرسول من عند اللّه عز وجل كما خرج الخضر عن شريعة موسى عليه السلام في الظاهر .

وقد ذكر احتجاجهم هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه حيث قال:

« وأما احتجاجهم بقصة موسى والخضر فيحتجون بها على وجهين :

أحدهما : أن يقولوا : إن الخضر كان مشاهدًا الإرادة الربانية الشاملة والمشيئة الإلهية العامة وهي الحقيقة الكونية فلذلك سقط عنه الملام فيما خالف فيه الأمر والنهي الشرعي وهو من عظيم الجهل والضلال بل من أعظم النفاق والكفر فإن مضمون هذا الكلام أن من آمن بالقدر وشهد أن اللّه رب كل شيء لم يكن عليه أمر ولا نهي وهذا كفر بجميع كتب اللّه ورسله وما جاءوا به من الأمر والنهي . . . وهؤلاء هم القدرية الشركية الذين يحتجون بالقدر على دفع الأمر والنهي هم من شر القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة الذين روى فيهم « **إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم** » لأن هؤلاء يقرون بالأمر والنهي والثواب والعقاب لكن أنكروا عموم الإرادة والقدرة والخلق وربما أنكروا سابق العلم .

وأما القدرية الشركية فإنهم ينكرون الأمر والنهي والثواب والعقاب لكن وإن لم ينكروا عموم الإرادة والقدرة والخلق فإنهم ينكرون الأمر والنهي والوعد والوعيد ويكفرون بجميع الرسل والكتب فإن اللَّه إنما أرسل الرسل مبشرين من أطاعهم بالثواب ومنذرين من عصاهم بالعقاب.

وأيضًا فإن موسى عليه السلام كان مؤمنًا بالقدر عالمًا به بل أتباعه من بني إسرائيل كانوا أيضًا مؤمنين بالقدر فهل يظن من له أدنى عقل أن موسى طلب أن يتعلم من الخضر الإيمان بالقدر وأن ذلك يدفع الملام مع أن موسى أعلم بالقدر من الخضر بل عموم أصحاب موسى يعلمون ذلك .

وأيضًا فلو كان هذا هو السر في قصة الخضر لبين ذلك لموسى وقال : « إني كنت شاهداً للإرادة والقدر» وليس الأمر كذلك بل بين له أسبابًا شرعية تبيح له ما فعل.

وأما الوجه الثاني : فإن من هؤلاء من يظن أن من الأولياء من يسوغ له الخروج عن الشريعة النبوية كما ساغ للخضر الخروج عن متابعة موسى وأنه قد يكون للولي في المكاشفة والمخاطبة ما يستغنى به عن متابعة الرسول في عموم أحواله أو بعضها وكثير منهم يفضل الولي في زعمه إما مطلقًا وإما من بعض الوجوه على النبي زاعمين أن في قصة الخضر حجة لهم وكل هذه مقالات من أعظم الجهالات والضلالات بل من أعظم أنواع النفاق والإلحاد والكفر فإنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن رسالة محمد بن عبد اللَّه ﷺ وسلم لجميع الناس عربهم وعجمهم وملوكهم وزهادهم وعلمائهم وعامتهم وأنها باقية دائمة إلى يوم القيامة بل عامة الثقلين الجن والإنس وأنه ليس لأحد من الخلائق الخروج من متابعته وطاعته وملازمة ما يشرعه لأمته من الدين وما سنه لهم من فعل المأمورات وترك المحظورات بل لو كان

الأنبياء المتقدمون قبله أحياءاً لوجب عليهم متابعته وطاعته . . . ومما يبين الغلط الذي وقع لهم في الاحتجاج بقصة موسى والخضر على مخالفة الشريعة أن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثًا إلى الخضر ولا أوجب اللَّه على الخضر متابعته وطاعته بل قد ثبت في الصحيح أن الخضر قال له : « يا **موسى إني على علم من علم اللَّه علمنيه اللَّه لا تعمله وأنت على علم من علم اللَّه علمكه اللَّه لا أعلمه** » وذلك أن دعوة موسى كانت خاصة وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال فيما فضله اللَّه به على الأنبياء قال : «**كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة** »[1] فدعوة محمد ﷺ شاملة لجميع العباد وليس لأحد الخروج عن متابعته وطاعته ولا استغناء عن رسالته كما ساغ للخضر الخروج عن متابعة موسى وطاعته مستغنيًا عنه بما علمه اللَّه وليس لأحد ممن أدركه الإسلام أن يقول لمحمد : إني على علم من علم اللَّه علمنيه لا تعلمه ، ومن سوغ هذا أو اعتقد أن أحدًا من الخلق الزهاد والعباد أو غيرهم له الخروج عن دعوة محمد ﷺ ومتابعته فهو كافر باتفاق المسلمين . . . وقصة الخضر ليس فيها خروج عن الشريعة ولهذا لما بين الخضر لموسى الأسباب التي فعل لأجلها ما فعل وافقه موسى ولم يختلفا حينئذ ولو كان ما فعله الخضر مخالفًا لشريعة موسى لما وافقه »[2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مكان آخر رادًا على المتصوفة الذي يحتجون بقصة الخضر مع موسى على أن الأولياء يسوغ لهم الخروج عن الشريعة كما خرج الخضر عن شريعة موسى وفعل أمورًا محرمة في شريعة موسى ، قال :

---

(١) « صحيح البخاري » مع الفتح (١/٤٣٦) .

(٢) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (١١/ ٤٢٠ ـ ٤٢٦) باختصار.

« ومثل احتجاج بعضهم بقصة الخضر وموسى عليه السلام على أن من الأولياء من يستغني عن محمد ﷺ كما استغنى الخضر ومثل قول بعضهم أن خاتم الأولياء له طريق إلى اللّٰه يستغني به عن خاتم الأنبياء وأمثال هذه الأمور التي كثرت في كثير من المنتسبين إلى الزهد والفقر والتصوف والكلام والتفلسف وكفر هؤلاء قد يكون من جنس كفر اليهود والنصارى وقد يكون أعظم وقد يكون أخف بحسب أحوالهم »[1] .

وقال الإمام ابن القيم مستنكراً على احتجاج المتصوفة بقصة الخضر مع موسى على جواز خروج الأولياء عن الشريعة الإسلامية .

قال : « فمن ادعى أنه مع محمد ﷺ كالخضر مع موسى أو جوز ذلك لأحد من الأمة فليجدد إسلامه وليتشهد شهادة الحق فإنه بذلك مفارق لدين الإسلام بالكلية فضلاً عن أن يكون من خاصة أولياء اللّٰه وإنما هو من أولياء الشيطان وخلفائه ونوابه وهذا الموضع مقطع ومفرق بين زنادقة القوم وبين أهل الاستقامة منهم فحرك تره »[2] .

وقال القرطبي رحمه اللّٰه في تفسيره ما نصه نقلاً عن شيخ الإسلام :

« ذهب قوم من زنادقة الباطنية إلى سلوك طريق لا تلزم منه هذه الأحكام الشرعية فقالوا هذه الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأنبياء والعامة وأما الأولياء وأهل الخصوص فلا يحتاجون إلى تلك النصوص بل إنما يراد فهم ما يقع في قلوبهم .

ويحكم عليهم بما يغلب من خواطرهم وقالوا لصفاء قلوبهم عن

---

(١) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (٢٤/٣٣٩).

(٢) « مدارج السالكين » لابن القيم (٢/٧٤٦) .

الأفكار وخلوها عن الأغيار فتتجلى لهم العلوم الإلهية والحقائق الربانية فيقفون على أسرار الكائنات ويعلمون أحكام الجزئيات فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات كما اتفق للخضر فإنه استغنى بما تجلى له من العلوم عما كان عند موسى من تلك الفهوم .

وهذا القول زندقة وكفر يقتل قائله ولا يستتاب لأنه إنكار ما علم من الشرائع فإن اللَّه تعالى قد أجرى سنته ونفذ كلمته بأن أحكامه لا تعلم إلا بواسطة رسله السفراء بينه وبين خلقه وهم المبلغون عنه رسالته وكلامه المبينون شرائعه وأحكامه اختارهم اللَّه لذلك وخصهم . . . وعلى الجملة فقد حصل العلم القطعي واليقين الضروري واجتماع السلف والخلف على أن لا طريق لمعرفة أحكام اللَّه تعالى التي هي راجعة إلى أمره ونهيه ولا يعرف شيء منها إلا من جهة الرسل فمن قال إن هناك طريقًا آخر يعرف بها أمره ونهيه غير الرسل حيث يستغني عن الرسل فهو كافر يقتل ولا يستتاب ولا يحتاج معه إلى سؤال وجواب ثم هو قول بإثبات أنبياء بعد نبينا ﷺ الذي قد جعله اللَّه خاتم أنبيائه ورسله فلا نبي بعده ولا رسول وبيان ذلك أن من قال يأخذ عن قلبه وأن ما يقع فيه حكم اللَّه تعالى وأنه يعمل بمقتضاه وأنه لا يحتاج مع ذلك إلى كتاب ولا سنة فقد أثبت لنفسه خاصة النبوة فإن هذا كفر ما قاله ﷺ : « **إن روح القدس نفث في روعي** » »[1]

ويقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق :

« إن وجود الخضر عليه السلام على دين وشريعة غير شريعة موسى كان أمرًا سائغًا وسنة من سنن اللَّه قبل بعثة محمد ﷺ لأن النبي كان يبعث

---

(١) « تفسير القرطبي » (١/ ٤٠) .

إلى قومه خاصة ولذلك كان موسى رسولاً إلى نبي إسرائيل فقط ولم يكن رسولاً للعالمين ولذلك لما سلم موسى عليه السلام على الخضر قال الخضر وأني بأرضك السلام . قال له موسى : أنا موسى . قال الخضر موسى نبي إسرائيل ؟! قال : نعم . . . أي أنت مبعوث إلى بني إسرائيل ومنهم .

ولذلك لم تكن شريعة موسى لازمة للخضر ولجميع الناس في زمانه وأما بعد بعثة محمد ﷺ فإنه لا يجوز شرعًا أن يكون هناك من هو خارج عن شريعته لأن الرسول ﷺ رسول العالمين لا يسع الخضر ولا غيره أن يتخلف عن الإيمان به واتباعه ولذلك لا وجود بتاتًا للخضر أو أمثاله بعد بعثة الرسول محمد ﷺ »[1] .

والخلاصة أن احتجاج المتصوفة بقصة الخضر مع موسى عليه السلام بجواز خروج الأولياء على الشريعة الإسلامية وإقدامهم على فعل شيء محرم في الشريعة الإسلامية كما خرج الخضر في الظاهر على شريعة موسى مع أنه بعد أن شرح الخضر لموسى سبب إقدامه على قتل الغلام وخرق السفينة ورفع الجدار لم ينكر عليه موسى وإنما أقره عليها لأنها غير مخالفة للشريعة ولكن اللَّه سبحانه وتعالى أعلم الخضر أمرًا لم يعلمه لموسى عليه السلام رغم أنهما كلاهما نبيان من أنبياء اللَّه فلما علم موسى حقيقة الأمر لم ينكر على الخضر فعله هذا .

ثم إن الخضر لم يكن من قوم موسى ولذا فهو غير ملزم باتباع شريعة موسى لأن موسى كان مبعوثًا إلى بني إسرائيل فقط لا غير والخضر لم يكن من بني إسرائيل وعلى هذا نقول ليس للمتصوفة أي حجة تكون دليلاً لهم

---

(١) « الفكر الصوفي » لعبد الرحمن عبد الخالق (ص١٣٢) .

للخروج والتمرد على الأحكام الشرعية بحجة أنهم أولياء اللّٰه وذلك للأمور الآتية .

أولاً : من المعلوم ضرورة أن الرسول مبعوث إلى جميع من في هذا الكون من إنس وجن وليس لأحد كائنًا من كان أن يدعي بأن الرسول لم يبعث إليه وعلى هذا فلا يجوز لأحد الخروج عن هذه الشريعة احتجاجًا بقصة الخضر ومن اعتبر نفسه أنه مع الرسول ﷺ كالخضر مع موسى فقد ادعى لنفسه النبوة لأن الخضر كان نبيًا أعلمه اللّٰه بتلك الأشياء التي أقدم عليها ومن زعم هذا الزعم فقد كفر يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قطع عنقه.

ثانيًا : أن الوحي قد انقطع بعد الرسول ﷺ نهائيًا وليس هناك أي طريق للتلقي عن اللّٰه سبحانه وتعالى فكيف يدعي المتصوفة إمكانية الوصول إلى مرضاة اللّٰه من غير الطريق المشروع ألا وهو اتباع الرسول ﷺ .

* * *

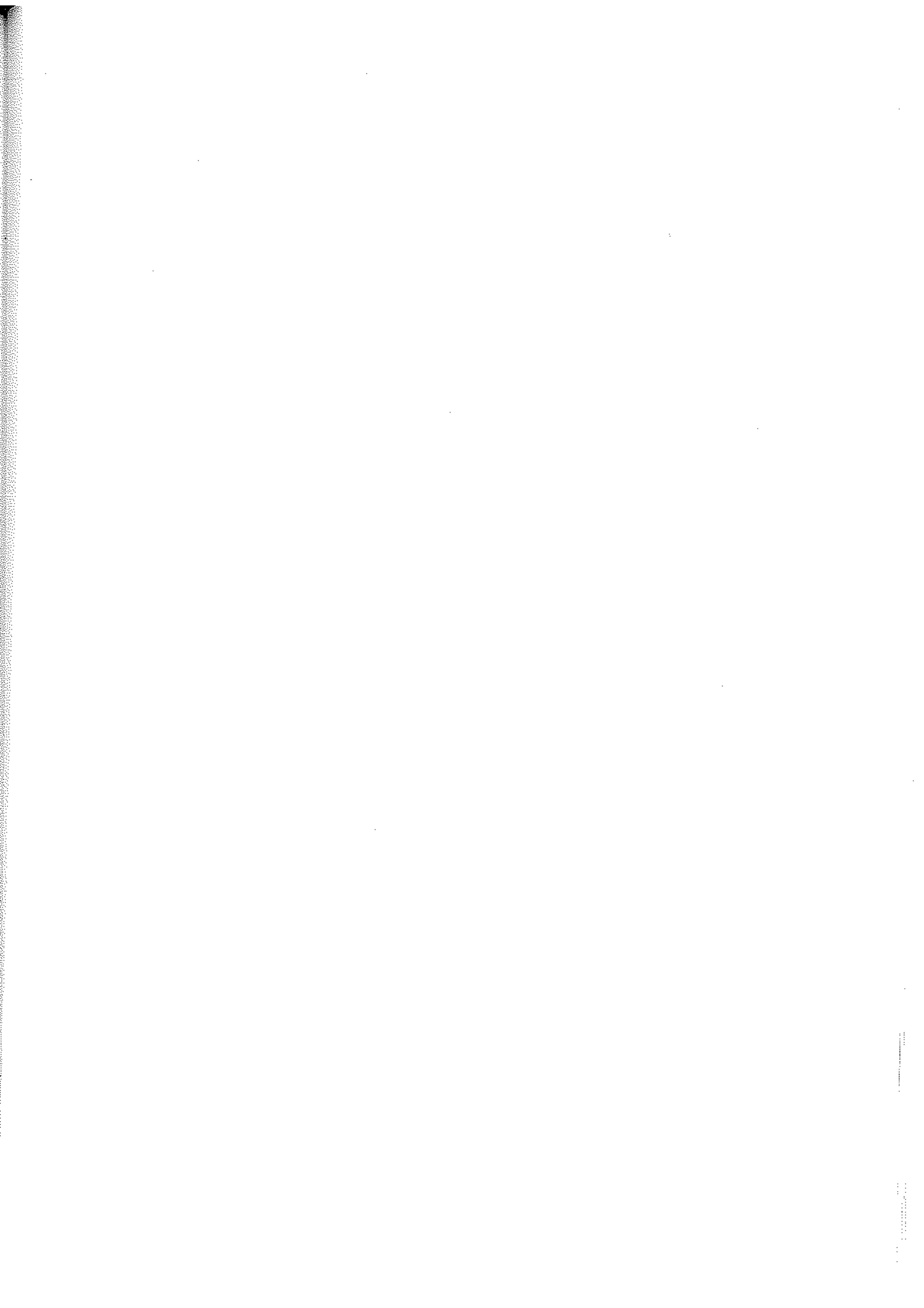
المبحث الثاني

اعتقادهم بأن الخضر حي يرزق إلى يوم القيامة

وتحت مطلبـان :

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تدل على أنهم يعتقدون بأن الخضر حي يرزق.

المطلب الثاني : بيان بطلان هذا المعتقد وأن الصحيح وفاته .



المطلب الأول

ذكر النصوص عنهم التي تدل على أنهم يعتقدون بأن الخضر حي يرزق

من الانحرافات التي وقع فيها المتصوفة تجاه الخضر هو زعمهم بأنه حي يرزق إلى الآن والادعاء بأنهم يلتقون به دائمًا ويتلقون منه أذكارهم التي يتلونها ليلاً ونهاراً.

يقول أحمد بن إدريس الشاذلي :

« اجتمعت بالنبي ﷺ اجتماعًا صوريًا ومعه الخضر عليه السلام فأمر النبي ﷺ الخضر أن يلقنني أذكار الطريقة الشاذلية فلقنني إياها بحضرته» ويستطرد قائلاً : « ثم قال ﷺ للخضر عليه السلام يا خضر لقنه ما كان جامعًا لسائر الأذكار والصلوات والاستغفار »[١] .

فالحكاية السابقة التي أوردتها عن أحمد بن إدريس الشاذلي تدل على أن الصوفية يعتقدون بأن الخضر حي وأنهم يتلقون منه أذكارهم .

ومما يدل على أن المتصوفة يعتقدون بحياة الخضر إلى الآن والتقائهم به في مناسبات عديدة قول محيي الدين بن عربي :

« اعلم أيدك اللّه أيها الولي الحميم أن هذا الوتد هو خضر صاحب

---

(١) « مفاتيح كنوز السماوات والأرض » لصالح محمد الجعفري (ص٨) نقلاً عن « الفكر الصوفي » لعبد الرحمن عبد الخالق (ص١٣٩) .

موسى عليه السلام أطال اللَّه عمره إلى الآن وقد رأينا من رآه واتفق لنا في شأنه أمر عجيب وذلك أن شيخنا أبا العباس العريبي رحمه اللَّه تعالى جرت بيني وبينه مسألة في حق شخص كان قد بشر بظهوره رسول اللَّه ﷺ فقال لي هو فلان ابن فلان وسمى لي شخصًا أعرفه باسمه وما رأيته ولكن رأيت ابن عمته فربما توقفت منه ولم آخذ بالقبول أعني قول الشيخ العريبي فيه لكوني على بصيرة في أمره ولا شك أن الشيخ رجع سهمه عليه فتأذى في باطنه ولم أشعر بذلك فإني كنت في بادية الطريق .

فانصرفت عنه إلى منزلي فنمت في الطريق فلقيني شخص لا أعرفه فسلم علي ابتداءً سلام محب مشفق وقال لي: يا محمد صدِّق الشيخ أبا العباس فيما ذكره لك عن فلان وسمى لنا الشخص الذي ذكره أبو العباس العريبي فقلت : نعم وعلمت ما أراد ورجعت من حيني إلى الشيخ لأعرفه بما جرى فعندما دخلت عليه قال : لي يا أبا عبد اللَّه احتاج معك إذا ذكرت لك مسألة يقف خاطرك عن قبولها إلى الخضر يتعرض إليك يقول لك صدِّق فلانًا فيما ذكره لك .

ومن أين يتفق لك هذا في كل مسألة تسمعها مني فتتوقف فقلت إن باب التوبة مفتوح فقال: وقبول التوبة واقع فعلمت أن ذلك الرجل كان الخضر ولا شك أني استفهمت الشيخ عنه أهو هو ؟ قال : نعم ، هو الخضر »[1].

ففي هذه الحكاية التي أوردتها عن ابن عربي الصوفي الكبير زعم بأنه التقى بالخضر وادعى أنه حي ودعا اللَّه أن يطيل في عمر الخضر.

وقال في مكان آخر وهو يحكي لقاءه بالخضر عليه السلام :

---

(١) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٣/ ١٨٠).

« ثم اتفق لي مرة أخرى أني كنت بمرسى تونس بالحفرة في مركب في البحر فأخذني وجع في بطني وأهل المركب قد ناموا فقمت إلى جانب السفينة وتطلعت إلى البحر فرأيت شخصًا على بعد في ضوء القمر وكانت ليلة البدر وهو يأتي على وجه الماء حتى وصل إليّ فوقف معي ورفع قدمه الواحدة واعتمد على الآخرة فكانت كذلك ثم تكلم معي بكلام كان عنده ثم سلم وانصرف يطلب المنارة محرسًا على شاطئ البحر على تل بيننا وبينه مسافة تزيد على ميلين فقطع تلك المسافة في خطوتين أو ثلاثة فسمعت صوته وهو على ظهر المنارة يسبح اللّٰه تعالى وربما مشى إلى شيخنا جراح ابن خميس الكناني وكان من سادات القوم مرابطًا بمرسى عيدون وكنت جئت عنده بالأمس من ليلتي تلك فلما جئت المدينة لقيت رجلاً صالحًا فقال لي : كيف كانت ليلتك البارحة في المركب مع الخضر ؟ ما قال لك وما قلت له؟ فلما كان بعد ذلك التاريخ خرجت إلى السياحة بساحل البحر المحيط ومعي رجل ينكر خرق العادة للصالحين فدخلت مسجدًا خرابًا منقطعًا لأصلي فيه أنا وصاحبي صلاة الظهر فإذا بجماعة من السائحين المنقطعين دخلوا علينا يريدون ما نريد من الصلاة في ذلك المسجد وفيهم ذلك الرجل الذي كلمني على البحر الذي قيل لي أنه الخضر وفيهم رجل كبير القدر أكبر منه منزلة وكان بيني وبين ذلك الرجل اجتماع قبل ذلك ومودة فقمت فسلمت عليه فسلم علي وخرج بي وتقدم بنا يصلي فلما فرغنا من الصلاة خرج الإمام وخرجت خلفه وهو يريد باب المسجد وكان الباب في الجانب الغربي يشرف على البحر المحيط بموضع يسمى بكة فقمت أتحدث معه على باب المسجد وإذا بذلك الرجل الذي قلت إنه الخضر قد أخذ حصيرًا فان في محراب المسجد فبسطه في الهواء على قدر علو سبعة أذرع من الأرض ووقف على

الحصير في الهواء يتنفل فقلت لصاحبي : أما تنظر إلى هذا وما فعل ؟ فقال لي : سر إليه واسأله فتركت صاحبي واقفًا وجئت إليه فلما فرغ من صلاته سلمت عليه »[1] .

ونكتفي بهاتين الحكايتين لإثبات بأن المتصوفة يعتقدون بأن الخضر حي يرزق ويدعون بأنهم يلتقون به ويتلقون عنه أذكارهم ففيهما الكفاية ولأن هذا أمر معلوم ومعروف لدى الأوساط الصوفية حيث يعتقدون كلهم حتى العوام منهم بأن الخضر حي وأنه يتلقى منه المتصوفة أذكارهم ولا يمكن أن ينكر لك هذا نهائيًا.

يقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق حاكيًا عن مزاعم الصوفية فيه :

« باختصار لقد تحول الخضر إلى قصة خرافية كبيرة أشبه بقصة ما يسمونه بالسوبر مان الذي يطير في كل مكان ويلتقي بالأصدقاء والخلان في كل البلدان ويشرع للناس ما شاء من عبادات وقربان ويلقن الأذكار وينشيء الطرق الصوفية ويعمد الأولياء والأقطاب ويولي من يشاء ويعزل من يشاء وما عليك إذا أردت لقاء الخضر إلا أن تذكر مجموعة من الأذكار فيأتيك الخضر في الحال ويبشرك بما تشاء من البشارات ويجعلك وليًا من الأولياء ويعطيك علومًا لدنية لم يعلمها الرسل أنفسهم ولا خطرت لهم على بال »[2]

* * *

(١) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٣/ ١٨٢) وانظر « عقود الجواهر » لفوزي علي (ص٧) وكذلك « التشرف إلى رجال التصوف » لأبي يعقوب (ص٣١) .

(٢) « الفكر الصوفي » لعبد الرحمن عبد الخالق (ص١٣٤) .

المطلب الثاني

بيان بطلان معتقد الصوفية بحياة الخضر والتلقي عنه

لقد بينا في المطلب الأول من هذا المبحث بأن الصوفية يعتقدون أن الخضر حي يرزق إلى الآن وإلى أن يرث اللَّه الأرض ومن عليها وادعاؤهم تلقي أذكارهم عنه[1] .

وفي هذا المطلب نريد أن نبين بطلان هذا المعتقد ومخالفته للمعتقد الصحيح الواجب بالنسبة لحياة الخضر وموته .

فنقول إن الصحيح من أقوال العلماء هو أن الخضر عليه السلام ليس بحي إلى الآن وإنما هو قد مات كما مات غيره وهذا هو الذي تؤيده الأدلة الصحيحة بخلاف القائلين بحياة الخضر عليه السلام فإن الأدلة لا تؤيدهم نهائيًا وما أوردوه من أدلة فهي أدلة ضعيفة لا تصلح أن يعتمد عليها لإثبات مثل هذا الأمر العقدي .

* فمن العلماء الذين قالوا بموت الخضر عليه السلام وعدم تعميره إلى الآن أو في زمن الرسول ﷺ الإمام المفسر الكبير أبو حيان قال رحمه اللَّه :

(والجمهور على أن الخضر قد مات وممن ذهب إلى موت الخضر وعدم تعميره الشيخ شرف الدين أبو عبد اللَّه محمد بن الفضل المرسي فقد قال : أما خضر موسى بن عمران فليس بحي لأنه لو كان حي للزمه المجيء إلى النبي ، والإيمان به واتباعه وقد روى عنه ﷺ أنه قال : « **لو كان موسى**

---

(١) انظر (ص٥١٩ ـ ٥٢٢) .

وعيسى حيين لم يسعهما إلا اتباعي »)[1] .

ومن العلماء الذين قالوا بموت الخضر وعدم تعميره القاضي أبو يعلى فقد قال :

« وكيف يعقل وجود الخضر ولا يصلي مع الرسول ﷺ الجمعة والجماعة ولا يشهد معه الجهاد مع قوله عليه الصلاة والسلام : « **والذي نفسي بيده لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني** »[2] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ** ﴾[3] .

وثبوت أن عيسى عليه السلام إذا نزل إلى الأرض يصلي خلف إمام هذه الأمة ولا يتقدم عليه في مبدإ الأمر وما أبعد فهم من يثبت وجود الخضر عليه السلام وينسى ما في إثباته من الإعراض عن هذه الشريعة . . . ثم قال بعد أن ذكر وجوهًا من الأدلة العقلية على عدم حياة الخضر :

الخامس : أن القول بحياة الخضر قول على اللَّه بغير علم وهو حرام بنص القرآن .

أما المقدمة الثانية فظاهرة والأولى فلأن حياته لو كانت ثابتة لدل عليها القرآن أو السنة أو الإجماع فهذا كتاب اللَّه فأين حياة الخضر وهذه سنة رسول اللَّه فأين فيها ما يدل على ذلك بوجه وهؤلاء علماء الأمة فمتى أجمعوا على حياته .

---

(١) « البحر المحيط » لأبي حيان (٦/١٤٧) .

(٢) « مسند أحمد » مع اختلاف في بعض الألفاظ (٣/٣٣٨) ط . دار الفكر العربي .

(٣) آل عمران : (٨١) .

السادس : أن غاية ما يتمسلك به في حياته حكايات منقولة يخبر الرجل بها أنه رأى الخضر فيالله تعالى العجب فهل للخضر علامة يعرفه بها من رآه وكثير من زاعمي رؤيته يفتر بقوله أنا الخضر ومعلوم أنه لا يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من الله فمن أين للرائي أن المخبر له صادق ولا يكذب.

السابع : أن الخضر فارق موسى بن عمران كليم الرحمن ولم يصاحبه وقال : ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ فكيف يرضى لنفسه بمفارقة مثل موسى عليه السلام ثم يجتمع بجهلة العباد الخارجين عن الشريعة الذين لا يحضرون جمعة ولا جماعة ولا مجلس علم وكل منهم يقول قال لي الخضر أوصاني الخضر فيا عجبًا له يفارق الكليم موسى ويدور على صحبه مغفل لا يصحبه إلا شيطان رجيم سبحانك هذا بهتان عظيم .

الثامن : أن الأمة مجمعة على أن الذي يقول أنا الخضر لو قال سمعت رسول الله يقول كذا وكذا لم يلتفت إلى قوله ولم يحتج به في الدين ولا مخلص القائل بحياته عن ذلك إلا أن يقول إنه لم يأت إلى الرسول ولا بايعه أو يقول إنه لم يرسل إليه وفي هذا من الكفر ما فيه .

التاسع : أنه لو كان حيًّا لكان جهاده الكفار ورباطه في سبيل الله ومقامه في الصف ساعة وحضوره الجمعة والجماعة وإرشاد جهلة الأمة أفضل بكثير من سياحته بين الوحوش في القفار والفلوات إلى غير ذلك »[1].

ورغم أن الآلوسي من الذين يقولون بحياة الخضر عليه السلام إلا أنه

(١) « تفسير روح المعاني » للآلوسي (١٥/ ٣٢٠ ـ ٣٢١) .

أكد بأن الأدلة الصحيحة تؤيد القائلين بموت الخضر وهذا نص كلامه فقد قال :

« ثم اعلم بعد كل حساب أن الأخبار الصحيحة النبوية والمقدمات الراجحة العقلية تساعد القائلين بوفاته عليه السلام أي مساعدة وتعاضدهم على دعواهم أي معاضدة ولا مقتضى للعدول عن ظواهر تلك الأخبار إلا مراعاة ظواهر الحكايات المروية واللّه أعلم بصحتها عن بعض الصالحين الأخيار وحسن الظن ببعض الصوفية فإنهم قالوا بوجوده إلى آخر الزمان على وجه لا يقبل التأويل السابق » .

وقول الآلوسي : هذا دليل قاطع على أن الحق مع العلماء الذين يقولون بموت الخضر وعدم تعميره حيث أن الآلوسي من القائلين بحياة الخضر تقليداً لمشائخه الصوفية حيث أنه متأثر بهم جداً ويلاحظ هذا كل من يقرأ في تفسيره « روح المعاني » .

ومع هذا فإنه أقر بأن الأدلة تؤيد القائلين بموته ويكفي هذا والحمد للّه فالحق هو ما شهد به الخصوم .

* ومن العلماء الذين قالوا بموت الخضر وعدم تعميره إبراهيم الحربي حيث قال حين سئل عن بقاء الخضر إلى الآن :

« من أحال على غائب لم ينتصف منه وما ألقى هذا بين الناس إلا الشيطان »[1] .

* ومن العلماء الذين قالوا بموت الخضر وعدم تعميره إلى الآن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي مستدلاً بحديث جابر بن عبد اللّه عن النبي ﷺ أنه

---

(١) « تفسير روح المعاني » للآلوسي (١٥/ ٣٢٠) .

قال قبل موته بشهر أو نحو ذلك : **« ما من نفس منفوسة اليوم تأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ »** [١] .

قال الشيخ الأمين بعد ذكره لهذا الحديث :

« فهـذا الـذي رواه جابر فيه تصريح النبي ﷺ بأنه لا تبقى نفس منفوسة ».

قال ابن عباس رضي اللَّه عنهما : ما بعث اللَّه نبيًا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد ﷺ وهم أحياء ليؤمنن به وينصرونه » .

فالخضر إن كان نبيًا أو وليًا فقد دخل في هذا الميثاق فلو كان حيًّا في زمن رسول اللَّه لكان أشرف أحواله أن يكون بين يديه يؤمن بما أنزل اللَّه عليه وينصره أن يصله أحد من الأعداء إليه لأنه إن كان وليًا فالصديق أفضل منه وإن كان نبيًا فموسى أفضل منه »[٢] .

* ومن العلماء الذين صرحوا بموت الخضر عليه السلام وأنه ليس بحي شيخ الإسلام ابن تيمية فقد قال رحمه اللَّه :

« والصواب الذي عليه المحققون أنه ميت وأنه لم يدرك الإسلام ولو كان موجودًا في زمن النبي ﷺ لوجب عليه أن يؤمن به ويجاهد معه كما أوجب اللَّه ذلك عليه وعلى غيره ولكان يكون في مكة والمدينة ولكان يكون حضوره مع الصحابة للجهاد معهم وإعانتهم على الدين أولى به من حضوره عند قوم كفار ليرقع لهم سفينتهم ولم يكن مختفيًا عن خير أمة أخرجت

(١) « صحيح مسلم » مع شرح النووي (١٦/ ٩٠) .

(٢) « تاريخ ابن كثير البداية والنهاية » (١/ ٣٣٤) .

للناس وهو قد كان بين يدي المشركين ولم يحتجب عنهم ثم ليس للمسلمين به وأمثاله حاجة لا في دينهم ولا في دنياهم فإن دينهم أخذوه عن الرسول النبي الأمي ﷺ الذي علمهم الكتاب والحكمة . . . وإذا كان الخضر حيًّا دائمًا فكيف لم يذكر النبي ذلك قط ولا أخبر به أمته ولا خلفاؤه الراشدون ، وقول القائل إنه نقيب الأولياء فيقال له : من ولاه النقابة وأفضل الأولياء أصحاب محمد وليس فيهم الخضر وعامة ما يحكى في هذا الباب من الحكايات بعضها كذب وبعضها مبني على ظن رجل : مثل شخص رأى رجلاً ظن أنه الخضر وقال : إنه الخضر كما أن الرافضة ترى شخصًا تظن أنه الإمام المنتظر المعصوم أو تدعي ذلك . وروى عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال وقد ذكر له الخضر : « من أحالك على غائب فما أنصفك وما ألقى هذا على ألسنة الناس إلا الشيطان »[1] .

* ومن العلماء الذين قالوا بموت الخضر وعدم بقائه إلى الآن الإمام البخاري حيث إنه لما سئل عن حياة الخضر أنكر ذلك واستدل على عدم حياته وتعميره بالحديث : « **فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها أحد** »[2] .

وهذا الحديث هو عمدة من تمسك بأن الخضر قد مات وأنه ليس بباق في هذه الدنيا .

* ومن العلماء الذين قالوا بموت الخضر وعدم تعميره إلى الآن أبو الحسن بن المنادى حيث قال رحمه اللَّه :

---

(١) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (١٧/ ١٠٠ ـ ١٠٢) باختصار.

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (١/ ٢٥٥) .

« بحثت عن تعمير الخضر وهل هو باق أم لا فإذا أكثر المغفلين مفترون بأنه باق »[1] .

هذا وقد ضعف العلماء الأدلة التي استدل بها القائلون بحياة الخضر من المتصوفة وغيرهم وإليك نماذج من أقوالهم :

* فمن العلماء الذين ذهبوا إلى تضعيف الأدلة التي استدل بها القائلون بحياة الخضر أبو الحسن بن المنادى حيث قال بعد أن نفى حياة الخضر وتعميره :

« والأحاديث المرفوعة في ذلك واهية والسند إلى أهل الكتاب ساقط لعدم ثقتهم وخبر مسيلمة بن مصقلة كالخرقة وخبر رياح كالريح قال : وما عدا ذلك كله من الأخبار واهية الصدور والأعجاز لا يخلو حالها من أحد أمرين :

إما أن تكون أدخلت على الثقات استغفالاً أو يكون بعضهم تعمد.

وقد قال تعالى : ﴿**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ**﴾[2] .

* ومن العلماء الذين قالوا بضعف الأدلة التي استدل بها القائلون بحياة الخضر وتعميره أبو الخطاب بن دحية وقد قال في هذا :

« جميع ما ورد في حياة الخضر لا يصح منها شيء باتفاق أهل النقل وإنما يذكر ذلك من روى الخبر ولا يذكر علته إما لكونه لا يعرفها وإما لوضوحها عند أهل الحديث » .

---

(١) « الزهر النضر في نبأ الخضر » ضمن الرسائل المنيرية (ص٢٠٦) .

(٢) الأنبياء : (٣٤) والموضوع انظر له « الزهر النضر في نبأ الخضر » ضمن الرسائل المنيرية .

ثم قال : « وأما ما جاء عن المشايخ فهو مما يتعجب منه كيف يجوز للعاقل أن يلقى شخصًا لا يعرفه فيقول له : أنا فلان . فيصدقه » .

ثم قال : « وأما حديث التعزية الذي رواه أبو عمر بن عبد البر فهو موضوع رواه عبد اللَّه بن المحرز عن يزيد بن الأصم عن علي رضي اللَّه عنه وابن محرز متروك وهو الذي قال ابن المبارك في حقه كما أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه : لما رأيته كانت بعرة أحب إلي منه . ففضل رؤية النجاسة على رؤيته »[١] .

* ومن العلماء الذين ضعفوا أدلة القائلين بحياة الخضر الإمام ابن كثير رحمه اللَّه حيث قال بعد أن ساق الأحاديث والحكايات التي استدل بها القائلون بحياته :

« وهذه الحكايات والروايات هي عمدة من ذهب إلى حياته اليوم وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جدًا لا تقوم بمثلها حجة في الدين والحكايات لا يخلو أكثرها من ضعف في الإسناد وقصاراها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم من صحابي أو غيره لأنه يجوز عليه الخطأ واللَّه أعلم. . . » إلى أن قال : « وقد تصدى الشيخ أبو الفرج بن الجوزي رحمه اللَّه في كتابه « عجالة المنتظر في شرح حالة الخضر » للأحاديث الواردة في ذلك من المرفوعات فبين أنها موضوعات ومن الآثار عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم فبين ضعف أسانيدها ببيان أحوالها وجهالة رجالها وقد أجاد في ذلك وأحسن الانتقاد »[٢] .

---

(١) « الزهر النضر في نبأ الخضر » (٢/٢٠٣) .

(٢) « البداية والنهاية » لابن كثير (١/٣٣٤) .

وقد ناقش الإمام ابن حجر رحمه اللّه الأحاديث التي استدل بها القائلون بحياة الخضر فحكم على جميعها بالضعف ومعلوم أن الإمام ابن حجر يعتبر حجة في علوم الحديث فهو بحر لا ساحل له في هذا المجال ، وإليك عبارة ابن حجر في آخر كتابه « الزهر النضر في نبأ الخضر » بعد أن ناقش الأحاديث الواردة في هذا المجال وفي مقدمتها حديث تعزية الخضر للصحابة بعد وفاة الرسول ﷺ وحديث أنس الذي يتضمن أن الرسول أرسله إلى الخضر ليدعو للرسول وغير ذلك من الأحاديث التي وردت في حاية الخضر .

قال ابن حجر :

« والذي تميل إليه النفس من حيث الأدلة القوية خلاف ما يعتقده العوام من استمرار حياته لكن ربما عرضت من جهة كثرة الناقلين للأخبار الدالة على استمراره فيقال هب أن أسانيدها واهية إذ كل طريق منها لا يسلم من سبب يقتضي تضعيفها فماذا يَصْنع فَي المجموع فإنه على هذه الصورة قد يلتحق بالتواتر المعنوي الذي مثلوا له بجود حاتم فمن هنا مع احتمال للتأويل في أدلة القائلين بعدم بقائه كآية ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ** ﴾ ولحديث : « **رأس مائة سنة** » وغير ذلك مما تقدم بيانه .

وأقوى الأدلة على عدم بقائه عدم مجيئه إلى رسول اللّه ﷺ وانفراده بالتعمير من بين أهل الأعصار المتقدمة بغير دليل شرعي والذي لا يتوقف فيه الجزم بنبوته » [1] .

والخلاصة إن الراجح من الأقوال هو قول الذين يقولون بموت الخضر

---

(١) « الزهر النضر في نبأ الخضر » (٢/ ٢٣٤) .

وعدم تعميره إلى زمن الرسول ﷺ وإلى الآن وذلك لقوة أدلتهم التي سبق ذكرها من آيات قرآنية وأحاديث نبوية .

وأما القائلون بحياة الخضر وتعميره فليس لهم أدلة صحيحة يعتمدون عليها وإنما كل ما يعتمدون عليه من أدلة لا يخلو من أحد أمرين :

إما أحاديث ضعيفة وموضوعة التي حكم عليها العلماء بالإجماع بالضعف وإما حكايات مشائخ التصوف وأمثالهم الذي يزعمون بأنهم التقوا بالخضر.

والأحاديث الضعيفة والموضوعة والحكايات المكذوبة لا تصلح أن تكون أدلة يعتمد عليها لإثبات مثل هذا الأمر وعلى هذا فالقول بحياة الخضر وتعميره يعتبر باطلاً وكذبًا وافتراءً على اللَّه وعلى رسوله وذلك لأنه لم يرد في كتاب اللَّه تعالى ولا في سنة رسوله ﷺ ما يدل على تعمير الخضر نهائيًا.

وبناء على هذا فحكايات الصوفية التي يزعمون فيها التقاؤهم بالخضر وتلقي الأذكار عنه تعتبر كذبًا وافتراءًا محضًا على اللَّه وعلى رسوله ﷺ لأن الخضر قد مات كما يموت غيره فكيف يمكن أن يلتقي بهم ويوزع عليهم الأذكار.

وعلى فرض حياته وإن كان هذا مرجوحًا فإنه لا يصح للخضر أن يقوم بتوزيع الأذكار على الناس بل يجب عليه هو أيضًا أن يلتزم بالأذكار الواردة في الكتاب والسنة ويتبع الرسول ﷺ في كل شئون حياته أما أن يبتدع أذكاراً جديدة على هذه الأمة فهذا يعتبر إفساداً في الأرض ومحادة للَّه ولرسوله .

وأخيرًا أختتم هذا المبحث المتعلق بالخضر عليه السلام بنقل كلام

نفيس للإمام ابن كثير رحمه اللَّه ختم به موضوع الخضر في كتابه « البداية والنهاية » فقال :

« ثم ما الحامل له ـ أي الخضر عليه السلام ـ على هذا الاختفاء وظهوره أعظم لأجره وأعلى في مرتبته وأظهر لمعجزته ثم لو كان باقيًا بعده لكان تبليغه عن رسول اللَّه ﷺ الأحاديث النبوية والآيات القرآنية وإنكاره لما وقع من الأحاديث المكذوبة والروايات المقلوبة والآراء البدعية والأهواء العصبية وقتاله مع المسلمين في غزواتهم وشهوده جمعهم وجماعاتهم ونفعه إياهم ودفعه الضرر عنهم ممن سواهم وتسديده العلماء والحكام وتقريره الأدلة والأحكام أفضل ما يقال عنه من كونه في الأمصار وجوبه الفيافي والأقطار واجتماعه بعباد لا يعرف أحوال كثير منهم وجعله لهم كالنقيب المترجم عنهم وهذا الذي ذكرناه لا يتوقف أحد فيه بعد التفهيم واللَّه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم »[1] .

ونثني قول الإمام ابن كثير بقول الشيخ بكر بن عبد اللَّه أبو زيد فقد قال حفظه اللَّه وأطال في عمره بعد أن ناقش موضوع الخضر عليه السلام من جميع جوانبه :

« إذا اتضح ذلك فاعلم أن القول بولاية الخضر والقول بأنه ما زال حيًّا قد جر هذان القولان من البلايا والمحن والدعاوى الكاذبة والتلبيس على العامة بل وعلى الخاصة ما لا يصدقه عقل ولا يقبله دين من دعوى فضل الولاية والأولياء على النبوة والأنبياء وإن فلانًا لقي الخضر عليه السلام واستلهمه كذا وكذا والقول بولايته وحياته أبد الدهر هما معتمد الصوفية في

---

(١) « البداية والنهاية » لابن كثير (١/ ٣٣٦) .

جعل الشريعة لها ظاهر وباطن وأن علماء الباطن ينكرون على علماء الظاهر ولا عكس وبه قالوا بحجة الإلهام وأن الولي أفضل وأعلم من النبي والدعوى الواسعة للقاء الخضر والأخذ عنه فمنهم من لقي الخضر يصلي على المذهب الحنفي وآخرون رأوه يصلي على المذهب الشافعي »[1] .

* * *

---

(١) « التحذير من مختصرات الصابوني » لبكر أبو زيد (ص٦٥) .

الفصل الثالث

انحرافاتهم تجاه الأولياء

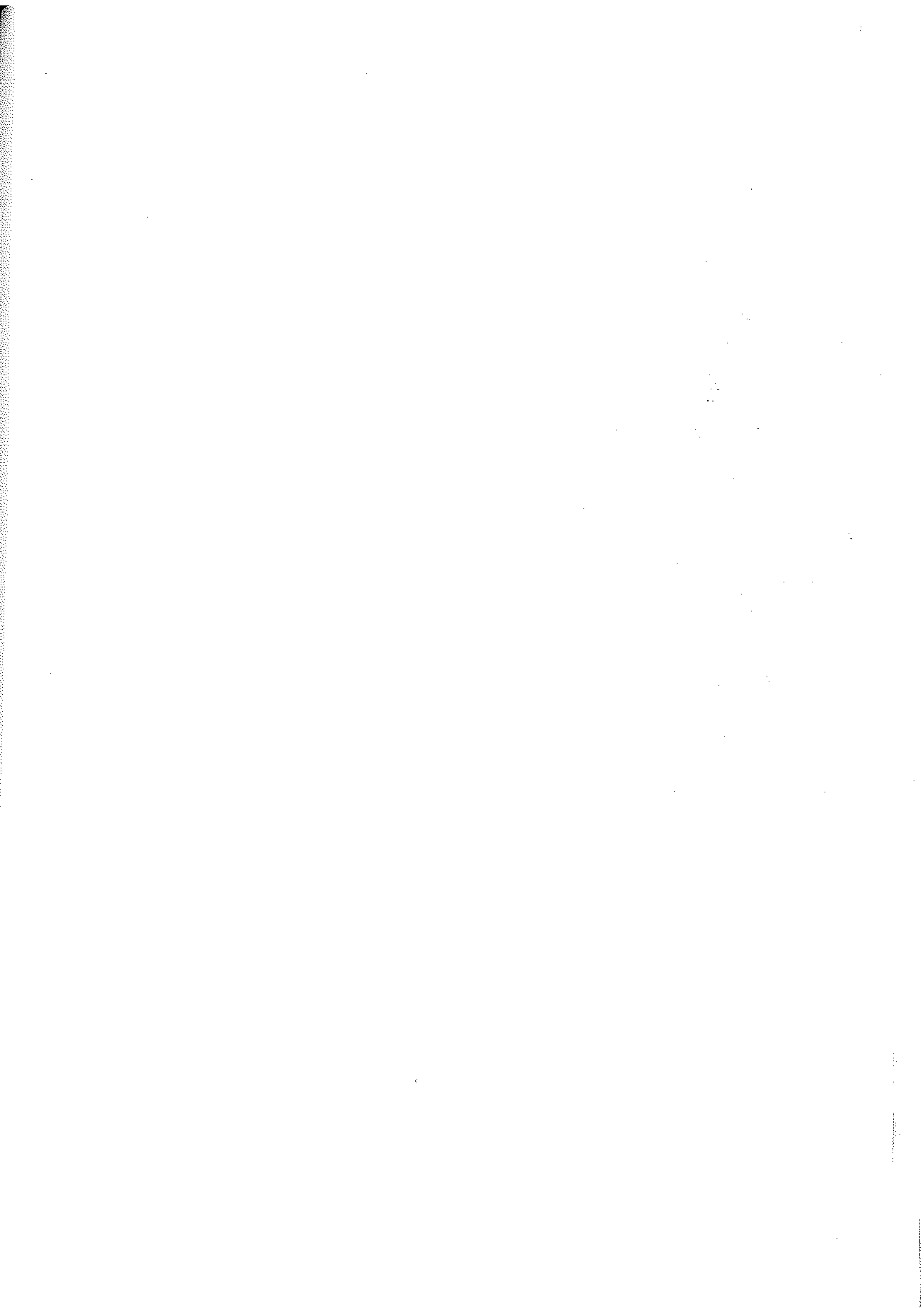
وتحته أربعة مباحث :

المبحث الأول : ادعاء الصوفية التلقي عن اللّه والعروج إليه وتفضيل الولاية على النبوة. (وتحته مطلبان)

المبحث الثاني : اعتقادهم بأن هناك مجموعة من الأولياء لهم ألقاب خاصة بهم يتصرفون في هذا الكون ويتحكمون فيه . (وتحته مطلبان)

المبحث الثالث : اعتقادهم بأن الأولياء يعلمون الغيب . (وتحته مطلبان)

المبحث الرابع : توجه الصوفية إلى الأولياء بالدعاء والاستغاثة . (وتحته مطلبان)



المبحث الأول

تعريف الولي في اللغة والاصطلاح مع بيان المفهوم الصحيح لولاية اللَّه بإيجاز

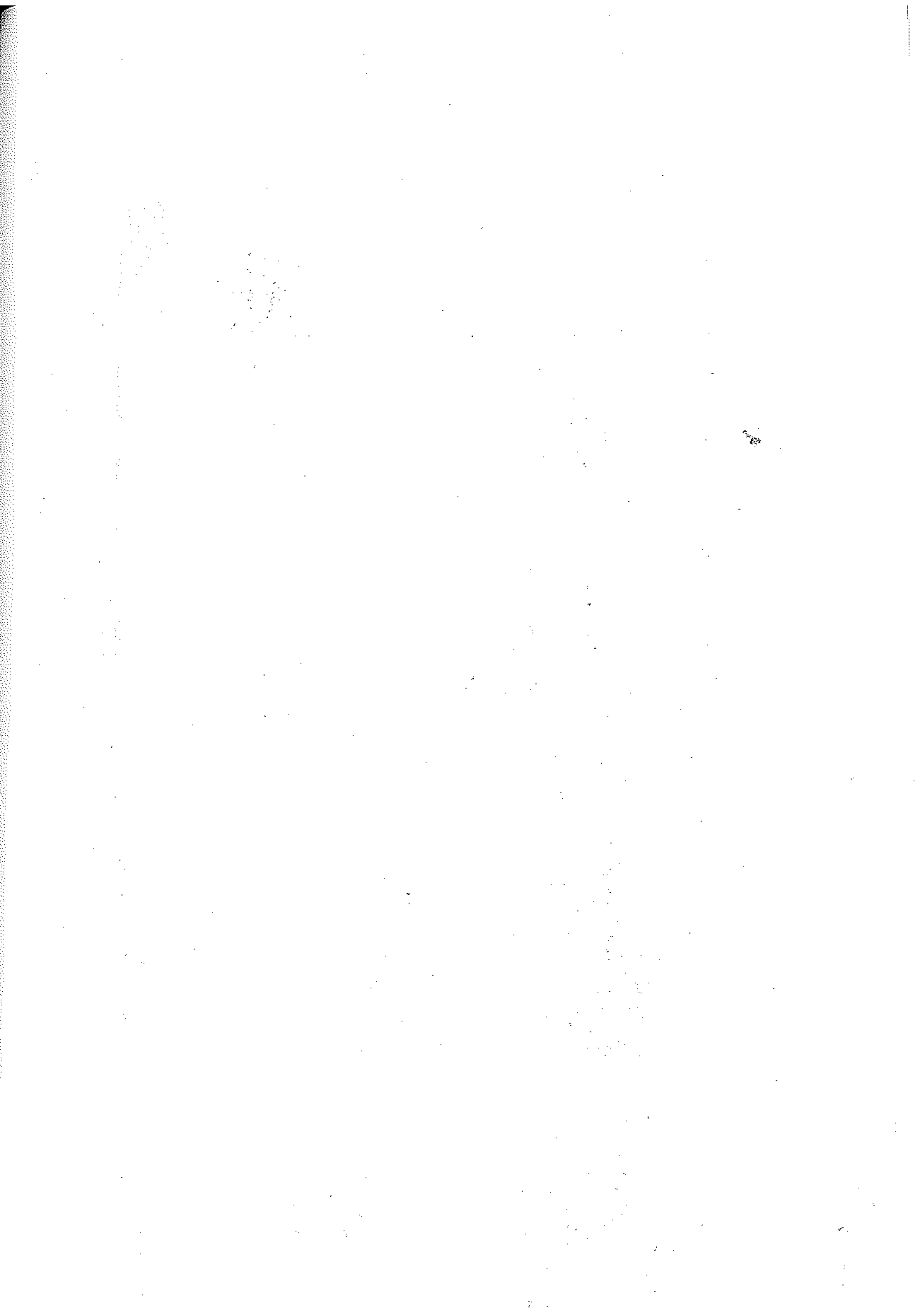
وادعاء الصوفية التلقي عن اللَّه والعروج إليه وتفضيل الولاية على النبوة

وتحت ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الولي في اللغة والاصطلاح مع بيان المفهوم الصحيح للولاية بإيجاز.

المطلب الثاني : ذكر النصوص عنهم التي تثبت بأن الصوفية يزعمون التلقي عن اللَّه والعروج إليه وأن الولاية أفضل من النبوة.

المطلب الثالث : بيان بطلان هذا الادعاء وأنه لا وحي بعد رسول اللَّه ﷺ يتلقاه أحد عن اللَّه كائنًا من كان.



تمهيـــد

لقد انحرف الصوفية في باب الولاية انحرافات خطيرة جداً وهذه الانحرفات تتمثل في الأمور الآتية وهي :

أولاً : زعم الصوفية أنهم يتلقون علومهم عن اللّه مشافهة وأنهم يعرجون إلى السماوات العلى ويتكلمون مع الرب سبحانه وتعالى وادعوا أيضًا بأن النبوة مستمرة غير منقطعة وأن الولاية أفضل من النبوة لأن النبوة قد انقطعت بينما الولاية لم تنقطع وعلى هذا فالوحي إلى الولي عن اللّه مستمر بل ادعى بعض غلاتهم بأن الأنبياء يوحى إليهم بواسطة الملك بينما الأولياء يأخذون علومهم عن اللّه بلا واسطة وأنهم يأخذون من المعدن الذي يأخذ منه جبريل عليه السلام.

وادعى الصوفية أيضًا بأن الأولياء لهم المقدرة الكاملة للتصرف في هذا الكون وأن هذا الكون تسيره مجموعة ممن يسمونهم أولياء وأنه لا يمكن أن يقع شيء في هذا الكون إلا عن طريق أهل التصريف من دجاجلة الصوفية.

وادعوا أيضًا بأن الأولياء يعلمون كل الغيوب وأنهم لا يخفى عليهم أمر من الأمور في هذا الكون مهما كان بعيداً أو دقيقًا.

وادعوا أيضًا بأن الأولياء يستطيعون أن يغيثوا كل من استغاث بهم في حياتهم وبعد مماتهم ولذا ترى الصوفية في العالم الإسلامي يلهجون بدعاء الأولياء وندائهم من دون اللّه سبحانه وتعالى .

وسأقسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : سأبين فيه بأن المتصوفة ادعوا التلقي عن اللّه والعروج إليه وأن الولاية أفضل من النبوة مع تعريف الولي وبيان المفهوم الصحيح لولاية اللّه بإيجاز.

وأما المبحث الثاني : فسأبين فيه بأن الصوفية وضعوا مراتب وألقابًا للأولياء من عند أنفسهم وزعموا بأن الكون تسيره هذه المجموعة من البشر .

وأما المبحث الثالث : فسأبين فيه بأن الصوفية يجوزون التوجه إلى الأولياء بالدعاء والاستغاثة .

المطلب الأول

تعريف الولي مع ذكر المفهوم الصحيح لولاية اللّه بإيجاز

تعريف الولي :

الولي في اللغة : القرب والدنو والمطر بعد المطر .

والولي الاسم منه المحب والصديق والنصير والولاية الإمارة والسلطان والمولى والمعتق والمعتق والصاحب والقريب والولي والرب والناصر والمحب[1] .

ويقول الإمام الشوكاني في تعريف الولاية :

« والولاية ضد العداوة وأصل الولاية المحبة والتقرب كما ذكره أهل اللغة وأصل العداوة البغض والبعد »[2] .

---

(١) انظر « المعجم الوسيط » (٢/١٠٥٨) .

(٢) « قطر الولي في حد شرح حديث الولي » للشوكاني (ص٧٠) .

وأما تعريف الولي في الاصطلاح : فقد عرفه شيخ الإسلام ابن تيمية فقال :

« وقد قيل إن الولي سمي وليًا من موالاته للطاعات أي متابعته لها ويقابل الولي العدو على أساس من القرب والبعد »[1] .

وقال الإمام الشوكاني في تفسيره :

« والمراد بأولياء اللَّه خلقه المؤمنين كأنهم قربوا من اللَّه سبحانه بطاعته واجتناب معصيته وقد فسر سبحانه هؤلاء الأولياء بقوله : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾[2] أي يؤمنون بما يجب الإيمان به ويتقون ما يجب عليهم اتقاؤه من معاصي اللَّه سبحانه »[3] .

وقال الدكتور إبراهيم هلال :

« وهذا المعنى الذي يدور بين الحب والقرب هو الذي أراده القرآن الكريم من كلمة ولي ومشتقاتها في كل موضع أتى بها فيه سواء في جانب أولياء اللَّه أو في جانب أولياء أعداء اللَّه وأعداء الشيطان »[4] .

وقد بين اللَّه سبحانه وتعالى في كتابه وسنة رسوله ﷺ أن للَّه أولياء من الناس وللشيطان أولياء ففرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان فقد قال تعالى : ﴿ **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ**

---

(١) « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » (ص٦) .

(٢) يونس : (٦٣) .

(٣) « فتح القدير » (٢/٤٥٧) .

(٤) « ولاية اللَّه والطريق إليها » لإبراهيم هلال (ص٧١) .

ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[3] .

وذكر أولياء الشيطان فقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾[5] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[6] .

وعلى هذا فالتقسيم الصحيح للناس في هذه الحياة الدنيا هو أنهم

---

(١) يونس : (٦٢ ـ ٦٤) .

(٢) البقرة : (٢٥٧) .

(٣) المائدة : (٥١) .

(٤) النحل : (٩٨ ـ ١٠٠) .

(٥) النساء : (٧٦) .

(٦) آل عمران : (١٧٥) .

ينقسمون إلى قسمين لا ثالث لهما وهو أن أي أحد من الإنس أو الجن في هذه الحياة إما أن يكون وليًا للّه وإما أن يكون عدوًا للّه وليست الولاية محصورة في أشخاص معينين كما يزعم الصوفية ذلك بل ما نعتقده هو أن أي مسلم يؤمن باللّه وبرسوله وينفذ أوامر اللّه ويجتنب نواهيه فهو ولي من أولياء اللّه سبحانه وتعالى .

ثم إن من شرط ولاية اللّه سبحانه وتعالى هو أن يؤمن الإنسان باللّه وبرسوله وأن يتبع الرسول في الظاهر والباطن وكل من يدعي محبة اللّه وولايته بدون متابعة الرسول ﷺ فهو كاذب مفتر دجال وليس من أولياء اللّه بل هو من أولياء الشيطان قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾[1] .

قال الحسن البصري رحمه اللّه :

« ادعى قوم أنهم يحبون اللّه فأنزل اللّه هذه الآية محنة لهم وقد بين اللّه فيها أن من اتبع الرسول فإن اللّه يحبه ومن ادعى محبة اللّه ولم يتبع الرسول ﷺ فليس من أولياء اللّه وإن كان كثير من الناس يظنون في أنفسهم أو غيرهم أنهم من أولياء اللّه ولا يكونون من أولياء اللّه .

فاليهود والنصارى يدعون أنهم أولياء اللّه وأنه لا يدخل الجنة إلا من كان معهم بل يدعون أنهم أبناؤه وأحباؤه.

وكان مشركو العرب يدعون أنهم أهل اللّه لسكناهم مكة ومجاورتهم البيت وكانوا يستكبرون على غيرهم »[2] .

---

(١) آل عمران : (٣١) .

(٢) « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » (ص٩) .

ولكن الصوفية خصصوا لولاية اللَّه سبحانه وتعالى أعدادًا معينة في حدود الأربعين أو الثلاثمائة أو غيرها من الأعداد التي يذكرها المتصوفة لمن يطلقون عليهم أنهم أولياء اللَّه وأصبحوا يصفونهم بأوصاف لا تليق إلا باللَّه سبحانه وتعالى حيث ادعوا بأن الأولياء يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون تصرفًا مطلقًا ويدعون ويستغاث بهم من دون اللَّه وهذه كلها معتقدات فاسدة دخيلة على الإسلام جلبها المتصوفة من الطوائف الوثنية الضالة التي تعبد البشر من دون اللَّه وهذا ما سنبينه إن شاء اللَّه في هذا الفصل في المباحث الآتية[١] .

المطلب الثاني

ذكر النصوص التي تثبت بأن الصوفية يزعمون التلقي عن اللَّه والعروج إليه وأن الولاية أفضل من النبوة

لقد صرح كبار الصوفية بأنهم بالفعل يتلقون علومهم عن اللَّه وبما أن المتصوفة الذي قالوا بهذا كثيرون فسأكتفي إن شاء اللَّه بذكر أقوال مشائخهم لأن المقصود هو إيراد أدلة عنهم لإثبات بأنهم بالفعل يعتقدون هذا المعتقد وإليك الآن نصوص من بطون كتبهم ومن أفواه مشائخهم .

* فمن مشائخ الصوفية الكبار الذين قالوا أنهم يتلقون علومهم عن اللَّه محي الدين بن عربي وقد بالغ هذا الرجل في هذا الادعاء وتكلم عن كيفية وحيي اللَّه إلى الأولياء ووضح وفصل في هذا الوحي المزعوم وإليك نماذج من كلامه :

---

(١) انظر (٥٣٤ ـ ٥٨٣) .

فقد قال في « الفتوحات المكية » مبينًا كيفية تصنيف العارفين لكتبهم وأنهم كيف يضعون مواضع تحت باب لا يشملها عنوان الباب وعلل أن سبب ذلك هو أن العارفين قلوبهم عاكفة على الحضرة الإلهية تتلقى منه العلوم وإليك نص كلامه قال :

« اعلم أن العارفين رضي اللَّه تعالى عنهم لا يتقيدون في تصانيفهم بالكلام فيما بوبوا عليه فقط ذلك لأن قلوبهم عاكفة على باب الحضرة الإلهية مراقبة لما يبرز لهم منها فمهماً برز لهم كلام بادروا لإلقائه على حسب ما حد لهم فقد يلقون الشيء إلى ما ليس في جنسه امتثالاً لأمر ربهم وهو تعالى يعلم حكمة ذلك » انتهى فهذه النقول تدل على أن كلام الكمل لا يقبل الخطأ من حيث هو واللَّه أعلم[1] .

فإذا نظرنا في النص السابق نجد ادعاء التلقي عن اللَّه واضحًا فيه ويتضح لنا هذا في الكلمات الآتية من النص « اعلم أن العارفين رضي اللَّه عنهم لا يتقيدون في تصانيفهم بالكلام فيما بوبوا عليه فقط ذلك لأن قلوبهم عاكفة على باب الحضرة الإلهية مراقبة لما يبرز لهم منها إلى قوله امتثالاً لأمر ربهم » .

ومعنى هذا الكلام أن الصوفية يتلقون علومهم عن اللَّه وأنهم يضعون العلوم التي يتلقونها حسب ما حد لهم وأنهم يمتثلون هذا الأمر ولا يخالفونه وتعليق الشعراني على كلام ابن عربي في آخر النص يدل دلالة واضحة على القول بعصمة الأولياء وليس هذا بغريب لأن من ادعى التلقي عن اللَّه فمن السهل جداً أن يدعي العصمة لأن التلقي عن اللَّه هو ادعاء بنزول الوحي إلى

(١) « اليواقيت والجواهر في عقيدة الأكابر » للشعراني (٢/ ٢٤ ـ ٢٥) .

الأولياء وما دام يعتقد الشعراني بهذا مصدقًا كلام شيخه الضال فليس هذا بغريب عليه لأن العصمة صفة من صفات الرسل عليهم السلام ولذا ادعى الشعراني هذه الدعوة وهي ليست بأكبر من الصفة التي وصف بها ابن عربي الأولياء حيث وصفهم بأنهم يتلقون عن اللّٰه علومهم وألحق الشعراني الصفة الثانية وهي القول بعصمة الأولياء وكلا الصفتين من صفة رسل اللّٰه الذين أوحى اللّٰه إليهم .

وهذا نص آخر عن ابن عربي يثبت بأنه يقول بتلقي الأولياء علومهم عن اللّٰه وقد أجاب حينما سئل عن الإلهام هل خبر إلهي ؟

قال : « نعم إنه خبر إلهي إذ هو إخبار من اللّٰه تعالى للعبد على يد ملك مغيب عن الملهم . . . ».

ثم قال الشعراني :

« فإن قلت فهل يكون إلهام بلا واسطة أحد ؟ فالجواب نعم قد يلهم العبد من الوجه الخاص الذي بين كل إنسان وبين ربه عز وجل فلا يعلم به ملك الإلهام لكن علم هذا الوجه يتسارع الناس إلى إنكاره ومنه إنكار موسى على الخضر عليهما الصلاة والسلام وعذر موسى في إنكاره أن الأنبياء ما تعودوا أخذ أحكام شرعهم إلا عن ملك لا يعرف شرعًا من غير هذا الطريق فعلم أن الرسول والنبي يشهدان الملك ويريانه رؤية بصر عندما يوحي إليهما وغير الرسول يحس بأثره ولا يراه فيلهمه اللّٰه تعالى بواسطة ما شاء أن يلهمه أو يعطيه من الوحي الخاص بارتفاع الوسائط وهو أجل الإلقاء وأشرفه إذا حصل الحفظ لصاحبه ويجتمع في هذا الرسول والولي »[1] .

---

(١) « اليواقيت والجواهر في عقيدة الأكابر » للشعراني (٢/ ٨٤) .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن ابن عربي صرح بأن الأولياء يحسون بإنزال الملك المرسل بالوحي ولا يرون أثره وأن الوحي ينزل على الولي بدون واسطة ملك وأن هذه الطريقة في الإلقاء هي أشرف طريقة ويشترك في هذه الطريقة الرسول والولي ووجه دلالة النص على أن المتصوفة يقولون بتلقي علومهم من اللَّه واضحة جدًا حيث صرح ابن عربي بأن الوحي يلقى في الولي كما يلقى في النبي وهنا بجانب ادعاء التلقي ادعى ابن عربي التسوية بين النبي والولي في طريقة تلقي الوحي عن اللَّه .

وقد أجاب ابن عربي حينما سئل عن الصورة التي يتنزل بها الوحي على قلوب الأولياء فقال :

« صورته أن الحق تعالى إذا أراد أن يوحي إلى ولي من أوليائه بأمر ما تجلى إلى قلب ذلك الولي في صورة ذلك الأمر فيفهم من ذلك الولي التجلي وبمجرد مشاهدته ما يريد الحق تعالى أن يعلم ذلك الولي به من تفهيم معاني كلامه أو كلام نبيه ﷺ في قلبه باليد الإلهية كما يليق بجلاله تعالى . . . . ثم إن من الأولياء من يشعر بذلك ومنهم من لا يشعر بل يقول وجدت كذا وكذا في خاطري ولا يعلم من أتاه به ولكن من عرفه فهو أتم لحفظه حينئذ من الشيطان »[(١)] .

والشاهد من إيراد هذا النص واضح وهو أن ابن عربي صرح بأن اللَّه تعالى يوحي إلى الأولياء ومعنى هذا أن الأولياء يوحى إليهم ويتلقون علومهم عن اللَّه حسب زعمه ولا ندري أي علم الذي يبحث عنه المتصوفة تاركين علوم الكتاب والسنة النبوية المطهرة إلا أن يكونوا يبحثون عن علوم شيطانية

---

(١) « اليواقيت والجواهر في عقيدة الأكابر » للشعراني (٢/ ٨٤) .

يضلون بها عن الطريق السوي .

وقد صرح ابن عربي بأن الوحي الذي ينزل على الأولياء ينزل مكتوبًا كما نزلت التوراة على موسى مكتوبة وأن ميزة هذه الورقة المكتوب فيها الوحي الصوفي تقرأ من جهتين وإليك نص كلامه .

قال ابن عربي متكلمًا عن الوحي الصوفي :

« وقد يكون ذلك في كتابة ويقع هذا كثيراً للأولياء وبه كان يوحى لأبي عبد اللّه قضيب البان وغيره كبقية بن مخلد رضي اللّه عنه لكنه كان أضعف الجماعة في ذلك فكان لا يجده إلا بعد القيام من النوم مكتوبًا في ورقة» انتهى والعلامة على أن الكتابة وحي قال ابن عربي :

« إنها تقرأ من كل ناحية على السواء لا تتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها » .

ثم قال الدجال ابن عربي :

« وقد رأيت ورقة نزلت على فقير في المطاف بعتقه من النار على هذه الصفة فلما رآها الناس علموا أنها ليست من كتابة المخلوقين فإن وجدت تلك العلامة فتلك الورقة من اللّه عز وجل .

ثم قال أيضًا : « وكذلك وقع للفقيرة من تلامذتنا أنها رأت في المنام أن الحق تعالى أعطاها ورقة فانطبقت كفها حين استيقظت فلم يقدر أحد على فتحها فألهمني اللّه تعالى أني قلت لها : انو بقلبك إنه إذا فتح اللّه كفك أن تبتلعيها فنويت وقربت يدها إلى فمها فدخلت الورقة في فيها قهرًا عليها فقال الولي بم عرفت ذلك ؟ فقلت ألهمت أن اللّه تعالى لم يرد منها أن يطلع عليها أحد وقد أطلعني اللّه على الفرق بين كتابة اللّه تعالى في اللوح المحفوظ وغيره وبين كتابة المخلوقين وهو علم

عجيب رأيناه وشاهدناه »[1] .

والشاهد في النص واضح حيث إن ابن عربي قال : إن الوحي الذي ينزل على الأولياء ينزل عليهم مكتوبًا من اللوح المحفوظ وابن عربي شاهد هذا العلم بنفسه ورأى منه الكثير فكيف لا وهو الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر كما يصفه المتصوفة بهذا؟! والذي يهمنا نحن هنا هو الإثبات بأن المتصوفة يقولون بتنزل الوحي عليهم من اللّه وهذا واضح في النص ولا يهمنا بعد ذلك كون وحيهم يتنزل مكتوبًا أو غير مكتوب لأننا نعتقد اعتقاداً جازمًا بأنه وحي شيطاني لا رباني لأن اللّه سبحانه وتعالى قد أخبر في كتابه العزيز بأنه قد ختم باب النبوة وإنزال الوحي برسالة محمد بن عبد اللّه عليه أفضل الصلاة والسلام .

ويقول ابن عربي متحدثًا عن كتابه « فصوص الحكم » وأنه أعطاه له الرسول ﷺ وأمره بأن يخرج به إلى الناس وأنه فعل ما أمره به الرسول ﷺ وهذا نص كلامه :

« أما بعد فإني رأيت رسول اللّه ﷺ في مبشرة رأيتها في العشر الآخر من المحرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق وبيده ﷺ كتاب فقال لي : هذا كتاب « فصوص الحكم » خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به فقلت : السمع والطاعة للّه ولرسوله وأولي الأمر منا كما أمر . . . ثم قال : فحققت الأمنية وأخلصت النية وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حده لي الرسول ﷺ من غير زيادة ولا نقصان »[2] .

---

(١) « اليواقيت والجواهر » للشعراني (٢/ ٨٣ ـ ٨٤) .

(٢) « فصوص الحكم » لابن عربي (ص٤٧) .

وقال في مكان آخر من نفس الكتاب :

« فاقتصرت على ما ذكرته من هذا الحكم في هذا الكتاب على حد ما ثبت في أصل الكتاب فامتثلت ما رسم لي ووقفت عند ما حد لي ولو رمت زيادة على ذلك ما استطعت فإن الحضرة تمنع من ذلك »[1] .

وقال أيضًا في نفس الكتاب في فصح حكمة علوية في كلمة موسوية :

« وأنا إن شاء اللَّه أسرد منها في هذا الباب على قدر ما يقع به الأمر الإلهي في خاطري فكان هذا أول ما شوفهت به من هذا الباب » .

والشاهد في هذه النصوص السابقة أن الرجل أولاً ادعى بأن هذا الكتاب أمره الرسول ﷺ أن يخرج به إلى الناس لكي ينتفعوا به ونحن نقول : إن هذا كذب محض وافتراء على الرسول ﷺ وذلك لأن الرسول ﷺ لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يأمر ابن عربي ويوصيه بإيصال هذا الكتاب إلى الناس وذلك لأمور .

الأمر الأول : إن الرسول ﷺ قد بلغ رسالة ربه وهو حي ولم يترك مما أمره اللَّه بتبليغه شيئًا حتى يوصي به ابن عربي الدجال .

الأمر الثاني : إن هذا الكتاب من أوله إلى آخره مملوء بالدعوة إلى الكفر والشرك والإلحاد والرسول ﷺ ما جاء إلا للدعوة إلى توحيد اللَّه ومحاربة ما يدعو إليه ابن عربي في كتابه الذي زعم أنه أوصاه به رسول اللَّه ﷺ .

وبنظرة بسيطة إلى ما يحويه هذا الكتاب نستطيع أن نعرف بأن هذا

---

(١) « فصوص الحكم » لابن عربي (ص٥٨) .

الكتاب بالفعل أوحاه إليه الشيطان وأمره أن يخرج به إلى الناس وإليك نماذج من العلم الذي يحتويه هذا الكتاب حتى تحكم عليه بنفسك لأن ليس من رأى كمن سمع .

النموذج الأول :

لقد زعم ابن عربي بأن قوم نوح أجابوا رسولهم نوحًا عليه السلام ولم يرفضوا دعوته بل أجابوه إجابة حقيقة وأن نوحًا مكر بهم فمكروا به وإن تمسكهم بآلهتهم إنما هو تمسك بحق أراد نوح أن يزيحهم عنه وإليك عبارته الوقحة التي تدل دلالة واضحة على هذا حيث قال :

« علم العلماء باللّه ما أشار إليه نوح عليه اسلام في حق قومه من الثناء عليهم بلسان الذم وعلم أنهم إنما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان والأمر قران لا فرقان ومن أقيم في القران لا يصغي إلى الفرقان وإن كان فيه . . . » .

ثم قال : « دعاهم ليغفر لهم لا ليكشف لهم وفهموا ذلك منه ﷺ لذلك ﴿ **جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ** ﴾[1] .

وهذه كلها صورة الستر التي دعاهم إليها فأجابوا دعوته بالفعل لا بلبيك .

ثم قال في معنى قوله تعالى : ﴿ **يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً** ﴾[2] .

وهي المعارف العقلية في المعاني الاصطلاحية والنظر الاعتباري .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ** ﴾[3] أي بما يميل بكم

---

(١) نوح : (٧) .

(٢) نوح : (١١) .

(٣) نوح : (١٢) .

إليه فإذا مال بكم إليه رأيتم صورتكم فيه فمن تخيل منكم أنه رآه فما عرف ومن عرف منكم أنه رأى نفسه فهو العارف .

ثم قال في معنى قوله تعالى : ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ لأن الدعوة إلى اللَّه تعالى مكر بالمدعو أدعو إلى اللَّه فهذا عين المكر فأجابوه مكرًا كما دعاهم »[1] .

إذا نظرنا في تفسيرات ابن عربي السابقة للآيات القرآنية نجدها تفسيرات باطنية بحتة بعيدة كل البعد عن المعاني التي تدل عليها الآيات فنحن كلنا نعلم علم اليقين أن قوم نوح أكثرهم رفض دعوة التوحيد التي كان يدعوهم إليها نوح عليه السلام وأنه بذل أقصى جهده في دعوتهم ولكن مع ذلك لم يؤمن له بدعوته إلا القليل كما أخبرنا اللَّه بذلك في كتابه فقال : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾[2] .

كما نرى في هذه الآيات السابقة أن نوحًا عليه السلام دعا قومه ليلاً ونهارًا واستعمل معهم جميع الأساليب من أجل أن يقبلوا دعوته لكنهم مع ذلك لم يقبل هذه الدعوة إلا القليل منهم كما قال تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾[3] .

---

(١) « فصوص الحكم » لابن عربي (٧١ ـ ٧٢) .

(١) نوح : (٥ ـ ١٠) .

(٣) هود : (٤٠) .

ففي هذه الآية أخبرنا اللَّه سبحانه وتعالى أن نوحًا عليه السلام لم يؤمن له من قومه إلا القليل أما الأكثر فقد رفض الدعوة وهلكوا وهم كفار كما أخبرنا اللَّه عنهم في سورة هود عليه السلام فقول ابن عربي بإيمان قوم نوح جميعًا فيه مخالفة صريحة للآيات التي نصت على أن قوم نوح لم يؤمن منهم إلا القليل أما الأكثر فقد رفضوا الدعوة ووقفوا ضدها ودعا عليهم نوح عليه السلام كما أخبرنا اللَّه تعالى بذلك فقال : ﴿**وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً** ﴿٢٦﴾ **إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً**﴾[1] .

وقد اعتبر ابن عربي دعوة نوح قومه إلى إفراد اللَّه بالعبادة مكر بهم وبين نوع هذا المكر الذي اتخذه نوح عليه السلام ضد قومه فقال :

« فقالوا في مكرهم لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودًا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق ونسرًا » فإنهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء فإن للحق في كل معبود وجهًا يعرفه من يعرفه ويجهله من يجهله فما عبد غير اللَّه في كل معبود »[2] .

ولم يكتف ابن عربي بتصحيح موقف قوم نوح الضالين المكذبين بل عمد إلى جميع الكفار فجعلهم مؤمنين موحدين عارفين واصلين وعمد إلى المسلمين فجعلهم مؤمنين بجزء من الحق فقط كافرين بأجزاء أخرى ولم ينس ابن عربي فرعون اللعين الذي لم تعرف الأرض قبله أكفر منه ولا أظلم فجعله من المؤمنين الموحدين الفائزين بالجنة حيث قال :

---

(١) نوح : (٢٦ ـ ٢٧) .

(٢) « فصوص الحكم » لابن عربي (ص٧٢) .

« ولما كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت وأنه الخليفة بالسيف وإن جار في العرف الناموسي لذلك قال : ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾ أي وإن كان الكل أربابًا بنسبة ما فأنا ربكم الأعلى بما أعطيته في الظاهر من التحكم فيكم ولما علمت السحرة صدقه في مقاله لم ينكروا بل أقروا له بذلك فقالوا : ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[1] ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾ فالدولة لك فصح قوله ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾ »[2] .

وصحح ابن عربي أيضًا موقف السامري وصناعته للعجل الذي فتن به بنو إسرائيل فعبدوه مع اللَّه وخطّأ هارون عليه الصلاة والسلام واتهمه بأنه لا يعرف الحق ولذا أنكر على بني إسرائيل عبادة العجل وزعم أيضًا أن موسى عرف الحق وأنكر على السامري أن يحصر الإله في شيء واحد فقط لأن اللَّه في نظر ابن عربي ومن سار على نهجه من المتصوفة الضالة عين كل شيء ولذا لكل إنسان له أن يعبد ما شاء مما في هذا الكون لأن الكل ما هي إلا مظاهر ومجالي للَّه سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وإليك نص كلامه فقد قال في معنى قوله تعالى : ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[3] فتجعلني سببًا في تفريقهم فإن عبادة العجل فرقت بينهم فكان منهم من عبده اتباعًا للسامري وتقليدًا له ومنهم من توقف عن عبادته حتى يرجع إليهم موسى فيسألونه عن ذلك فخشي هارون أن ينسب ذلك الفرقان بينهم إليه فكان موسى أعلم بالأمر من هارون لأنه علم ما عبده أصحاب العجل لعلمه أن اللَّه قضى أن لا يعبد إلا إياه وما حكم اللَّه

---

(١) طه : (٧٢) .

(٢) « فصوص الحكم » .

(٣) طه : (٩٤) .

بشيء إلا وقع فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه فإن العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء »[1] .

ثم قال ابن عربي بعد هذا :

« والعارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه ولذلك سموه كلهم إلهًا مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان أو كوكب أو ملك »[2] .

إذا نظرنا في النصوص السابقة نجد أن ابن عربي أولاً : صرح بإيمان قوم نوح جميعًا وأنهم أجابوا دعوته .

ثم قال أيضًا : بأن عبادة العجل الذي جعله السامري ليس فيه أي خطأ لأنه مظهر من مظاهر اللَّه وأن فرعون في ادعائه الربوبية كان مصيبًا لأن كل ما في هذا الكون ما هو إلا مظهر من مظاهر اللَّه وأن كل العابدين في هذا الكون ما هم إلا عباد للَّه سبحانه لأن الكل في هذا الكون ما هو إلا مظهر من مظاهر اللَّه فإذا عبدت أي شيء فقد عبدت اللَّه وأن الخطأ هو أن تعبد إلهًا واحدًا وهذا كله كفر بواح ولذا نقول : إن هذا الكتاب بالفعل ألقاه الشيطان إلى ابن عربي وأمره بأن يخرج به إلى الناس وقد فعل فخرج به إلى الناس وأفسد به عقائد كثيرين من الأمة الإسلامية .

وقد أنب محيي الدين بن عربي الغزالي وانتقده في تفريقه بين النبي والولي في طريقة التلقي عن اللَّه حيث قال الغزالي :

« إن الفرق بين تنزل الوحي على قلب الأنبياء وتنزله على قلوب

---

(1) « فصوص الحكم » لابن عربي (١/ ١٩١) .

(2) « فصوص الحكم » لابن عربي (١/ ١٩٥) .

الأولياء نزول الملك فإن الولي يلهم ولا ينزل عليه ملك قط والنبي لابد له في الوحي من نزول الملك به »[1] .

قال محيي الدين بن عربي معللاً سبب تفريق الغزالي بين النبي والولي في طريقة التلقي عن اللَّه :

« وسبب غلط الغزالي وغيره في منع تنزل الملك على الولي عدم الذوق وظنهم أنهم قد عموا بسلوكهم جميع المقامات فلما ظنوا ذلك بأنفسهم ولم يروا ملك الإلهام نزل عليهم أنكروه وقالوا : ذلك خاص بالأنبياء فذوقهم صحيح وحكمهم باطل مع أن هؤلاء الذين منعوا قائلون بأن زيادة الثقة مقبولة وأهل اللَّه كلهم ثقات قال : ولو أن أبا حامد وغيره اجتمعوا في زمانهم بكامل من أهل اللَّه وأخبرهم بتنزل الملك على الولي لقبلوا ذلك ولم ينكروه . قال : وقد نزل علينا ملك فللَّه الحمد »[2] .

والشاهد في النص واضح ويتلخص لنا فيما يلي :

أولاً : أن الغزالي والذي يلقبه المتصوفة بحجة الإسلام من القائلين بنزول الوحي على الأولياء .

ثانيًا : صرح ابن عربي بأن طريقة إنزال الوحي على الأولياء هي نفس الطريقة التي ينزل بها على الأنبياء وأنه لا فرق بينهم وأن من ينكر تنزل الملك بالوحي على الأولياء إنما ينكره لعدم ذوقه .

ثالثًا : أخبرنا ابن عربي بأنه نزل عليه بالفعل ملك بالوحي وهذه حجج

---

(١) « اليواقيت والجواهر في عقيدة الأكابر » للشعراني (٢/ ٨٥) .

(٢) « اليواقيت والجواهر في عقيدة الأكابر » للشعراني (٢/ ٨٥) ونحوه في « الإبريز » للدباغ (١٥١) .

قاطعة لإلزام المتصوفة بأنهم يعتقدون تلقي علومهم عن اللَّه مباشرة .

ولعل الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر لم يقف على قول الغزالي الآتي والذي صرح فيه بأن الأولياء يشاهدون الملائكة ولذا انتقده واتهمه بعدم الذوق .

وهذا هو النص الذي قال فيه الغزالي أن الأولياء يشاهدون الملائكة :

« ومن أول الطريق تبتدئ المكاشفات والمشاهدات حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتًا ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق »[1] .

إذا نظرنا في هذا النص نجد أن الغزالي بالفعل صرح بأن الأولياء يرون الملائكة ويتلقون منهم فوائد ولذا ليس هناك فرق بين محيي الدين بن عربي والغزالي في الطريقة التي يتلقى بها الأولياء الوحي المزعوم .

وزعم محيي الدين بن عربي أيضًا بأن الولاية أفضل من النبوة وأن النبوة تتجدد ولا تنقطع وأن علم الولي أكثر وأعظم من علم النبي لأن الولي يعلم علم الشريعة والحقيقة بخلاف النبي فإنه لا يعلم إلا علم الشريعة فقط وكذلك من الأمور التي يتفوق بها الولي على النبي أن النبي يأخذ الوحي بواسطة الملك بينما الولي يأخذ الوحي من المكان الذي يأخذ منه الملك رأسًا .

وإليك نص كلامه قال :

« إن الولاية هي المحيطة العامة وهي الدائرة الكبرى فمن حكمها أن

---

(١) « المنقذ من الضلال » للغزالي (ص٦٨) .

يتولى اللَّه من شاء من عباده بنبوة وهي من أحكام الولاية وقد يتولاه بالرسالة وهي من أحكام الولاية أيضًا فكل رسول لابد أن يكون نبيًا وكل نبي لابد أن يكون وليًا فكل رسول لابد أن يكون وليًا فالرسالة بخصوص مقام في الولاية والرسالة في الملائكة دنيا وأخرى لأنهم سفراء الحق لبعضهم والرسالة في البشر لا تكون إلا في الدنيا وينقطع حكمها في الآخرة وكذلك تنقطع في الآخرة بعد دخول الجنة والنار بنبوة التشريع لا النبوة العامة وأصل الرسالة في الأسماء الإلهية وحقيقة الرسالة إبلاغ كلام من متكلم إلى سامع فهي حال لا مقام ولا بقاء لها بعد انقضاء التبليغ وهي تتجدد .

بخلاف الولاية فإنها لا تنقطع أبدًا ولا تحد لا بالزمان ولا بالمكان ولها الإنباء العام واللَّه لم يقسم بنبي ولا رسول ويقسم بالولي واتصف بهذا الاسم فقال : ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ وقال : ﴿ **وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾ وهذا الاسم باق جار على عباد اللَّه دنيا وأخرى فلم يبق اسم يختص به العبد دون الحق بانقطاع النبوة والرسالة إلا أن اللَّه لطف بعباده فأبقى لهم النبوة العامة التي لا تشريع فيها . . . وأبقى لهم الوراثة في التشريع فقال العلماء ورثة الأنبياء . . فإذا رأيت النبي يتكلم بكلام خارج عن التشريع ممن هو حيث ولي وعارف ولهذا مقامه من حيث هو عالم أتم وأكمل من حيث هو رسول وذو تشريع وشرع »[(١)] .

وقال ابن عربي أيضًا :

« إن الولي يعلم علمين بخلاف النبي فإنه لا يعلم إلا علمًا واحدًا فقط وإن الولي يعلم علمين علم الشريعة وعلم الحقيقة أي الظاهر والباطن

---

(١) « فصوص الحكم » لابن عربي (١/ ١٣٥) وكذلك « الفتوحات المكية » (٢/ ٢٥٧) .

والتنزيل والتأويل حيث إن الرسول من حيث هو رسول ليس له علم إلا بالظاهر والتنزيل والشريعة فإذا رأيت النبي يتكلم بكلام خارج عن التشريع فمن حيث هو ولي عارف ولهذا مقامه من حيث هو عارف أتم وأكمل من حيث هو رسول أو ذو تشريع وشرع »[(١)] .

«ويزعم ابن عربي أيضًا بأن النبي والرسول يستمدان العلم والمعرفة من الملك الذي يبلغه الوحي الإلهي بواسطته ولا يمكنه الأخذ من اللّٰه مباشرة بخلاف الولي فإنه يستمد المعرفة من حيث يأخذها الملك الذي يؤدي بدوره إلى الأنبياء والرسل فمرجع الرسول والنبي المشرع إلى الولاية والعلم »[(٢)] .

وفي عبارة أصرح مما سبق زعم ابن عربي بأن الرسول لا يأخذ الوحي إلا من مشكاة خاتم الأولياء وزعم بأنه هو نفسه خاتم الأولياء وإليك نص عبارته حتى تتضح الصورة جيداً .

فقد قال محيي الدين بن عربي بعد أن تحدث عن وحدة الوجود وكيف أن ما في هذا الكون مرايا للّٰه سبحانه وتعالى وأن الناس بالنسبة لهذا العلم درجات فقال :

« فمنا من جهل في علمه فقال : « والعجز عن درك الإدراك إدراك ومنا من علم فلم يقل مثل هذا وهو أعلى القول بل أعطاه العلم السكوت ما أعطاه العجز وهذا هو أعلى عالم باللّٰه وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء وما يراه أحد من الأنبياء والرسل إلّا من مشكاة الرسول الخاتم ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم حتى إن الرسل لا يرونه متى رأوه إلا من مشكاة خاتم الأولياء فإن الرسالة والنبوة أعني نبوة التشريع

---

(١) « فصوص الحكم » (١/ ١٣٥) .

(٢) « فصوص الحكم » (١/) .

ورسالته تنقطعان والولاية لا تنقطع أبدًا فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء فكيف من دونهم من الأولياء وإن كان خاتم الأولياء تابعًا في الحكم لنا جاء به خاتم الرسل من التشريع فذلك لا يقدح في مقامه ولا يناقض ما ذهبنا إليه فإنه من وجه يكون أنزل كما أنه من وجه يكون أعلى . . . لما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللبن وقد كمل سوى موضع لبنة فكان ﷺ تلك اللبنة غير أنه ﷺ لا يراها كما قال : لبنة واحدة وأما خاتم الأولياء فلابد له من هذه الرؤيا فيرى ما مثله به رسول اللّه ﷺ ويرى في الحائط موضع لبنتين واللبن من ذهب وفضة فيرى اللبنتين اللتين تنقص الحائط عنهما وتكمل بهما لبنة ذهب ولبنة فضة فلابد أن يرى نفسه تنطبع في موضع تينك اللبنتين فيكون خاتم الأولياء تينك اللبنتين فيكمل الحائط والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين أنه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر وهو موضع اللبنة الفضة وهو ظاهر وما يتبعه فيه من الأحكام كما هو أخذ عن اللّه في السر ما هو بالصورة الظاهره متبع فيه لأنه يرى الأمر على ما هو عليه فلابد أن يراه هكذا وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن فإنه أخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به إلى الرسول فإن فهمت ما أشرت به فقد حصل لك العلم النافع بكل شيء فكل نبي من لدن آدم إلى آخر نبي ما فهم من أحد يأخذ إلا من مشكاة خاتم النبيين وإن تأخر وجود طينته فإنه بحقيقته موجود وهو قوله ﷺ : « **كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين** » وغيره من الأنبياء ما كان نبيًا إلا حين بعث وكذلك خاتم الأولياء كان وليًا وآدم بين الماء والطين وغيره من الأولياء ما كان وليًا إلا بعد تحصيله شرائط الولاية من الأخلاق الإلهية والاتصاف بها من كون اللّه تعالى تسمى بالولي الحميد فخاتم الرسل من حيث ولايته نسبته مع الخاتم للولاية نسبة الأنبياء والرسل معه فإن الولي الرسول النبي وخاتم الأولياء الولي الوارث الآخذ عن

الأصل المشاهد للمراتب »[1] .

وقد ادعى ابن عربي بأنه خاتم الأولياء وذلك حتى يحوز هذا المنصب العظيم الذي ادعاه ألا وهو أن الأنبياء يأخذون من مشكاة خاتم الأولياء حيث قال في فتوحاته المكية :

أنا ختم الولاية دون شك
لورثي الهاشمي مع المسيح
كما أني أبو بكر عتيق
أجاهد كل ذي جسم وروح
بأرواح مثقفـــــة طـوال
وترجمة بقرآن فصيح
أشد على كتيبة كل عقل
تنازعني على الوحي الصريح
لي الورع الذي يسمو
على الأحوال بالبناء الصحيح
وساعدني عليه رجال صدق
من الورعين من أهل الفتوح
يوالون الوجود وكل ندب
ويششون سلطنة المبيح[2]

والشاهد في النصوص السابقة هو أن ابن عربي ادعى بأنه يتلقى الوحي من اللَّه وأنه يأخذه بدون واسطة من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يرسله اللَّه إلى الأنبياء ليبلغهم الوحي وأنه خاتم الأولياء وكان وليًا قبل خلق

(١) « فصوص الحكم » لابن عربي (٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤) .

(٢) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٤/ ٧١) الباب الثالث والأربعون.

آدم وفي هذا ظاهر تفضيل وحي الأولياء على وحي الأنبياء وتفضيل الولاية على الرسالة وهذه كلها عقائد مناقضة للعقيدة الإسلامية الصحيحة .

ويقول ابن عربي أيضًا مقررًا استمرار النبوة وعدم انقطاعها :

« ويجمع النبوة كلها أم الكتاب ومفتاحها بسم اللَّه الرحمن الرحيم فالنبوة سارية إلى يوم القيامة في الخلق . . . فإنه يستحيل أن ينقطع خبر اللَّه وأخباره من العالم إذ لو انقطع لم يبق للعالم غذاء يتغذى به في بقاء وجوده »[1] .

ويقول أيضًا في مكان آخر :

« ويتضمن هذا الباب المسائل التي لا يعلمها إلا الأكابر من عباد اللَّه الذين هم في زمانهم بمنزلة الأنبياء في زمان النبوة وهي النبوة العامة فإن النبوة التي انقطعت بوجود رسول اللَّه ﷺ إنما هي نبوة التشريع لا مقامها فلا شرع يكون ناسخًا لشرعه ﷺ ولا يزيد في حكمه شرعًا آخر وهذا معنى قوله ﷺ إن الرسالة والنبوة انقطعت فلا رسول بعدى ولا نبي أي لا نبي بعدى لكون شرع يكون مخالفًا لشرعي بل إذا كان يكون تحت حكم شريعتي فهذا هو الذي انقطع وسد بابه لا مقام النبوة »[2] .

والذي يهمنا من إيراد هذا النص هو قول ابن عربي باستمرارية النبوة وعدم انقطاعها وهذه عقيدة مخالفة لما جاءت به النصوص القرآنية والنبوية من أن باب النبوة قد أغلق تمامًا فلا نبي ولا رسول بعد النبي محمد ﷺ .

وقد قسم ابن عربي العلم إلى ثلاثة أقسام وهي علم العقل وعلم

---

(١) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٢/ ٩٠).

(٢) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٢/ ٣) .

الأحوال وعلوم الأسرار فقال :

« العلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام علم العقل وقال في تعريف هذا العلم: هو كل علم يحصل لك ضرورة أو عقيب نظر في دليل .

والعلم الثاني : علم الأحوال ولا سبيل إليها إلا بالذوق فلا يقدر عاقل على أن يحدها ولا يقيم على معرفتها دليل ألبتة كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع والعشق والوجد والشوق وما شاكل هذا النوع من العلوم فهذه علوم من المحال أن يعلمها أحد إلا بأن يتصف بها ويذوقها وشبهها من جنسها في أهل الذوق . . .

والعلم الثالث : علوم الأسرار وهو العلم الذي فوق طور العقل وهو علم نفث روح القدس في الروع يختص به النبي والولي وهو نوعان نوع منه يدرك بالعقل كالعلم الأول من هذه الأقسام لكن هذا العلم به لم يحصل له عن نظر ولكن مرتبة هذا العلم أعطت هذا والنوع الآخر على ضربين ضرب منه يلحق بالعلم الثاني لكن حاله أشرف والضرب الآخر هو من قبيل علوم أخبار وهي العلوم التي يدخلها الصدق والكذب بذاتها إلا أن يكون المخبر به أن يعلم الأخبار قد ثبت صدقه عند المخبر وثبتت عصمته فيما يخبر به ويقوله كإخبار الأنبياء صلوات اللّه عليهم عن اللّه كإخبارهم بالجنة وما فيها وهذا الصنف الثالث هو علم الأسرار العالم به يعلم العلوم كلها ويستغرقها وليس صاحب تلك العلوم الأخرى كذلك فلا علم أشرف من هذا العلم المحيط الحاوي على جميع المعلومات »(١) .

* ومن المتصوفة الذين زعموا تلقي علومهم عن اللّه وعروجهم إليه

---

(١) « الفتوحات المكية » لابن عربي (١/ ١٣٩) .

ومكالمتهم مع اللَّه أبو يزيد البسطامي الذي يعتبر من المشائخ الكبار في الأوساط الصوفية ومن الذين لهم القدم الراسخ في تأسيس عقائد الصوفية المنحرفة .

فقد ادعى أبو يزيد بأنه أخذ علمه عن الحي الذي لا يموت ومعلوم طبعًا الحي الذي لا يموت هو اللَّه سبحانه وتعالى لأنه هو المستحق الحقيقي لهذا الوصف أما غيره من المخلوقات فالكل فان وتهكم أبو يزيد بعلماء الإسلام الأجلاء الفضلاء الذين يهتمون بعلوم كتاب اللَّه الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ وبسنة المصطفى ﷺ .

وهذا نص كلامه فقد قال :

« أخذتم علمكم ميتًا عن ميت ونحن أخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت »[1] .

ويعني أبو يزيد بهذا الكلام أهل السنة والجماعة الذين يتمسكون بتعاليم الكتاب والسنة ولا يقبلون غيرهما من العلوم الخرافية التي يدعي المتصوفة أنهم تلقوها عن اللَّه وكلام أبي يزيد هذا فيه تهكم واستهزاء واستخفاف واضح بالصحابة الذين نقلوا إلينا هذا العلم وبجميع علماء الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل ونحن نقول : يا أبا يزيد ـ ومن هو على طريقتك من المتصوفة ـ نقول لكم : ليس لكم أي علوم تتلقونها عن اللَّه وإنما من الممكن أن يوحي إليكم الشيطان الوحي من عنده فيضلكم كما هو واضح في علومكم التي تزعمون أنكم تلقيتموها عن اللَّه فكلها تدعو إلى الضلال

---

(١) « الجواهر والدرر » للشعراني بهامش « الإبريز » للدباغ (٢٨٦) وكذلك « الفتوحات المكية» لابن عربي (١/١٣٩) .

والكفر والشرك والبدع والخرافات وكل العلوم التي تحتوي عليها متناقضة مع ما في الكتاب والسنة ولو كانت من اللَّه على فرض التنزل معكم لما تناقضت معهما مع العلم بأننا نؤمن إيمانًا جازمًا بأنه لا وحي ولا علم يتلقى عن اللَّه بعد الرسول محمد ﷺ لأن هذا الباب قد أغلق تمامًا فمن ادعى التلقي عن اللَّه فهو ضال مضل كذاب أفاك .

وادعى أبو يزيد البسطامي أيضًا أنه عرج به إلى السماوات وتكلم مع الرب سبحانه وتعالى مشافهة وأنه أراه اللَّه السبع الأرضين وما فيها والسماوات السبع وما فيها وأنه رأى الجنان وعرش الرحمن وهذا نص كلامه فقد قال :

« أدخلني في الفلك الأسفل فدورني في الملكوت السفلي فآراني الأرضين وما تحتها إلى الثرى ثم أدخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السماوات وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش ثم أوقفني بين يديه فقال لي: سلني أي شيء رأيت حتى أهبه. فقلت: يا سيدي ما رأيت شيئًا استحسنته فأسلك إياه فقال : أنت عبدي حقًا تعبدني لأجلي صدقًا لأفعلن بك »[1] .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن أبا يزيد زعم بأنه تبادل الحديث مع الرب مشافهة حيث عرج به إلى السماوات العلى فرأى الجنان ومع ذلك لم يجد شيئًا يعجبه فلم يسأل اللَّه شيئًا وذلك لأن الجنة لا تساوي مع مشائخ الصوفية الدجاجلة شيئًا لأنهم حسب زعمهم لا يعبدون اللَّه حبًا للدخول في الجنة ولا النجاة من النار وإنما يعبدونه متجردين عن الرغبة والرهبة وهذه عبادة مخالفة لما شرعه اللَّه فإن اللَّه سبحانه قال في وصف أنبيائه : ﴿إِنَّهُمْ

---

(١) « قوت القلوب » لأبي طالب المكي (٢/ ٧٠) وكذلك « غيث المواهب العلية » للرندي (٣٠٥) .

كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾[1] .

والذي يهمنا من إيراد هذا النص هو زعم أبي يزيد التكلم مع اللَّه مشافهة وهذا هو معنى التلقي عن اللَّه .

وهذا نص آخر عن أبي يزيد يزعم فيه بأن اللَّه رفعه وأوقفه بين يديه وقال له إن خلقه يحبون أن يروك ثم أبو يزيد طلب أن يحل فيه اللَّه بحيث إذا رآه الخلق يصبحون كأنهم رأوا اللَّه حقيقة وهذا نص كلامه قال :

« رفعني مرة فأقامني بين يديه وقال لي : يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك. فقلت : زيني بوحدانيتك وألبسني أنانيتك وارفعني إلى أحديتك حتى إذا رآني خلقك قالوا : رأيناك، فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هنا »[2] .

والشاهد من إيراد النص واضح ألا وهو زعم أبي يزيد التكلم مع اللَّه وتبادل الحديث معه كما هو واضح جلي في النص .

ويزعم أبو يزيد البسطامي أيضًا بأنه خاض بحرًا من العلم لم يستطع الأنبياء أن يخوضوه وإنما وقفوا بساحله لأن علمهم محدود أما علم أبي يزيد وأمثاله فغزير جدًا وكثير لا يساوى علم الأنبياء بالنسبة له شيئًا وهذا نص كلامه قال :

« خضنا بحرًا وقف الأنبياء بساحله »[3] .

وزعم أيضًا بأنه أوتى ما لم يؤتاه النبيون من العلم وهذا نص كلامه فقد قال :

---

(١) الأنبياء : (٩٠) .

(٢) « اللمع » للطوسي (ص٤٦١) .

(٣) « الإبريز » للدباغ (ص٢٧٦) وكذلك « جمهرة الأولياء » للمنوفي (١/ ٢٦٦) .

« معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب وأوتينا ما لم تؤتوه »[1] .

وقال البسطامي أيضًا :

« تاللَّه إن لوائي أعظم من لواء محمد ﷺ لوائي من نور تحته الجان والجن والإنس كلهم من النبيين »[2] .

ففي النصوص السابقة تفضيل البسطامي نفسه على جميع الأنبياء والرسل في العلم واضح وكذلك صرح بأن لواءه أعظم من لواء الرسول ﷺ وهذا كلام خطير جدًا لا يمكن أن يخرج من إنسان فيه ذرة من الإيمان فضلاً عن أن يطلع من إنسان يعتبره المتصوفة من كبار أولياء اللَّه وتنزه اللَّه أن يكون أولياؤه هكذا .

* ومـن كبار الصوفيـة الذين زعمـوا التلقي عن اللَّه والعروج إليه عبد الكريم الجيلي فقد قال هذا الرجل واصفًا كتابه « الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر » :

« وكنت قد أسست الكتاب على الكشف الصريح وأيدت مسائله بالخبر الصحيح . . وسميته بالإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل . . . » .

ثم قال الجيلي مفتريًا على اللَّه : « فأمرني الحق الآن بإبرازه بين تصريحه وألغازه ووعدني بعموم الانتفاع فقلت : طوعًا للأمر المطاع وابتدأت في تأليفه متكلاً على الحق في تعريفه فها أنا ذا أكرع من دنه القديم بكأس الاسم العليم في قوابل أهل الإيمان والتسليم خمرة مرضعة من الحي الكريم مسكرة الموجود بالقديم »[2] .

---

(١) « الإنسان الكامل » للجيلي (١/ ١٢٤) وكذلك « الجواهر والدرر » للشعراني بهامش «الإبريز » للدباغ (ص٢٨٦) .

(٢) « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي (ص٦) .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن عبد الكريم الجيلي زعم بأن اللَّه أمره بإظاهر هذا الكتاب بكل ما يحمله من عبارات صريحة واضحة الدلالة على المقصود وعبارات هي ألغاز يصعب فهمها في الوهلة الأولى وأن اللَّه وعده بأن هذا الكتاب سينتفع به الكثير وهذه عبارات تدل على أنه تلقى العلم الموجود في هذا الكتاب من اللَّه سبحانه وتعالى وهذا حسب زعمه وإلا فنحن نعتقد اعتقادًا جازمًا بأنه لم يتلقى هذا العلم عن اللَّه وإنما من الممكن أن يكون تلقاه عن الشيطان بل بالتأكيد وحي شيطاني لأن هذا الكتاب من أوله إلى آخره لا يحتوي إلا على الكفر والإلحاد والشرك يلاحظ ذلك بوضوح كل من يقرأ في هذا الكتاب .

وإليك نماذج من هذا الكتاب الذي يزعم الجيلي بأن اللَّه أمره بإبرازه ووعده بعموم الانتفاع به حتى تحكم بنفسك بأن هذا الوحي وحي شيطاني وليس وحيًا رحمانيًا .

فقد قال متحدثًا عن نفسه :

لي الملك في الدارين لم أر فيهما	سواي فأرجو فضله أو فأخشاه
ولا قبل من قبلي فالحق شأنه	ولا بعد من بعدي فأسبق معناه
وقد حزت أنواع الكمال وإنني	جمال جلال الكل ما أنا إلا هو
فمهما ترى من معدن ونباته	وحيوانه مع أنه وسجاياه
ومهما ترى من عنصر مطيعة	ومن هباء للأصل طيب هيولاه
ومهما ترى من أبحر وقفاره	ومن شجر أو شاهق طال أعلاه
ومهما ترى من صورة معنوية	ومن شهد للعين طال محياه
فإنما ذلك الكل والكل مشهدي	أنا المتجلي في حقيقته لا هو[1]

(١) « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي (١/ ٣١) .

إذا نظرنا في الأبيات السابقة نجد أن عبد الكريم الجيلي ادعى بأن ملك الكون في الدنيا والآخرة له وحده وأنه لم ير غيره شيئًا حتى يخشاه وهذا إنكار لوجود اللَّه وتنصيب نفسه ربًا للكون ثم ادعى بأنه استكمل كل صفات الكمال وأنه ما هو إلا اللَّه وهذا كفر بواح وإلحاد سافر لا بعده إلحاد ولذا أقول إن هذا الكتاب ألقاه إليه الشيطان ليضله ثم ليضل به عبد الكريم البشرية وقد فعل كما أمره إبليس عليه لعنة اللَّه .

وهذا نموذج آخر من كتابه الذي زعم أنه تلقاه عن اللَّه فقد قال :

الباب الملغي ستين في « الإنسان الكامل » وأنه محمد وأنه مقابل للحق والخلق حيث قال :

« اعلم حفظك اللَّه أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين ثم له تنوع في ملابس ويظهر في كنائس فيسمى به باعتبار لباس ولا يسمى به باعتبار لباس آخر فاسمه الأصلي الذي هو له محمد وكنيته أبو القاسم ووصفه عبد اللَّه ولقبه شمس الدين ثم له باعتبار ملابس أخرى أسام وله في كل زمان اسم ما يليق بلباسه في ذلك الزمان فقد اجتمعت به ﷺ وهو في صورة شيخي الشيخ شرف الدين إسماعيل الجبرتي ولست أعلم أنه النبي وظننت أنه الشيخ وهذا من جملة مشاهد شاهدته فيها بزبيد سنة ست وتسعين وسبعمائة وسر هذا الأمر تمكنه ﷺ من التصور بكل صورة فالأديب إذا رآه في الصورة المحمدية التي كان عليها في حياته فإنه يسميه باسمه وإذا رآه في صورة ما من الصور وعلم أنه محمد فلا يسميه إلا باسم تلك الصورة ثم لا يوقع ذلك الاسم إلا على الحقيقة المحمدية ألا تراه ﷺ لما ظهر في صورة الشبلي رضي اللَّه عنه قال الشبلي لتلميذه : أشهد أني رسول اللَّه وكان

التلميذ صاحب كشف فعرفه فقال : أشهد أنك رسول اللَّه ، وهذا أمر غير منكور وهو كما يرى النائم فلانًا في صورة فلان وأقل مراتب الكشف أن يسوغ به في اليقظة ما يسوغ به في النوم ولكن بين النوم والكشف فرق وهو أن الصورة التي يرى فيها محمد في النوم لا يوقع اسمها في اليقظة على الحقيقة المحمدية لأن عالم المثال يقع التعبير فيه فيعبر عن الحقيقة المحمدية إلى حقيقة تلك الصورة في اليقظة بخلاف الكشف فإنه إذا كشف لك على الحقيقة المحمدية أنها متجلية في صورة من صور الآدميين فيلزمك إيقاع اسم تلك الصورة على الحقيقة المحمدية ويجب عليك أن تتأدب مع صاحب تلك الصورة تأدبك مع محمد ﷺ لما أعطاك الكشف أن محمداً متصور بتلك الصورة فلا يجوز لك بعد شهود محمداً فيها أن تعاملها بما كنت تعاملها من قبل .... وإن رسول اللَّه ﷺ له من التمكن في التصور بكل صورة حتى يتجلى في هذه الصورة وقد جرت سنته ﷺ إنه لا يزال يتصور في كل زمان بصورة أكملها ليعلى شأنهم ويقيم ميلانهم فهم خلفاؤه في الظاهر وهو في الباطن حقيقتهم »[1] .

إذا نظرنا في هذا النص نجد أن عبد الكريم الجيلي صرح بأن هذا الوجود كله يدور حول قطب واحد وهو الرسول ﷺ وأن الرسول يتشكل بأشكال عديدة سواء كان في ملابسه أو أسمائه ويظهر في الكنائس التي يتعبد فيها النصارى وصرح أيضًا بأنه اجتمع بالرسول ﷺ وهو متصور بصورة شيخه شرف الدين وأن الرسول له القدرة الكاملة على أن يتشكل بأي صورة في هذا الكون وهذه عقيدة التناسخ التي يعتقدها الوثنيون من اليهود وليست من الإسلام في شيء والنص كله من أوله إلى آخره يدور حول عقيدة التناسخ

---

(١) « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي (٢/ ٧٤) .

وأن الرسول هو القطب الذي يدير هذا الكون بكل ما فيه وهذه كما نرى عقائد باطلة فالقول بقدرة بشر على التشكل بأي صورة يريدها لم نجده في كتاب اللَّه ولا سنة رسول اللَّه ﷺ إذًا هي عقيدة دخيلة ينكرها الإسلام ويرفضها رفضًا قاطعًا وكذلك القول بأن هذا الكون كله يسيره الرسول ليس من الإسلام في شيء فمسير الكون كله هو اللَّه سبحانه وتعالى وحده لا شريك وليس لأى بشر كائنًا من كان الشركة مع اللَّه في تسيير أمور هذا الكون ومن اعتقد ذلك الاعتقاد فقد أشرك مع اللَّه وعليه التوبة وكما نرى فهذا الكتاب لا يحتوى إلا على عقائد وثنية فقط ولذا فهو من وحي الشيطان لا من وحي الرحمن .

وهذا نص آخر عن الجيلي يزعم فيه أن المتصوفة يعرج بهم ويكالمهم الرب سبحانه فقد قال :

« ومن المكلمين من يذهب به الحق من عالم الأجسام إلى عالم الأرواح وهؤلاء أعلى مراتب فمنهم من يخاطب في قلبه ومنهم من يصعد بروحه إلى سماء الدنيا ومنهم إلى الثانية والثالثة كل على حسب ما قسم له ومنهم من يصعد به إلى سدرة المنتهى فيكلمه اللَّه هناك وكل من المكلمين على قدر دخوله في الحقائق تكون مخاطبات الحق له لأنه سبحانه وتعالى لا يضع الأشياء إلا في مواضعها ومنهم من يضرب له عند تكليمه إياه نور له سرادق من الأنوار ومنهم من ينصب له منبراً من نور ومنهم من يرى نوراً في باطنه فيسمع الخطاب من تلك الجهة النورية وقد يرى النور كثير وأكثر ومستديراً ومتطاولاً ومنهم من يرى صورة روحانية تناجيه كل ذلك لا يسمى خطابًا إلا أن أعلمه اللَّه أنه هو المتكلم وهذا لا يحتاج فيه إلى دليل بل هو على سبيل الوهلة فإن خاصة كلام اللَّه لا تخفى وأن يعلم أن كل ما سمعه كلام اللَّه فلا يحتاج هناك إلى دليل ولا بيان بل بمجرد سماع الخطيب يعلم

العبد أنه كلام اللَّه وممن صعد به إلى سدرة المنتهى من قيل له حبيبي أنيتك هي هويتي وأنت عين هو وما هو إلا أنا حبيبي بساطتك تركيبي وكثرتك واحدتي بل تركيبك بساطتي وجهلك درايتي أنا المراد بك أنا لك لا لي أنت المراد بي أنت لي لا لك حبيبي أنت نقطة عليها دائرة الوجود فكيف أنت العابد والمعبود أنت النور أنت الظهور أنت الحسن والزين كالعين للإنسان والإنسان للعين »[1] .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن الجيلي زعم بأن الأولياء يعرجون إلى اللَّه مع التفاوت فيما بينهم في درجات العروج المزعوم وأن اللَّه سبحانه يكلمهم ويخاطبهم مع التفاوت أيضًا في درجات هذه المكالمة المزعومة فهذا يشتمل على شاهدين للمبحث الشاهد الأول قول الجيلي بعروج الأولياء إلى اللَّه والشاهد الثاني تكلم الرب معهم وهذا هو التلقي عن اللَّه ليس غير ذلك.

* ومن الصوفية الذين زعموا أن الأولياء يتلقون علومهم عن اللَّه عبد العزيز الدباغ .

لقد زعم عبد العزيز الدباغ بأن الأولياء ينزل عليهم الوحي من اللَّه ويتلقون علومًا منه سبحانه وتعالى وأنه ليس هناك أي فرق بين وحي الأولياء والأنبياء في طريقة التلقي بل طريقة تلقي الولي الوحي هي نفس الطريقة التي يتلقى بها النبي الوحي عن اللَّه وإليك نصوص من كلامه .

قال الدباغ :

« وأما ما ذكروه في الفرق بين النبي والولي من نزول الملك وعدمه

---

(١) « الإنسان الكامل » للجيلي (١/ ٦٥ ـ ٦٦) .

فليس بصحيح لأن المفتوح عليه سواء كان وليًا أو نبيًا لابد أن يشاهد الملائكة بذواتهم على ما هم عليه ويخاطبهم ويخاطبونه وكل من قال إن الولي لا يشاهد هذا الملك ولا يكلمه فذلك دليل على أنه غير مفتوح عليه »[1] .

وقال عبد العزيز الدباغ أيضًا :

« وينزل الملك على الولي بالأمر والنهي »[2] .

وزعم عبد العزيز الدباغ أيضًا أن المفتوح عليه يسمع كلام اللَّه فقال :

« وكلام الحق سبحانه يسمعه المفتوح عليه إذا رحمه اللَّه عز وجل سماعًا خارقًا للعادة فيسمعه من غير حرف ولا صوت ولا إدراك لكيفية ولا يختص بجهة دون جهة بل يسمعه من سائر الجهات بل ومن سائر جواهر ذاته وكما لا يخص السماع له جهة دون أخرى كذلك لا يخص جارحة دون أخرى يعني أنه يسمعه بجميع جواهره وسائر أجزاء ذاته فلا جزء ولا جوهر ولا سن ولا ضرس ولا شعرة منه إلا وهو يسمع به حتى تكون ذاته بأسرها كأذن سامعة ثم ذكر اختلاف أهل الفتح في قدر السماع »[3] .

إذا نظرنا في النصوص السابقة نجد أن عبد العزيز الدباغ صرح بأنه لا فرق بين النبي والولي في طريقة تلقي الوحي عن اللَّه وأن من يقول بالتفريق بينهما فإنه قاصر في الفتح وأن الملك ينزل على الولي بالأمر والنهي وأن الأولياء يسمعون كلام اللَّه بجميع جوارحهم وليس مثل الأنبياء الذين يسمعون

---

(١) « الإبريز » لعبد العزيز الدباغ (ص١٤٣) .

(٢) « الإبريز » للدباغ (ص١٤٣) .

(٣) كتاب « الإبريز » للدباغ (ص١٤٧) .

كلام اللّٰه بالآذان فقط وكل هذه عقائد ضالة باطلة وأكاذيب وافتراءات ودجل من هذا الصوفي الخرافي الضال وليس له أي دليل يعتمد عليه لإثبات هذا المعتقد .

* ومن الصوفية الذين زعموا أن الولي يشارك النبي في كثير من الأمور وأنه يتعلم العلم من غير طريق الكسب لسان الدين الخطيب وهذا نص كلامه فقد قال متحدثًا عن هذا الموضوع :

« الولاية أن يتولى اللّٰه الواصل إلى حضرة قدسه بكثير مما تولى به النبي من حفظ وتوفيق وتمكين واستخلاف وتصريف .

فالولي يساوي النبي في أمور منها العلم من غير طريق العلم الكسبي والفعل بمجرد الهمة فيما لم تجر به العادة أن يفعل إلا بالجوارح والجسوم مما لا قدرة عليه لعالم الجسوم .

ويفعل بالهمة في عالم الخيال وفي الحس فإنه يسمع ويرى ما لا يرى ولا يسمع وهو بين الناس .

ويفارق الولي النبي في المخاطبة الإلهية والمعارج فإنهما يجتمعان في الأصول وهي المقامات إلا أن النبي يعرج بالنور الأصلي والولي يعرج بما يفيض من ذلك النور الأصلي وإن جمعهما مقام اختلفا بالوحدة في كل مقام من فناء وبقاء وجمع وفرق والولي يأخذ المواهب بواسطة روحانية نبيه ومن مقامه يشهد إلا ما كان من الأولياء المحمديين فإنه لما كان نبيهم صلوات اللّٰه وسلامه عليه جامعًا لمقامات الأنبياء أورثهم اللّٰه تعالى مقامات الأنبياء وأوصل إليهم أنوارهم من نور نبيهم الوارث وبوساطته فإنه هو الذي أعطى جميع الأنبياء والرسل مقاماتهم في عالم الأرواح ثم شاركت الأولياء الأنبياء

في الأخذ عنه فقد يرث ولي من أولياء اللَّه آدم أو إسحاق أو إدريس أو إسماعيل أو يوسف أو موسى أو عيسى لكن لا يتوصل إلى نوره ولا حاله إلا من محمد ﷺ إلا القطب وحده فإنه على قلب محمد ، ولمثل هذا المقام الكريم فليعمل العاملون »[1] .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن لسان الدين زعم أن الولي يشارك النبي في أمور منها أن الولي يتعلم من غير أن يسلك الطريق الذي يسلكه الناس للتعلم بل يهبه اللَّه العلم كما يهب النبي أي أنه يتعلم عن طريق الوحي من اللَّه وأنه يسمع ويرى ما لا يراه الناس ولا يسمعه بمعنى أنه يعلم الغيوب وأنه يعرج إلى اللَّه هذا في الولي الذي لم يصل إلى مرحلة القطبية أما الولي الذي يصل إلى مرحلة القطبية فإنه على قلب محمد ﷺ ومساويًا له في كل الأمور .

* ومن الصوفية الذين قالوا إن الولي يتساوى في جميع الأمور مع النبي ابن عجيبة الحسني حيث قال بوضوح تام من غير لف ولا دوران :

« ما قيل في النبي يقال في الولي »[2] .

وعبارة ابن عجيبة هذه وإن كانت مختصرة جدًا إلا أنها تحمل معانٍ كثيرة وخطيرة في نفس الوقت وذلك أن هذه العبارة القصيرة تعني أن الولي كالنبي تمامًا وكلنا نعرف أن من خصائص النبي أن اللَّه يوحي إليه وأنه معصوم عن الخطأ فيجب أن يقل قوله من غير مناقشة ولا تردد وأنه يجب أن يطاع وأنه المشرع وكذلك الولي وهذا دليل واضح على أن المتصوفة يزعمون بأن الأولياء يتلقون عن اللَّه علومهم وأنه لا فرق بينهم وبين الأنبياء .

---

(١) « روضة التعريف بالحب الشريف » للسان الدين الخطيب (٥١٩) .

(٢) « الفتوحات الإلهية » لابن عجيبة الحسني (ص٢٦٤) .

* ومن الصوفية الذين زعموا التكلم مع اللَّه والتصرف في الكون إبراهيم الدسوقي وهذا نص كلامه :

قال : « أنا كل ولي في الأرض خلعته بيدي ألبس منهم من شئت أنا في السماء شاهدت ربي وعلى الكرسي خاطبته أنا بيدي أبواب النار أغلقتها وبيدي جنة الفردوس فتحتها من زارني أسكنته جنة الفردوس »[1] .

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن الدسوقي زعم بأنه تكلم مع اللَّه وأنه رآه بأم عينيه وخاطب اللَّه سبحانه وتعالى وهو على الكرسي وأنه بيده إغلاق النار وفتح الجنة وقد فعل وأن من سجل له زيارة واحدة أسكنه في جنة الفردوس وهذا حسب زعمه وإلا فليس عنده أي مقدرة لفعل شيء واحد مما تقدم ونحن أوردنا النص هذا للاستشهاد به على زعم المتصوفة التكلم مع اللَّه والتلقي عنه وهذا واضح في النص وكما نرى فالنص يحتوى على عقائد باطلة كثيرة ولا نريد أن نتعرض هنا للرد على هذه المعتقدات لأن المقصود هنا هو إثبات الحجة وقد ثبتت .

* ومن الصوفية الذين زعموا أن اللَّه كلمهم أحمد الرفاعي فقد أورد صاحب كتاب « قلادة الجواهر » :

« أن السيد إبراهيم الأعزب قال : كنت جالسًا في الغرفة مع السيد أحمد الرفاعي رضي اللَّه تعالى عنه ورأسه على ركبتيه فرفع رأسه وضحك بأعلى صوته فضحكت أنا أيضًا ثم ألححت عليه ليخبرني عن سبب ضحكه فقال : أي إبراهيم ناداني العزيز سبحانه أني أريد أن أخسف الأرض وأرمي السماء على الأرض . فلما سمعت هذا النداء تعجبت وقلت : إلهي من ذا الذي يعارضك في ملكك وإرادتك ؟ قال سيدي إبراهيم : فأخذته الرعدة ووقع على الأرض وبقي في ذلك الحال زمنًا طويلاً »[1] .

---

(١) « الطبقات الكبرى » للشعراني (١/١٨) .

(٢) « قلادة الجواهر في ذكر الرفاعي وأتباعه الأكابر » (ص١٨٠) وانظر كذلك « البرهان المؤيد» للسيد أحمد الرفاعي (ص٨٠) .

والشاهد من إيراد النص واضح حيث زعم أحمد الرفاعي أن اللَّه ناداه وكلمه وأنه تبادل الحديث معه كما هو واضح أمامنا في النص .

* ومن الصوفية الذين زعموا أن اللَّه تكلم معهم أبو الحسن الشاذلي فقد ذكر عبد الحليم محمود شيخ الأزهر السابق نقلاً عن أبي الحسن الشاذلي كيفية نزوله من جبل زغوان ومغادرة خلوته :

« قيل لي : يا علي اهبط إلى الناس ينتفعوا بك . فقلت : يا رب أقلني من الناس فلا طاقة لي بمخالطتهم .

فقيل لي : انزل فقد أصحبناك السلامة ودفعنا عنك الملامة . فقلت : تكلني إلى الناس آكل من دريهماتهم . فقيل لي : أنفق يا علي وأنا الملي إن شئت من الجيب وإن شئت من الغيب .

ونزل الشاذلي رضي اللَّه عنه من على الجبل ليغادر شاذلة ويستقبل مرحلة جديدة فقد انتهت المرحلة الأولى التي رسمها له شيخه .

وذكر عنه عبد الحليم محمود أن الشاذلي قال : يا رب لم سميتني بالشاذلي ولست بشاذلي ؟ فقيل لي : يا علي ما سميتك بالشاذلي وإنما أنت الشاذلي بتشديد الذال المعجمة يعني المفرد لخدمتي ومحبتي »[1] .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن عبد الحليم أورد عن الشاذلي أنه كلمه اللَّه وهذا يظهر لنا في سياق القصة حيث إن تبادل الحديث بين اللَّه وأبي الحسن ظاهر فيها وهذا حسب زعمه وإلا فهو كذب محض لا أساس له من الصحة ومع الأسف الشديد أورد هذا الكلام عن الشاذلي شيخ كان يتولى

---

(١) « المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي » (ص٣٤ ـ ٣٥) وانظر كذلك نحوه في « تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس » للسكندري (ص١٨) .

إدارة جامعة إسلامية عالمية فيا أسفًا على هذه الجامعة التي يتولى شئونها أمثال هذا الذي لا يميز بين الباطل والحق بل ينقل كل ما هب ودب على وجه الأرض.

* ومن الصوفية الذين زعموا أن الأولياء يسمعون كلام اللَّه السهروردي وهذا نص كلامه فقد قال متحدثًا عن وصف الأولياء :

« ويسمعون كلام اللَّه فإذا تحقق الصوفي بهذا الوصف صار وقته سرمداً وشهوده مؤيداً وسماعه متواليًا متجددًا يسمع كلام اللَّه تعالى »[1] .

* ومن المتصوفة الذين زعموا العروج إلى اللَّه حتى سمعوا صرير الأقلام صالح بانقا السوداني .

فقد قال : إنه أثناء سياحته باحثًا عن شيخ صوفي يتربى على يديه ويأخذ الطريقة مر بعدة مشائخ وكل من مر بهم من هؤلاء المشائخ أكرموه فقال : إن هؤلاء الذين أكرموني كلهم لا يصلحون لأتربى على أيديهم . فواصل طريقه حتى وصل إلى رجل اسمه أبو بكر وهو شيخ كبير مجتمعين عنده الناس على كرامة فقال لواحد منهم : في لحم ؟ قال له : نعم . قال : في ملاح ؟ قال : نعم . قال لي : يا فقير شيل ها الفضلة ملحها بالماء وكل . فقلت: هذا الذي لم يكرمني هو شيخي! ثم قال له : يا فقير املأ هذه الإبريق من البحر . فلما جيت عند البحر امتلأت بنفهسا وجاءتني من غير أن أملأها فجئت إلى الشيخ فوجدته شابًا فتوضأ وصلى ثم طال حتى وصل رأسه عرش الخلوة ثم عاد على حالة شيخنا فقلت في نفسي: هذا شيخي فقال: أنا مان شيخك امش ادخل خلوة في باعوضة فإن شيخك يجيبك فيها

---

(١) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص٢٧) .

فإنه يكون لاك شأن عظيم ابق بعدها على ذريتنا عشرة . . .

ثم قال : « ثم قدمت على بعوضة فاختليت فيها للذكر والعبادة فجاءني رسول اللَّه ﷺ ومعه علي وقيل أبو بكر فلقنني الذكر ثم قال : يا كوفي أنا في الخلوة راقد رأيت نجمة كبيرة في السماء تعلقت بها روحي وخرجت من جسمي فطارت فخرقت السماوات السبع فسمعت صرير الأقلام فلو كان يا كوفي بعد محمد نبي لقلت تنبأت ثم رجعت فوقعت في جزيرة من جزاير المالح فجاءني رجل لابس كسايين من صوف فلقنني اسمين ومشى معي خطوتين »[1] .

والذي يهمنا في النص هو أن صالح بانقا طاف بالبلاد باحثًا عن شيخ يتربى على يديه وأثناء سياحته مر بعدد كبير من المشائخ ولكن كلهم كانوا يكرمونه ويضيفونه بالضيافة الإسلامية المطلوبة فتجاوزهم جميعًا لأنه كان يبحث عن شيخ يهينه حتى يتربى على يديه فلما وجد من يهينه قال : هذا هو الشيخ الذي يصلح لتربيتي ثم قال له هذا الشيخ اذهب إلى إحدى القرى فهناك شيخك وبالفعل جاءه شيخه وعرج حتى فرق السماوات السبع وسمع صرير الأقلام وهكذا المتصوفة يزعمون العروج إلى اللَّه وذلك حتى لا يتركوا صفة يختص بها رسول اللَّه دونهم .

* ومن الصوفية الذين ادعوا العروج إلى السماوات وتبادل الحديث مع اللَّه دفع اللَّه بن محمد الكاهلي[2] :

وقد ذكر ود ضيف اللَّه الجعلي أن دفع اللَّه لما دنا من الوفاة مرض مرضًا شديدًا وغاب فيه أيامًا ثم أفاق والناس قاعدين الإناث والذكور منتظرين

---

(١) « طبقات ود ضيف اللَّه الجعلي » (ص١٣٣ ـ ١٣٤) .

(٢) دفع اللَّه بن محمد الكاهلي الهزلي وأمه رية بنت موسى بن هنونة ولد بالحطفاية وسمته أمه دفع اللَّه تبركًا بالشيخ دفع اللَّه العركي لأنه شيخ أبيها « طبقات ود ضيف اللَّه الجعلي» (ص٢١١).

الإفاقة أو الموت فلما أفاق قيل له: ما رأيت؟ قال : عرج بروحي إلى السماء فقيل لي : أخير عليك ترجع الدنيا وتمكث فيها أربعين سنة تدرس القرآن والعلم أو أحسن إليك لقاء ربك، فقال له حمد ولد عبد الجليل والحاج عوض الكريم: ما الذي اخترت؟ قال : اخترت لقاء ربي فضجوا الناس بالبكاء والنياح وقال لخالاته وأخواته وجملة أرحامه : أبشرن يا هنونا بيات أنا جبلكن يوم القيامة قال شيخي بدوي ولد أبو دليق أبشرن يا كاهليات أنا جبلكن يوم القيامة وأوصى فقال : يقعد في المسجد عبد الرافع مجازاتا لشيخنا الفقيه حمد »[1] .

* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يتلقون علومًا خاصة بهم عن اللَّه سبحانه وتعالى ابن سبعين[2] :

* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يتلوقون علومًا عن اللَّه محمد القنوي الصوفي حيث قال في معنى قوله تعالى : ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾ أي لا يسرقون معارف أحد من أهل السلوك ولا يتكلمون بأسرار الأكابر من الكمل التي ما بلغ علمهم لها ولا شاهدوها كشفًا وشهودًا بل لابد من القناعة بما هو حاصل لهم من العلوم اللدنية والمعارف الإلهية التي كشفت لهم أثناء سلوكهم بالمجاهدات النفسية والتوجهات القلبية وأميض على قلوبهم من أشعة نورانية روحانية شيخهم »[3] .

* ومن الصوفية الذين ادعوا بأن الأولياء يتلقون علومًا عن اللَّه ويطلعون على الغيب عبد المجيد بن محمد الخاني النقشبندي فقد قال وهو

---

(١) « طبقات ود ضيف اللَّه الجعلي » (ص٢١١) .

(٢) انظر « بد المعارف » لابن سبعين (ص١٣٧) .

(٣) « السيوف الحداد في أعناق أهل الزندقة والإلحاد » للبكري (ص١٥٠) .

يتحدث عن أحد رجالات النقشبندية الكبار سيدنا الشيخ يعقوب الجرخي قدس اللَّه سره العزيز قال عنه عالم العلماء وولي العلماء ظهر في العالم بعلمين . . أحيا الحقيقة بالشريعة والشريعة بالحقيقة وسلك في طريق القوم أقوم طريقة وورث علوم الغيوب كما ورث النبوة يعقوب(١) .

* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء لهم علوم خاصة بهم يتلقونها عن اللَّه أبو العباس المرسي(٢) فقد قال وهو يتحدث عن الصوفية .

« علوم هذه الطائفة علوم تحقيق وعلوم التحقيق لا تحملها عقول عموم الخلق والفقيه من انفقأ الحجاب عن عيني قلبه »(٣) .

* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يتلقون علومًا عن اللَّه خاصة بهم أحمد بن مخلوف الشابي(٤) الصوفي فقد قال :

« وعلم التجليات موقوف على الأذواق فمن لا ذوق له لا علم له »(٥) .

* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء في طريق سيرهم إلى اللَّه تفيض عليهم علوم من اللَّه أبو حامد الغزالي فقد قال وهو يتحدث عن المقامات التي يقطعها الصوفي الذي يسير إلى اللَّه :

---

(١) « الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية » (ص١٥٤) .

(٢) هو أحمد أبو العباس المرسي وكان يقال : إنه لم يرث غيره علم الشيخ أبي الحسن الشاذلي وهو من أجل من أخذ عنه الطريقة « جمهرة الأولياء » للمنوفي (٢/ ٢٣١) .

(٣) أبو العباس المرسي (ص٨٢) .

(٤) هو عبد اللَّه بن مسعود الشابي العارف باللَّه شيخ الطريق وإمام الحقيقة والشابي نسبة إلى بلدته شابة بالساحل التونسي التي ولد بها ونشأ وهو من قبيلة هذيل . انظر مقدمة الكتاب المنقول منه النص (ص٢١) .

(٥) كتاب « العارف باللَّه أحمد بن مخلوف الشابي مؤسس الطريقة الشابية » (ص١٦٤) .

وفرقة أخرى جاوزت هؤلاء ولم تلتفت إلى ما يفيض عليها من الأنوار في الطريق ولا إلى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يلتفتوا إليها ولا عرجوا عليها بل جدوا في السير فلما قاربوا الوصول ظنوا أنهم وصلوا فوقفوا ولم يتعدوا ذلك فغلطوا فإن للَّه سبحانه سبعين حجابًا من نور وظلمة لا يصل السالك إلى حجاب من تلك الحجب إلا ويظن أنه قد وصل »[1] .

ويدعي المتصوفة بأن علماء الظاهر وهم الذين يعلمون الكتاب والسنة جاهلون باللَّه لا يعرفونه حق معرفته لأنهم يجهلون علم الحقيقة الذي يدعي المتصوفة بأنهم يتلقونه عن اللَّه .

وإلى جانب زعم التلقي عن اللَّه ادعى المتصوفة أيضًا بأن الأولياء يلتقون بالرسول ﷺ باستمرار ويتلقون توجيهات ويصححون عنده الأحاديث وإليك نماذج من أقوال المتصوفة الدالة على ذلك .

فقد قال الشعراني وهو يتحدث عن الأولياء ومنها شدة قربهم من رسول اللَّه ﷺ كل وقت فلا يحجب عنهم في ليل أو نهار وحتى أن بعضهم صحح عدة أحاديث قال بعض الحفاظ بضعفها من طريق النقل الظاهر فتقوت بذلك عنده قال :

« وقد أدركت جماعة ممن لهم هذا المقام منهم سيدي على الخواص وسيدي على ».

وقال محمد الصبان وهو يقرر التقاء الأولياء بالرسول ﷺ وأخذ الأحكام منه وتصحيح الأحاديث عليه :

---

(١) « الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين » للغزالي (ص١٣٢) .

ـ « مشارق الأنوار » (٦٧) .

« وحرم بعض المحققين القياس على جميع أهل اللَّه لكون رسول اللَّه ﷺ مشهودًا لهم فإذا شكوا في صحة حديث أو حكم رجعوا إليه في ذلك فأخبرهم بالأمر الحق يقظة ومشافهة وصاحب هذا المشهد لا يحتاج إلى تقليد أحد من الأئمة غير رسول اللَّه ﷺ »[1] .

وكما هو واضح أمامنا فقد زعم الشعراني والصبان بأن الأولياء يلتقون بالرسول باستمرار ويتلقون منه علومًا ويصححون عليه أحاديث وهو مجرد ادعاء فقط لا أساس له من الصحة وهذه القاعدة وضعها المتصوفة لهدم الشريعة الإسلامية حيث إن دعوى التلقي عن رسول اللَّه وتصحيح الأحاديث عليه قاعدة خطيرة جدًا لو سلم بها لكفت لتدمير الأمة الإسلامية في العقيدة والعبادة والسلوك وذلك لأنه من السهل جدًا أن يأتي أي صوفي بحديث من عند نفسه ويدعي أنه صححه على الرسول ﷺ .

والخلاصة التي نخرج بها من هذا المطلب تتلخص في الأمور التالية :

الأمر الأول : زعم المتصوفة أنهم يتلقون العلوم عن اللَّه سبحانه وتعالى وادعوا بأن الكتب التي ألفوها إنما هي من الإلقاء الرباني عليهم وليست تأليفًا من عند أنفسهم .

الأمر الثاني : زعم المتصوفة أنه لا فرق بين وحي الأنبياء ووحي الأولياء في طريقة الإلقاء فكما أن الملك ينزل بالوحي إلى الأنبياء فكذلك ينزل على الأولياء بنفس الطريقة وزعموا أيضًا استمرارية النبوة وعدم انقطاعها.

الأمر الثالث : لقد غلا بعض المتصوفة غلوا شديدًا في الأولياء فأدى

---

(١) « هامش مشارق الأنوار » لمحمد الصبان (ص١٣٧) .

بهم ذلك إلى تفضيل الولاية على النبوة وزعموا أن الأولياء يتلقون الوحي مباشرة عن اللَّه بدون واسطة ملك الوحي بل قال بعضهم إن الأنبياء يأخذون من خاتم الأولياء وكذلك زعموا بأنهم يلتقون بالرسول ويصححون عليه الأحاديث وهذه كلها عقائد فاسدة كما نرى ، كل منها كافية لهدم الإسلام لو آمن بها المسلمون ولكن والحمد للَّه لم يعتنق هذه العقائد الباطلة إلا من انخرط تحت لواء الطرق الصوفية الضالة والآن سأبين موقف الإسلام من هذه العقائد في المطلب الثاني من هذا المبحث فإلى هناك[1] .

المطلب الثاني

بيان بطلان هذا الادعاء وأنه لا وحي يتلقى بعد رسول اللَّه ﷺ

تتميز العقيدة الإسلامية من بين العقائد السماوية الأخرى بمميزات فريدة تهيؤها للبقاء والثبات ومغالبة التحريف والتشويه على مدار الزمن واختلاف الأحوال وذلك التمييز هو حفظ اللَّه عز وجل للأصل الذي تستقي منه تلك العقيدة كما قال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2] .

ولهذا بقيت تلك العقيدة سليمة منيعة لم يصل إليها كيد الكائدين ولم يضرها تحريف المبطلين ومن هنا فإن المسلم في أي زمان ومكان يستطيع أن يستدل على عقيدته بهذا الكتاب وهو آمن من أنه لا يوجد خلل به أو خطأ فيه ويبقى بعد ذلك اختلاف الأفهام وتباين الإدراكات البشرية مما يغتفر

---

(١) انظر (ص٥٨٣ ـ ٦٠٢) .

(٢) الحجر : (٩) .

الخطأ فيه مع بذل الجهد وإخلاص النية ما لم يعارض نصًا ثابتًا أو إجماعًا من الأمة على خلافه .

وعقيدة ختم النبوة هي إحدى العقائد التي قررها كتاب اللَّه عز وجل وبينها رسوله محمد ﷺ في كل موطن يتطلب ذلك وأجمع عليها الصحابة رضي اللَّه عنهم وعلماء الأمة الإسلامية من صدر الإسلام إلى اليوم .

وفي هذا المطلب سأورد الأدلة النقلية من الكتاب والسنة التي تدل على أن النبوة قد ختمت وأن الدين قد كمل وأنه لا يمكن أن يتلقى أحد علومًا عن اللَّه مهما كانت مكانته بعد رسول اللَّه ﷺ لأن طريق التلقي عن اللَّه طريق واحد فقط وهو طريق النبوة ولا نبوة بعد محمد بن عبد اللَّه عليه أفضل الصلاة والسلام وكل من زعم أنه يتلقى عن اللَّه فقد ادعى أنه نبي رضي أم كره لأن المهم ليس المسمى وإنما المهم المضمون .

أولاً : الأدلة من القرآن الكريم على ختم النبوة وكمال الدين :

لقد وردت الأدلة في القرآن الكريم على عقيدة ختم النبوة بصور عديدة منها ما يلي :

أولاً : التصريح بالختم

قال تعالى : ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً**﴾[1] .

ففي هذه الآية الكريمة التصريح بخاتميته ﷺ للأنبياء قبله فلا نبي بعده ولا رسول وهذا هو ما فهمه المفسرون لكتاب اللَّه سبحانه وتعالى من صدر الإسلام إلى اليوم .

---

(١) الأحزاب : (٤٠) .

يقول الإمام أبو جعفر الطبري رحمه اللَّه في تفسير هذه الآية :

« يقول تعالى ذكره ما كان أيها الناس محمد أبا زيد بن حارثة ولا أبا أحد من رجالكم الذين لم يلده محمد فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها ولكنه رسول اللَّه وخاتم النبيين الذي ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة وكان اللَّه بكل شيء من أعمالكم ومقالكم وغير ذلك ذا علم لا يخفى عليه شيء » .

ثم ذكر عن قتادة في قوله : ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ أنه قال : « أي آخرهم »[١] .

ويقول الحسين بن مسعود الفراء البغوي رحمه اللَّه في قوله تعالى : ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ .

« ختم اللَّه به النبوة ويروى عن ابن عباس رضي اللَّه عنه أنه قال يريد - أي اللَّه تعالى - لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابنًا يكون بعده نبيًا»[٢] .

ويقول محمود بن عمران الزمخشري رحمه اللَّه :

« ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ يعني أنه لو كان له ولد بالغ فبلغ مبلغ الرجال لكان نبيًا ولم يكن هو خاتم النبيين»[٣] .

ويقول الفضل بن الحسن الطوسي :

« ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ أي وآخر النبيين ختمت النبوة به فشريعته باقية إلى يوم الدين وهذه فضيلة له صلوات اللَّه عليه وآله اختص بها من بين المرسلين[٤] .

---

(١) « جامع البيان عن تأويل القرآن » (٢١/ ١٢) .

(٢) « معالم التنزيل » (٤/ ٥٣٣) .

(٣) « الكشاف » للزمخشري (٣/ ٢٦٤) .

(٤) « مجمع البيان في تفسير القرآن » (٢٢/ ١٤٨) .

ويقول عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي رحمه اللّه :

« ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ ومن قرأ « خاتم » بكسر التاء فمعناه وختم النبيين ومن فتحها فالمعنى آخر النبيين»[1] .

ويقول الفخر الرازي رحمه اللّه :

« ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ وذلك لأن النبي الذي يكون بعده نبي إن ترك شيئًا من النصيحة والبيان يستدركه من يأتي بعده وأما من لا نبي بعده يكون أشفق على أمته وأهدى لهم وأجدى إذ هو كوالد الولد ليس له غيره من أحد . قوله : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ يعني علمه بكل شيء دخل فيه أن لا نبي بعده فعلم أن من الحكمة إكمال شرع محمد ﷺ بتزوجه بزوجة دعيه تكميلاً للشرع »[2] .

ويقول ناصر الدين البيضاوي رحمه اللّه :

﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ وآخرهم الذي ختمهم أو ختموا به على قراءة عاصم بالفتح »[3] .

ويقول أبو عبد اللّه محمد بن أحمد القرطبي رحمه اللّه :

« ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ قال ابن عطية : هذه الألفاظ عند جماعة علماء الأمة خلفًا وسلفًا متلقاة بالقبول على العموم التام مقتضية نصًا أنه لا نبي بعده ﷺ »[4] .

---

(١) « زاد المسير » لابن الجوزي (٦/٣٩٣) .

(٢) « التفسير الكبير » للفخر الرازي (٢٥/٢١٤) .

(٣) « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » للبيضاوي (٢/٢٤٧) .

(٤) « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبي (١٤/١٩٦) .

ويقول النسفي رحمه اللَّه :

« بفتح التاء عاصم يعني الطابع أي آخرهم يعني لا ينبأ أحد بعده »[١].

ومعنى قوله : عاصم ، أي قراءة عاصم .

ويقول الحسين بن محمد القمي النيسابوري :

«﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ ومن جملة معلوماته أنه لا نبي بعده»[٢].

ويقول علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخازن :

« ختم اللَّه به النبوة فلا نبوة بعده »[٣] .

ويقول أبو عبد اللَّه محمد بن يوسف بن حيان :

« وقرأ الجمهور وخاتم بكسر التاء بمعنى أنه ختمهم أي جاء آخرهم».

وقال : « وروي عنه عليه السلام ألفاظ تقتضي نصًا أنه لا نبي بعده ﷺ والمعنى أنه لا ينبأ أحد بعده »[٤] .

ويقول أبو الفداء إسماعيل بن كثير رحمه اللَّه :

« فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بالطريقة الأولى والأحرى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فإن كل رسول نبي ولا ينعكس وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول اللَّه ﷺ من حديث جماعة من الصحابة رضي اللَّه عنهم »[٥] .

---

(١) « تفسير النسفي » (٣/ ٢٣٤) .

(٢) « تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان » (٢٢/ ١٥) .

(٣) كتاب « التأويل في معاني التنزيل » (٣/ ٦١١) .

(٤) « البحر المحيط » لأبي حيان (٧/ ٢٣٦) .

(٥) « تفسير القرآن العظيم » لابن كثير (٣/ ٤٩٣) .

ويقول جلال الدين محمد بن أحمد المحلى وجلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي :

« ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ منه بأنه لا نبي بعده »[1] .

وذكر السيوطي رحمه اللَّه أثراً عن الحسن أخرجه عبد بن حميد أنه قال في ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ :

«ختم اللَّه النبيين بمحمد ﷺ وكان آخر من بعث »[2] .

ويقول الخطيب الشربيني :

« أي آخرهم الذي ختم لأن رسالته عامة ومعها إعجاز القرآن فلا حاجة مع ذلك إلى استنباء ولا إرسال » .

ثم قال : « . . . والحاصل إنه لا يأتي بعده نبي مطلقًا بشرع جديد ولا يتجدد بعده مطلقًا استنباء وهذه مثبتة لكونه خاتمًا على أبلغ وجه وأعظمه وذلك إنها في سياق الإنكار بأن يكون بينه وبين أحد من رجالهم بنبوة حقيقية أو مجازية ولو كانت بعده لأحد لم يكن ذلك إلا لولده ولأن فائدة إثبات النبي تهيم شيء لم يأت به من قبله وقد حصل به ﷺ التمام فلم يبق بعد ذلك مرام « **بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » »[3] .

ويقول أبو السعود محمد العمادي الحنفي رحمه اللَّه :

« ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ إنما كان آخرهم الذين ختموا به »[4] .

---

(1) « تفسير القرآن العظيم » المعروف بالجلالين (٣/ ١١٠) .

(2) « الدر المنثور في التفسير بالمأثور » للسيوطي (٥/ ٢٠٤) .

(3) « السراج المنير » (٣/ ٢٣٨) .

(4) « تفسير أبي السعود » (٤/ ٤٢١) .

ويقول محمد جمال الدين القاسمي في كلام له عن الآية :

« فتمت الرسالات برسالته إلى الناس أجمعين وظهر مصداق ذلك بخيبة من ادعى النبوة بعده إلى أن يرث اللَّه الأرض ومن عليها »[1] .

هذه هي أقوال المفسرين رحمهم اللَّه في معنى قوله تعالى : ﴿ **وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ﴾ وكلهم أجمعوا كما رأينا على أن معنى الآية الدالة عليه هو أن النبي ﷺ آخر الأنبياء والمرسلين وخاتمهم فبه ختمت النبوة والرسالة فلا يمكن لأحد بعده كائنًا من كان أن يزعم أنه يتلقى عن اللَّه وكل من ادعى ذلك فقد زعم أنه يوحى إليه وبالتالي يعتبر قد كفر بعقيدة ختم النبوة ووقع في انحراف خطير يهوي به في المهالك والدمار إن لم يتراجع عنه .

ثانيًا : تصريحه ﷺ بأنه مبعوث إلى كافة الناس :

لقد أمر اللَّه عز وجل رسوله الكريم ﷺ في كتابه العزيز بأن يقول للناس إنه مبعوث إليهم كافة يقول اللَّه عز وجل : ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾[2] .

فهذه الآية الكريمة تدل على عموم رسالته ﷺ إلى الناس جميعًا بمختلف لغاتهم وأجناسهم وألوانهم وهذه هي إحدى الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن الأنبياء قبله إذ كان النبي قبله يبعث إلى قومه خاصة ثم يبقى غيرهم محتاجًا إلى من يبلغه أمر اللَّه عز وجل ولئلا يتوهم هذا في رسولنا عليه الصلاة والسلام بين اللَّه سبحانه وتعالى عموم رسالته إلى الناس جميعًا .

---

(١) « محاسن التأويل » لجمال الدين القاسمي (١٣/ ٤٨٢٤) .

(٢) الأعراف : (١٥٨) .

وإليك أقوال المفسرين في تفسير هذه الآية :

يقول أبو جعفر الطبري رحمه اللَّه :

« قل يا محمد للناس كلهم إني رسول اللَّه إليكم جميعًا لا إلى بعضكم دون بعض كما كان من قبلي من الرسل مرسلاً إلى بعض الناس دون بعض فمن كان منهم أرسل كذلك فإن رسالته ليست إلى بعضكم دون بعض ولكنها إلى جميعكم »[١] .

ويقول ابن كثير رحمه اللَّه تعالى في تفسير هذه الآية :

«يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **يا أيها الناس** ﴾ وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي : ﴿ **إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾ أي جميعكم وهذا من شرفه وعظمه ﷺ أنه خاتم النبيين ومبعوث إلى الناس كافة » ثم ساق الآيات والأحاديث الدالة على ذلك وقال بعدها :

« والآيات في هذا كثيرة كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصى وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه صلوات اللَّه وسلامه عليه رسول اللَّه إلى الناس كافة »[٢] .

وقد وردت آيات أخرى كثيرة تقرر هذا المعنى مثل قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ** ﴾[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً** ﴾[٤] .

---

(١) « تفسير الطبري » (٩/ ٥٩) .

(٢) « تفسير ابن كثير » (٢/ ٢٥٤) .

(٣) سبأ : (٢٨) .

(٤) النساء : (٧٩) .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1] .

وبما أن هذه الرسالة عامة وتخاطب جميع الناس بدون تخصيص أو تقييد فهي إذن تشمل من كان في عهده ﷺ ومن سيأتي بعده وبذلك العموم يتضح أنها خاتمة الرسالات وآخرها إذ لا تحتاج البشرية إلى دين جديد ما دام هذا الدين قد خاطبهم جميعًا ووسعهم جميعًا.

وفي ذلك يقول الزمخشري رحمه اللَّه عن تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ :

« إلا رسالة عامة لهم محيطة بهم لأنهم إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم »[2] .

ومن هنا نقول إن دعوى المتصوفة تلقي علومهم عن اللَّه مباشرة دعوى باطلة لا أساس لها من الصحة لأنها ليس لها دليل تعتمد عليه لأن الرسول محمد ﷺ بعث إلى كافة الناس وليس هناك أحد من البشر يتلقى علومًا خاصة به ولخاصة كما يزعم المتصوفة الأفاكون وبهذا بطلت دعوى المتصوفة التلقي عن اللَّه لأن الباب الوحيد الذي يتكلم عن طريقه المخلوق قد أغلق ألا وهو باب النبوة وإلى جانب ذلك فالرسالة المحمدية عامة لجميع البشر .

ثالثًا : من الآيات التي تدل على أن باب النبوة والتلقي عن اللَّه قد أغلق كمال هذا الدين وتمامه وعدم الحاجة إلى الإكمال :

لقد أخبرنا اللَّه عز وجل في كتابه الكريم بأنه قد أكمل لنا ديننا وأتم علينا نعمته ورضي لنا دينه الإسلامي .

قال تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ

---

(١) الأنبياء : (١٠٧) .

(٢) « الكشاف » للزمخشري (٢/٧) .

لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[1] .

في هذا الآية يمن اللَّه سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين بأنه قد أكمل هذا الدين فلا يحتاج إلى رسول آخر يستدرك عليه شيئًا أو يزيد عليه شيئًا ويذكر سبحانه وتعالى أنها نعمة أنعم بها علينا بإكمال الدين . . ثم رضي لنا هذا الدين الكامل دينًا نتعبد به .

يقول الإمام ابن كثير رحمه اللَّه تعالى تحت هذه الآية :

« هذه أكبر نعم اللَّه تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات اللَّه وسلامه عليه ولهذا جعله اللَّه تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن فلا حلال إلا ما أحله ولا حرام إلا ما حرمه ولا دين إلا ما شرعه وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق»[2] .

وقد أخرج الطبرى رحمه اللَّه عن ابن عباس رضي اللَّه عنه أنه قال :

« أكملت لكم دينكم وهو الإسلام قال أخبر اللَّه نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبدًا وقد أتمه اللَّه عز ذكره فلا ينقصه أبدًا وقد رضيه اللَّه فلا يسخطه أبدًا »[3] .

ويقول سيد قطب رحمه اللَّه عن هذه الآية :

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ يقول :

---

(١) المائدة : (٣) .

(٢) « تفسير ابن كثير » (١٢/٢) .

(٣) « تفسير الطبري » (٥١/٦) .

« فأعلن لهم إكمال العقيدة وإكمال الشريعة معًا فهذا هو الدين ولم يعد لمؤمن أن يتصور أن بهذا الدين ـ بمعناه هذا ـ نقصًا يستدعي الإكمال ولا قصورًا يستدعي الإضافة ولا محلية أو زمانية تستدعي التطوير أو التحوير وإلا فما هو بمؤمن وما هو بمقر بصدق اللَّه وما هو بمرتضٍ ما ارتضاه اللَّه للمؤمنين »[1] .

هذه بعض أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة وكلها تؤكد لنا أن معنى الآية هو أن الأمة لم تعد تحتاج إلى نبي أو إلى من يزعم التلقي عن اللَّه علومًا خاصة به ولخاصة يكمل لها دينها أو يتم عليها نعمة ربها لأن اللَّه سبحانه وتعالى قد أكمل هذا الدين على يد رسول اللَّه ﷺ ثم رضيه له ولأمته دينًا يعبدون اللَّه به إلى يوم القيامة فمن زعم أن هناك لهداية البشر علمًا غير كتاب اللَّه وسنة رسوله محمد ﷺ فقد افترى على اللَّه افتراء عظيمًا ذلك لأن الدين قد كمل كما هو واضح في هذه الآية الكريمة لذا فدعوى الصوفية تلقي العلوم عن اللَّه مباشرة محض افتراء فقط لا أساس له من الصحة وبقولهم هذا يعتبرون مضاهون لمدعي النبوة .

رابعًا : من الآيات التي تدل على ختم النبوة وعدم الحاجة إلى من يزعم التلقي عن اللَّه أو يدعي النبوة صراحة تعهده سبحانه وتعالى بحفظ هذا القرآن الكريم :

لقد تعهد اللَّه سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بحفظ هذا الدين وذلك بحفظ الأصل الذي يستقي منه هذا الدين ألا وهو كتاب اللَّه عز وجل وذلك حتى يبقى هذا الدين على صورته النقية لتتم به الحجة محفوظ ولئلا يكون

---

(١) « في ظلال القرآن » لسيد قطب (٢/ ٨٤٣) .

هناك شك فيه ومن الآيات التي تدل على أن اللَّه تعهد بحفظ هذا الكتاب قوله عز وجل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1] .

يقول الإمام الطبري رحمه اللَّه في تفسير هذه الآية :

« وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل ما ليس منه أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه »[2] .

ويقول الزمخشري رحمه اللَّه تعالى في تفسير هذه الآية :

« وهو حافظ له في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فإنه لم يتول حفظها وإنما استحفظها الربانيين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيًا فكان التحريف ولم يكل إلى غيره حفظه »[3] .

وصدق اللَّه العظيم وها نحن الآن نرى القرآن الكريم بين أيدينا محفوظًا يضيء الطريق لكل من أراد الوصول إلى مرضاة اللَّه سبحانه وتعالى غضًا طريًا كما أنزل لم يزاد فيه باطل ولم ينقص منه كما قال اللَّه سبحانه في كتابه : ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[4] .

وهكذا فلا رسول بعد الرسول محمد يزعم التلقي عن اللَّه من أجل هداية البشر لأن هذا القرآن محفوظ وفيه الهداية والنور لمن أراد أن يهتدي إلى الصراط المستقيم أما المدعون تلقي العلوم عن اللَّه فهم كذبة دجاجلة

---

(١) الحجر : (٩) .

(٢) « تفسير الطبري » (١٤/٦) .

(٣) « الكشاف » للزمخشري (٢/٣٨٦) .

(٤) فصلت : (٤٢) .

متجرؤن على اللَّه وعلى رسوله لأنهم بقولهم هذا يكذبون اللَّه ورسوله وهذا معتقد خبيث لا يقدم عليه إلا من فرغ قلبه من الإيمان باللَّه ورسوله وإلا فكيف يجرؤ الإنسان على أن يزعم أنه يتلقى علومًا عن اللَّه مباشرة مع قول اللَّه عز وجل : ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾(١) .

وبهذا نكتفي بالنسبة للأدلة القرآنية الدالة على أن النبوة قد ختمت بالرسول محمد ﷺ وبختم النبوة قد أغلق باب زعم التلقي عن اللَّه وعلى هذا يصبح المدعون لتلقي العلوم عن اللَّه كذبة فجرة فسقة دجاجلة ينبغي أن يتوبوا إلى اللَّه ويرجعوا عن هذه العقيدة الباطلة لأن القول ببقاء الباب مفتوحًا لتلقي العلوم عن اللَّه يساوي القول بعدم ختم النبوة وهذا يفتح الباب لكل دجال أفاك تسول له نفسه ادعاء التلقي عن اللَّه .

ثانيًا : الأدلة من السنة على ختم وإغلاق باب التلقي عن اللَّه بعد الرسول محمد ﷺ :

إن المتتبع لأحاديث رسول اللَّه ﷺ سيرى أنها قد أكدت بأن النبوة قد ختمت وأن الوحي قد انقطع بعد الرسول محمد ﷺ بعبارات مختلفة ومتنوعة يصل بعضها إلى حد التواتر وهي في جملتها متواترة تواترًا قطعيًا بحيث لا يبقى مجال للشك أو التردد في كون رسول اللَّه ﷺ خاتم الأنبياء لا نبي بعده ولا شرع بعد شرعه .

وقد قال بهذا التواتر كثير من العلماء منهم من يلي :

* فمن العلماء الذين قالوا بتواتر الأخبار عن رسول اللَّه بأنه خاتم

---

(١) الأحزاب : (٤٠) .

الأنبياء عبد القاهر بن طاهر البغدادي رحمه اللّٰه فقد قال :

(وقد تواترت الأخبار عنه ﷺ بقوله : « **لا نبي بعدي** »)[1] .

* ومنهم ابن حزم رحمه اللّٰه فقد قال :

« وقد صح عن رسول اللّٰه ﷺ بنقل الكواف التي نقلت نبوته وكتابه أنه أخبر أنه لا نبي بعده »[2] .

* ومنهم الإمام ابن كثير رحمه اللّٰه فقد قال في تفسيره :

« وقد أخبر اللّٰه تعالى في كتابه ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل »[3] .

* ومنهم السيوطي رحمه اللّٰه فقد قال :

إن حديث « **أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي** » متواتر وكذلك حديث : « **أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي** » أنه متواتر[4] .

وقد وردت الأحاديث المؤكدة لختم النبوة وانغلاق باب التلقي عن اللّٰه سبحانه وتعالى نهائيًا بصور شتى وألفاظ متعددة بحيث لا يبقى هناك شك إلى أن باب التلقي عن اللّٰه قد أغلق نهائيًا .

---

(١) « أصول الدين » للبغدادي (ص١٦٣) .

(٢) « الفصل في الملل والأهواء والنحل » لابن حزم (١/ ٧٧) .

(٣) « تفسير ابن كثير » (٣/ ٤٩٤) .

(٤) « الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة » للسيوطي (ص٣٦) .

* فمن هذه الأحاديث التي تؤكد لنا بأن النبوة قد انقطعت وأنه ليس هناك نبي بعد الرسول محمد ﷺ :

* ما رواه ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : كشف رسول اللَّه ﷺ الستار والناس صفوف خلف أبي بكر رضي اللَّه عنه فقال : « **أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له** »[1] .

* وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : « **ليس يبقى بعدى من النبوة إلا المبشرات** » قالوا : وما المبشرات يا رسول اللَّه ؟ قال : «**الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة** »[2] .

* وعن عائشة رضي اللَّه عنها أن النبي ﷺ قال : « **لا يبقى بعدي من النبوة شيء إلا المبشرات** » قالوا : يا رسول اللَّه وما المبشرات ؟ قال : «**الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له** » رواه البزار[3] .

* وعن أبي الطفيل رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **لا نبوة بعدي إلا المبشرات** » قال : « **قيل : وما المبشرات يا رسول اللَّه ؟ قال الرؤيا الحسنة أو قال الرؤيا الصالحة** » رواه الطبراني[4] .

* وعن أم كرز الكعبية رضي اللَّه عنها قالت : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « **ذهبت النبوة وبقيت المبشرات** » رواه الدارمي[5] والحميدي[6] .

---

(١) « سنن النسائي » (٢/ ١٨٩) .

(٢) « موطأ مالك مع شرح الزرقاني » (٤/ ٣٥٣) .

(٣) « مجمع الزوائد » (٧/ ١٧٢) .

(٤) « مجمع الزوائد » (٧/ ١٧٣) وقال : رجاله ثقات .

(٥) « سنن الدارمي » (٢/ ١٢٣) .

(٦) « مسند الحميدي » (١/ ١٦٧) .

* ومن الأدلة لختم النبوة الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي اللَّه عنه قال إن رسول اللَّه ﷺ قال : « **إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون له ويقولون هلا وضعت اللبنة ! قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين** » رواه البخاري[1] .

* وعن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه قال : قال النبي ﷺ : « **مثلي ومثل الأنبياء كرجل بني داراً فأتمها وأكملها إلا موضع اللبنة** » ثم قال رسول اللَّه ﷺ : « **فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء** » رواه مسلم[2] .

* وعن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «**مثلي ومثل النبيين من قبلي كمثل رجل بنى داراً فأتمها إلا لبنة واحدة فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة** » رواه أحمد[3] .

إذا نظرنا في الأحاديث السابقة نجد أنها تتناول قضية الختم من طريق التمثيل والتشبيه الذي هو أقرب الأساليب إلى الفهم حيث شبه النبي ﷺ النبوة ببيت لبناته هم أنبياء اللَّه عز وجل الذين اختارهم قبل نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وأن البيت قد بنى وجمل وكمل ولم يبق فيه إلا موضع لبنة واحدة ولا يزال البيت بدونها ناقصًا فجاء رسول اللَّه ﷺ فكمل ذلك البناء وسد ذلك المكان ولم يبق ثمة موضع آخر للبنة أخرى تجيء بعد كما زعم ابن عربي ومن سار على نهجه من المتصوفة وبذلك يكون بناء النبوة قد كمل وتم بعد مجيء رسول اللَّه ﷺ الذي قد ختم به ذلك البناء فكان بذلك آخر الأنبياء وبذلك تقرر عقيدة ختم النبوة في نفوس هذه الأمة ولا يبقى هناك

---

(١) « صحيح البخاري » مع الفتح (٦/٥٥٩) .

(٢) « صحيح مسلم » مع النووي (١٥/٥٢) .

(٣) « مسند أحمد » (٣/٩) .

مجال للكذب والادعاء بأن أحدًا ما يزعم أنه يتلقى العلم عن اللّه بعد رسول اللّه وإلا يصبح كاذبًا مفتريًا على اللّه .

يقول ابن حجر رحمه اللّه :

« وفي الحديث ضرب الأمثال للتقريب للأفهام وفضل النبي ﷺ على سائر النبيين وأن اللّه ختم به المرسلين وأكمل به شرائع الدين »[1] .

ومن الصور التي أكد بها ﷺ بأنه خاتم الأنبياء وأن الوحي قد انقطع بعده إخباره بعموم رسالته .

لقد أخبر الرسول ﷺ بأنه رسالته عامة لجميع البشر على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وألوانهم وأوطانهم .

* فمن الأحاديث الدالة على عموم رسالته عن جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ قال : « **أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة** » رواه البخاري[2] والنسائي[3] والدارمي[4] .

* وعن أبي ذر الغفاري رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : «**أوتيت خمسًا لم يؤتهن نبي قبلي : نصرت بالرعب فيرعب مني العدو عن مسيرة**

---

(١) « فتح الباري » (٦/ ٥٥٩) .

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (١/ ٤٣٦) و« مشكاة المصابيح » (٣/ ١٦٠١) .

(٣) « سنن النسائي » (١/ ٣٢٢) مع اختلاف في الترتيب .

(٤) « سنن الدارمي » (١/ ٢٠٩) .

شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد كان قبلي وبعثت إلى الأحمر والأسود»[1] .

* وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول اللّه ﷺ قال : «**أعطيت الليلة خمسًا ما أعطيهن أحد قبلي : أما أنا فأرسلت إلى الناس كلهم...**»[2] .

إذا نظرنا في الأحاديث السابقة نجدها كلها تدل دلالة صريحة وواضحة على عموم بعثته ﷺ إلى الناس كافة من غير استثناء أو تقييد بزمن دون زمن مما يؤكد أن المراد بذلك العموم هو عموم مكاني بحيث لا يخرج عنه مكان في الأرض كلها وعموم زماني كذلك بحيث يمتد منذ وجوده ﷺ إلى قيام الساعة وهذه الأحاديث نوع آخر من الأدلة النبوية التي تؤكد على أن النبوة قد ختمت وبختم النبوة فقد انقطع الوحي والتلقي عن اللّه وبذلك يصبح كل من يزعم ذلك مفتريًا على اللّه .

أقوال علماء الأمة الإسلامية رحمهم اللّه في ختم النبوة وانقطاع الوحي بعد رسول اللّه محمد ﷺ :

لقد أجمع علماء الأمة الإسلامية على القول بختم النبوة برسول اللّه محمد ﷺ وبختم النبوة فقد انقطع الوحي والتلقي عن اللّه ولم يبق بين أيدينا شيء نهتدي عن طريقه إلى الطريق القويم إلا كتاب اللّه وسنة رسوله محمد ﷺ .

* فمن العلماء الذين أكدوا إجماع المسلمين على القول بختم النبوة

---

(١) « مسند أبي داود الطيالسي » (٢/ ١٢٢) .

(٢) « مجمع الزوائد » للهيثمي (١٠/ ٣٦٧) .

برسول اللَّه ﷺ البغدادي رحمه اللَّه فقد قال :

« أجمع المسلمون وأهل الكتاب على أن أول من أرسل من الناس آدم عليه السلام وآخرهم عند المسلمين محمد ﷺ » [١] .

وقال أيضًا : « كذلك كل من أقر بنبوة نبينا محمد ﷺ أقر بأنه خاتم الأنبياء والرسل وأقر بتأييد شريعته ومنع من نسخها »[٢] .

* ومن العلماء الذين ذكروا الإجماع على القول بأن الرسول محمد ﷺ خاتم الأنبياء وأن الوحي قد انقطع بعده القاضي عياض فقد قال رحمه اللَّه :

« أخبر ﷺ أنه خاتم النبيين لا نبي بعده وأخبر عن اللَّه تعالى أنه خاتم النبيين وأنه أرسل كافة للناس وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره وأن مفهومه المراد منه دون تأويل ولا تخصيص »[٣] .

* ومن العلماء الذين أكدوا ختم النبوة وانقطاع الوحي بعد رسول اللَّه ﷺ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه فقد قال :

« ولما كان محمد ﷺ رسولاً إلا جميع الثقلين جنهم وإنسهم عربهم وعجمهم وهو خاتم الأنبياء لا نبي بعده كان من نعم اللَّه على عباده ومن تمام حجته على خلقه » [٤] .

ويقول ابن خلدون رحمه اللَّه وهو يتحدث عن معاني الختم :

---

(١) « أصول الدين » للبغدادي (ص١٥٩) و« الفرق بين الفرق » (ص٣٣٢) .

(٢) « أصول الدين » (ص١٦٢) .

(٣) « الشفا » (٢/ ٢٧٠) .

(٤) « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٦٣) .

« ويطلق على النهاية والتمام ومنه الأمر إذا بلغت آخره وختمت القرآن ومنه خاتم النبيين وخاتم الأمر »[1] .

ويقول زين العابدين بن نجيم :

« إذا لم يعرف المسلم أن محمداً آخر الأنبياء فليس بمسلم لأنه من الضروريات »[2] .

ويقول القسطلاني :

« إن الوحي منقطع بموته ﷺ »[3] .

ويقول سعد الدين التفتازاني :

« قد دلت النصوص وانعقد الإجماع أنه مبعوث إلى الناس كافة بل إلى الثقلين لا إلى العرب خاصة وأنه خاتم النبيين لا نبي بعده ولا نسخ لشريعته »[4] .

ويقول إسماعيل حقي في تفسيره روح البيان عن قوله تعالى : ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ :

« وكان آخرهم الذي ختموا به »[5] .

* * *

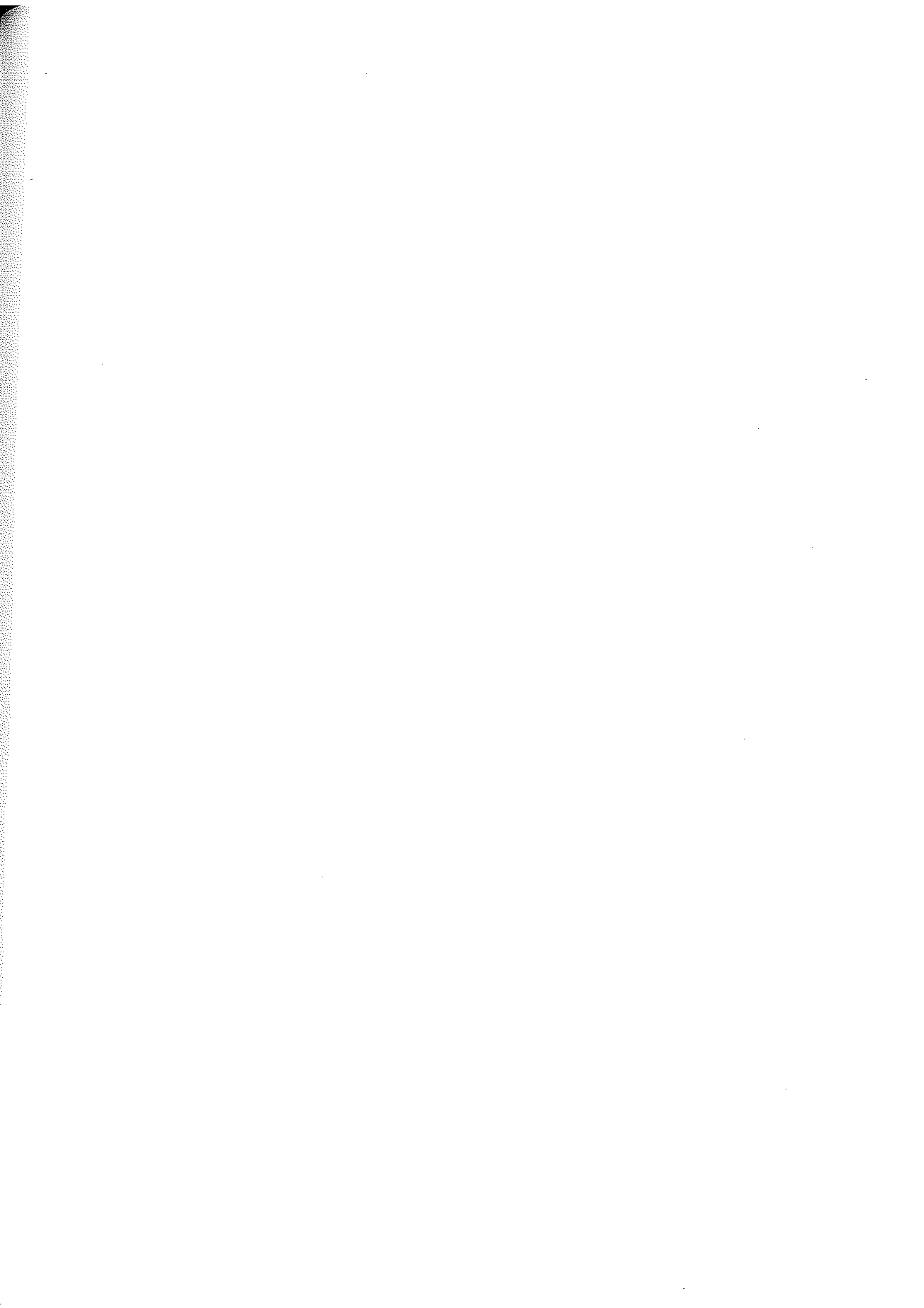
(١) « المقدمة لابن خلدون » (ص٢٦٤) .

(٢) « الأشباه والنظائر » (ص١٣٨) .

(٣) « إرشاد الساري » (١٠/١٢٨) .

(٤) « شرح المقاصد » (٢/١٩١) .

(٥) « روح البيان » (٣/١٢٢) .



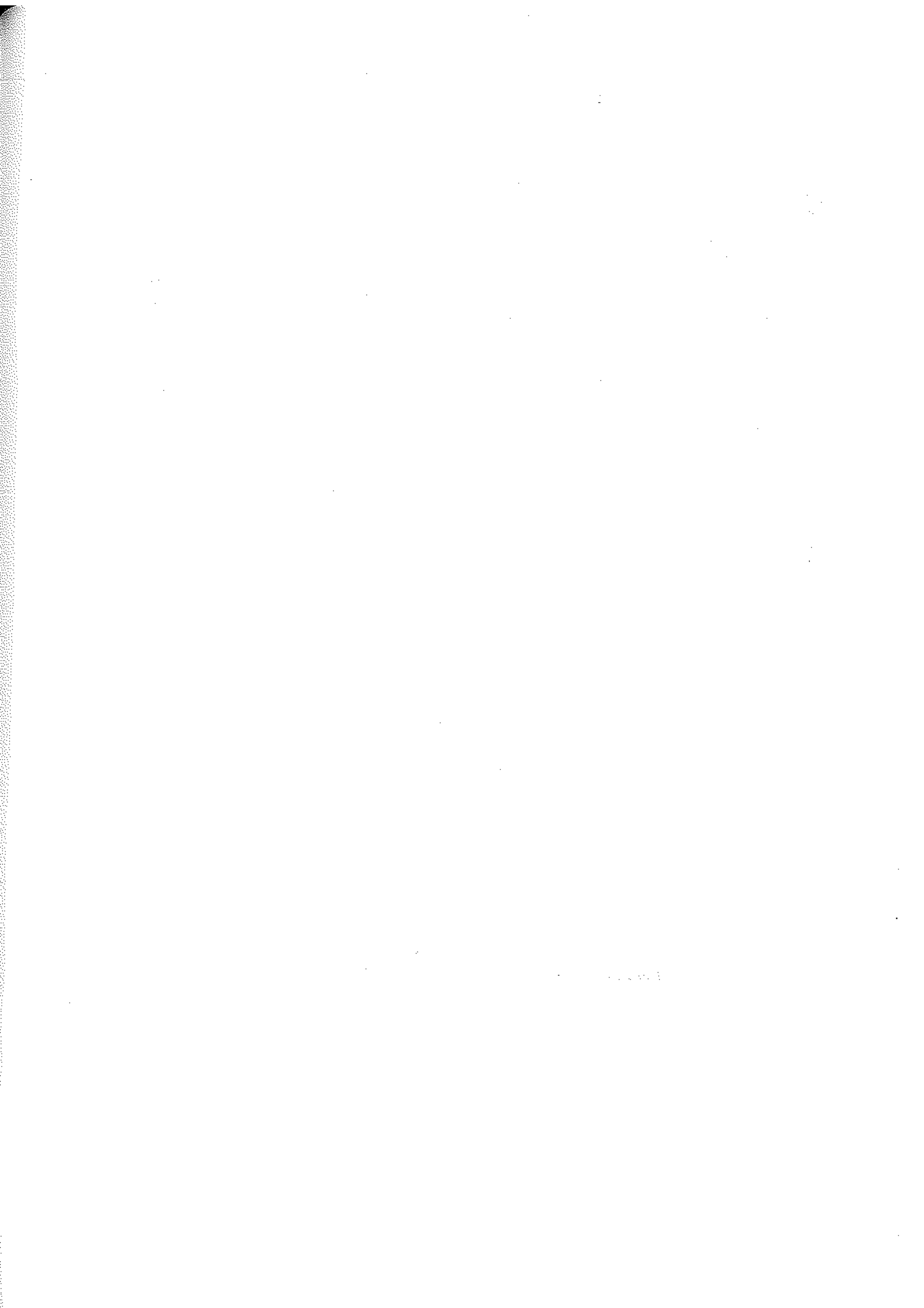
المبحث الثاني

اعتقادهم بأن هناك مجموعة من الأولياء لهم ألقاب خاصة بهم يتصرفون في هذا الكون ويتحكمون فيه

وتحت مطلبان :

المطلب الأول : مراتب الأولياء ووظائفهم عندهم وذكر نماذج من النصوص عنهم تثبت بأنهم يعتقدون أن للأولياء تصرفًا في هذا الكون .

المطلب الثاني : موقف أهل الإسلام من هذه المراتب وممن يدعي التصرف لغير اللَّه .



المطلب الأول

مراتب الأولياء ووظائفهم وذكر نماذج من النصوص عنهم تثبت بأنهم يعتقدون بأن للأولياء تصرفًا في هذا الكون

لقد اخترع الصوفية وابتدعوا من عند أنفسهم مراتبًا وألقابًا من عند أنفسهم لمن يصفونهم بأنهم أولياء اللَّه بقطع النظر عن الشخص الذي يصفونه بهذا الوصف وهل هو مستحق لهذا الوصف العظيم وهو وصف ولي اللَّه أو غير مستحق ذلك لأن إطلاق هذا اللفظ على شخص بعينه فيه شهادة له وتأكيد بأنه من المرضي عنهم دنيا وأخرى وهذا فيه جرأة عظيمة على اللَّه ولو لاحظنا غالب من يعتبرهم المتصوفة بأنهم أولياء اللَّه نجد بأنهم أصحاب دجل وكهانة وشعوذة وبدع وخرافات ويظهر هذا لكل من يقرأ في كتبهم ويلاحظ سلوكهم .

ومن جملة البدع التي ابتدعها المتصوفة هي إحداث ألقاب لمن يطلقون عليهم أولياء اللَّه فقد ذكر الصوفية ألقابًا لأولياء اللَّه لم ترد في الكتاب ولا في السنة وإنما أتوا بها من عند أنفسهم وإليك هذه المراتب والألقاب والوظائف التي ذكرها الصوفية في كتبهم .

أولاً : مراتب الأولياء عند الصوفية :

* فمن الصوفية الذين ذكروا هذه المراتب والألقاب والوظائف محيي

الدين بن عربي والذي يصفه الصوفية بأنه الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر فقد قال متحدثًا عن مراتب الأولياء عند الصوفية :

« فمنهم الأقطاب ومنهم الأئمة ومنهم الأوتاد ومنهم الأبدال ومنهم النقباء ومنهم النجباء ومنهم الرجبيون ومنهم الأفراد وما فيهم طائفة إلا قد رأيت منهم وعاشرتهم ببلاد المغرب وببلاد الحجاز والشرق »(١) .

* ومن الصوفية الذين ذكروا هذه المراتب لأولياء الصوفية لسان الدين الخطيب فقد قال متحدثًا عن هذه المراتب :

« خواص اللَّه في أرضه ورحمة اللَّه في بلاده على عباده : الأبدال والأقطاب والأوتاد والعرفاء والنجباء والنقباء وسيدهم الغوث »(٢) .

وكما نلاحظ فقد ذكر لسان الدين نفس المراتب التي ذكرها محيي الدين بن عربي وزاد عليها لقبين ومرتبتين وهما العرفاء والغوث وليس هذا بغريب عند المتصوفة لأنهم يتكلمون بأهوائهم ومن يتكلم بهواه فالاختلاف ليس بغريب عليه .

* ومن الصوفية الذين ذكروا هذه المراتب والألقاب للأولياء عند المتصوفة الهجويري حيث قال متحدثًا عن هذه المراتب والألقاب :

« هم أهل الحل والعقد وقادة حضرة الحق جل جلاله فثلاثمائة يدعون الأخيار وأربعون آخرون يسمون الأبدال وسبعة آخرون يقال لهم الأبرار وأربعون يسمون الأوتاد وثلاثة آخرون يقال لهم النقباء وواحد يسمى القطب والغوث وهؤلاء جميعًا يعرفون الآخر ويحتاجون في الأمور

---

(١) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٣/ ٢٤٤) .

(٢) « روضة التعريف بالحب الشريف » (ص٤٣٢) .

لأذن بعضهم البعض »[1] .

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن الهجويري ذكر ألقابًا ومراتب لم يذكرها محيي الدين بن عربي ولسان الدين الخطيب فقد أتى بلقبي الأخيار والأبرار وهذان لقبان تفرد بهما عمن سبق ذكره ولا عجب في ذلك فكل الألقاب أتى بها المتصوفة من عند أنفسهم ومن يتبع هواه يقول ما يريد لأنه ليس له عاصم يعصمه من القول على اللَّه بغير علم .

هذه هي المراتب التي ذكر الصوفية في كتبهم لأولياء اللَّه سبحانه وتعالى وهذه المراتب والألقاب التي ذكرها الصوفية إذا عرضناها على كتاب اللَّه وسنة رسوله محمد ﷺ نجد أنها لم ترد فيها نهائيًا وبما أن المقصود هنا في هذا المطلب إقامة الحجة على أن الصوفية بالفعل ابتدعوا مراتب وألقابًا لأولياء اللَّه من عند أنفسهم وقد أثبتنا هذا فلنترك الرد لحينه لأنه سيأتي في المطلب الثاني من هذا المبحث إن شاء اللَّه تعالى[2] .

ثانيًا : معاني هذه الألفاظ ووظيفة أصحاب كل مرتبة عند الصوفية:

لقد وضح مشائخ الصوفية معاني هذه الألفاظ ووظيفة صاحب كل مرتبة توضيحًا شافيًا لا غموض فيه .

ولنبدأ بمعنى كلمة القطب أو الأقطاب ووظائفهم عند الصوفية .

القطب :

لقد تكلم كثير من مشائخ الصوفية عن معنى القطب عندهم ومن جملة المشائخ الذين تكلموا عن القطب والأقطاب محيي الدين بن عربي فقد قال

---

(١) « كشف المحجوب » للهجويري (ص٤٤٧ ـ ٤٤٨) .

(٢) انظر (ص٦٦٩ ـ ٦٧٤) .

متحدثًا عن الأقطاب :

« الأقطاب جمع قطب وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر اللَّه في العالم ويقال الغوث وهو على قلب إسرافيل »[1] .

وقد تحدث ابن عربي أيضًا عن أسماء القطب وأوصافه فقال :

« إن اسم القطب في كل زمان عبد اللَّه وعبد الجامع المنعوت بالتخلق والتحقق بمعاني جميع الأسماء الإلهية بحكم الخلافة وهو مرآة الحق تعالى ومجلى النعوت المقدسة ومحل المظاهر الإلهية وصاحب الوقت وعين الزمان وصاحب علم سر القدر وله علم دهر الدهور ومن شأنه أن يكون الغالب عليه الخفاء لأنه محفوظ في خزائن الغيرة ملتحف بأردية الصون لا يعتريه شبهة في دينه قط ولا يخطر له خاطر يناقض مقامه كثير النكاح ورغبا محبا للنساء يوفي الطبيعة حقها على الحد المشروع له »[2] .

وقد أكد محيي الدين بن عربي أن الأقطاب لم يخل منهم زمان منذ أن خلق اللَّه البشرية وإليك نص كلامه فقد قال :

« إن الأقطاب لا يخلو عصر منهم وجملة الأقطاب المكملين من الأمم السالفة من عهد آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ خمسة وعشرون قطبًا أشهدنيهم الحق تعالى في مشهد قدس في حضرة برزخية وأنا بمدينة قرطبة وهم : الفرق ومداوي الكلوم والبكاء والمرتفع والماضي والماحق والعاقب والمنحور وسجر الماء وعنصر الحياة والشريد والصائغ والمراجع والطيار والسالم والخليفة والمقسوم والحى والراقي والواسع والبحر والمنصف

---

(١) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٣/ ٢٤٤) .

(٢) « اليواقيت والجواهر في عقيدة الأكابر » (٢/ ٧٩) .

والهادي والأصلح والباقي فهؤلاء هم الأقطابِ الذين سموا لنا من آدم إلى محمد وأما القطب الواحد الممد لجميع الأنبياء والرسل والأقطاب من حيث النشيء الإنساني إلى يوم القيامة فهو روح محمد ﷺ »[1] .

وقد زعم ابن عربي أن لكل إقليم أو قرية قطبًا صغيرًا ينوب عن القطب الكبير فقال :

« واعلم أن لكل بلد أو قرية أو إقليم قطبًا غير الغوث به يحفظ اللَّه تعالى تلك الجهة سواء أكان أهلها مؤمنين أو كفارًا وكذلك القول في الزهاد والعباد والمتوكلين وغيرهم لابد لكل صنف منهم من قطب يكون مدارهم عليه ».

وقال ابن عربي أيضًا :

« قد اجتمعت بقطب المتوكلين فرأيت مقام المتوكل يدور عليه دوران الرحى حين تدور على قطبها وهو عبد اللَّه بن الأستاذ ببلاد الأندلس صحبته زمانًا طويلاً وكذلك اجتمعت بقطب الزمان سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بمدينة فاس وكان أشل اليد فتكلمت على مقام القطبية في مجلس كان فيه فأشار عليّ أن أستره عن الحاضرين ففعلت »[2] .

وقد تحدث التيجاني عن حقيقة القطبانية في المفهوم الصوفي فقال :

« إن حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقًا في جميع الوجود جملة وتفصيلاً حيثما كان الرب إلهًا كان هو خليفة في تصريف الحكم وتنفيذه في كل من له عليه ألوهية للَّه تعالى فلا يصل إلى الخلق شيء

---

(١) « اليواقيت والجواهر في عقيدة الأكابر » (٢/ ٨٢) .

(٢) « اليواقيت والجواهر في عقيدة الأكابر » (٢/ ٨٣) .

كائنًا ما كان من الحق إلا بحكم القطب ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود فترى الكون أشباحًا لا حركة وإنما هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلاً ثم تصرفه في مراتب الأولياء فلا تكون مرتبة في الوجود للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه فهو المتصرف في جميعها والممد لأربابها به يرحم الوجود وبه يبقى الوجود في بقاء الوجود رحمة لكل العباد وجوده في الوجود .

حياة لروحه الكلية وتنفس نفسه يمد اللَّه به العلوية والسفلية ذاته مرآة مجردة يشهد فيها كل قاصد مقصده »[1] .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن المتصوفة يعتبرون القطب هو المتصرف الوحيد في هذا الكون لأنه نائب عن اللَّه .

ويدعي محيي الدين بن عربي بأنه اجتمع بالأقطاب الذين كانوا في الأمم السابقة في البرزخ فيقول تحت عنوان :

أقطاب الأمم السابقين :

« وأما أقطاب الأمم المكملين في غير هذه الأمة ممن تقدمنا بالزمان فجماعة ذكرت لي أسماؤهم باللسان العربي لما أشهدتهم ورأيتهم في حضرة برزخية وأنا بمدينة قرطبة في مشهد قدس ثم ذكر أسماءهم »[2] .

مدة حكم القطب :

يعتقد الصوفية بأن القطب ليست له مدة معينة لحكمه وأنه يمكث

---

(١) « جواهر المعاني » (٢/ ٨٠) .

(٢) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٣/ ٢٤٧) .

حسب المدة التي قدرها اللّه له وفي هذا يقول محيي الدين بن عربي :

« ليس للقطب مدة معينة فقد يمكث القطب في قطبيته سنة أو أكثر أو أقل إلى يوم إلى ساعة فإنها مقام ثقيل لتحمل صاحبها أعباء الممالك الأرضية كلها ملوكها ورعاياها » .

وقال ابن عربي أيضًا :

« إن كل قطب يمكث في العالم الذي هو فيه على حسب ما قدر اللّه عز وجل ثم تنسخ دعوته بدعوة أخرى كما تنسخ الشرائع بالشرائع وأعني بالدعوة ما لذلك القطب من الحكم والتأثير في العالم .

فمن الأقطاب من يمكث في قطبيته الثلاث والثلاثين سنة وأربعة أشهر ومنهم من يمكث فيها ثلاث سنين ومنهم ومنهم كما يؤيد ذلك مدة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي فإنهم كانوا أقطابًا بلا شك »[1] .

العلامة التي يتميز بها القطب عن غيره من البشر :

لقد ذكر الشيخ أبو الحسن الشاذلي أن للقطب خمسة عشر علامة وهي :

« أن يمد بمدد العصمة والرحمة والخلافة والنيابة ومدد حملة العرش العظيم ويكشف له عن حقيقة الذات وإحاطة الصفات ويكرم بكرامة الحلم والفضل بين الموجودين وانفصال الأول عن الأول وما انفصل عنه إلى منتهاه وما ثبت فيه حكم ما قبل وما بعد وحكم من لا قبل له ولا بعد وعلم الإحاطة بكل علم ومعلوم ما بدا من السر الأول إلى منتهاه ثم يعود إليه »[2] .

---

(١) « اليواقيت والجواهر في عقيدة الأكابر » (٢/٨٣) .

(٢) نفس المرجع (٢/٧٩) .

كما نرى في النص السابق فقد وصف أبو الحسن الشاذلي القطب بأوصاف لا تليق إلا باللَّه عز وجل وعلى هذا يعتبر المتصوفة القطب مساويًا للَّه سبحانه وتعالى في علمه وصفاته وتصرفه في هذا الكون وهذا غلو شديد يؤدي بمن يعتقده إلى الخروج كلية عن الإسلام لأن من يعتقد بأن القطب يتصف بهذه الأوصاف المذكورة في النص السابق فقد اتخذه ربًا وإلهًا مع اللَّه وهذا شرك عظيم .

وبالجملة إذا نظرنا في النصوص السابقة كلها نخرج بنتيجة واحدة وهي أن المتصوفة يعتقدون بأن كل هذا الكون وتصريفه بيد القطب وكأنه الوزير النائب عن اللَّه فلا يكون شيء في هذا الكون إلا عن طريق القطب الصوفي المزعوم والذي لا وجود له في الحقيقة وإنما وجوده في خيال المتصوفة فقط وليس له أصل لا في الكتاب ولا في السنة .

وبهذا نكتفي في مجال القطب وننتقل إلى المرتبة الثانية من المراتب التي وضعها الصوفية للأولياء وهي مرتبة البدلية .

المرتبة الثانية : البدل أو البدلاء :

يعتقد الصوفية أن هناك رجالاً سبعة يقال لهم الأبدال يحفظون هذه الأقاليم السبعة أي القارات التي يعيش فيها هذا العالم وأن كل بدل مكلف بإقليم واحد يحفظه من كل سوء ويحميه .

وإليك نصوص من بطون كتبهم :

فقد قال محيي الدين بن عربي متحدثًا عن الأبدال :

« أما الأبدال فهم سبعة رجال من سافر منهم من موضع ترك على

صورته جسدًا أي شبحًا يحيا بحياته ويظهر بأعمال أصله » .

وقال أيضًا في مكان آخر :

« اعلم أن ثم رجالاً سبعة يقال لهم الأبدال يحفظ اللَّه بهم الأقاليم السبعة لكل بدل إقليم وإليهم تنظر روحانيات السماوات السبع ولكل شخص منهم قوة منبعثة من روحانيات الأنبياء الكائنين في هذه السماوات وهم إبراهيم الخليل يليه موسى يليه هارون يتلوه إدريس يتلوه يوسف يتلوه عيسى يتلوه آدم سلام اللَّه عليهم أجمعين »[1] .

وقال ابن عربي أيضًا متحدثًا عن الأبدال :

« وهذه الجملة أي السبعة هم الأبدال وقالوا سموا أبدالاً لكونهم إذا مات واحد منهم كان الآخر بدله .

وقيل سموا بذلك لأنهم أعطوا من المقدرة والقوة أن يتركوا بدلهم حيث يريدون لآخر يقوم في نفوسهم على علم منهم فإن لم يكن على علم منهم فليس من أصحاب هذا المقام فقد يكون من صلحاء الأمة وقد يكون من الأفراد »[2] .

وقال صاحب كتاب «معجم مصطلحات الصوفية في وصف الأبدال»:

« هم سبعة رجال فمن سافر منهم عن موضعه وترك جسدًا على صورته حيا بحياته ظاهرًا بأعمال أصله بحيث لا يعرف أحد أنه فقد فذلك هو البدل لا غير وهو في تلبسه بالأجساد والصور على صورته على قلب إبراهيم عليه السلام »[3] .

---

(١) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٢/ ٣٧٦) .

(٢) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٢/ ٤٠٠) .

(٣) « معجم مصطلحات الصوفية » (ص٩٢) .

وقال أبو عثمان القسيري : البدلاء أربعون والأمناء سبعة والخلفاء من الأئمة ثلاثة والواحد هو القطب فالقطب عارف بهم جميعًا ومشرف عليهم ولم يعرفه أحد ولا يتشرف عليه وهو إمام الأولياء فالثلاثة الذين هم الخلفاء من الأئمة يعرفون السبعة ويعرفون الأربعين وهم البدلاء والأربعون يعرفون سائر الأولياء من الأئمة ولا يعرفهم من الأولياء أحد فإذا نقص واحد من الأربعين أبدل مكانه من الأولياء »[١] .

المرتبة الثالثة : مرتبة الوتد أو الأوتاد :

يعتقد الصوفية بأن هناك مرتبة للأولياء تسمى الأوتاد ويعتقد المتصوفة بأن هؤلاء الأوتاد يحفظون هذا الكون الذي نعيش فيه .

قال صاحب « معجم مصطلحات الصوفية » عن الأوتاد :

« الأوتاد هم أربعة رجال منازلهم على منازل الجهات الأربع من العالم شرق وغرب وشمال وجنوب مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة ويحفظ اللَّه بهم تلك الجهات لكونهم مجال نظره تعالى والولي يتنور بصورهم فيكلم الناس في الباطن والظاهر ويخبرهم »[٢] .

وقد تحدث محيي الدين بن عربي عن الأوتاد فقال :

« وأما حديث الأوتاد الذين يتعلق معرفتهم بهذا الباب فاعلم أن الأوتاد الذين يحفظ اللَّه بهم للعالم أربعة لا خامس لهم وهم أخص من الأبدال والإمام أخص منهم والقطب هو أخص الجماعة » .

ثم قال في وصف الأوتاد :

---

(١) « معجم مصطلحات الصوفية » للدكتور عبد المنعم الحقي (ص٩٢) .

(٢) نفس المرجع (ص٢٤) .

« واعلم أن هؤلاء يحوون على علوم جمة كثيرة فالذي لابد لهم من العلم به وبه يكونون أوتاداً فما زاد من العلوم فمنهم من نه خمسة عشر علمًا ومنهم من له ولابد ثمانية عشر علمًا ومنهم من له واحد وعشرون علمًا ومنهم من له أربعة وعشرون علمًا .

ولكل وجهة وتد يشفع يوم القيامة فيمن دخل عليه إبليس من جهته»[1] .

المرتبة الرابعة : من المراتب التي ابتدعها المتصوفة للأولياء مرتبة الأفراد :

وقد تكلم محيي الدين بن عربي عن الأفراد وأطال الحديث عنهم فقال :

« أما الأفراد فهم الخارجون عن دائرة القطب وهم الذين على بينة من ربهم وهم في هذه الأمة بمنزلة الأنبياء في الأمم الخالية » .

وقال في وصفهم أيضًا :

« الأفراد لهم الأولوية في الأمور فالإنكار ليس من شأنهم فإن لهم الأولية في الأمور فهم ينكر عليهم ولا ينكرون » .

قال الجنيد :

« لا يبلغ أحد درج الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق وذلك لأنهم يعلمون من اللّه ما لا يعلمه غيرهم » .

ثم قال : « الأفراد هم أصحاب العلم الباطن »[2] .

---

(١) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٢/ ٤٠١) .

(٢) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٣/ ٢٤٤) .

وكما نلاحظ في النص السابق أصحاب هذه المرتبة من مراتب الأولياء لا يخضعون لحكم القطب بل هم خارجون عنه وأن من صفاتهم لا ينكرون المنكر وأنه لا يبلغ أحد هذه الدرجة حتى ينكر عليه الصديقون أفعاله لأنه مخالف لأحكام الشريعة وهو يفعل ذلك لأنه عنده علم الحقيقة الذي لا يعلمه إلا من وصل هذه الدرجة ألا وهي درجة الانحلال الكلي ورمى الشريعة جانبًا والعمل حسب ما يأمرهم به علمهم الباطن الذي تلقوه عن إبليس قائدهم الكبير إلى مخالفة أمر اللَّه وعصيانه والعمل على إضلال عباده.

المرتبة الخامسة : من المراتب التي ابتدعها المتصوفة للأولياء مرتبة النقباء :

ولقد عرف النقباء صاحب كتاب « معجم مصطلحات الصوفية » فقال:

« أما النقباء فهم الذين استخرجوا خبايا النفوس وأشرفوا على الضمائر لتحققهم بالعبودية »[1] .

إذًا النقباء هم الذين يعرفون ما في الضمائر ومعنى ذلك هم الذين يعلمون الغيب .

المرتبة السادسة : من المراتب التي وضعها الصوفية مرتبة النجباء

وقد عرفهم صاحب كتاب « معجم مصطلحات الصوفية » بما يلي فقال :

« أما النجباء فهم أربعون شخصًا مشغولون بحمل أثقال الخلق فلا

---

(١) « معجم مصطلحات الصوفية » لحقي (ص٢٥٨) .

يتصرفون في حق أنفسهم بل في حق غيرهم »[1] .

المرتبة السابعة : من المراتب التي وضعها الصوفية وابتدعوها من عند أنفسهم مرتبة الأئمة :

وقد تحدث محيي الدين بن عربي عن هذا عند المتصوفة فقال :

« أما الأئمة فهما إمامان أحدهما عن يمين القطب ونظره في عالم الملكوت واسمه عبد الرب والآخر عن يساره ونظره في عالم الملك واسمه عبد الملك وهو الذي يخلف القطب إذا درج »[2] .

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن المتصوفة يقصدون بلفظ الأئمة الإمامين اللذين يجلسان عن يمين القطب ويساره وهذا حسب زعمهم وإلا فلا وجود أصلاً للقطب المزعوم فضلاً عن أن يكون له إمامان يجلسان بجنبيه .

وهناك درجة أخرى من الدرجات التي وضعها المتصوفة لمن يسمونهم أولياء اللّه وهي مرتبة المجاذيب .

وقد تحدث صاحب كتاب « عوارف المعارف » على هذه المرتبة فقال :

المجذوب المجرد : وهو الذي يبادئه الحق بآيات اليقين ويرفع عن قلبه شيئًا من الحجاب ولا يؤاخذ في طريق السلوك والمعاملة وهذا لا يؤهل المشيخة .

---

(١) « معجم مصطلحات الصوفية » لحقي (ص٢٥٥) وكذلك « الفتوحات المكية » (٣/ ٢٤٤).

(٢) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٣/ ٢٤٤) .

وهناك **درجة السالك المتدارك** وهو الذي كانت بدايته المجاهدة والمكابدة والمعاملة بالإخلاص والوفاء بالشروط ثم أخرج من وهج المكابدة إلى روح الحال فوجد العسل بعد العلقم . وتروح بنسمات الفضل وبرز من مضيق المكابدة إلى متسع المساهلة وأونس بنفحات القرب وفتح له باب المشادة فوجد دواءه وفاض وعاؤه وصدرت منه كلمات الحكمة ومالت إليه القلوب وتوالى عليه فتوح الغيب ومثل هذا يؤهل للمشيخة .

وهناك **المجذوب المتدارك بالسلوك** وهو الذي يبادئه الحق بأنوار الكشوف وأنوار اليقين ويرفع عن قلبه الحجب ويستنير بأنوار المشاهدة وينشرح وينفسح قلبه ويتجافى عن دار الغرور وينيب إلى دار الخلود ويرتوي من بحر الحلال ويتخلص من الأغلال والأعلال ويقول معلنًا :

« لا أعبد ربًا لم أره ثم يفيض من باطنه على ظاهره وتجري عليه صورة المجاهدة والمعاملة من غير عناء ومكابدة بل بلذاذة وهناء ويصير قالبه بصفة قلبه لامتلاء قلبه بحب ربه ويلين جلده كما لان قلبه وعلامة لين جلده إجابة قالبه للعمل كإجابة قلبه . . . ويصح أن يقول : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا فعند ذلك يطلق من وثائق الحال ويكون مسيطرًا على الحال . . وتصير عبادته مشاكلة لعبادة الملائكة وهذا هو الشيخ المطلق والعارف المحقق والمحبوب المعتق نظره دواء وكلامه شفاء »[١] .

والخلاصة التي توصلنا إليها من خلال كلامنا عن مراتب الصوفية التي وضعوها للأولياء هو أن الصوفية كونوا مملكة بشرية وهمية وزعموا أن هذه المملكة هي التي تسير هذا الكون بكامله فلا يقع في هذا الكون أمر من

---

(١) « عوارف المعارف » للسهروردي الملحق بكتاب « الإحياء » (ص٥٧) .

الأمور إلا عن طريق هذه المملكة المزعومة وأن هذه المملكة لها التصرف المطلق في هذا الكون فهي التي تحفظه من المهالك وعن طريقها يرزق كل ما في هذا الكون وهذا واضح جداً في النصوص السابقة التي أوردتها عن أئمة التصوف وبهذا نصل إلى نتيجة واحدة وهي أن المتصوفة يعتقدون بأن هناك بشراً شركاء للَّه في تدبير هذا الكون وتسييره والحقيقة فيما أعلم هذا شرك انفرد به المتصوفة من بين الفرق والطوائف بل وأصحاب الأديان المختلفة وذلك لأنه حتى الكفار الذين بعث إليهم الرسول محمد ﷺ لم يكونوا يقولون أن الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون اللَّه لها المشاركة مع اللَّه في التصرف في هذا الكون وإنما كانوا يقولون إنها وسائط فقط ولذا نقول فاق المتصوفة المشركين الأوائل في الشرك باللَّه وسأزيد هذا الموضوع توضيحًا فيما يلي بإيراد حكايات عن أئمة التصوف تثبت لنا أن المتصوفة يعتقدون بأن مشائخهم لهم التصرف الكامل في هذا الكون .

ثانيًا : ذكر نماذج من نصوص من بطون كتب الصوفية التي ألفها أئمة جهابذة عندهم تثبت لنا أن الصوفية بالفعل يعتقدون أن الأولياء يتصرفون في الكون

لقد بينا فيما سبق في الفقرة الأولى مراتب الأولياء ووظائفهم عند الصوفية وأثبتنا بإيراد نصوص من بطون كتبهم بأنهم يعتقدون أن هذا الكون تسيره مجموعة من البشر أطلق عليهم المتصوفة الألقاب التي ذكرناها وأنه لا يقع في هذا الكون أي أمر إلا عن طريق هؤلاء الأولياء المزعومين[١] والآن في هذه الفقرة نريد أن نبين ونوضح أكثر بإيراد حكايات من بطون كتبهم لكي نثبت ونؤكد ونوضح أكثر اعتقاد المتصوفة التصرف المطلق للأولياء في هذا

---

(١) انظر (ص ٦١٨ ـ ٦٤٨) .

الكون وحتى نقطع الحجة على كل متنطع صوفي تسول له نفسه أن يقول أن هذا لم يقله المتصوفة وإنما هو مفترى عليهم .

والآن أشرع في سرد جملة يسيرة من تلك الحكايات :

يقول يوسف النبهاني في معرض حكاياته لكرامات الأولياد أن عبد اللَّه ابن علوي ابن الأستاذ الأعظم من كراماته أن رجلاً أنشد أبياتًا تتعلق بالبعث والحساب فتواجد صاحب الأبيات وخر مغشيًا عليه فلما أفاق قال للرجل أعد الأبيات فقال الرجل بشرط أن تضمن لي الجنة فقال : ليس ذلك إلي ولكن اطلب ما شئت من المال فقال الرجل : ما أريد إلا الجنة وإن حصل لنا شيء ما كرهنا فدعا له بالجنة فحسنت حالة الرجل وانتقل إلى رحمة اللَّه وشيعه السيد عبد المذكور وحضر دفنه وجلس عند قبره ساعة فتغير وجهه ثم ضحك واستبشر فسئل عن ذلك فقال : إن الرجل لما سأله الملكان عن ربه قال شيخي عبد اللَّه بن علوي فتعبت لذلك فسألاه أيضًا فأجاب بذلك فقال مرحبًا بك وبشيخك عبد اللَّه يا علوي قال بعضهم هكذا ينبغي أن يكون الشيخ يحفظ مريده حتى بعد موته[1] .

والشاهد في النص أن المتصوفة يعتقدون أن معرفة شيخ الطريقة من الطرق الصوفية تغني عن معرفة اللَّه ورسوله وأنه كفيل لكي ينجي مريده من عذاب النار ويدخله الجنة وأن شيخ أي طريقة صوفية يستطيع أن يحفظ مريده حيًا وميتًا وعلى هذا فلا حاجة للتعب والسهر في تلاوة كتاب اللَّه ومعرفة معانيه ولا في دراسة سنة رسوله محمد ﷺ وهذه دعوى صريحة للقضاء على الدين الإسلامي كله وتحويل البشرية إلى عبادة البشر الذين يطلق عليهم المتصوفة أنهم أولياء .

---

(١) « جامع كرامات الأولياء » للنبهاني (٢/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥).

وقال النبهاني أيضًا :

« ومنهم الشيخ عبد اللَّه أحد أصحاب سيدي عمر النبيتي كتب لي أنه رآني بحضرة رسول اللَّه وهو يقول للإمام علي بن أبي طالب ألبس عبد الوهاب الشعراني طاقيتي هذه وقل له يتصرف في الكون فما دونه مانع »[1] .

والشاهد في النص كما هو واضح ولا يحتاج إلى شرح وإيضاح هو أن رسول اللَّه ﷺ قال للشعراني :

« تصرف في هذا الكون وأنه ليس هناك أي مانع يمنعه من التصرف فيه ومعنى ذلك أن المتصوفة يعتقدون أن الأولياء يتصرفون في هذا الكون وهذا شرك باللَّه تعالى لم يصل إليه المشركون الأوائل الذين بعث إليهم رسول اللَّه ﷺ » .

وقال النبهاني أيضًا :

« قال عبد اللَّه اليافعي الغوث[2] : روى عن بعض الكبار أنه طلب منه بعض الناس أن يدعو له اللَّه تعالى أن يرزقه ولدًا ذكرًا فقال : إن أحببت ذلك فسلم للفقراء مائة دينار فسلم إليه ذلك ثم جاء بعد ذلك بمدة وقال له : يا سيدي وعدتني بولد ذكر وما وضعت امرأتي إلا أنثى فقال له الشيخ : الدنانير التي سلمتها ناقصة فقال : يا سيدي ما هي ناقصة إلا شيئًا يسيرًا فقال له الشيخ : ونحن أيضًا ما أنقصناك إلا شيئًا يسيرًا فإن

---

(١) « جامع كرامات الأولياء » للنبهاني (٢/ ٢٧٥) .

(٢) هو عفيف الدين بن عبد اللَّه اليافعي اليمني وهو يعتبر من كبار مشائخ الصوفية توفي (٧٦٨هـ) .

أحببت أن نوفي لك فأوف لنا فقـال : نعم يا سيدي ثم ذهب وعاد إليه بتوفية ذلك النقصان فقال له الشيـخ : اذهـب فقد أوفينـاك كما أوفيت فرجع إلى منزله فوجـد غلامًا بقـدرة اللّٰه تعالـى وإكرامًا لأوليائه عز وجل[1] .

والشاهد في النص أن المتصوفة يعتقدون أن الأولياء لهم التصرف مع اللّٰه في هذا الكون وأنهم باستطاعتهم أن يعطوا الأولاد حسب الطلب بل ويستطيعون تغيير الأنثى إلى ذكر كما فعل هذا الولي الذي أورد عنه هذه الحكاية وتركها هكذا بلا تعليق ومعنى ذلك أنهم يؤمنون ويدينون ويعتقدون في الأولياء أن لهم القدرة على التصرف في هذا الكون وهذا مخالفة صريحة لما جاء في كتاب اللّٰه حيث أخبرنا اللّٰه سبحانه وتعالى بأنه هو وحده المعطي للأولاد ذكورًا وإناثًا وأنه يجعل البعض عقيمًا لحكمة يعلمها اللّٰه سبحانه وتعالى ويتضح لنا هذا في قوله سبحانه : **﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾**[2] .

ومن هنا نقول إن الاعتقاد بأن أحدًا ما من المخلوقات كائنًا من كان باستطاعته إعطاء الأولاد يعتبر شركًا صريحًا باللّٰه سبحانه وتعالى وذلك لأن من العقائد الضرورية المعلومة لدى جميع المسلمين الذين سلموا من خرافات الصوفية ومتاهاتهم أن التصرف في هذا الكون هو للّٰه وحده لا شريك له ولا يشركه في هذا لا نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا جني ولا ولي من أولياء اللّٰه الحقيقيين فضلاً عن أن يشركه فيه دجاجلة المتصوفة وقال

(١) « نشر المحاسن الغالية » (ص٢٢) .

(٢) الشورى : (٤٩ ـ ٥٠) .

النبهاني أيضًا : «ومن جملة القصص المشهورة أن الفقيه إسماعيل الحضرمي رضي اللَّه عنه أنه قال يومًا لخادمه وهو في سفر يقول للشمس تقف حتى يصل إلى منزله وكان في مكان بعيد وقد قرب غروبها فقال لها الخادم قال لك الفقيه إسماعيل قفي له فوقفت حتى بلغ مكانه ثم قال للخادم ما تطلق ذلك المحبوس فأمرها الخادم بالغروب فغربت وأظلم الليل في الحال »[1] .

ثم ذكر بأن بعض المتصوفة قال :

« لا يكون الشيخ شيخًا حتى يمحو خطيئة تلميذه من اللوح المحفوظ وقال آخر منهم منكرًا لهذا القول المذكور:

« لو كان شيخًا ما غفل عن تلميذه حتى وقع في الخطيئة »[2] .

والشاهد من النصين السابقين واضح جدًا حيث إن الولي الأول أوقف الشمس عن السير ثم أطلق سراحها ولم يوقفها بنفسه بل أمر تلميذه أن يقول لها إن الشيخ يأمرك أن تقفي ، فوقفت وهذا اعتقاد تصرف لغير اللَّه في هذا الكون .

أما النص الثاني فالشاهد فيه أن المتصوفة يعتقدون بأن الأولياء لهم التصرف الكامل حتى أنهم يستطيعون أن يمحو الخطايا والذنوب التي وقع فيها أتباعهم من اللوح المحفوظ ورأى أحد المتصوفة أن وقوع المريد في الذنب يعتبر نقصًا في شيخه وذلك لأنه لو كان شيخًا حقيقة لما وقع مريده في الخطيئة ومعنى ذلك أن الولي يحفظ مريده من الوقوع في المعاصي ويعصمه وهذه عقائد فاسدة وذلك لأن فيها دعوى بأن البشر لهم حق التصرف في هذا الكون .

---

(١) « نشر المحاسن الغالية » (ص٣٣) .

(٢) « نشر المحاسن الغالية » (ص٦٨) .

وقال النبهاني :

« عبيد أحد أصحاب الشيخ حسين كان له خوارق مدهشة ومنها أنه كان يأمر السحاب أن يمطر فيمطر لوقته وكل من تعرض له بسوء قتله في الحال دخل مرة الجعفرية فتبعه نحو خمسين طفلاً يضحكون عليه فقال : يا عزرائيل إن لم تقبض أرواحهم لأعزلنك من ديوان الملائكة فأصبحوا موتى أجمعين وقال له بعض القضاة : اسكت فقال له : اسكت أنت فخرس وعمي وصم وسافر في سفينة فوحلت ولم يمكن تقويمها فقال : اربطوها بخيط في بيضي ففعلوا فجرها حتى خلصها من الوحل »[1] .

وقال أيضًا : « زين العابدين بن عبد الرءوف المناوي من أكابر الأولياء وأعيان الأصفياء . . . حدث الحمصاني وهو أحد المشايخ العارفين قال : رأيت طعيمة الصعيدي المصري وهو من أكابر الأولياء في علم الأرواح وأمامه إنسان كالنور أو نور كالإنسان قلت : ما هذا قال زين العابدين المناوي وقد وكل بأهل البرزخ »[2] .

وقال أيضًا : « عبد الرحمن بن أحمد الجامي ، ومن كراماته أنه جلس في زمن الربيع على شاطئ نهر ملآن وإذا بقنفذة ميتة قد أقبلت على وجه الماء فأخذها مولانا الجامي ومسح بيده ظهرها فظهر أثر الحياة فيها ثم لما توجهنا جهة المدينة أقبلت تسعى خلفنا »[3] .

---

(١) « جامع كرامات الأولياء » للنبهاني (٢/ ٢٨٦) .

(٢) « جامع كرامات الأولياء » للنبهاني (٢/ ٨٤) .

(٣) « جامع كرامات الأولياء » للنبهاني (٢/ ٢٥٤) .

والشاهد في النصوص السابقة واضح جداً فقد زعم النبهاني في النص الأول أن ذلك الولي الصوفي كان يأمر بنزول المطر فتمطر وأنه كان يقتل فوراً كل من يتعرض له بسوء حالاً وأنه أمر ملك الموت أن يقتل أربعين طفلاً ضحكوا عليه فقبض أرواحهم .

أما في النص الثاني فقد زعم فيه النبهاني أن زين العابدين موكل بأهل البرزخ .

وأما في النص الثالث فقد زعم فيه النبهاني أن الجامي الولي الصوفي أحيا الميت .

وهذه كلها نخرج منها بنتيجة واحدة وهي أن المتصوفة يعتقدون بأن الأولياء لهم التصرف المطلق في هذا الكون وذلك لأن هذه الأمور التي أوردها النبهاني لا تكون إلا للَّه سبحانه وتعالى أما غيره من المخلوقات فليس هذا من اختصاصاتهم ومن ادعى أن المخلوق له التصرف مع اللَّه في هذا الكون فقد وقع في الشرك الذي لا يغفر لصاحبه إلا إذا تاب منه .

وقال الشعراني وهو يتحدث عن الأولياء ومقدرتهم على التصرف عند المتصوفة :

« ومنهم سيدنا ومولانا شمس الدين الحنفي رضي اللَّه عنه كان رضي اللَّه عنه من أجلاء مشائخ مصر وسادات العارفين صاحب الكرامات الظاهرة والأفعال الفاخرة والأحوال الخارقة والمقامات السنية. . . وكان رضي اللَّه عنه يأمر من يراه من أصحابه عنده شهامة نفس بالشحاتة من الأسواق وغيرها . . . وكان سيدي بن علي بن وفا رضي اللَّه عنه يومًا في وليمة فاستأذن عليه الشيخ محمد الحنفي فقام له وأجلسه فدار الكلام بينهما فقال

سيدي علي ما تقول في رجل رحى الوجود بيده يدورها كيف شاء فقال له سيدي محمد رضي اللَّه عنه فما تقول فيمن يضع يده عليها فيمنعها أن تدور فقال له سيدي علي : واللَّه كنا نتركها لك ونذهب عنها فقال محمد رضي اللَّه عنه لجماعة سيدي علي : ودعوا صاحبكم فإنه ينتقل قريبًا إلى اللَّه تعالى فكان الأمر كما قال وكان يتطور في بعض الأوقات حتى يملأ الخلوة بجميع أركانها ثم يصغر قليلاً قليلاً حتى يعود إلى حالته المعهودة . . . ومرضت زوجته فأشرفت على الموت فكانت تقول يا سيدي أحمد يا بدوي خاطرك معي فرأت سيدي أحمد رضي اللَّه عنه في المنام وهو ضارب لثامين . . . وقال لها كم تناديني وتستغيثي وأنت لا تعلمي أنك في حماية رجل من الكبار المتمكنين ونحن لا يخيب من دعانا وهو في موضع أحد من الرجال قولي يا سيدي محمد يا حنفي يعافيك اللَّه تعالى فقالت ذلك فأصبحت كأن لم يكن بها مرض .

ودخلت على الشيخ يومًا امرأة أمير فوجدت حوله نساء الخاص تكبسه فأنكرت بقلبها عليه فلحظها الشيخ بعينه وقال لها انظري فنظرت فوجدت وجوههن عظامًا »[1] .

والشاهد في النص واضح حيث أن كلا الزعيمين الصوفيين ادعيا أنهما يتصرفان في هذا الكون حيث ادعى أحدهما أن رحى هذا الوجود بيده يدورها كيف شاء .

وادعى الآخر أنه باستطاعته بوضع يده فقط على كل الموجودات في

(١) « الطبقات الكبرى » للشعراني (٢/٨٨) وما بعدها وكذلك « جامع كرامات الأولياء » للنبهاني (١/٢٦١) .

هذا الكون أن يوقفه عن الحركة والدوران .

ومعنى هذا أن المتصوفة يزعمون بأن الأولياء لهم التصرف الكامل في هذا الكون بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان .

وهناك شواهد كثيرة في النص منها زعم أحمد الرفاعي أنه لا يخيب من دعاه وأن امرأة دعت محمد الحنفي فبرئت في الحال وأن امرأة دخلت عليه فوجدت عنده نساء فأنكرت هذا الفعل بقلبها فقط فأنكرت عليه فعرف الشيخ منها هذا الإنكار وأمرها بالنظر إلى تلك النسوة فرأت وجوههن عظامًا لا لحم فيها وهذه كلها فيها ادعاءات على أن الأولياء لهم التصرف في هذا الكون وما داموا كذلك فلا ينكر عليهم أيضًا مهما وقعوا في منكرات من الأعمال وإلا فقد عرض نفسه للخطورة كل من يريد أن ينكر عليهم .

وقال الشعراني وهو يتحدث عن الأولياء عند المتصوفة :

« ومنهم الشيخ مدين بن أحمد الأشموني . . . كان من أكابر العارفين وانتهت إليه تربية المريدين في مصر وقراها وتفرعت عنه السلسلة المتعلقة بطريقة أبي القاسم الجنيد رضي اللّه عنه وجاءته رضي اللّه عنه امرأة فقالت: هذه ثلاثون دينارًا أو تضمن الجنة ، فقال لها الشيخ رضي اللّه عنه مباسطًا لها : ما يكفي ، فقالت : لا أملك غيرها فضمن لها على اللّه دخول الجنة فماتت فبلغ ورثتها ذلك فجاءوا يطلبون دينارًا من الشيخ وقالوا : هذا الضمان لا يصح فجاءتهم في المنام وقالت : اشكروا لي فضل الشيخ فإني دخلت الجنة فرجعوا عن الشيخ »[١] .

والشاهد في النص واضح حيث إنه ضمن لها الجنة وأدخلها فيها وهذا

---

(١) « الطبقات الكبرى » للشعراني (٢/١٠١) و« جامع النبهاني » (٢/٤٣٦) .

فيه ادعاء على أن الأولياء لهم التصرف في الدنيا والآخرة ونحن نقول لا يستطيع أحد أن يدخل الجنة بعمله الصالح إلا أن يتغمده اللَّه برحمته فضلاً عن أن يدخل الجنة عن طريق شيخ دجال وقد قال الرسول ﷺ وهو أفضل الخليقة على الإطلاق « **لا يدخلن أحدكم بعمله الجنة** » فقالوا : ولا أنت يا رسول اللَّه قال : « **ولا أنا إلا أن يتغمدني اللَّه برحمته** »[1] .

فإذا لم يضمن الرسول الجنة لنفسه فكيف بغيره دعوى إدخال الجنة وضمانها لأحد من الخلق .

وقال الشعراني أيضًا :

« ومنهم الشيخ الخضري رضي اللَّه عنه المدفون بناحية نها بالغربية وضريحه يلوح من البعد من كذا وكذا بلدًا . . . وكان يقول لا يكمل الرجل حتى يكون مقامه تحت العرش على الدوام وكان يقول الأرض التي بين يدي كالإناء الذي آكل منه وأجساد الخلق كالقوارير أرى ما في بواطنهم توفي رضي اللَّه عنه سنة سبع وتسعين وثمانمائة رضي اللَّه عنه »[2] .

والشاهد في النص السابق واضح حيث ادعى الرجل بأن الرجل لا يكون كاملاً حتى يكون مقره الدائم تحت عرش اللَّه وأن هذه الأرض التي نعيش فيها هي بين يديه كالإناء وأنه يرى ويشاهد كل ما في ضمائر الخلق فلا تخفى عليه خافية وهذه الأمور التي ادعاها لا تليق إلا باللَّه وبما أن الصوفية قالوا : إن الأولياء لهم المقدرة على التصرف في هذا الكون فلا مانع لديهم أن يصفوهم بهذه الأوصاف لأنهم يعتقدون أن الأولياء شركاء للَّه

---

(١) سبق تخريجه انظر (ص٤٨١) .

(٢) « الطبقات الكبرى » للشعراني (٢/١٠٦) .

في التصرف في هذا الكون .

وحكى أبو طالب المكي وأبو حامد الغزالي وغيرهما :

« أن أبا تراب النخشبي كان معجبًا ببعض المريدين فكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجدته فقال أبو تراب يومًا : لو رأيت أبا يزيد فقال : إني عنه مشغول فلما أكثر عليه أبو تراب من قوله لو رأيت أبا يزيد هاج وجد المريد فقال ويحك ما أصنع بأبي يزيد قد رأيت اللَّه تعالى فأغناني عن أبي يزيد قال أبو تراب : فهاج طبعي ولم أملك نفسي فقلت: ويلك تعتز باللَّه عز وجل لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى اللَّه سبعين مرة فبهت الفتى من قوله وأنكره فقال : وكيف ذلك؟! قال له ويلك أما ترى اللَّه تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك وترى أبا يزيد عند اللَّه قد ظهر له على مقداره فعرف ما قلت[1] .

فالنص السابق يحتوي على عقائد كثيرة باطلة منها ادعاء الصوفي أنه رأى اللَّه في الدنيا وهذا لم يكن للأنبياء فكيف حصل لهذا الصوفي المخرف؟!! ثم تفضيل أبي تراب رؤية أبا يزيد على رؤية اللَّه واعتباره الاعتزاز برؤية اللَّه غرورًا وأخيرًا النص فيه القول بعقيدة الحلول وهذه كلها عقائد باطلة بعيدة عن الإسلام كل البعد .

وحكى أبو القاسم القشيري أن شقيقًا البلخي وأبا تراب النخشبي قدما على أبي يزيد البسطامي فقدمت السفرة وشاب يخدم أبا يزيد فقالا له : كل معنا يا فتى فقال : أنا صائم فقال أبو تراب : كل ولك أجر صوم شهر فأبى فقال له شقيق: كل ولك أجر صوم سنة فأبى فقال أبو يزيد : دعوا من سقط

---

(١) « قوت القلوب » لأبي طالب المكي (٢/ ١٣٩) و« الإحياء » (٤/ ٣٠٥) .

من عين اللَّه فأخذ ذلك الشاب في السرقة بعد سنة فقطعت يده »[1] .

والشاهد في النص هو أن المتصوفة يعتقدون أن الأولياء يستطيعون إعطاء الأجور بأضعاف مضاعفة لكل من أطاع أوامرهم ولو كان ما يأمرون به تلاميذهم مخالفًا لشرع اللَّه وإن كل من خالف أوامرهم فالخاتمة السيئة له حتمية لا مفر منها كما حصل لهذا الخادم المسكين الذي خالف أوامر شيخه وأطاع ربه ونحن نقول : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فالواجب على المسلم أن يطيع اللَّه ورسوله ولا يطيع أحدًا غيرهما إلا إذا أمره بمعروف أما إذا أمره بمنكر كما حصل لهذا التلميذ فعليه أن يعصيه كائنًا من كان فليس عندنا نحن المسلمين الطاعة المطلقة إلا للَّه ولرسوله أما الآخرون من المخلوقات فلا طاعة لهم إلا إذا دعوا إلى طاعة اللَّه ورسوله .

وكذلك نقول : إن توزيع الأجور ليس بيد أحد غير اللَّه سبحانه وتعالى فهو الذي يثيب عباده على أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا خالصة له سبحانه أما غيره من المخلوقات فلا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا فضلاً عن أن يملكه لغيره ويوزع الأجور .

وقال السيد إبراهيم الأعزب قدس سره:

«حضرت في بعض الأيام عند السيد أحمد الرفاعي قال : أي فقراء الشيخ عثمان السالم أبادى قدس سره يصعد كل يوم عند غروب الشمس إلى ديوان الربوبية وينظر ديوان ذريته فما يجد من سيئة يمحها ويكتب عوضها بلا معارضة قال السيد إبراهيم الأعزب فأخذتني الغيرة من ذلك فالتفت إلى السيد أحمد الرفاعي وقال أي إبراهيم لا يكون الرجل ممكنًا في سائر أحواله حتى يعرض عليه عند غروب الشمس جميع أعمال أصحابه وأتباعه وتلامذته

(١) « الرسالة القشيرية » لأبي القاسم القشيري (٢/ ١٣٥) .

بالقرب والبعد فيمحو منها ما يشاء ويثبت فيها ما يشاء بكرم اللَّه ولطفه أي إبراهيم لا يكون الشيخ شيخًا كاملاً في سائر أموره وأحواله وأقواله وأفعاله ولا يصح له الجلوس في المخدَّة حتى يحضر عند تلميذه في أربعة مواضع عند خروج روحه من جسده وعند مسألة منكر ونكير له وعند جوازه على الصراط والميزان »[1] .

والشاهد في النص واضح حيث ادعى تلامذة عثمان السالم بأن شيخهم يصعد إلى الديوان الذي تكتب فيه الحسنات والسيئات فينظر فيه ويمحو منه الذنوب التي وقعت فيه ذريته ويسجل بدلها حسنات في سجلاتهم .

وهناك شاهد ثان في النص وهو أن أحمد الرفاعي ادعى أن الإنسان لا يبلغ المشيخة الحقيقية إلا إذا عرضت عليه أعمال مريديه يوميًا عند غروب الشمس فيمحو منها ما يشاء ويثبت منها ما يشاء .

وهناك شاهد آخر وهو أن أحمد الرفاعي زعم بأن الشيخ لا يكون شيخًا حقيقة إلا إذا استطاع أن يحضر مريده في أربعة أحـــوال وهي عند خروج روحه من جسده وعند مسألة منكر ونكير له وعند جوازه على الصراط المستقيم .

وهذه كلها أشياء لا تليق إلا باللَّه سبحانه وتعالى كما نرى وقد ادعاها المتصوفة لأنفسهم فهل هم شركاء للَّه في التصرف في هذا الكون ؟!!

فغفران الذنوب لا يستطيع عليه أحد إلا اللَّه سبحانه وتعالى ويدل على هذا قول اللَّه عز وجل : ﴿ **وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾[2] .

وكذلك المحو والإثبات لا يكون لأحد إلا للَّه ويدل على هذا قول اللَّه

(١) « قلادة الجواهر » (ص١٩٣) .
(٢) آل عمران : (١٣٥) .

عز وجل : ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[1] .

ثم إن حضور الشيخ في الصور المذكورة لا يغني شيئًا عنه ومع ذلك فهذه الدعوى كاذبة لا أساس لها من الصحة فالشيخ بشر كغيره لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضراً والمتصوفة لم يقصدوا من سرد هذه القصص المكذوبة سوى دعوة الناس إلى عبادة البشر وترك عبادة اللَّه سبحانه وتعالى وقد فعلوها فأوقعوا كثيراً من الأمة الإسلامية في أعمال شركية .

وهذا أحمد التيجاني مؤسس الطريقة التيجانية يجيب على إحدى الرسائل التي أرسلها إليه أحد مريديه فيقول :

« وأما ما طلبت من الضمان في المعرفة باللَّه من كونها صافية من اللبس ممزوجة حقيقتها بالشريعة فإن أمرها لا يكون إلا كذلك لا غير . . . وأنا لك ضامن أن لا تسلب ما دمت في محبتنا وكل ما دونه من دخول الجنة بلا حساب إلى ما وراءه وما قبله وسامحتك فيما لا تعلمه مما مقتضاه سوء الأدب وأما السورة فتداومها (١١٠٠٠) مرة كل يوم أو كل ليلة مختليًا وحدك وقت ذكرها فقط وبدؤها أن تقرأ الفاتحة مرة وصلاة الفاتح لما أغلق مرة وتهدي ثوابها لأهل النوبة في ذلك اليوم من الأولياء والأحياء ثم تقوم وتقف مستقبلاً وتنادي : « دستور يا أهل النوبة جبهتي تحت نعالكم ثم تقرأ الفاتحة مرة وتهدى ثوابها لروح الشيخ عبد القادر والشيخ أحمد الرفاعي وجميع الأولياء الغائبين والحاضرين ثم تقرأ الفاتحة مرة وتهدي ثوابها لروح سيدنا محمد ﷺ ثم تسأل المدد »[2] .

والشاهد في النص واضح حيث إن أحمد التيجاني زعم بأن مريده الذي

---

(١) الرعد (٣٩) .

(٢) « كشف الحجاب » (٨٥ ـ ٨٦) .

أرسل إليه الرسالة لا يسلب منه الإيمان ما دام في محبة التيجاني وضمن له دخول الجنة بلا حساب وضمن له كل شيء ما قبل دخول الجنة وما بعد دخولها وهذا يدل دلالة واضحة وصريحة على أن مشائخ المتصوفة يزعمون بأن لهم المقدرة في التصرف في الدنيا والآخرة وكذبوا والله لا يستطيعون أن يضمنوا الجنة لأنفسهم فضلاً عن أن يضمونها لأتباعهم ولكن الهوى والكذب والدجل والافتراء على الله وعدم الخوف منه سبحانه لأنهم لم يقدروه حق قدره فتجرءوا على هذا الادعاء الخالي من الصحة .

ويقول محمد بهاء الدين البيطار[1] :

فإن الكامل في وقته مظهر هذه الأسماء الثلاثة التي هي الله الرحمن الرحيم ، بل مظهر أسماء الله على الكمال القائم بحقيقة الجمال والجلال قيل لبعضهم كيف أصبحت ؟ فقال : أصبحت أحيي وأميت وأنا على كل شيء قدير .

ويقول أيضًا في مكان آخر :

« . . . وكان هذا مقام أبي السعود تلميذ الغوث الجيلاني فإنه قيل له : هل أعطاك الله التصرف في العالم ؟ فقال : نعم منذ خمس عشرة سنة وتركته للحق تعالى تظرفًا قال الشيخ الأكبر، ونحن تركناه أدبًا ومعرفة »[2] .

إذا نظرنا في النصين السابقين نجد أن محمد بهاء الدين البيطار زعم في النص الأول بأن العارف في وقته يجوز أن يطلق عليه الله والرحمن والرحيم

---

(١) هو محمد بهاء الدين البيطار الشامي الميداني خادم الطريقة الرشيدية الأحمدية ومن كتبه « النفحات الأقدسية في الصلوات الأحمدية الدرديرية » انظر غلاف كتاب « النفحات الأقدسية » ولم أجد له ترجمة في كتب التراجم .

(٢) « النفحات الأقدسية » (ص٦ ـ ٧) .

لأنه مظهر من مظاهر اللّه أي قد حل فيه اللّه ولذا فلا حرج أن يقال له أنت اللّه أو أنت الرحيم أو أنت الرحمن لأنه قد أصبح إلهًا ولذا صح لبعضهم أن يدعي بأنه أصبح يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير .

ثم زاد الأمر وضوحًا في النص الثاني حيث زعم البيطار أن هذا المقام مقام أبي السعود تلميذ عبد القادر الجيلاني حيث زعم بأن أبا سعود أعطاه التصرف في الكون وتركه تظرفًا معَ اللّه حتىَ لا يشاركه في تصريف أمور الكون مع قدرة أبي السعود على التصرف في الكون حسب زعم المتصوفة .

ونحن نقول : إنه لا يستطيع أحد التصرف في هذا الكون بل المتصرف الوحيد في هذا الكون هو اللّه سبحانه وتعالى وكل من زعم أن أحدًا من المخلوقات شريك للّه في التصرف في هذا الكون فقد افترى على اللّه الكذب .

ويقول أحمد التيجاني :

« ليس لأحد من الأولياء أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب إلا أنا وحدي ولو بلغوا ما بلغوا من الذنوب وعملوا ما عملوا من المعاصي وأما سائر سادتنا الأولياء رضي اللّه عنهم فيدخلون الجنة أصحابهم بعد الحساب والمناقشة »(١) .

النص السابق زعم فيه التيجاني بأنه يستطيع أن يدخل أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب وزعم أيضًا بأنه هو المنفرد بهذا أما غيره من الأولياء فلا يستطيعون أن يدخلوا أتباعهم الجنة إلا بعد الحساب .

ومعنى هذا أن الأولياء لهم التصرف الكامل في الدنيا والآخرة وهذا

---

(١) « كشف الحجاب » (ص٣٧٣ ـ ٣٧٤) .

معتقد فاسد وشرك بالله عز وجل لأن دخُول الجنة بيد الله سبحانه وتعالى وليس بيد أحد من خلقه وزعم التيجاني هذا ما هو إلا كذب وافتراء على الله فهو لا يضمن دخول الجنة لنفسه فضلاً عن أن يملكه لغيره وهو يعلم ذلك ولكنه قال هذا الكلام تضليلاً للعوام حتى يتبعوه في كل ما يقوله من ضلالات وخرافات وأباطيل وأوهام التي يتفوه بها .

وقال أبو طالب المكي :

« وفوقها ـ أي فوق مقامات ذكرها قبل هـذا الكلام ـ ما لا يصلح رسمه في كتاب من مكاشفات الصديقين ومشاهدات العارفين منها أنه أعطاهم « كن » بإطلاعه إياهم على الاسم ، فزهدوا في كون كن لأجل كان توكلاً عليه وحياء أن يعارضوه في قدرته ويرغبوا عن تقديره أو يضاهوه في تكوينه »[(١)] .

والشاهد في النص السابق أن أبا طالب المكي زعم أن الله سبحانه وتعالى أعطى للأولياء القدرة على التصرف بحيث إذا قال أحدهم للشيء كن لكان ولكنهم تنازلوا عنه حياء من الله ولئلا يشابهوه في تكوينه للأشياء بكلمة كن فقط ونحن نقول لا يمكن أن يصل الإنسان إلى هذه المرحلة مهما كان لأن التصرف في الكون بكلمة كن لله وحده سبحانه لا يشاركه فيه أحد من خلقه .

وهذا أحد المتصوفة واسمه أحمد زروق يزعم بأن هذا الكون كله تحت قبضته ولذا فهو يولي من يشاء ويعزل من يشاء ويعلي مقام من شاء ويخفض مقام من شاء ويعطي الأرواح لمن أراد ويقبضها عمن أراد إلى آخر ما ادعاه

---

(١) « قوت القلوب » لأبي طالب المكي (٢/ ٩) .

من دعاوى باطلة كلها لا تليق إلا باللَّه سبحانه وتعالى ولكنه تجرأ على ادعائها لفراغ قلبه من الإيمان باللَّه وهذا نص كلامه :

قال :

وملكت أرض الغرب طر بأسرها وكل بلاد الشرق في طي قبضتي
فملكنيها بعض من كان عارفًا وخلفني فيها بأحسن سيرة
فارفع قدرًا ثم اخفض منصبًا بأرفع مقدار وأرفع همة
واعزل قومًا ثم أولِّ سواهم وأعل مقام البعض فوق المنصة
وابسط أرواحًا واقبض أنفسًا وأحي قلوبًا بعد موت القطيعة
واجبر مكسورًا واشهر خاملاً وارفع موضوعًا يا رفع عمتي
واقهر جبارًا وادحض ظالمًا وانصر مظلومًا بسلطان سطوتي
فإن كنت في كرب وضيق وشدة فنادا يا زروق آتِ بسرعة
فكم كربة تجلى إذا ذكر اسمنا وكم كربة تجلى بإفراد صحبتي[1]

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن الرجل ادعى أمورًا لا تليق إلا باللَّه سبحانه وتعالى حيث ادعى بأنه يرفع قدر من يشاء ويخفض ويعزل قومًا ويولي آخرين وأنه يبسط أرواح من يريد ويقبض نفوس من يشاء من الخلق ثم دعى أخيرًا الناس إلى التوجه إليه بالدعاء والاستغاثة إذا أصيبوا بأي مكروه وأكد ذلك بأنه فرج عن كثيرين كربهم لما توجهوا إليه وهذا كذب وافتراء فقط فإنه لا يملك لنفسه النفع والضر فضلاً عن أن يملكه لغيره ولكن الذي يهمنا من إيراد النص هو الإثبات بأن المتصوفة يدعون بأن لهم القدرة على التصرف في هذا الكون وادعاء التصرف في هذا الكون مع اللَّه يعتبر شركًا باللَّه تعالى لم يقل به المشركون الأوائل فينبغي على المتصوفة أن

---

(١) « النفحة العلية في أوراد الشاذلية » (ص٢٧) .

يتراجعوا عنه .

ويقول أحمد الرفاعي الغوث :

لي همة بعضها تعلو على الهمم	ولي هوى قبل خلق اللوح والقلم
أنا الرفاعي طبولي في السماء ضربت	والأرض في قبضتي والأولياء خدمي
كل المشايخ يأتون باب زاويتي	وفوق هاماتهم حاز العلا علمي
ولي لواء على الكونين منتشر	وكل أهل العلا ما أنكروا هممي
فألجأ بأعتابك عزيز التمس مددي	وطف ببابي وقف مستمطراً نعمي [(١)]

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن الرفاعي ادعى بأن الأرض كلها تحت قبضته وأن كل الأولياء ما هم إلا خدمه فقط وكلهم يأتون إلى زوايته حاملين فوق رؤوسهم العلم الرفاعي وأن لواءه معروف منتشر في الكونين أي في الدنيا والآخرة ثم دعا أخيراً الناس إلى عبادته وطلب المدد منه وأن يقفوا ببابه طالبين نزول النعم عليهم منه كالمطر .

وهكذا فالنص من أوله إلى آخره شرك باللَّه عز وجل حيث زعم الرفاعي أن الكونين في قبضته وتحت تصرفه ونحن نقول للرفاعي ولجميع المتصوفة الدجاجلة إذا كانت الأرض ومن فيها وكذلك الآخرة تحت تصرفكم فماذا أبقيتم للَّه يا دجاجلة يا وقحين يا من فرغت قلوبكم من الإيمان الصحيح فما قدرتم اللَّه حق قدره فزعمتم أنكم شركاء للَّه في تصريف أمور هذا الكون ونحن نقول سبحانك هذا بهتان عظيم .

---

(١) « قلادة الجواهر » (ص٢٣٣) وانظر كذلك في ادعاء الرفاعيين بأن أحمد الرفاعي يتصرف في الوجود كتاب « لباب المعاني » الملخص من « شفاء قلوب المؤمنين » (ص٣٠) .

ويقول عبد العزيز الدباغ فيما يرويه عن تلميذه :

« وسمعته رضي اللَّه عنه يقول إن أهل الديوان إذا اجتمعوا فيه اتفقوا على ما يكون من ذلك الوقت إلى مثله من الغد فهم رضي اللَّه عنهم يتكلمون في قضاء اللَّه عز وجل في اليوم المستقبل والليلة التي تليه قال رضي اللَّه عنه : ولهم التصرف في العوالم كلها السفلية والعلوية وحتى في الحجب السبعين وحتى في عالم « الرقا » بالراء وتشديد القاف وهو ما فوق الحجب السبعين فهم الذين يتصرفون فيه وفي أهله وفي خواطرهم وما تهمس به ضمائرهم فلا يهمس في خاطر واحد منهم شيء إلا بإذن أهل التصرف رضي اللَّه عنهم أجمعين وإذا كان هذا في عالم الرقا الذي هو فوق الحجب السبعين التي هي فوق العرش فما ظنك بغيره من العوالم »[1] .

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن عبد العزيز الدباغ زعم فيه بأن أهل الديوان من الأولياء المزعومين حينما يجتمعون يبحثون في الأمور التي ستقع في اليوم التالي والليلة التالية وأنهم يتكلمون في قضاء اللَّه وقدره وأن لهم التصرف الكامل في العوالم السفلية والعلوية أي في الأرض والسماء.

وعلى هذا يعتقد المتصوفة بأن الأولياء لهم التصرف الكامل في هذا الكون ومعنى ذلك أن الأولياء شركاء للَّه سبحانه وتعالى في ملكه .

ويقول أحمد البريلوي أحمد رضا مؤسس الطريقة البريلوية :

« إن الشيخ عبد القادر متصرف في العالم ومأذون ومختار وهو المدبر لأمور العالم »[2] .

---

(١) « الإبريز » للدباغ (ص١٨٩) .

(٢) « حدائق بخشش » للبريلوي (ص٢٦) نقلاً عن « البريلوية » للشيخ إحسان إلهي (ص٧١) .

والنص واضح ولا يحتاج إلى شرح حيث صرح فيه البريلوي بأن الشيخ عبد القادر متصرف في الكون.

وذكر الشعراني أيضًا أن شيخه محمد الشناوي قال :

« إن شخصًا أنكر حضور مولده أي مولد البدوي فسلب الإيمان فلم يكن فيه شعرة تحن إلى دين فقال : نعم ، فرد عليه ثواب إيمانه » .

ثم قال : « وماذا تنكر علينا ؟ قال : اختلاط الرجال والنساء، فقال له سيدي أحمد : ذلك واقع في الطواف ولم يمنع منه أحد، ثم قال : وعزة ربي ما عصى أحد في مولدي إلا وتاب وحسنت توبته وإذا كنت أرعى الوحوش والسمك في البحار وأحميهم من بعضهم بعضًا أفيعجزني عز وجل عن حماية من يحضر مولدي »[1] .

والشاهد في النص هو سلب البدوي الإيمان ممن أنكر عليه حضور مولده ثم رده عليه بعد الإقرار بحضور المولد ثم زعم البدوي بأنه هو الذي يرعى الوحوش والأسماك ويحميهم من بعضهم البعض وإذا كنت كذلك فإني باستطاعتي أن أحمي كل من يحضر مولدي من الوقوع في المعصية وإذا وقع فيها فتوبته حتمية لا محالة ولذا فلا حاجة إلى الإنكار على الأولياء إذا ارتكبوا منكرًا لأنهم ليسوا كغيرهم من البشر فهم يحل لهم ما يحرم على غيرهم وذلك حسب المعتقد الصوفي الباطل .

وذكر الشعراني عن عبد العزيز الدريني أنه كان يزور سيدي عليًا المليحي كثيرًا فذبح له سيدي علي يومًا فرخًا فأكله وقال لسيدي علي: لابد أن أكافئك فاستضافه يومًا فذبح لسيدي علي فرخة فتشوشت امرأته عليها فلما

(١) « الطبقات الكبرى » للشعراني (١/ ١٨٧) .

حضرت قال لها سيدي علي : هش ، فقامت الفرخة تجري وقال : يكفينا المرق ولا تشوش[1] .

وذكر الشعراني أيضًا عن شيخه إبراهيم المتبولي أنه رأى شخصًا من تلاميذه كثير العبادة والأعمال الصالحة والناس منكبون على اعتقاده فقال : يا ولدي ما لي أراك كثير العبادة ناقص الدرجة لعل والدك غير راض عنك؟ فقال: نعم فقال : تعرف قبره؟ فقال : نعم ، فقال : اذهب بنا إلى ناحية قبره لعله يرضى قال الشيخ يوسف الكردي : فواللَّه لقد رأيت والده خرج من القبر ينفض التراب عن رأسه حين ناداه الشيخ فلما استوى قائمًا قال الشيخ : الفقراء جاءوا شافعين تطيب خاطرك على ولدك هنا ، فقال : أشهدكم أني قد رضيت عنه ، فقال : ارجع مكانك فرجع[2] .

وذكر عنه أيضًا أنه كان سما ناقعًا على الولاة فإذا تشوش من أمير أو وزير مات لوقته أو في ليلته .

وتعرض جماعة من الظلمة إلى حماية غيطه وأراد الوزير وكان يسمى قاع التاجر أن يحدث عليهم مظلمة وقال : كان شيخنا ينفخني، فقال : يا ولدي ما أنا أنفخ وإنما أفوق سهمي فلا يرد، فدخل الوزير بيت الخلاء فانتظروه ليخرج فلم يخرج فدخلوا عليه فوجدوا لحيته ووجهه في حلق الخلاء وهو ملطخ بالعذرة وهو ميت فرجع غالب الولاة عن معارضته في أمر من الأمور[3] .

---

(١) « الطبقات الكبرى » للشعراني (١/ ٢٠٢).

(٢) « الطبقات الكبرى » للشعراني (٢/ ٨٥) .

(٣) « الطبقات الكبرى » للشعراني (٢/ ٨٧) .

وذكر الشعراني عن الشيخ حسين أبي علي قال عنه :

« كان هذا الشيخ رضي اللَّه عنه من كمل العارفين وأصحاب الدوائر الكبرى وكان كثير التطورات تدخل عليه بعض الأوقات فتجده جنديًا ثم تدخل عليه فتجده سبعًا ثم تدخل عليه فتجده فيلاً ثم تدخل عليه فتجده صبيًا وهكذا ومكث نحو أربعين سنة في خلوة مسدود بابها ليس لها غير طاقة يدخل منها الهواء وكان يقبض من الأرض ويناول الناس الذهب والفضة » .

وذكر أيضًا أن المجرمين قتلوه ورموه ثم أصبح حيًا ووجدوه جالسًا في الكرسي وهو على أحسن صورة[1] .

إذا نظرنا في النصوص السابقة نرى بوضوح أن الشعراني زعم في النص الأول أن الشيخ علي ذبح له عبد العزيز الدريني دجاجة وكانت امرأته لم ترض بذبحها فطبخت وحضرت بين يديه ليأكلها فأحيا الدجاجة بكلمة واحدة فقط وكما نعلم إحياء الموتى من خصائص اللَّه سبحانه وتعالى ولكن الشعراني كما نرى أورد هذه القصة وسكت عليها .

وأما في النص الثاني فقد زعم فيه أن شيخه إبراهيم المتبولي نادى والد أحد تلاميذه بعد أن مات ودفن فأسرع والد التلميذ لإجابته وقام من قبره ونفد عنه القبر وعفا عن ابنه ثم رجع إلى قبره .

وأما النص الثالث فقد زعم فيه أنه كان سمًا قاتلاً لكل من خالف أمره وكان يقتل في الحال كل من غضب عليه وأن أحد الوزراء خالف أمره فدخل الحمام فمات فيه ووجدوا جسمه ملطخًا بالعذرة ولذا رجع غالب الولاة عن مخالفته خوفًا من الموت السريع الفوري.

---

(١) « الطبقات الكبرى » للشعراني (٢/ ٨٧) .

وأما النص الرابع فذكر فيه أن الشيخ حسين أبو علي كانت له المقدرة على التشكل بأي شكل أراده فيتحول إلى جندي إلى فيل إلى طفل وأن التراب كان ينقلب في يده ذهبًا وفضة فيناوله الناس وأنه قتل ثم أحيا نفسه في الصباح الباكر.

والخلاصة من هذه النصوص أن المتصوفة يعتقدون بأن الأولياء لهم المقدرة على التصرف في الكون حيث زعم الشعراني في هذه النصوص بأن بعضهم أحيا الأموات وأن بعضهم أمات من خالفه حالاً وأن بعضهم كان يتشكل بأشكال مختلفة والمعلوم بالضرورة من العقيدة الإسلامية أن التصرف في الكون وإحياء الأموات وإماتة الأحياء من خصائص اللَّه سبحانه وتعالى ولا يستطيع أي أحد من المخلوقات كائنًا من كان أن يتصرف في هذا الكون وإذا زعم أحد مثل هذا فقد ادعى بأنه شريك للَّه في ملكه .

وقال الشعراني أيضًا وهو يتحدث عن شمس الدين الحنفي [1] :

« . . . وكان له الباع الطويل في التصريف النافذ واليد البيضاء في أحكام الولاية والقدم الراسخ في درجات النهاية والطود السامي في الثبات والتمكين وهو أحد من ملك أسراره وقهر أحواله وغلب على أمره وهو أحد أركان هذا الطريق وصدور أوتادها وأكابر أئمتها وأعيان علمائها علمًا وعملاً وزهدًا وتحقيقًا ومهابة وهو أحد من أظهره اللَّه تعالى في الوجود وصرفه في الكون ومكنه في الأحوال وأنطقه بالمغيبات وخرق له العوائد وقلب له الأعيان وأظهر على يديه العجائب وأجرى على لسانه الفوائد ونصبه قدوة

---

(١) هو شمس الدين أبو عبد اللَّه محمد بن الحسن الحنفي الشاذلي كان من أركان الطريقة الشاذلية علمًا وعملاً ومالاً تتلمذ له جماعة من أهل الطريقة واعترفوا بعلمه وعلو مقامه الذي لم يكن مفهومًا للعامة وإن كان معروفًا لدى الخاصة « جمهرة الأولياء » للمنوفي (٢/ ١٥٩) .

للطالبين حتى تتلمذ له جماعة من أهل الطريقة وانتمى إليه خلق من الصلحاء والأولياء واعترفوا بفضله وأقروا بمكانته وقصد بالزيارات من سائر الأقطار وحل مشكلات أحوال القوم »[1] .

وذكر الشعراني عن يوسف العجمي أنه إذا خرج من الخلوة يخرج وعيناه تتوقد كأنها قطعة جمر فكل من وقع نظره عليه انقلب ذهبًا خالصًا ولقد وقع بصره يومًا على كلب فانقادت إليه جميع الكلاب فأرسل خلف الكلب وقال اخسأ فرجعت عليه الكلاب لعضه حتى هرب منها .

ووقع له مرة أخرى أنه خرج من خلوة الأربعين فوقع بصره على كلب فانقادت إليه جميع الكلاب وصار الناس يهرعون إليه في قضاء حوائجهم فلما مرض ذلك الكلب اجتمع حوله الكلاب يبكون ويظهرون الحزن عليه فلما مات أظهروا البكاء عليه والعويل والهم بعض الناس فدفنوه فكانت الكلاب تزور قبره حتى ماتوا فهذه نظرة إلى كلب فعلت ما فعلت فكيف لو وقعت على إنسان[2] ؟!!

والنص واضح ولا يحتاج إلى شرح وبيان ولكن لا ندري ماذا يقصد الشعراني من إيراد مثل هذه القصة المكذوبة أساسًا ولعله يريد أن يدعو الناس إلى عبادة الكلاب بعد أن دعاهم إلى عبادة البشر .

وقال الشعراني أيضًا :

« سمعت سيدي محمد بن عنان رضي اللَّه عنه يقول الشيخ علي الخواص البرلس أعطي التصرف في ثلاثة أرباع مصر وقراها » .

---

(١) « الطبقات الكبرى » للشعراني (٢/٨٨ ـ ١٠٤)

(٢) « الطبقات الكبرى » للشعراني (٢/٦٦) .

وسمعت مرة أخرى يقول : « لا يقدر أحد من أرباب الأحوال أن يدخل مصر إلا بإذن الشيخ علي الخواص وكان رضي اللَّه عنه يعرف أصحابه التوبة في سائر أقطار الأرض ويعرف من تولى منهم ساعة ولايته ومن عزل ساعة عزله ولم أر هذا القدم لأحد غيره من مشايخ مصر إلى وقتي هذا وكان له اطلاع عظيم على قلوب الفقراء فكان يقول فلان اليوم زاد فتحه كذا وكذا دقيقة وفلان نقص اليوم كذا وكذا وفلان فتح عليه بفتوح يدوم إلى آخر عمره »[1] .

وذكر الشعراني أيضًا أن سيده محمد عنان إذا جاءه أهل الحوائج الشديدة كشخص رسم السلطان بشنقه أو مسكه الوالي بزغل أو حرام أو نحو ذلك يرسل صاحب الحاجة للشيخ ويقول نحن ما معنا تصريف في هذا البلد فتقضى الحاجة[2] .

إذا نظرنا في النصوص السابقة نرى بوضوح أن الشعراني زعم فيها بأن الأولياء لهم التصرف مع اللَّه في هذا الكون .

وقال المناوي[3] وهو يتحدث عن امتيازات الأولياء دون غيرهم من البشر :

(١) « الطبقات الكبرى » للشعراني (٢/ ١٥٠) .

(٢) « الطبقات الكبرى » للشعراني (٢/١٥١) .

(٣) هو عبد الرءوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين حضر دروس الأستاذ محمد البكري له في التفسير والتصوف وأخذ التصوف عن جمع وتلقن الذكر من قطب زمانه الشيخ عبد الوهاب الشعراني ثم أخذ الطريقة الخلوتية عن الشيخ محمد المناخلي والطريقة الشاذلية عن الشيخ منصور الغيطي والطريقة النقشبندية عن مسعود الطاشكندي وغيرهم وتوفي ١١/٤ /١٠٢٢ هـ انظر ترجمته في « خلاصة الأثر » المحبي (٢/ ٤١٣) .

« النوع الأول إحياء الموتى وهو أعلاها فمن ذلك أن أبا عبيد اليسرى غزا ومعه دابة فماتت فسأل اللَّه أن يحييها فقامت تنفض أذنيها وأن مفرجًا الدماميني أحضر له فراخًا مشوية فقال: طيري بإذن اللَّه تعالى فطارت ووضع الكيلاني يده على عظم دجاجة أكلها وقال لها: قومي بإذن اللَّه فقامت .

ومات لأبي يوسف الدهماني ولد فجزع عليه فقال له الشيخ : قم بإذن اللَّه فقام وعاش طويلاً وسقط من سطح الفاروقي طفل فمات فدعا اللَّه فأحياه »[1] .

وقال أحمد التيجاني وهو يتحدث عن الولي في المفهوم الصوفي :

« أنه خليفة اللَّه يملكه اللَّه كلمة التكوين حتى قال للشيء كن فيكون من حينه »[2] .

وهذا إبراهيم الدسوقي يزعم أن إغلاق النار وفتح الجنة بيده وإليك نص عبارته قال :

« أنا بيدي أبواب النار أغلقها وبيدي جنة الفردوس فتحتها من زارني أسكنته جنة الفردوس وما كان ولي متصلاً باللَّه إلا وهو يناجي ربه كما كان موسى يناجي ربه »[3] .

وذكر ود ضيف اللَّه الجعلي السوداني أن فاطمة بنت عبيد مرضت مرضًا شديدًا أشرفت فيه على الموت وجاءه الفقيه النور وقال له : يا سيدي الشيخ حسن أحيا الميت والحسن يريدك تسأل اللَّه لها أن يحييها قد نذر لك

---

(١) « الكواكب الدرية » للمناوي (ص١١) .

(٢) « جواهر المعاني » لعلي حرازم (٢/٨) .

(٣) « الطبقات الكبرى » للشعراني (١/١٨١) .

بفرخة وأنه تفل للفقيه النور في ماء الركوة وأدخله في فمها فمجته لأنها في حالة السياق ففي آخر الليل خاطبت النور بصوت هادئ وقالت : أنا طيبة فإني رأيت الشيخ خوجلي واقف عند الصندوق فوكزني بعصاة وقال لي : قومي ثم إن النور قام في ليلة وركب وسار إلى توتي فوجد الفقيه أحمد بن الشيخ إمام المسجد وقال له البشارة بنت عبيد طيبة وقال له أحمد الفقيه ساد الخلوة عليه إلى الآن وقال : أنا عيان كنا أنا وملك الموت نتنازع في روح بنت عبيد فتركها لي[1] .

وذكر عنه أيضًا بأنه أحيا عفيشة ولد أبكر غرق في بحر الخشاب فمكث في البحر ثلاثة أيام وقضى نحبه وقالوا له : صل على حوارك فقال : أنا ما حسن الأول عند سيدي أنا حواري غرقان له ثلاثة أيام ما أخبره فلما رآه قال له : قم فقام فتمالت روحه وتزوج بعد ذلك وولد له ولد أسماه أبكر قال سوار الخليفة : أنا شفت أبكر المولود بعد موت أبيه .

وذكر عنه أيضًا بأنه أحيا ولد المرقوبين رجالاً مراقيب عنده خرجوا معه للقنص عندهم فرد ولد لقبوه ميت جاءه شافه قال لهم : ما مات قم فقام وتمالت فيه الروح »[2] .

وذكر عنه أيضًا بأنه جاءه رجل غرباوي مسافر للحج وأودعه فرخة وقال وصلها إلى الفتاة وبعد وقت بسيط أرسلت له الفتاة تخبره بموت الفرخة وطلب الكفن لها ثم قدم صاحبها من الحج فطلب جاريته وأرسل الشيخ إلى الفتاة وقال لها : فرخة الفقير هاتوها فقالت له الفتاة : ماتت وأنت جئت

---

(١) « طبقات ود ضيف اللّه الجعلي » (ص١٩٨) .

(٢) « طبقات ود ضيف اللّه الجعلي السوداني » (ص١٤٣) .

كفنتها ودفنتها فقال الشيخ : ما ماتت امشوا ائتوا بها فنبشوها فوجدوها حية وأعطوها لصاحبها[1] .

وذكر الشعراني عن الشيخ أبي مدين :

« أن بعض الفقراء شاوره في السفر إلى بلاده ليقطع علائقه ويجيء الشيخ بالكلية فإذن له فباع ذلك الفقير بقرته وبعض أمتعته وجعل ثمنها في صرة ووضعها في رأسه فلما جاء في المركب نفض الراجع عمامته فوقعت الصرة في بحر النيل أيام زيارته فلما دخل الشيخ حكى له ما وقع فرفع سيدي مدين رضي اللّٰه عنه طرف السجادة وأخرج تلك الصرة تقطر ماءً »[2] .

وقال عبد العزيز الدباغ حاكيًا عن شيخه أن عبد اللّٰه البرناوي أحد شيوخه الذين تلقى عنهم العلوم الصوفية أنه كان شديد الاتباع في ظاهره وباطنه لشريعة النبي وكان يتولى التصرف في جميع من يزور الصالحين الموتى فهو ينظر في حوائجهم ويقضي ما قضى اللّٰه منها[3] .

وقال الشيخ حسين أحد القادريين الصوماليين وهو يتحدث عن تصرف الأولياء في هذا الكون :

« كانت الأرض كرة فأمر اللّٰه تعالى رجالاً منهم أنا والشيخ محيي الدين العلي دحيها فدحوناها بقدرته تعالى »[4] .

وقال الشيخ علي بن مؤمن الصومالي القادري جاءني مرة الشيخ محمد

---

(١) « طبقات ود ضيف اللّٰه الجعلي السوداني » (ص١٤٤) .

(٢) « الطبقات الكبرى » للشعراني (٢/١٥٦) .

(٣) « الإبريز » للدباغ (ص٢٤٢) .

(٤) « تذكرة أهل اليقين في مناقب الشيخ محيي الدين » (ص١٣) .

حسن بركات ومعه جماعة ونزلوا به وأضفتهم فقال لي : أتعرف شيخك الشيخ محيي الدين العلي فقلت له فقال : لم ؟ فقلت : هو أعظم من أن أعرفه وأقول إنه إنسان أو جن أو ملك فقال صدقت هل أعلمكه؟ فقلت : نعم فقال : كنا ألف ألف ومائتي ألف نقيبًا فأمرنا اللَّه تعالى أن نكسح مواضع البحار ونأتي بماء في جرة من البحر المسجور ونصب في المواضع التي كسحناها ففعلنا ذلك وكانت الجرة مفتوحة الطرفين وأمسكت الماء بقدرة اللَّه تعالى وأعلمنا أنه لا يخلق خلقًا لا يعيش بلا ماء وبقي من هؤلاء النقباء الآن أربعة أنا وشيخك الشيخ محيي الدين والشيخ أبو حسين والشيخ نور كلير ولا نرفع من الدنيا بل نغيب من مكان إلى مكان ما بقي القرآن ونتبعه وقت رفعه[1] .

إذا نظرنا في النصوص السابقة نرى بوضوح أن دعوى التصرف للأولياء في الكون واضحة فيها وبما أن النصوص واضحة فلا تحتاج إلى شرح ولا إلى بيان فكما سبق ادعى المتصوفة أن الأولياء يحيون ويميتون ويرزقون ويسلبون الإيمان عمن خالفهم وغير ذلك من الحكايات الكثيرة التي أوردها المتصوفة عن مشايخهم

والخلاصة التي نخرج بها بعد أن أوردنا هذه النصوص الكثيرة من بطون كتب المتصوفة ومن أفواه مشايخهم هي أن المتصوفة يعتقدون بأن الأولياء لهم التصرف الكامل في هذا الكون فهم الذين يديرونه ويحفظونه ويرزقون من فيه ويحيون ويميتون بل ولهم التصرف الكامل في الآخرة حيث إنهم يدخلون الجنة من اتبعهم بل إن مفاتيح أبواب النار والجنة بأيديهم وهذه حقائق أثبتناها والحمد للَّه بإيراد نصوص من بطون كتبهم ولا يستطيعون أن

---

(١) « تذكرة أهل اليقين في مناقب الشيخ محيي الدين » (ص١٤) .

ينكروا بأنهم يعتقدون أن الأولياء شركاء للّه سبحانه في التصرف في هذا الكون والآن بعد أن أثبتنا عليهم معتقدهم الباطل هذا نريد أن نبين موقف الإسلام من معتقداتهم الباطلة هذه تجاه من يسمونهم أولياء اللّه وها أنا أشرع فيه الآن[١] .

المطلب الثاني

موقف أهل الإسلام من هذه المراتب
وممن يدعي التصرف لغير اللّه في هذا الكون

لقد بينا في المطلب الأول المراتب التي وضعها الصوفية لمن يطلقون عليهم أولياء اللّه ووضحنا بنصوص من بطون كتبهم بأنهم يعتقدون أن هذا الكون تسيره مجموعة من البشر أطلقوا عليها الأولياء وعلى رأس هذه المجموعة القطب الذي يعتبر الزعيم الأكبر المسيطر على هذا الكون بحيث لا يقع في هذا الكون من خير أو شر إلا عن طريقه[٢] .

ثم أتبعت ذلك بإيراد نصوص وحكايات أوردها الصوفية عن مشايخهم وكلها تثبت وتؤكد لنا أن المتصوفة يعتقدون بأن الأولياء لهم التصرف الكامل في هذا الكون وأنهم ينفذون كل ما يريدون بكلمة كن ويحيون ويميتون وغير ذلك من الأمور التي ذكرها المتصوفة على أن الأولياء لهم القدرة عليها رغم أنها أمور لا تليق إلا باللّه سبحانه وتعالى[٣] .

---

(١) انظر (ص٦٤٨ ـ ٦٧١) .

(٢) انظر (ص٦٠٥ ـ ٦٠٧) .

(٣) انظر (ص٦١٨ ـ ٦٤٦) .

والآن نريد في هذا المطلب أن نبين موقف الإسلام من هذه المراتب التي ابتدعها الصوفية وممن يدعي التصرف لغير اللّه في هذا الكون .

وإذا أردنا أن نعرف موقف الإسلام من هذه المراتب فإننا نجده بأنه يرفض هذه المراتب رفضًا قاطعًا وذلك لأنها من بدعة الصوفية وليس لهم أي دليل يستندون عليه لا من كتاب اللّه ولا من سنة رسول اللّه ﷺ وإنما أتوا بها من عند أنفسهم وبما أننا نحن أهل السنة والجماعة نعتقد أن الإسلام هو ما جاء في كتاب اللّه وفي سنة رسوله محمد ﷺ نعتبر هذه المراتب بدعية وما دامت هي بدعية فهي مرفوضة عندنا قطعًا .

وكما وضح لنا في المطلب الأول من هذا المبحث لم يقف الصوفية في ابتداع هذه المراتب والألقاب لمن يسمونهم الأولياء بل زعموا بأن هؤلاء الأولياء الذين تطلق عليهم هذه الألقاب هم الذين يسيرون هذا الكون، وهذا اعتقاد فاسد وباطل وشرك باللّه عز وجل في التصرف لأن الشرك أنواع وهذا من شرك التصريف .

ومن هنا نقول : إن هذه المراتب والوظائف المزعومة نرفضها رفضًا قاطعًا وعلى المتصوفة أن يتنازلوا عنها إن أرادوا النجاة لأنفهسم .

وخير من ناقش الصوفية في هذه المراتب والوظائف شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » في عدة أماكن من هذا الكتاب حيث أجاب رحمه اللّه تعالى على سؤال وجه إليه عن مراتب الصوفية هذه والوظائف التي نسبوها إلى الأولياء .

فقال : « أما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة مثل الغوث الذي بمكة والأوتاد الأربعة والأقطاب السبعة والأبدال الأربعين

والنجباء الثلاثمائة فهذه أسماء ليست موجودة في كتاب اللَّه تعالى ولا هي أيضًا مأثورة عن النبي ﷺ بإسناد صحيح ولا ضعيف يحمل عليه إلا ألفاظ الأبدال فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الإسناد عن علي بن أبي طالب عنه مرفوعًا إلى النبي ﷺ أنه قال : « **إن منهم - يعني أهل الشام - الأبدال الأربعين رجلاً كلما مات رجل أبدل اللَّه تعالى مكانه رجلاً** » ولا توجد هذه الأسماء في كلام السلف كما هي على هذا الترتيب والمعاني عن المشايخ المقبولين عند الأئمة قبولاً عامًا وإنما توجد على هذه الصورة عند بعض المتوسطين من المشايخ وقد قالها إما آثرًا لها عن غيره أو ذاكرًا . . . . » .

ثم قال شيخ الإسلام :

« فالكتب المنزلة من السماء والإشارة من العلم المأثورة عن خاتم الأنبياء يميز اللَّه بها الحق من الباطل ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وبذلك يتبين أن هذه الأسماء على هذا العدد والترتيب والطبقات ليست في كل زمان بل يجب القطع بأن هذا على عمومه وإطلاقه باطل فإن المؤمنين يقلون تارة ويكثرون أخرى وينتقلون في الأمكنة وليس من شرط أولياء اللَّه أهل الإيمان والتقوى ومن يدخل فيهم من السابقين المقربين تعيين العدد .

وقد بعث اللَّه رسوله بالحق وآمن معه بمكة نفر قليل كانوا أقل من سبعة ثم أقل من أربعين ثم أقل من سبعين ثم أقل من ثلاثمائة فيعلم أنه لم يكن فيهم هذه الأعداد ومن الممتنع أن يكون ذلك في الكفار ثم هاجر هو وأصحابه إلى المدينة وكانت هي دار الهجرة والسنة والنصرة ومستقر النبوة وموضع خلافة النبوة وبها انعقدت بيعة الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان اللَّه تعالى عليهم أجمعين وإن كان قد خرج منها بعد أن بويع فيها ومن الممتنع أنه قد كان بمكة في زمنهم من يكون أفضل منهم.

نعم إن الإسلام انتشر في مشارق الأرض ومغاربها وكان في المؤمنين في كل وقت من أولياء اللَّه المتقين بل من الصديقين السابقين المقربين عدد لا يحصى عدده إلا رب العالمين لا يحصرون بثلاثمائة ولا بثلاثة آلاف ولما انقضت القرون الثلاثة الفاضلة كان في القرون الخالية من أولياء اللَّه المتقين بل من السابقين المقربين من لا يعرف عدده وليسوا بمحصورين بعدد ولا محدودين بأمد وكل من جعل لهم عددًا محصوراً فهو من المبطلين عمدًا أو خطأً فنسأله من كان القطب والثلاثة إلى سبعمائة في زمن آدم ونوح وإبراهيم وقبل محمد عليهم الصلاة والسلام في الفترة حين كان عامة الناس كفرة .

قال اللَّه تعالى : ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[1] أي كان مؤمنًا موحدًا وكان الناس كفاراً جميعًا.

وفي صحيح البخاري أنه قال لسارة : « **ليس على الأرض اليوم مؤمن غيري وغيرك** »[2] .

وقال اللَّه تعالى : ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾[3] .

وإن زعموا أنهم كانوا بعد رسولنا عليه السلام نسألهم في أي زمان كانوا ومن أول هؤلاء وبأية آية وبأي حديث مشهور في الكتب الستة وبأي إجماع متواتر من القرون الثلاثة تثبت وجود هؤلاء بهذه الأعداد حتى نعتقده لأن العقائد لا تعتقد إلا من هذه الأدلة الثلاثة ومن البرهان العقلي ﴿**قُلْ هَاتُوا**

---

(١) النحل : (١٢٠) .

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (٦/ ٣٨٨) .

(٣) الجمعة : (٢) .

﴿ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1] فإن لم يأتوا بهذه الأدلة الأربعة الشرعية فهم الكذابون بلا ريب فلا نعتقد أكاذيبهم . . .

ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

« فأما لفظ الغوث والغياث فلا يستحقه إلا اللَّه فهو غياث المستغيثين فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره لا بملك مقرب ولا نبي مرسل ومن زعم أن أهل الأرض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضر عنهم ونزول الرحمة إلى الثلاثمائة والثلاثمائة إلى السبعين والسبعون إلى الأربعين والأربعون إلى السبعة والسبعة إلى الأربعة والأربعة إلى الغوث فهو كاذب ضال مشرك فقد كان المشركون كما أخبر اللَّه تعالى عنهم بقوله : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُورًا ﴾[2] .

وقال سبحانه : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[3] .

فكيف المؤمنون يرفعون إليه حوائجهم بعده بوسائط من الحجاب وهو القائل تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[4] .

وقال إبراهيم عليه السلام داعيًا لأهل مكة : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن

---

(١) النمل : (٦٤) .

(٢) الإسراء : (٦٧) .

(٣) النمل : (٦٢) .

(٤) البقرة : (١٨٦) .

ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[1] .

وقال النبي ﷺ لأصحابه لما رفعوا أصواتهم بالذكر : « **أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا وإنما تدعون سميعًا قريبًا إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته** »[2] .

وقد علم المسلمون كلهم أنه لم يكن عامة المسلمين ولا مشايخهم المعروفون يرفعون إلى اللَّه حوائجهم لا ظاهرًا ولا باطنًا بهذه الوسائط والحجاب فتعالى اللَّه عن تشبيهه بالمخلوقين من الملوك فسائر ما يقوله الظالمون علوًا كبيرًا وهذا من جنس دعوى الرافضة أنه لابد في كل زمان من إمام معصوم يكون حجة اللَّه على المكلفين لا يتم الإيمان إلا به ثم مع هذا يقولون أنه كان صبيًا دخل السرداب مع أكثر من أربعمائة وأربعين سنة ولا يعرف له عين ولا أثر ولا يدرك له حس ولا خبر .

وهؤلاء الذين يدعون هذه المراتب فيهم مضاهاة للرافضة من بعض الوجوه بل هذا الترتيب والأعداد يشبه من بعض الوجوه ترتيب الإسماعيلية والنصيرية ونحوهم في السابق والتالي والناطق والأساس والجسد وغير ذلك من الترتيب الذي ما أنزل اللَّه به من سلطان »[3] .

---

(١) إبراهيم : (٣٧ ـ ٣٩) .

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (١١/ ٥٠٠) .

(٣) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (١١/ ٤٣٣ ـ ٤٣٩) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا :

« وكذلك من فسر الأربعين الأبدال بأن الناس إنما ينصرون ويرزقون بهم فذلك باطل بل النصر والرزق يحصل بأسباب من آكدها دعاء المؤمنين وصلاتهم وإخلاصهم ولا يتقيد ذلك لا بأربعين ولا بأقل ولا بأكثر كما جاء في الحديث المعروف أن سعد بن أبي وقاص قال : يا رسول اللَّه الرجل يكون حامية القوم أيسهم له مثل ما يسهم لأضعفهم فقال : «**يا سعد وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم بدعائهم وصلاتهم وإخلاصهم** »[1] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا :

« وليس في أولياء اللَّه المتقين ولا عباد اللَّه المخلصين الصالحين ولا أنبيائه المرسلين من كان غائب الجسد دائمًا عن أنظار الناس بل هذا من جنس القائلين أن عليًا في السحاب ومحمد بن الحنيفة في جبال رضوى وأن محمد بن الحسن بسرداب سامري وأن الحاكم بجبل مصر وأن الأبدال الأربعين رجال الغيب بجبل لبنان فكل هذا ونحوه من قول أهل الإفك والبهتان »[2] .

وقال ابن خلدون عن هؤلاء المتصوفة الذين ابتدعوا هذه المراتب والوظائف للأولياء :

« إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة كما أشرنا إليه وملئوا الصحف منه مثل الهروي في كتاب المقامات له وغيره وتبعهم ابن

---

(١) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (١١/٤٤٢) وأخرج هذا الحديث البخاري بنحوه (٦/٨٨) وأحمد في « المسند » (٥/١٩٨) .

(٢) نفس المرجع (١١/٤٤٣) .

عربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الإسرائيلي في قصائدهم وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضًا بالحلول وإلهية الأئمة مذهبًا لم يعرف لأولهم فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه رأس العارفين يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتي يقبضه اللّه ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان وقد أشار إلى ذلك ابن سينا في كتاب « الإشارات » في فصول التصوف منها فقال : « جل جناب الحق أن يكون شرعه لكل وارد أو يطلع عليه إلا واحد بعد الواحد » وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي وإنما هو من أنواع الخطابة وهو بعينه ما تقوله الرافضة ودانوا به ثم قالوا بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقباء »[1] .

وقال أحمد أمين المصري :

« إن الصوفية اتصلت بالتشيع اتصالاً وثيقًا وأخذت فيما أخذت عنه فكرة المهدي وصاغتها صياغة جديدة وسمته قطبًا وكونت مملكة من الأرواح على نمط مملكة الأشباح وعلى هذه المملكة الروحية القطب وهو نظير الإمام أو المهدي في التشيع والقطب هو الذي يدبر الأمر في كل عصر وهو عماد السماء ولولاه لوقعت على الأرض ويلي القطب النجباء »[2] .

ومما سبق يتبين لنا أن القول بهذه المراتب التي وضعها المتصوفة ما

---

(١) « مقدمة ابن خلدون » الفصل الحادي عشر في علم التصوف (ص٤٧٣) .

(٢) « ضحى الإسلام » لأحمد أمين (ص٢٤٥) .

هي إلا بدعة قلد فيها المتصوفة للشيعة وليست من الإسلام في شيء وأن قول المتصوفة بأن هذا الكون يسيرونه هؤلاء المجموعة الذين أطلقوا عليهم هذه المراتب والأسماء محض افتراء وكذب وبهتان لا أساس له من الصحة وذلك لأن هذا الكون ملك للّه سبحانه وتعالى من سماوات وأرضين ولذا فهو المسير له سبحانه والمتصرف فيه لا يشركه في هذا لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي صالح عابد للّه فضلاً عن أن يشركه فيه دجاجلة المتصوفة وكهانهم .

يقول الشيخ حسين بن مهدي النعيمي في معرض رده على المتصوفة الذين يزعمون أن الأولياء لهم القدرة على التصرف في هذا الكون ويقضون حوائج من توجه إليهم :

« وبالجملة فاختصاصه تعالى بكونه القوي القادر القاهر يدبر الأمر وحده وغير ذلك من أسمائه وصفاته أمر ظاهر منكشف وحذار من الاستدراك عليه بقولك : إلا من جعله اللّه قاهراً مدبراً للأمر، كما تجاسر خواص عباد الموتى فإنه زيادة مضادة للمعاني المقصودة بتلك الأسماء والصفات .

وإن زعمت أن أول ذلك الاستدراك وعقد القلب عليه بمانع المضادة المذكورة فقل لي هل أتاك به عن اللّه من سلطان صحيح بل هل هو موافق للفطرة السليمة والعقل الصحيح وبماذا تجيب السريع الحساب بعد نزولك دار الملامة؟؟ فإياك والهوى في مزالق التقليد الأعمى ومتالفه المهلكة بنسبة خصائص الفقير العاجز إلى القوي الغني الحميد فما أشنعها من فرية وتعطيل وما أقبحه من جهل بما للعلي الجليل .

هذا اللّه العزيز الحكيم يقول : ﴿خَلَقَ السَّمٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[1] .

ويقول اللّه عز وجل : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2] .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾»[3] .

ثم قال الشيخ : « وكذلك إخراج شيء من مقتضيات أسماء ربنا سبحانه وتعالى وصفاته عن محله لآيات : ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[4] .

ونسبة ما للقوي القادر إلى الضعيف العاجز من ربوبية أو إلهية ومعبودية أو مقتضياتهما ، حسب أو مثلاً وما في معناهما أقبح شرك باللّه وتنديد.

يقول اللّه تعالى : ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[5] .

ويقول سبحانه : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ

---

(١) « لقمان : (١٠ ـ ١١) .

(٢) الروم : (٤٠) .

(٣) الحديد : (٣) .

(٤) الحج : (٧٤) .

(٥) الأنعام : (١) .

﴿اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾»[1] .

ثم قال الشيخ : « ولكنا لا نعلم أن اللّٰه سبحانه وتعالى جعل شرك القوم وتنديدهم هو ذهابهم إلى اتخاذ الند والشبيه له صفات ربوبيته من حكمته وعلمه وقدرته وقوته وصفة الخلق والرزق والإحياء والإماتة وغيرها فأضافوها إلى أندادهم وجعلوها مثلاً له في ذلك متصفة بتلك النعوت أو أن المسألة لها كانت شركًا بأولئك الآلهة لأن التصرف والتصريف استقلالاً أو نيابة أو لأن لها بالتعبد لها والاستشفاع بها أثرًا مقطوعًا بحصوله ونيله كما ترى عليه اليوم بعض عباد القبور أو عاقبهم فيما يصفون لها بل غاية ذلك فيما قص اللّٰه علينا ـ أن شفاعتهن لترتجى .

وحاصل الأول أن القصد الأول وهو الحاصل بالتوجه والمسألة إذ هما عينه واقع لا ما وراءه من نية أنها هي المحصلة لما سألوه لتأهلها وصحة انبعاثه عن تأثيرها فلا نعلمه .

ولكن القوم عمدوا إلى ما تقتضيه تلك الصفات العلا وتستتبعه وتنادي به أن يكون من الآثار والتعلقات المعمولة بحسب ما ينبغي ويتجه لتلك الصفات فنقلوه عن هذه الجهة وقطعوه منها إلى غيرها وصرفوه لذلك الغير كدعاء الأوثان والتأله لأحد من الأغيار ثان وحكم بسوى ما رسمه منزل القرآن وسوق الهدايا إلى ما لم يأذن به والقربان والتعلق في نفع أو دفع بعبد ميت أو مكان أو زمان على النحو الذي سمعت فيما مر لك أيها الإنسان.

وشائع شرك الوثنية وعامته هو فيما يعلم كل عاقل من هذا القبيل ولقد تتبعنا في كتاب اللّٰه من فصول تراكيبه وأصول أساليبه فلم نجده تعالى حكى

---

(١) البقرة : (١٦٥) .

عن المشركين أن عقيدتهم في آلهتهم وشركائهم التي عبدوها من دونه أنها تخلق وترزق وتحيي وتميت وتنزل من السماء ماءً وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي .

بل إذا ضاق عليهم الأمر واشتد بهم الكرب فزعوا إلى اللَّه وحده فإذا سئلوا عن حقيقة دينهم هل هو شرك في الربوبية دانوا وأذعنوا للرب وحده بالاختصاص بكل ذلك والانفراد وهذا واضح لمن ألقى السمع للقرآن فيما حكى عنهم بقوله : ﴿ **قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ** ﴾[1] » .

ثم قال : « فتأمل ذلك وتصفحه بفكر صاف ونظر ثاقب وعقل سليم وتدبر صحيح سيما من بيده كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه .

واعتبر عقائد عباد الموتى وصرفهم التدبير الإلهي بالملاحظة لما لم يقع ليقع والنسبة لما وقع إليها قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ** ﴾[2] .

وقال تعالي : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾[3] .

---

(١) المؤمنون : (٨٤ ـ ٨٩) .

(٢) فاطر : (٣) .

(٣) الروم : (٤٠) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[2] » .

ثم قال رحمه اللَّه :

« تأمل دين عباد القبور اليوم خصوصًا الغالين منهم إذا مسهم الضر أنابوا إليه ويروون قاتهلم اللَّه « إذا دهمتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور » ثم يذوقون الرحمة من اللَّه مع كفرهـم هذا فيقولون : كرامة الشيخ وبرهانه وإذا أخفق سعيهم يقولون : هو غائب أو ساخط .

وهذه قضية واقعة فاشية في الكثير أو الأكثر وإن السالم من حماها نزر لا يكاد يذكر والاستفهام في قوله تعالى : ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ وقوله : ﴿هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ﴾ وقوله : ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ يؤتى بمثله للتقرير على المخاطب بما يعلمه وهو أمر ثابت عنده .

ومن المعلوم أن خالق الحب والنوى وبارئ النسيم عندهم هو اللَّه العلي العظيم فانظر هداني اللَّه وإياك بعين الاعتبار وتأمل بقلب شهيد قول اللَّه تعالى : ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن

---

(١) الروم : (٣٣) .

(٢) الرعد : (١٦) .

شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾[2] .

وقوله : ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[3] .

وقوله : ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[4] .

وقوله : ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[5] .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[6] .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ

---

(١) الروم : (٢٨) .

(٢) يونس : (٣١ ـ ٣٢) .

(٣) يونس : (٣٣) .

(٤) يونس : (٣٤) .

(٥) يونس : (٣٥) .

(٦) الحج : (٧٣) .

﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾[1] » .

ثم قال بعد أن ذكر هذه الآيات :

« واعلم أن ذكرنا لهذه الآيات الكريمة عظة لمن يقول : إنني من المسلمين وإيقاظًا له إن كان ممن عمه داء عباد القبور فيتفقد نفسه ويحذر من كيد عدوه ويعرف لماذا قص اللّه من أنباء من سبق ونعى أفعالهم وجعلها آيات تتلى وبثها في العالمين وكررها في كتابه الحكيم المبين ليعلم أن الشيطان الذي أضل السابقين وأوقعهم في الشرك الوبيل لم يسالمه ولم تضع أوزاره بين أمة محمد ﷺ وأن أمة محمد لم تغير سنن اللّه فيها ولا طبائع البشرية المعرضة للغفلة والنسيان والجهل والكفر والفسوق والعصيان فمن علم ذلك أخذ حذره دائمًا وكان على بصيرة من أمره فلم يقدم على عمل إلا على هدى من كتاب ربه ونور من سنة نبيه صلى اللّه عليه وسلم تسليمًا كثيراً .

فينظر العبد : أي شيء هو في هذه المقامات وهل دب فيه غائلة هذا من داء الأمم وهو لا يشعر »[2] .

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[3] :

---

(١) النحل : (٢٠ ـ ٢٢) .

(٢) « معارج الألباب في مناهج الحق والصواب » لحسين بن مهدي النعيمي (ص٢٠٠ ـ ٢٠٥) باختصار .

(٣) الأعراف : (٥٤) .

« ألا أداة يفتتح بها القول الذي يهتم بشأنه لأجل تنبيه المخاطب لمضمونه وحمله على تأمله والخلق في أصل اللغة التقدير وإنما يكون في شيء يقع فيه واستعمل بمعنى الإيجاد بقدر أي ألا إن للَّه الخلق فهو الخالق المالك لذوات المخلوقات وله فيها الأمر وهو التشريع والتكوين والتصرف والتدبير فهو المالك والملك لا شريك له في ملكه ولا في ملكه »[1] .

وقال الشيخ محمد رشيد رضا أيضًا تحت قوله تعالى : ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ الآية :

« بدأ بنفي القدرة على التصرف فيما ليس من شأن البشر التصرف فيه لعدم تسخير اللَّه تعالى إياه لهم بإقدارهم على أسبابه وثني بنفي علم الغيب الخاص باللَّه تعالى فقال : ﴿ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ أي لا أقول لكم إني أعلم الغيب وهو ما حجب اللَّه علمه عن الناس بعدم تمكينهم من أسباب العلم به ككونه مما لا تدركه مشاعرهم الظاهرة والباطنة لأنها لم تخلق مستعدة لإدراكه ولا لطرق الاستدلال عليه أو لأنها مستعدة له بالقوة غير متمكنة من أسبابه بالفعل كعالم الآخرة فالغيب من جنس المعلومات كخزائن اللَّه من جنس المقدورات يراد بهما ما اختص باللَّه تعالى فلم يمكن عباده من علمه والتصرف فيه أي لم يعطهم القوى ولم يسخر لهم الأسباب الموصلة إلى ذلك . . . » .

ثم قال بعد كلام طويل :

« فعلم مما قررناه أن الرسل عليهم الصلاة والسلام لم يعطوا علم الغيب بحيث يكون إدراكه من علومهم الكسبية كما أنهم لم يعطوا قوة

---

(١) « تفسير المنار » لمحمد رشيد رضا (٨/ ٤٥٤) .

التصرف في خزائن ملك اللَّه وهي ما لم يمكن البشر من أسبابه فيكون من أعمالهم الكسبية ولا أعطاهم إياه أيضًا على سبيل الخصوصية كما أظهرهم على بعض الغيب الذي هو موضع الرسالة ونفي ادعاء الرسول لكل من الأمرين يتضمن التبرؤ من ادعاء الإلهية أو ادعاء شيء من صفات الإله وهو أولى ويستلزم الأول لأن كلاً منهما خاص بالإله الذي هو على كل شيء قدير وبكل شيء عليم وقدرته وعلمه صفتان ذاتيتان له ويتضمن بيان جهل المشركين بحقيقة الإلهية وحقيقة الرسالة إذا كانوا يقترحون على الرسول من الأعمال ما لا يقدر عليه إلا من له التصرف فيما وراء الأسباب ومن الإخبار بما يكون في مستقبل الزمان ما لا يعلمه إلا من كان علم الغيب صفة له كسائر الصفات . . .

وإذا كان اللَّه تعالى لم يؤت الرسل ما لم يؤت غيرهم من أسباب التصرف في المخلوقات ومن علم الغيب وكان كل من التصرف بالقدرة الذاتية وعلم الغيب خاص به عز وجل يستحيل أن يشاركه فيه غيره فمن أين جاءت دعوى التصرف في الكون وعلم الغيب لمن هم دون الرسل منزلة وكرامة عند اللَّه تعالى من المشائخ المعروفين وغير المعروفين حتى صاروا يدعون من دون اللَّه تعالى ما عز نيله بالأسباب والسنن الإلهية .

وقد قال المفسرون أن نفي النبي ﷺ لهذين عن نفسه هو عبارة عن نفي ادعاء الإلهية وبيان لكون ما اقترحوه عليه مما لا يقدر عليه غير اللَّه تعالى فضلال المشركين في فهم الرسالة وجعلهم إياها شعبة من الربوبية لا يزال منتشراً في أذهان الناس حتى بعض المؤمنين باسم القرآن المتبركين بجلد مصحفه وورقه وبالتغني به في المآتم وغيرها الجاهلين بما أنزل لبيانه من توحيد اللَّه تعالى وشئون ربوبيته وألوهيته ومن حقيقة الرسالة ووظيفة

الرسل ومن معنى الجزاء على العقائد والأعمال دع ما دون هذه الأصول الثلاثة من أمور الدين إذ نرى بعض هؤلاء المعدودين في عرفهم وعرف الناس من أتباع القرآن يدعون التصرف في خزائن اللَّه وعلم الغيب لمن دون الرسل »[1] .

وقال الشيخ صنع اللَّه الحلبي الحنفي في كتابه الذي ألفه في الرد على من ادعى أن للأولياء تصرفًا في الحياة وبعد الممات في سبيل الكرامة :

« هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات ويستغاث بهم في الشدائد والبليات وبهم تكشف المهمات فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات مستدلين على أن ذلك منهم كرامات وقالوا : منهم أبدال ونقباء وأوتاد ونجباء وسبعون وسبعة وأربعون وأربعة والقطب هو الغوث للناس وعليه المدار بلا التباس وجوزوا لهم الذبائح والنذر وأثبتوا لهم فيها الأجور قال : وهذا الكلام فيه تفريط وإفراط بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي لما فيه من روائح الشرك المحقق ومصادمة الكتاب العزيز المصدق ومخالفة لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه الأمة وفي التنزيل : ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً** ﴾[2] إلى أن قال : الفصل الأول فيما انتحلوه من الإفك الوخيم والشرك العظيم ... إلى أن قال : فأما قولهم أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات فيرده قوله تعالى : ﴿ **أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ** ﴾[3] وقوله : ﴿ **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ**

---

(1) « تفسير المنار » لمحمد رشيد رضا (٧/ ٤٢٢ ـ ٤٢٥) باختصار .

(2) النساء : (١١٥) .

(3) النمل : (٦١) .

رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[1] وقوله : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[2] ونحوه من الآيات الدالة على أنه المتفرد بالخلق والتدبير والتصرف والتقدير ولا شيء لغيره في شيء ما بوجه من الوجوه فالكل تحت ملكه وقهره تصرفًا وملكًا وإحياءا وإماتة وخلقًا وتمدح الرب سبحانه بانفراده في ملكه بآيات من كتابه كقوله : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾[3] .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾[4] .

وذكر آيات في هذا المعنى ثم قال : فقوله في الآيات كلها ﴿ مِن دُونِهِ ﴾ أي من غيره فإنه عام يدخل فيه من اعتقدته من ولي وشيطان تستمده فإن من لم يقدر على نصرة نفسه كيف يمد غيره إلى أن قال : فكيف يتصور لغيره من ممكن أن يتصرف إن هذا من السفاهة لقول وخيم وشرك عظيم إلى أن قال : « وأما القول بالتصرف بعد الممات فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة ثم ذكر الآيات التي تدل على أن كل بني آدم وغيرهم من المخلوقات ميتون وذكر الحديث الذي يدل على أن ابن آدم إذا مات انقطع عمله إلا من إحدى ثلاث المستثنية في الحديث وهي الصدقة الجارية والولد الصالح الذي يدعو لوالديه والعلم النافع » .

ثم قال : « فجميع ذلك وما هو نحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت وأن أرواحهم ممسكة وأن أعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان فدل ذلك أن ليس للميت تصرفًا في ذاته فضلاً عن غيره بحركة وأن روحه

---

(١) الأعراف : (٥٤) .

(٢) المائدة : (١٢٠) .

(٣) فاطر : (٣) .

(٤) فاطر : (١٣) .

محبوسة مرهونة بعملها من خير وشر فإذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره فاللَّه سبحانه يخبر أن الأرواح عنده وهؤلاء الملحدون يقولون أن الأرواح مطلقة متصرفة قل أأنتم أعلم أم اللَّه » .

ثم قال : « وأما اعتقادهم أن هذه التصرفات لهم من الكرامات فهو من المغالطة لأن الكرامة شيء من عند اللَّه يكرم بها أولياءه لا قصد لهم فيها ولا تحدي ولا قدرة ولا علم كما في قصة مريم بنت عمران وأسيد بن حضير وأبي مسلم الخولاني » .

ثم قال : « وأما قولهم : فيستغاث بهم في الشدائد . فهذا أقبح مما قبله وأبدع لمصادمته قوله جل ذكره : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ .

وذكر آيات في هذا المعنى ثم قال : فإنه جل ذكره قرر أنه الكاشف للضر لا غيره وأنه المتعين لكشف الشدائد والكرب وأنه المتفرد بإجابة المضطرين وأنه المستغاث لذلك كله وأنه القادر على دفع الضر والقادر على إيصال الخير فهو المنفرد بذلك فإذا تعين هو جل ذكره خرج غيره من ملك ونبي وولي »[2] .

وقال الشيخ السيد محمد صديق حسن وهو يتحدث عن الأشياء التي يختص اللَّه بها سبحانه وتعالى دون غيره من المخلوقات وأن أحداً إذا صرفها لغيره يصبح قد وقع في الشرك .

---

(١) النمل : (٦٢) .

(٢) « تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد » (ص٢٣٢) .

قال : « الشيء الثاني أن التصرف في العالم بمحض الإرادة أي من دون أسباب عادية كتصرفه تعالى بلفظ كن والقضاء بكل شيء والإحياء والإماتة وتوسعة الرزق وتقتيره والصحة والمرض والفتح والهزيمة والإقبال والإدبار وإنجاح المرام وقضاء الحوائج ودفع البليات والإعانة في المشكلات والإغاثة عند حلول الآفات وفي أوقات المكروهات كل ذلك شأن اللَّه تعالى ليس هذا الشأن لأحد من الأولياء والأنبياء والمشائخ والشهداء والجن والشياطين والملائكة .

فمن أثبت مثل هذا التصرف لأحد غير اللَّه ويطلب منه المرادات وينذر على هذا التوقع ويوجب على نفسه النذور لهم ويدعوهم عند المصائب والمصاعب فهو مشرك باللَّه الذي لا إله إلا هو ولا حكم إلا له وحده لا شريك له .

ويقال لهذا الإشراك في التصرف أي إثبات التصرف لغير اللَّه كإثباته للَّه تعالى سواءً اعتقد أن قدرة هذا التصرف حصلت له بنفسه أو أعطاه اللَّه إياها فالشرك ثابت على كل حال »[1] .

وقال الشيخ أبو بكر الجزائري تحت عنوان « شرك الربوبية ومظاهره في الأمة الإسلامية » :

« . . . وهنا بيان مقتضب لتلك المظاهر الشركية في بعض أفراد الأمة الإسلامية نذكرها تحذيراً منها وتعليمًا بأن عقيدة المؤمنين الحقة خلو من كل مظاهر الشرك وآثاره لابتنائها على هدي الكتاب والسنة كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ :

---

(١) « الدين الخالص » لمحمد صديق حسن (١/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥) .

١ ـ اعتقاد كثير من عوام المسلمين وأشباههم أن هناك في الكون أقطابًا وأبدالاً من الأولياء والصالحين لهم قدر من التصرف معين في حياة الناس فهم يولون ويعزلون ويعطون ويمنعون ويضرون وينفعون كما شاع بين عوام المسلمين أن لهؤلاء الأقطاب والأبدال ديوانًا يطلق عليه ديوان الصالحين منه تصدر القرارات والمراسيم بربح فلان وبحاجة وخيبة فلان وخسرانه ومن هنا تعلقت قلوب كثير من الناس بالصالحين وهتفت بهم الألسنة واستغيث بهم ودعوا عند الشدائد ونودوا للخلاص من المحن وهو مظهر واضح للشرك في الربوبية لما فيه من اعتقاد التصرف والتدبير في الكون لغير اللَّه تعالى أو له ولغيره معه سبحانه وتعالى .

٢ ـ اعتقاد كثير من المنتسبين إلى العلم أن لأرواح الأولياء والصالحين تصرفًا بعد موتهم وشاع هذا الاعتقاد الكاذب الباطل ورسخ في نفوس كثير من المسلمين حتى أصبحت الأضرحة والمشاهد والقبور ملاذًا لكل خائف ومستشفى لكل مريض فمن أصابه كرب أو نزل به ضيم أو حلت به نكبة فزع إلى تلك الأضرحة والمشاهد والقبور وأناخ بساحتها وتعلق بأهداب أصحابها راجيًا منها تفريج كربه وقضاء حاجته . . . وهذا من خصائص الربوبية إذ هو من التدبير للخلق الذي اختص به الرب تبارك وتعالى . . . .

ثم قال :

٣ ـ تقديس المشايخ من رجال التصوف والطرقيين والمشعوذين وطاعتهم في غير طاعة اللَّه فقال : وطاعة رسوله بل فيما هو مكروه للَّه ورسوله ﷺ وقبول ما يشرعون لهم من البدع وما يسنون لهم من سنن الباطل واتباعهم في ترك الهدى ومعاداتها ومعاداة أهلها والداعين إليها والاستجابة المطلقة لهم بحيث يمكنونهم من نفوسهم فيتسلطون عليها ومن أرواحهم

فيهيمنون عليها فاعتقدوا فيهم أنهم يعلمون سَرهم ونجواهم وأنهم يكاشفونهم في كل أحوالهم ويطلعون منهم على كل مخبآت نفوسهم فذلوا لهم وهانوا وضعفوا أمامهم واستكانوا لهم حتى مكنوهم من أنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

فهل هذا الخضوع والذل والطاعة المطلقة والتسليم التام لهم لا يعد شركًا في ربوبية اللَّه تعالى وهل أولئك الرجال الذين استعبدوهم لا يعدون أربابًا وآلهة لهم »[١] .

والخلاصة التي نخرج بها من هذا المطلب بعد أن أوردنا أدلة عديدة من كتاب اللَّه عز وجل تدل على تفرد اللَّه سبحانه وتعالى بخلق هذا الكون وتصريفه وأنه لا يشركه فيه أحد من خلقه كائنًا من كان وذكرنا نبذة من أقوال العلماء قديمًا وحديثًا يتبين لنا بوضوح وصراحة لا غموض فيها أن موقف الإسلام من المراتب التي ابتدعها المتصوفة للأولياء والوظائف التي ادعوها بأنهم أهل لها هو الرفض التام وذلك لأنها تتصادم مع العقيدة الإسلامية والتي تؤكد بأن هذا الكون المتصرف الوحيد فيه هو اللَّه سبحانه وتعالى وأنه لا يشركه فيه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي محبوب عند اللَّه وذلك لأن التصرف في هذا الكون من شأن الربوبية خاص به سبحانه وتعالى وكما رأينا في أقوال العلماء التي مرت آنفًا يعتبر الاعتقاد بأن في هذا الكون أحدًا من الخلق له التصرف التام في هذا الكون شركًا باللَّه عز وجل ويدخل في هذا الحكم أولئك المتصوفة الذين يعتقدون أن هذا الكون تسيره مجموعة من الأولياء كما سبق لنا في المطلب الأول من هذا المبحث حيث أوردنا نصوصًا

---

(١) « عقيدة المؤمن » للشيخ أبي بكر الجزائري (ص٧٥) .

كثيرة تثبت بأن المتصوفة يعتقدون هذا والذي نرجوه من المتصوفة هو أن يتراجعوا عن هذه المعتقدات الوثنية ويرجعوا إلى عقيدة التوحيد الصافية التي جاء بها محمد بن عبد اللَّه عليه أفضل الصلاة والتسليم إذا أرادوا النجاة والفوز في الدنيا والآخرة وذلك لأن أي مدعو من دون اللَّه لا يستطيع أن يقدم أي عون لمن يتوجه إليه بالدعاء والاستغاثة ومما يدل على هذا الآيات التالية :

أولاً : قوله تعالى : ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً**﴾[1] .

ثانيًا : قوله تعالى : ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ**﴾[2] .

ثالثًا : قوله تعالى : ﴿**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**﴾[3] .

* * *

---

(١) الإسراء : (٥٦) .

(٢) سبأ : (٢٢) .

(٣) فاطر : (١٣ ـ ١٤) .

المبحث الثالث

اعتقادهم بأن الأولياء يعلمون الغيب

وتحت مطلبان :

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تثبت بأنهم يعتقدون بأن الأولياء يعلمون الغيب .

المطلب الثاني : بيان أن علم الغيب خاص بالله تعالى وحكم من يدعي علم الغيب .



المطلب الأول

ذكر النصوص التي تثبت بأن الصوفية يعتقدون بأن الأولياء يعلمون الغيب

لقد ادعى الصوفية بأن الأولياء يعلمون الغيب كله وأنه لا يغيب عنهم شيء حتى أنهم ليعلمون ما في اللوح المحفوظ فضلاً عن الأشياء الموجودة في هذا الكون معنا بل أنهم يعلمون العوالم كلها على ما هي عليه بكل ما فيها من فروق من المبدأ إلى المعاد وأنهم يعلمون كل شيء كيف كان وكيف هو كائن وكيف يكون ويعلمون ما لم يكن لو لم يكن يعلمون كل ذلك علمًا أصليًا حكميًا كشفيًا ذوقيًا وأنه لا يخفى عليهم شيء في الأرض ولا في السماء وهذا ما سيتضح لنا إن شاء اللّه الآن حينما نسرد النصوص التي تثبت بأن المتصوفة بالفعل رفعوا الأولياء إلى منزلة الإله في معرفة الغيب وأن الإنسان حينما يقرأ هذه النصوص التي سأوردها عنهم سيقتنع بأن المتصوفة بالفعل يعتقدون في الأولياء ما لا يجوز اعتقاده إلا في اللّه سبحانه وتعالى لأنه هو الذي يعلم الغيب وحده وها أنا أشرع في ذكر النصوص التي تثبت بأن المتصوفة يعتقـدون أن الأولياء يعلمون الغيب كله ولا يخفى عليهم شيء.

* من الصوفية الذين زعموا أن الأولياء يعلمون الغيب عبد الكريم الجيلي فقد زعم بأنه رأى العوالم العلوية والسفلية بعد أن كشف اللّه له الحجب وأنه شاهد الملائكة جميعًا وتبادل الحديث معهم والرسل والأنبياء

إليك نص كلامه في هذا المجال قال :

« وفي هذا المشهد اجتماع الأنبياء والأولياء بعضهم ببعض أقمت فيه بزبيد بشهر ربيع الأول سنة ثمانمائة من الهجرة النبوية فرأيت جميع الرسل والأنبياء صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين والأولياء والملائكة العالين والمقربين وملائكة التسخير ورأيت روحانية الموجودات جميعها وكشفت عن حقائق الأمور على ما هي عليه من الأزل إلى الأبد وتحققت بعلوم الألوهية لا يسع الكون أن نذكرها فيه .

ثم زعم بأنه رأى نوحًا عليه السلام في السماء الثانية جالسًا على سرير خلق من نور الكبرياء بين أهل المجد والثناء فسلم عليه وتمثلت بين يديه فرد عليّ السلام ورحب به وقام . . إلى أن قال : وروحانية الملك الحاكم على جميع ملائكة هذه السماء عجائب من آيات الرحمن وغرائب من أسرار الأكوان لا يسعنا إذاعتها في أهل هذا الزمان » .

ثم واصل الجيلي افتراءاته فادعى بأنه رأى في السماء الثالثة يوسف عليه السلام وأنه دار بينهما حديث وأنه كان يعلم تلك العلوم التي أخبره بها يوسف قبل أن يتفوه بها .

حيث قال : « اجتمعت في هذه السماء مع يوسف عليه السلام فرأيته على سرير من الأسرار كاشفًا عن رمز الأنوار عالمًا بحقيقة ما انعقدت عليه أكلة الأحبا متحققًا بأمر المعاني مجاوزًا عن قيد الماء والأواني فسلمت عليه تحية وافد إليه فأجاب وحيا ثم رحب بي » ثم زعم الجيلي أن السماء الرابعة هي قلب الشمس وأن فيها إدريس وأن أكثر الأنبياء في دائرة هذا الفلك المكين مثل عيسى وسليمان وداود وإدريس وجرجيس . . وغيرهم .

وهنا كما نرى ذكر الجيلي اسم نبي لم نجد له ذكر في القرآن ولا في السنة فمن أين علم ذلك ؟!!

ثم واصل الجيلي وصفه للسماوات وما تحتويها فقال في وصف السماء الخامسة :

« هي سماء الكوكب المسمى بهرام وحاكم هذه السماء هو الملك المسمى عزرائيل وهو روحانية المريخ صاحب الانتقام والتوبيخ » .

وذكر الجيلي أيضًا أنه رأى في السماء السادسة موسى عليه السلام ودار بينهما حديث طويل .

ثم قال : إنه رأى في السماء السابعة إبراهيم عليه السلام قائمًا في هذه السماء وله منصة يجلس عليها على يمين العرش من فوق الكرسي وهو يتلو آية ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ...** ﴾ .

إلى أن قال إنه صعد سدرة المنتهى وأنه رأى هناك الملائكة وأنها على هيئات مختلفة وأمامهم سبعة ثم ثلاثة ثم ملك مقدم يسمى عبد اللَّه وأنهم أخبروه أنهم لم يسجدوا لآدم[1] .

ثم بدأ عبد الكريم الجيلي في وصف الأراضي السبعة فقال :

« أما الطبقة الأولى من الأرض فأول ما خلقها اللَّه تعالى كانت أشد بياضًا من اللبن وأطيب رائحة من المسك فاغبرت لما أهبط آدم عليها بعد أن عصى اللَّه تعالى وهذه الأرض تسمى أرض النفوس ... دورة كرة هذه

---

(١) « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي.

الأرض مسيرة ألف عام ومائة عام وستة وستون عامًا ومائتا يوم وأربعون يومًا ... ثم سلك الإسكندر الجانب الجنوبي وهو الظلمات حتى بلغ يأجوج ومأجوج وهم في الجانب الجنوبي من الأرض لم تطلع الشمس على أرضهم أبدًا ثم سلك الجانب الشمالي حتى بلغ محلاً منه لم تغرب الشمس فيه وهذه الأرض بيضاء على ما خلقها اللَّه تعالى عليه هي مسكن رجال الغيب وملكها الخضر عليه السلام وهي قريبة من أرض بلغار وبلغار ، بلدة في العجم لا تجب فيها صلاة العشاء أيام الشتاء لأن شفق الفجر يطلع قبل غروب شفق المغرب فيها ... وهذه الأرض أشرف الأراضي وأرفعها قدرًا لأنها محل النبيين والمرسلين والأولياء والصالحين »[1] .

ثم تطرق الجيلي لذكر المعجزات التي وهبها اللَّه لداود وسليمان عليهما السلام وصرح بأن هذه المعجزات ليست مقصورة عليهما بل الأقطاب والأفراد من الأولياء يشاركونهم فيها بل ويزيدون علهيا وهذا نص كلامه :

« وهذا الأمر الذي جعله اللَّه لداود وسليمان عليهما السلام غير محصور فيهما ولا مقصور عليهما وإلا فكل واحد من الأفراد والأقطاب له التصرف في جميع المملكة الوجودية ويعلم كل واحد منهم ما اختلج في الليل والنهار فضلاً عن لغة الطيور وقد قال الشبلي رحمه اللَّه : « لو دبت نملة سوداء على صخرة صماء في ليلة ظلماء ولم أسمعها لقلت أني مخدوع أو ممكور بي » وقال غيره : « لا أقول ولم أشعر بها لأنها لا تدب إلا بقوتي وأنا محركها فكيف أقول لا أشعر بها وأنا محركها »[2] .

---

(١) « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي (ص٢/ ٩٧ ـ ١١٢) .

(٢) « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي (١/ ١٢٢) .

إذا نظرنا في النصوص السابقة نجد أن عبد الكريم الجيلي صرح بأن الأولياء يعلمون الغيوب بشتى أصنافها فليس هناك من حاجة تخفى على الأولياء كبرت أو صغرت وهذا طبعًا حسب زعمه وإلا فالغيب علمه خاص باللَّه عز وجل لا يشركه فيه أحد من خلقه .

وقال عبد الكريم الجيلي في مكان آخر من كتابه « الإنسان الكامل » في معرض حديثه عن الأولياء :

« فإذا كشف الحجاب وفتح لهم الباب علم العوالم بأجمعها على ما هي عليه من تفاريعها من المبدأ إلى المعاد وعلم كل شيء كيف كان وكيف هو كائن وكيف يكون وعلم ما لم يكن ولم لا يكون ما لم يكن ولو كان ما لم يكن كيف كان يكون كل ذلك علمًا أصليًا حكميًا كشفيًا ذوقيًا من ذاته لسريانه في المعلومات علمًا إجماليًا تفصيلاً كليًا جزئيًا مفصلاً في إجماله ومنهم من تجلى اللَّه عليه بصفة السميع فيسمع نطق الجمادات والنباتات والحيوانات وكلام الملائكة واختلاف اللغات وكان البعيد عنه كالقريب »[1] .

وهكذا كما رأينا في النصوص السابقة التي أوردتها عن عبد الكريم الجيلي نرى بوضوح كامل بأنه ادعى أن الأولياء يعلمون علم الغيب وأنه بهذا القول فقد زعم بأن الأولياء يشاركون اللَّه في هذه الخاصية التي أخبرنا بأنها خاصة به وأنه لا يعلم الغيب إلا هو .

* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يعلمون الغيب عبد العزيز الدباغ فقد زعم هذا الرجل بأن الأولياء يعلمون الغيب وأنه هو بنفسه من الأولياء الكبار الذين يعلمون الغيب ولا يخفى عليهم منه شيء .

---

(١) « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي (١/ ٦٣ ـ ٦٤) .

فقد قال أحمد المبارك تلميذه :

« وسمعته رضي اللّه عنه يقول مرة أخرى السماوات والأرضون بالنسبة إلي كالموزونة في فلاة من الأرض يصدر هذا الكلام منه رضي اللّه عنه وما أشبهه إذا شهدنا منه زيادة بل هو في زيادة دائمًا رضي اللّه عنه وقد كنت معه ذات يوم خارج باب الفتوح فجعل يذكر لي أكابر الصالحين مع كونه أميًا فقلت : فمن أين تعرفهم ؟ فقال رضي اللّه عنه : أهل الفتح الكبير مسكن أرواحهم قبة البرزخ فمن رأيناه فيها علمنا أنه من الأكابر ثم جرى بيننا ذكر الشيخ سيدي إبراهيم الدسوقي فقلت هو من الأكابر فجعلت أذكر مناقبه والغرائب التي نقلت من كراماته فقال رضي اللّه عنه : لو عاش سيدي إبراهيم الدسوقي رضي اللّه عنه من زمنه إلى زمننا ما أدرك من المقامات ولا ترقى مثل ما ترقى أخوك عبد العزيز ـ يعني نفسه ـ من أمس إلى اليوم واللّه ما قاله أخوك افتخاراً وإنما تعريفًا وتحدثًا معكم بنعمة اللّه »[1] .

وقال عبد العزيز الدباغ في معرض حديثه عن بعض الأشياء التي يشاهدها المفتوح عليه وهو الولي :

أما في المقام الأول فإنه يكاشف فيه بأمور منها :

أفعال العباد في خلواتهم ومنها مشاهدة الأرضين السبع والسماوات السبع ومنها مشاهدة النار التي في الأرض الخامسة وغير ذلك مما في الأرض والسماء ومن الأشياء التي يشاهدونها اشتباك الأرضين بعضها ببعض وكيف تخرج من أرض إلى أرض أخرى وما تمتاز به عن أرض أخرى والمخلوقات التي في كل أرض ومنها مشاهدة اشتباك الأفلاك بعضها ببعض وما نسبتها من السماوات وكيف وضع النجوم التي فيها ومنها مشاهدة الشياطين وكيف

(١) « الإبريز » للدباغ (ص١٦٨) .

توالدها ومنها مشاهدة الجن وأين يسكنون ومُنها مشاهدة سير الشمس والقمر والنجوم . . . »

ثم قال : « وأما ما يشاهده في المقام الثاني فإنه يكاشف بالأنوار الباقية كما كوشف في المقام الأول بالأمور الظلمانية الفانية فيشاهد في هذا المقام الملائكة والحفظة والديوان والأولياء الذين يعمرونه .

وأما المقام الثالث : فإنه يشاهد فيه أسرار القدر في تلك الأنوار المتقدمة .

وأما المقام الرابع : فإنه يشاهد فيه النور الذي ينبسط عليه الفعل وينحل فيه كانحلال السم في الماء فالفعل كالسم والنور كالماء . . .

وفي المقام الخامس يشاهد انعزال الفعل عن ذلك النور فيرى النور نوراً والفعل فعلاً والمفتوح عليه لا يغيب عليه ما في الأرحام فضلاً عن غيره»[1] .

وقد بالغ عبد العزيز الدباغ في إثبات علم الغيب للأولياء فزعم أن الأولياء يعلمون كل الغيوب بما في ذلك الأمور التي ذكرها اللَّه في كتابه وأخبرنا بأنها من الغيوب التي لا يطلع عليها غيره والتي هي في سورة لقمان في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾[2] .

حيث ذكر تلميذه ابن المبارك أنه قال :

« قلت للشيخ عبد العزيز الدباغ رضي اللَّه عنه : أن علماء الظاهر من

(١) « الإبريز » للدباغ (ص١٥١) وما بعدها .

(٢) لقمان : (٣٤) .

المحدثين وغيرهم اختلفوا في النبي ﷺ هل كان يعلم الخمس المذكورات في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1] ؟ .

فقال رضي اللَّه عنه وعن سادتنا العلماء :

« كيف يخفى أمر الخمس عليه والواحد من أهل التصرف من أمته الشريفة لا يمكنه التصرف إلا بمعرفة هذه الخمس »[2] .

وقال عبد العزيز الدباغ أيضًا :

« إن الجنين إذا سقط من بطن أمه يراه العارف في تلك الحالة إلى آخر عمره »[3] .

وقال أحمد بن المبارك تلميذ عبد العزيز الدباغ :

« سمعت الشيخ عبد العزيز الدباغ رضي اللَّه عنه يقول : في ذات كل ملك خمسة رؤوس لكل رأس يمين وشمال وفوق سبعة فله فوق تسعة أفواه مجموع ذلك ثلاثة وستون فما في كل رأس فإذا ضربت عدد الرؤوس الخمسة في عدد الأفواه السابقة كان الخارج ثلاثمائة فم وخمسة عشر فمًا والفم يكون فيه ثلاثة ألسن وقد يكون فيه خمسة ألسن وقد يكون فيه سبعة ألسن فإذا كان فيه ثلاثة فالخارج من ضربها في عدد الأفواه تسعمائة وخمسة وأربعون لسانًا وإن كان فيه خمسة كان الخارج ألف لسان وخمسمائة لسانًا وخمسة وسبعون لسانًا وإن كانت سبعة كان الخارج ألفي لسان ومائتي لسان

---

(١) لقمان : (٣٤) .

(٢) « الإبريز » للدباغ (ص٢٧٤) .

(٣) « الإبريز » للدباغ (ص١٥٣) .

وخمسة ألسن وإذا تكلم الملك بكلمة خرج صوته بها من هذه الألسن كلها فسبحان الملك الخلاق العظيم[1] .

إذا نظرنا في النصوص المتقدمة نرى بوضوح أن عبد العزيز الدباغ ادعى بأن الأولياء لديهم المقدرة على علم كل الغيوب حتى تلك الأشياء التي أخبرنا اللَّه بها في كتابه بأنها خاصة به سبحانه وتعالى ولهذا فقد صرح الدباغ بأن الأولياء شركاء للَّه في معرفة علم الغيب الذي ذكر اللَّه في كتابه بأنه من خصائصه سبحانه .

وقد ذكرت نماذج من الحكايات التي أوردها عنه تلميذه بأنه اطلع على أمور كثيرة عن طريق الكشف ومنها ذكره للأوصاف السابقة التي وصف بها الملائكة وهي أوصاف أتى بها من عند نفسه متبعًا هواه فقط وإلا ليس له دليل لا من كتاب اللَّه ولا من سنة رسول اللَّه لإثبات هذه الأوصاف للملائكة الكرام ولكنه اتباع للهوى فقط ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من اللَّه .

وقد ذكر تلميذ عبد العزيز الدباغ بأنه سمع شيخه وهو يتحدث في مراتب الأولياء :

« وسمعته رضي اللَّه عنه يقول : ليس كل من يحضر الديوان من الأولياء يقدر على النظر في اللوح المحفوظ بل منهم من يقدر على النظر فيه ومنهم من يتوجه إليه ببصيرته ويعرف ما فيه ومنهم من لا يتوجه إليه لعلمه بأنه ليس من أهل النظر إليه قال رضي اللَّه عنه كالهلال فإن رؤية الناس إليه مخالفة »[1] .

---

(١) « الإبريز » للدباغ (ص١٦٩) .

وأظن بعد هذه النماذج التي ذكرتها عنه قد ثبت لنا بالتأكيد بأن الرجل من المتصوفة الكبار الذين زعموا علم الغيب لأنفهسم وزعموا أن الأولياء يعلمون الغيب .

* ومن الصوفية الذين زعموا أن الأولياء يعلمون الغيب أحمد الرفاعي فقد قال متحدثًا عن الدرجات التي يمر بها الإنسان حتى يصل إلى مرحلة الغوثية والتي إذا وصلها الإنسان يصبح الغيب عنده كالمشاهدة فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهذا نص كلامه :

« إن العبد ما يزال يرتقي من سماء إلى سماء حتى يصل إلى محل الغوث ثم ترتفع صفته إلى أن تصير صفة من صفات الحق فيطلعه على غيبه حتى لا تنبت شجرة ولا تخضر ورقة إلا بنظره ويتكلم هناك عن اللَّه بكلام لا تسعه عقول الخلائق . . . وكان يقول : إن القلب إذا تخلى من حب الدنيا وشهوتها صار كالبلور وأخبر صاحبه بما مضى وبما هو آت من أحوال الناس »[1] .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن الرفاعي صرح بأن الولي إذا وصل إلى مرحلة الغوثية يطلعه اللَّه على الغيب فلا يخفى عليه شيء وهذا شرك للولي في خاصة اختص اللَّه بها من بين مخلوقاته وأخبرنا في كتابه بأنه لا يعلم الغيب أحد إلا هو سبحانه وتعالى .

* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يعلمون الغيب عبد الوهاب الشعراني وهاك نماذج من كلامه :

فقد قال الشعراني في معرض حديثه عن شيخه وأستاذه علي

---

(١) « قلادة الجواهر في ذكر الرفاعي وأتباعه الأكابر » (ص١٤٨) .

الخواص[1] البرلس كان رضي اللَّه عنه أميًا لا يكتب ولا يقرأ وكان رضي اللَّه عنه يتكلم على معاني القرآن العظيم والسنة المشرفة كلامًا نفيسًا يحتار فيه العلماء وكان محل كشفه اللوح المحفوظ عن المحو والإثبات فكان إذا قال قولاً لابد وأن يقع على الصفة التي قال وكنت أرسل له الناس يشاورونه عن أحوالهم فما كان قط يحوجهم إلى كلام بل كان يخبر الشخص بواقعته التي أتى لأجلها قبل أن يتكلم فيتحير الشخص[2] .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن الشعراني وصف شيخه بأنه كان يتكلم في تفسير القرآن والسنة بكلام يتحير العلماء تجاهه مع أنه أمي لم يقرأ ولم يكتب فمن أين إذًا هذا العلم الغزير ولعله من اللوح المحفوظ بل إنه من اللوح المحفوظ لأنه زعم بأن شيخه كان محل كشفه اللوح المحفوظ وإذا كان شيخه كذلك فقد زعم الشعراني بأن شيخه شريكًا للَّه في خاصة اختص اللَّه بها ، وكما هو واضح أمامنا في النص الذي نقلناه عن الشعراني فقد ذكر بأن شيخه كان يعلم ما في ضمائر الناس قبل أن يتحدثوا بما يريدون ونحن نقول هذا لا يمكن أن يكون إلا للَّه وأن الشعراني ليس بصادق في هذا الكلام ولكن الغلو ومجاوزة الحدود في مقام الأولياء المزعومين دفعه إلى الكذب لهم .

---

(١) قال عنه الشعراني : ومنهم شيخي وأستاذي علي الخواص البرلس رضي اللَّه تعالى عنه كان رضي اللَّه عنه أميًا لا يكتب ولا يقرأ وكان رضي اللَّه عنه يتكلم على معاني القرآن العظيم والسنة المشرفة كلامًا نفيسًا يحتر فيه العلماء (١١١) وكان محل كشفه اللوح المحفوظ عن المحو والإثبات . . وسمعت سيدي محمد بن عنان يقول الشيخ علي البرلس أعطي التصريف في ثلاثة أرباع مصر . قلت : وهذا كله كذب وافتراء وغلو زائد . انظر : « الطبقات » (٢/ ١٥٠) .

(٢) « الطبقات الكبرى » للشعراني (٢/ ١٥٠) .

وقد ذكر الشعراني عن شيخه علي الخواص أنه قال :

« لا يكمل إيمان عبد حتى يصير الغيب عنده كالشهادة في عدم الريب ويسري منه الإيمان في نفس العالم كله فيأمنوه على القطع على أنفسهم وأموالهم وأهليهم »[1] .

وقال الشعراني عن إبراهيم العريان[2] أنه كان إذا دخل بلد سلم على أهلها كباراً وصغاراً بأسمائهم حتى كأنه تربى بينهم وكان رضي اللَّه عنه يطلع على المنبر ويخطب عريانًا فيقول السلطان ودمياط باب اللوق بين القصرين وجامع طولون الحمد للَّه رب العالمين فيحصل للناس بسط عظيم . . . وكان يخرج الريح بحضرة الأكابر ثم يقول هذه ضرطة فلان ويحلف على ذلك فيخجل ذلك الكبير منه[3] .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن الشعراني وصف شيخه العريان الذي كان يخطب عريانًا أمام الناس وهذا طبعًا حرام فإن ستر العورة من الأشياء التي أوجبها الإسلام ولا ندري كيف وصف الشعراني شيخه هذا بالولي وهو منحط إلى هذا المستوى والشعراني أورد هذه الحكاية عنه حتى يثبت بأن الأولياء يعلمون الغيب وهذا يظهر بوضوح في زعمه بأن شيخه إذا دخل قرية يسلم على أهلها بأسمائهم لأنه يعلم الغيب وعلم الغيب وصف خاص باللَّه سبحانه فلا ندري كيف تجرأ الشعراني أن يصرح بأن الأولياء يعلمون الغيب واللَّه عز وجل يقول في كتابه : ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا**

---

(١) « الطبقات للشعراني » (٢/١٥٦) .

(٢) انظر ترجمته في « طبقات الشعراني » فقد وصفه بأوصاف لا تليق بإنسان عادي فضلاً عمن يزعم بأنه ولي (٢/ ١٤٢) .

(٣) « الطبقات الكبرى » للشعراني (٢/ ١٤٢) .

يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾[1]

* ومن الصوفية الذين يزعمون بأن الأولياء يعلمون الغيب علي حرازم ابن العربي برادة فقد قال واصفًا شيخه التيجاني :

« ... ومن كماله رضي اللَّه عنه ونفوذ بصيرته الربانية وفراسته النورانية التي ظهر مقتضاها في معرفة أحوال الأصحاب وفي غيرها من إظهار مضمرات وإخبار بمغيبات وعلم بعواقب الحاجات وما يترتب عليها من المصالح والآفات وغير ذلك من الأمور الواقعات »[2] .

وقال في « رماح حزب الرحيم » :

« وينبغي على المريد أن يعتقد في شيخه أنه يرى أحواله كلها كما يرى الأشياء في الزجاجة »[3] .

وقال في « بغية المستفيد » :

« وأما مكاشفته رضي اللَّه عنه بمعنى إخباره بالأمر قبل وقوعه فيقع وفق ما أخبر به فلا يكاد ينحصر ما حدث به الثقات عنه رضي اللَّه عنه ومن إخباره بالغيب عن طريق كشفه رضي اللَّه عنه إخباره بأمور لم تقع إلا بعد وفاته إما بالتصريح أو التلويح »[4] .

إذا نظرنا في النصوص السابقة نرى بوضوح أن علي حرازم قد وصف شيخه بأنه كان يعلم ما في ضمائر الناس وكان يخبر بالمغيبات ويعلم عواقب

---

(١) الجن : (٢٦) .

(٢) « جواهر المعاني » (١/ ٥٣) .

(٣) « رماح حزب الرحيم » (١/ ٥٢) .

(٤) « بغية المستفيد » (ص٢٤٦ ـ ٢٤٧) .

الأمور التي تصير عليها في النهاية وأنه كان يخبر بالأمر قبل وقوعه وأنه ينبغي على كل مريد أن يعتقد أن شيخه مطلع عليه أينما كان وهذه أمور غيبية لا يمكن أن يعلم بها أي مخلوق مهما كان لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي لأن علم الغيب خاص باللَّه عز وجل وكما نرى علي حرازم فقد اعتقد في شيخه بأنه يعلم الغيب وبذا يصبح بأنه أشرك شيخه في خاصية اختص اللَّه بها من بين مخلوقاته جميعًا .

* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يعلمون الغيب إبراهيم الدسوقي حيث ادعى هذا الرجل بأن الأولياء يعلمون كل الغيوب وإليك نص كلامه فقد قال :

« إن للأولياء الاطلاع على ما هو مكتوب على أوراق الشجر والماء والهواء وما في البر والبحر وما هو مكتوب على صفحة قبة خيمة السماء وما في حياة الإنس والجان مما يقع لهم في الدنيا والآخرة »[1] .

* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يعلمون الغيب أبو الحسن الشاذلي فقد ادعى هذا الرجل بأن الإنسان قد يصل إلى مرحلة يكشف له فيها كل شيء موجود في هذا الكون بل قد يصل إلى مشاهدة حياة كل شيء ومحيي هذه الأشياء بمعنى أنه قد يصل إلى مرحلة يرى فيها اللَّه وإليك نص كلامه فقد قال :

« من عبد اللَّه باسمه الحي واستغرق فيه ليلاً ونهارًا شاهد حياة كل شيء وكوشف بسر الملك والملكوت .

ومن عبد اللَّه باسمه الأحد المحيي وأكثر منه ولا حد لأكثره شاهد

---

(١) « جمهرة الأولياء » للمنوفي (ص٢٤٢) .

حياة كل شيء ومحييه .

ومن ذكر بهم جميعًا صعدت روحه إلى الملأ الأعلى وصعدت روحه إلى العرش ليكتب عند اللَّه من الكاملين الصديقين »[1] .

* ومن الصوفية الذين زعموا أن الأولياء يعلمون الغيب لسان الدين الخطيب فقد ادعى هذا الرجل بأن الإنسان من الممكن أن يصل إلى مرحلة يرى فيها كل الغيبيات المحجوبات وإليك نص كلامه قال :

« النفوس عند صفائها تتشبه بالملأ الأعلى وتنتقش فيها أمثلة الكائنات المتعشقة فيه بنوع ما وتشاهد المحجوبات وتؤثر في العوالم السفلية »[2] .

* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يعلمون الغيب ابن عجيبة الحسني فقد زعم هذا الرجل بأن اللَّه سبحانه وتعالى قد قسم الخلق إلى قسمين قسم وهم العوام والقسم الآخر الخواص الذين يكشف اللَّه لهم المغيبات وإليك نص كلامه فقد قال :

« إن الحق سبحانه قسم الخلق قسمين وفرقهم فرقتين : قسم اختصهم بمحبته وجعلهم من أهل ولايته ففتح لهم الباب وكشف لهم الحجاب فأشهدهم أسرار ذاته ولم يحجبهم عنه بآثار قدرته »[3] .

* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يعلمون الغيب أبو القاسم القشيري فقد ادعى بأن الإنسان وهو يترقى في درجات السلوك التي وضعها الصوفية لمريدهم قد يصل إلى مرحلة يصبح لا يخفى عليه شيء من هذا

---

(١) « أبو الحسن الشاذلي » للدكتور عبد الحليم محمود (ص٦١٤) .

(٢) « روضة التعريف بالحب الشريف » (ص٤٦٣) .

(٣) « إيقاظ الهمم في شرح الحكم » لابن عجيبة الحسني (ص٧٧) .

الكون فقد قال وهو يتحدث في بيان درجات السلوك :

ثم من خلال هذه الأحوال قبل وصوله إلى هذا المقام الذي هو نهاية كان يرى جملة الكون يضيء بنور كان له حتى لم يخف من الكون عليه شيء وكان يرى جميع الكون من السماء والأرض ورؤية عيان ولكنه بقلبه وكان لا يرى في هذا الوقت بعين لأنه شيء ولكن لم يكن هذه رؤية علم بل لو تحرك في الكون ذرة أو نملة [(1)] .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن القشيري ادعى بأن الإنسان قد يصل إلى مرحلة يرى فيها كل شيء في هذا الكون حتى حركات الذرة والنملة الصغيرة بمعنى أنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهذا وصف لا يليق إلا باللَّه فما أجرأ المتصوفة على اللَّه وتعديهم على حقوقه ووصف أوليائهم المزعومين بها .

ويقول الشعراني :

« وأما سيدي علي الخواص فسمعته يقول : « لا يكمل الرجل عندنا حتى يعلم حركات مريده في انتقاله في الأصلاب وهو نطفة من يوم **﴿ألست بربكم﴾** إلى استقراره في الجنة أو في النار »[(2)] .

وهنا كما نرى في هذا النص فقد ساوى هذا الرجل بين علم اللَّه وعلم الأولياء فماذا بقي للَّه؟! سبحانك هذا بهتان عظيم .

* وهذا أحمد الرفاعي يزعم بأن اللَّه أطلعه على سبعة مدائن وكل سكانها لا يذكرون اللَّه وهم ليسوا من الجن ولا من الإنس وأن اللَّه يأمر

---

(١) « رسالة ترتيب السلوك » للقشيري من « مجموعة الرسائل القشيرية » (٢/ ٧٣٥) .

(٢) « الكبريت الأحمر » (٢/ ٣) .

الملائكة بأخذ ذنوب أمة محمد وقذفها على تلك المدن السبعة وكل من يصاب منهم بذنب من الذنوب التي ارتكبها فرد من أفراد أمة محمد ﷺ يصبح من أهل الجنة .

وإليك نص كلامه فقد قال إبراهيم الأعزب :

« كنت قائمًا في بعض الليالي في موضع هناك للسيد أحمد الرفاعي رضي اللَّه عنه فأيقظني وقال : أي إبراهيم ألا أخبرك أظهرني اللَّه سبحانه في هذه الساعة على سبعة مدائن كل مدينة منها بقدر هذه الدنيا سبع مرات وهي مملوءة من الخلق ليسوا من الجن ولا من الإنس وما فيهم من يذكر اللَّه تعالى وكل ليلة عند غروب الشمس يأمر اللَّه تعالى الملائكة فيأخذون ذنوب أمة محمد ﷺ وينفضوها على تلك المدائن السبعة وكل من أصاب منهم ذنبًا فهو من أهل الجنة »[1] .

* وهذا أبو العباس أحمد بن أبي الخير الصياد يدعي بأنه يعرف الجنة قصرًا قصرًا ورأى الشمس في العجلة يجرها ملكان وهذا نص كلامه، فقد ذكر عنه صاحب كتاب « المحاسن الغالية » أنه قال :

« واللَّه إني لأعرف الجنة قصرًا قصرًا وأعرف النار حانوتًا حانوتًا وأعرف أصحابها في الدنيا واحدًا واحدًا »

وذكر عنه أنه قال أيضًا :

« كشف لي عن الشمس فرأيت ملكين عظيمين يجرانها على العجلة في الفلك من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق »[2] .

---

(١) « قلادة الجواهر » (ص١٩٣) .

(٢) « نشر المحاسن الغالية » (ص٧٦) .

* وهذا علي بن أحمد بن خضر المطوعي المشهور بين الناس بحشيش الحمصاني قال عنه النبهاني :

« أحد أكابر الأولياء العارفين وأخبر بأنه اطلع على بحر الظلمات أي المحيط الأطلسي وأن به بلدًا لا تبصر أهلها إلا في الظلمة وأنه رأى خلف جبل قاف أرضًا تتحرك بنفسها تسمى الرجراج ليس بها ساكن وأنه رأى إرم ذات العماد وأنه اجتمع بالخضر عليه السلام فوجده يظهر في صور مختلفة وبالقطب فوجده يلبس كل يوم لباسًا غير لون الآخر »[1] .

قيل لأبي يزيد : دخلت إرم ذات العماد؟ فقال : « دخلت ألف مدينة للّه في ملكه أدناها ذات العماد ثم عدد المدن وذكرها فقال : « البيته وتاويل وتاريعي وجابلق وجابرس ومسك »[2] .

وقال البريلوي أحمد رضا مؤسس الطريقة البريلوية إحدى الطرق الصوفية بالقارة الهندية ناقلاً عن أمثاله من المتصوفة :

« إن النبي لا يخفى عليه شيء من الخمس المذكورة في الآية الشريفة وكيف يخفى عليه ذلك والأقطاب السبعة من أمته الشريفة يعلمونها وهم دون الغوث فكيف بسيد الأولين والآخرين الذي هو سبب كل شيء ومنه كل شيء ».

ثم قال : « وكيف يخفى أمر الخمس عليه والواحد من أهل التصرف من أمته الشريفة لا يمكنه التصرف إلا بمعرفة هذه الخمس فاسمعوا هذا يا منكرين ولا تكونوا لأولياء اللّه مكذبين فإن تكذيبهم خراب للدين وسينتقم

---

(١) « جامع كرامات الأولياء » للنبهاني (٢/ ٣٧٩) .

(٢) « قوت القلوب » لأبي طالب المكي (٢/ ٧) .

اللَّه من الجاحدين وأعاذنا اللَّه بعباده العارفين »[1] .

وقال البريلوي أيضًا :

« الكامل قلبه مرآة الوجود العلوي والسفلي كله على التفصيل ».

وقال أيضًا : « ليس الرجل من يقيده العرش وما حواه من الأفلاك والجنة والنار وإنما الرجل من نفذ بصره إلى خارج هذا الوجود كله »[2] .

ونقل الكلاباذي عن أبي عبد اللَّه الأنطاكي[3] أنه قال :

« إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق فإنهم جواسيس القلوب يدخلون في أسراركم ويخرجون من هممكم »[4] .

وقال محمد محيي الدين الأحمدي الشناوي حفيد الشعراني الصوفي وهو يتحدث عن مناقب جده الشعراني :

« وكان رضي اللَّه عنه يشهد بقلبه تطور أعماله ثم تصعد إلى أماكنها من السماوات والأفلاك ومعرفة الأملاك الذين شاركهم في العمل من حملة العرش وملائكة الستور والملائكة الذين نصفهم نار ونصفهم ثلج وذلك لأن أعماله الموافقة لأعمالهم تصعد مع أعمالهم إلى حضرة اللَّه تعالى ومعلوم أن أهل كل حرفة يعرفون بعضهم »[5] .

---

(١) « خالص الاعتقاد » للبريلوى (ص٥٣ ـ ٥٤) نقلاً عن البريلوية لإحسان (ص٩٢ ـ ٩٥) .

(٢) نفس المرجع .

(٣) هو أحمد بن عاصم الأنطاكي من أقران بشر بن الحارث والسري السقطي والحارث المحاسبي وكان أبو سليمان الداراني يسميه جاسوس القلب لحدة فراسته انظر « الرسالة » للقشيري.

(٤) « التعرف لمذهب أهل التصوف » للكلاباذي (ص٣٣) .

(٥) كتاب « المناقب الكبرى » لمحمد محيي الدين الأحمدي الشناوي (ص١٠٨) .

وقال عبد اللّٰه بن محمد المشري العلوي التيجاني :

« قال لشيخنا التيجاني: إن القطب منذ وقت جلوسه على كرسي القطبانية لا تقع بينه وبين رسول اللّٰه حجابية أصلاً وحيثما جال رسول اللّٰه من حضرة الغيب ومن حضرة الشهادة إلا وعين قطب الأقطاب متمكنة من النظر إليه لا يحجب عنه في كل لحظة من اللحظات »(١) .

ويقول محمد المهدي السراقي وهو يتحدث عن علم الأولياء ناقلاً عن أحد المتصوفة قال بعض العارفين :

« أرباب القلوب والمشاهدات قد أنطق اللّٰه في حقهم كل ذرة في الأرض والسماوات بقدرته التي أنطق بها كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان الواقع الذي هو ليس بعربي ولا أعجمي وليس فيه حرف وصوت ولا يسمعه أحد إلا بالسمع العقلي الملكوتي دون السمع الظاهر الحس الناسوتي وهذا النطق الذي بكل ذرة من الأرض والسماوات مع أرباب القلوب إنما هو مناجاة السر وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى فإنها كلمات تستمد من بحر كلام اللّٰه » (٢) .

ويقول أحمد عز الدين عبد اللّٰه خلف وهو يتحدث عن الدسوقي ويقرر بأنه من الذين فتح اللّٰه لهم الغيوب .

يقول عنه : « صاحب المحاضرات القدسية والمعراج الأعلى في المعارف والمنهاج الأسنى في الحقائق . . . والباع الطويل في التصريف النافذ والكشف الخارق عن حقائق الآيات والفتح المضاعف في معنى المشاهدات وهو أحد من أظهره اللّٰه تعالى إلى الوجود وأبرزه رحمة للخلق

---

(١) « إنذار وإفادة إلى بائع دينه بالشهادة » لعبد اللّٰه بن محمد المشري (ص٧٧) .

(٢) « جامع السعادات » لمحمد مهدي السراقي (١/ ١٣٦) .

وصرفه في العالم ومكنه في أحكام الولاية وقلب له الأعيان وأنطقه بالمغيبات »[1] .

ويقول محمد بن يحيى التاذفي الحلبي القادري وهو يتحدث عن مناقب أحد القادريين :

« ومنهم الشيخ القدوة حياة بن قيس الحراني رضي اللّه عنه كان من أجلاء المشائخ وعظماء العارفين . . . صاحب الفتح السني والكشف الجلى . . وهو أحد من أظهره اللّه تعالى إلى الخلق وصرفه في الوجود وقلب له الأعيان وخرق له العوائد وأنطقه بالمغيبات وهو أحد أركان هذا الشأن وهو أحد الأربعة المتصرفين في قبورهم تصرف الأحياء »[2] .

ونقلوا عن عبد القادر الجيلاني أنه قال :

وأعلم نبت الأرض كم من نباتة ... وأعلم رمل الأرض كم هو رملة
وأعلم علم اللّه أحصى حروفه ... وأعلم موج البحر كم هو موجة

* * *

أنا الواحد الفرد الكبير بذاته ... أنا الواصف الموصوف علم الطريقة
ملكت بلاد اللّه شرقًا ومغربًا ... وإن شئت أفنيت الأنام بلحظة
وقالوا يا هذا تركت صلاتك ... ولم يعلموا أني أصلي في مكة
مريدي تمسك بي وكن بي واثقًا ... فأحميك في الدنيا ويوم القيامة[3]

ويقول أبو عثمان :

« العارف تضيء له أنوار العلم فيبصر به عجائب الغيب »[4] .

---

(١) « السيد إبراهيم الدسوقي » لأحمد عز الدين (ص٩٢) .
(٢) « قلائد الجواهر في مناقب عبد القادر » لمحمد يحيى التاذفي (ص١١٥) .
(٣) « فتوح الغيب » للجيلاني (ص٢٣٢) .
(٤) « سراج الطالبين » (ص٢١٠) .

المطلب الثاني

بيان أن علم الغيب خاص باللّه تعالى

وحكم من يدعي علم الغيب

مما سبق في المطلب الأول تبين لنا أن الصوفية بالفعل يدعون أن الأولياء يعلمون الغيب كله وأنهم لا يخفى عليهم شيء في السماوات والأرض[1] .

وإذا عرضنا هذا المعتقد على الكتاب والسنة سنجد بأنه يتصادم مع ما فيهما وذلك لأن اللّه سبحانه وتعالى قد قرر في كتابه بأن علم الغيب خاص به وأنه لا يشركه فيه أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا جني ولذا فكل من يدعي علم الغيب فهو مفترٍ على اللّه .

والنصوص التي تدل على اختصاص اللّه بعلم الغيب من الكتاب والسنة كثيرة جدًا وسأذكر منها نماذج فقط للرد على هؤلاء المتصوفة الذين يدعون علم الغيب وسأذكر أولاً النصوص القرآنية ثم سأتبع ذلك بذكر النصوص النبوية .

أولاً : النصوص القرآنية التي تدل على اختصاص علم الغيب باللّه سبحانه وتعالى ونفيه عن غيره كائنًا من كان :

لقد أخبرنا اللّه سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بأن مفاتيح الغيب عنده وحده سبحانه وتعالى وأنه لا يعلمها غيره من الخلق سواء كانوا ملائكة أو أنبياء أو جنًا وأخبرنا بأن علم ما في هذا البر والبحر من الموجودات وأن كل

---

(١) انظر (ص٦٧٥ ـ ٦٩٤) .

ورقة تسقط وأن كل حبة في ظلمات الأرض وأن كل رطب ويابس علمه خاص باللَّه سبحانه وتعالى وأنه لا يحصل شيء في هذا الكون إلا ما كان مسجلاً في اللوح المحفوظ وأنه العالم بكل ما يقترفه الإنسان من الأعمال الصالحة والطالحة وهذه هي الآية التي تدل على أن مفاتيح الغيب خاصة به سبحانه وتعالى :

* قال تعالى : ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٥٩) وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1] .

قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآيات :

« قوله : ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا﴾ أي ويعلم الحركات حتى من الجمادات فما ظنك بالحيوانات ولا سيما المكلفون منهم من جنهم وإنسهم كما قال تعالى : ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ .

وقال ابن عباس : ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا﴾ قال :

«ما من شجرة في بر ولا بحر إلا وملك موكل بها يكتب ما يسقط منها» .

وقال عبد اللَّه بن الحارث في معنى هذه الآية وهي قوله تعالى : ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا﴾ قال :

« ما في الأرض من شجرة ولا مغرز ابرة إلا وعليها ملك موكل يأتي اللَّه بعلمها رطوبتها إذا رطبت ويبوستها إذا يبست » .

---

(١) الأنعام : (٥٩ ـ ٦٠) .

وقال ابن عباس أيضًا :

« خلق اللّه النون وهي الدواة وخلق الألواح فكتب فيها أمر الدنيا حتى ينقضي ما كان من خلق مخلوق أو رزق حلال أو حرام أو عمل بر أو فجور وقرأ هذه الآية : ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا ﴾ آخر الآية »[1] .

وقال الإمام الشوكاني في معنى قوله تعالى : ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ :

« المفاتيح جمع مفتح بالفتح وهو المخزن : أي عنده مخازن الغيب جعل للأمور الغيبية مخازن تخزن فيها على طريق الاستعارة أو جمع مفتح بكسر الميم وهو المفتاح جعل للأمور الغيبية مفاتح يتوصل بها إلى ما في المخازن منها على طريق الاستعارة أيضًا ، والمعنى أن اللّه عنده خاصة مخازن الغيب ، أو المفاتح التي يتوصل بها إلى المخازن ».

وقوله : ﴿لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ جملة مؤكدة لمضمون الجملة الأولى وأنه لا علم لأحد من خلقه بشيء من الأمور الغيبية التي استأثر اللّه بعلمها . . . وفي هذه الآية الشريفة ما يدفع أباطيل الكهان والرمليين وغيرهم من المدعين ما ليس من شأنهم ولا يدخل تحت قدرتهم ولا يحيط به علمهم ولقد ابتلي الإسلام وأهله بقوم سوء من هذه الأجناس الضالة والأنواع المخذولة .

ثم قال وقوله : ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ خصهما بالذكر لأنهما من أعظم مخلوقات اللّه أي يعلم ما فيهما من حيوان وجماد علمًا مفصلاً لا يخفى عليه منه شيء أو خصهما بالذكر لكونهما أكثر ما يشاهد الناس ويتطلعون لعلم ما فيهما [2] .

---

(١) « تفسير ابن كثير » (٢/ ١٣٧) .

(٢) « فتح القدير » للشوكاني (٢/ ١٢٣) .

وأخرج أحمد والبخاري وغيرهما عن لبن عمر أن رسول اللَّه ﷺ قال: **« مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا اللَّه ، لا يعلم ما في غد إلا اللَّه ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا اللَّه ولا يعلم متى يأتي المطر إلا اللَّه ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا اللَّه ولا يعلم أحد متى تقوم الساعة إلا اللَّه »**(١) .

وقال الشيخ محمد رشيد رضا في معرض حديثه تحت هذه الآية :

« فإن قيل ما حكمة تخصيص هذه الأشياء بالذكر؟ قلنا: إن المعلوم أو ما يتعلق به العلم إما موجود وإما معدوم والموجود إما حاضر مشهود وإما غائب في حكم المفقود وليس في الوجود شيء غائب عن اللَّه تعالى فعلمه تعالى بالأشياء إما علم غيب وهو علمه بالمعدوم وإما علم شهادة وهو علمه بالموجود وأما أهل العلم من الخلق فمن الموجودات ما هو حاضر مشهود لديهم ومنها ما هو حاضر غير مشهود لأنه لم يخلق لهم آلة للعلم به كعالم الجن والملائكة مع الإنس ومنها ما هو غائب عن شهودهم وهم مستعدون لإدراكه لو حضر فكل ما خلقوا غير مستعدين لإدراكه دائمًا أو في بعض الأحوال فهو إن غاب عنهم غيب إضافي وقد بين اللَّه تعالى لنا في هذه الآية أن خزائن علم الغيب كلها عنده وعنده مفاتيحها وأسبابها الموصلة إليها وإن عنده من علم الشهادة ما ليس عند غيره وذكر على سبيل المثل علمه بكل ما في البر والبحر من ظاهر وخفي ثم خص بالذكر ثلاثة أشياء مما في البر إحاطة علمه بكل ورقة تسقط من نبتة وكل حبة تسقط في ظلمات الأرض وكل رطب ويابس »(٢) .

وقال الشيخ محمد رشيد رضا أيضًا في قوله تعالى : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ

(١) البخاري مع الفتح (٨/ ٣٧٥) .

(٢) « تفسير القرآن الحكيم » لمحمد رشيد رضا (٤/٤٥٨) .

﴿الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ يدل علي كونه تعالى منزهًا عن الضد والند وتقريره أن قوله : ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ يفيد الحصر أي عنده لا عند غيره ولو حصل موجودًا آخر واجب الوجود لكان مفاتح الغيب حاصلة أيضًا عند ذلك الآخر وحينئذ يبطل الحصر[1] .

وقال الإمام الأمين الشنقيطي في معنى قوله تعالى : ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ الآية ، بين تعالى المراد بمفاتح الغيب بقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[2] .

ومن كل ما سبق من أقوال المفسرين نستنتج أن كلهم صرحوا بأن علم الغيب خاص باللَّه سبحانه وتعالى وأنه لا يشركه فيه أحد من خلقه كائنًا من كان .

* ومن الآيات التي تدل على أن علم الغيب خاص باللَّه سبحانه وتعالى وأنه لا يشركه فيه أحد من خلقه قوله تعالى : ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[3] .

ويستوي في هذا الملائكة والأنبياء والرسل والأولياء الحقيقيون أو الأولياء المزعومون فإنه لا يعلم أحد الغيب إلا اللَّه سبحانه وتعالى جلت قدرته .

* فمن الآيات التي تدل على أن الملائكة لا يعلمون الغيب قوله

---

(١) « تفسير القرآن الحكيم » لمحمد رشيد رضا (٤/ ٤٦١) .

(٢) « أضواء البيان » للشنقيطي (٢/ ١٧٤) .

(٣) النمل : (٦٥) .

تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[1].

فإذا نظرنا في هذه الآية نخرج بنتيجة أن الملائكة لا يعلمون الغيب وذلك لأنهم لو كانوا يعلمون الغيب لما عجزوا عن معرفة الأسماء التي علمها اللَّه لآدم عليه السلام في حين أن مسمياتها كانت معروضة عليهم ولهذا لم يجد الملائكة المخرج من هذا الطلب الذي وجهه اللَّه إليهم سوى أن يسلموا بأنهم لا يعلمون من الأشياء إلا ما علمهم اللَّه إياه فقالوا: ﴿سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ورد اللَّه عليهم بقوله: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

وكذلك الرسل وهم أشرف خلق اللَّه لا يعلمون الغيب إلا ما أوحاه اللَّه إليهم سبحانه وتعالى

قال الإمام الذهبي رحمه اللَّه في تفسير قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[2].

---

(١) البقرة: (٣٠ ـ ٣٣).

(٢) الجن: (٢٦ ـ ٢٨).

قال ابن الجوزي : «﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ هو اللَّه عز وجل لا شريك له في ملكه ﴿فَلا يُظْهِرُ﴾ أي يطلع على غيبه الذي لا يعلمه أحد من الناس ﴿إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ لأن الدليل على صدق الرسل أخبارهم بالغيب» والمعنى أن من ارتضاه للرسالة أطلعه على ما شاء من الغيب وفي هذا الدليل على من زعم أن النجوم تدل على الغيب فهو كافر واللَّه أعلم »[1] .

* ومن الآيات التي تدل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب قوله تعالى :

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2] .

ووجه الاستدلال بالآية أن آدم عليه اسلام لو كان يعلم الغيب هل كان يأكل من الشجرة التي حرمها اللَّه عليه في حين أن خروجه من الجنة مترتب على أكله منها حتمًا الجواب لا ولكنه لما جهل الغيب أكل منها فكان سببًا لخروجه منها وإذا كان آدم عليه السلام وهو نبي من أنبياء اللَّه لا يعلم الغيب فمن باب أولى دجاجلة المتصوفة لا يمكنهم أن يعلموا الغيب .

* ومن الآيات التي تدل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب قوله تعالى :

---

(١) « الكبائر » للذهبي (ص٢٧٤) .

(٢) البقرة : (٣٤ ـ ٣٨) .

﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾[1] .

فالرسل المذكورون في هذه الآية هم من الملائكة وقد جاءوا إلى إبراهيم عليه السلام بصورة بشر فظنهم ضيوفًا من البشر مثله فذبح لهم العجل وقدمه إليهم ولكنهم لم يأكلوا منه شيئًا لأنهم ملائكة والملائكة لا تأكل ولا تشرب فلما قبضوا أيديهم عن الأكل خاف منهم إبراهيم عليه السلام فأخبروه بأنهم مرسلون إلى قوم لوط لقلب الأرض بهم وهذا يدل دلالة قاطعة على أن علم الغيب خاص بالله تعالى وأنه لا يعلمه أحد مهما كانت منزلته عند الله لأنه لو كان إبراهيم يعلم الغيب لما ذبح العجل لضيافة الملائكة لأنه نبي من أنبياء الله ويعلم أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولذا أقول : إن ادعاء المتصوفة بأن الأولياء يعلمون الغيب ادعاء باطل وإفك وافتراء على الله .

* ومن الآيات التي تدل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب قول الله تعالى عن لوط عليه السلام : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ

---

(١) هود : (٦٩ ـ ٧٠) .

امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾[1] .

فلو كان لوط عليه السلام يعلم الغيب لما وقف ذلك الموقف العصيب مستميتًا في الدفاع عن أضيافه ضد رغبة قومه الآثمة في حين أنهم ملائكة أرسلهم اللَّه لإهلاك أولئك القوم وإذا كان لوط عليه السلام وهو نبي من أنبياء اللَّه يجهل علم الغيب فمن باب أولى أن يجهل علم الغيب أولياء ومشائخ المتصوفة لأنهم أدنى من الأنبياء بمراتب كثيرة ولذا أقول: إن دعوى الصوفية إن الأولياء تنكشف لهم الغيب دعوى لا دليل عليها وإنما هي محض افتراء قالوها اتباعًا لأهوائهم فقط وإلا فأدلة الكتاب والسنة كلها ضدهم .

* ومن الآيات التي تدل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب قول اللَّه عز وجل عن يعقوب عليه السلام حين ضاع منه ابناه يوسف وأخيه : ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾[2] .

فلو كان يعقوب عليه السلام يعلم الغيب لعلم بمكان يوسف في هذا الوقت الطويل الذي عاشه حزينًا عليه ثم تبعه أخاه بنيامين ولكنه لما كان علم الغيب خاص باللَّه سبحانه وتعالى لم يعلم بمكانهما حتى ذهب إخوة يوسف فاكتشفوا مكانه في مصر والقصة معلومة وهي طويلة تحتاج إلى صفحات

(١) هود : (٧٧ ـ ٨١) .

(٢) يوسف : (٨٣ ـ ٨٧) .

والذي يهمنا منها هو أن يعقوب عليه السلام لم يعلم بمكان يوسف في هذه المدة الطويلة التي غاب عنه فيها وإذا كان يعقوب عليه السلام وهو نبي من أنبياء اللَّه يجهل الغيب فمن باب أولى دجاجلة الصوفية أن يجهلوا الغيب.

* ومن الآيات التي تدل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب قول اللَّه عز وجل: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾[1].

قصة موسى مع شعيب عليهما السلام معروفة حيث إن موسى كان راعيًا عند شعيب فلما قضى موسى الأجل الذي حدداه سار بأهله مسافرًا بهم إلى بلده مصر فأبصر من جانب الجبل نارًا تتقد فقال لأهله: انتظروا فقد أبصرت نارًا لعلي آتيكم منها بخبر عن الطريق الذي أضللناه أو آتيكم بقطعة من الحطب فيها النار تستدفئون بها من البرد.. فلما وصل عليه السلام النار ناداه اللَّه تعالى من جانب الوادي الذي هو عن يمين موسى في ذلك المكان المبارك عند الشجرة بأنني أنا اللَّه رب العالمين اطرح عصاك التي تحملها فألقاها فلما رآها تتحرك كأنها جان من الحيات ولى هاربًا منها ولم يرجع على عقبه فنودي أقبل ولا تخف من الذي تهرب منه فإنك في أمان من أن يضرك.

فلو كان موسى عليه السلام يعلم الغيب لما فزع وفر من عصاه في حين أنها ستعود عصا كما كانت ولكن لما كان علم الغيب خاصًا باللَّه تعالى لم

---

(١) القصص: (٢٩ ـ ٣١).

يعلمه موسى عليه السلام وإذا كان موسى عليه السلام لم يعلم الغيب وهو نبي من أنبياء اللَّه فمن باب أولى أن يجهله دجاجلة الصوفية وهم أبعد ما يكونون عن اتباع الكتاب والسنة .

* ومن الآيات التي تدل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب قول اللَّه تعالى عن داود عليه اسلام : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾[1] .

فلو كان داود عليه السلام يعلم الغيب لما جلس للقضاء بين الخصمين في حين أنهما أرسلا فتنة له ولكنه لما كان يجهل الغيب حكم بينهما وقد تاب وأناب إلى اللَّه فغفر اللَّه له كما هو واضح بين في الآيات.

وإذا كان داود عليه السلام وهو نبي من أنبياء اللَّه يجهل الغيب فمن باب أولى أن يجهله شيوخ المتصوفة لأنهم أدنى من الأنبياء مهما علت درجتهم فادعاؤهم الاطلاع على علم الغيب كذب وافتراء محض.

* ومن الآيات التي تدل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب قول اللَّه تعالى عن سليمان عليه السلام : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ

---

(١) ص : (٢١ ـ ٢٥) .

﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[1] .

سليمان عليه السلام آتاه اللَّه ملكًا لم يؤته أحداً بعده وقد جمع جنوده من جميع الأجناس في مسير لهم وتفقد عليه السلام أنواع الطير فقال ما الذي جعلني لا أرى الهدهد أخطأه بصري فلم أره وقد حضر أم هو غائب لم يحضر فلما أخبر أنه غائب أقسم ليعذبن الهدهد عذابًا شديداً أو ليقتلنه إن لم يأته بحجة واضحة تبين لسامعها صحتها فمكث سليمان عليه السلام وقتًا قصيراً حتى جاءه الهدهد فسأله عليه السلام عن تخلفه وغيبته فقال : أحطت بعلم لم تحط به أنت وجئتك من سبأ بخبر يقين لقد وجدت امرأة تملك سبأ وقد أوتيت كل شيء في الدنيا من العتاد والآلة ولها عرش عظيم من ذهب قوائمه من الجوهر واللؤلؤ ووجدت هذه المرأة وقومها يعبدون الشمس فيسجدون لها وحسن لهم إبليس عبادتهم هذه فمنعهم بذلك أن يتبعوا دين اللَّه الحق فهم لا يهتدون له ولا يسلكونه . . . زين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا للَّه الذي يخرج المخبوء في السماوات والأرض من الغيث والنبات ويعلم السر من أمور خلقه والعلانية فهو وحده الذي لا معبود سواه ولا تصلح العبادة إلا له سبحانه وتعالى .

والمقصود من إيراد هذه القصة أن سليمان عليه السلام لم يعلم بمكان

---

(١) النمل : (٢٠ ـ ٢٦) .

الهدهد التي اتجه إليها مع أنه نبي من أنبياء اللَّه حتى جاء الهدهد وأخبره بهذه المملكة العظيمة التي كانت غائبة عن سليمان عليه السلام وإذا كان الأنبياء يجهلون الغيب فمن باب أولى أن يجهله غيرهم .

وهناك آيات كثيرة تدل على أن علم الغيب خاص باللَّه تعالى وتنفيه عما سواه من المخلوقات .

* من هذه الآيات قول اللَّه تعالى : ﴿**قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**﴾[١] .

فإذا نظرنا في هذه الآية نجدها صريحة في حصر علم الغيب في اللَّه وحده ونفيه عما سواه يقول الإمام القرطبي المفسر الكبير رحمه اللَّه تعالى تحت هذه الآية :

« فإنه لا يجوز أن ينفي اللَّه سبحانه وتعالى شيئًا عن الخلق ويثبته لنفسه ثم يكون له في ذلك شريك ألا تسمع قوله تعالى : ﴿**قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ**﴾ وقول اللَّه تعالى : ﴿**لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ**﴾[٢] وقوله : ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ**﴾[٣] فكان هذا كله مما استأثر اللَّه بعلمه لا يشركه فيه غيره .

* ومن الآيات التي تدل على أن علم الغيب محصور في اللَّه قول اللَّه تعالى : ﴿**فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ**﴾[٤] .

إذا نظرنا في هذه الآية نجد بوضوح وصراحة قد بينت بأن علم الغيب

---

(١) النمل : (٦٥) .

(٢) الأعراف : (١٨٧) .

(٣) القصص : (٨٨) .

(٤) يونس : (٢٠) .

خاص باللّه سبحانه وتعالى ومحصور فيه لا يشركه فيه أحد من خلقه مهما كانت درجته وذلك لأن « إنما » من أدوات الحصر .

* ومن الآيات التي تدل على أن علم الغيب خاص باللّه تعالى قول اللّه سبحانه وتعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾[١] .

وفي هذه الآية أيضًا نرى أن علم الغيب حصره اللّه سبحانه وتعالى في نفسه وذلك لأن تقديم الجار والمجرور من أدوات الحصر ولذا أقول : إن من ادعى علم شيء من علم الغيب فقد ادعى بأنه قد شارك اللّه في خاصية خص اللّه بها نفسه .

* ومن الآيات التي تدل على أن علم الغيب خاص باللّه تعالى قوله سبحانه : ﴿ **وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[٢] .

* ومن الآيات التي تدل على أن علم الغيب خاص باللّه سبحانه وتعالى قوله تعالى : ﴿ **قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا** ﴾[٣] .

* وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴾[٤] .

* وقال تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ** ﴾[٥] .

---

(١) هود : (١٢٣) .

(٢) النحل : (٧٧) .

(٣) الكهف : (٢٦) .

(٤) فاطر : (٣٨) .

(٥) آل عمران : (١٧٩) .

وبالجملة فكل هذه الآيات التي تقدم ذكرها تدل دلالة واضحة وصريحة على اختصاص اللَّه بعلم الغيب وحده دون من سواه فلا يعلم الغيب ملك مقرب ولا نبي مرسل فكيف بمن سواهما .

كما وردت آيات أخرى كثيرة تنفي عن الرسول محمد ﷺ علم الغيب مع أنه أفضل الخليقة على الإطلاق ومعلوم أنه إذا كان الرسول وهو أحب خلق اللَّه إليه لم يعلمه الغيب فغيره من باب أولى أن يجهل علم الغيب ومن هذه الآيات قول اللَّه تعالى : ﴿ **قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عندي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ** ﴾[1] .

قال الشيخ محمد رشيد رضا تحت هذه الآية :

« وإذا كان اللَّه تعالى لم يؤت الرسل ما لم يؤت غيرهم من أسباب التصرف في المخلوقات ومن علم الغيب وكان كل من التصرف بالقدرة الذاتية وعلم الغيب خاصًا به عز وجل يستحيل أن يشاركه غيره فيه فمن أين جاءت دعوى التصرف في الكون وعلم الغيب لمن هم دون الرسل منزلة وكرامة عند اللَّه تعالى من المشائخ المعروفين وغير المعروفين »[2] .

وقال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : ﴿ **تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ** ﴾[3] .

ففي هذه الآية قد حكى اللَّه لنا على أن عيسى عليه السلام أسند علم

---

(١) الأنعام : (٥٠) .

(٢) « تفسير المنار » لمحمد رشيد رضا (٧/ ٤٢٥) .

(٣) المائدة : (١١٦) .

الغيب إلى اللَّه وحده وتبرأ هو من علم الغيب وإذا كان عيسى عليه السلام كذلك وهو من الرسل الكرام فغيره من باب أولى أن ينتفي عنه علم الغيب.

هذا ما يتعلق بما جاء في القرآن من الآيات التي تدل دلالة واضحة على أن علم الغيب خاص باللَّه تعالى .

ثانيًا : الأدلة من السنة على أن علم الغيب خاص باللَّه تعالى :

لقد وردت في السنة النبوية أحاديث كثيرة تدل على أن علم الغيب خاص باللَّه سبحانه وتعالى وأنه لم يعلم الغيب للرسول محمد ﷺ وهو أحب خلق اللَّه إليه فضلاً عن غيره .

* من هذه الأحاديث ما روته عائشة أم المؤمنين رضي اللَّه عنها قال : **«من حدثك أن محمداً رأى ربه فقذ كذب وهو يقول : ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب وهو يقول : لا يعلم الغيب إلا الله»**[١] .

فإذا كان محمد بن عبد اللَّه سيد ولد آدم لا يعلم الغيب فلا شك أن غيره من باب أولى كائنًا من كان لا يعلم الغيب.

* ومنها حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ قال : « **مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا اللَّه لا يعلم ما تغيض الأحام إلا اللَّه ولا يعلم ما في غد إلا ولا يعلم متى يأتي المطر أحداً إلا اللَّه ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا اللَّه ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا اللَّه** »[٢] .

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة :

« استعار للغيب مفاتيح بما نطق به الكتاب العزيز ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ

(١) « صحيح البخاري » مع الفتح (١٣/ ٣٦١) .

(٢) البخاري مع الفتح (١٣/ ٣٦١) .

الْغَيْبِ﴾ وليقرب الأمر على السامع لأن أمور الغيب لا يحصيها إلا عالمها وأقرب الأشياء إلى الاطلاع على ما غاب الأبواب والمفاتيح أيسر الأشياء لفتح الباب فإذا كان أيسر الأشياء لا يعرف موضعها فما فوقها أحرى ألا يعرف[1].

* وعن إياس بن سلمة قال : حدثني أبي أنه كان مع النبي ﷺ إذ جاءه رجل بفرس له يقودها عقوق ومعه مهرة له يبيعها فقال : من أنت؟ قال: «**أنا نبي اللَّه**» قال : وما نبي اللَّه ؟ قال : «**رسول اللَّه**» قال الرجل : متى تقوم الساعة ؟ فقال ﷺ : «**غيب ولا يعلم الغيب إلا اللَّه**» قال : متى تمطر السماء ؟ فقال ﷺ : «**غيب ولا يعلم الغيب إلا اللَّه**» قال الرجل : ما في بطن فرسي هذا ؟ فقال ﷺ : «**غيب ولا يعلم الغيب إلا اللَّه**» . قال : أرني سيفك فأعطاه النبي ﷺ سيفه فهزه الرجل ثم رده إليه فقال ﷺ : «**أما إنك لم تكن تستطيع الذي أردت**» يقول : إياس وكان الرجل قال اذهب إليه فاسأله عن هذه الخصال ثم اضرب عنقه[2].

* وروى الحارث بن عمرو بن حارثة بن محارب بن حفصة رجل من أهل البادية جاء إلى النبي ﷺ فسأله عن الساعة ووقتها وقال : إن أرضنا أجدبت فمتى ينزل الغيث؟ وتركت امرأتي حبلى فماذا تلد ؟ وقد علمت أين ولدت فبأي أرض أموت ؟ فأنزل اللَّه تعالى : **﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾**[3].

---

(١) « فتح الباري » (١٣/ ٣٦٥) .

(٢) « أسباب النزول » للنيسابوري (ص١٩٨) .

(٣) نفس المرجع السابق (ص١٩٩) والآية من سورة لقمان : (٣٤) .

وروى خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوذ بن عفراء رضي اللَّه عنها قالت : جاء النبي ﷺ يدخل حين بنى عليّ فجلس على فراش كمجلسك فجعلت جويرات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر إذ قالت إحداهن : وفينا نبي يعلم ما في غد فقال ﷺ : « **دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين** »[1] .

فإذا نظرنا في الحديث السابق نرى أن الرسول ﷺ حرص على تصحيح العقيدة الإسلامية في مسألة الغيب ولو أغنية من الأغنيات مما كانت الجارية تنسب إليه ﷺ شيئًا من علم الغيب حتى أمرها من فوره بأن تترك هذا القول : « فلا يعلم ما في غد إلا اللَّه » وطلب منها أن تعود إلى ما كانت تتغنى به من ذكر أوصاف البطولة والفداء فما بالنا نرى الناس في هذه الأيام يتساهلون في هذه المسألة الخطيرة وينسبون علم الغيب لكل من هب ودب من أولياء وكهنة وسحرة ومنجمين ويزعم المتصوفة أن اللَّه قد كشف عن شيوخهم الحجاب فأشركوهم بهذا الزعم في خاصية هي للَّه تعالى وحده وكما سبق لنا فقد أسس المتصوفة عقيدتهم تجاه الأولياء على الادعاء بأنهم يعلمون الغيب معرضين عن الأدلة الشرعية والتي مصدرها كتاب اللَّه وسنة رسوله محمد ﷺ .

وعن طريق هذا الادعاء والزعم الباطل شككوا الناس في مصادر الشرع الصحيحة ألا وهو كتاب اللَّه وسنة رسوله وشرعوا لهم شرائع أخرى زاعمين بأنهم يطلعون على الغيب ويتلقون علومًا عن اللَّه خاصة بهم دون غيرهم من الأمة الإسلامية .

---

(١) البخاري مع الفتح (٩/ ٢٠٢).

موقف علماء الإسلام ممن يدعي علم الغيب :

لقد وقف علماء الإسلام الأجلاء الذين فهموا كتاب اللَّه عز وجل وسنة رسوله محمد ﷺ فهمًا صحيحًا موقفًا مشرفًا من كل من يدعي علم الغيب وشنعوا عليهم ادعاءهم هذا بل حكموا عليهم بالكفر والضلال .

* ومن هؤلاء العلماء الذين شنعوا على كل من يدعي علم الغيب الإمام أبو حيان المفسر المشهور رحمه اللَّه حيث قال مشنعًا على المتصوفة الذين يدعون علم الغيب مع جهالتهم بالأحكام الشرعية تحت قوله تعالى : **﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾**[1] :

قال : « ولقد يظهر من هؤلاء المنتسبة إلى الصوفية أشياء من ادعاء علم المغيبات والاطلاع على علم عواقب أتباعهم وأنهم معهم في الجنة مقطوع لهم ولأتباعهم بها يخبرون بذلك على رءوس المنابر ولا ينكر ذلك أحد هذا مع خلوهم عن العلوم يوهمون أنهم يعلمون الغيب وفي « صحيح مسلم » عن عائشة رضي اللَّه عنها أنها قالت : « **ومن زعم أن محمداً يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على اللَّه الفرية** »[2] .

واللَّه تعالى يقول : **﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾**[3] .

وقد كثرت هذه الدعاوى والخرافات في ديار مصر وقام بها ناس صبيان العقول يسمون بالشيوخ عجزوا عن مدارك العقل والنقل وأعياهم طلاب العلوم.

---

(١) الأنعام : (٥٩) .

(٢) « صحيح مسلم » مع النووي (٨/٢) .

(٣) النمل : (٦٥) .

فارتموا يدعون أمرًا عظيمًا لم يكن للخليل ولا الكليم
بينما المرء منهم في انسفال أبصر اللوح ما به من رقوم
فجنى العلم منه غضًا طريًا ودرى ما يكون قبل الهجوم
إن عقلي لفي عقال إذا ما أنا صدقت بافتراء عظيم[1]

وقال الإمام القرطبي رحمه اللَّه في تكفير من ادعى شيئًا من علم الغيب:

« قال علماؤنا : أضاف سبحانه علم الغيب إلى نفسه في غير ما آية من كتابه إلا من اصطفى من عباده « رسله » فمن قال : إنه ينزل الغيث غدًا وجزم به فهو كافر أخبر عنه بأمارة ادعاها أم لا ، وكذلك من قال : إنه يعلم ما في الرحم فهو كافر ، فإن لم يجزم وقال : إن النوء ينزل اللَّه به الماء عادة وإنه سبب الماء على ما قدره وسبق في علمه لم يكفر إلا أنه يستحب له ألا يتكلم به فإن فيه تشبيهًا بكلمة أهل الكفر جهلاً بلطف حكمته لأنه ينزل متى شاء مرة بنوء كذا ومرة دون النوء.

قال اللَّه تعالى : « **أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر** »[2] .

قال : وأما من ادعى الكسب في مستقبل العمر فهو كافر أو أخبر عن الكوائن المجملة أو المفصلة في أن تكون قبل أن تكون فلا ريبة في كفره أيضًا »[3] .

وقال القرطبي أيضًا في حكم اتخاذ المنجمين والذهاب إليهم وأن من

(١) « البحر المحيط » لأبي حيان (٤/١٤٩) .
(٢) أي في الحديث القدسي الذي رواه البخاري مع الفتح (٢/٣٣٣) .
(٣) « تفسير القرطبي » (٧/٢) .

فعل ذلك فقد ارتكب من كبائر الذنوب.

قال علماؤنا: « وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان بإتيان المنجمين والكهان لاسيما بالديار المصرية فقد شاع في رؤسائهم وأتباعهم وأمرائهم اتخاذ المنجمين بل انخدع كثير من المنتسبين للفقه والدين فجاؤا إلى هؤلاء الكهنة والعرافين فبهرجوا عليهم بالمحال واستخرجوا منهم الأموال فحصلوا من أموالهم على السراب والآل ومن أديانهم على الفساد والضلال وكل ذلك من الكبائر لقوله عليه السلام: « **لم تقبل له صلاة أربعين يومًا** »[1] فكيف بمن اتخذهم وأنفق عليهم معتمداً على أقوالهم »[2].

والخلاصة التي نخرج بها هو أن علم الغيب خاص باللَّه سبحانه وتعالى لا يشركه فيه أحد وذلك لما ذكرناه من نصوص قرآنية من كتاب اللَّه تعالى ونصوص نبوية من سنة رسوله محمد ﷺ وأقوال العلماء وأن من يدعي الاطلاع على المغيبات التي لا يمكن أن يطلع عليها غير اللَّه سبحانه وتعالى فقد كفر كما قال علماؤنا الأجلاء فيما سبق ومن هنا نقول: إن المتصوفة الذين ادعوا علم الغيب قد وقعوا في انحراف عقدي خطير فيجب عليهم إن كانوا أحياء أن يتوبوا من هذا المعتقد الفاسد ويرجعوا إلى المعتقد الصحيح والذي هو أن الغيب علمه خاص باللَّه سبحانه وتعالى أما ما سواه من المخلوقات فليس لديهم القدرة على الاطلاع على علم الغيب وقد أثبت ذلك فيما سبق بإيراد نصوص قرآنية وأحاديث نبوية على أن الأنبياء والملائكة وهم أفضل المخلوقات لم يعلموا الغيب فغيرهم من باب أولى أن لا يكون مؤهلاً للاطلاع على الغيوب واللَّه أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

---

(١) « مسند أحمد » (٤/٦٨).

(٢) « تفسير القرطبي » (٧/٣).

المبحث الرابع

توجه الصوفية إلى الأولياء بالدعاء والاستغاثة

وتحت مطلبان :

المطلب الأول : ذكر النصـــوص عنهم التي تثبت بأنهم يتوجهون إلى الأولياء بالدعاء والاستغاثة.

المطلب الثاني : حكم الإسلام في دعاء غير اللّٰه .

المطلب الأول

ذكر النصوص التي تثبت بأنهم يتوجهون إلى شيوخهم بالدعاء والاستغاثة

لقد بينا في المبحث السابق بأن الصوفية يعتقدون أن الأولياء يعلمون الغيب وذلك بإيراد نصوص من بطون كتبهم ومن أفواه مشائخهم الذين يعتبرونهم أئمة في الأوساط الصوفية ثم أتبعنا ذلك بالرد عليهم وإبطال مزاعمهم وأثبتنا بأن الغيب خاص باللَّه سبحانه وتعالى لا يشركه فيه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي محبوب عند اللَّه لأن علم الغيب من الخصائص التي اختص اللَّه بها دون غيره من المخلوقات[1] .

واعتقاد المتصوفة في الأولياء بأنهم يتصرفون في الكون ويعلمون الغيب أدى بهم هذا الاعتقاد الفاسد إلى اعتقاد النفع والضر في الأولياء فتوجهوا إليهم بالدعاء والاستغاثة طالبين منهم تفريج الكرب والنجاة من النار والدخول إلى الجنة وهذا ما نريد أن نبينه الآن في هذا المبحث إن شاء اللَّه وسأبدأ أولاً بذكر النصوص التي تثبت توجههم إلى شيوخهم بالدعاء والاستغاثة ثم سأتبعه في المطلب الثاني ببيان حكم الإسلام في دعاء غير اللَّه.

وها أنا أشرع فأقول :

(١) انظر (ص٦٧٥ ـ ٧١٨) .

« لقد اشترط الصوفية على المريد الذي يريد أن يصل إلى مرتبة الولاية الصوفية أن يعلق قلبه دائمًا بشيخه قائمًا وقاعدًا وحتى ذاكرًا ويتوجه إليه بالدعاء والاستغاثة في كل ما يريده .

وإليك النصوص التي تثبت على أنهم يشترطون هذا .

قال محمد أبو الهدى الصياد الرفاعي :

« إن من ضاق حاله لمهمة أو لحاجة أو عسر عليه مقصد أو كان عليه دين أو كان في سجن أو بغى عليه ظالم فليتوضأ ويصلي ركعتين ويصلي على النبي ﷺ مائة مرة ويكون ذلك العمل في بيت خال ويقرأ الفاتحة للنبي ويتوجه قائمًا للشرق ليرى البصرة لفلاة أم عبيدة محل مرقد الغوث الحسيني سيدي السيد أحمد الرفاعي وينادي بالاعتقاد والانكسار: يا وسيلة الطالبين يا كعبة الطائفين يا غوث الخلق يا باب الحق يا أشجع الفوارس يا أبا المدد . . يا مصد الطلاب يا معجزة الرسول يا سر اللّه يا درة الغيب يا سيف القدرة يا نائب النبي الجليل يا خليفة إبراهيم الخليل يا مبرد النار يا مبدل السموم . . . يا موصل كل أعرج يا قطب الأقطاب المتصرفين يا مظهر حضرة القدس في كل مكان وأمان يا صاحب الآيات الباهرة يا كنز العنايات يا صاحب التصرف في الحياة والممات . . . أغثني توجه لجدك خير الأنام وقوموا بقضاء حاجتي . . أدركنيْ يا أحمد الأولياء رضي اللّه عنك أغثني »[1] .

ففي النص السابق أمر الصيادي كل من أصيب بأمر يكرهه ويريد أن يرفع عنه بالتوجه إلى قبر أحمد الرفاعي ويدعوه ويستغيث به طالبًا منه الإغاثة وتفريج ما به ولا حاجة إلى تجديد أماكن الشاهد في النص لأن كله شواهد

---

(١) « قلادة الجواهر » (٢٣٧) .

واضحة وهذا شرك صريح ينقل عن ملة الإسلام لأنه فيه القول بجواز صرف عبادة لغير اللَّه » .

ويقول عبد المجيد محمد الخاني النقشبندي :

« اعلم أيها الأخ المؤمن أن الرابطة عبارة عن ربط القلب بالشيخ الكامل وحفظ صورته بالخيال ولو عند غيبته أو بعد وفاته ولها صور أهونها أن يتصور المريد صورة شيخه الكامل بين عينيه ثم يتوجـه إلى روحانيتـه في تلك الصورة ولا يزال متوجهًا إليه بكليته حتى يحصل له الغيبة أو أثر الجذب . . . وهكذا يداوم على الرابطة حتى يفنى عن ذاته وصفاته في صورة الشيخ . . . فتربيه روحانية الشيخ بعد ذلك إلى أن توصله إلى اللَّه تعالى ولو كان أحدهما في المشرق والآخر في المغرب فبالرابطة يستفيض الأحياء من الأموات المتصرفين »[(١)] .

ففي هذا النص أمر عبد المجيد أن يربط الإنسان الصوفي قلبه بشيخه دائمًا وأبدًا ويتوجه إليه بكل حواسه إذا أراد أن تقضى له حوائجه لأن الأولياء لهم التصرف في هذا الكون أحياءً وأمواتًا فيجب على كل صوفي التوجه إلى أهل التصرف كلما أراد شيئًا من الأشياء ونحن نقول : وأين اللَّه أيها الصوفي الوقح الذي قال في كتابه : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾[(٢)] .

وهكذا المتصوفة أصبحوا دعاة إلى الوثنية والشرك فأوقعوا ملايين من الأمة الإسلامية في الشركيات حيث أمروهم بالتوجه إلى الأولياء أحياءً وأمواتًا .

---

(١) « السعادة الأبدية » (٢٢ ـ ٢٣) .

(٢) البقرة : (١٨٦) .

ويقول ابن عجيبة الحسني متحدثًا عن آداب المريد مع شيخه :

« للقوم في لقاء المشائخ آداب منها أنهم إذا قربوا المنزل رفعوا أصواتهم بالهيللة والذكر فلا يزالون كذلك حتى يصلوا إلى الزاوية ومنها تقبيل يد الشيخ ثم رجله إن جرت بذلك عادة الفقراء فهو من أحسن التعظيم. . . ومنها جلوسهم بين يديه على نعت السكينة والوقار خافضين أصواتهم ناكسين رءوسهم غاضين أبصارهم فلا يكلمونه حتى يبدأهم بالسلام »[1] .

« فإن تعذَّر عليه « أي على المريد » الوصول إلى الشيخ وقد عرض له مرض أو أمر فليشخص شيخه بين عينيه بصفته وهيئته ويشكو له فإنه يبرأ بإذن اللَّه وإن كان مع جماعة واستحيا فليشتك إليه في قلبه »[2] .

ففي النص السابق أمر ابن عجيبة المريد إذا لم يستطع الوصول إلى شيخه لسبب من الأسباب أن يتوجه إليه بقلبه ويشكو إليه حاله حتى يفرج ما به من مصائب وهذه دعوة صريحة إلى التوجه إلى غير اللَّه بالدعاء والاستغاثة لتفريج الكرب والنص كما هو أمامنا واضح جدًا ولا يحتاج إلى شرح أو تحديد الشاهد منه .

ويقول سراج الدين الرفاعي الصيادي ويشاركه أبو الهدى الصيادي متحدثًا عن آداب المريد مع شيخه :

« ومن آداب المريد اللازمة : أولاً حفظ قلب شيخه ومراعاته في الغيبة والحضور والتواضع له ولذريته وأقاربه وثبوت القدم على خدمته وأوامره

---

(١) « الفتوحات الإلهية » لابن عجيبة (ص٣٠٨) .

(٢) « الفتوحات الإلهية » لابن عجيبة (ص٣٣٩) .

كليها وجزئيها وربط القلب به واستحضار شخصه في قلبه في جميع المهمات واستمداد همته والفناء فيه وأن يكون ملازمًا له لا يفترق عنه طرفة عين ولا ينكر عليه ما ظهر منه من صفة عيب فلربما يظهر من الشيخ ما لا يعلمه المريد كما وقع لبعضهم أنه دخل على شيخه فرأى عنده امرأة جميلة يلاعبها ويعانقها ويجامعها فخرج منكرًا على شيخه فأخذ منه حالاً جميع ما استفاده من شيخه ومع ذلك أن المرأة امرأة الشيخ وزوجته »[١] .

ففي النص السابق أمر الرفاعي للمريد أن يراعي شيخه سواء كان حاضرًا أو غائبًا ويحذر من الوقوع فيما يكرهه الشيخ لأن المتصوفة يعتقدون أن الشيخ يعلم كل ما يجري في هذا الكون ثم أمره أيضًا أن يستحضر أمامه دائمًا شخصية شيخه إذا أراد أن تقضى له مهماته ويطلبه من شيخه وحذره أيضًا من إنكار المنكر على شيخه حتى لا يسلب ما استفاده من شيخه وذلك لأن المتصوفة يعتقدون أن مشائخهم أعلى وأعظم من أن ينكر عليهم وهذا سأتعرض له إن شاء اللَّه حينما نتكلم في الآثار التي نتجت عن الفكر الصوفي في العالم الإسلامي[٢] .

ونحن نقول إن الشيخ بشر لا يعلم الغيب ولا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا ولذا لا يستحق هذه الأمور التي أمر الصيادي المريد أن يقوم بها نحو شيخه .

وذلك لأن المطلوب من المؤمن باللَّه وبرسوله حقًا هو أن يراقب اللَّه في السر والعلن لأنه هو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وأن

---

(١) « قلادة الجواهر » للصيادي (٢٧٨) وكذلك « تنبيه الأخوان » لأحمد سكيرج .

(٢) انظر (٩٦٤ ـ ١٠٠١) .

يتوجه إلى اللّٰه سبحانه وتعالى في كل ما يطلبه من دفع شر أو جلب خير .

ولذا أقول : إن دعوى الصيادي هذه هي دعوة وثنية لأنه حث الناس على عبادة الشيوخ .

ويقول يوسف العجمي :

« ومن شأن المريد إذا ذكر اللّٰه تعالى أو فعل عبادة من العبادات أن يستحضر نظر شيخه إليه ليتأدب ويضم شتات قلبه »[(١)] .

ولا ندري ماذا يرد العجمي من هذا الكلام أيريد أن ينوي شيخه مع اللّٰه في أي عبادة من العبادات أم لا ؟!!

وإلا فما الداعي أن ينوي شيخه ونظره إليه .. وهل الشيخ يعلم الغيب؟!!

ويقول علي بن عثمان خليفة الشيخ أحمد الرفاعي حاثًا أتباعه بالتوجه إليه في كل ما يريدون تحقيقه في هذه الدنيا :

« يا سادة من كان له منكم حاجة فليلزمني بها ومن شكى إلى سلطانه أو شيطانه أو زوجته أو دابته أو أرضه إن كانت لا تنبت أو نخلة لا تثمر أو دابة لا تحمل فليلزمني بها فإني مجيب له »[(٢)] .

ففي النص السابق أمر الرفاعي أتباعه أن يتوجهوا إليه ويدعوه في كل ما يريدون وأكد لهم بأنه يستجيبهم وينفذ لهم كل ما يطلبون وهذه دعوة صريحة إلى الشرك باللّٰه سبحانه وتعالى .

---

(١) « الأنوار القدسية » (٩٨/٢) ونحوه في « تنبيه الإخوان على أن الطريقة التيجانية لا يلقها إلا من له إذن صحيح » لأحمد سكيرج كل الكتاب من أوله إلى آخره في آداب المريد.

(٢) « روضة الناظرين » (ص٨٤) .

ويذكر الصيادي قصة قوم في بيروت يستغيثون بالبدوي وهو في قبره في مصر ويسألونه بحق النبي ﷺ أن ينجيهم من قبضة الإفرنج والصليبيين .

يقول الصيادي :

« وذكر أن جماعة من أهل بيروت أسرهم الإفرنج فألهمهم اللَّه أن يقولوا : يا سيدي أحمد يا بدوي إن الناس يقولون إنك تأتي بالأسرى إلى بلادهم وقد سألناك بالنبي ﷺ أن تردنا إلى بلادنا فمكنهم البدوي من الهروب من الإفرنج »[(١)] .

فهذه القصة فيها دعوة صريحة إلى التوجه إلى الشيوخ بالدعاء والاستغاثة والزعم بأنهم يغيثون من استغاث بهم ولم يورد هذه القصة إلا لتشجيع الناس لكي يقدم على عبادة البشر ويتركوا عبادة اللَّه .

وروى النبهاني عن عامر العراقي أنه أتى الشيخ إبراهيم الأعزب مودعًا فقال له إبراهيم : إذا وقعت بشدة فناد باسمي ، قال عامر : ففي صحراء خراسان أخذتنا خيالة (قطاع الطرق) فذكرت قول الشيخ وكان بجانبي رفقة فاستحييت من ذكر اسمه بلساني لأنهم لا يفهمون مثل ذلك فاختلج في صدري الاستغاثة به فلم ينم ذلك حتى رأيته على جبل يومئ بعصا إليهم فجاءوا بجميع أموالنا [(٢)] .

ففي هذا النص ذكر النبهاني بأن هذا الصوفي توجه إلى شيخه الصوفي بالدعاء والاستغاثة فأغاثه كما زعم هو وإن كنا نحن نعتقد اعتقادًا جازمًا بأنه لم يغثه لأنه ليس باستطاعته أن يغيث نفسه بعد أن مات ودخل تحت الثرى

---

(١) « قلادة الجواهر » (ص٤٠٢) .

(٢) « جامع كرامات الأولياء » للنبهاني (١/ ٣٩٤) .

فضلاً عن أن يغيث غيره والذي يهمنا من النص هو أن هذا الرجل توجه إليه بالدعاء والاستغاثة.

وذكر محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي أنه لما مات الشيخ عبد اللَّه البلتاجي زاره يوسف العجمي فضاعت حمارته في الطريق فجاء إلى قبر البلتاجي وقال له:

« يا عبد اللَّه رد علي حمارتي وإلا لم أعد أزورك فطلع الشيخ عبد اللَّه من القبر وأتاه بالحمارة من البرية وقال : يا يوسف إذا جئت لزيارتنا مرة أخرى فقيد حمارتك بقيد من حديد »[1] .

والشاهد في النص أن هذا الرجل الصوفي توجه إلى شيخه بالدعاء والاستغاثة طالبًا منه رد حمارته التي ضاعت منه وأنه بالفعل ردها إليه كما زعم هو .

ورأى أحد مريدي الشيخ عز الدين الصيادي أن ينقطع عن مجلسه وتعذر له بأعذار عديدة وفي إحدى الليالي رأى القيامة قد قامت وأنهم جاءوا به إلى جهنم فلما قذفوه في النار صاح (يا شيخي) فمد شيخه عز الدين الصيادي يده واجتذبه قبل أن يصل وقد لفح النار ثيابه فاستيقظ مذعوراً مرعوبًا وقام لوقته ذاهبًا إلى شيخه المذكور فلما دخل عليه أكب على رجليه معتذراً قال له شيخه عز الدين : « لفح اللهب كما مس ثيابك جئتنا وصانك اللَّه من النار ».

قال المريد : « لقد رأيت أثر لفح اللهب في ثيابي وفي جبة أكمام سيدي حيث صارت دخانًا »[2] .

---

(١) « قلادة الجواهر » (ص٤١٣) .

(٢) «إرشاد المسلمين» (ص١٠٢) وكذلك «خزانة الأمداد في تاريخ بني صياد» (ص٢٩ ـ ٣٠).

وهكذا يتضح لنا في النص السابق أن هذا الصوفي زعم بأن أحد المريدين استغاث بشيخه لكي ينجيه من جهنم وبالفعل استجاب له ونجاه كما زعم هو والذي يهمنا من النص هو استغاثة هذا الرجل بشيخه عز الدين الصيادي تاركًا وراءه اللَّه سبحانه وتعالى الذي يجيب المضطر إذا دعاه والذي هو بإمكانه أن يغيث من استغاث به أما هؤلاء المتصوفة الذين يزعمون هذه المزاعم فهم كذبة فجرة لا يملكون لأنفسهم دفع الضر ولا جلب النفع فضلاً عن أن يملكوه لغيرهم .

أما الآن فإليك جملة من النصوص الشعرية التي قالها المتصوفة متوجهين إلى مشائخهم طالبين منهم الإغاثة وتفريج الكرب .

فقد قال محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي متوجهًا إلى شيخه الرفاعي بالدعاء والاستغاثة :

يا رفاعي وقعت في أعتابك	فتدارك عبدًا يلوذ ببابك
يا رفاعي يا غوث كل البرايا	لا تضيع طفلاً جميلاً الرجا بك
أنت غوث الوجود مفتاح كنز الـ	ـوجود والخير صح من ميزابك
أنت حصن الملهوف والباذل الـ	ـمعروف والعاجزون من أحزابك

* * *

وأنا عبدك الذي باعتقاد	علقت راحتاه في ثوابك
فتحرك بهمة وأغثني	وتذكر تشرفي بانتسابك
رضي اللَّه عنك أدرك فاني	يا رفاعي وقعت في أعتابك[1]

(١) « الكنز المطلسم » للصيادي (ص٦١ ـ ٦٢) .

وهكذا كما نرى في هذا النص وصف الصيادي شيخه الرفاعي بأنه غوث البرايا وغوث كل هذا الوجود بكل ما فيه ووصفه بأنه حصن لكل ملهوف أصيب بكارثة وملجأ له ثم طلب منه في الأخير أن يغيثه وذكر له بأنه قد وقع في أعتابه طالبًا الإغاثة وفرج ما به من كروب وهذه كلها أمور لا تكون إلا للَّه سبحانه وتعالى فهو غيث البرايا والوجود بأكمله وهو الذي يغيث من استغاث به أما غيره من المخلوقات فلا يصح أن يوصف بهذه الأوصاف التي وصف الصيادي شيخه الرفاعي بها فإن هذا دعاء والدعاء عبادة لا يجوز صرفه لغيره سبحانه ومن صرفه لغير اللَّه فقد وقع في الشرك والمهم هذا النص كله من أوله إلى آخره شرك جلي

ويقول محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي أيضًا موجهًا الناس وداعيًا لهم إلى التوجه بالدعاء والاستغاثة بالرفاعي :

لذا بباب الجليل الرفاعي ولك الأمن مسلم الدواعي
وتململ برحبـــه فمحـــاه حرم الوصل قاطع الانقطاع
فهو في العارفين كعبة بيت الـ وصل محراب جامع الانتفاع
وملاذي وملجأي ونصيري ومغيثي ومنقذي من ضياع
فعليه الرضا من اللَّه ما صلى مصل وطاف بالبيت ساعي(١)

ويقول الصيادي أيضًا واصفًا شيخه الرفاعي :

يلاذ به إن جار في الدهر حادث ويحمي بعلياه إذا الزمن اعتدى(٢)

ويقول الصيادي أيضًا مستغيثًا بشيخه الرفاعي :

---

(١) « ديوان الفيض » المددي (ص١٢٠ ـ ١٢١) .
(٢) « تنوير أبصار » (ص١٠) .

به أحتمي إن سامني عذر غادر ... ودومًا إليه في الصعاب التجائيه
ومن كرب أستغيث باسمه ... فذا مأمني من كل عاد وعاديه
وما لي سواه في الأنام وسيلة ... ولا منجد أيام تسطو أعاديه
وما لي إله إذا جئت خائفًا ... وقمت أؤدي في القيام حسابيه[1]

إذا نظرنا في النصوص السابقة نجدها كلها من أولها إلى آخرها شرك بواح واضح لا غموض فيه .

فقد أمر الصيادي من أراد تحقيق مأرب من المآرب أن يلوذ بالرفاعي ويتململ بحمى الرفاعي ، ثم صرح الصيادي بأن الرفاعي هو ملاذه الوحيد وملجأه ونصيره ومغيثه ومنقذه من الضياع وهذه كلها أوصاف لا تليق إلا باللّٰه ومن زعم أن هذا يجوز وصف مخلوق به فقد وقع في الشرك الأكبر.

ثم وصف الصيادي شيخه الرفاعي بأنه الملاذ إذا حدث أي حادث في هذا الكون وأنه الحمى الوحيد الذي يحتمي به إذا خاف الإنسان أن يصاب بأي مكره في هذا الزمن وهذا أيضًا لا يكون إلا للّٰه فإنه هو الملاذ الوحيد لكل من أراد النجاة في هذا الكون .

ثم صرح الصيادي بأنه يحتمي بالرفاعي من غدر كل غادر في هذه الدنيا وأنه دائمًا في كل الصعاب لا يلتجئ إلا إليه لأنه ملجأه الوحيد الذي ليس له ملجأ سواه وأنه يستغيث به باسم الرفاعي إذا أصيب بأي كرب من الكروب في هذه الدنيا لأنه مأمنه الوحيد الذي يحتمي به ويطلب منه النجدة والنصرة.

وهكذا الصيادي نسي خالقه الذي قال في كتابه : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ

(١) « الكنز المطلسم » (ص٨٤ ـ ٨٥) .

دَاخِرِينَ﴾[1] .

والذي قال أيضًا : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[2] .

والذي يقول أيضًا : ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ﴾[3] .

فتوجه الصيادي إلى شيخه الرفاعي بتلك الأدعية التي سبق ذكرها والتي هي كلها شركيات كما نراها أمام أعيننا فإنا للّه وإنا إليه راجعون.

ويقول محمد نور أفندي متوجهًا إلى الرفاعي بالدعاء والاستغاثة :

يا ابن الرفاعي الرفيع مقامه	يا سيد الأقطاب والسادات
شرفت قيعان العراق جميعها	فغدت بقبرك مهبط البركات
كم نظرة وجهتها لمضيع	فجمعت الأمر منه بعد شتات
ولكم صرفت القلب نحو عويجز	فرفعت رتبته إلى الغايات
يا من يؤمل كل يوم ملمة	يا من يؤم حماه للفضحات
يا صاحب العلمين يا بحر الندى	يا عمدتي أبدًا وحصن نجاتي
أدعوك غوثًا يا ابن بنت محمد	يا سيدي يا عالي الدرجات
لا تقطعن رحمي لذنب مسني	وأقل دائمًا بفضلك عثراتي[4]

(١) غافر : (٦٠) .

(٢) البقرة : (١٨٦) .

(٣) النمل : (٦٢) .

(٤) « الكنز المطلسم » (ص٨٠ ـ ٨١) .

إذا نظرنا في هذا النص نرى بوضوح أن النص من أوله إلى آخره شرك صريح حيث وصف محمد نور أفندي شيخه الرفاعي بأنه هو الأمل الوحيد عند حصول أي ملمة وإن حماه هو الذي يأمه كل من أصيب بفضائح في هذه الدنيا حتى يسترها عليه وأنه عمدته وحصنه الوحيد وأخيراً طلب منه الإغاثة وإقالة عثراته التي قد تقع منه .

وهذه أوصاف لا يجوز أن يوصف بها غير اللَّه سبحانه وتعالى ومن صرفها لغير اللَّه كما فعل هذا الصوفي فقد وقع في الشرك الأكبر.

ويقول عبد القادر أفندي الكاتب الثاني للسلطان عبد الحميد في مدح الرفاعي :

شيخ الورى ابن أبي رفاعة أحمد ... الجم المناقب من سلالة أحمد
غوث الخليقة والغياث المرتجى ... بعد النبي لخطبها المتلدد
قصدت الغوث شيخ الكل أحمد ... وإن الغوث شيخ الكل يقصد
أبو العلمين مولانا الرفاعي ... إمام القوم والشهم الممجد
فيا للَّه من غوث جليل ... متى ناديته في الحال يوجد
تداركني أبا العليا بلطف ... فإني من نوالك صرت أحسد
وأدرك مسرعًا واردد حسودي ... وجرد سيفك العصب المهند
وكيف لا تجير أبا هموم ... يؤمل منك أن يحمى وينجد
وأنت الغوث يا شيخ البرايا ... وبابك دائمًا للخير مرصد
ملاذ الكل في الدنيا حماه ... ولا أحد من الأعتاب يطرد[1]

إذا نظرنا في الأبيات السابقة نجد أن الغلو فيها واضح حيث وصف

(١) « الكنز المطلسم » (ص٨١) .

هذا الصوفي للرفاعي بأنه غوث كل الخليفة وأنه الغياث المرتجى وأنه قد قصد الغوث الرفاعي وكل الناس يقصدونه لتفريج ما بهم من الكرب ثم وصف الرفاعي بأنه متى ناداه أي إنسان يأتيه حالاً ويقضي له قرضه ثم طلب من الرفاعي أن يتداركه بلطفه وهو مسرع ثم قال وأنت الغوث يا شيخ البرايا وأنه بابه يقصده كل من يريد الحصول على الخير وأنه المنجد الوحيد وملاذًا لكل من في هذه الدنيا وحماه ولا يطرد أحد من أعتاب قبره .

ولا عجب في هذا فإن الصوفية يعتقدون بأن الاستغاثة بالأنبياء والأولياء جائزة مطلقًا بلا قيد ولا شرط أحياءً وأمواتًا كما قال الشهاب الرملي: إن الاستغاثة بالأولياء والأنبياء والعلماء والصالحين جائزة فإن لهم إغاثة بعد موتهم كحياتهم[1] .

ويقول أحد المتصوفة في السيد البدوي وداعيًا كل من أصيب بمصيبة وأراد أن تنفرج عنه بالتوجه إلى السيد البدوي[2] :

يا من رماه الدهر بالإزعاج	**ناد بعزم يا أبا فراج**
فهذه الأزمان من الحوادث إن أتت	**وهو الملاذ لنا وعون الراجي**
وهو المراد إذا الخطوب تراكمت	**وهو المجيب لدعوة المحتاج**
وهو الطبيب لنا ومرهم طبه	**يبرى ضعيف الحال دون علاج**[3]

وقال فيه أحد المتصوفة أيضًا :

وهو المجيب لسائل يتوسل	**إذ باسمه عند المخاوف يهتف**
وهو الملاذ إذا الخطوب تراكمت	**وهو المعاذ في الشدائد يعرف**

---

(١) « مشارق الأنوار في نور أهل الاعتبار » لحسن العدوى (ص٦٧) .

(٢) « السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة » (ص٢٨٠) .

(٣) « السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة » (ص٢٨١) .

وهو الذي في الكرب يكشف غمه وهو الذي للسوء عنا يصرف
وهو الذي تلقى السعادة عنده وهو الذي يحنو عليك ويعطف
وهو الذي عمن اعتابه كل المخاوف والمتاعب يكشف[1]

ويقول فيه آخر :

إني أتيتك راجيًا ومؤملاً أنقذ مريـــدك مـــن الأشرار
وانظر علي بنظرة علوية أنجـو بها مـــن عصبة الفجار
أنا والذين معي فإنك عارف واللَّه مطلـــع علـى الأسرار[2]

وقال الآخر متوجهًا إلى السيد البدوي أيضًا بالدعاء والاستغاثة :

أتيت محاك الرب استمطر الندى وبذل إياد حالهـــن مضـارع
وحاشا وكلا أن أخيب وإن لي فؤادًا بقصد الغير ما هو قانع
نحوتك أرجو منك سالف عادتي فجد لي وأسعفني بما أنا طامع
أغيرك ينحوه المؤمل أو سوى رحابك أهل تثني اليد المطامع[3]

وقال فيه آخر :

ومما أبغي يا أبا الفتيان في خطب هاج القلب من حسراته
من لي سواك أرومه في كشفه أو أرتجي إن ضقت من وثباته
عار عليك إذا أردت خويدمًا قصر الفؤاد عليك في حاجاته[4]

إذا نظرنا في النصوص السابقة نَجد أن هؤلاء المتصوفة قد غلو في السيد البدوي غلواً شديدًا حتى رفعوه إلى منزلة الألوهية فصرفوا له أنواعًا

(١) « السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة » (ص٢٨١) .
(٢) « متابعة الأسرار ومطالعة الأنوار » (ص٥١) .
(٣) « السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة » (ص٢٨١ ـ ٢٢٠) .
(٤) « السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة » (ص٣١٩) .

عديدة من العبادات التي لا يجوز صرفها لغير اللَّه حيث توجهوا إليه بالدعاء والاستغاثة وهذا يعتبر شركًا باللَّه سبحانه وتعالى .

وقال عبد الرحمن حسنين الشريف مستغيثًا بمشائخه المتصوفة وواصفًا لهم بأنهم أصحاب التصريف في هذا الكون ومجيبو كل من دعاهم وطالبًا منهم الإغاثة لنفسه وهذا نص كلامه فقد قال :

ألا يا سادتي أنتم رجال ... هلموا وانظروا قد ضاق حالي
هم السادات أرباب العطايا ... ملوك العالمين على التوالي
هم الخلفاء للتصريف دومًا ... بذي الدنيا لهم همم عوالي
وفي الأخرى مريدهم بعز ... ينال الخير مع رتب الكمال
إذا قال تابعهم أغيثوا ... عبيدكم أتوه بكل حال
أبا العلمين يا درعي وحصني ... أغثني أنه ضاق حالي
دسوقي يا أبا العينين أدرك ... معنى لائذًا من سوء حالي
أهل أجنح لغيركم وأنتم ... ملوك الأرض بل أنتم رجالي
وهل يخفاكم حالي فحاشـــا ... بأن يرضيكم ذلي وآلي[1]

إذا نظرنا في الأبيات السابقة نرى بوضوح أن الشرك فيها باللَّه سبحانه وتعالى واضح حيث وصف فيها الأولياء بأنهم أهل التصرف في هذا الكون وهم أرباب العطايا وأن كل من توجه إليهم وصار مريدًا لهم يكون عزيزًا باستمرار وأن أي أحد من أتباعهم يستغيثوا به يغيثونه ثم توجه إلى شيخه قائلاً له أنت درعي وحصني وطالبًا منه أن يغيثه إذا ضاق حاله ثم صرح في الأخير بأنه لا يمكن أن يلتفت إلى غيرهم وهم الذين بأيديهم مقاليد الأمور في هذا الكون ثم أكد بأنهم لا يخفى عليهم شيء من حاله فهم يعلمون كل ما يكون في هذا الكون لأنهم أهل التصريف وكيف يتمكنون من التصرف

(١) « الرسالة الخيرية » لخير الدين الشريف الخلوتي (ص١٧٠ ـ ١٧١) نقلاً عن « مصرع الشرك والخرافة » (ص٤٩٨) .

المطلق في هذا الكون وهم لا يعلمون حال من غاب عنهم من مريديهم إذًا فالنص كله من أوله إلى آخره يحتوي على شرك بواح .

وهذا أحد المنتسبين إلى الطريقة القادرية واسمه الشيخ عبد المجيد بن الشيخ محمد بن الشيخ صوفي الملقب بالشيـخ عطـا يقول مادحًا للشيخ عبد القادر الجيلاني ومستغيثًا به من دون اللَّه :

تحيات الإله على ابن موسى ... أبي الفقراء إمام الأولياء

ألوذ بشيخ كل الأولياء ... أبي الفقراء إمام الأتقياء

بمدح قطب محيي الدين غوثي ... وغوثي لا يخيب به رجائي

تيقظ يا أخي لزيارة الغو ... ث بدر الدين ســـر الأصفياء

طلائع غوثه عمت جميع الورى ... يشفى بهـــا كل الوباء

قفا كم قطـــب اللَّه قفـــوا ... اقتداء منك لا قفوا لابـــاء

كريم القوم كيلاني بن موسى ... كثير الخير كعبـــة أتقياء

لئام الناس بالإنكـــار ولـــوا ... من الجيلاني وجـــه الكبرياء

ننادي باسمه فـــي كـــل حال ... وفي وقتي الشـــدة والرخاء[1]

وقال الشيخ أويس القادري الصومالي متوجهًا إلى مشائخه المتصوفة ومستغيثًا بهم لتفريج الكرب وطالبًا منهم المدد قال:

علونا علونا مذ سلكنا طريقكم ... ولا نرتقي المقام إلا بذكركم

فجودوا لنا الأمداد والفضل والعطايا ... علينا تفضلوا بحسن حماكم

أيا جملة الأحباب أنتم صبابة ... لقلب الجريح في حمايا بحبكم

إذا ما جلى العشاق بالجذبة ألسنًا ... تميل بها الأعناق في شأن شأنكم

وكونوا لنا عونًا وحفظًا مؤبدًا ... سلونا من الرحمن حفظًا لدينكم

---

(١) « جلاء العينين » (ص٥٩) .

فغيثوا أويس الواله ذا قيم ولو كان في الخطأ يرجو لقاءكم[1]

إذا نظرنا في النصين الأول والثاني السابقين نجد فيهما الغلو الشديد حيث قال صاحب النص الأول بأنه يلوذ بعبد القادر الجيلاني ويلتجئ إليه ليكشف عنه ما به من كرب ووصفه بأن غوثه عم جميع الورى ثم قال إنه ينادي باسم الشيخ عبد القادر الجيلاني في كل حال سواء كان في وقت الشدة أو وقت الرخاء وبهذا فاق في شركه المشركين الذين بعث إليهم الرسول ﷺ حيث إن أولئك المشركين كانوا يشركون باللَّه في وقت الرخاء فقط أما في وقت الشدة فكانوا يخلصون الدعاء للَّه سبحانه وتعالى كما قال تعالى في كتابه : ﴿**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**﴾.

أما النص الثاني فقد صرح أويس القادري فيه بأنه ارتفع مقامه وعلا منذ سلك طريق المتصوفة وأنه لا يمكن أن يرتقي أي مقام إلا بذكر مشائخه المتصوفة ثم توجه إليهم طالبًا منهم المدد والفضل والعطايا ثم طلب منهم أن يكونوا لهم عونًا وأن يحفظوهم دائمًا وأبدًا.

ثم طلب منهم طلبًا خاصًا لنفسه أن يغيثوه وينقذوه مما يصيبه من المكاره والنكبات والمصائب في هذه الدنيا.

وهذه كلها شركيات باللَّه سبحانه وتعالى التي بعث اللَّه الرسول لمحاربتها وإخراج الناس من ظلمات الشرك والخرافة إلى نور التوحيد الخالص.

---

(١) «الجوهر النفيس في خواص الشيخ أويس» (ص٥٢).

وقال أحد المادحين لأويس القادري :

ذكرنا الصالحين إذا ألمـــــــت بنا كـــروب يضيق بها ضميري

بأهل الفضل من قطب وغوث
نلوذ بهم كجيلاني وليث
ونرجو فيضهم بهمي كغيث

رضا اللّه عن شيخي وغوثي أويس الفاضل الفرد الكبير
زيارته لنا نـــــدب أكيد نروم بهـــا نجاة من سعير
ملاذ عمدتي جاهي وعوني به أرجو من الرحمن صوني

من الآفات بل وقضاء ديني

غياثي ملجأي هو نور عيني إمام سيد سندي نصيري
لنا منه الأساتذة الهداة كغوث سيدي علوي الكبير
لنا الأقطاب أعـــــلام ستون وأوتاد وأمجاد سيوف

على الأعدا لهم سر منيف

مئون لنا حصـــــــر ألــوف كشيخي الزيلعي القطب الوقور

ملاذي يا مرادي يا نفيس
ومسندنا وعمدتنا الأنيس

مليح أنت يا شيخـــي أويس ومادح أحمد الهادي النذير

بنثر مديحيكم والنظم أهجو

على أعدائكم غوثي وألجو
بكم لأنال أمالي وأنجو[1]

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن هذا المادح لأويس القادري قد توجه إليه بالدعاء والاستغاثة من دون اللَّه حيث وصفه بأنه ملجأه ومغيثه وملاذه ومراده وعمدته وجاهه ثم ذكر بأن من أصحاب هذه الطريقة القادرية الأقطاب والأوتاد وقد علمنا فيما سبق أن الأقطاب والأوتاد هم الذين يسيرون أمر هذا الكون حسب المعتقد الصوفي المنحرف.

ونحن نقول باختصار أن المغيث والملاذ والملجأ الحقيقي هو اللَّه سبحانه وتعالى أما سواه من المخلوقات فإنهم لا يستطيعون أن ينقذوا أنفسهم فضلاً عن أن ينقذوا غيرهم وهذه أدعية شركية تؤدي بصاحبها إلى الانسلاخ كلية من الإسلام لو قالها وهو عالم بأنها شرك باللَّه وأي شرك أعظم من هذا؟!!

وقال صاحب كتاب « الجوهر النفيس » مادحًا للشيخ أويس القادري ومتوجهًا إليه بالدعاء والاستغاثة :

مدد هيا غوثنـــا النفيس   ونفحـــة منك يا أنيس

أنت إمـــام لنـــا رئيـــس

مدد مدد شيخنـــا أويـــس   مـــدد غـــوثنا أويـــس

أنت غيـــاث الورى ظهيـــر

---

(١) « الجوهر النفيس في خواص الشيخ أويس » (ص١٩٧ ـ ٢٠١) .

وشمس دين كذا شهير

طريق غوث الورى الجيلاني عبد لقادرنـــــا أويـــس

لأمرك الأمر أطـــــاعت ولقلوب الأعـــادى راعت

أخباركم وبحسن ذاعت

شهرتكم في الأنام شاعت أنت الشفا شيخنا أويس

من كل داء ومن ملاهي

ومن كروب ومن ملاهـــي

بكم نلوذ إذا اتسمـــت بنا الكـــروب وكذا وهمت

كل الأعادي بنا وعمت[1]

إذا نظرنا في النص السابق نجد كله يدور حول الاستغاثة بالشيوخ ودعائهم من دون اللَّه وكما نعلم فالدعاء عبادة وصرف العبادة لغير اللَّه شرك بواح .

وقال أحد المادحين لأويس القادري ومتوجهًا إليه بالدعاء والاستغاثة :

مدد يا صاحب العـــاطر أويـــس القـــادري شـــاهر

أبث إليك حاجـــاتي فأسعدنـــي أبـــا شاعـــر

بهي الوجه بابـــك مـــن يقـف يومـــًا يعـــد ظافر

تقي أنـــت توجنـــي بتاج الأوليـــاء فـــاخر

ثبتني يا مـــلاذي فـــي محبتكـــم أيـــا ذاكر

(١) « الجوهر النفيس في خواص الشيخ أويس » (ص١٩٠) .

زيارته عظيـــــــم يا	فتى كالغـــوث قـــم بادر
سعيــــــد مــن زاره أو	رأى فـــي النـــوم يا سامر
ظهيــر كن لنــا ولمن	غـدى لضريحكـــــم زائر
فقاتلـــه شقـــــــي	ليس يفلح دائمًـــا خـــاسر
قريب في ضريحــــــه	ثم حي يسمــــع الزائر
كشيخه عبـــد قـــادرنا	مرتبتــــــة مــــن الفاطر
لئيمًا لا يكــــون وصيكم	يا صــــاحب العـــاطر
مناءي ملجـــأي مـــأوي	الغريب مبيــــد للكـــافر
يقينًا مـــــــن أتا لجنا	بكم ينجو من الضائر[1]

وقال أحد القادرية مادحًا للشيخ أويس القادري ومقرًا له بأنه غياث جميع منْ هذا الورى :

حي شافع غياث الورى معين منجي كاشف الكروب

وقد ذكر القادرية للشيخ أويس القادري الصومالي عدة أسماء وادعوا بأن من قرئت عليه هذه الأسماء يبرأ في حينه[2] .

كما نرى في البيت السابق ادعى فيه هذا القادري الصوفي بأن غياث جميع ما في هذا الكون هو شيخه أويس القادري وهذا شرك جلي واضح لكل منصف كفيل بإخراج الإنسان من الانسلاخ منه إذا قاله وهو يعرف أنه شرك .

وقال الشيخ علي بن محمد زوبله الصومالي القادري في مدحه شيخه

---

(١) « الجوهر النفيس في خواص الشيخ أويس » (ص٢١٢) .

(٢) انظر « الجوهر النفيس في خواص الشيخ أويس » (ص١٥) .

محيي الدين العلي ومسغيثًا به من دون اللَّه :

فلاح لمن في جوفه حب شيخنا	ممجد يحتوي على بلوغ المسرة
قريب لمن ناداه باسمه قاهر	معادى مريديه مصيب بمحنة
له العز والتصريف في الكون والعلا	له الخارقات كالتراب بكثرة
مربي ومرشدي ملاذي به مؤمن	ميازيب علم اللَّه محيي الطريقة
مهين ذليل لائذ في حماكمو	على سل له الإله رفع البلية
نلوذ بمحيي الدين نور البصائر	من الضر والأذى وضيف المعيشة
هو الغوث للأنام والليث للعدى	هو الغار للمريد عند الأزمة
لا بغي بمدحه بلوغ المطالب	بدينا وأخرى رب جد لي بسرعة
يمينا بأن اللَّه ينجي جميع من	يلوذ بمحيي الدين مع حسن نية[1]

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن علي بن محمد بن زويلة قد ادعى بأن شيخه محيي الدين العلي له التصرف في السموات والأرض وأنه ملاذه الوحيد وادعى بأنه يلوذ به إذا أصيب بضر أو أذى أو أصيب بضيق معيشي ووصفه بأنه هو الغوث لهذا الأنام كله وهذا شرك جلي واضح الذي بعث الرسل وأنزلت الكتب من أجل محاربته .

وقال السيد جعفر الصادق[2] مادحًا لمحمد الطيب الحسن أحد أفراد الطريقة الختمية المشهورة متوجهًا إليه بالدعاء والاستغاثة :

أنت الغياث إذا ناداك ذو كرب	أنت العياذ ملاذ الخائف الحزن
أنت الصفوح عن الزلات يا أملي	كجدك المصطفى المعهود بالمنن

---

(١) « تذكرة أهل اليقين في مناقب الشيخ محيي الدين » (ص٨٦) .

(٢) هو السيد جعفر الصادق بن محمد عثمان الميرغني السوداني حفيد محمد عثمان الميرغني مؤسس الطريقة الختمية والتي انتشرت انتشاراً واسعًا في السودان وأرتيريا .

أنت الرحيم وقاك اللّه كل ردى ... ودمت تهدي الورى ما دمت في الزمن
عين العناية يا سر الرعاية ... يا نور الهداية هادي واضح السنن
قطب الطريقة غوث السالكين أغث ... من جاءكم قاصدًا يا كامل الفطن
يا ضنو مجد أخاك فضل حليف ندى ... يا روح روحي وروح الجسم والبدن
أنبذ كلام وشاة عمهم عمه ... باءوا بخزي النار والهم والحزن[1]

فالنص السابق وصف فيه هذا الصوفي شيخه بأنه الغياث لكل من أصيب بكربة وناداه وأنه العِياذ والملاذ لكل خائف ثم وصفه بأنه غوث لكل من سلك طريق المتصوفة وطلب منه أن يغيث كل من جاءه قاصدًا له وهكذا فقد نسي اللّه نهائيًا وأله الشيخ وصرف له أنواعًا من العبادات لا يجوز صرفها لغير اللّه .

والخلاصة التي نخرج بها من هذا المطلب بعد إيرادنا لنصوص عديدة من كتب عديدة من كتب المتصوفة ومن مشائخ عديدين أن المتصوفة بالفعل نسوا اللّه عز وجل نهائيًا وصرفوا الدعاء والاستغاثة لمشايخهم وهذا أمر لا يجوز في الإسلام لأن الدعاء والاستغاثة عبادة لا يجوز صرفها لغير اللّه .

وفي المطلب الآتي سنذكر حكم الإسلام في دعاء غير اللّه وبه سيتقرر حكم صرف الدعاء لغير اللّه وذلك بإيراد أدلة من الكتاب والسنة وأقوال العلماء قديمًا وحديثًا إن شاء اللّه تعالى .

---

(١) « الديوان الكبير » لجعفر الصادق الميرغني (ص٧٣) وانظر كذلك كتاب « الزيارات » لمحمود العدوي (ص٢٩) وكذلك « سفينة اللجوء » (ص٤١) .

المطلب الثاني

حكم دعاء غير اللَّه في الإسلام

إذا أردنا أن نعرف حكم الإسلام في دعاء غير اللَّه فلابد وأن نرجع إلى كتاب اللَّه عز وجل وسنة رسوله محمد ﷺ ونقرأ فيهما بتدبر حتى نعرف حكم الإسلام في دعاء غير اللَّه .

وإذا رجعنا إليهما فسنجد بأنهما دلا دلالة واضحة على أن دعاء غير اللَّه شرك وإلى جانب ذلك فقد صرح كثير من أئمة العلم في عصور مختلفة بأن دعاء غير اللَّه شرك وكفر وسأبدأ أولاً بذكر الأدلة من القرآن الكريم التي تدل على أن دعاء غير اللَّه شرك ثم سأتبع ذلك بنصوص من السنة النبوية ثم سأتبعه بأقوال العلماء وذلك حتى نقطع الحجة على أولئك الصوفية القبوريين الذين يتوجهون بالدعاء والاستغاثة إلى مشائخهم في السراء والضراء معرضين عن اللَّه سبحانه وتعالى .

أولاً : الأدلة من القرآن الكريم التي تدل على أن دعاء غير اللَّه شرك:

لقد تنوعت دلالة القرآن الكريم على كفر من دعا غير اللَّه تعالى وجاءت بأساليب شتى وطرق متنوعة وإليك نماذج من هذه الأساليب .

أولاً : توجد في القرآن الكريم آيات تدل على أن الدعاء عبادة وهذا يدل على أن من صرفه لغير اللَّه تعالى قد أشرك باللَّه تعالى معه غيره وكفر لأن من صرف شيئًا من العبادات لغير اللَّه تعالى فقد أشرك واللَّه سبحانه وتعالى قد أمر عباده أن يخلصوا له العبادة ونهاهم عن أن يشركوا به في كثير من الآيات القرآنية .

* ومن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾[1] .

* ومنها قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي﴾[2] .

* ومنها قوله تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[3] .

* ومنها قوله تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[4] .

فالآيات المتقدمة كلها تحث على إخلاص العبادة للَّه سبحانه وتعالى وحده لا شريك له وتنهى عن أن يشرك فيها معه غيره وما دام الأمر كذلك فيجب أن يفرد اللَّه سبحانه بالدعاء أيضًا لأنه عبادة وصرف العبادة لغيره سبحانه شرك جلي والشرك باللَّه يعتبر ظلمًا عظيمًا كما قال تعالى حكاية عن لقمان : ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[5] .

* ومن أمثلة الآيات التي تدل على أن الدعاء عبادة قوله تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ

---

(١) البينة : (٥) .

(٢) الزمر : (١١ ـ ١٤) .

(٣) النساء : (٣٦) .

(٤) الكهف : (١١٠) .

(٥) لقمان : (١٣) .

جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[1] .

* ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾[2] .

* ومنها قوله تعالى: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ۝٤٨ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾[3] .

والقصد من إيرادها في هذا المطلب هو الإثبات بأن الدعاء عبادة من أجل العبادات التي لا يجوز صرفها لغير اللَّه سبحانه وتعالى .

ثانيًا : هناك آيات قرآنية كثيرة وصفت صرف الدعاء لغير اللَّه شركًا أو كفرًا ووصفت الذين يدعون غير اللَّه بأنهم مشركون أو كفرة .

* من هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[4] .

* ومنها قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٤٠ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾[5] .

* ومنها قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾[6] .

---

(١) غافر : (٦٠) .

(٢) الأحقاف : (٥ ـ ٦) .

(٣) مريم : (٤٨ ـ ٤٩) .

(٤) فاطر : (١٤) .

(٥) الأنعام : (٤٠ ـ ٤١) .

(٦) الجن : (٢٠) .

* ومنها قوله تعالى : ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[1] .

قال الشيخ سليمان بن عبد اللَّه في هذه الآية رحمه اللَّه :

« والآية نص في أن دعاء غير اللَّه والاستغاثة به شرك أكبر »[2] .

* ومنها قوله تعالى : ﴿قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾[3] .

ومنها قوله تعالى : ﴿ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾[4] .

فقد بينت هذه الآية أن الذي يكره إخلاص الدعاء للَّه تعالى ويفرح ويستبشر إذا دعي أصحاب القبور كافر مشرك .

فهذه الآيات التي سبق ذكرها آنفًا تدل دلالة صريحة على أن من دعا غير اللَّه تعالى مشرك كافر.

ثالثًا : هناك آيات في القرآن الكريم تدل على أن دعاء اللَّه وحده في الشدة إخلاص وتوحيد وأن دعاء غير اللَّه في الرخاء شرك وكفر واتخاذ أنداد للَّه تعالى .

فمن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[5] .

---

(١) المؤمنون : (١١٧) .

(٢) « تيسير العزيز الحميد » .

(٣) الأعراف : (٣٧) .

(٤) غافر : (١٢) .

(٥) العنكبوت : (٦٥ ـ ٦٦) .

* ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[1] .

* ومنها قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾[2] .

* ومنها قوله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾[3] .

رابعًا : هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم وصفت من دعا غير اللَّه بأنه ظالم وضال ، والظلم والضلال كثيراً ما يطلقان على الكفر كما في حديث ابن مسعود مرفوعًا أينا لم يظلم نفسه . . . وفيه « **ألم تسمع قول لقمان إن الشرك لظلم عظيم** »[4] .

وقد ذكر الشاطبي استعمالات الضلال في القرآن الكريم ثم خرج بنتيجة إلى أن الضلال في غالب الأمر إنما يستعمل في موضوع يزل صاحبه لشبهة تعرض أو تقليد من عرضت له الشبهة فيتخذ ذلك الزلل شرعًا ودينًا يدين به مع وجود واضحة الطريق الحق ومحض الصواب[5] .

---

(١) النحل : (٥٣ ـ ٥٥) .

(٢) الزمر : (٨) .

(٣) الأنعام : (٤٠ ـ ٤١) .

(٤) البخاري مع الفتح (١/ ٨٧) .

(٥) « الاعتصام » للشاطبي (١/ ١٣٩) .

* فمن الآيات التي تدل على أن الشرك ظلم عظيم قوله تعالى حكاية عن لقمان : ﴿ **يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾[1] .

فلقمان عليه السلام بدأ وصاياه لابنه بتحذيره من الشرك لأنه المهلك الذي لا نجاة لأحد إلا إذا تخلى عنه وتاب وأناب إلى اللّه .

* ومن الآيات التي تدل على أن الشرك ضلال بعيد قوله تعالى : ﴿ **وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً** ﴾[2] .

* ومنها قوله تعالى : ﴿ **فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ** ﴾[3] .

* ومن الآيات التي تدل على أن من يدعو غير اللّه ظالم قوله تعالى : ﴿ **وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ** ﴾[4] .

* ومن الآيات التي تدل على أن من يدعو غير اللّه ضال قوله تعالى : ﴿ **يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ** ﴾[5] .

* ومنها قوله تعالى : ﴿ **لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ** ﴾[6] .

---

(١) لقمان : (١٣) .

(٢) النساء : (١١٦) .

(٣) المائدة : (١٢) .

(٤) يونس : (١٠٦) .

(٥) الحج : (١٢) .

(٦) الرعد : (١٤) .

ثانيًا : الأدلة من السنة المشرفة على أن دعاء غير اللَّه شرك :

لقد رويت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ تدل على أن الدعاء عبادة من هذه الأحاديث :

قول النبي ﷺ : « **الدعاء هو العبادة** »[١] .

إذا نظرنا في الحديث السابق نرى بوضوح أن الرسول صرح فيه بأن الدعاء عبادة وما دام كذلك فصرفه لغير اللَّه شرك .

وهناك أحاديث كثيرة تدل على وجوب إفراد اللَّه بالدعاء والسؤال والاستعانة من هذه الأحاديث حديث ابن عباس في وصية النبي ﷺ له : «**إذا سألت فاسأل اللَّه وإذا استعنت فاستعن باللَّه** »[٢] .

وهناك أحاديث تدل على أن من دعا غير اللَّه تعالى يدخل النار دخول الخلود وهذا يدل على أن دعاء غير اللَّه كفر باللَّه وشرك به .

من هذه الأحاديث حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال : قال النبي ﷺ كلمة وقلت أخرى ، قال النبي ﷺ : « **من مات وهو يدعو من دون اللَّه ندًا دخل النار** » وقلت أنا : من مات وهو لا يدعو للَّه ندًا دخل الجنة[٣] .

فالأحاديث المتقدمة كلها تدل بمجموعها على أن دعاء غير اللَّه يعتبر شركًا باللَّه سبحانه وتعالى وكتاب اللَّه عز وجل وسنة رسوله محمد ﷺ فيهما الكفاية لمن أراد الهدى إلا أنني أريد أن أذكر جملة من أقوال العلماء

(١) « سنن الترمذي » (٥/ ٤٢٦) .

(٢) « سنن الترمذي مع تحفة الأحوذي » (٧/ ٢١٩) وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (ص٢٠٢) وابن أبي عاصم في « السنة » (١/ ١٣٨) .

(٣) « صحيح البخاري » مع الفتح (٨/ ١٧٦) .

قديمًا وحديثًا التي صرحوا فيها بأن دعاء غير اللَّه يعتبر شركًا .

ثالثًا : أقوال العلماء في حكم دعاء غير اللَّه :

أريد في هذه الفقرة أن أذكر نبذة من أقوال العلماء وذلك من أجل إقناع بعض الناس الذين لا يذعنون للقرآن والسنة مهما ذكرت لهم من أدلة إلا إذا قلت لهم إن العالم الفلاني قال كذا وكذا ولكي أؤكد على أن من اعتبر دعاء غير اللَّه شركًا ليس المتأخرين فقط والذين يسمونهم بالوهابية بل هذا الحكم هو حكم اللَّه وحكم رسوله وهو مذهب أهل السنة والجماعة على مدار التاريخ الإسلامي الطويل وإلى أن يرث اللَّه الأرض ومن عليها .

* فمن العلماء الذين استنكروا دعاء غير اللَّه واعتبروه شركًا باللَّه سبحانه وتعالى الشيخ الإمام صنع اللَّه بن صنع اللَّه الحلبي الحنفي[(١)] .

فقد قال رحمه اللَّه : « هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم ويستغاث بهم في الشديد والبليات وبهم تكشف المهمات فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات » . . . إلى أن قال : « وهذا كلام فيه تفريط وإفراط بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي لما فيه من روائح الشرك المحقق ومصادمة الكتاب العزيز المصدق ومخالفة لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه الأمة »[(٢)] .

* ومن العلماء الذين استنكروا التوجه بالدعاء إلى غير اللَّه واعتبروه

---

(١) هو صنع اللَّه بن صنع اللَّه الحلبي الأصل المكي سكنًا الحنفي واعظ فقيه محدث له من المؤلفات « أرجوزة في الحديث » و « سيف اللَّه على من كذب على أولياء اللَّه » (ت ١١٢٠) « معجم المؤلفين » (٥/ ٢٤) .

(٢) « القول الفصل » (٤٨/ ٤٩) و« حكم اللَّه الواحد الصمد » (ص١٣) .

شركًا باللَّه أحمد بن عبد الرحيم بن وجيه الدين المعروف بشاه ولي اللَّه الدهولي العمري الحنفي فقد قال بعد أن ذكر تعريف الشرك ومظاهره وقوالبه ومظانه عند المشركين وذكر منها السجود قال :

« ومنها أنهم كانوا يستعينون بغير اللَّه في حوائجهم من شفاء المريض وغناء الفقير وينذرون لهم ويتوقعون إنجاح مقاصدهم بتلك النذور ويتلون أسماءهم رجاء بركتها فأوجب اللَّه تعالى عليهم أن يقولوا في صلواتهم : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾[(١)] وقال تعالى : ﴿ **فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾[(٢)] » .

وقال أيضًا : « كل من ذهب إلى بلدة أجير أو قبر سالار ومسعود أو ما ضاهاها لأجل حاجة يطلبها فإنه أثم إثمًا أكبر من القتل والزنا وليس مثله إلا مثل من كان يعبد المصنوعات أو مثل من كان يعبد اللات والعزى »[(٣)] .

وقال أيضًا : « واعلم أن طلب الحوائج من الموتى عالمًا بأنه سبب لإنجاحها كفر يجب الاحتراز عنه تحرمه هذه الكلمة والناس اليوم فيها منهمكون »[(٤)] .

* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء الأموات وطلب الحاجات منهم الشيخ محمد بن إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي الشهير فقد وصف نداء الأموات في رسالة التوحيد أو تقوية الإيمان له بأنه شرك باللَّه عز وجل[(٥)] .

---

(١) الفاتحة : (٥) .

(٢) الجن : (١٨) .

(٣) البصائر : (٢٧٣) .

(٤) « البصائر » (٢٧٣) نقلاً عن « الخير الكثير » للدهلوي (ص١٠٥) .

(٥) « تقوية الإيمان » لمحمد بن إسماعيل الدهلوي (ص٦٥ ـ ٦٧) .

* ومن العلماء الذين صرحوا بأن دعـــاء غير اللّه شــرك : الشيـخ عبد العزيز بن ولي اللّه الدهلوي فقد قال :

« قد أفرط الناس من هذه الأمة في باب الاستعانة بالأرواح الطيبة فما يفعله الجهلة والعوام وما يعتقدون لها من استغلال في كل عمل فهو من غير شك شرك جلي »[1] .

* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير اللّه واعتبــروه شــركًا باللّه: أبو عبد الكريم محمد سلطان بن أبي عبد اللّه محمد المعصومي فقد قال بعد أن ضرب عدة أمثلة لاستغاثات المتصوفة بالأولياء :

« اعلموا أيها المسلمون ـ وفقني اللّه وإياكم لما فيه رضاه ويا أيها الحنفيون هداني اللّه تعالى وإياكم إلى الصراط المستقيم أن هذه الكلمات كلها شرك وكفر وضلال في الدين الإسلامي والشرع المحمدي والمذهب الحنفي بل المذاهب الأربعة إجماعًا وقائلها مشرك لا تصح صلاته ولا صيامه ولا حجه ولا إمامته إلا إذا تاب وآمن وأعلن توبته كما أشهر شركه »[2] .

* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير اللّه واعتبروه شركًا باللّه أحمد ابن علي بن عبد القادر المعروف بالشافعي المقريزي فقد قال رحمه اللّه :

« وشرك الأمم كله نوعان شرك في الإلهية وشرك في الربوبية فالشرك في الإلهية والعبادة هو الغالب على أهل الشرك وهو شرك عباد الأصنام وعباد الملائكة وعباد الجن وعباد المشائخ والصالحين الأحياء والأموات الذين قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى اللّه زلفى ويشفعوا لنا عنده وينالنا بسبب قربهم من

---

(١) « مجموع فتاوى عبد العزيز » (ص١٢١) نقلاً عن « هامش رسالة التوحيد » (ص٦٧) .

(٢) « حكم اللّه الواحد الصمد » (٤ ـ ٧) .

اللَّه وكرامته لهم قرب وكرامة »[1] .

* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير اللَّه واعتبروه شركًا باللَّه وكفرًا عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي المشهور بأبي شامة.

فقد ذكر ما وقع من جهال العوام من انتمائهم إلى طريقة الفقر والتصوف واعتقادهم في المشائخ المتصوفة الضالين المضلين ثم قال :

« وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها » .

ثم ذكر ما تفعله العامة من تحليق الحيطان والعمد وإيقاد السراج على المواضع يزعم أنه رأى في المنام أحدًا ممن اشتهر بالصلاح والولاية إلى أن يصل بهم الحال إلى تعظيم تلك الأماكن ورجاء الشفاء وقضاء الحوائج منها بالنذر وهي ما بين عيون وشجر وحائط وفجر[2] .

* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير اللَّه واعتبروه شركًا باللَّه الشيخ أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي رحمه اللَّه[3] .

* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير اللَّه واعتبروه شركًا باللَّه سبحانه وتعالى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه اللَّه فقد قال :

« فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعًا من الإلهية مثل أن يدعوه من دون اللَّه مثل أن يقول يا سيدي فلان أغثني أو أجرني أو أنت

---

(١) « تجريد التوحيد » للمقريزي (ص١٤) .

(٢) « الباعث على إنكار البدع والحوادث » لأبي شامة (٢٣) .

(٣) انظر « تلبيس إبليس » لابن الجوزي (ص٤٠٢) وكذلك « مفيد المستفيد » (ص٣٠١) .

حسبي أو أنا في حسبك فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل »[1] .

* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير اللَّه واعتبروه شركًا باللَّه الإمام ابن القيم رحمه اللَّه فقد قال في معرض حديثه عن أنواع الشرك :

« ومن أنواعه طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم وهذا أصل شرك العالم فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعًا فضلاً عمن استغاث به وسأله قضاء حاجته أو سأله أن يشفع له إلى اللَّه فيها . . . والميت محتاج إلى من يدعو له ويترحم عليه ويستغفر له كما أوصانا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم ونسأل لهم العافية والمغفرة فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة واستقضاء الحوائج والاستغاثة بهم وجعلوا قبورهم أوثانًا تعبد وسموا قصدها حجًا واتخذوا عند الوقفة وحلق الرأس فجمعوا بين الشرك بالمعبود الحق وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبة أهله إلى التنقص للأموات وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأولياءه الموحدين له الذين لم يشركوا به شيئًا بذمهم وعيبهم ومعاداتهم وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا وأنهم أمروهم به وأنهم يوالونهم عليه وهؤلاء هم أعداء الرسل والتوحيد في كل زمان ومكان وما أكثر المستجيبين لهم »[2] .

وذكر رحمه اللَّه تعالى زيارة القبور الزيارة الشرعية للدعاء لهم والترحم عليهم والاستغفار ثم قال :

---

(١) « الوصية الكبرى » إلى الشيخ المدى ضمن الفتاوى (٣/ ٣٩٥) وعنه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في « الرسائل الشخصية » (١٧٧) .

(٢) « مدارج السالكين » لابن القيم (١/ ٣٤٦ - ٣٤٧) .

« فأبى المشركون إلا دعاء الميت والإشراك به والإقسام على اللَّه به وسؤاله الحوائج والاستغاثة به والتوجه بعكس هديه ﷺ فإنه توحيد وإحسان إلى الميت وهدي هؤلاء شرك وإساءة إلى نفوسهم وإلى الميت وهم ثلاثة أقسام : إما أن يدعو الميت ، أو يدعو به ، أو عنده ويرون الدعاء عنده أوجب وأولى من الدعاء في المساجد ومن تأمل هدي رسول اللَّه ﷺ وأصحابه تبين له الفرق بين الأمرين وباللَّه التوفيق »[1] .

* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير اللَّه واعتبروه شركًا باللَّه الإمام الحافظ ابن عبد الهادي رحمه اللَّه فقد قال ما ملخصه :

« إن المبالغة في تعظيم الرسول ﷺ بالحج إلى قبره والسجود له والطواف به واعتقاد أنه يعلم الغيب وأنه يعطي ويمنع ويملك لمن استغاث به من دون اللَّه الضر والنفع وأنه يقضي حوائج السائلين ويفرج كربات المكروبين وأنه يشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء فهذه المبالغة مبالغة في الشرك وانسلاخ من ذمة الدين »[2] .

وإذا كان هذا الحكم فيمن اعتقد في الرسول هذا المعتقد فمن باب أولى من اعتقد النفع والضر في غير الرسول وتوجه إليه بالدعاء والاستغاثة كما يفعله المتصوفة مع أوليائهم .

* ومن العلماء الذين اعتبروا دعاء غير اللَّه شركًا الحافظ ابن رجب رحمه اللَّه تعالى فقد قال :

« إن قول العبد لا إله إلا اللَّه يقتضي أن لا إله غير اللَّه والإله هو الذي

---

(١) « زاد المعاد في هدي خير العباد » لابن القيم » (١/ ٢٥٧) .

(٢) « الصارم المنكي في الرد على السبكي » (ص٣٥١) .

يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالاً ومحبة وخوفًا ورجاءا وتوكلاً عليه وسؤالاً منه ودعاء له ولا يصلح ذلك كله إلا للّه عز وجل فمن أشرك مخلوقًا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحًا في إخلاصه في قوله لا إله إلا اللّه ونقصًا في توحيده وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك وهذا كله من فروع الشرك »[1] .

* ومن العلماء الذين اعتبروا دعاء غير اللّه شركًا الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني فقد قال رحمه اللّه :

« إن من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو جني أو حي أو ميت أنه ينفع أو يضر أو أنه يقرب إلى اللّه أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به والتوسل به إلى الرب . . . فإنه قد أشرك مع اللّه غيره واعتقد ما لا يحل اعتقاده كما اعتقده المشركون في الأوثان فضلاً عمن ينذر بماله وولده لميت أو حي أو يطلب من ذلك الميت ما لا يطلب إلا من اللّه تعالى من الحاجات من عافية مريضة أو قدوم غائبة أو نيله لأي مطلب من المطالب فإن هذا هو الشرك بعينه الذي كان ويكون عليه عباد الأصنام »[2] .

وقال أيضًا في مكان آخر من نفس الكتاب :

« ومن نادى اللّه ليلاً ونهارًا وسرًا وجهارًا وخوفًا وطمعًا ثم نادى معه غيره فقد أشرك في العبادة فإن الدعاء من العبادة »[3] .

---

(١) « كلمة الإخلاص وتحقيق معناها » للحافظ بن رجب الحنبلي (ص٢٣ ـ ٢٤) .

(٢) « تطهير الاعتقاد » للصنعاني (ص١٩ ـ ٢٠) .

(٣) « تطهير الاعتقاد » للصنعاني (ص٢٦) .

* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير اللَّه واعتبروه شركًا باللَّه تعالى الشيخ حسين بن مهدى النعمي فقد قال رحمه اللَّه بعد كلام طويل له في موضوع الدعاء :

« فحينئذ علمت إن شاء اللَّه تعالى بالبرهان الصحيح واليقين الذي لا يخالطه أدنى ريبة ولا ينتابه أو يتصور عليه وهم أو يتطفل عليه شك أن دعاء المخلوق وقصده بذلك من متفاحش الظلم ومتبالغ الشرك ومنازعة في خاص حق اللَّه وخضوع وتذلل بخالص عبادته لسواه إذ روح كونك عبد إله تعالى هو هذا المقام وهذا التكليف والتصور بهذه الحالة »[1] .

فقد صرح النعمي رحمه اللَّه في النص السابق بأن دعاء غير اللَّه تعالى من أبلغ الشرك وأفحش الظلم إذ هو وضع للعبادة التي هي من خصائص اللَّه في غير محلها الذي هو المخلوق .

* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير اللَّه واعتبروه شركًا باللَّه الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني فقد قال رحمه اللَّه :

« إن من اعتقد في ميت من الأموات أو حي من الأحياء أنه يضره أو ينفعه إما استقلالاً أو مع اللَّه تعالى أو ناداه أو توجه إليه أو استغاث به في أمر من الأمور التي لا يقدر عليها المخلوق لم يخلص التوحيد للَّه ولا أفرده بالعبادة إذ الدعاء بطلب وصول الخير إليه ودفع الضر عنه هو نوع من أنواع العبادة وإن الشرك هو دعاء غير اللَّه تعالى أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه أو التقرب إلى غيره بشيء مما لا يتقرب به إلا إليه »[2] .

---

(١) « معارج الألباب في مناهج الحق والصواب » للنعمي (ص١٩٣) .

(٢) « الدر النضيد » للشوكاني (ص٣٣) .

* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير اللّه واعتبروه شركًا باللّه الشيخ محمد صديق خان القنوجي البخاري فقد قال رحمه اللّه :

« فمن استغاث بغيره ـ أي اللّه ـ في الشدائد ودعا غيره فيها فقد كفر»[1] .

وقال أيضًا رحمه اللّه : « فالدعاء هو التوحيد فمن دعا غير اللّه فقد أشرك ودعاء غيره سبحانه شرك لا شك فيه »[2] .

* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير اللّه واعتبروه شركًا باللّه الشيخ محمد بن عبد الوهاب الداعية البارز الذي قام بالدعوة إلى اللّه على ضوء الكتاب والسنة ووجه من قبل المتصوفة القبوريين بالمحاربة والمعارضة ولكنه قد صمد أمامهم مستعينًا باللّه سبحانه وتعالى حتى أظهر اللّه هذه الدعوة السلفية وعم بنفعها أرجاء العالم بحيث ما من بلد في هذا العالم قرب أو بعد إلا وتجد من يعتقد المعتقد الصحيح المعتمد على الكتاب والسنة وهذا بفضل هذه الدعوة السلفية المباركة بعد اللّه سبحانه وتعالى وقد تكلم الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه اللّه عن توحيد الألوهية بإسهاب ويلاحظ ذلك كل من يقرأ في كتبه رحمه اللّه تعالى فمثلاً كتابه المسمى بكتاب « التوحيد » من أوله إلى آخره كله دعوة إلى إفراد اللّه بالعبادة من دعاء وتوكل وذبح ونذر وغيرها من العبادات والنهي عن صرفها لغيره كائنًا من كان .

وإليك مقتطفات من أقواله رحمه اللّه التي تدل على استنكاره لدعاء غير اللّه واعتبار من يفعل ذلك مشركًا .

---

(١) « الدين الخالص » لمحمد صديق خان (١/ ١٨٣) .

(٢) « الدين الخالص » لمحمد صديق خان (١/ ٢٢٢) .

فقد قال رحمه اللَّه : « اعلم أن من نواقض الإسلام عشرة » فذكر الناقض الأول ثم قال : « الثاني من جعل بينه وبين اللَّه وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم كفر إجماعًا »[1] .

وعقد في كتاب « التوحيد » بابًا بعنوان : « باب من الشرك أن يستغيث بغير اللَّه أو يدعو غيره » وذكر في مسائل هذا الباب المسألة الثالثة : أن هذا هو الشرك الأكبر »[2] .

وأيضًا : « وأما النذر له ـ أي القبر ـ ودعاؤه والخضوع له فهو من الشرك الأكبر »[3] .

وقال أيضًا رحمه اللَّه :

« فمن عبد اللَّه ليلاً ونهارًا ثم دعا نبيًا أو وليًا عند قبره فقد اتخذ إلهين اثنين ولم يشهد أن لا إله إلا اللَّه لأن الإله هو المدعو »[4] .

* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير اللَّه واعتبروه شركًا باللَّه الشيخ سليمان بن عبد اللَّه حيث قال رحمه اللَّه بعد أن ذكر الآيات والأحاديث وأقوال العلماء في هذا الموضوع :

« وقد تبين بما ذكر . . . أن دعاء الميت والغائب والحاضر فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه والاستغاثة بغير اللَّه في كشف الضر أو تحويله هو الشرك الأكبر بل هو أكبر أنواع الشرك لأن الدعاء مخ العبادة ولأن من خصائص الألوهية إفراد اللَّه بسؤال ذلك إذ معنى الإله هو الذي يعبد لأجل هذه الأمور ولأن الداعي إنما يدعو إلهه عند انقطاع أمله مما سواه وذلك خلاصة التوحيد وهو

---

(١) « مؤلفات الشيخ القسم الأول العقائد » (ص٣٨٥) .

(٢) كتاب « التوحيد » للشيخ محمد بن عبد الوهاب (٥٠ ـ ٥١) .

(٣) القسم الثالث الفتاوى (ص٧٠) .

(٤) « الرسائل الشخصية » (ص١٦٦) .

انقطاع الأمل مما سوى اللّٰه فمن صرف شيئًا من ذلك لغير اللّٰه فقد ساوى بينه وبين اللّٰه وذلك هو الشرك[1] .

* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير اللّٰه واعتبروه شركًا باللّٰه الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ فقد قال رحمه اللّٰه بعد أن ذكر الأدلة التي تثبت بأن الدعاء عبادة :

« فإذا عرفت بصحيح المنقول وصريح المعقول أن الدعاء عبادة وأن مدلوله السؤال والطلب ، فمن صرف من هذه العبادات شيئًا لغير اللّٰه فقد أشرك مع اللّٰه غيره في عبادته كائنًا ما كان لعموم النهي عن دعوة غير اللّٰه في القرآن كله من أوله إلى آخره فمن ادعى أنه يصرف منه شيء لأحد سوى اللّٰه فقد صادم الكتاب والسنة وخالف ما اجتمعت دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم فيما دعوا إليه أممهم بقولهم : ﴿**أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ**﴾[2] .

ونكتفي بهذا في ذكر أقوال العلماء الذين استنكروا دعاء غير اللّٰه واعتبروه شركًا باللّٰه ودعوا إلى محاربته مع وجود غيرهم من العلماء الذين استنكروا دعاء غير اللّٰه واعتبروه شركًا باللّٰه وتركناهم خشية الإطالة وما كنا نطول بسرد هذه الأقوال الكثيرة عن العلماء لولا وجود طائفة من الناس لا يمكن أن تقتنع بالأدلة القرآنية والنبوية إلا إذا ذكرت لها أقوال العلماء وذلك لأن حكم اللّٰه وحكم رسوله كان واضحًا في المسألة حيث اعتبر دعاء غير اللّٰه شركًا محضًا يجب الابتعاد عنه وإلى جانب ذلك أكثرت من أقوال العلماء

---

(١) « تيسير العزيز الحميد » (ص٢٤٣) .

(٢) « القول الفصل » (ص٣٤) .

حتى نقطع الحجة بأن القائلين أن دعاء غير اللَّه ليسوا من يسمونهم الوهابية فقط كما يزعم القبوريون وإنما هو قول اللَّه وقول رسوله وقول علماء أهل السنة والجماعة قديمًا وحديثًا وبهذا تنقطع مزاعم المتصوفة الدجالين الذين يضللون عوام المسلمين ويدعونهم إلى عدم حضور جلسات العلماء الذين يدعون إلى التوحيد الخالص الذي جاء به محمد بن عبد اللَّه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم من ربه .

والخلاصة التي نخرج بها من هذا المطلب بعد أن ذكرت الآيات القرآنية التي أكدت أن دعاء غير اللَّه شرك محض وأتبعت ذلك بذكر نصوص نبوية تؤكد كلها أن الدعاء عبادة وصرفه لغير اللَّه يعتبر شركًا باللَّه سبحانه ثم أتبعت ذلك بمجموعة من أقوال العلماء الأجلاء قديمًا وحديثًا والذين أكدوا كلهم كفر من استغاث بغير اللَّه تعالى فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه وناداه من بعيد وكذلك من ادعى معرفة الغيب أو صدق من ادعاه أو من ذبح لغير اللَّه أو حلف بغير اللَّه أو غير ذلك وهذا دليل واضح على أن الحكم بكفر من دعا غير اللَّه تعالى لم ينفرد به مذهب معين بل هو قول جميع العلماء الذين يتمسكون بالكتاب والسنة عبر القرون الطويلة التي مرت بها الأمة الإسلامية إلى يومنا هذا .

ولكن ينبغي أن نعلم بأن هذا الحكم بالكفر الذي سبق الكلام عليه مقيد بما هو معلوم عند أهل العلم من بلوغ الدعوة وإقامة الحجة وممن قيد الحكم بالتكفير بهذا القيد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه .

من ذلك قوله رحمه اللَّه في هذه المسألة التي نحن بصددها وهي حكم دعاء غير اللَّه تعالى ما ملخصه :

« إننا نعلم بالضرورة أن الرسول ﷺ لم يشرع لأمته دعاء الأموات كما لم يشرع السجود لميت ولا لغيره بل نعلم أنه نهى عن ذلك وأن ذلك من الشرك الذي حرمه اللّٰه تعالى ورسوله لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يكن تكفيرهم بذلك حتى يتبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ مما يخالفه »[1] .

وقال أيضًا في الحكم العام في هذه المسألة :

« وحقيقة الأمر في ذلك أن القول قد يكون كفرًا فيطلق القول بتكفير صاحبه فيقال من قال كذا فهو كافر لكن الشخص المعين الذي قاله لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها وهذا كما في نصوص الوعيد . . . فإن الشخص المعين لا يشهد عليه بالوعيد فلا يشهد على معين من أهل القبلة بالنار لجواز ألا يلحقه الوعيد لفوات شرط أو ثبوت مانع فقد لا يكون التحريم بلغه . . وهذه الأقوال التي يكفر قائلها قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق وقد تكون بلغته ولم تثبت عنده أو لم يتمكن من فهمها وقد يكون عرضت له شبهات يعذره اللّٰه تعالى بها »[2] .

* ومن العلماء الذين اشترطوا بلوغ الحجة للتكفير شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب رحمه اللّٰه فقد بين أن الجاهل الذي لم تبلغه الحجة لا يكفر لا سيما الذي لم يقصر ولم يكن يعيش في بيئة انتشر التوحيد وعلماؤه فيها[3] .

---

(١) « الرد على البكري » لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٣٧٦) .

(٢) « المسائل الماردينية » (ص٦٥ ـ ٧٠) ونحوه في « نقض المنطق » (ص٤٥ ـ ٤٦) .

(٣) انظر مؤلفات الشيخ القسم الثالث المشتمل على السيرة والفتاوى القسم الخاص بالفتاوى (ص٢٧) .

فقد قال رحمه اللَّه في رسالته التي أرسلها إلى الشريف :

« وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر عبد القادر والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم »[1] .

* * *

(١) انظر « الرسالة التي أرسلها الإمام إلى الشريف » (ص١١) وكذلك « صيانة الإنسان » (٤١٦) و« الدرر السنية » (١/ ٥٢) و« الرد على البكرى » (ص٢٥٨) و« الاستقامة » (١/ ١٦٣ ـ ١٦٦) .



الباب الرابع

انحرافاتهم في مفهوم الزهد والجهاد والقضاء والقدر والتوكل والجنة والنار

وتحته ثلاثة فصول :

الفصل الأول : انحرافهم في مفهوم الزهد .

الفصل الثاني : انحرافهم في مفهوم الجهاد .

الفصل الثالث : انحرافهم في مفهوم القضاء والقدر والتوكل والجنة والنار.



الفصل الأول

انحرافهم في مفهوم الزهد

وتحته مبحثان :

المبحث الأول : تعريف الزهد ومراتبه والفهم الصحيح له.

المبحث الثاني : انحراف الصوفية في مفهوم الزهد. (وتحته مطلبان)



الفصل الأول

انحرافهم في مفهوم الزهد

لقد انحرف الصوفية في مفهوم الزهد انحرافًا خطيرًا كما انحرفوا في غيره فادعوا بأن الزهد هو ترك الدنيا بالكلية والهروب عنها وذلك بترك العمل نهائيًا في هذه الدنيا وتعذيب الجسد بأنواع العذاب من التجويع والعري وغيرها والهروب عن الناس والدخول في الخلوات المظلمة بقصد تربية النفس لكي تصل إلى ولاية اللَّه وترك الزواج ووصفه بأنه من أهم العقبات المانعة من وصول المريد إلى ولاية اللَّه المزعومة .

وقبل أن أخوض في بيان انحرافات المتصوفة في هذا الباب أحب أن أعرف الزهد في اللغة والاصطلاح وأذكر مراتبه والفهم الصحيح له بإيجاز وذلك حتى يتضح لنا انحراف المتصوفة في مفهوم الزهد لأن الأشياء تتبين بضدها .

المبحث الأول

تعريف الزهد ومراتبه والفهم الصحيح له

أولاً : تعريف الزهد

الزهد في اللغة : زهد فيه وعنه زهداً وزهادة أعرض عنه وتركه لاحتقاره أو لتحرجه منه أو لقلته وزهد في الشيء رغب عنه ويقال زهد في الدنيا ترك حلالها مخافة حسابه وترك حرامها مخافة عقابه .

وتزهد صار زاهداً وتعبد .

والزاهد هو العابد ، جمعه زهد وزهاد ، والزهادة خلاف الرغبة فيه والرضا باليسير مما يتعين حله وترك الزائد على ذلك للَّه تعالى وكذا الزهد بمعنى الزهادة [1] .

أما تعريف الزهد في الاصطلاح :

قال الإمام ابن القيم في تعريف الزهد :

« الزهد عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه وشرط المرغوب عنه أن يكون مرغوباً بوجه من الوجوه فمن رغب عن شيء ليس مرغوباً فيه ولا مطلوباً في نفسه لم يسم زاهداً كمن ترك التراب لا يسمى زاهداً وأنه ليس الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والقوة واستمالة القلوب فحسب بل الزهد أن يترك الدنيا للعلم بحقارتها بالنسبة إلى نفاسة الآخرة »[2] .

---

(١) انظر « القاموس » (٣٠٨/١) و« أساس البلاغة » (ص١٩٧) و« النهاية لابن الأثير » و«المعجم الوسيط » (٤٠٣/١ ـ ٤٠٤) .

(٢) انظر « مختصر منهاج القاصدين » (ص٣٠٨) .

أقسام الزهد ومراتبه :

قال الإمام ابن القيم :

« الزهد أربعة أقسام وهي :

١ ـ زهد في الحرام وهو فرض عين .

٢ ـ زهد في الشبهات وهو بحسب مراتب الشبهة فإن قويت التحق بالواجب وإن ضعفت كان مستحبًا.

٣ ـ وزهد في الفضول وزهد فيما لا يعني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره وزهد في الناس وزهد في النفس بحيث تهون عليه نفسه في اللَّه .

٤ ـ وزهد جامع لذلك كله وهو الزهد فيما سوى اللَّه وفي كل ما يشغلك عنه وأفضل الزهد إخفاء الزهد وأصعبه الزهد في الحظوظ »[(١)] .

وقال في طريق الهجرتين يقسمه باعتبار حكمه أيضًا ما نلخصه في الآتي :

« الزهد أربعة أقسام :

أحدها : فرض على كل مسلم وهو الزهد في الحرام .

والثاني : زهد مستحب وهو على درجات في الاستحباب بحسب المزهود فيه وهو الزهد في المكروه وفضول المباحات والتفنن في الشهوات المباحة .

الثالث : زهد الداخلين في هذا الشأن وهم المشمرون في السير إلى اللَّه وهو نوعان :

---

(١) « الفوائد » لابن القيم (ص٢١٥) .

أحدهما : الزهد في الدنيا جملة وليس المراد تخليها من اليد ولا إخراجها وقعوده صفراً وإنما المراد إخراجها من قلبه بالكلية فلا يلتفت إليها ولا يدعها تساكن قلبه وإن كانت في يده فليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهي في قلبك وإنما الزهد أن تتركها من قلبك وهي في يدك وهذا كحال الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز الذي يضرب بزهده المثل مع أن خزائن الأموال تحت يده بل كحال سيد ولد آدم ﷺ حين فتح اللّه عليه من الدنيا ما فتح ولا يزيده ذلك إلا زهداً فيها .

والذي يصحح هذا الزهد ثلاثة أشياء وهي :

أحدها : علم العبد أنها ظل زائل وخيال زائر وأنها كما قال تعالى فيها : ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً**

---

(١) الحديد : (٢٠) .

(٢) يونس : (٢٤) .

﴿٤٥﴾ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً** ﴾[1] .

قال ابن القيم :

« وسماها سبحانه متاع الغرور ونهى عن الاغترار بها والاغترار بها وأخبرنا عن سوء عاقبة المغترين وحذرنا من مثل مصارعهم وذم من رضي بها واطمأن إليها .

وقال النبي ﷺ : « **مالي وللدنيا إنما أنا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها** »[2] .

ثم قال الإمام ابن القيم :

« فما اغتر بها ولا سكن إليها إلا ذو همة دنية وعقل حقير وقدر خسيس .

الثاني : علمه أن وراءها داراً أعظم منها قدرًا وأجل خطرًا وهي دار البقاء وأن نسبتها إليها كما قال النبي ﷺ : « **ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع** »[3] .

فالزهد فيها بمنزلة رجل في يده درهم زغل قيل له اطرحه فلك عوضه مائة دينار مثلاً فألقاه من يده رجاء ذلك العوض .

فالزهد فيها لكمال الرغبة فيما هو أعظم منها زهد فيها .

---

(١) الكهف : (٤٥ ـ ٤٦) .

(٢) « سنن الترمذي » مع التحفة (٧/٤٨) .

(٣) نفس المرجع (٢/١٣٧٧) .

الثالث : معرفته أن زهده فيها لا يمنعه شيئًا كتب له منها وأن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يقص له منها فمتى تيقن ذلك وصار له به علم يقين هان عليه الزهد فيها .

فإنه متى تيقن ذلك وثلج صدره وعلم أن مضمونه فيها سيأتيه بقي حرصه وتعبه وكده ضائعًا .

والعاقل لا يرضى لنفسه بذلك فهذه الأمور الثلاثة تسهل على العبد الزهد فيها وتثبت قدمه في مقامه واللَّه الموفق لمن يشاء[١] .

ومن كل ما تقدم من التعريفات اللغوية والاصطلاحية للزهد وتوضيح ابن القيم لمفهوم الزهد الصحيح في هذه الدنيا يظهر لنا أن الزهد هو إيثار الحياة الأخروية الأبدية الباقية على الحياة الدنيا الدنيئة الفانية وباتصاف الإنسان بهذا الوصف يقدر أن يعيش في هذه الدنيا آخذًا منها نصيبه بقدر زاد الراكب فيتقلل في ملذاتها ولا يغتر بمفاتنها ويتوكل على اللَّه ويخافه ويرجوه لينال أجره عند اللَّه .

وكما ظهر لنا من خلال ما تقدم أن الزهد لا يكون إلا في الشيء الموجود مع القدرة والتمكين من الحصول عليه وذلك لأن الفقير الذي ليس بيده مال لا يمكن أن يطلق عليه زاهد في المال ومتقلل فيه لأنه لا يملك شيئًا منه وكذلك العاجز عن العمل أو المحرم للقيام بالأسباب التي يمكن للإنسان أن يحصل على رزقه إذا قام بها لا يقال فيه زاهد بل الذي يستحق أن يوصف بأنه زاهد هو الرجل الذي يقوم بالأعمال ويجمع المال من حله ثم ينفقه في سبيل الخير فيتصدق على الفقراء والمساكين وينفقه في الجهاد في

---

(١) انظر « طريق الهجرتين » لابن القيم (ص٢٥٢) .

سبيل اللَّه ويبني منه المساجد والمعاهد وكُل الأمور التي تستفيد منها الأمة الإسلامية أما القعيد عن العمل الذي ينتظر صدقات الناس عليه فليس هذا بزاهد حقيقة بل هو مختلس عبء على الأمة الإسلامية فإن الزهد ليس معناه ترك الكسب والاكتساب ولا ترك الأسباب وعدم الأخذ بها وفرار الإنسان من القيام بمسئوليته الفردية والجماعية لأن الإسلام يعني بالحياة الدنيوية اعتناءاً مناسبًا لإبقاء المصلحة الفردية والجماعية فيحث الإسلام المسلم على الأخذ بنصيبه من الدنيا قال تعالى : ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴾[1] .

وقال النبي ﷺ : « **إن اللَّه يحب أن يرى أثر نعمته على عبده حسنًا** »[2] .

فالتصور الإسلامي الصحيح للحياة الدنيا عبارة عن أنها مزرعة الآخرة ومطية لها وأن مثل بقاء الإنسان فيها مثل راكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها كما في الحديث .

وإن دار البقاء دار الآخرة نسبة هذه الدنيا الفانية إليها كما قال ﷺ : «**ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع** »[3] .

فالعاقل لا محيد له عن أن يؤثر الحياة الأخروية على الحياة الدنيا فلا يسلك سبيل الإفراط في تناول الدنيا ولا التفريط في حقوق الناس كما يفعل المتصوفة حيث يتركون عائلاتهم يموتون جوعًا أو يعيشون حياة بائسة محزنة

---

(١) القصص : (٧٧) .

(٢) كتاب « الزهد » للإمام وكيع (٢/٤٤٧) باب الأثر الحسن وحسنه الألباني في « صحيح الجامع الصغير » (١/١٣١) .

ثم يسمون هذا زهداً وهو في الحقيقة ليس هذا بزهد وإنما هو عجز وكسل وفهم سيىء للزهد الحقيقي .

وبعد غرس هذه العقيدة في أذهان الناس يسمح الإسلام للإنسان أن يخوض معترك الحياة ويصول فيها ويجول فيؤدي ما وجبت عليه من حقوق اللّه تعالى وحقوق الآدميين من عبادة وصلاة وصوم وزكاة وحج ومن تجارة وصناعة ونكاح وعشرة وغير ذلك مما أحل اللّه ممارسته في هذه الحياة الدنيا .

وكان الناس على هذا الفهم الصحيح من الدين في هذا الجانب في عهد النبوة فكانوا يعالجون قضاياهم من دون إفراط ولا تفريط وبمزيد من الحيوية والنشاط وبالعمل الدائب المتواصل في جميع ميادين الحياة لما كانوا يرجون وراءه من حب العاقبة ورضوان اللّه تبارك وتعالى فهم كانوا فرسان نهار ورهبان ليل تراهم في المسجد وفي مجالس العلم وفي ميدان التجارة والصناعة والجهاد ومع أولادهم ونسائهم وكانت الآيات والأحاديث الواردة في ذم الدنيا والنهي عن الخوض فيها والتشاغل بها تتلى وتقرأ وكانوا يفهمونها ويستضيئون بها لأن المقصود بها هو الحث على الزهد في الدنيا والزجر عن التشاغل بها إلى حد يفضي إلى إهمال الآخرة والتواني في طلبها لينالوا عند اللّه أحسن درجة على ما عملوا في هذه الحياة الدنيا وكان زهد الصحابة والتابعين على هذا النمط نابعًا من العقيدة الصحيحة .

وقد بقي على هذه العقيدة الصحيحة الطيبة والسلوك الطيب كل المسلمين إلى آواخر عهد الخلفاء الراشدين ثم حدثت فتن متنوعة سياسية وعقدية أدت إلى ظهور فرق مبتدعة في الإسلام واختل نظام السياسة وبدأ

نشأت ظهور الغلو عند البعض مع بقائهم على خير كثير من الدين الصحيح لقرب عهد بعصر النبوة والصحابة الكرام .

ولما انقرض أصحاب القرون الثلاثة الموصوفة بالخيرية ظهر في ولاة الأمور كثير من الأعاجم الذين حاولوا الإطاحة بالخلافة الإسلامية بدوافع من الحقد والعصبية على العرب والإسلام والشعوبية والإلحاد والزندقة وإعادتهم مجدهم السابق ثم عربت الكتب الأعجمية فحدثت هناك ثلاثة أشياء الرأي والكلام والتصوف .

والذي يهمنا هنا هو التصــوف الذي بدأ يشق طريقه وأتى بمفاهيم باطلة للزهد تتصادم مع ما جــاء في الكتاب والسنــة فدعوا إلى حرمان النفس من حظوظها نهائيًا ودعوا إلى ترك العمل والقعود في الخلــوات المظلمة ودعوا إلى ترك النكاح نهائيًا ووصفوه بأوصــاف منفــرة وكل هذا أتوا به من الفلسفات الوثنية القديمة كالبــوذية التــي تدعو إلى تعــذيب الجسد بشتى أنواع العذاب وكالمسيحية التي تحرم الزواج على القساوس والمريدين لهم وإلا فالإسلام بريء من هذه الأفكار الدنيئة التي تؤدي إلى تدمير المجتمع وتحوله إلى مجتمع هش فقير لا يستطيع أن يقوم بواجبه في هذه الحياة .

والخلاصة أن المفهوم الصحيح للزهد هو إيثار الحياة الأخروية على الحياة الدنيوية وليس معنى الزهد في الدنيا ترك العمل والقعود في البيت وتجويع النفس والعيال وتركهم يعيشون حياة بائسة نكدة كما يفعل المتصوفة الشحاتة وذلك لأن من الواجب على الإنسان على الأقل عليه أن يؤمن معيشته ومعيشة من تجب عليه نفقته وذلك لما جاء في الحديث عن سعد بن

مالك قال قال رسول اللَّه ﷺ : « **خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي** »[1] ثم إن حصول الإنسان على المال بالعمل والجهد يؤجر فيه إذا جمعه من حلال وأنفقه في الحلال كما في الحديث الذي رواه الإمام علي رضي اللَّه عنه قال قال رسول اللَّه ﷺ : « **إن في الجنة لغرفًا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها** » فقال أعرابي : لمن هي يا رسول اللَّه قال : « **لمن أطال الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى للّه عز وجل والناس نيام** »[2] .

وهكذا فالإنفاق للمال في سبيل اللَّه للفقراء والمساكين مما رغب اللَّه ووعد عليه الثواب الجزيل ومن لم يكن له مال سيفوته حتمًا هذا الأجر لأنه فاقد للمال وفاقد الشيء لا يعطيه كما هو المشهور في المثل ويؤيده الواقع .

* * *

---

(١) « الزهد » للإمام أحمد (ص٢٥) وفي « المسند » (١/ ١٧٢) .

(٢) « الزهد » للإمام أحمد (ص٣٧) و« مجمع الزوائد » (١٠/ ٤٢٠) مع اختلاف في اللفظ .

المبحث الثاني

انحراف الصوفية في مفهوم الزهد

وتحت مطلبان :

المطلب الأول : تعريف الصوفية للزهد .

المطلب الثاني : عبـــارات أئمة التصوف التي تدل على أنهم يفهمون الزهد بأنه ترك الدنيا بالكلية وتعذيب النفس بشتى أنواع التعذيب من الجوع والعري والسهر والفقر.



المطلب الأول

تعريفات الصوفية للزهد

لقد انحرف الصوفية في مفهوم الزهد انحرافًا خطيرًا حيث صرحوا بأن الزهد هو الابتعاد عن الدنيا بالكلية وعدم الاهتمام بها ودعوا الناس إلى تعذيب أنفسهم بالجوع والعري وبكل الشدائد ومدحوا الفقر ودعوا إليه بل فضلوا سؤال الناس على القيام بالعمل والإتيان بالرزق الحلال وأن الإنسان لا يمكن أن يصل إلى درجة الولاية للّه إلا إذا قام بهذه الطقوس الصوفية المبتدعة التي تدعو إلى تعطيل الإنسان عن وظائفه التي خلقه اللّه لها .

ويظهر انحراف الصوفية في الزهد في تعريفاتهم الآتية :

قال أبو عثمان : الزهد أن تترك الدنيا ثم لا تبالي بمن أخدها [(١)].

وقال أبو علي الدقاق : « الزهد أن تترك الدنيا كما هي لا تقول أبني رباطا أو أعمر مسجداً »[(٢)] .

وقال ابن خفيف: «علامة الزهد وجود الراحة في الخروج عن الملك».

وقال أيضًا : « الزهد سلو القلب عن الأسباب ونفض الأيدي من الأملاك»[(٣)] .

---

(١) « الرسالة » للقشيري (١/ ٣٢٦) .

(٢) « الرسالة » للقشيري (١/ ٣٢٦) .

(٣) « الرسالة » للقشيري(١/ ٣٢٧) .

وقال الجنيد : «الزهد هو خلو اليد من الملك والقلب من التتبع»[1] .

وقال أبو حفص : « الزهد لا يكون إلا في الحلال ولا حلال في الدنيا فلا زهد »[2] .

وسئل الشبلي عن الزهد فقال :

« لا زهد في الحقيقة لأنه إما أن يزهد فيما ليس له فليس ذلك بزهد أو يزهد فيما هو له فكيف زهد فيه وهو معه وعنده » .

وقال السري : « الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا ، ويجمع هذه الحظوظ المالية والجاهية وحب المنزلة عند الناس وحب المحمدة والثناء »[3] .

إذا نظرنا في هذه التعريفات التي أوردتها عن أئمة التصوف نرى بوضوح أن مفهوم الزهد عند المتصوفة هو ترك الدنيا والإعراض عنها بالكلية بحيث لا يهتم الإنسان بشئون دنياه ولو بقدر ما يسد به رمقه وأن الزهد الحقيقي عندهم هو ترك القيام بالأسباب نهائيًّا وإخلاء الأيدي من كل ما يملكه الإنسان حتى يصبح فقيراً .

بل ادعى بعضهم كما هو واضح في التعريفات السابقة أمامنا بأنه لا يوجد أي زهد وذلك لأنه لا يوجد شيء حلال في هذه الدنيا وذلك حسب زعمه وهذا مناقض للقرآن الكريم لأن اللَّه عز وجل أمرنا أن نأكل من الطيبات فقال سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ﴾ .

---

(١) « الرسالة » للقشيري (١/ ٣٢٨) .

(٢) « الرسالة » للقشيري (١/ ١٢٩) .

(٣) « العوارف » (ص٢٣٣) .

وادعى المتصوفة أيضًا أن الزهد غير متصور عنده وذلك لأنه إذا زهد فيما ليس عنده لا يسمى زاهدًا لأنه يفقده وفاقد الشيء لا يعطيه وإذا زهد في الشيء الذي عنده لا يسمى زاهدًا أيضًا لأنه لا يمكن للإنسان أن يسمى زاهدًا في الفكر الصوفي المنحرف إلا إذا تجرد من كل أملاكه وأصبح مرميًا في الشوارع فقيرًا يتكفف الناس ويسألهم وهذا فهم خاطئ للزهد المشروع الذي ذكرناه في المبحث الأول من هذا الفصل حيث أثبتنا هناك بأن الزهد المشروع هو إيثار الحياة الأخروية على الحياة الدنيوية وكسب المال بالطرق المشروعة وإنفاقه فيما شرعه اللّه وعدم قبضه عن الواجبات التي ينبغي أن يصرف فيها وأثبتنا أيضًا بأن القيام بالأسباب لا ينافي الزهد لأن من لم يقم بالأسباب من أين سيحصل على المال الحلال الذي يسد به رمقه فضلاً عن أن يزهد فيه وعلى هذا نقول : إن المفهوم الصوفي للزهد مفهوم غريب على الإسلام مستورد من الوثنيات القديمة التي تدعو إلى تخلي الإنسان عن أملاكه وتعذيب نفسه بشتى أنواع التعذيب من أجل الوصول إلى ولاية اللّه كما يفعل البوذية عباد الأوثان في الهند وغيرها .

المطلب الثاني

عبارات أئمة التصوف التي تدل على أن الصوفية يفهمون الزهد بأنه ترك الدنيا بالكلية وتعذيب النفس بشتى أنواع التعذيب من الجوع والعري والسهر والفقر

لقد ادعى الصوفية بأنه لا يمكن أن يتحقق الزهد ويصل الإنسان إلى مرتبة ولاية اللّه إلا إذا تجرد الإنسان عن الملكية نهائيًا حتى يصبح فقيرًا لا

مال له وحتى يعذب نفسه بشتى أصناف العذاب في هذه الحياة الدنيا ويحرمها من كل أنواع الطيبات التي أحلها اللَّه لعباده مخالفين بذلك الأدلة الشرعية وكذلك العقلية وإليك نماذج من هذه النصوص .

يقول إبراهيم بن أدهم وهو يتحدث عن العقبات التي يجب أن يحققها ويمر بها كل مريد صوفي إذا أراد الوصول إلى ولاية اللَّه حقيقة :

« لن ينال الرجال درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات وهي :

أولهـــــا : أن يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة .

والثـانـــي : أن يغلق باب العز ويفتح باب الذل .

والثالـــث : أن يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد .

والرابـــع : أن يغلق باب النوم ويفتح باب السهر .

والخامس : أن يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر .

والسـادس : أن يغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت »(١) .

ويقول عبد القادر الجيلاني في وصف المريد الزاهد :

« المريد المتصوف مكابد لنفسه وهواه وشيطانه وخلق ربه ودنياه وأخراه متعبد لربه عز وجل بمفارقة الجهات الستة والأشياء وترك العمل لها وموافقتها والقبول منها وتصفية باطنه من الميل والاشتغال بها فيخالف شيطانه ويترك دنياه ويفارق أقرانه وسائر خلق ربه بحكمه عز وجل لطلب أخراه ثم يجاهد نفسه وهواه بأمر اللَّه عز وجلّ فيفارق أخراه وما أعد عز وجل لأوليائه فيها من جنة لرغبته في مولاه فيخرج من الأكوان فيصفى من الأحداث

(١) « الرسالة القشيرية » (١/ ٢٩٢) .

ويتجوهر لرب الأنام فتنقطع منه العلائق والأسباب والأهل والأولاد فتنسد عنه الجهات وتنفتح في وجهه جبهة الجبهات وباب الأبواب وهو من الرضا بقضاء رب الأنام ورب الأرباب ..... ثم يفتح تجاه هذا الباب باب يسمى باب القربة إلى المليك الديان ثم يرفع منه إلى مجالس الأنس ثم يجلس على كرسي التوحيد ثم يرفع عنه الحجب ويدخل دار الفردانية ويكشف عنه الجلال والعظمة فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلا هو فانيًا عن نفسه وصفاته عن حوله وقوته وحركته وإرادته ومناه ودنياه وأخراه كإناء بلور مملوء ماءً صافيًا تتبين فيه الأشباح فلا يحكم عليه غير القدر ولا يوجده غير الأمر فهو فانٍ عنه وعن حظه جود لمولاه وأمره لا يطلب خلوة لأن الخلوة للموجود فهو كالطفل لا يأكل حتى يطعم ولا يلبس حتى يلبس »[1].

إذاً نظرنا في النصين السابقين نرى بوضوح بأن إبراهيم بن أدهم دعا لكل من يريد أن يصل إلى مرتبة ولاية اللّه عز وجل أن يمسك نفسه بالشدة ويذلها ويتعبها ويسهرها ويفقرها وأن يغلق عليها باب الأمل نهائيًّا حتى تيأس من كل ما في هذه الدنيا من النعم التي أحلها اللّه لعباده وأمرهم بالأكل منها ولو نظرنا إلى هذه الرياضات سنجدها رياضات بوذية بحتة فإن البوذا هم الذين يعذبون أجسادهم أما الإسلام فلم يأمر بتعذيب الأنفس وإذلالها وإفقارها بل بالعكس أمر الإسلام بالاهتمام بهذا الجسد والاعتناء به حتى يكون جسداً صحيحًا معافىً ويقوم بوظائفه على أكمل وجه في هذه الحياة وقد بين اللّه ورسوله الأمور التي إذا فعلها الإنسان يكون وليًّا للّه وحبيبًا له فلا حاجة إلى هذه الرياضات المبتدعة التي ما

(١) « الغنية » للشيخ عبد القادر الجيلاني (٢/١٧٨-١٧٩).

أنزل اللّٰه بها من سلطان .

وكذلك إذا نظرنا في النص الثاني نجد أن الشيخ عبد القادر الجيلاني وصف المريد الزاهد بأنه هو الذي يترك الدنيا بالكلية ويبتعد عن أقرانه الذين يعايشونه بل كل المخلوقات لأجل طلب الآخرة وياليته توقف هنا بل ادّعى بأن المريد يترقى في هذا الزهد حتى يصل إلى مرحلة يزهد فيها في كل ما أعده اللّٰه لعباده الصالحين في الدار الآخرة من الجنة والنعيم الذي أعده اللّٰه فيها وأن المريد الزاهد حقيقة هو الذي يقطع علائقه بالبشر نهائيًّا ويترك القيام بالأسباب فلا يقوم بأي عمل يحصل من ورائه على رزقه الذي كتبه اللّٰه له وينقطع عن أهله وأولاده فلا يلقي لهم بالاً وهذه كلها مفاهيم خاطئة للزهد ومضادة لما أمر اللّٰه به ورسوله ﷺ وسنبين ذلك في حينه حينما نقوم بالرد عليهم وذلك بإثبات أن الإسلام رغب في العمل وأمر بمواصلة الأرحام وبالقيام بحقوق الزوجة والأولاد ودعا إلى مراعاة كل الحقوق التي كلفها الإسلام لكل مخلوق في هذه الحياة وإعطاء كل ذي حق حقه [١] .

ومن النصوص التي تدل على أن المتصوفة يدعون إلى التجرد الكامل عن الأملاك وتجويع النفس وعريها : قول السري السقطي حيث قال : « لا يكن معك شيء تعطي منه أحدًا »[٢] .

ومعنى ذلك : أنه لا يجوز لمن يريد الوصول إلى ولاية اللّٰه إبقاء أي شيء في يده من أملاكه وهذا مفهوم خاطئ .

---

(١) انظر (ص٩٢١ ـ ٩٤٢).

(٢) « العوارف » (ص٩٢) و« اللمع » (ص٢٦٢) و« الرسالة » (١/ ٨٢).

ويقول داود الطائي : « صم عن الدنيا واجعل فطرك الموت وفر عن الناس فرارك من السبع »[1] .

وهذه أمور لم يدع إليها الإسلام لأن الإسلام أباح الأكل من الحلال في هده الدنيا ولم يدع الإنسان أن يجعل فطره الموت ولم يدع أيضًا بالفرار من الناس والهروب منهم واعتزالهم والابتعاد عنهم كليّة بل أمر الإسلام بمخالطة الناس ودعوتهم إلى الهدى حتى يسلموا إن كانوا غير مسلمين وحتى يفهموا أمور دينهم فهمًا صحيحًا إن كانوا مسلمين فالدعوة إلى الانعزال عن الناس كما يقول به هؤلاء المتصوفة ليس من الإسلام .

ويقول الجنيـد : « أحب للمريد أن لا يشغل قلبه بالتكسب وإلا تغير حاله » .

وقال أيضًا : « ما أخذنا التصوف عن القيل والقال لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات »[2] .

يتضح لنا من النصين السابقين بأن الجنيد نصح للمريد الذي يريد أن يصل إلى ولاية اللَّه أن يبتعد عن القيام بأي عمل يحصل من ورائه على رزقه الذي قسمه اللَّه وحذره بأنه إذا فعل ذلك سيؤدي إلى تغير حاله إلى حالة غير مرضيّة وذلك لأن المتصوفة يعتقدون بأن القيام بالعمل في هذه الدنيا يدل على نقصان إيمان المرء وتوكله على اللَّه وهذا فهم خاطئ منهم فإن الرسول والصحابة كانوا متوكلين على اللَّه ولم نجد لأحد منهم الدعوة إلى ترك العمل بل الرسول دعا إلى العمل والصحابة كانوا فرسانًا بالنهار رهبانًا بالليل

---

(١) « الرسالة » (١/ ٩٥) .

(٢) « الرسالة » للقشيري (١/ ١٣٣) .

وهذا الذي يدعو إليه المتصوفة لا يسمى توكلاً على اللّه وإنما هو تواكل فقط .

وقد دعا المتصوفة إلى الفقر ومدحوه في كتبهم ومن أقوالهم التي تدل على هذا :

قال ابن عجيبة : « الفقر أساس التصوف وبه قوامه »[1] .

ورُوي عن ابن رويم أنه قال : « مبني التصوف علي الفقر » .

وقال الجنيد حين سئل عن الزهد :

« الزهد هو تخلي الأيدي من الأملاك وتخلي القلوب من الطمع »[2] .

وقال رويم بن أحمد الصوفي حين سئل عن الزهد ما هو ؟ قال: « هو ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا »[3] .

وذكر الشعراني عن ابن عربي أنه قال :

« من أراد فهم المعاني الغامضة من كلام اللّه عز وجل وكلام الرسول وأوليائه فليزهد في الدنيا حتى يصير ينقبض خاطره من دخولها ويفرح لزوالها»[4] .

ويقول إبراهيم المتبولي :

« كل فقير لا يحصل له جوع ولا عري فهو من أبناء الدنيا[5] .

---

(١) « إيقاظ الهمم في شرح الحكم » لابن عربي (ص٢١٣) ط٣ مصطفي البابي الحلبي ط (١٤٠٢هـ) .

(٢) « اللمع » للطوسي (ص٧٢) .

(٣) « اللمع » للطوسي (ص٧٣) .

(٤) « اليواقيت والجواهر » للشعراني (١/ ٢٦) .

(٥) « الأخلاق المتبولية » للشعراني (٢/ ٩٤) .

وذكر الصوفي عماد الدين الأموي في كتابه « حياة القلوب » :

أن رجلاً دخل على بعض الصوفية يتكلم في الزهد وعنده قميص معلق وعليه آخر فقال : يا شيخ أما تستحي أن تتكلم في الزهد ولك قميصان[1] .

وزجر السري السقطي رجلاً كان يملك عشرة دراهم وقال : « أنت تقعد مع الفقراء ومعك عشرة دراهم »[2] .

وذكر الكلاباذي عن أحمد بن السمين أنه قال :

« كنت أمشي في طريق إلى مكة فإذا أنا برجل يصيح أغثني يا رجل اللَّه اللَّه قلت مالك مالك خذ مني هذه الدراهم فإني ما أقدر أن أذكر اللَّه وهي معي فأخذته منه فصاح لبيك اللهم لبيك وكانت أربعة عشر درهمًا»[3] .

وقال سهل بن عبد اللَّه التستري :

« اجتمع الخير كله في هذه الأربع الخصال وبها صار الأبدال أبدالاً وهي : إخماص البطون والصمت والخلوة والسهر»[4] .

وقال يحيى بن معاذ :

« الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها والعارف مشتغل باللَّه لا يلتفت إليها والزهد يقتضي معانقة الفقر واختياره »[5] .

---

(١) « حياة القلوب بهامش قوت القلوب » (٢/ ١٢٢) .

(٢) « طبقات الأولياء » لابن الملقن.

(٣) « التعرف » للكلاباذي (ص١٨٥) .

(٤) « غيث المواهب العلية » للرندي (ص٩٢ ـ ٩٣) .

(٥) « اللمع » للطوسي (ص٧٣) .

وينقل الهجويري عن أبي بكر الشبلي أن واحداً من علماء الظاهر سأله على سبيل التجربة عن الزكاة قائلاً ما الذي يجب أن يعطى من الزكاة ؟ قال: حين يكون البخل موجوداً ويحصل المال فيجب أن يعطي خمسة دراهم عن كل مائتي درهم ونصف دينار عن كل عشرين ديناراً هذا في مذهبك أما في مذهبي فيجب أن لا تملك شيئًا حتى تتخلص من مشغلة الزكاة [1] .

ويقول الهجويري :

« السكون إلى مألوفات الطبع يقطع صاحبها عن بلوغ درجات الحقائق »[2] .

ويقول أحمد الرفاعي :

« أكره للفقراء دخول الحمام وأحب لجميع أصحابي الجوع والعري والفقر والذل والمسكنة وأفرح لهم إذا نزل بهم ذلك »[3] .

ويقول أبو الحسن محمد بن أحمد الفارسي :

« من أركان التصوف : ترك الاكتساب وتحريم الادخار »[4] .

وذكر عن أبي يزيد البسطامي أنه سئل بأي شيء نلقى هذه المعرفة فقال:

« ببطن جائع وبدن عار »[5] .

---

(١) « كشف المحجوب » للهجويري (٢/ ٥٥٨) .

(٢) « كشف المحجوب » للهجويري (٢/ ٥٦١) .

(٣) « الأنوار القدسية » للشعراني (١/ ١٣٢) .

(٤) « التعرف لمذهب أهل التصوف » (ص١٠٨) .

(٥) « الرسالة » للقشيري (١/ ٨٨).

ويقول الكلاباذي في وصف الصوفية :

« إنهم قوم تركوا الدنيا فخرجوا عن الأوطان وهجروا الأخدان وساحوا في البلاد وأجاعوا الأكباد وأعروا الأجساد »[١] .

من كل ما تقدم من النصوص التي أوردتها عن هؤلاء المجموعة الذين يعتبرون أئمة في التصوف يتضح لنا جليًا بأن الصوفية يعتقدون بأن الزهد الحقيقي هو ترك الاكتساب وعدم الادخار وتعذيب النفس بشتى أنواع التعذيب من جوع وعري وغيرها حتى تصل إلى ولاية اللَّه حسب زعمهم.

بيان بطلان هذا المفهوم الصوفي للزهد :

إذا عرضنا مفهوم الصوفية هذا للزهد على الكتاب والسنة سنجده بأنه يخالف تمام المخالفة مبادئ الإسلام الحنيف الذي دعا إلى العمل وأباح ادخار الشيء اللازم للقوت ونهى عن تعذيب النفس وتكليفها ما لا تطيقه وأمر باللباس الجميل الساتر ونهى عن العري ولذا نقول إن هذه الطريقة التي اعتبرها المتصوفة طريقة موصلة إلى اللَّه سبحانه وتعالى ألا وهي طريقة حرمان النفس مما أحل اللَّه وتعذيبها بالتجويع حتى تضعف عن القيام بواجباتها الدينية والدنيوية ليست طريقة مشروعة بل هي طريقة مخالفة للمنهج الذي جاء به الرسول ﷺ من عند اللَّه وذلك لأن اللَّه سبحانه وتعالى لم يأمرنا بترك الأكل وتجويع النفس بل اللَّه سبحانه وتعالى أمرنا أن نأكل مما أحله اللَّه لنا من الطيبات في هذه الحياة الدنيا فقال سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ﴾[٢] .

---

(١) « التعرف لمذهب أهل التصوف »

(٢) البقرة : (١٧٢).

وقال سبحانه : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[1].

وفي حديث الثلاثة الذين أتوا إلى رسول اللّه ﷺ وسألوا عن عباداته فرأوها قليلة وأرادوا أن يقوموا بعبادات أكثر من هذا حيث قال أحدهم :

لا أتزوج النساء ، وقال الآخر : لا أنام الليل ، وقال : آخر أصوم ولا أفطر والرسول ﷺ خطب بهذه القضية في المسجد ونهاهم عن هذا العمل وقال في آخر الحديث فمن رغب عن سنتي فليس مني وإليك نص الحديث .

فقد روى أنس بن مالك رضي اللّه عنه أنه جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ ؟ قد غفر اللّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلي الليل أبدًا وقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا فجاء رسول اللّه ﷺ فقال: **«أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما واللّه إني لأخشاكم للّه وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»**[2] .

فإذًا تعذيب النفس وحرمانها مما أحله اللّه من النوم والزواج والإفطار بعد الصيام أو حرمانها من الأكل وتعذيبها بالجوع ليس من سنة المصطفى ﷺ وإذا لم يكن من سنته فليس عملاً مشروعًا وما دام لم يكن مشروعًا فلن يوصل إلى ولاية اللّه ومحبته ومرضاته كما يزعم المتصوفة بل سيوصلهم إلى الضلال المبين وقد حصل لهم فإن كل من ينظر إلى المتصوفة عبر القرون

---

(١) الأعراف : (٣١) .

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (٩/ ١٠٤) .

يرى بوضوح بأن القوم وقعوا في ضلالات خطيرة بسبب بعدهم عن الكتاب والسنة وحبهم للبدع.

قال الإمام ابن الجوزي رحمه اللّٰه في معرض رده على المتصوفة الذين قنعوا عن أكل اللحوم بحجة الزهد :

قال : « والامتناع عن أكل اللحم إنما هو من مذهب البراهمة الذين لا يرون ذبح الحيوان وليس من الإسلام في شيء وإن اللّٰه سبحانه وتعالى أعلم بمصالح الأبدان فأباح اللحم لتقويتها فأكل اللحم يقوي القوة وتركه يضعفها ويسيء الخلق .

وقد كان الرسول ﷺ يأكل اللحم ويحب الذراع من الشاة ويأكل الدجاج ويحب الحلوى ويستعذب الماء البارد »[1] .

«وكان الحسن البصري يشتري كل يوم لحمًا وعلى هذا كان السلف»[2].

« هذا إلى أن منع النفس شهواتها على الإطلاق ضار بالبدن فإن البدن محتاج في قوامه إلى مختلف الأنواع من الأغذية وقد ركب في الطبع الميل إلى ما تميل إليه النفس وتحتاجه فإذا مالت النفس إلى ما يصلها فمنعت فقد قوبلت حكمة الباري سبحانه وتعالى بردها فكان هذا مخالفًا للشرع والعقل»[3].

ثم إن اللّٰه سبحانه وتعالى أخبرنا بأن هذه النعم هي للمؤمنين في هذه الدنيا وغيرهم يشاركهم فيها وأما يوم القيامة فهذه النعم خاصة بالمؤمنين لا

---

(١) « تلبيس إبليس » لابن الجوزي (ص٢١٢) .

(٢) « تلبيس إبيلس » لابن الجوزي (ص٢١٢) .

(٣) « تلبيس إبليس » لابن الجوزي (ص٢١٣) .

يشاركهم فيها فاجر ولا كافر ولا منافق ولاً مشرك ويدل على هذا قول اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾[1] .

وكذلك التعري ليس من الإسلام في شيء بل الإسلام أمر بستر العورة وبلبس الملابس الجيدة النظيفة يقول اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾[2] .

وقد امتن اللَّه علينا سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بأن أنعم اللَّه علينا بالملابس التي نستر بها أجسادنا فقال سبحانه : ﴿ **وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ** ﴾[3] .

ولذا أقول إن تعذيب النفس بالتجويع بحرمانها مما أحله اللَّه وتعريتها من الملابس ليست من الطرق المشروعة الموصلة إلى ولاية اللَّه سبحانه وتعالى وإنما هي طريقة ورثها المتصوفة من ديانات البوذيين والهنادكة الوثنيين الذين يعذبون أنفسهم بشتى أنواع الرياضات الشاقة، ولذا أقول إن سلوك هذا الطريق لا يمكن أن يكون مقربًا إلى اللَّه عز وجل وموصلاً إلى ولايته ومحبته وإنما هو طريق مبعد عن اللَّه ويدخل الإنسان الذي يسلكه في وساوس وأوهام شيطانية يتخيلها المسكين أنها فتوحات رحمانية فيظن أنه قد وصل إلى ولاية اللَّه فيتيه في أودية الضلال المبين كما حصل لهؤلاء المتصوفة الذين سلكوا هذا الطريق حيث أعرضوا عن كتاب اللَّه وسنة رسوله

---

(١) الأعراف : (٣٢) .

(٢) الأعراف : (٣١) .

(٤) النحل : (٨١) .

وصار دينهم الذي يدينون به المنامات والأحلام وقال فلان وقال خضر وكلها متاهات وخرافات إبليسية لا أساس لها من الصحة .

وأما اعتقاد المتصوفة بأن الزهد الحقيقي هو ترك الكسب والادخار وتبديد المال أو التخلي عنه نهائيًا فهذا اعتقاد فاسد يتناقض مع النصوص القرآنية والحديثية التي تأمر بالعمل وادخار ما يكفي الإنسان لمعاشه والمحافظة على المال مع إخراج الحق منه .

* فمن الآيات التي دلت علي الحث على العمل لكسب الرزق قول اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿ **فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾[1] .

* وقوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾[2] .

* وقوله سبحانه : ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ** ﴾[3] .

فهذه الآيات كلها فيها حث على العمل والتفاني فيه لكسب الرزق الحلال وذلك لكي ينفقه الإنسان في الأمور الواجبة عليه ويتصدق بما زاد على حوائجه على الفقراء والمساكين وفي كل سبل الخير التي أمر اللَّه بالإنفاق وبذل المال فيها .

وهناك أحاديث كثيرة تحث على العمل لأجل كسب الرزق الحلال .

وقد أخبرنا الرسول ﷺ بأن خير الطعام هو الطعام الذي يأكله الإنسان

---

(١) الملك : (١٥) .

(٢) الجمعة : (١٠) .

(٣) التوبة : (١٠٥) .

من عمل يده فقال : « **ما أكل أحد طعامًا خيرًا من أن يأكـل من عمل يده وإن نبي اللَّه داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده** »[1] .

ومن هنا نقول إن الدعوة إلى ترك العمل والقعود في الخوانق والزوايا والأربطة ليس من الزهد المشروع وإنما هو زهد مبتدع مستورد من الأمم التي تعبد الأوثان كالبوذية وغيرها اخترعه المتصوفة لكي يأكلوا أموال الناس بالباطل .

وأما دعوى المتصوفة بأن الإنسان لا يمكن أن يكون زاهدًا إلا إذا تجرد عن جميع ما يملكه فليس هذا بصحيح بل إن الزهد الحقيقي هو أن تكون الدنيا في يد الإنسان فيعمل ويكد ليكسب الرزق الحلال ثم ينفق ما كسبه في الوجوه المشروعة وأول واجب عليه هو الإنفاق على نفسه وأهله ثم ينفق في وجوه الخير إن كان لديه مال فائض عن حوائجه الضرورية أما دعوة الناس إلى التجرد الكلي عن أموالهم وتركهم فقراء عالة يتكففون الناس فهذا ليس من الإسلام في شيء ومما يدل علي هذا ما رواه عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه أنه قال :

حث رسول اللَّه ﷺ على الصدقة فجئت بنصف مالي فقال رسول اللَّه ﷺ : « **وما أبقيت لأهلك** »؟ فقلت : مثله ، فلم ينكر عليه رسول اللَّه ﷺ»[2] .

ولذا أقول إن ادخار الإنسان لعياله ما يكفيهم لنفقتهم ليس مما نهى عنه الإسلام بل هو أمر مشروع وجائز بل واجب .

ومما يدل على هذا حديث جابر بن عبد اللَّه قال : كنا عند رسول اللَّه

---

(١) البخاري مع الفتح (٤/ ٣٠٣) .

(٢) « تلبيس إبليس » لابن الجوزي (ص١٨٢) .

ﷺ إذا جاءه رجل بمثل البيضة من ذهب فقال : يا رسول اللَّه أصبت هذه من معدن فخذها فهي صدقة ما أملك غيرها فأعرض عنه رسول اللَّه ثم أتاه من قبل ركنه الأيسر فأعرض عنــه رسول اللَّه ﷺ ثم أتاه من خلفه فأخذها رسول اللَّه ﷺ فحذفه بها فلو أصابته لأقصعته أو لعقرته فقال رسول اللَّه ﷺ: « **يأتي أحدكم بما يملك فيقول هذه صدقة ثم يقعد يتكفف الناس خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى** »[١] .

ومن هذا الحديث نفهم بأن الإنسان ليس له أن يتصدق بجميع ما يملك حتى يصبح فقيراً ثم يتعرض لسؤال الناس بل عليه أن يبقي من ماله ما يعف به نفسه وعياله وكل من تجب عليه نفقته فإن من الأشياء التي أكد عليها الإسلام اعطاء كل ذي حق حقه .

وكذلك الإكثار من المال الحلال ليس منهيًا عنه بل هو أمر مباح وجائز ومما يدل على هذا أن الرسول ﷺ دعا لأنس بن مالك بأن يكثر اللَّه ماله وولده ويبارك له فيه فقال ﷺ : « **اللهــم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته** »[٢] .

ومن هذا الحديث نفهم بأن الإكثار من المال الحلال ليس من الأشياء المنهي عنها بل هو أمر مشروع لأنه لو كان من الأمور المذمومة العائقة عن الوصول إلى ولاية اللَّه ومرضاته لما دعا الرسول ﷺ لأنس ليكثر اللَّه ماله.

وروى عبد اللَّه بن كعب بن مالك قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديث توبته قال : فقلت يا رسول اللَّه إن من توبتي أن أنخلع من

---

(١) « سنن أبي داود » (٨/ ٢٢٢) .

(٢) « صحيح مسلم » مع النووي (١٦/ ٣٩) .

مالي صدقة إلى اللّٰه عز وجل وإلى رسوله ﷺ فقال : « **أمسك بعض مالك فهو خير لك** »[1] .

قال الإمام ابن الجوزي رحمه اللّٰه بعد أن ذكر جملة من الأحاديث التي تدل على أن التجرد من المال كلية ليس مما أمر به الإسلام وأن الإنسان له أن يمسك ما يكفيه وعياله ويدخره قال :

« فهذه أحاديث مخرجة في الصحاح وهي على خلاف ما تعتقده المتصوفة من أن إكثار المال حجاب وعقوبة وأن حبسه ينافي التوكل. . . ».

ثم قال رحمه اللّٰه : « وإن قصد إعفاف نفسه وعائلته وادخر لحوادث الزمان وقصد التوسعة على الإخوان وإغناء الفقراء وفعل المصالح أثيب على قصده وكان جمعه بهذه النية أفضل من كثير من الطاعات وقد كان نيات خلق كثير من الصحابة رضي اللّٰه عنهم أجمعين في جمع المال سليمة لحسن مقاصدهم لجمعه فحرصوا عليه وسألوا زيادته . . وأبلغ من هذا أن يعقوب عليه السلام لما قال له بنوه : ﴿ **وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ** ﴾[2] مال إلى هذا وأرسل ابنه بنيامين معهم ، وأن شعيبًا طمع في الزيادة ما يناله فقال : ﴿ **فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ** ﴾[3] وأن أيوب عليه السلام لما عوفي نثر عليه رجل جراد من ذهب فأخذ يحثو في ثوبه ويستكثر منه فقيل له أن شبعت قال : يارب من يشبع من فضلك وهذا أمر مركوز في الطباع فإذا قصد به الخير كان خيراً محضًا[4] .

---

(١) « صحيح مسلم » مع النووي (١٧/٩٦) .

(٢) يوسف : (٦٥) .

(٣) القصص : (٢٧) .

(٤) « تلبيس إبليس » لابن الجوزي (ص١٧٩) .

وقال ابن الجوزي أيضًا في مكان آخر من كتابه :

« كان إبليس يلبس على أوائل الصوفية لصدقهم في الزهد فيريهم عيب المال ويخوفهم من شره فيتجردون من الأموال ويجلسون على بساط الفقر وكانت مقاصدهم حسنة صالحة وأفعالهم في ذلك خطـأ لقلـة العلم فأما الآن فقد كفى إبليس هذه الموءنة فإن أحدهم إن كان له مال أنفقه تبذيراً وضياعًا . . وهذا الفعل لا ألوم صاحبه إذا كان يرجع إلى كفاية قد ادخرها لنفسه وإن كانت له صناعة يستغني بها عن الناس أو كان المال عن شبهة فتصدق به فأما إذا أخرج المال الحلال كله ثم احتاج إلى ما في أيدي الناس وأفقر عياله فهو إما أن يتعرض لمنن الإخوان أو لصدقاتهـم أو أن يأخـذ من أرباب الظلم والشبهات فهذا هو الفعل المذموم المنهي عنه ولست أتعجب من المتزهدين الذين فعلوا هذا مع قلة علمهم وإنما العجـب من أقوام لهم عقل وعلم كيف حثوا على هذا وأمروا به مع مصادمته للعقل والشرع » .

وقد ذكر الحارث المحاسبي في هذا كلامًا طويلاً وشيده أبو حامد الغزالي ونصره والحارث عندي أعذر من أبي حامد لأن أبا حامد كان أفقه غير أن دخوله في التصوف أوجب عليه نصرة ما دخل فيه ثم نقل ابن الجوزي كلامًا طويلاً للحارث المحاسبي وقال في خاتمته :

« فهذا كلام الحارث المحاسبي ذكره أبو حامد فمن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم لم يشك في أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات إذ أقل ما فيه اشتغالهم بإصلاحه عن ذكر اللّه عز وجل فينبغي للمريد أن يخرج من ماله حتى لا يبقى إلا قدر ضرورته فمن بقي له درهم يلتفت إليه قلبه فهو محجوب عن اللّه عز وجل » .

قال الإمام ابن الجوزي :

« وهذا كله بخلاف الشرع والعقل وسوء فهم للمراد بالمال »[1] .

وقد أمر اللَّه بحفظ المال ونهى عن تضييعه وإسرافه وتبذيره وعظم قدره لأن المال هو قِوام الآدمي وما جعل قوامًا للآدمي وبه منوطة حياته في هذه الدنيا لأن الإنسان إذا لم يعمل ويحصل علي رزقه من حلال فمن أين سيحصل ما يسد به رمقه ؟ ولقد نهى اللَّه عز وجل عن وضع الأموال في يد السفهاء خشية أن يبددوها في أمور تافهة فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا** ﴾.

ونهى اللَّه سبحانه وتعالى عن تسليم المال لغير رشيد لأنه لا يحسن التصرف فيها فيضيعها قال سبحانه : ﴿ **فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا** ﴾[2] .

وقد نهى الرسول ﷺ عن إضاعة المال في الحديث الذي رواه عنه المغيرة بن شعبة رضي اللَّه عنه مرفوعًا أن رسول اللَّه قال : « **إن اللَّه حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنع وهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال** »[3] .

وقال الرسول ﷺ لسعد : « **إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير لك من أن تدعهم عالة يتكففون الناس** »[4] .

---

(١) « تلبيس إبليس » لابن الجوزي (ص١٧٦) .

(٢) النساء : (٦) .

(٢) « صحيح البارى » مع الفتح (٥/٦٨) .

(٤) « مسند أحمد » (١/١٧٣) .

ثم إن الفقر ليس محبوبًا في نفسه بحيث يسعى الإنسان ليكون فقيرًا بعد أن يبدد ماله ويبقى منه خالي اليد فهذا أمر مخالف لسنة المصطفي ﷺ وذلك لأن الرسول ﷺ تعوذ من الفقر في الحديث الذي روته عائشة رضي اللَّه عنها كان رسول اللَّه ﷺ يدعو بهؤلاء الدعوات : « **اللهم فإني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار وفتنة القبر وعذاب القبر ومن شر فتنة الغنى ومن شر فتنة الفقر** »[1] .

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **تعوذوا باللَّه من الفقر والقلة والذلة وأن تظلم أو تظلم** »[2] .

ولكن إذا أصيب الإنسان بالفقر فعليه أن يصبر مع بذل الجهد للحصول على لقمة العيش التي يسد بها رمقه ويغني به نفسه عن مذلة السؤال.

ومن هنا نقول إن اللَّه سبحانه وتعالى قد عظم قدر المال وأمر بحفظه ونهى عن تضييعه فيما لا يرضي اللَّه عز وجل وأن جمع المال وادخاره لو كان محذورًا أو مذمومًا أو مانعًا من الوصول إلى ولاية اللَّه كما يزعم المتصوفة لما أمر اللَّه بحفظه عن الضياع .

وقال الشيخ محمد فهر شقفه رادًا على المتصوفة الذين يدعون إلى ترك العمل وتبديد الأموال والقعود والجلوس في الأربطة :

« والدعوة إلى البطالة والكسل وترك العمل وتبديد المال دعوة خطيرة في المجتمع فيها تعطيل لإعمار الأرض ومخالفة لروح الإسلام فإذا كان

---

(١) « صحيح مسلم مع النووي » (٢٨/١٧) .

(٢) « سنن ابن ماجه » (١٢٦٣/٢) .

الإسلام يتميز في شيء عن الديانة النصرانية سوى العقائد فإنه يتميز في تنظيم أمور الدنيا وعلاقات الناس وغالبها ينشأ عن الكسب وطلب الرزق والإسلام دين العمل المنتج والنشاط الدائم ولم يكن في يوم من الأيام دين بطالة أو كسل وتطفل ، ورحم اللَّه أبا بكر خرج صباح توليه الخلافة ليكسب قوته بعمل يده .

والدعوة لترك العمل دعوة إلى الفقر ولا يوجد شيء أشد على النفس والمجتمع من الفقر وكان رسول اللَّه ﷺ يستعيذ من الفقر.

والدعوة لترك العمل دعوة للتخلف والضعف فإن المال والرزق من أهم أسباب القوة والمنعة والعز وقد حث الإسلام على العمل ورفع شأن العامل وبارك في كسبه قال تعالى : ﴿**لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ**﴾[1] .

ونكتفي بهذا في الرد على المتصوفة الذين زعموا أن الزهد يقتضي عدم القيام بأي عمل يحصل الإنسان من ورائه على معيشته الضرورية وأنه لا يجوز لأي أحد أن يدخر شيئًا من ماله إذا أراد أن يدخل في زمرة الزهاد بل عليه أن يتجرد من جميع ماله وقد بينا بأن هذا مفهوم باطل وغريب ليس من الإسلام في شيء بل هو مخالف للعقل والفطرة التي فطر اللَّه الناس عليها لأنه من الأشياء المعلومة ضروريًا في هذه الحياة الدنيا أنه لا يمكن أن يعيش أي إنسان مهما كان بدون القوت الضروري الذي يقيم به صلبه على الأقل ولو تجرد الإنسان من جميع ماله كما يدعو المتصوفة إلى ذلك فمن أين سيجد الإنسان هذا القوت الضروري ؟ وأظن الإجابة على ذلك : ليس أمامه

---

(١) يس : (٣٥) والموضوع منقول من كتاب محمد فهر شقفة (ص١١٤) .

للحصول على رزقه إلا التعرض للشحاتة والسؤال والوقوف أمام أبواب الناس من أجل الحصول على لقمة العيش وبالفعل لقد وقع المتصوفة في هذا ، وهذا ما سنبينه في الآتي .

وقوع المتصوفة في الشحاتة وسؤال الناس بسبب سوء فهمهم للزهد :

لقد وقع المتصوفة في الشحاتة وسؤال الناس فوقفوا أمام بيوت الناس وتسكعوا في الشوارع من أجل الحصول على عيشهم الضروري وما أوقعهم في هذا إلا سوء فهمهم للزهد في الإسلام حيث إن الإسلام دعا إلى العمل والسعي في الأرض للحصول على الرزق الحلال بطرق شرعية فخالفوا ذلك ودعوا إلى تعطيل القيام بأي سبب في هذه الدنيا وحرموا الادخار ودعوا إلى تجرد الإنسان من جميع ماله حتى يدخل في زمرة الزاهدين ثم وقعوا بعد ذلك في حيرة فلم يجدوا طريقًا يحصلون على رزقهم عن طريقه إلا القيام بالشحاتة وسؤال الناس في الشوارع والبيوت ولم يقف المتصوفة بسؤال الناس فقط مع ما فيه من نهي نبوي عنه وإنما دعوا أتباعهم إلى هذه الحرفة لما فيها من الحصول على الرزق بدون كد ومدحوا السؤال والحصول على الرزق عن طريق الشحاتة والتذلل والخشوع أمام الناس من أجل أن يعطوهم ما يأكلونه وهذا ما سأوضحه فيما يلي إن شاء اللَّه بإيراد عبارات تدل على هذا عن أئمتهم الضلال .

النصوص التي تدل على أن المتصوفة قاموا بالسؤال ومدحوه.

لقد مدح أقطاب الصوفية ومشائخهم الكبار وقاموا به بأنفسهم وطبقوه في واقع حياتهم ودعوا المريدين لهم إلى ممارسة هذه المهنة لأنها هي المهنة التي توقع الإنسان في الذل والهوان أمام الناس ولذا دائمًا ترى

الصوفية يحرضون أتباعهم للتعرض للفاقات والمصائب المالية ثم يحثونهم على سؤال الناس .

يقول أبو عبد اللَّه محمد بن إبراهيم بن عباد النفري الرندي تحت عنوان: ورود الفاقات أعياد المريدين : . . . . قال في معرض حديثه عن أحوال المريدين :

« ومنهم من مسرته وفرحه بفقدان حظوظه وإعواز أمانيه وأغراضه وهذا هو حال الخاصة من المريدين لأن مدار أمرهم إنما هو على مراعاة قلوبهم وتصفية أسرارهم من كدورات الأغيار والآثار ولا يتأتى لهم ذلك إلا بوجدانهم لما يقهرهم من ضرورات الفاقات وأنواع الحاجات والضرورات فتراهم يؤثرون الفقر على الغنى والشدة على الرخاء والذل على العز والمرض على الصحة »[1] .

وقال أيضًا : فواجب أن يكون ورود الفاقات أعياد المريدين فإذا فقدوا ذلك بمواتات الأسباب استشعروا بذلك وجود الحجاب وبعدهم عن محل الاقتراب[2] .

وقال إبراهيم المرابط الحسيني في وصف الصوفية :

بقو بشهود الحق من بعد ما فنوا عن الكون فاستجلوا ضياء المواهب
يداوون أمراض النفوس بحملها على ضد ما تهوى ذات المصائب

ثم قال الأمير عبد القادر الجزائري بعد ذكره هذه الأبيات :

« ولذا كان من شرط المريد الفقر بعد الغناء والخفاء بعد الظهور

(١) « غيث المواهب العلية » للرندي (ص٣١) .
(٢) « غيث المواهب العلية » للرندي (ص٣٢) .

ومراعاة الحق على كل حال وتطهير النفس من الأعراض والأمراض والأحوال»[1] .

وقال الرندي :

« ورود الفاقات يحصل بها للمريد مزيد كثير من صفاء القلب وطهارة السريرة وقد لا يحصل له ذلك بالصوم والصلاة لأن الصوم والصلاة قد يكون له فيهما شهوة وهوى وما كان سبيله هذا لا يؤمن عليه من دخول الآفات فلا يفيده تخلية ولا تزكية بخلاف ورود الفاقات فإنها مباينة للهوى والشهوة على كل حال »[2] .

وقال أبو الحسن الشاذلي :

« وتصحيح العبودية بملازمة الفقر والعجز والضعف والذل وأضدادها أوصاف الربوبية فمالك ولها فلازم أوصافك وتعلق بأوصافه »[3] .

إذا نظرنا في النصوص السابقة كلها نجد أن المتصوفة كلهم دعوا المريدين إلى التعرض لجميع المصائب في هذه الدنيا من الفقر والذل والهوان أمام جميع البشر في هذه الحياة وأكدوا لهم بأن هذا الطريق هو أفضل طريق لتزكية النفس وتطهيرها بل فضله بعضهم على الصلاة والصوم كما هو واضح أمامنا ونحن نقول إن هذا افتراء محض فاللّه سبحانه وتعالى قد أخبرنا بأن العزة للّه ولرسوله وللمؤمنين دائمًا فقال سبحانه : ﴿ **وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ** ﴾[4] .

---

(١) « التصوف » للأمير عبد القادر الحسيني (ص٣٩) .

(٢) « غيث المواهب العلية » للرندي (٣٣) .

(٣) « غيث المواهب العلية » للرندي (ص٣٤) .

(٤) المنافقون : (٧) .

فدعوة المتصوفة للمريدين التعرض لجميع المصائب دعوة باطلة قصدوا من ورائها القضاء على عدد كبير من شباب الأمة الإسلامية عن العمل وجعلهم فقراء يتكففون الناس من أجل الحصول على لقمة العيش وهذا أمر خطير جدًا ودعوة خبيثة انتشر بسببها الفقر والتسول في العالم الإسلامي من قبل الشباب الذين قضت الطرق الصوفية على شخصياتهم وعطلت طاقاتهم بسبب اعتناقهم للفكر الصوفي المنحرف الذي يدعو إلى البطالة والبعد عن القيام بأي عمل ولم يكتفوا بهذا بل دعوا أيضًا إلى القيام بالسؤال والشحاتة في الطرقات والبيوتات وجعلوه أفضل من الكسب لأنه يسبب الذل والمهانة للمريد فيترقى إلى أعلى المقامات.

عبارات المتصوفة وحكاياتهم التي تثبت أن المتصوفة مدحوا السؤال والشحاتة وطبقوه في واقع حياتهم :

لقد ذكرنا فيما سبق آنفًا بأن المتصوفة دعوا المريدين إلى التعرض للمصائب والفاقات بجميع أنواعها ثم دعوهم بعد ذلك إلى القيام بسؤال الناس وشحاذتهم في الطرقات والبيوت وهذا ما نريد إثباته هنا .

يقول أبو بكر النباتي [1] :

« أفتى الصوفية بوجوب السؤال على الفقير في بدايته إذا كان واجبًا باعتبار بداية السالك ولا عبرة ما إذا كان المريد غنيًا أو فقيرًا بل عليه أن يسأل

(١) هو أبو بكر بن محمد بن عبد اللّه النباتي الفاسي الرباطي متصوف وتوفي في رباط الفتح أقام مدة بفاس فتصوف وعلت شهرته في التصوف أكثر من ستين كتابًا منها رسائله المسماة « مدارج السلوك » و« الغيث المسجم في شرح الحكم الغطائية » و« الفتوحات القدسية في شرح القصيدة النقشبندية » انظر الأعلام للزركلي (٢/ ٤٥) .

لأن هذا السؤال المقصود منه هو تربية الأرواح »[1] .

إذا نظرنا في هذا النص نرى بوضوح أن الصوفية يعتبرون سؤال الناس هو الطريق الذي عن طريقه تتم تربية الأرواح ولذا أوجبوها على المريدين كما هو واضح أمامنا وهذا افتراء وكذب فسؤال الناس والتكفف لهم لا يجوز إلا عند الاضطرار فقط كالميتة أما أن يكون واجبًا أو يكون من الطرق التي يتم عن طريقها تربية الأرواح كما يزعم المتصوفة فليس هذا بصحيح .

ويقول عبد القادر الفاس دفين أبي عجارة من رأس الحنان بأرض فاس:

« فإذا قذف الحق فيها نور وجوده وكشف عنها حجاب الأكوان المانعة من شهوده يشهده حينئذ من هذه حاله من غير كيف في جميع صور وجوده حتى إذا احتاج إلى شيء فإنه يطلبه منه ويسأله من خزائن جوده إذ ليس معه فيه سواه فيمد يده عند الحاجة إلي أي صورة ويتكفف له في عينها في كل وقت من أوقات زمانها ويأكل من خزائن الجود ويكون أكله لذلك من أجل ما يؤكل وسؤاله عند الوصف المذكور من أفضل الأعمال لاقترانه بمشاهدته تعالى والأخذ منه والافتقار إليه واقترانه بوصف الذل الذي هو غاية المطلوب من العبد ولا عليه إن لم تزحزحه شهوته وتكدره غفلته فيما يدخل في يده»[2] .

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن الفاسي بما أنه يعتقد أن جميع ما في هذا الكون مظاهر ومجالي للَّه سبحانه وتعالى فالحصول على الرزق عن طريق تكفف أي حد من البشر في هذه الحياة هو أفضل رزق لأن

(١) « مدارج السلوك » (ص٦) .

(٢) « مدارج السلوك » (ص٦) .

المتكفف للبشر إنما هو متكفف للَّه سبحانه وتعالى وطلب الرزق من اللَّه والحصول عليه منه مباشرة هو أفضل رزق وهذه حيلة خبيثة لأكل أموال الناس بالباطل وإلا فليس ما في هذا الكون مظاهر ومجالي للَّه كما يزعم المتصوفة بل اللَّه سبحانه وتعالى مباين لخلقه في ذاته وصفاته وأفعاله وقد بينا ذلك في باب انحراف المتصوفة في مفهوم التوحيد فانظره هناك[1] .

والذي يهمنا من إيراد هذا النص هنا هو الإثبات بأن المتصوفة يرون الحصول على الرزق عن طريق سؤال الناس هو أفضل طريق .

وقال صاحب مدارج السلوك وهو يمدح السؤال ويفضله على الكسب:

« والخلائق كلهم يتكففون ولأرزاقهم يتعرضون إلا أن العامة يتعرضون لها بما تيسر لهم من الأسباب ويتكففونه سبحانه بعوض منهم في زعمهم لرؤيتهم نفوسهم وملكيتها لما يجمعونه من المعوضات فيأخذون ويدفعون بطريق العوض فيأخذون من نفوسهم ويدفعون بنفوسهم في ظلمة نفوسهم يعمهون بخلاف من جعلوا شعارهم التكفف من غير عوض فإنهم يأخذون من الحق إذ لا ملك لهم معه يعوضونه إياه فهم يأخذون من خالص عطائه وفيض جوده وامتنانه فيكون من سؤاله للناس إذن من شيخ مربي وتكففه على هذه الحالة ونفسه مطمئنة بها طعامه حلال ولقمته طيبة لا شوب فيها توكل أحل من غيرها إن وعلى هذا جرى عمل بعض الأشياخ رضي اللَّه عنهم في قديم الزمان وعليه أشياخ هذه الطائفة الزرقوية رضي اللَّه عنهم وفي السؤال أسرار أخرى لا تنكر يعرفها الذائقون لها فإن للَّه في كل حالة من الأسرار ما لا يصفه واصف ولا يحده عارف ومن أراد تحقيق ما هنالك فليجرب فإن

(١) انظر (ص٨١٢ ـ ٨١٤) .

الحقائق تظهر في التجريب[1] .

وفي هذا النص رائحة عقيدة القول بوحدة الوجود واضحة جدًا لأنه اعتبر سؤال الناس والأخذ منهم الأخذ من اللَّه وذلك بناءًا على عقيدتهم التي تقول إن كل ما في هذا الكون ما هو إلا مظاهر ومجالي للَّه سبحانه وتعالى وقد رأينا في هذا النص أيضًا تفضيله الحصول على الرزق عن طريق العمل للحصول عليه عن طريق السؤال وهذا مخالف للنصوص الشرعية .

وقال أيضًا : ومن شروط السؤال للمنقطع أربعة :

١ ـ عدم التشوف للأسباب.

٢ ـ عدم الادخار .

٣ ـ عدم رؤية الخلق في العطاء والمنع .

٤ ـ ولا يأخذ إلا ما وافق العلم الظاهر فأما ما دامت بقايا الأسباب في النفس فالأسباب أولى[2] .

فالنص واضح في أنه يدعو إلى ترك الأسباب وعدم الادخار ثم الاتجاه إلى طريق آخر للحصول على الرزق هو سؤال الناس وذلك بعد أن يتخلى عن القيام بأي عمل يحصل عن طريقه على رزقه وهذا أمر مخالف للشرع كما سيتضح لنا أثناء الرد عليهم .

وحكى الرندي عن بعض المتصوفة أنه قال :

« صدق الفقير أخذه الصدقة ممن يعطيه لا ممن تقبل إليه على يده

---

(١) « مدارج السلوك » (ص٧) .

(٢) « مدارج السلوك » (ص٧) .

فالحق تعالى هو المعطي على الحقيقة لأنه جعلها لهم فإن قبلها من الحق فهو الصادق في فقره لعلو همته ومن قبلها من الوسائط فهو المتوسم بالفقر مع رداءة همته »[1] .

من النصوص السابقة نخرج بخلاصة وهي أن المتصوفة يفضلون الحصول على الرزق عن طريق السؤال والتكفف للناس على الحصول عليه عن طريق الكد والكدح وهذا مبدأ خطير جدًا لو طبقته الأمة الإسلامية لانهار اقتصادها وأصبحت كلاً على غيرها وهو لو طبق كفيل بتدمير الأمة والقضاء عليها .

حكايات عن المتصوفة أنفسهم على أنهم بالفعل سألوا الناس :

إذا أردنا أن نذكر كل الحكايات التي ذكرها المتصوفة في كتبهم والتي تدل دلالة واضحة على أنهم بالفعل قاموا بالتسول وسؤال الناس في الشوارع بغية حصولهم على الرزق بعد أن دعوا إلى الابتعاد عن العمل لكسب الرزق يصعب علينا ذكرها كلها ولذا سأذكر بعض الحكايات التي أثبت بها على أن المتصوفة بالفعل مارسوا التسول والتكفف لأموال الناس في الشوارع والبيوت وأصبحوا عبئًا على الأمة الإسلامية عبر التاريخ وإليك نماذج من هذه الحكايات.

فقد ذكر السهروردي بأن أحد المتصوفة قال : جعت ذات يوم وكان حالي أن لا أسأل فدخلت بعض المحال ببغداد مجتازًا متعرضًا لعل اللّٰه يفتح لي على يد بعض عباده شيئًا فلم يقدر فنمت جائعًا فأتى آت في منامي فقال لي : اذهب إلى موضع كذا وعين الموضع فشم خرقة زرقاء فيها تقطيعات

(١) « غيث المواهب العلية » للرندي (ص٣٤) .

أخرجها في مصالحك[1] .

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن هذا الصوفي دخل بغداد رجاء الحصول على رزقه بالتسول في شوارع بغداد وذلك بعد أن حرم الحصول على الرزق عن طريق الكد والكدح .

وروى السهروردي أن عبد اللّٰه بن عوف المسعودي كان له ثلاثمائة وستون صديقًا يكون عند كل واحد يومًا وآخر كان له ثلاثون صديقًا يكون عند كل واحد يومًا وآخر كان له سبعة إخوان يكون كل يوم من الأسبوع عند واحد[2] .

ورأى بعضهم النوري يسأل الناس قال : فاستعظمت ذلك منه واستفظعته فأتيت الجنيد وأخبرته فقال لي : لا يعظم هذا فإن النوري لم يسأل الناس إلا ليعطيهم سؤلهم في الآخرة فيؤجرون من حيث لا يضره[3] .

وروى عن أبي سعيد الخرّاز أنه كان يمد يده عند الفاقة ويقول: ثم شيء.

ونقل عن أبي جعفر الحداد وكان أستاذًا للجنيد أنه كان يخرج بين العشائين ويسأل من باب أو بابين .

ونقل عن إبراهيم بن أدهم أنه كان يسأل كل ثلاثة أيام عند فطوره[4] .

ويعتقد المتصوفة إن للّٰه سبحانه وتعالى أبوابًا من طريق الحكمة وأبوابًا من طريق القدرة فإن فتح بابًا من طريق الحكمة وإلا فيفتح بابًا من

---

(١) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص٩٨) .

(٢) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص١٠٢) .

(٣) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص١٠٢) .

(٤) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص١٠٢) .

طريق القدرة ويأتيه الشيء بخرق العادة كما كان يأتي مريم عليها السلام : ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1] .

وقيل لأبي يزيد ما نراك تشتغل بالكسب فمن أين معاشك فقال : مولاي يرزق الكلب والخنزير تراه لا يرزق أبا يزيد[2] .

وتكفي هذه النماذج التي ذكرتها عن أئمة التصوف فهي واضحة الدلالة على أن المتصوفة بالفعل مارسوا حرفة التسول والتكفف والسؤال لأموال الناس بعد أن عطلوا أتباعهم عن ممارسة أي عمل بحجة أن هذا مناف للزهد الحقيقي في هذه الدنيا وهذا فهم خاطئ للزهد الإسلامي المشروع الذي بيناه في المبحث الأول من هذا الفصل إذ بينا هناك بأن الزهد الحقيقي في هذه الدنيا هو أن يكد الإنسان في هذه الحياة الدنيا من أجل الحصول على الرزق الحلال ثم ينفقه في الوجوه المشروعة وأن الزاهد هو الذي يقدم أمور دينه على دنياه ولا يكن همه جمع حطام الدنيا فقط أما أن يتجرد الإنسان من جميع ماله ويحرم الكسب على نفسه ثم ينتظر ما يقدم له من الناس فهذا أمر مخالف لمبادئ ديننا الحنيف الذي حث على الكسب وحذر من سؤال الناس إلا للضرورة .

قال الإمام ابن الجوزي وهو يتحدث عن المتصوفة الذين فهموا الزهد فهمًا خاطئًا ودعوا إلى التجرد عن كل ما يملكون :

قال : وقد بينا أنه كان من أوائل الصوفية يخرجون من أموالهم زهدًا

---

(١) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص١٠٣) .

(٢) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص١٠٣) .

فيها وذكرنا أنهم قصدوا الخير بذلك إلا أنهم غلطوا في هذا الفعل فأما متأخروهم فقد مالوا إلى الدنيا وجمع المال من أي وجه كان إيثاراً للراحة وحبًا للشهوات فمنهم من يقدر على الكسب ولا يعمل ويجلس في الرباط أو المسجد ويعتمدون على صدقات الناس وقلبه معلق بطرق الباب ومعلوم أن الصدقة لا تحل لغني ولا لذي مرة (أي القدرة) سوي ولا يسألون بمن بعث إليهم فربما بعث الظالم والماكس فلم يردوه وقد وضعوا في ذلك بينهم كلمات منها تسمية ذلك بالفتوح ومنها أن رزقنا لابد أن يصل إلينا ومنها أنه من اللَّه فلا يرد عليه ولا نشكر سواه وهذا كله خلاف الشريعة وجهل بها وعكس ما كان السلف الصالح عليه فإن النبي ﷺ قال : « **الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه** » .

وقد قاء أبو بكر الصديق رضي اللَّه عنه من أكل شبهة .

وكان الصالحون لا يقبلون عطاء ظالم ولا ممن في حالة شبهة وكثير من السلف لم يقبل صلة الإخوان عفافًا وتنزهًا . . ثم قال ابن الجوزي :

« ثم أين هؤلاء من الأنفة من الميل إلى الدنيا فإن النبي ﷺ قال : « **اليد العليا خير من اليد السفلى** »[1] واليد العليا هي اليد المعطية هكذا فسره العلماء وهو الحقيقة وقد تأوله بعض القوم فقال العليا هي الآخذة قال ابن قتيبة : ولا أرى هذا إلا تأويل قوم استطابوا السؤال » .

ثم قال ابن الجوزي :

« ولقد دخلت بعض الأربطة فسألت عن شيخه فقيل لي قد مضى إلى

---

(١) « سنن أبي داود مع بذل المجهود » (٨/ ١٩١) .

الأمير فلان يهنئه بخلعة قد خلعت عليه وكان ذلك الأمير من كبار الظلمة فقلت : ويحكم ما كفاكم أن فتحتم الدكان حتى تطوفوا على رءوسكم بالسلع يقعد أحدكم عن الكسب مع قدرته عليه معولاً على الصدقات والصلات ثم لا يكفيه حتى يأخذ ممن كان ثم لا يكفيه حتى يدور على الظلمة فيستعطي منهم ويهنئهم بملبوس لا يحل وولاية لا عدل فيها والله إنكم أضر على الإسلام من كل مضر »[1] .

والخلاصة أن المتصوفة بعد أن حرموا القيام بأي سبب يحصلون بسببه على الرزق الحلال ورأوه أنه مناف للزهد الحقيقي ودعوا إلى التجرد الكامل من كل ما يملكه الإنسان وقعوا في حيرة شديدة لأنهم أتوا ببدعة مرفوضة شرعًا وعقلاً ولم يجدوا أمامهم إلا وسيلة واحدة للحصول على الرزق ألا وهي التسول والتكفف وسؤال الناس أموالهم بالباطل واتخذوا هذه مهنة لهم وكل من ينظر إلى المتصوفة ومريديهم في العالم الإسلامي فإنه يراهم بأنهم صاروا حملاً ثقيلاً على الأمة الإسلامية لأنهم لا يقومون بأي عمل وعوام المسلمين وجهالهم يغدقون عليهم الأموال بحجة أنهم أولياء الله المتفرغين للعبادة والذي يهمنا هنا هل السؤال والتسول لأموال الناس ممدوح في الإسلام لكي يحصل الإنسان على رزقه عن طريقه أم لا ؟

وهذا ما سأجيب عنه الآن إن شاء الله

حكم السؤال في الإسلام :

لقد حذر الإسلام من التسول والتكفف وسؤال الناس وذمه وتوعد عليه وذكر العاقبة الوخيمة التي تصيب الإنسان يوم القيامة بسبب سؤال الناس

---

(١) تلبيس إبليس » لابن الجوزي (ص١٨٥ ـ ١٨٦) .

والتكفف لأموالهم ولم يره من الطرق المشروعة الجائزة للحصول على الرزق عن طريقه فضلاً عن أن يكون من أفضل الطرق كما زعم المتصوفة .

وإليك الأدلة على ذلك من أقوال الرسول الكريم ﷺ .

فمن الأحاديث التي تدل على ذم السؤال والتكفف لأموال الناس قول الرسول ﷺ فيما رواه عنه ابن عمر رضي اللّه عنهما أنه قال وهو على المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفف منها والمسألة : « **اليد العليا خير من اليد السفلى**»[1] واليد العليا المنفقة والسفلى السائلة .

* ومن الأحاديث التي تدل على ذم السؤال والحث على العمل قول الرسول ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **لأن يحتزم أحدكم حزمة حطب على ظهره فيبيعها خير من أن يسأل رجلاً فيعطيه أو يمنعه** »[2] .

* ومن الأحاديث التي تدل على ذم السؤال ما رواه عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **ما يزال الرجل يسأل حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة من لحم** »[3] .

قال ابن بطال رحمه اللّه تعليقًا على هذا الحديث :

« جازاه اللّه من جنس ذنبه حين بذل ماء وجهه وعنده الكفاية وإذا لم يكن اللحم فتؤذيه الشمس أكثر من غيره وأما من سأل مضطراً فيباح له السؤال ويرجى له أن يؤجر عليه إذا لم يجد عنه بداً »[4] .

---

(١) « سنن أبي داود مع بذل المجهود » (٨/ ١٩١) .

(٢) « سنن النسائي مع شرح السيوطي » (٥/ ٩٣) .

(٣) « سنن النسائي مع شرح السيوطي » (٥/ ٩٤) .

(٤) « شرح جلال الدين السيوطي على سنن النسائي » (٥/ ٩٤) .

وقال السندي :

« (مزعة لحم) بضم ميم ، حكى كسرها وفتحها وسكون زاى معجمة وعين مهملة القطعة الكبيرة من اللحم والمراد أنه يجيء ذليلاً لا جاه له ولا قدر كما يقال له وجه عند الناس أو ليس له وجه أو أنه يعذب في وجهه حتى يسقط لحمه أو أنه يجعل له ذلك علامة يعرف به والظاهر ما قيل أنه جازاه اللّه من جنس ذنبه فإنه صرف بالسؤال ماء وجهه عند الناس»[١] .

* وعن قبيصة بن مخارق قال سمعت رسول اللّه ﷺ يقول :

« لا تصح المسألة إلا لثلاثة رجل أصابت ماله جائحة فيسأل حتى يصيب سداداً من عيش ثم يمسك ورجل تحمل حمالة فيسأل حتى يؤدي إليهم حمالتهم ثم يمسك عن المسألة ورجل حلف ثلاثة نفر من قومه من ذوي الحجا باللّه لقد حلت المسألة لفلان فيسأل حتى يصيب قوامًا من معيشة ثم يمسك عن المسألة فما سوى ذلك سحت »[٢] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه قال : إن أناسًا من الأنصار سألوا رسول اللّه فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى إذا نفذ ما عنده قال : **« ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم ومن يتعفف يعفه اللّه ومن يستغن يغنه اللّه ومن يتصبر يصبره اللّه وما أعطي أحد من عطاء أوسع من الصبر»**[٣] .

* ومن الأحاديث التي تدل على ذم السؤال وتحث على العمل ما رواه عروة عن أبيه عن جده قال : قال رسول اللّه ﷺ : **« لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيستغني بثمنها خير له من**

---

(١) « حاشية السندي على سنن النسائي » (٥/ ٩٤) .

(٢) « سنن النسائي » (٥/ ٩٧) .

(٣) « سنن أبي داوود مع بذل المجهود » (٨/ ١٨٦) والنسائي (٥/ ٩٥) .

أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه »[1] .

* وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه** »[2] .

وهكذا الإسلام كما نرى هنا في هذه الأحاديث نهى عن السؤال وحذر منه وعابه وشجع على العمل ووعد عليه الأجر الجزيل ولقد شجع السلف الصالح على العمل وحذروا من التكاسل.

قال سعيد بن المسيب رحمه اللَّه : « لا خير فيمن لا يجمع المال من حله فيخرج منه حقه ويصون به عرضه » .

وقال عمر بن الخطاب : « يا معشر الفقراء ارفعوا رءوسكم واتجروا فقد وضح الطريق » .

وقال عبد اللَّه بن المبارك : « من ترك السوق ذهبت مروءته وساء خلقه»[3].

إذا نظرنا في الأحاديث والآثار السابقة نخرج بخلاصة واحدة ألا وهي أن الإسلام قد حذر من سؤال الناس وتكففهم وحث على العمل والكد والكدح للحصول على الرزق واعتبر ذلك عملاً صالحًا يجزي عليه الإنسان يوم القيامة خيراً كما هو واضح أمامنا في الأحاديث والآثار التي ذكرتها وبهذا يظهر لنا بطلان دعوى الصوفية في نهيهم عن العمل بحجة الزهد في الدنيا وحثهم على سؤال الناس والتكفف لأموالهم واعتبارهم له من أفضل الطرق

---

(١) « مصنف عبد الرزاق » (١١/ ٩١) وكذا « مصنف ابن أبي شيبة » (١/ ١٣٩) .

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (٤/ ٣٠٤) .

(٣) « تنبيه الغافلين » (ص٦٨ ـ ٦٩) .

للحصول على الرزق.

نفور الصوفية عن الزواج وتنفير الناس عنه بحجة الزهد في الدنيا وسوء فهمهم للزهد :

لقد ابتعد زعماء الصوفية قديمًا وحديثًا عن الزواج الشرعي ولم يكتفوا بابتعادهم عنه بل نفروا الناس عنه بشتى الأساليب المنفرة حيث يعتقد الصوفية بأن البعد عن الزواج وبالتالي عدم الأولاد لأن من لم يتزوج حتمًا لن يلد يرون هذا المسلك أحسن معين للفقير وأجمع لهمه وألذ لعيشه وإليك أقوالهم التي وصفوا فيها الزواج بأنه رخص وليس بسنة من سنن المصطفى ﷺ وأنه قيود وانهماك في الدنيا ومانع من الوصول إلى ولاية اللّه سبحانه وتعالى ودعا المتصوفة إلى هجر الزوجة والأولاد والسكن في المزابل مع الكلاب من أجل إهانة النفس وتحقيرها وتعذيبها وذلك زهدًا في الدنيا ورجاء الوصول إلى ولاية اللّه حسب زعمهم .

وإليك عباراتهم التي تدل على أنهم نفروا من الزواج بشتى الأساليب.

قال السهروردي وهو يذم الزواج وينفر منه :

« التزوج انحطاط من العزيمة إلى الرخص ورجوع من التزوج إلى النقص وتقييد بالأولاد والأزواج ودوران حول مظان الاعوجاج والتفات إلى الدنيا بعد الزهادة »[١] .

وقال السهروردي : « من تعود أفخاذ النساء لا يفلح »[٢] .

---

(١) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص١٠٤) .

(٢) « عوراف المعارف » للسهروردي (ص١٠٥) .

وقال أبو سليمان الداراني :

« ما رأيت أحداً من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته »[1] .

وقال أيضًا : « ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا من طلب معاشًا أو تزوج امرأة أو كتب الحديث »[2] .

وقيل لبشر بن الحارث : إن الناس يتكلمون فيك فقال : ما يقولون؟ قيل : يقولون إنه تارك للسنة ـ يعني النكاح ـ فقال : قولوا لهم أنا مشغول بالفرض عن السنة وكان يقول : لو كنت أعول دجاجة خفت أن أكون جلاداً على الجسر[3] .

ويقول السهروردي :

« فالتجرد عن الأزواج والأولاد أعون على الوقت للفقير وأجمع لهمه وألذ لعيشه ويصلح للفقير في ابتداء أمره قطع العلائق ومحو العوائق والتنقل في الأسفار وركوب الأخطار والتجرد عن الأسباب والخروج عن كل ما يكون حجابًا »[4] .

وقال أيضًا وهو يحذر المريدين عن الزواج ويخوفهم منه :

« والصوفي مبتلى بالنفس ومطالبها وهو في شغل شاغل عن نفسه فإذا انضاف إلى مطالبات نفسه مطالبات زوجه يضعف طلبه وتكل إرادته وتفتر عزيمته والنفس إذا أطمعت طمعت وإذا أقنعت قنعت . . » .

---

(١) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص١٠٤) .

(٢) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص١٠٤) .

(٣) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص١٠٥) .

(٤) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص١٠٤) .

وقال أيضًا : « وينبغي للمريد أن يعرض على نفسه ما يدخل عليه بالنكاح من الدخول في المداخل المذمومة المؤدية إلى الذل والهوان وأخذ الشيء من غير وجهه وما يتوقع من القواطع بسبب التفات الخاطر إلى ضبط المرأة وحراستها والكلف التي لا تنحصر »[١] .

وقال أيضًا : « ولا شك أن المرأة تدعو إلى الرفاهية والدعة وتمنع عن كثرة الاشتغال بالله وقيام الليل وصيام النهار ويتسلط على الباطن خوف الفقر ومحبة الادخار وكل هذا بعيد عن المتجرد »[٢] .

وذكر أن بعض الفقراء لما قيل له تزوج قال : أنا أن أطلق نفسي أحوج مني إلى التزوج[٣] .

ويقول سهل بن عبد الله التستري :

« إياكم والاستمتاع بالنساء والميل إليهن فإن النساء مبعدات من الحكمة قريبات من الشيطان وهي مصايده وحظه من بني آدم فمن عطف إليهن بكلية فقد عطف على حظ الشيطان ومن حاد عنهن يئس منه وما مال الشيطان إلى أحد كميله إلى من استرق بالنساء وأن الشر معهن حيث كن فإذا رأيتم في وقتكم من قدركن إليهن فايأسوا منه »[٤] .

وقال إبراهيم بن أدهم :

« إذا تزوج الفقير فمثله مثل رجل قد ركب السفينة فإذا ولد

---

(١) « عوراف المعارف » للسهروردي (ص١٠٥) .

(٢) « عوراف المعارف » للسهروردي (ص١٠٥) .

(٣) « عوراف المعارف » للسهروردي (ص١٠٥) .

(٤) « غيث المواهب العلية » للرندي (٢/٩٠٢) .

له ولد قد غرق »[1] .. .

هذا فيما يتعلق بتنفير الصوفية عن الزواج قبل وقوعه حتى لا يقع فيه المريد وأما إذا وقع المريد في الزواج وتزوج بالفعل فقد شجعوه على هجران المرأة وعدم قربها وذلك بذكر حكايات عن أئمة التصوف هجروا نساءهم بعد أن تزوجوهن ولم يقربوهن وإليك نماذج من هذه الحكايات التي قصدوا من ورائها تعذيب النساء .

فقد ذكر الشعراني عن ياقوت العرش وهو أحد المتصوفة أنه تزوج ابنة شيخه أبي العباس المرسي فمكثت عنده ثماني عشرة سنة لا يقربها حياءا من والدها ومنها وفارقها بالموت وهي بكر[2] .

وذكر الطوسي أن صوفيًا تزوج من امرأة فبقيت عنده ثلاثين سنة وهي بكر[3] .

ونقل أبو الحسن الهجويري عن إبراهيم الخواص أنه قال :

« وصلت إلى قرية بقصد زيارة عظيم كان هناك ولما ذهبت إلى داره رأيت بيتًا نظيفًا مثل معبد الأولياء وقد جعل في روايشين من البيت محرابين وجلس في أحدهما شيخ وفي الآخر عجوز نظيفة وضيئة وقد ضعف كلامها من كثرة العبادة فأظهر السرور بقدومي وبقيت هناك ثلاثة أيام ولما أردت العودة سألت الشيخ من تكون لك تلك العفيفة ؟ قال هي من ناحية ابنة عمي ومن ناحية أخرى زوجي فقلت رأيتكما خلال هذه الأيام الثلاثة كالغريبين

---

(١) « اللمع » للطوسي : (ص٢٦٥) .

(٢) « الأخلاق المتبولية » لعبد الوهاب الشعراني (٣/ ١٧٩) .

(٣) « اللمع » للطوسي (ص٢٦٥) .

تمامًا في الصحبة قال : نعم ، منذ خمسة وستين سنة ونحن كذلك فسألته عن سبب ذلك فقال : اعلم أننا كنا عاشقين لأحدنا الآخر في الصغر ولم يكن أبوها يعطيها لي لأن محبتنا صارت معروفة فتحملت ذلك حتى توفي أبوها وكان والدي عمها فزوجها لي فلما كانت الليلة الأولى من تلاقينا قالت لي : أنت تعلم أي نعمة أنعمها اللَّه علينا إذ أوصل كلامنا إلى الآخر وأفرغ قلبينا من القيود والآفات السيئة ، فقلت : نعم ، قالت : فلنمنع أنفسنا الليلة عن هوى النفس وندس على مرادنا ونعبد اللَّه شكرًا على هذه النعمة ، فقلت: هذا صواب ، وقالت : هذا نفسه في الليلة التالية وقلت أنا في الليلة الثالثة : لقد أدينا الشكر ليلتين من أجلك فلنقض ليلتين أيضًا في العبادة من أجلي وقد تمت الآن خمسة وستون عامًا لم يمس أحدنا الآخر ونحن نقض كل العمر في شكر النعمة[1] .

إذا نظرنا في العبارات السابقة التي أوردتها عن المتصوفة نرى بوضوح كامل وبدلالة صريحة لا غموض فيها كلها فيها تنفير عن الزواج وأنه من الموانع عن الوصول إلى ولاية اللَّه وأن البعد عن الزواج وعدم الإقدام عليه أو هجر الزوجة والأولاد بعد الوقوع عليه هو الطريق الموصل إلى ولاية اللَّه سبحانه وتعالى وهذا حسب زعم المتصوفة .

ثانيًا : إثبات مشروعية النكاح بالكتاب والسنة وأقوال العلماء :

تمهيد :

لقد ذكرنا في الفقرة الأولى السابقة أقوال الصوفية التي تدل دلالة صريحة على أنهم يرون النكاح رخصة وليس بعزيمة وبينا بأنهم لم يقفوا عند

---

(١) « كشف المحجوب » للهجويري (٢/٦٠٨) .

هذا الحد بل اتخذوا شتى الأساليب لتنفير الناس عن الزواج حيث وصفوه بأوصاف قبيحة تجعل العامي الجاهل الذي لا يعرف مكانة النكاح في الكتاب والسنة ينفر منه ويبتعد عنه خشية أن يقع في تلك المصائب التي ذكرها الصوفية لكل من أراد أن يقدم على الزواج .

وفي هذه الفقرة نريد أن نرد على الصوفية وذلك بذكر الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة تثبت مشروعية النكاح وأنه مما رغب فيه الرسول ﷺ وحث عليه وبهذا سيظهر بطلان دعاوى الصوفية التي ادعوها لكي ينفروا الناس عن الزواج .

أولاً : الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال العلماء التي تثبت مشروعية النكاح :

النكاح مشروع بالكتاب والسنة والإجماع وإليك بيان ذلك :

أولاً : الأدلة من الكتاب على مشروعية النكاح :

* من الآيات التي تدل على مشروعية النكاح قول اللَّه تعالى : **﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾**[1] .

ففي هذه الآية أمر اللَّه سبحانه وتعالى بالنكاح ولو لم يكن النكاح أمراً مشروعًا ومحمودًا لما أمر اللَّه به لأن اللَّه لا يأمر بالمنكر بل يأمر بالمعروف ويعرف مصالح عباده دنيا وأخرى وعلى هذا يظهر بطلان دعوى الصوفية في أن النكاح ليس بأكثر من رخصة وهذا قول المعتدلين منهم أما المنحرفون

(١) النساء : (٣ ـ ٤) .

انحرافًا خطيرًا فقد وصفوا الزواج بأنه من العقبات الكبيرة التي تسد المريد من الوصول إلى ولاية اللّه حسب زعمهم .

* ومن الآيات التي تدل على مشروعية النكاح والحث عليه قول اللّه تعالى : ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] .

ففي هذه الآيات أمر اللّه سبحانه وتعالى بالنكاح وحذر من أن يكون الفقر عائقًا من الإقدام على الزواج وتعهد اللّه سبحانه وتعالى بأن يغني الزوجين من فضله لأن أرزاقه واسعة لا تحصى ولا تنفض ولا تنقطع ولأنه عليم بعباده سبحانه .

وأمر الذين لا يستطيعون موءنة النكاح بالصبر إلى أن يغنيهم اللّه سبحانه وتعالى من فضله .

وعلى كلٍّ الآيات فيها حث على النكاح وترغيب فيه وهذا بخلاف ما ذهب إليه المتصوفة حيث حذروا من الإقدام على الزواج وهو مناقضة صريحة لما جاء في الكتاب كما هو واضح أمامنا .

وبما أن النكاح من الأشياء التي أحلها اللّه سبحانه وتعالى فهو من الطيبات وقد نهى اللّه سبحانه وتعالى عن تحريم الطيبات في كتابه فقال :

---

(١) النور : (٣٢ ـ ٣٣) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[1] .

قال الإمام الطبري :

« التبتل الذي أراده عثمان بن مظعون تحريم النساء والطيب وكل ما يلتذ به فلهذا نزل في حقه هذه الآية »[2] .

وبما أن النكاح من الأمور التي أحلها اللَّه فهو من الطيبات وليس من الأشياء التي يجب الهروب عنها والنفور كما يفعل المتصوفة .

ثانيًا : الأدلة من السنة على مشروعية النكاح والترغيب فيه :

لقد رغب النبي ﷺ في النكاح في أحاديث كثيرة وحث عليه حثًا بليغًا وبعبارات مختلفة فمرة رغب فيه بأمر الشباب المستطيعين بالزواج ومرة رغب فيه باعتبار من تزوج استكمل نصف دينه ومرة رغب فيه باعتبار من لم يتزوج مع الاستطاعة ليس منه وغير ذلك من الأساليب المتنوعة التي ستتضح لنا الآن في الأحاديث الآتية :

* فمن الأحاديث التي تدل على مشروعية النكاح ما رواه علقمة قال بينا أنا أمشي مع عبد اللَّه رضي اللَّه عنه فقال : كنا مع النبي ﷺ فقال : **«من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »**[3] .

وفي طريق آخر عن الأعمش قال حدثني إبراهيم عن علقمة قال :

---

(١) المائدة : (٨٧) .

(٢) البخاري مع الفتح (٩/ ١١٨) .

(٣) البخاري مع الفتح (٩/ ١٠٦) والبيهقي في « السنن الصغرى » (٣/ ٧) .

كنت مع عبد اللَّه فلقيه عثمان بمنى فقال : يا أبا عبد الرحمن إن لي إليك حاجة فخليا فقال لي عثمان : هل لك يا أبا عبد الرحمن في أن نزوجك بكراً تذكرك ما كنت تعهد فلما رأى عبد اللَّه أن ليس لي حاجة إلى هذا أشار إلي فقال : يا علقمة ، فانتهيت إليه وهو يقول أما لئن قلت ذلك لقد قال لنا النبي ﷺ : « **يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء** »[1] .

ففي هذين الحديثين أمر النبي ﷺ بالنكاح وحث عليه وهذا يدل على مشروعية النكاح وأنه من الأمور التي أمر اللَّه بها رسوله ﷺ وما دام أمر به رسول اللَّه ﷺ فهو من الأشياء الطيبة الفاضلة التي تعين الإنسان في دينه وتساعده على الاستقامة وعدم الانحراف وليس كما يدعي المتصوفة بأن الزواج يعتبر عقبة من العقبات التي تكون حاجزاً منيعًا بين الإنسان ووصوله إلى ولاية اللَّه سبحانه وتعالى .

وقال الإمام الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه تحت هذا الحديث :

« خص الشباب بالخطاب لأن الغالب وجود قوة الداعي فيهم إلى النكاح بخلاف الشيوخ وإن كان المعنى معتبراً إذا وجد السبب في الكهول والشيوخ أيضًا »[2] .

أما الإجماع فقد أجمع المسلمون كلهم قديمًا وحديثًا على أن النكاح مشروع[3] .

---

(١) البخاري مع الفتح (٩/١٠٦) .

(٢) « فتح الباري شرح صحيح البخاري » (٩/١٠٨) .

(٣) انظر « المغني » لابن قدامة (٦/٤٤٥) .

حكم النكاح :

لقد ذكرنا فيما سبق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تدل على مشروعية النكاح والترغيب فيه وذكرنا الإجماع على ذلك أيضًا وهنا نريد أن نذكر أقوال الفقهاء في حكم النكاح ولا نريد هنا أن نذكر قول كل مذهب بعينه ونقارن بين المذاهب وإنما نريد أن نذكر جملة من أقوال العلماء في حكم النكاح حتى نؤكد بأنه من الأمور المشروعة ولذا وضع الفقهاء له أحكامًا وإليك جملة من أقوال العلماء التي بينوا فيها حكم النكاح .

قال الإمام ابن قدامة المقدسي :

« والناس في النكاح على ثلاثة أضرب وهي : منهم من يخاف على نفسه الوقوع في المحظور إن ترك النكاح فهذا يجب عليه النكاح في قول عامة الفقهاء لأنه يلزمه إعفاف نفسه وصونها عن الحرام وطريقه النكاح .

الثاني : من يستحب له وهو من له شهوة يأمن معها الوقوع في محظور فهذا الاشتغال به أولى من التخلي لنوافل العبادة وهو قول أصحاب الرأي وهو ظاهر قول الصحابة رضي اللَّه عنهم وفعلهم قال عبد اللَّه بن مسعود : لو لم يبق من أجلي إلا عشرة أيام وأعلم أني أموت في آخرها يومًا ولي طول النكاح فيهن لتزوجت مخافة الفتنة .

وقال ابن عباس لسعيد بن جبير : تزوج فإن خير هذه الأمة أكثرها نساءاً.

وقال إبراهيم بن ميسرة : قال لي طاووس لتنكحن أو لأقولن لك ما قال عمر لأبي الزوائد ما يمنعك عن النكاح إلا عجز أو فجور .

قال أحمد في رواية المروذي : ليست العزبة من أمر الإسلام في شيء

وقال : من دعاك إلى غير التزويج فقد دعاك إلى غير الإسلام ولو تزوج بشر كان قد تم أمره ».

وقال أيضًا : « واستدل بهذا الحديث على أن من لم يستطع الجماع فالمطلوب منه ترك التزويج لأنه أرشده إلى ما ينافيه ويضعف دواعيه وأطلق بعضهم أنه يكره في حقه »[1] .

* ومن الأحاديث التي تدل على مشروعية النكاح والحث عليه ما أخرجه ابن حبان في صحيحه أن النبي ﷺ قال : « **تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة** »[2] .

* وللبيهقي من حديث أبي أمامة : « **تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم ولا تكونوا كرهبانية النصارى** »[3] .

* وعن أنس رضي اللَّه عنه قال : كان رسول اللَّه ﷺ يأمر بالباءة وينهى عن التبتل نهيًا شديدًا ويقول : « **تزوجوا الودود الولود إني مكاثر الأنبياء يوم القيامة** »[4] .

إذا نظرنا في الأحاديث السابقة نرى بوضوح أن النبي ﷺ أمر في الحديث الأول بتزوج امرأة ولودة حتى تكثر الأمة الإسلامية فيباهي بها الرسول ﷺ الأمم يوم القيامة ولو عمل الناس بما يقوله المتصوفة بدعوتهم إلى البعد عن الزواج نهائيًا لا يمكن أن يحصل تكاثر الأمة وعلى هذا

---

(١) « فتح الباري شرح صحيح البخاري » (٩/ ١١٠) .

(٢) « صحيح ابن حبان » (٧/ ٧٨) .

(٣) « سنن البيهقي » (٧/ ٧٨) .

(٤) « موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان » بتحقيق حمزة (ص٣٠٢) .

فالصوفية محاربون ومحادون لأوامر الرسول ﷺ لأنهم يحاربون أوامره ويصفون من أراد تطبيقها بأنه لا يمكن أن يصل إلى ولاية اللَّه سبحانه وتعالى.

وفي الحديث الثاني اعتبر الرسول ترك النكاح والابتعاد عنه رهبانية كرهبانية النصارى.

وفي الحديث الثالث نهى الرسول ﷺ عن التبتل وهو الانقطاع عن النكاح نهيًا شديدًا ومعنى هذا أن ترك النكاح ليس من الأمور المرغوبة فيها ولا الجائزة فضلاً عن أن يكون طريقًا موصلاً إلى ولاية اللَّه سبحانه وتعالى كما يدعي المتصوفة الدجاجلة.

* ومن الأحاديث التي تدل على مشروعية النكاح والتحذير من تركه مع القدرة على لوازم النكاح قول النبي ﷺ: « **من كان موسرًا فلم ينكح فليس منا** »[1].

ومنها أيضًا ما رواه سعد بن أبي وقاص قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: « **رد رسول اللَّه على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا** »[2].

وقد سأل سعيد بن هشام بن عامر أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها عن التبتل فقالت: لا تفعل أما سمعت قول اللَّه تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً** ﴾ فلا تبتل.

(١) « سنن الدارمي » (٢/١٣٣).

(٢) البخاري مع الفتح (٩/١١٧).

* وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : « **ثلاثة حق على اللَّه إعانتهم المجاهد في سبيل اللَّه والناكح يريد أن يستعفف والمكاتب يريد الأداء** »[1] .

* وعن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال : « **إن الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة** »[2] .

* وعن عائشة رضي اللَّه عنها أن النبي ﷺ قال : « **النكاح سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني وتزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة ومن كان ذا طول فلينكح ومن لم يجد فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء** »[3] .

ونخرج من هذه الأحاديث كلها بإن النكاح من الأمور التـي شرعها اللَّه ورسوله محمد ﷺ وحث عليه الرسول ﷺ لأهميته ومكانته العظيمة ولهذا فكل من يدعو الناس إلى البعد عن الزواج والهروب عنه ويصفه بأوصاف منفرة يعتبر محاداً للَّه ولرسوله وبالفعل قد وقع المتصوفة في هذا المحذور فأصبحوا يدعون الناس إلى الهروب عن الزواج والبعد عنه مخالفين بذلك قول اللَّه عز وجل : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾[4] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا** ﴾[5] .

ومخالفين أيضًا قول الرسول ﷺ : « **فإذا أمرتكم بشيء فخذوا منه ما**

---

(١) « سنن النسائي » (٦/ ٦١) .

(٢) « سنن النسائي » (٦/ ٦٩) .

(٣) « سنن ابن ماجه » (١/ ٥٩٢) .

(٤) الحشر : (٧) .

(٥) الأحزاب : (٣٦) .

استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا »[1] .

والصوفية وقفوا من هذه الآيات موقف الرفض لأنهم نهوا عن الزواج الذي أمر اللّه به ورسوله ولذا فهم يعتبرون عصاة مخالفين ولا أدرى كيف يزعم المتصوفة بأن البعد عن الزواج من أهم الطرق الموصلة إلى اللّه وأن الوقوع فيه من أهم العقبات التي تحجز عن الوصول إلى ولاية اللّه والرسول قد أمر به فكيف تكون مخالفة الرسول موصلة إلى ولاية اللّه وطاعته مانعة من الوصول إلى ولاية اللّه ؟! إن هذا لإفك مبين وبهتان واضح ما أقدم عليه المتصوفة إلا لتدمير الأمة الإسلامية وإضعافها وذلك لأن قلة الإقبال على الزواج ينتج عنه وجود عوانس كثيرة ويؤدي إلى تقليل الأمة أيضًا إلى جانب ما يسببه من انتشار الانحلال والفساد الخلقي .

القسم الثالث : من لا شهوة له إما لأنه لم يخلق له شهوة كالعنين أو كانت له شهوة فذهبت بكبر أو مرض ونحوه ففيه وجهان.

أحدهما : أنه يستحب له النكاح لعموم الأدلة المتقدمة الآمرة بالزواج.

والثاني : التخلي عن النكاح أفضل لأنه لا يحصل مصالح النكاح ويمنع زوجته من التحصين ويضر بها بحبسها على نفسه ويعرض نفسه لواجبات وحقوق لعله لا يتمكن من القيام بها ويشتغل عن العلم والعبادة بما لا فائدة فيه والأخبار تحمل على من له شهوة لما فيها من القرائن الدالة عليها[2] .

وقال ابن دقيق العيد وهو يتحدث عن أحكام النكاح :

---

(1) « سنن ابن ماجه » (١/٣) .

(2) « المغني » لابن قدامة (٦/٤٤٦ ـ ٤٤٧) وكذلك « زاد المستقنع » (ص٦٠ ـ ٦١) .

« قسم الفقهاء النكاح إلى الأحكام الخمسة وجعل الوجوب فيما إذا خاف العنت وقدر على النكاح وتعذر التسري وكذا حكاه القرطبي عن بعض علمائهم وهو المازري قال : فالوجوب في حق من لا ينكف عن الزنا إلا به كما تقدم .

قال : والتحريم في حق من يخل بالزوجة في الوطء والإنفاق مع قدرته عليه وتوقانه إليه .

والاستحباب فيما إذا حصل به معنى مقصود من كثرة الشهوة وإعفاف نفس وتحصين فرج ونحو ذلك[١] .

والإباحة فيما انتفت الدواعي والموانع[١] .

وقال الإمام ابن حجر رحمه اللّٰه تعالى :

وقد قسم العلماء الرجل في التزويج إلى أقسام :

الأول : التائق إليه القادر على موءنة الخائف على نفسه فهذا يندب له النكاح عند الجميع وزاد الحنابلة في رواية : أنه يجب وبذلك قال أبو عوانة الاسفراييني من الشافعية وصرح به في صحيحه وهو قول داود وأتباعه .

وقال المازري

« الذي نطق به مذهب مالك أنه مندوب وقد يجب عندنا في حق من لا ينكف عن الزنا إلا به ».

وقال القرطبي :

« المستطيع الذي يخاف الضرر على نفسه ودينه من العزوبة بحيث لا يرتفع عنه ذلك إلا بالتزويج لا يختلف في وجوب التزويج عليه »[٢] .

---

(١) « فتح الباري » لابن حجر العسقلاني (٩/ ١١١) .

(٢) « فتح الباري » لابن حجر العسقلاني (٩/ ١١٠) .

وقال القاضي عياض وهو يتحدث عن أحكام النكاح :

« النكاح مندوب في حق كل من يرجى منه النسل ولو لم يكن له في الوطء شهوة وكذا في حق من له رغبة في نوع من الاستمتاع بالنساء غير الوطء فأما من لا نسل له ولا أرب له في النساء ولا في الاستمتاع فهذا مباح في حقه إذا علمت المرأة بذلك ورضيت »[١] .

وقال أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي :

« النكاح فرض على كل قادر على الوطء إن وجد من أين يتزوج أو يتسرى أن يفعل أحدهما ولابد فإن عجز عن ذلك فليكثر من الصوم » .

وقد استدل ابن حزم بقوله ﷺ : « **يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء** »[٢] .

وقال الإمام الشافعي :

« وأحب للرجل والمرأة إذا تاقت أنفسهما إليه أن يتزوجا لأن اللَّه تعالى أمر به ورضيه وندب إليه وبلغنا أن النبي ﷺ قال : « **تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم حتى بالسقط وأنه قال : من أحب فطرتي فليستن بسنتي ومن سنتي النكاح** »[٣] .

قلت : والذي أراه راجحًا من أقوال العلماء هو أن النكاح واجب على كل قادر عليه ويخشى الوقوع في الزنا إن لم يتزوج وذلك للأدلة الواردة في الأمر بالنكاح ولأن وقوعه في الزنا لا قدر اللَّه يعتبر معصية ولا يمكن الوقاية

---

(١) « نيل الأوطار » للشوكاني (٦/١١٨) .

(٢) سبق تخريجه انظر « المحلى » لابن حزم (٩/ ٤٤٠) انظر (ص٨٢٣) .

(٣) مختصر إسماعيل بن يحيي المزني بهامش كتاب « الأم » للشافعي (ص٢٥٥) .

من هذه المعصية إلا بالزواج وما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وأما الذي لا يخشى الوقوع في الزنا مع وجود الشهوة فيه وتوقانه للنساء فإنه عليه أن يتزوج أيضًا تنفيذاً لأمر الرسول وتطبيقًا لسنته وتكثيراً للأمة فإن الرسول ﷺ حث على الزواج ورغب فيه فينبغي الحرص على إتيان السنة بقدر الإمكان.

وأما الذي لا يقدر على النكاح بأن يكون لا شهوة له نهائيًا فهذا لا يجوز أن يتزوج لأنه لا يستطيع أن يقوم بحقها ومن أهم حقوقها الوطء وهو عاجز عنه إلا إذا كانت المرأة على علم به قبل الزواج ورضيت به فحينئذ لا مانع .

وأما قول ابن حزم بفرضية الزواج فهذا مرجوح ولو كان كذلك لكان فرض عين على كل شخص وأثم بتركه كل من لم يتزوج على الإطلاق وهذا لم يقل به غيره من العلماء فقد انتقل كثير من العلماء الكبار من هذه الدنيا ولم يتزوج .

هل الأفضل النكاح أم التفرغ لعبادة اللَّه؟ :

لقد اختلف العلماء في المفاضلة بين النكاح والتفرغ للعبادة .

فممن ذهب إلى أفضلية التفرغ للعبادة على النكاح الإمام الشافعي فقد قال رحمه اللَّه :

« التخلي للعبادة أفضل لأن اللَّه تعالى مدح يحيى عليه السلام فقال : ﴿ **وَسَيِّدًا وَحَصُوراً وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ والحصور الذي لا يأتي النساء فلو كان النكاح أفضل لما مدح بتركه وقال تعالى : ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ**

﴿النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾.

وهذا في معرض الذم ولأنه عقد معاوضة فكان الاشتغال بالعبادة أفضل منه كالبيع »[1] .

وممن ذهب إلى أن النكاح أفضل من الاشتغال بعبادة اللَّه الحنابلة وقد قال ابن قدامة لكي يثبت بأن النكاح أفضل من العزوبة والتفرغ لعبادة اللَّه :

« ولنا مما تقدم من أمر اللَّه تعالى به ورسوله وحثهما عليه.

وقال ﷺ : « **ولكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني** »[2] .

وقال سعد لقد رد ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أحله له لاختصينا »[3] .

وعن أنس قال كان النبي ﷺ يأمرنا بالباءة وينهى عن التبتل نهيًا شديدًا ويقول : « **تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة** »[4] .

وهذا حث شديد على النكاح يقربه إلى الوجوب ووعيد شديد على تركه يقربه إلى التحريم ، ولو كان التخلي أفضل لانعكس الأمر .

ولأن النبي ﷺ تزوج وبالغ في العدد وفعل ذلك أصحابه ولا يشتغل النبي ﷺ إلا بالأفضل ولا يجتمع الصحابة على ترك الأفضل والاشتغال

---

(١) « المغني » لابن قدامة (٦/٤٤٧) والآية الأولي آل عمران : (٣٩) والثانية آل عمران : (١٤).

(٢) سبق تخريجه انظر (ص٨٢٦) .

(٣) سبق تخريجه انظر (ص٨٢٦)

(٤) سبق تخريجه انظر (ص٨٢٥) .

بالأدنى ومن العجب أن من يفضل التخلي لم يفعله فكيف اجتمعوا على النكاح في فعله وخالفوه في فضله فما كان فيهم من يتبع الأفضل عنده ويعمل بالأدنى ولأن مصالح النكاح أكثر فإنه يشتمل على تحصين الدين وإحرازه وتحصين المرأة وحفظها والقيام بها وإيجاد النسل وتكثير الأمة وتحقيق مباهاة النبي ﷺ وغير ذلك من المصالح الراجح أحدها على نفل العبادة بمجموعها »[1] .

وقال منصور بن يونس البهوتي :

« وفعله مع الشهوة أفضل من نوافل العبادات لاشتماله على مصالح كثيرة كتحصين فرجه وزوجته والقيام بها وتحصين النسل وتكثير الأمة وتحقيق مباهاة النبي وغير ذلك »[2] .

وقال صاحب الروض الندى :

« والاشتغال بالنكاح مع الشهوة أفضل من التفرغ لنفل عبادة لاشتماله على مصالح كثيرة من تحصين الفرج وتكثير الأمة وتحقيق مباهاته عليه السلام وغير ذلك »[3] .

وقال الإمام أحمد :

« ويسن مع شهوة النكاح لمن لم يخف الزنا وهو حينئذ أفضل من تفرغ لنفل عبادة »[4] .

---

(١) « المغني » لابن قدامة (٦/٤٤٧) .

(٢) « زاد المستقنع » لمنصور بن يونس البهوتي (ص٦٠ ـ ٦١) .

(٣) « الروض الندى شرح كاف المبتدي » (ص٣٥٠) .

(٤) « كاف المبتدي » للإمام أحمد (ص١٤٩) .

والراجح في نظري واللَّه أعلم هو ما ذهب إليه الحنابلة من أن الاشتغال بالنكاح أفضل من التفرغ الكامل لنوافل العبادات وذلك للأمور الآتية :

أولاً : النكاح أمر به الرسول ﷺ في سنته وحث عليه ورغب فيه أشد الترغيب ولأن الزواج لا يكون عائقًا لمن أراد أن يقوم بنوافل العبادات فلا تناقض بينهما ولا تعارض ولأن الاشتغال بالنكاح والعمل والكدح لأجل الحصول على الرزق الذي ينفقه الإنسان أيضًا عبادة ولأن الأدلة التي ذكرها الحنابلة قوية جدًا وهي نص في محل النزاع بينما الأدلة التي استدل بها مخالفوهم ما هي إلا أدلة عامة ليست نصًا في محل النزاع .

ولأن النبي ﷺ لم يقر الذين أتوا إلى بيته ليسألوا عن عبادته فلما أخبروا بها رأوها قليلة فنذر أحدهم أن يصلي كل الليل ونذر الآخر أن يصوم كل الدهر ونذر الآخر أن يعتزل النساء ولا يتزوج فالرسول ﷺ لم يقرهم على هذا بل نهاهم عنه ولو كان التفرغ للعبادة أفضل من النكاح لما نهاهم الرسول عن فعلهم هذا بل لأقرهم عليه وهذا نص الحديث .

فقد روى أنس بن مالك رضي اللَّه عنه بأنه جاء ثلاثة رهط إلى بيوت النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر اللَّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلي الليل أبدًا وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا فجاء رسول اللَّه ﷺ فقال : « **أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما واللَّه إني لأخشاكم للَّه وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني** »[1] .

---

(١) « صحيح البخاري » مع الفتح (٩/ ١٠٤) .

قال الإمام ابن حجر رحمه اللَّه في الفتح :

« المراد بالسنة في قوله ﷺ : « **فمن رغب عن سنتي فليس مني** » المراد بالسنة هنا الطريقة لا التي تقابل الفرض والرغبة عن الشيء لا الإعراض عنه إلى غيره .

والمراد من ترك طريقتي وأخذ بطريق غيرى فليس مني ولمح بذلك إلى طريق الرهبانية فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم اللَّه تعالى وقد عابهم بأنهم ما وفوه بما التزموه وطريقة النبي ﷺ الحنيفية السمحة فيفطر ليتقوى على الصوم وينام ليتقوى على القيام ويتزوج ليكسر الشهوة واعفاف النفس وتكثير النسل .

وقوله ﷺ : « **فليس مني** » إن كانت الرغبة بضرب من التأويل يعذر صاحبه فيه فمعنى «**فليس مني**» أي على طريقتي ولا يلزم أن يخرج عن الملة .

وإن كان إعراضًا وتنطعًا يفضي إلى اعتقاد أرجحية عمله فمعنى « **فليس مني** » ليس على ملتي لأن اعتقاد ذلك نوع من الكفر » .

ثم قال : « وفي الحديث دلالة على فضل النكاح والترغيب فيه وفيه تتبع أحوال الأكابر للتأسي بأفعالهم وأنه إذا تعذرت معرفته من الرجال جاز استكشافه من النساء وأن من عزم على عمل واحتاج إلى إظهاره حيث يأمن الرياء لم يكن ذلك ممنوعًا »[١] .

وقال الطبري وهو يتحدث عن الأحكام المستفادة من هذا الحديث :

« فيه الرد على من منع استعمال الحلال من الأطعمة والملابس وآثر

---

(١) « فتح الباري » (٩/ ١٠٥) .

غليظ الثياب وخشن المأكل »[1] .

والخلاصة أن ترك الزواج بقصد الزهد فيه ليس زهداً مشروعًا بل هو زهد مبتدع وما دام مبتدعًا فليس فيه خير بل هو ضلال مبين لأن كل البدع الدينية ضلالة كما قال الرسول ﷺ : « **كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**»[2] .

وما دام كل ضلالة في النار وأن كل بدعة على الإطلاق بدون استثناء ضلالة فإن ترك الزواج والبعد عنه ما هو إلا ضلالة لا يوصل صاحبه إلا إلى البعد عن اللَّه لأنه مخالفة لما شرعه اللَّه وأمر به رسوله محمد ﷺ ولا يمكن محاداة اللَّه ورسوله أن تكون موصلة إلى ولاية اللَّه بأي حال من الأحوال ولهذا فزعم المتصوفة أن البعد عن الزواج والهروب عنه من الطرق الموصلة إلى اللَّه ما هو إلا زعم باطل وخيال فاسد أتوا به من عند أنفسهم متأثرين برهبان النصارى الذين يبتعدون عن الزواج الرسمي ويمارسون كل أنواع الدعارة في معابدهم الشركية فكذلك الصوفية يهربون عن الزواج وينفرون عنه الناس ثم يمارسون أنواع الفواحش في خوانقهم ومشاهدهم المنصوبة على القبور مع المردان .

وقد ذكر الإمام ابن الجوزي حكايات كثيرة تثبت بأن المتصوفة بالفعل ابتلوا بحب المرد وعشقهم ومصاحبتهم وذلك بعد أن أعرضوا عما شرعه اللَّه وهو قضاء الشهوة بطريقة مشروعة وذلك بأن يتزوج الإنسان على كتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه ﷺ .

---

(١) « فتح الباري » (٩/١٠٦) .

(٢) « سنن النسائي » (٣/١٥٣) .

وإليك نماذج من هذه الحكايات حتى تعرف جيدًا بأن كل من يحرم ما أحل اللَّه من الطيبات لابد وأن يقع فيما حرم اللَّه من الخبائث

قال الإمام ابن كثير :

« اعلم أن أكثر الصوفية المتصوفة قد سدوا على أنفسهم باب النظر إلى النساء الأجانب لبعدهم عن مصاحبتهن وامتناعهم عن مخالطتهن واشتغلوا بالتعبد عن النكاح واتفقت صحبة الأحداث لهم على وجه الإرادة وقصدوا الزهادة فأمالهم إبليس إليهم »[1] .

وذكر ابن الجوزي عن عبد اللَّه بن الزبير الحنفي أنه قال : كنت جالسًا مع أبي النضر الغنوي وكان من المبرزين العابدين فنظر إلى غلام جميل فلم تزل عيناه واقعتين عليه حتى دنا منه فقال سألتك باللَّه السميع وعزه الرفيع وسلطانه المنيع إلا وقفت على أروى من النظر إليك فوقف قليلاً ثم ذهب ليمض فقال له : سألتك بالحليم المجيد الكريم المبدي المعيد إلا ما وقفت فوقف ساعة فأقبل يصعد النظر إليه ويصوبه ثم ذهب ليمض فقال : سألتك بالواحد الأحد الجبار الصمد الذي لم يلد ولم يولد إلا وقفت ساعة فوقف ساعة فنظر إليه طويلاً ثم ذهب ليمض فقال : سألتك باللطيف الخبير السميع البصير وبمن ليس له نظير إلا وقفت فوقف فأقبل ينظر إليه ثم أطرق رأسه إلى الأرض ومضى الغلام فرفع رأسه بعد وقت طويل وهو يبكي فقال قد ذكرني هذا بنظري إليه وجهًا جل عن التشبيه وتقدس عن التمثيل وتعظم عن التحديد واللَّه لأجهدن نفسي في بلوغ رضاه بمجاهدتي جميع أعدائه وموالاتي لأوليائه حتى أصير إلى ما أردته من نظري إلى وجهه الكريم وبهائه

(١) « تلبيس إبليس » لابن الجوزي (ص٢٦٤) .

العظيم ولوددت أنه قد أراني وجهه وحبسني في النار ما دامت السماوات والأرض ثم غشي عليه[1] .

وذكر ابن الجوزي أيضًا أن خير النساج قال :

« كنت مع محارب بن حسان الصوفي في مسجد الخيف ونحن محرمون فجلس إلينا غلام جميل من أهل المغرب فرأيت محاربًا ينظر إليه نظرًا أنكرته فقلت له بعد أن قام : إنك محرم في شهر حرام في بلد حرام في مشعر حرام وقد رأيتك تنظر إلى هذا الغلام نظرًا لا ينظره إلا المفتونون . فقال لي : تقول هذا يا شهواني القلب والطرف ألم تعلم أنه قد منعني من الوقوع في شرك إبليس ثلاث . فقلت : وما هي ؟ قال : سر الإيمان وعفة الإسلام وأعظمها الحياء من اللَّه تعالى أن يطلع علي وأنا جاثم على منكر نهاني عنه ثم صعق حتى اجتمع الناس علينا »[2] .

ثم قال الإمام ابن الجوزي بعد ذكره هاتين الحكايتين :

« قلت : انظروا إلى جهل الأحمق الأول ورمزه إلى التشبيه وإن تلفظ بالتنزيه وإلى حماقة هذا الثاني الذي ظن أن المعصية هي الفاحشة فقط وما علم أن نفس النظر بشهوة يحرم ومحا عن نفسه أثر الطبع بدعواه التي تلذ بها شهوة النظر ».

ثم قال ابن الجوزي :

« وقد حدثني بعض العلماء أن صبيًا أمرد حكى له قال : قال لي فلان الصوفي وهو يحبني: يا بني للَّه فيك إقبال والتفات حيث جعل حاجتي إليك».

---

(١) « تلبيس إبليس » لابن الجوزي (ص٢٦٦) .

(٢) نفس المرجع (ص٢٦٧) .

وحكى أن جماعة من الصوفية دخلوا على أحمد الغزالي وعنده أمرد وهو خال به وبينهما ورد وهو ينظر إلى الورد تارة وإلى الأمرد تارة فلما جلسوا قال بعضهم : لعلنا كدرنا ، فقال : إي واللَّه فتصايح الجماعة على سبيل التواجد .

وحكى أبو الحسين بن يوسف أنه كتب إليه في رقعة إنك تحب غلامك التركي فقرأ الرقعة ثم استدعى فصعد إليه النظر فقبله بين عينيه وقال هذا جواب الرقعة .

قال الإمام ابن الجوزي رحمه اللَّه بعد ذكره لهذه الحكاية الأخيرة :

« إني لا أعجب من فعل هذا لرجل وإلقائه جلباب الحياء عن وجهه وإنما أعجب من البهائم الحاضرين كيف سكتوا عن الإنكار عليه ولكن الشريعة بردت في قلوب كثير من الناس »[1] .

وقال ابن الجوزي أيضًا :

« وبلغني عن هذه الطائفة التي تسمع السماع أنها تضيف إليه النظر إلى وجه الأمرد وربما زينته بالحلي والمصبغات من الثياب والحواشي وتزعم أنها تقصد به الازدياد في الإيمان بالنظر والاعتبار والاستدلال بالصنعة على الصانع وهذه النهاية في متابعة الهوى ومخادعة العقل ومخالفة العلم قال اللَّه تعالى : ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[2] .

وقال : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾[3] .

---

(١) « تلبيس إبليس » لابن الجوزي (ص٢٦٧ـ ٢٦٨) .

(٢) الذاريات : (٢١) .

(٣) الغاشية : (١٧) .

وقال : ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[1] .

فعدلوا عما أمرهم اللَّه به من الاعتبار إلى ما نهاهم عنه وإنما تفعل هذه الطائفة ما ذكرناه بعد تناول الألوان الطيبة والشهية فإذا استوفت منها نفوسهم طالبتهم بما يتبعها من السماع والرقص والاستمتاع بالنظر إلى وجوه المرد ولو أنهم تقللوا من الطعام لم يحنوا إلى سماع ونظر »[2] .

ونقل ابن الجوزي عن أبي حمزة الصوفي قال :

« كان عبد اللَّه بن موسى من رؤساء الصوفية ووجوههم فنظر إلى غلام حسن في بعض الأسواق فبلي به وكاد يذهب عقله عليه صبابة وحبًا وكان يقف كل يوم في طريقه حتى يراه إذا أقبل وإذا انصرف فطال به البلاء وأقعده عن الحركة الضنا وكان لا يقدر أن يمشي خطوة فأتيته يومًا لأعوده فقلت : يا أبا محمد ما قصتك وما هذا الأمر الذي بلغ بك ما أرى؟ فقال : أمور امتحنني اللَّه بها فلم أصبر على البلاء فيها ولم يكن لي بها طاقة ورب ذنب يستصغره هو عند اللَّه أعظم من كبير وحقيق بمن تعرض للنظر الحرام أن تطول به الأسقام »[3] .

ونقل عن أبي حمزة أيضًا أنه قال :

« نظر محمد بن عبد اللَّه بن الأشعث الدمشقي ، وكان من خيار عباد اللَّه إلى غلام جميل فغشي عليه فحمل إلى منزله واعتاده السقم حتى أقعد من رجليه وكان لا يقوم عليهما زمانًا طويلاً فكنا نأته نعوده ونسأله عن حاله

---

(١) الأعراف : (١٨٥) .

(٢) « تلبيس إبليس » (ص٢٦٨) .

(٣) نفس المرجع (ص٢٧١) .

وأمره وكان لا يخبرنا بقصة ولا سبب مرضه وكان الناس يتحدثون بحديث نظره فبلغ ذلك الغلام فأتاه عائد فهش إليه وتحرك وضحك في وجهه واستبشر برؤيته فما زال يعوده حتى قام على رجليه وعاد إلى حالته فسأله الغلام يومًا أن يسير معه إلى منزله فأبى أن يفعل فسألني أن أسأله أن يتحول إليه فسألته فأبى أن يفعل ذلك فقلت للشيخ : وما الذي تكره من ذلك فقال: لست بمعصوم من البلاء ولا آمن من الفتنة وأخاف أن يقع علي من الشيطان محنة فتجري بيني وبينه معصية فأكون من الخاسرين »[1] .

وقال ابن الجوزي وهو يتحدث عن المتصوفة الذين ابتلوا بمصاحبة الغلمان المرد وحبهم وعشقهم :

« ومنهم من فرق بينه وبين حبيبه فقتل حبيبه . بلغني عن بعض الصوفية أنه كان في رباط عندنا ببغداد ومعه صبي في البيت الذي هو فيه فشنعوا عليه وفرقوا بينهما فدخل الصوفي إلى الصبي ومعه سكين فقتله وجلس عنده يبكي فجاء أهل الرباط فرأوه فسألوه عن الحال فأقر بقتل الصبي فرفعوه إلى صاحب الشرطة فأقر فجاء والد الصبي يبكي فجلس الصوفي يبكي ويقول له : باللّه عليك إلا ما أخذتني به ، فقال : الآن قد عفوت عنك فقام الصوفي إلى قبر الصبي فجعل يبكي عليه ثم لم يزل يحج عن الصبي ويهدي له الثواب »[2] .

وقال ابن الجوزي أيضًا :

« ومن هؤلاء من قارب الفتنة فوقع فيها ولم تنفعه دعوى الصبر

---

(١) « تلبيس إبليس » (ص٢٧٢) .

(٢) نفس المرجع (ص٢٧٢) .

والمجاهدة وقد نقل ابن الجوزي هذه الحكاية عن إدريس بن إدريس قال : حضرت بمصر قومًا من الصوفية . ولهم غلام أمرد يغنيهم قال : فغلب على رجل منهم أمره فلم يدر ما يصنع فقال : يا هذا، قل: لا إله إلا اللَّه، فقال الغلام : لا إله إلا اللَّه ، فقال : أقبل الفم الذي قال لا إله إلا اللَّه »[١] .

وذكر ابن الجوزي أيضًا عن ابن الحسين أنه قال :

« كل ما رأيتموني أفعله فافعلوه إلا صحبة الأحداث فإنها أفتن الفتن ولقد عاهدت ربي أكثر من مائة مرة أن لا أصحب حدثًا ففسخها علي حسن الخدود وقوام القدود وغنج العيون وما سألني اللَّه معهم عن معصية »[٢] .

قال ابن الجوزي بعد هذه الحكاية :

« قلت : هذا الرجل قد فضح نفسه في شيء ستره اللَّه عليه وأخبر أنه كلما رأى فتنة نقض التوبة فأين عزائم التصوف في حمل النفس على المشاق؟ ثم ظن بجهله أن هي الفاحشة فقط ولو كان له علم لعلم أن صحبتهم والنظر إليهم معصية فانظر إلى الجهل كيف يصنع بأربابه »[٣] .

فهذه الحكايات التي ذكرها ابن الجوزي عن المتصوفة تثبت لنا إثباتًا مؤكدًا بأن المتصوفة بالفعل بعد أن ابتعدوا عن الزواج ونفروا عنه مريديهم اتجهوا إلى وجهة أخرى ألا وهي صحبة المردان والأحداث وابتلوا بهم كما هو واضح في الحكايات التي سبق ذكرها وهكذا فالصوفية فروا من شيء أحله اللَّه فوقعوا فيما حرم اللَّه فجمعوا بين تحريم الحلال وتحليل الحرام.

---

(١) « تلبيس إبليس » (ص٢٧٣) .

(٢) نفس المرجع (ص٢٧٣) .

(٣) نفس المرجع (ص٢٧٣) .

ولو كان لهم شيء من العلم بالكتاب والسنة لما وقعوا في هذه المتاهات وتخبطوا في هذا الظلام الحالك من الجهل الفاضح .

فاللَّه سبحانه وتعالى قد أمر المؤمنين والمؤمنات بغض الأبصار عن كل ما يسبب الفتنة سواء كان امرأة أو شابًا أو أمرد يخاف من النظر إليه الوقوع في الفتنة قال تعالى : ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ** ﴾[2] .

وهذا أمر عام بغض النظر عن كل شيء يخاف منه الفتنة .

وقد ورد الشرع بالنهي عن مجالسة المردان وأوصى العلماء بذلك فعن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **لا تجالسوا أبناء الملوك فإن النفوس تشتاق إليهم ما لا تشتاق إليه الجواري العواتق** »[3] .

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن الرسول ﷺ قال : « **لا تملئوا أعينكم من أولاد الملوك فإن لهم فتنة أشد من فتنة العذارى** »[4] .

وعن الشعبي قال : قدم وفد عبد القيس على رسول اللَّه ﷺ وفيهم غلام أمرد ظاهر الوضاءة فأجلسه النبي ﷺ وراء ظهره[5] .

---

(١) النور : (٣٠) .

(٢) النور : (٣١) .

(٣) « تلبيس إبليس » لابن الجوزي (ص٢٧٤) .

(٤) نفس المرجع (ص٢٧٤) .

(٥) نفس المرجع (ص٢٧٤) .

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : نهى رسول اللَّه ﷺ أن يمد الرجل النظر إلى الغلام الأمرد[1] .

وقال عمر بن الخطاب :

« ما أتى على عالم من سبع ضار أخوف عليه من غلام أمرد » .

وقال أيضًا :

« لا تجالسوا أولاد الأغنياء فإن لهم صورًا كصور النساء وهم أشد فتنة من العذارى »[2] .

وقال ابن معين :

« ما طمع أمرد بصحبتي »[3] .

* * *

(١) « تلبيس إبليس » لابن الجوزي (ص٢٧٤) .

(٢) نفس المرجع (ص٢٧٤) .

(٣) نفس المرجع (ص٢٧٥) .



الفصل الثاني

انحرافهم في مفهوم الجهاد مع ذكر نماذج من مواقفهم من أعداء الأمة الإسلامية عبر التاريخ

وتحته مبحثـان :

المبحث الأول : مكانـة الجهاد في سبيل اللّٰه في الإسلام.

المبحث الثاني : انحـــــرافهم في مفهوم الجهاد وموقفهم من أعداء الأمة الإسلامية عبر التاريخ .

الفصل الثاني

انحرافهم في مفهوم الجهاد مع ذكر نماذج من مواقفهم من أعداء الأمة الإسلامية عبر التاريخ

وتحته مبحثان :

المبحث الأول : مكانة الجهاد في سبيل اللَّه في الإسلام.

المبحث الثاني : انحـــــرافهم في مفهوم الجهاد وموقفهم من أعداء الأمة الإسلامية عبر التاريخ .

المبحث الأول
مكانة الجهاد في سبيل اللَّه في الإسلام

تمهيد :

يعتبر الجهاد في سبيل اللَّه لإعلاء كلمة اللَّه سبحانه وتعالى وكبح جماح الكافرين والملحدين من الفرائض التي فرضها اللَّه على الأمة الإسلامية وذلك حتى يكون الطريق ممهداً لنشر الدعوة الإسلامية وحتى يعطي الكفرة الجزية عن يد وهم صاغرون وقد أمر اللَّه بالجهاد في سبيله في آيات كثيرة من كتابه ومنها قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** ﴾[3] .

وقوله تعالى : ﴿ **فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ**

---

(١) التحريم : (٩) .

(٢) الصف : (١٠ ـ ١١) .

(٣) التوبة : (٣٦) .

وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾[3] .

وقوله تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾[4] .

فالآيات المتقدمة كلها تدل على مكانة الجهاد العظيمة في الإسلام وأنه من الأشياء التي أمر اللَّه بها عباده المؤمنين وذلك لأن بالجهاد يتم فتح الطريق أمام الدعاة إلى اللَّه لنشر دعوة الحق في هذه المعمورة لإخراج الناس من ظلمات الكفر والشرك والإلحاد والوثنية إلى نور الإسلام ولذا فقد كان الجهاد قائمًا منذ أن فرضه اللَّه تعالى على هذه الأمة حيث كان الخلفاء يجيشون الجيوش ويبعثونها لفتح البلاد التي يسيطر عليها الطغاة وما أن وضعت الأمة سيف الجهاد حتى أصيبت بالذل والهوان فأصبحت يلعب بها أعداؤها من الكفرة والملحدين والوثنيين حيث إننا لو شاهدنا أحوال الأمة الإسلامية اليوم فإننا نراه من أسوأ الأحوال حيث تعيش في واقع مرير يكاد

---

(١) التوبة : (٥) .

(٢) التوبة : (٤١) .

(٣) التوبة : (١٢٣) .

(٤) التوبة : (٢٩) .

الإنسان يتقطع قلبه حينما يفكر في حال الأمة الإسلامية المعاصر وهو في الحقيقة واقع لا تحسد عليه ولا يمكن أن تكون هذه الأمة عزيزة قوية إلا إذا رجعت إلى كتاب ربها وسنة نبيها وأخذت منهما دينها الصحيح ورفعت راية الجهاد في سبيل اللَّه فإذا فعلت ذلك فإن السيطرة في هذا الكون والهيمنة تكون لها إن شاء اللَّه وذلك لأن اللَّه وعد عباده المؤمنين بأن يستخلفهم في الأرض فقال تعالى : ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**﴾[1] .

واللَّه سبحانه وتعالى لا يخلف وعده ولكن لما كانت الأمة لم تتوفر فيها الشروط لم تكن أهلاً لهذا الاستخلاف فأصبحت ذليلة حقيرة حيث إن دم المسلم وقتله في عالمنا المعاصر يعتبر من أرخص الدم حيث إن المسلمين في العالم يبادون بالآلاف المؤلفة ولا تسمع في الإذاعات العالمية أي استنكار بينما لو قتل كافر واحد أو وثني أو يهودي تسمع إذاعات العالم تصيح وتستنكر بشدة ويقيمون الدنيا ويقعدونها وهذا شيء واضح وواقع مشاهد لا يحتاج إلى سرد الأدلة لإثباته .

وبما أن موضوع الجهاد موضوع طويل وعريض أريد أن أختصر الكلام عنه في العناصر الآتية وهي :

تعريفه ، وحكمه ، وفضله فقط ، وذلك خشية الإطالة لأننا إذا أردنا أن نتكلم عن الجهاد في سبيل اللَّه بجميع جوانبه فإننا نحتاج إلى تأليف كتاب مستقل وبعد هذا التمهيد البسيط نشرع في الموضوع فنقول :

---

(١) النور : (٥٥) .

المطلب الأول

تعريف الجهاد وحكمه

أولاً : تعريف الجهاد :

١ـ الجهاد لغة :

قال الراغب الأصبهاني في تعريف الجهاد في اللغة :

« الجهاد والجهد الطاقة والمشقة وقيل الجهد بالفتح المشقة ، والجهد الوسع »[١] .

وقال الفيروز أبادي في تعريف الجهاد :

« مصيره من الجهد بالفتح والضم وهو الطاقة والمشقة وقيل بالفتح المشقة وبالضم الوسع ، وقيل الجهد ما يجهد الإنسان »[٢] .

وقال الإمام ابن حجر :

« والجهاد بكسر الجيم أصله لغة المشقة »[٣] .

وقال الشيخ مصطفى السيوطي :

« الجهاد مصدر جاهد جهاداً ومجاهدة إذا بالغ في قتل عدوه »[٤] .

٢ ـ وأما تعريف الجهاد شرعًا :

فقد عرفه العلماء بتعريفات كثيرة وأكثرها تدور عند أغلب الفقهاء من

---

(١) « المفردات في غريب القرآن » للراغب الأصبهاني (ص١٠١) .

(٢) « بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز » (٤٠١/٢) .

(٣) « فتح الباري » (٣/٦) .

(٤) « مطالب أولي النهى » (٤٩٧/٢) .

أهل المذاهب على مجاهدة الكفار لإعلاء كلمة اللَّه ، وإليك بعض هذه التعريفات :

أولاً : تعريف الأحناف للجهاد :

لقد عرف الحنفية الجهاد بأنه هو :

« بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل اللَّه عز وجل بالنفس والمال واللسان أو غير ذلك والمبالغة في ذلك[١]» .

وقد عرفوه أيضًا بأنه :

« الدعاء إلى الدين الحق وقتال من لم يقبله »[٢] .

هذا فيما يتعلق بتعريف الحنفية للجهاد شرعًا .

ثانيًا : تعريف المالكية للجهاد شرعًا :

لقد عرف المالكية الجهاد بأنه :

« قتال مسلم كافرًا غير ذي عهد لإعلاء كلمة اللَّه تعالى »[٣] .

ثالثًا : تعريف الشافعية للجهاد :

لقد عرف الشافعية الجهاد بأنه :

« بذل الجهد في قتال الكفار » كما قال ابن حجر في تعريفه :

« وشرعًا بذل الجهد في قتال الكفار »[٤] .

---

(١) « بدائع الصنائع » للكاساني (٤٢٩٩/٩) ط مطبعة الإمام ١٣ شارع محمد كريم بالقلعة القاهرة .

(٢) «حاشية الدر المختار» لابن عابدين (١٢١/٤) وانظر أيضًا : «فتح القدير» مع الشرح (٤٣٧/٥).

(٣) « الشرح الصغير على أقرب المسالك » للدرديري (٢٦٧/٢) .

(٤) « فتح الباري » لابن حجر (٣/٦) .

رابعًا : تعريفات الحنابلة للجهاد :

لقد عرف الحنابلة الجهاد بأنه :

« وشرعًا قتال الكفار »[1] .

قلت : والتعريفات الشرعية السابقة كلها متحدة وليس هناك بينها كبير اختلاف حيث اجتمعت كلها على أن معنى الجهاد في الشرع هو مقاتلة الكفار ومقارعتهم وانفرد الأحناف في تعريف الجهاد شرعًا بذكر : « الدعاء إلى دين الحق » وهذا صحيح فإن مقاتلة الكفار قبل عرض الإسلام عليهم غير جائز بل لابد أولاً أن توجه إليهم الدعوة إلى الدخول في الإسلام فإن استجابوا لذلك فبها ونعمت وإن لم يستجيبوا يطلب منهم دفع الجزية للمسلمين وفتح الأبواب لدعوة الإسلام حتى يخرج الناس من الظلمات إلى النور فإن أبوا الإسلام ودفع الجزية فحينئذ وجب قتالهم وهذا وإن لم يذكره الفقهاء الآخرون في تعريفاتهم السابقة فإنهم حتمًا يقولون به وذلك لأن نصوص القرآن والسنة دلت عليه وكذلك سيرة الرسول ﷺ والسلف الصالح ولعل عدم ذكره في التعريف الشرعي عند الفقهاء الذين لم يذكروه لوضوحه لأن القتال لا يكون إلا بعد الدعوة والامتناع عن قبولها .

وأشمل تعريف للجهاد شرعًا هو تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال رحمه اللَّه في تعريف الجهاد في سبيل اللَّه :

« والجهاد هو : بذل الوسع في حصول محبوب الحق ودفع ما يكرهه الحق » .

وقال في موضوع آخر : « وذلك لأن الجهاد حقيقة الاجتهاد في

---

(١) « المبدع » لابن مفلح (٣/٣٠٧) .

حصول ما يحبه اللّه من الإيمان والعمل الصالح ومن دفع ما يبغضه اللّه من الكفر والفسوق والعصيان »[1] .

لو نظرنا إلى هذا التعريف فإننا نجده يشمل كل أنواع الجهاد التي يبذلها المسلم لطاعة ربه .

حيث يشتمل اجتهاده في طاعة ربه في نفسه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه واجتهاده في دعوة غيره لتلك الطاعة القريب والبعيد المسلم وغير المسلم واجتهاده في قتال الكفار لإعلاء كلمة اللّه وغير ذلك من أنواع الجهاد التي لا نستطيع أن نذكرها هنا .

ثانيًا : حكم الجهاد في سبيل اللّه :

يعتبر الجهاد في سبيل اللّه من الأشياء التي فرضها اللّه تعالى على عباده المؤمنين قال تعالى : ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾[2] .

وقد اختلف الفقهاء في حكم الجهاد هل هو فرض عين أم فرض كفاية وإليك آراؤهم باختصار :

فقد ذهب الأحناف والمالكية والمشهور من قول الإمام الشافعي رحمه اللّه والحنابلة إلى أن الجهاد فرض كفاية إلا إذا تعين ولا فرق في ذلك بين زمن الرسول ﷺ وغيره من الأزمان[3] .

---

(١) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (١٠/ ١٩١ ـ ١٩٢) .

(٢) البقرة : (٢١٦) .

(٣) انظر « حاشية الباجوري » (٢/ ٢٦١) و« فتح الباري » (٦/ ٣٧) . =

واستدلوا :

أولاً : بقوله تعالى : ﴿**لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ**﴾[1] .

ووجه الدلالة :

أن اللَّه تعالى قد وعد كلاً من المجاهدين والقاعدين بالحسنى وهذا يدل على أن الجهاد ليس فرض عين وإنما هو فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين ولو كان فرضًا على كل واحد من الأمة بعينه كالصلاة والصوم لما فاضل بين الفعل والترك ولأنه وعد الجميع بالحسنى فدل هذا على أن الجهاد ليس بفرض عين وإنما هو فرض كفاية[2] .

ثانيًا : استدلوا بقوله تعالى : ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾[3] .

ووجه الدلالة :

أن هذه الآية تدل على أن الجهاد ليس فرض عين وإنما هو فرض كفاية

= و« تحفة المحتاج » (٩/ ٢١٢) و« عقد الفرائد » للمقدسي (١/ ١٩١) و« الإفصاح عن معاني الصحاح » (٢/ ٤٢٩) .

(١) النساء : (٩٥) .

(٢) انظر « أسنى المطالب » (٤/ ١٧٥) ، و« فيض الإله المالك » (٢/ ٣٠٦) و« مغني المحتاج» (٤/ ٢٠٩) ، و« المجموع » (١٨/ ٤٨) .

(٣) التوبة : (١٢٢) .

لأنه لو كان فرض عين لوجب على جميع الأمة النفير للجهاد .

وقد كان الرسول ﷺ يبعث السرايا ويقيم هو وسائر أصحابه في المدينة المنورة[1] .

ثالثًا : استدلوا بما رُوي عن زيد بن خالد أن رسول اللَّه ﷺ قال : «**من جهز غازيًا فقد غزا ومن خلف غازيًا في سبيل اللَّه بخير فقد غزا** »[2] .

وأخرج ابن ماجه عن عمر رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : «**من جهز غازيًا حتى يستقل كان له مثل أجره حتى يموت أو يرجع** »[3] .

وجه الاستدلال بهذين الحديثين :

أن الوعد المذكور فيهما ألا وهو لحوق الأجر بالقاعد كما يلحق الغازي مرتب على تمام التجهيز وهو المراد بقوله : « **حتى يستقل** » وأنه يستوي معه في الأجر إلى أن تنقض تلك الغزوة[4] .

فيدل الحديث على أن الغزو فرض على الكفاية إذا قام به البعض وإن لم يكونوا من أهل الجهاد وحصلت الكفاية بهم سقط الوجوب عن الباقين.

رابعًا : استدلوا بما روى أبو سعيد الخدري رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ بعث إلى بني لحيان وقال : « **ليخرج من كل رجلين رجل** » ثم قال للقاعدين : « **أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر**

---

(١) انظر « الأنوار لأعمال الأبرار » (٢/ ٥٣٦) و« تفسير القرطبي » (٨/) و« فتح الباري » (٦/ ٣٨) و« المغني » لابن قدامة (٨/ ٣٤٦) .

(٢) « صحيح البخاري مع فتح الباري » (٦/ ٤٩) .

(٣) « سنن ابن ماجه » (٢/ ٩٢١) .

(٤) انظر « فتح الباري » (٦/ ٥٠) و« نيل الأوطار » (٧/ ٢٤٧) .

الخارج » فلو جعل فرضًا على الأعيان لاشتغل الناس به عن العمارة وطلب المعاش[١] .

ووجه الدلالة بهذا الحديث :

أن الرسول ﷺ أوجب الخروج على بعض الأمة بقوله : « **ليخرج من كل رجلين رجل** » فدل على أن الجهاد في هذه الحالة ليس عينًا وإنما كفائيًا.

وقال الأوزاعي وعطاء والشافعي في قول له :

« إن الجهاد مع النبي ﷺ فرض عين على أصحاب رسول اللّه ﷺ على القادر منهم وبعد الرسول ﷺ واستقرار الشرع فرض كفاية إذا لم يتعين»[٢] .

وقال السهيلي :

« كان فرض عين على الأنصار دون غيرهم ويؤيد ذلك مبايعة النبي ﷺ ليلة العقبة على أن يئووا رسول اللّه ﷺ وينصروه ».

وقال الماوردي :

« كان عينًا على المهاجرين دون غيرهم ويؤيده وجوب الهجرة قبل الفتح في حق كل من أسلم إلى المدينة لنصر الإسلام » فيخرج من قوليهما الماوردي والسهيلي أنه كان عينًا على الطائفتين كفاية في حق غيرهم[٣] .

---

(١) انظر « المجموع » للنووي (١٨/ ٤٨) .

(٢) انظر « فتح الباري » (٦/ ٣٧) .

(٣) انظر « فتح الباري » (٦/ ٣٧) و« مغني المحتاج » (٤/ ٢٠٩) .

واستدلوا :

بقوله تعالى : ﴿ **انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾[1] .

ووجه الاستدلال بهذه الآية :

أن اللَّه سبحانه وتعالى أمرنا أن نخرج متأهبين أو غير متأهبين نشاطى وغير نشاطى رجالاً أو ركبانًا ، وقال الأوزاعي : « رجالاً أو فرسانًا »[2] .

والأمر في الآية الكريمة للوجوب حتى إن بعض الصحابة فهموا من هذا الأمر العموم في زمن الرسول ﷺ وبعده فلم يتخلفوا عن الغزو حتى مات منهم : أبو أيوب الأنصاري والمقداد بن الأسود رضي اللَّه عنهم[3] .

واستدلوا أيضًا بقوله تعالى : ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾[4] .

ووجه الاستدلال بهذه الآية :

أن اللَّه تعالى فرض القتال على أصحاب الرسول ﷺ في زمنه ومن كان يتخلف ويقيم في المدينة إنما كان يقوم بأعمال الحراسة ومستلزمات المدينة وهو نوع من الجهاد[5] .

---

(١) التوبة : (٤١) .

(٢) انظر « فتح الباري » (٦/٣٨) .

(٣) انظر « فتح الباري » (٦/٣٨) .

(٤) البقرة : (٢١٦) .

(٥) « مغني المحتاج » (٤/٢٠٩) .

واستدلوا أيضًا بقوله تعالى : ﴿إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾[1] .

فالوعيد بالعذاب لمن لم يخرج إلى الجهاد ، دليل على أنه فرض عين فهذا مجمل أدلة فرض العين لدى أصحاب هذا القول .

واحتجوا بالآيتين المتقدم ذكرهما على فرض الكفاية بعد عهده ﷺ وهما قوله تعالى : ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله : ﴿وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾[1] وبقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ...﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[2] .

ووجه الاستدلال :

أن اللَّه تعالى وعد كلاً من المجاهدين والقاعدين بالحسنى ويعني أن القاعدين غير آثمين إذا جاهد غيرهم وإلا لما وعدهم بالحسنى .

والآية الثانية صريحة بعدم وجوب النفير على الجميع .

الرد على أصحاب هذا القول :

١ ـ للأدلة الواردة عند الجمهور التي توضح وتدل على أن القاعدين غير آثمين مع جهاد غيرهم وهناك من الآيات التي تدل بصراحة على بقاء طائفة وخروج أخرى للجهاد .

وأن الرسول ﷺ كان يبعث السرايا ويقيم هو وسائر أصحابه .

---

(١) التوبة : (٣٩) .

(٢) النساء : (٩٥) .

(٣) التوبة : (١٢٢) .

أما الآية التي احتج بها أصحاب هذا القول :

﴿ **إلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ فقد قال ابن عباس رضي اللَّه عنهما: نسخها قوله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً** ﴾[1] .

وقد وافق ابنَ عباس على دعوى النسخ عكرمةُ والحسنُ البصرى كما روى ذلك الطبري عنهما .

وقال بعضهم : إن قوله تعالى : ﴿ **فَانفِرُوا ثُبَاتٍ** ﴾ ناسخة لقوله تعالى : ﴿ **انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً** ﴾ .

وثبات جمع ثبة ومعناه جماعات متفرقة ويؤيده قوله تعالى بعده : ﴿ **أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا** ﴾ .

وقال الحافظ ابن حجر :

« والتحقيق أنه لا نسخ بل المرجع في الآيتين يعني هذه وقوله تعالى : ﴿ **إلاَّ تَنفِرُوا** ﴾ مع قوله : ﴿ **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً** ﴾ تعيين الإمام وإلى الحاجة وهذا ما حصل مع الرسول ﷺ حتى استنفرهم إلى غزوة تبوك وكانت إجابتهم إلى ذلك واجبة عليهم ولذلك هجر النبي ﷺ كعب بن مالك وأصحابه الذين خلفوا حتى تاب اللَّه عليهم بعد ذلك لذا يجب الجهاد على من استنفره الإمام لقول الرسول ﷺ : « **وإذا استنفرتم فانفروا** »[2] .

وخلاصة القول : أنه لا نسخ بل الرجوع في الآيتين إلى تعيين الإمام

---

(١) « سنن أبي داود » (١١/٤١٣) .

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (٦/٣٧) وانظر في الموضوع « المغني » لابن قدامة (٨/٣٤٦) و« فتح الباري » (٦/٣٨) و« نيل الأوطار » (٧/٢٤٢) و« بدائع الصنائع » (٧/).

وإلى الحاجة إلى ذلك وعليه فإن الجهاد فرض على الكفاية في زمنه ﷺ وبعده .

وقال سعيد بن المسيب : « الجهاد فرض على المستطيع مطلقًا »[1] .

واستدل سعيد بن المسيب :

١ ـ بعموم قوله تعالى : ﴿إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ الآية وبقوله تعالى : ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً﴾ الآية .

وبما روى عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « **من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة نفاق** »[2] .

فهذا الوعيد دليل على أن الجهاد فرض عين .

ويرد على ما قاله سعيد بن المسيب :

بأن هناك من الآيات القرآنية ما يدل على الفرض الكفائي في زمنه ﷺ وهو قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ الآية وقوله تعالى : ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾ الآية .

وقال ابن شبرمة والثوري وسحنون :

« إن الجهاد تطوع ولا يجب إلا في الحالات التي يتعين فيها »[3] .

واستدلوا بقوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ الآية .

---

(١) انظر « رحمة الأمة في اختلاف الأئمة » (ص٢٩٢) و« القوانين الفقهية » لابن جزي (ص١٤٤) .

(٢) « سنن النسائي » (٦/٨) .

(٣) « بداية المجتهد » (١/ ٣٨٠) و« أحكام القرآن » للجصاص (٣/ ١٤٠) .

ووجه الاستدلال بهذه الآية :

أن الآية محمولة على الندب وليس على الوجوب كقوله تعالى : **﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾**[1] .

فهذه الآية تدل على أن الوصية مندوبة فكذلك آية الجهاد تدل على أن الجهاد مندوب[2] .

الرد :

إن آية الوصية كانت دالة على الوجوب حتى تم نسخ حكم وجوبها بتشريع المواريث ، و﴿ كُتِبَ ﴾ بمعنى فرض فلا تصرف إلى الندب إلا بدليل ولم يقم الدليل في الجهاد[3] .

والخلاصة من العرض السابق لآراء الفقهاء وبيان أدلتهم ومناقشتها نرى رجحان قول الجمهور لقوة أدلتهم .

وعليه فإن الجهاد فرض كفاية من عهد الرسول ﷺ إلى يوم القيامة إذا قام به البعض كان الباقون في سعة من تركه .

متى يكون الجهاد فرض عين :

ويتعين الجهاد في ثلاثة مواضع وهي :

١ ـ إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرم على من حضر الانصراف

---

(١) البقرة : (١٨٠) .

(٢) « أحكام القرآن » للجصاص (٣/ ١٤٠) .

(٣) « أحكام القرآن » للجصاص (٣/ ١٤١) .

وتعين عليه المقام ما لم يزد عدد العدو على مثلي عدد المسلمين .

٢ ـ إذا نزل الكفار ببلد من بلدان المسلمين تعين على أهله قتالهم ودفعهم بما يمكنهم ويستوي في ذلك السيد والعبد والبالغ والمراهق والرجل والمرأة ولا يجب استئذان العبد سيده ولا الولد والده ولا من عليه الدين صاحبه بل تجب المبادرة على كل من في البلد فإن لم يكن لدى أهل البلدة القدرة والكفاية على دفع العدو النازل بهم وجب وتعين على كل من قرب منهم النفير إليهم ومساعدتهم على دفع العدو عنهم حتى تحصل الكفاية فإن حصلت الكفاية سقط الإثم عن باقي المسلمين.

ولا يسقط الوجوب لعدم المركوب لمن دون مسافة القصر بل يجب عليه النفير إليهم إن كان راجلاً وكان قادرًا على المشي .

٣ ـ إذا استنفر الإمام قومًا لزمهم النفير معه لقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ** ﴾[1] .

وقول النبي ﷺ : « **وإذا استنفرتم فانفروا** » .

وقد اتفق الفقهاء على تعيين الجهاد في الموضعين الأولين وبالثالث قال جمهور العلماء والأئمة الأربعة[2] .

ونختم موضوع حكم الجهاد في سبيل اللَّه بقولين لإمامين من أئمة الإسلام العظام وذلك حرصًا على الفائدة وزيادة في توضيح الغامض من

---

(١) انظر « المبدع » لابن مفلح (٣/ ٣١٠) وحشاية الدسوقي على الدرديري (٢/ ١٧٤) و«التحفة» (٩/ ٢٣٥) .

(٢) انظر « الاختيار » (٢/ ١٨٤) و« فتح القدير » (٤/ ٢٨٠ ـ ٢٨٣) و« المغني » (٨/ ٢٤٦) .

الأحكام وهذين الإمامين هما شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام القرطبي.

* أما شيخ الإسلام ابن تيمية فقد قال في حكم الجهاد في سبيل الله :

« إذا كان ابتداءً فهو فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط الفرض عن الباقين وكان الفضل لمن قام به كما قال تعالى : ﴿ **لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ** ﴾[1] .

فأما إذا أراد العدو الهجوم على المسلمين فإنه يصير دفعه واجبًا على المقصودين كلهم وعلى غير المقصودين لإعانتهم كما قال تعالى : ﴿ **وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ** ﴾[2] .

وكما أمر النبي ﷺ بنصر المسلم وهذا يجب بحسب الإمكان على كل أحد : نفسه وماله مع القلة والكثرة والمشي والركوب كما كان المسلمون لما قصدهم العدو عام الخندق لم يأذن الله في تركه لأحد كما أذن في ترك الجهاد ابتداءً لطلب العدو الذي قسمهم فيه إلى قاعد وخارج بل ذم الذين يستأذنون : ﴿ **يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا** ﴾[3] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا وهو يتحدث عن الجهاد في سبيل الله :

« ومن عجز عن الجهاد ببدنه وقدر على الجهاد بماله وجب عليه الجهاد بماله وهو نص أحمد في رواية أبي الحكم وهو الذي قطع به القاضي في أحكام القرآن في سورة براءة عند قوله : ﴿ **انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً** ﴾ فيجب

---

(١) النساء : (٩٥) .

(٢) الأنفال : (٧٢) .

(٣) الأحزاب : (١٣) والموضوع « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (٢٨/٣٥٨) .

على الموسرين النفقة في سبيل اللّه .

وعلى هذا فيجب على النساء الجهاد في أموالهن إن كان فيها فضل وكذلك في أموال الصغار إذا احتيج إليه كما تجب النفقات والزكاة وينبغي أن يكون محل الروايتين في واجب الكفاية فأما إذا هجم العدو فلا يبقى للخلاف وجه فإن دفع ضررهم عن الدين والنفس والحرمة واجب إجماعًا »[1] .

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عمن عليه دين وله ما يوفيه وقد تعين الجهاد فقال :

« إن كان الجهاد المتعين لدفع الضرر كما إذا حضره العدو أو حضر هو الصف قدم على وفاء الدين كالنفقة وأولى وإن كان حال استنفار الإمام فقضاء الدين أولى إذ الإمام لا ينبغي له استنفار المدين مع الاستغناء عنه ولذلك قلت : لو ضاق المال عن إطعام جياع والجهاد والجهاد الذي يتضرر بتركه قدمنا الجهاد وإن مات الجياع كما في مسألة التترس وأولى فإن هناك نقتلهم بفعلنا وهنا يموتون بفعل اللّه »[2] .

ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر الحديث الآتي حيث قال :

« وثبت في الصحيح من حديث عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال : « **على المرء المسلم السمع والطاعة في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وأثرة عليه** »[3] .

قال : فأوجب الطاعة التي عمادها الاستنفار في العسر واليسر وهذا

---

(١) « الاختيارات الفقهية » لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٣٠٨) .

(٢) نفس المرجع (ص٣٠٩) .

(٣) « صحيح مسلم » مع النووي مع اختلاف في بعض الألفاظ (١٢/ ٢٢٤) .

نص في وجوبه مع الإعسار بخلاف الحج هذا كله في قتال الطلب »[١] .

« وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين فواجب إجماعًا فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان وقد نص على ذلك العلماء من أصحابنا وغيرهم فيجب التفريق بين دفع الصائل الظالم الكافر وبين طلبه في بلاده .

والجهاد منه ما هو باليد ومنه ما هو بالقلب والدعوة والحجة واللسان والرأي والتدبير والصناعة فيجب بغاية ما يمكنه ».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا :

« وإذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة وأنه يجب النفير إليه بلا إذن والد ولا غريم ونصوص أحمد صريحة بهذا وهو خير مما في المختصرات »[٢] .

* وقال الإمام القرطبي تحت قوله تعالى : ﴿ **انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً** ﴾ الآية بعد أن ذكر الوجوه التي قالها فيها العلماء :

«**الرابعة** : وإذا تعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار أو بحلوله بالقطر فإذا كان ذلك وجب على جميع أهل تلك الديار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافًا وثقالاً شبابًا وشيوخًا كل على قدر طاقته من كان له أب بغير إذنه ومن لا أب له ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج من مقاتل أو مكثر فإذا

---

(١) « الاختيارات الفقهية » لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٣٠٩) .

(٢) نفس المرجع (ص٣١١) .

عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة حتى يعلموا أن فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضًا الخروج إليهم فالمسلمون كلهم يد على من سواهم حتى إذا قام بدفع العدو أهل الناحية التي نزل العدو عليها واحتل بها سقط الفرض عن الباقين ولو قارب العدو دار الإسلام ولم يدخلها لزمهم أيضًا الخروج إليه حتى يظهر دين اللّٰه وتحمى البيضة وتحفظ الحوزة ويخزى العدو.

وقسم ثان من واجب الجهاد ـ فرض أيضًا على الإمام اغزاء طائفة إلى العدو كل سنة مرة يخرج معهم بنفسه أو يخرج من يثق به ليدعوهم إلى الإسلام ويرغبهم ويكف أذاهم ويظهر دين اللّٰه عليهم حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون .

ومن الجهاد أيضًا ما هو نافلة وهو إخراج الإمام طائفة بعد طائفة وبعث السرايا في أوقات العزة وعند إمكان الفرصة والإرصاد لهم بالرباط في موضع الخوف إظهاراً للقوة[١] .

وقال الإمام ابن العربي تحت قوله تعالى : ﴿**انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً**﴾ الآية قال بعد أن ذكر أقوال العلماء في إحكام هذه ونسخها :

« المسألة الرابعة : إذا كان النفير عامًا لغلبة العدو على الحوزة أو استيلائه على الأسارى كان النفير عامًا ووجب الخروج خفافًا وثقالاً وركبانًا ورجالاً عبيدًا أو أحرارًا من كان له أب من غير إذنه ومن لا أب له حتى يظهر

---

(١) « تفسير القرطبي » (٨/ ١٥١) .

دين اللّه وتحمى البيضة وتحفظ الحوزة ويخزى العدو ويستنقذ الأسرى ولا خلاف في هذا[1] .

ثالثًا : فضل الجهاد في سبيل اللّه تعالى :

إن الجهاد في سبيل اللّه عز وجل لإعلاء كلمة اللّه ونشر دينه له فضل كبير وأجر عظيم عند اللّه سبحانه وتعالى وقد رغب اللّه فيه في كتابه ورغب فيه رسوله محمد ﷺ في سنته وسأذكر أولاً بعض الآيات التي تدل على فضل الجهاد في سبيل اللّه وفضل المجاهدين .

ثم سأتبع ذلك بذكر بعض الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل اللّه .

ثم سأتبع ذلك بذكر نماذج من أقوال العلماء التي تدل علي فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل اللّه .

أولاً : الآيات التي تدل على فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل اللّه :

* من الآيات التي تدل على فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل اللّه قول اللّه تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾[2] .

---

(١) « أحكام القرآن » لابن العربي (٢/ ٩٥٤ ـ ٩٥٥) .

(٢) التوبة : (١١١) .

قال الشيخ محمد جمال الدين القاسمي تحت هذه الآية :

« هدى اللَّه المؤمنين إلى الإيمان والأنفس مفتونة بمحبة الأموال والأنفس استنزلهم لفرط عنايته بهم عن مقام محبة الأموال والأنفس بالتجارة المربحة والمعاملة المرغوبة بأن جعل الجنة ثمن أموالهم وأنفسهم مفوض لهم خيراً مما أخذ منهم فالآية ترغيب في الجهاد ببيان فضيلته إثر بيان حال المتخلفين عنه »[1] .

وقال الشيخ أبو السعود تحت هذه الآية أيضًا :

« ولقد بولغ في ذلك على وجه لا مزيد عليه حيث عبر عن قبول اللَّه تعالى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم التي بذلوها في سبيله تعالى وإثابته إياهم بمقابلتها الجنة بالشراء على طريق الاستعارة التبعية ثم جعل المبيع هو العمدة والمقصد في العقد أنفس المؤمنين وأموالهم والثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة ولم يجعل الأمر على العكس بأن يقال : « إن اللَّه باع الجنة من المؤمنين بأنفسهم وأموالهم » ليدل على أن المقصد في العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الأنفس والأموال وسيلة إليها إيذانًا بتعلق كمال العناية بهم وبأموالهم ثم إنه لم يقل « بالجنة » بل « بأن لهم الجنة » مبالغة في تقرير وصول الثمن إليهم واختصاصه بهم وكأنه قيل «بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم »[2] .

* ومن الآيات التي تدل على فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل اللَّه قول اللَّه تعالى : ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ**

---

(١) « محاسن التأويل » لمحمد جمال الدين القاسمي (٨/ ٣٢٧٢) .

(٢) « تفسير أبي السعود » (٢/ ٦٠٦) .

يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[1] .

* ومن الآيات التي تدل على فضل الجهاد في سبيل اللَّه قول اللَّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[2] .

* ومن الآيات التي تدل على فضل الجهاد في سبيل اللَّه قول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[3] .

* ومن الآيات التي تدل على فضل الجهاد في سبيل اللَّه قول اللَّه تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[4] .

---

(١) آل عمران : (١٦٩ ـ ١٧٢) .

(٢) الصف : (١٠ ـ ١٢) .

(٣) الحجرات : (١٥) .

(٤) التوبة : (١٩ ـ ٢٢) .

فالآيات المتقدمة كلها تدل على فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل اللَّه تعالى حيث أخبرنا اللَّه سبحانه وتعالى بأنه اشترى من المؤمنين الأموال والأنفس مقابل دخول الجنة وهذا هو الفوز العظيم ولمثله فليعمل العاملون مشمرين عن سواعدهم .

وأخبرنا أيضًا سبحانه بأن الشهداء الذين يقتلون في سبيل اللَّه أحياءا عند ربهم يرزقون وهذا فضل عظيم وشرف كبير للمجاهد في سبيل اللَّه لإعلاء كلمة اللَّه سبحانه وتعالى .

وأخبرنا أيضًا بأن الجهاد في سبيل اللَّه أفضل بكثير من عمارة المسجد الحرام وسقيا الحجاج رغم أن هذا أيضًا من الأعمال الصالحة وهذا يدل على مكانة الجهاد العظيمة وفضله الكبير عند اللَّه سبحانه وتعالى .

ثانيًا : الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد والمجاهدين والمرابطين في سبيل اللَّه :

إن الأحاديث التي وردت في السنة النبوية في فضل الجهاد والمجاهدين كثيرة جدًا ويصعب حصرها هنا ولذا سأذكر منها نماذج فقط .

* فمن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل اللَّه ومكانته العظيمة عند اللَّه سبحانه وتعالى ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه أنه قال : سألت رسول اللَّه ﷺ قلت : يا رسول اللَّه أي العمل أفضل ؟ قال : « **الصلاة على ميقاتها** » . قلت : ثم أي ؟ قال : « **بر الوالدين** » قلت : ثم أي ؟ قال : « **الجهاد في سبيل اللَّه** » فسكت عن رسول اللَّه ﷺ ولو

استــزدته لزادني[1] .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل اللَّه ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن رسول اللَّه ﷺ جاء رجل إلى رسول اللَّه ﷺ فقال : دلني على عمل يعدل الجهاد قال: « **لا أجده هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر** » قال : ومن يستطيع ذلك ؟ قال أبو هريرة : إن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له حسنات[2] .

قال عياض تحت هذا الحديث :

« اشتمل حديث الباب على تعظيم أمر الجهاد لأن الصيام وغيره مما ذكر من فضائل الأعمال قد عدلها كلها الجهاد حتى صارت جميع حالات المجاهد وتصرفاته المباحة معادلة لأجر المواظب على الصلاة وغيرها واستدل به على أن الجهاد أفضل الأعمال مطلقًا »[3] .

وقال ابن دقيق العيد :

« القياس يقتضي أن يكون الجهاد أفضل الأعمال التي هي وسائل لأن الجهاد وسيلة إلى إعلان الدين ونشره وإخماد الكفر ودحضه ففضيلته بحسب فضيلة ذلك واللَّه أعلم »[4] .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل اللَّه ومكانته

---

(١) البخاري مع الفتح (٦/ ٣) .

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (٦/ ٤) .

(٣) « فتح الباري شرح صحيح البخاري » (٦/ ٥) .

(٤) نفس المرجع (٦/ ٦) .

العظيمة عند اللَّه ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال : قيل : يا رسول اللَّه أي الناس أفضل؟ فقال رسول اللَّه ﷺ : « **مؤمن يجاهد في سبيل اللَّه واللَّه أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم وتوكل اللَّه للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالمًا مع أجر وغنيمة** »[1] .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل اللَّه ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال النبي ﷺ : «**من آمن باللَّه وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقًا على اللَّه أن يدخله الجنة جاهد في سبيل اللَّه أو جلس في أرضه التي ولد فيها** » فقالوا : يا رسول اللَّه أفلا نبشر الناس : قال : « **إن في الجنة مائة درجة أعدها اللَّه للمجاهدين في سبيل اللَّه ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم اللَّه فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة** » أراه قال : « **وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة** »[2] .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل اللَّه ومكانته العظيمة عند اللَّه ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : « **لغدوة في سبيل اللَّه أو روحة خير من الدنيا وما فيها** »[3] .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل اللَّه ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : «**لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب وقال لغدوة أو روحة**

---

(١) « فتح الباري شرح صحيح البخاري » (٦/٦) .

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (٦/١١) .

(٣) نفس المرجع (٦/١٣) .

في سبيل اللَّه خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب »[1] .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل اللَّه ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « **والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغدو في سبيل اللَّه والذي نفسي بيده لوددت أن أقتل في سبيل اللَّه ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل** »[2] .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل اللَّه ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الرحمن بن جبر أن رسول اللَّه ﷺ قال : « **ما اغبرت قدما عبد في سبيل اللَّه فتمسه النار** »[3] .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل اللَّه ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد اللَّه بن أبي أوفى رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال : « **واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف** »[4] .

وقال القرطبي أيضًا في هذا الحديث :

« وهو من الكلام النفيس الجامع الموجز المشتمل على ضروب من البلاغة مع الوجازة وعذوبة اللفظ فإنه أفاد الحض على الجهاد والإخبار بالثواب عليه والحض على مقاربة العدو واستعمال السيوف والاجتماع حين

---

(١) « صحيح البخاري » مع الفتح (٦/ ١٣) .

(٢) نفس المرجع (٦/ ١٦) .

(٣) نفس المرجع (٦/ ٢٩) .

(٤) نفس المرجع (٦/ ٣٢) .

الزحف حتى تصير السيوف تظل المقاتلين »[1] .

وقال ابن الجوزي :

« المراد أن الجنة تحصل بالجهاد والظلال جمع ظل وإذا تدانى الخصمان صار كل منهم تحت ظل سيف صاحبه لحرصه على رفعه عليه ولا يكون ذلك إلا عند التحام القتال »[2] .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل اللَّه ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أنه قال : قال النبي ﷺ: « **من احتبس فرسًا في سبيل اللَّه إيمانًا باللَّه وتصديقًا بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة** »[3] .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل اللَّه ما أخرجه البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : « **رباط يوم في سبيل اللَّه خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل اللَّه أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها** »[4] .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل اللَّه ما أخرجه أبو داود في سننه عن معاذ بن جبل رضي اللَّه عنه أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول : « **من قاتل في سبيل اللَّه فوق ناقة فقد وجبت له الجنة ومن سأل اللَّه القتل**

---

(١) « فتح الباري » (٦/ ٣٢) .

(٢) نفس المرجع (٦/ ٣٢) .

(٣) « صحيح البخاري » مع الفتح (٦/ ٥٧) .

(٤) نفس المرجع (٦/ ٨٥) .

من نفسه صادقًا ثم مات أو قتل فإن له أجر شهيد» ، زاد ابن المصفى « من هذا ومن جرح جرحًا في سبيل اللَّه أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك ومن خرج بخراج في سبيل اللَّه عز وجل فإن عليه طابع الشهداء »[(١)] .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل اللَّه ما أخرجه الدارمي في سننه عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « تكفل اللَّه لمن خرج من بيته لا يخرجه إلا الجهاد في سبيل اللَّه وتصديق بكلماته أن يدخله الجنة أو يرده إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة »[(٢)] .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل اللَّه ما أخرجه الدارمي في سننه عن عمران بن حصين رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: « مقام الرجل في الصف في سبيل اللَّه أفضل من عبادة الرجل ستين سنة»[(٣)] .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل اللَّه ما أخرجه النسائي في سننه عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « مثل المجاهد في سبيل اللَّه واللَّه أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم الخاشع الراكع الساجد »[(٤)] .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل اللَّه ما أخرجه

---

(١) « سنن أبي داود » (١٢/ ٢١) .

(٢) « سنن الدارمي » (٢/ ٢٠٠) .

(٣) نفس المرجع (٢/ ٢٠٢) .

(٤) « سنن النسائي » (٦/ ١٨) .

النسائي عن سلمان الخير عن رسول اللَّه ﷺ قال : « **من رابط يومًا وليلة في سبيل اللَّه كان له كأجر صيام شهر وقيامه ومن مات مرابطًا أجري له مثل ذلك الأجر وأجري عليه الرزق وأمن من الفتان** »[(١)] .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الشهادة في سبيل اللَّه ما أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **لما أصيب إخوانكم بأحد جعل اللَّه أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ إخواننا عنا إنا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب ؟فقال اللَّه تعالى : أنا أبلغهم عنكم قال : وأنزل اللَّه عز وجل**[(٢)] : ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾[(٣)] .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الشهادة في سبيل اللَّه ما أخرجه أبو داود في سننه عن حسناء بنت معاوية الصريمية قالت : حدثنا عمي قال: قلت للنبي ﷺ من في الجنة ؟ قال : « **النبي في الجنة والشهيد في الجنة والمولود في الجنة والوئيد في الجنة** »[(٤)] .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الاستشهاد في سبيل اللَّه ما أخرجه مالك في « الموطأ » عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : « **والذي نفسي بيده لوددت أن أقاتل في سبيل اللَّه فأقتل ثم أحيا فأقتل ثم**

---

(١) « سنن النسائي » (٦/ ٣٩) وكذلك « كتاب الجهاد » لابن أبي عاصم (٢/ ٧٠٤) .

(٢) البخاري مع الفتح (٦/ ٩١) .

(٣) آل عمران : (١٦٩) .

(٤) « سنن أبي داود » (٣/ ١٢) .

أحيا فأقتل » فكان أبو هريرة يقول : ثلاثًا أشهد باللَّه[1] .

وبهذا نكتفي من إيراد النصوص النبوية التي تدل على فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل اللَّه عز وجل وقد تبين لنا من خلال الأحاديث التي مر ذكرها بأن الجهاد في سبيل اللَّه من أحب الأعمال إلى اللَّه سبحانه وتعالى .

ثالثًا : نماذج من أقوال العلماء التي ذكروا فيها فضل الجهاد في سبيل اللَّه ورغبوا فيه :

* فمن العلماء الذين ذكروا أهمية الجهاد وفضله العظيم ورغبوا فيه شيخ الإسلام ابن تيمية فقد قال رحمه اللَّه حينما سئل عن أفضلية سكن مكة والمدينة أم الرباط في الجهاد ؟

أجاب الشيخ رحمه اللَّه قائلاً :

« الحمد للَّه بل المقام في ثغور المسلمين كالثغور الشامية والمصرية أفضل من المجاورة في المساجد الثلاثة وما أعلم في هذا نزاعًا بين أهل العلم وقد نص على ذلك غير واحد من الأئمة وذلك لأن الرباط من جنس الجهاد والمجاورة غايتها أن تكون من جنس الحج كما قال تعالى : ﴿ **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ** ﴾ الآية ثم ذكر مجموعة من الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل اللَّه »[2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا وهو يتحدث عن فضل الجهاد في سبيل اللَّه بعد أن تحدث عن مكانة التوكل في الإسلام :

« وهنا وإن كان مأمورًا به في جميع الدين فإن ذلك في الجهاد آكد لأنه يحتاج إلى أن يجاهد الكفار والمنافقين وذلك لا يتم إلا بتأييد قوي من اللَّه

---

(١) « موطأ الإمام مالك » (٢/ ٤٦٠) .

(٢) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (٢٨/ ٥ ـ ٦) .

ولهذا كان الجهاد سنام العمل .

ففيه سنام المحبة كما قال تعالى : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[1] .

وفيه سنام التوكل وسنام الصبر فإن المجاهد أحوج الناس إلى الصبر والتوكل ولهذا قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[2] .

ولهذا كان الجهاد موجبًا للهداية التي هي محيطة بأبواب العلم كما دل عليه قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[3] فجعل لمن جاهد فيه هداية جميع سبله تعالى ولهذا قال الإمامان عبد اللَّه بن المبارك وأحمد ابن حنبل وغيره إذا اختلف الناس في شيء فانظروا ماذا عليه أهل الثغر فإن الحق معهم لأن اللَّه يقول : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ .

وفي الجهاد أيضًا حقيقة الزهد في الحياة الدنيا وفيه أيضًا حقيقة الإخلاص فإن الكلام فيمن جاهد في سبيل اللَّه لا في سبيل الرياسة ولا في سبيل المال ولا في سبيل الحمية .

وهذا لا يكون إلا لمن قاتل ليكون الدين كله للَّه ولتكون كلمة اللَّه هي العليا وأعظم مراتب الإخلاص تسليم النفس والمال للمعبود كما قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ »[4] .

---

(١) المائدة : (٥٤) .

(٢) النحل : (٤١ ـ ٤٢) .

(٣) العنكبوت : (٦٩) .

(٤) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (٨/ ٤٤١) .

وقال سيف اللَّه خالد بن الوليد الذي ذاق حلاوة الجهاد في سبيل اللَّه بعد أن ذاق الإيمان باللَّه ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا ورسولاً وقضى حياته كلها مجاهداً وأخذ يقارن بين متاغ الحياة ممثلاً لها بعروس هو لها محب أو بغلام بشر به ، والجهاد في سبيل اللَّه فيرى في هذا متعته وقرة عينه قال رضي اللَّه عنه :

« ما من ليلة يهدى إلي فيها عروس أنا لها محب أو أبشر فيها بغلام أحب إلي من ليلة شديدة البرد كثيرة الجليد في سرية أصبح فيها العدو »[1] .

وقال عمرو بن عتبة بن فرقد :

« سألت اللَّه عز وجل ثلاثًا فأعطاني اثنتين وأنا أنتظر الثالثة : سألته أن يزهدني في الدنيا فما أبالي ما أقبل منها وما أدبر ، وسألته أن يقويني على الصلاة فرزقني منها ، وسألته الشهادة فأنا أرجوها »[2] .

وقال ابن قدامة في « المغني » :

« قال الأشرم قال أحمد : لا نعلم شيئًا من أبواب البر أفضل من السبيل » .

وقال الفضيل بن زياد :

« سمعت أبا عبد اللَّه وذكر له أمر العدو فجعل يبكي ويقول : ما من أعمال البر خير منه » .

وقال عنه غيره : « ليس بعد لقاء العدو شيء ، ومباشرة القتال بنفسه أفضل الأعمال والذين يقاتلون العدو هم الذين يدفعون عن الإسلام وعن

---

(١) « الجهاد » لابن المبارك (١/٩١) .

(٢) « الجهاد » لابن المبارك (٢/١١٢) .

حريمهـــم فأي عمل أفضل منه الناس آمنون وهم خائفون قد بذلوا مهج أنفسهم »[1] .

وقال السرخسي في « المبسوط » :

«وقد كان رسول اللَّه ﷺ تارة يخرج وتارة يبعث غيره حتى قال : «**وددت أن لا تخرج سرية أو جيش إلا وأنا معهم ولكن لا أجد ما أحملهم ولا تطيب أنفسهم بالتخلف عني** »[2] .

« **ولوددت أن أقاتل في سبيل اللَّه تعالى حتى أقتل ثم أحيا ثم أقتل** »[3] .

ففي هذا دليل على أن الجهاد وصفة الشهادة في الفضيلة بأعلى النهاية حتى تمنى ذلك رسول اللَّه ﷺ مع درجة الرسالة والاثار في فضيلة الجهاد كثيرة وقد سماه الرسول ﷺ سنام الدين »[4] .

وقال الإمام ابن القيم رحمه اللَّه وهو يتحدث عن فضل الجهاد ومكانته العظيمة عند اللَّه :

« وأخبر سبحانه أنه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وأعاضهم عليها الجنة وأن هذا العقد والوعد قد أودعه أفضل كتبه المنزلة من السماء وهي التوراة والإنجيل والقرآن ثم أكد ذلك بإعلامهم أن لا أحد أوفى بعهده منه تبارك وتعالى ثم أكد ذلك بأن أمرهم بأن يستبشروا ببيعهم الذي عاقدوه عليه ثم أعلمهم أن ذلك هو الفوز العظيم فليتأمل العاقد مع ربه عقد هذا التبايع ما أعظمه وأجله فإن اللَّه عز وجل هو المشتري

---

(١) « المغني » لابن قدامة (٣٤٨/٨) .

(٢) « موطأ الإمام مالك » مع اختلاف في الصيغة (٢/ ٤٦٥) .

(٣) نفس المرجع (٢/ ٤٦٥) .

(٤) « المبسوط » للسرخسي (٣/١٠) .

والثمن جنات النعيم والفوز برضاه والتمتع برؤيته هناك .

والذي جرى على يده هذا العقد أشرف رسله وأكرمهم عليه من الملائكة والبشر وأن سلعة هذا شأنها لقد هيئت لأمر عظيم وخطر جسيم

قد هيئوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

مهر المحبة والجنة بذل النفس والمال لمالكهما الذي اشتراهما من المؤمنين فما للجبان المعرض المفلس وسوم هذه السلعة باللَّه ما هزلت فيستامها المفلسون ولا كسدت فيبيعها بالنسيئة المعسرون لقد أقيمت للعرض في سوق من يريد فلم يرض ربها لها بثمن دون بذل النفس فتأخر الباطلون وقام المحبون ينتظرون أيهم يصلح أن يكون نفسه الثمن فدارت السلعة بينهم ووقعت في يد ﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ . . . إلى أن قال فلما تم العقد وسلموا المبيع قيل لهم قد صارت أنفسكم وأموالكم لنا والآن فقد رددناها عليكم أوفر ما كانت وأضعاف أموالكم معها : ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾[(١)] .

لم نبتع منكم بنفوسكم وأموالكم طلبًا للربح عليكم بل ليظهروا أثر الجود والكرم في قبول المغيب والإعطاء عليه أجل الإيمان ثم جمعنا لكم بين الثمن والمثمن »[(٢)] .

وقال الشيخ محمود شلتوت وهو يتحدث عن أهمية الجهاد ومكانته العظيمة لبقاء الأمة عزيزة قوية :

« مضت سنة اللَّه في هذه الحياة على أن البقاء والعزة والسلطان وعلو

---

(١) آل عمران : (١٦٩) .

(٢) « زاد المعاد في هدي خير العباد » (٣/ ٧٢) .

الكلمة إنما يكون للعاملين المجاهدين أما المتباطئون والمتثاقلون الذين يؤثرون حياتهم ويضنون بأنفسهم وأموالهم ويخلدون إلى الأرض ويعرضون عن دعوة الجهاد في سبيل حريتهم وبقائهم فإنهم لابد ذاهبون وهم لا محالة مستذلون مستعبدون» .

ويقول تحت قوله تعالى : ﴿**إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾ يذلكم ويستعبدكم لغيركم يسومكم سوء العذاب يستلب أموالكم وينتهك أعراضكم ويذبح أبناءكم هذا التعذيب جزاء طبيعي للجبن وعدم القيام في وجه العدو وللتثاقل عن الجهاد وليس هو الجزاء الأخروى الذي أعده اللَّه لمن يخالف أمره ».

ثم قال : « وقوله : ﴿**وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ**﴾ الآية ووصف القوم بالغيرية للدلالة على المغايرة الذاتية أي قومًا مطيعين يؤثرون الدار الآخرة على متاع الدنيا والأسلوب يدل على شدة السخط عليهم كما سيتضح من آية المائدة : ﴿**ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾[1] .

وبهذا نكتفي من إيراد أقوال العلماء التي بينوا فيها أهمية الجهاد في سبيل اللَّه في نشر الدعوة وحماية الأمة الإسلامية وعزها وشرفها وقوتها ومنعتها من الأعداء وبينوا أيضًا فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل اللَّه تعالى في ثنايا حديثهم عن أهمية الجهاد.

والخلاصة أن الجهاد فرض من الفروض التي فرضها اللَّه على عباده وبما أن الفروض تنقسم إلى قسمين فرض كفاية وفرض عين فالجهاد في الأصل فرض كفاية إذا قام به عدد كاف لردع العدوان سقط الإثم عن الباقين

---

(١) محمد : (٣٨) و الموضوع « الأجزاء العشرة الأوائل » لمحمود شلتوت (ص٦٣٨) .

وإن لم يمكن دفع العدو إلا بكل المسلمين وجب عليهم جميعًا رده وقد يتعين الجهاد في مواضع وهي :

١ ـ إذا طلب الإمام النفير العام .

٢ ـ إذا هجم العدو على بلاد المسلمين .

٣ ـ إذا حضر الإنسان يوم الزحف وجب عليه القتال عينًا ولا يجوز له الانصراف ومع أن الجهاد من الأشياء التي شرعها اللَّه لنشر الدعوة إلى اللَّه وحماية المسلمين من أعدائهم فقد وقف المتصوفة منه موقف العداء حتى أماتوا في المسلمين الروح القتالية مما تسبب عنه غزو الصليبيين للبلاد الإسلامية واستعمارها وهذا ما سأبينه في المبحث الآتي إن شاء اللَّه[1] .

* * *

---

(١) انظر (ص٨٨٣ ـ ٨٩٦) .

المبحث الثاني

انحرافهم في مفهوم الجهاد وموقفهم من أعداء الأمة الإسلامية

لقد حاول كثير من أقطاب الصوفية صرف الناس عن القتال في سبيل اللَّه وجهاد أعداء الأمة الإسلامية واتخذوا لذلك عدة أساليب .

فمن الأساليب التي اتخذوها لصرف الناس عن الجهاد في سبيل اللَّه هو اللجوء إلى تفسيرات غريبة للآيات القرآنية التي تتكلم عن الجهاد في سبيل اللَّه وفضله العظيم بأن المقصود بالجهاد هو جهاد النفس فقط وليس داخلاً فيه جهاد الأعداء .

ومن الأساليب التي اتخذوها لصرف الناس عن الجهاد في سبيل اللَّه هو سعيهم بين الناس بأن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر أما جهاد أعداء الأمة الإسلامية ومقارعتهم فليس بذي أهمية .

ومن الأشياء التي تدل على أن المتصوفة لا يرون الوقوف أمام أعداء الأمة الإسلامية ومجاهدتهم الكتب التي ألفها زعماء التصوف حيث إنك إذا نظرت فيها لا يمكن أن تجد فيها ولو سطراً واحداً يتكلم عن أهمية الجهاد في الإسلام بل الكتب التي ألفوها لا تتكلم إلا عن أمور جانبية بلها أمور نهى عنها الإسلام بلها إلى الشرك وعبادة غير اللَّه ولو نظرنا إلى المتصوفة في عصرنا الحاضر فإننا نراهم اليد اليمنى للغرب الصليبي الحاقد في العالم

الإسلامي ولذا نرى الصليبين دائمًا يشجعون الطرق الصوفية ويعملون على نشرها وذلك لإدراكهم بأن هذه الطرق هي من أهم الأشياء التي يمكن عن طريقها تقويض الأمة الإسلامية وتخديرها وتحويلها إلى أمة هزيلة لا تحرك ساكنًا وقد فعلوا ذلك حتى كاد الجهاد في العالم الإسلامي ينسى وحتى أصبح كل من يتكلم عن الجهاد غريبًا بين الأمة الإسلامية ولو تتبعنا المتصوفة تاريخيًا فسنجد مواقفهم سلبية من جهاد أعداء الأمة الإسلامية .

وأبرز الحروب التي واجهها المسلمون بعد انتشار الطرق الصوفية هي:

الغزو التتري والحروب الصليبية وكان موقف المتصوفة من هذه الحروب كلها هو السكوت فقط ولم يخطوا في كتبهم عنها حتى ولو حرفًا واحدًا مما يدل دلالة واضحة على أنهم يرون عدم جدوى جهاد الكفار ولعل هذا بناءًا على معتقدهم الفاسد بأن كل ما قدره اللَّه فهو يحبه وكل ما وقع فقد قدره اللَّه واستيلاء الكفار على بلاد المسلمين مما قدره اللَّه ولذا يجب عدم معارضة قضاء اللَّه وقدره .

وإليك نماذج من التفسيرات الغريبة التي فسر بها المتصوفة بعض الآيات القرآنية التي تتكلم عن الجهاد وتحث عليه وذلك من أجل أن يثبتوا بأن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس وأما حهاد الأعداء فشيء ثانوي .

* فمن تفسيراتهم الغريبة ما روي عن داود بن صالح أنه قال : قال لي أبو سلمة بن عبد الرحمن يا ابن أخي هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية : ﴿ **اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾[1] ؟ .

---

(١) آل عمران : (٢٠٠) .

قلت : لا ، قال : يا ابن أخي لم يكن في زمن رسول اللّه ﷺ غزو يربط فيه الخيل ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة فالرباط لجهاد النفس والمقيم في الرباط مرابط مجاهد نفسه[1] .

وقال بعض المتصوفة في قوله تعالى : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ هو مجاهدة النفس والهوى وذلك حق الجهاد وهو الجهاد الأكبر على ما روى في الخبر عن رسول اللّه ﷺ قال حين رجع من بعض غزواته : «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر** »[2] .

من هذا التفسير الغريب يتضح لنا تمامًا بأن المتصوفة يدعون بأن جهاد النفس والمرابطة في جهادها هو الجهاد الأكبر وهذه دعوة صريحة منهم إلى دعوة الناس أن يرابطوا في جهاد أنفسهم ويتركوا جهاد أعداء الأمة الإسلامية لأن جهاد الأعداء لا يساوي شيئًا بالنسبة لجهاد النفس وهذه دعوة باطلة فإن جهاد الأعداء هو الجهاد الأكبر وهو من أفضل الأعمال التي يقوم بها المؤمن ابتغاء مرضاة اللّه وقد بينا ذلك في المطلب الأول من هذا المبحث فلا حاجة لإعادته هنا[3] .

وأما الحديث الذي استدل به المتصوفة فهو كذب وافتراء على رسول اللّه ﷺ الذي جاء بشريعة الجهاد وبذل كل غال ونفيس في سبيل نشر دعوة التوحيد .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الحديث الذي استدلوا به :

---

(١) « عوارف المعارف » للسهروردي الملحق بالإحياء (ص٨٢) .

(٢) نفس المرجع (ص٨٢) .

(٣) انظر (ص٨٥٠ ـ ٨٩٣) .

« وأما الحديث الذي يرويه بعضهم أنه قال في غزوة تبوك : « **رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر** » فلا أصل له ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي ﷺ وأفعاله .

وجهاد الكفار من أعظم الأعمال بل هو أفضل ما تطوع به الإنسان قال اللَّه تعالى : ﴿**لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[2] .

وفي الصحيحين عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه أنه قال : سئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل ؟ قال : « **إيمان باللَّه وجهاد في سبيله** » قيل : ثم ماذا : قال : « **حج مبرور** »[3] .

وقيل إن بعض الصالحين كتب إلى أخ له يستدعيه إلى الغزو فكتب إليه يا أخي كل الثغور مجتمعة لي في بيت واحد والباب علي مردود فكتب إليه أخوه لو كان الناس كلهم لزموا ما لزمته لاختلت أمور المسلمين وغلب الكفار فلابد من الغزو والجهاد فكتب إليه يا أخي لو لزم الناس ما أنا عليه

---

(١) النساء : (٩٥ ـ ٩٦) .

(٢) التوبة : (١٩) .

(٣) « صحيح البخاري » مع الفتح (٣/ ٣٨١). وانظر «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية».

وقالوا في زواياهم وعلى سجادتهم اللَّه أكبر انهدم سور القسطنطينية»[1] .

وهذا مفهوم خاطئ مخالف لمبادئ الإسلام الذي أمر بالقيام بالأسباب ومن الأسباب التي يجب أن يقوم بها المسلم لرد كيد الأعداء هو الجهاد في سبيل اللَّه أما أن يقعد المسلمون وينتظرون بعد ذلك أن تتهدم لهم أسوار الأعداء فهذا فهم غريب وليس من الإسلام في شيء ولا يقول به إلا من يضمر الحقد للأمة الإسلامية يريدها أن تخضع لأعدائها فتصبح ذليلة حقيرة هزيلة .

والمتصوفة يميتون العزة والشعور بالكرامة كما يميتون فيه الصحة والحيوية فينحني أمام المشايخ ويقبل النعل والقدم ويتلقى بنفس راضية شتى الإهانات من أي جانب كانت فكيف يفكر من هذا حاله بالقتال والطعان ومقارعة الأعداء لردهم عن بلاد المسلمين أو لنشر دعوة الحق وفتح الطريق لها .

ومما يدل على عدم اهتمام المتصوفة بأحوال الأمة الإسلامية والدفاع عنها عدم تسجيل كتابهم الكبار عن تلك الحروب التي وقعت بين المسلمين وأعدائهم ومن أبرز هذه الحروب التي وقعت بين المسلمين وغيرهم الحروب الصليبية والغزو التتري وقد عاصر هذه الحروب كبار زعماء التصوف في مجال التأليف ومع ذلك فإنك إذا قرأت في كتبهم لن تجد فيها ولو سطراً واحداً للإشارة على هذه الأحداث الجسام التي يقشعر الجلد من سماعها فقط فضلاً عمن عاصرها وحضرها ورآها بأم عينيه.

* ومن كبار المتصوفة الذين عاصروا الحروب الصليبية الغزالي والذي

---

(١) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص٨٢) .

يصفه المتصوفة بأنه حجة الإسلام فقد تكلم في كتابه « إحياء علوم الدين » عن التصوف وقرر أن طريقهم من أنجح الطرق وأصلحها للوصول إلى ولاية اللَّه ومرضاته وتكلم بإسهاب شديد عن طقوس المتصوفة المبتدعة ومع ذلك فإنه لم يتطرق ولو بسطر واحد للكلام على المصيبة التي أصيبت بها الأمة الإسلامية ألا وهو سقوط بيت المقدس في يد الصليبية

قال الشيخ عبد الرحمن الوكيل رحمه اللَّه :

« سقط بيت المقدس في يد الصليبيين عام (٥٤٢هـ) والغزالي الزعيم الصوفي الكبير على قيد الحياة فلم يحرك منه هذا الحادث الجلل شعوراً واحداً ولم يجر قلمه بشيء ما عنه في كتبه لقد عاش الغزالي بعد ذلك (١٣) عامًا إذ مات سنة (٥٠٥هـ) فما ذرف دمعة واحدة ولا استنهض همة مسلم ليذود عن الكعبة الأولى بينما سواه من الشعراء يقول :

أحل الكفر بالإسلام ضيمًا　　　يطول عليه للدين النجيب
وكم من مسجد جعلوه ديراً　　　على محرابه نصب الصليب
دم الخنزير فيه لهم خلوف　　　وتحريف المصاحف فيه طيب

أهز هذا الصريخ الموجع زعامة الغزالي كلا إذ كان عاكفًا على كتبه يقرر فيها إن الجمادات تخاطب الأولياء .

ويتحدث عن الصحو والمحو دون أن يقاتل أو يدعو حتى غيره إلى قتال ، وابن عربي وابن الفارض الزعيمان الصوفيان الكبيران عاشا في عهد الحروب الصليبية فلم نسمع عن واحد منهما أنه شارك في قتال أو دعا إلى قتال أو سجلا في شعرهما أو نثرهما آهة حسرة على الفواجع التي نزلت بالمسلمين .

لقد كانا يقرران للناس أن اللَّه هو عين كل شيء فليدع المسلمون الصليبيين فما هم إلا الذات الإلهية متجسدة في تلك الصور هذا حال أكبر زعماء التصوف وموقفهم من أعداء اللَّه فهل كافحوا غاصبًا أو طاغيًا[1] .

وحين أغار الفرنج على المنصورة قبل منتصف القرن السابع الهجرى اجتمع زعماء الصوفية أتدري لماذا ؟ لقراءة رسالة القشيرى والمناقشة في كرامات الأولياء[2] .

ثم قال الشيخ عبد الرحمن الوكيل بعد أن أورد هذه الحكاية :

« من أجل ذلك يجب أن لا نستغرب إذا رأينا المستعمرين يغدقون على الصوفية الجاه والمال فرب مفوض سام لم يكن يرضى أن يستقبل ذوي القيمة الحقيقية من وجوه البلاد ثم تراه يسعى إلى زيارة حلقة من حلقات الذكر ويقضي هناك زيارة سياسية تستغرق الساعات ، أليس التصوف الذي على هذا الشكل يقتل عنصر المقاومة في الأمم؟ »[3] .

ويقول الدكتور عمر فروخ :

ألا يعجب القارئ إذا علم أن حجة الإسلام أبا حامد الغزالي شهد القدس تسقط في أيدي الفرنجة الصليبيين وعاش اثنتي عشرة سنة بعد ذلك ولم يشر إلى هذا الحادث العظيم ولو أنه أهاب بسكان العراق وفارس وبلاد الترك لنصرة إخوانهم في الشام لنفر مئات الألوف منهم للجهاد في سبيل اللَّه

---

(١) « هذه هي الصوفية » لعبد الرحمن الوكيل (ص١٧٠) .

(٢) انظر « طبقات الشعراني » (١/ ١١) .

(٣) « هذه هي الصوفية » لعبد الرحمن الوكيل (ص١٧٢) .

ولوفروا إذن على العرب والإسلام عصوراً مملوءة بالكفاح وقرونًا زاخرة بالجهل والدمار .

وما غفلة الغزالي عن ذلك إلا لأنه كان في ذلك الحين قد انقلب صوفيًا واقتنع على الأقل بأن الصوفية سبيل من سبل الحياة بل هي أسدى تلك السبل وأسعدها . . ويزعم المتصوفة أن لهم كرامات ولكنهم لم يظهروا هذه الكرامات للدفاع عن دينهم وأوطانهم فإذا كان بهؤلاء القوم مثل هذه الكرامات ومثل هذه الكرامات لم تكن منهم فلقد كان من الجناية على الدين نفسه أن يسكتوا عن الفرنج الصليبيين في بلاد المسلمين وعن غيرهم من المغيرين الظالمين .

ولكن المتصوفة يعللون سكوتهم ورضاهم بما ينزل بقومهم من المصائب بأن هذه المصائب عقاب من اللَّه للمذنبين من خلقه فإذا كان اللَّه قد سلط على قوم ظالمًا فليس لأحد أن يقاوم إرادة اللَّه أو أن يتأفف منها»[1] .

وهذه شهادة ثالثة للدكتور زكي مبارك حيث قال بعد أن تحدث قليلاً عن الحروب الصليبية :

« أتدري لماذا ذكرت لك هذه الكلمة عن الحروب الصليبية لتعرف أنه بينما كان بطرس الناسك يقضي ليله ونهاره في إعداد الخطب وتجييد الرسائل يحث أهل أوروبا فيها على احتلال أقطار المسلمين كان الغزالي حجة الإسلام غارقًا في خلوته منكبًا على أوراده المبتدعة لا يعرف ما يجب عليه من الدعوة إلى الجهاد.

---

(١) « التصوف في الإسلام » للدكتور عمر فروخ (ص١٠٩) .

ويكفي أن نذكر أن الإفرنج لما قبضوا على أبي القاسم الرملي[1] الحافظ يوم فتح بيت المقدس ونادوا عليه ليفتدي فلم يفده أحد ثم قتلوه وقتلوا معه من العلماء عدداً لا يحصيه إلا اللَّه كما ذكـر السبكـي في طبقاته.

فأين هذه المواقف المخذولة للمتصوفة من موقف العالم الفقيه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه تعالى المشرف من هجوم التتار على دمشق فقد سارع لمقابلة ملكهم (قازان) على رأس وفد من الشاميين لإقناعه بالعدول عن دخوله دمشق فجعل يحدث هذا الملك بكل شجاعة مما أثار دهشته .

ولما يئس منه سافر إلى مصر وحرض السلطان ابن النصر على الخروج إلى الشام والدفاع عنها بعد ما تخلى عنها فلبى طلبه والتقى الجيشان في مرج الصفر قريبًا من دمشق ونشبت معركة رهيبة اشترك فيها الإمام ابن تيمية بعد أن ثبَّت المسلمين وبشرهم بالنصر فامتطى صهوة جواده وخرج إلى ميدان الحرب يحارب بكل شجاعة ويحرض جماعته على الصبر والقتال ودامت المعركة أربعة أيام صدق خلالها أهل الشام وجند مصر القتال حتى إذا جاء عصر اليوم الرابع انتصر جند مصر والشام وهزم جيش التتار شر هزيمة بعد ما كان يهدد الشرق والغرب»[2] .

ومن مبادئ الصوفية التي وضعوها لأنفسهم هو التكيف مع الزمان الذي

---

(١) هو مكي بن عبد السلام المقدسي (٤٣٢ ـ ٤٩٢) قال عنه السمعاني : كان ثقة قويًا ورعًا ضابطًا ، وكان مفتيًا على مذهب الشافعي وكانت الفتاوى تأتي إليه من شتى البلاد.

انظر ترجمته في « السير » (١٩/١٧٨) ، « شذرات الذهب » (٣/٣٩٨) ، « طبقات السبكي » (٥/٣٣٢) .

(٢) انظر « البداية والنهاية » لابن كثير (١٤/١٩) .

يعيشون فيه والدوران معه حيث دار وعدم المشي عكس الواقع المفروض بل يجب الخضوع للواقع سواء كان هذا الواقع موافقًا للإسلام أو مخالفًا له وسواء كان المتحكم في بلاد الإسلام مسلمين أو كفاراً لأن الكل قدره اللّه تعالى .

ومما يدل على هذا قول عبد الوهاب الشعراني حيث قال مقرراً مبادئ الصوفية :

« أخذ علينا العهد بأن نأمر إخواننا أن يدوروا مع الزمان وأهله كيف دار ولا يزدرون قط من رفعه اللّه عليهم ولو في أمور الدنيا وولايتها وكل ذلك أدبًا مع اللّه عز وجل الذي رفعهم فإنه ما يرفع أحدًا إلا لحكمة ثم أي فائدة من ازدراء من ارتفع عليهم مع أن أحدًا لا يسمع لهم وهذا العهد قل من يعمل به من الناس فيقولون عن المحتسب أو الوزير أو غيرهما : من أين لهؤلاء السفلة الفخامة علينا ونحن نعرف آبائهم؟! »[1] .

ويقول الدكتور عمر فروخ :

« يقول الصوفية : إذا سلط اللّه على قوم ظالمًا فليس لأحد أن يقاوم إرادة اللّه أو أن يتأفف منها »[2] .

وكثير من الطرق الصوفية هي عملاء للمستعمرين في العالم الإسلامي إلى عصرنا الحاضر وهم الذين مهدوا الطريق لاستعمار العالم الإسلامي من قبل الصليبيين .

---

(١) « التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق » (٢/ ٣٠١) نقلاً عن « البحر المورود » (ص٢٩٢) .

(٢) « التصوف في الإسلام » للدكتور عمر فروخ (ص١٠٩) .

يقول الرئيس فيلب فونداس المستعمر الفرنسي :

لقد اضطر حكامنا الإداريون وجنودنا في أفريقيا إلى تنشيط دعوة الطرق الدينية الإسلامية لأنها كانت أطوع للسلطة الفرنسية وأكثر تفهما وانتظامًا من الطرق الوثنية »[1] .

وقال مؤلفو كتاب تاريخ العرب الحديث والمعاصر تحت عنوان :

« المتعاونون مع فرنسا في الجزائر »

وتتألف هذه الفئة من بعض الشباب الذين تثقفوا في المدارس الفرنسية وقضى الاستعمار على كل صلة لهم بالعروبة يضاف إليهم بعض أصحاب الطرق الصوفية الذين أشاعوا الخرافات والبدع وبثوا روح الانهزامية والسلبية في النضال فاستعملهم الاستعمار كجواسيس ثم فئة من الموظفين والنواب والعسكريين الذين شاركوا الإدارة الفرنسية في أعمالها[2] .

وقد كان أتباع الطريقة التيجانية وشيوخها من أكثر العلماء نفعًا لفرنسا في الجزائر وبعض الأقطار الأفريقية ففي عام (١٨٧٠م) استطاعت سيدة فرنسية تدعى « أوريلي بيكار » أن تتسلل إلى الزاوية التيجانية وتتزوج شيخها المدعو سيدي أحمد ولما توفي تزوجت أخاه فأصبحت السيدة المذكورة مقدسة عند التيجانيين وأطلقوا عليها لقب « زوجة السيدين » وكانوا يتيممون بالتراب الذي تمشي عليه مع أنها بقيت كاثوليكية على دينها القديم وقد أنعمت فرنسا عليها بوسام الشرف .

وقالت الحكومة الفرنسية في أسباب منح هذا الوسام لأن هذه السيدة

---

(١) « الاستعمار الفرنسي في أفريقيا السوداء » (ص٥٢) .

(٢) « تاريخ العرب الحديث والمعاصر » (ص٣٧٣) .

قد أدارت الزاوية التيجانية الكبرى إدارة حسنة كما تحب فرنسا وترضى وكسبت للفرنسيين مزارع خصيبة ومراعٍ كثيرة لولاها ما خرجت من أيدي العرب الجزائريين التيجانيين ولأنها ساقت إلينا جنود مجندة من أحباب الطريقة التيجانية ومريديها يجاهدون في سبيل فرنسا صفًا كأنهم بنيان مرصوص[1] .

وقد ساعد أتباع الطريقة التيجانية الجيوش الفرنسية بمختلف الوسائل فكانوا يتجسسون لهم ويرسلون معهم الأدلاء ويقاتلون إلى جانبهم وعد مشايخهم ذلك واجبًا يمليه الشرف ويبغون فيه الاحتساب من اللّه تعالى.

قال الشيخ محمد الكبير صاحب السجادة التيجانية الكبرى وخليفة الشيخ أحمد التيجاني الأكبر مؤسس هذه الطريقة في خطبة ألقاها أمام رئيس البعثة العسكرية الفرنسية في مدينة (عين ماض) المركز الأساسي للطريقة الصوفية التيجانية وذلك بتاريخ ٢٨ ذي الحجة عام (١٣٥٠هـ) .

قال فيها : « إن من الواجب علينا إعانة حبيبة قلوبنا فرنسا ماديًا ومعنويًا وسياسيًا ولهذا فإني أقول لا على سبيل المن والافتخار ولكن على سبيل الاحتساب والشرف بالقيام بالواجب : إن أجدادي قد أحسنوا صنعًا في انضمامهم إلى فرنسا قبل أن تصل إلى بلادنا وقبل أن تحتل جيوشها الكرام ديارنا »[2] .

وقال الشيخ شقفة :

« ولم يقف الاستعمار في بلادنـــا ولا في مصر موقفًا عدائيًا من الصوفية بل كان يشجعها ويكرم شيوخها ويحسن استقبالهم ويسارع إلى

---

(١) « مخازي الولي الشيطاني » (ص١٢) نقلاً عن « التصوف » لشقفة (ص٢١٢) .

(٢) « تاريخ المغرب في القرن العشرين » لروم لاندو (ص١٤٣) .

تحقيق مطالبهم »[1] .

وقال الشيخ طنطاوي جوهري في كتابه « الجواهر في تفسير القرآن » ·

« إن كثيراً من الصوفية قد تنعموا وعاشوا في رغد من العيش وأغدق الناس عليهم المال من كل جانب وحببت إليهم الثمرات وهوت إليهم القلوب لما ركز في النفوس من قربهم إلى اللَّه فلما رأوا الفرنجة أحاطوا بالمسلمين لم يسعهم إلا أن يسلموا لهم القيادة ليعيشوا في أمن وسلام وهذا هو الذي حصل في أيامنا وذكره الفرنسيون في جرائدهم قبل الهجوم على مراكش وقرأنا نحن فيها إذ صرحوا بأن المسلمين خاضعون لمشائخ الطرق وأن الشرفاء القائمين في تلك البلاد ورجال الصوفية هم الذين يسلموننا البضاعة فعلى رجال السياسة أن يغدقوا النعم على مشائخ الطرق وعلى الشريف الذي يملك السلطة في تلك البلاد ».

وقالوا هكذا بصريح العبارة :

« إن هؤلاء جميعًا متمتعون بالعيش الهنيء ورغد المعيشة في ظلال جهل المسلمين وغفلتهم فمتى أكرمناهم وأنعمنا عليهم فهم يكونون معنا ويشاركوننا في جر المغنم وبصريح العبارة يكونون أشبه بالغربان والنسور والعقبان التي تأكل ما فضل من فرائس الآساد والنمور »[2] .

والخلاصة مما سبق لنا من العبارات التي نقلناها عن المتصوفة أنفسهم والتي تدل دلالة صريحة واضحة على أنهم يرون الجهاد الأكبر هو جهاد النفس أما جهاد الأعداء فليس بأمر ذي أهمية بالإضافة إلى مقالات الكتاب

---

(١) « التصوف بين الحق والخلق » لشقفة (ص٢١٦) .

(٢) « الجواهر في تفسير القرآن » للطنطاوي (٩/١٣٧ ـ ١٣٨) .

المسلمين وغير المسلمين الذي أكدوا فيها تقاعس المتصوفة عن القيام بالجهاد في سبيل اللَّه وتعاونهم مع المستعمر ندرك خطر كثير من رجال الطرق الصوفية على البلاد الإسلامية فإنهم لا يتقاعسون عن تعاونهم مع الاستعمار إذا ضمنت مصالحهم المادية الخاصة وهم علاوة على هذا فإنهم مستسلمون دائمًا للعدو فلا يحركون ساكنًا إذ شعارهم الصوفي :

« دع الخلق للخالق »[1] ، « ليس في الإمكان أبدع مما كان »[2] .

« لو اطلعتم على الغيب لا خترتم الواقع » .

وقال علي برادة التيجاني :

« إن الكفار والمجرمين والفجرة والظلمة ممتثلون لأمر اللَّه تعالى ليسوا بخارجين عن أمره »[3] .

وإذا نظرنا إلى العبارات السابقة نرى بأنها عبارات خطيرة جدًا كلها تدعو إلى عدم مقاومة الكفـار ومقارعتهم وذلك لأن مقاومتهم تعني الاعتراض على قضاء اللَّه وقدره وأن الكفرة ما هم إلا ممتثلون لأمر اللَّه تعالى ولذا فلا يجوز مقاومتهم بل ينبغي الاستسلام لهم والخضوع للأمر الواقع مهما كان هذا الواقع نوعه سواء كانت السيطرة فيه للكفرة أو للمسلمين ليس هناك فرق بين الواقعين في المفهوم الصوفي ومعنى هذا هو تعطيل الجهاد كلية .

* * *

(١) ، (٢) « التصوف بين الحق والخلق » لشقفة (ص ٢) .

(٣) « جواهر المعاني » لعلي براد (١/ ٢٢١) .

مظاهر الانحرافات العقدية

عند الصوفية

وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية

تأليف

أبو عبد العزيز

إدريس محمود إدريس

المجلد الثالث

مكتبة الرشد

ناشرون

مظاهر الانحرافات العقدية

عند الصوفية

وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية

مظاهر الانحرافات العقدية

عند الصوفية

وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية

تأليف

أبو عبد العزيز

إدريس محمود إدريس

المجلد الثالث

مكتبة الرشد

الرياض

شركة الرياض

للنشر والتوزيع

الفصل الثالث

انحرافهم في مفهوم القضاء والقدر والتوكل والجنة والنار

وتحته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : انحرافهم في مفهوم القضاء والقدر وأهمية الإيمان بهما في العقيدة الإسلامية .(تحته ثلاثة مطالب)

المبحث الثاني : انحرافهم في مفهوم التوكل ومكانته العظيمة في العقيدة الإسلامية . (تحته مطلبان)

المبحث الثالث : انحراف عقيدة الصوفية تجاه الجنة والنار والخوف والرجاء .

المبحث الأول

انحرافهم في مفهوم القضاء والقدر وأهمية الإيمان بهما في العقيدة الإسلامية

وتحت ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف القضاء والقدر ومكانة الإيمان بهما في العقيدة الإسلامية .

المطلب الثاني : انحـرافهم في عقيدة القضاء والقدر.

المطلب الثالث : بيان بطلان المعتقد الصوفي تجاه عقيدة القضاء والقدر .

المبحث الأول

انحرافهم في عقيدة القضاء والقدر

تمهيد :

لقد انحرف المتصوفة في القضاء والقدر كما انحرفوا في أشياء كثيرة من العقيدة الإسلامية حيث احتجوا بالقضاء والقدر في تجويز اقتراف المعاصي انطلاقًا من معتقدهم الفاسد الذي وضعوه بأنفسهم من أن كل ما قدره اللَّه وقضاه فقد رضيه ولذا لا ينبغي الإنكار على من يرتكب المعاصي لأن اللَّه قد قدرها وما قدره اللَّه فاللَّه سبحانه وتعالى يحبه وما دام الأمر كذلك فلا يجوز الإنكار .

وقبل أن أدخل في ذكر انحرافات المتصوفة تجاه عقيدة القضاء والقدر أريد أن أعرف القضاء والقدر وأذكر مكانة الإيمان بهما في العقيدة الإسلامية ومراتبهما وحكم الرضا بهما وذلك حرصًا على بيان المعتقد الصحيح الواجب اعتقاده تجاه هذه العقيدة التي ضل فيها فرق كثيرة فوقعوا في متاهات وضلالات خطيرة .

المطلب الأول

تعريف القضاء والقدر ومكانة الإيمان بهما

في العقيدة الإسلامية

أولاً : تعريف القضاء والقدر :

أ ـ معنى القدر في اللغة :

قال ابن الأثير في معنى القدر :

« (قدر) من أسماء اللّه تعالى : القادر والمقتدر والقدير ، فالقادر اسم فاعل من قدر يقدر والقدير فعيل منه ، وهو للمبالغة والمقتدر مفتعل من اقتدر وهو أبلغ .

وقد تكرر ذكر القدر في الحديث وهو عبارة عما قضاه اللّه وحكم به من الأمور وهو مصدر قدر قدراً وقد تسكن داله .

ومنه ذكر ليلة القدر وهي الليلة التي تقدر فيها الأرزاق وتقضى »[1] .

وقال الجرجاني في تعريف القدر :

« القدر تعلق الإرادة الذاتية بالأشياء في أوقاتها الخاصة فتعليق كل حال من أحوال الأعيان بزمان معين وسبب معين عبارة عن القدر» . . . ثم قال «القدر خروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحداً بعد واحد مطابقًا للقضاء والقضاء في الأزل والقدر فيما لا يزال والفرق بين القضاء والقدر هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة والقدر

---

(١) « النهاية » لابن الأثير (٤/ ٢٢) .

وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها »[1] .

وفي « المعجم الوسيط » جاء في معنى القدر :

« القدر مقدار الشيء وحالاته المقدرة له وفي التنزيل العزيز : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ووقت الشيء أو مكانه المقدر له والقضاء الذي يقضي به اللَّه على عباده»[2] .

ب ـ تعريف القدر في الاصطلاح :

قال القرطبي :

« القدر مصدر قدرت الشيء بتخفيف الدال أقدره وأقدره قدراً أو قدر إذا حصلت بمقداره ويقال فيه قدرت أقدر تقديراً شدد الدال فإذا قلنا إن اللَّه تعالى قدر الأشياء فمعناه أنه تعالى علم مقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل إيجادها ثم أوجد منها ما سبق في علمه أنه يوجده على نحو ما سبق في علمه فلا محدث في العالم العلوي والسفلي إلا هو صادر عن علمه تعالى وقدرته وإرادته وهذا هو المعلوم من دين السلف الماضين الذي دلت عليه البراهين »[3] .

ويقول الشيخ عبد الكريم الخطيب :

« وقد ورد القدر في القرآن الكريم مصدراً وفعلاً قال تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[4] .

---

(١) « التعريفات » للجرجاني (ص١٧٤) .

(٢) « المعجم الوسيط » (٧١٨/٢) .

(٣) « تفسير القرطبي » (١٤٨/١٧) .

(٤) القدر : (١) .

وقال تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[1] .

وقال تعالي : ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾[3] .

ومعنى القدر التقدير ووضع الشيء في موضعه المناسب ولفظ القدر مشتق من القدرة ومن القدرة اشتقت الصفات الكريمة للّه القادر والقدير والمقتدر.

من ذلك نرى أن القضاء أخص من القدر بمعنى أن دائرة القدر أشمل وأعم فالقدر تدبير والقضاء حكم والقدر تصميم والقضاء تنفيذ وهذا واضح بالإضافة إلى اللّه سبحانه وتعالى فالقدر من القدرة والقدرة الإلهية لا يمدها شيء إيجادًا أو عدمًا خلقًا أو إفناءً إحياءً أو إماتة فلو أراد سبحانه أن يجعل صورة الإنسان على غير تلك الصورة لكان الذي أراد ولو أراد سبحانه أن يقيم الوجود كله على غير هذه الصورة لكان الذي أراد ولو أراد سبحانه أن يقيم الوجود كله على غير هذه الصورة لما كان هذا الوجود القائم ولكان هناك وجود أو عدة صور لا تنتهي من الوجود ولكن هكذا كان قضاء اللّه وحكمه في محيط قدرته المطلقة واللّه سبحانه وتعالى يقول : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[4] .

فهذا كله مما يدخل في قدرة اللّه تعالى كما يدخل فيها كل ما لا يخطر على بال أو يقع في ظن ولكن مشيئته سبحانه شاءت ما اختارت بإرادته

---

(١) القمر : (٤٩) .

(٢) المرسلات : (٢٣) .

(٣) فصلت : (١٠) .

(٤) هود : (١١٨) .

وحكمته من بين ما في سلطان قدرته التي لا تحد »[1] .

إذا نظرنا في التعريفات اللغوية والاصطلاحية السابقة للقدر نخرج بخلاصة واحدة وهي أن معنى القدر هو أن اللّه سبحانه وتعالى قدر جميع ما يقع في هذا الكون قبل أن يقع وأنه مسجل عنده في اللوح المحفوظ ولا يمكن أن يقع شيء في هذا الكون لم يقدره اللّه سبحانه وتعالى .

ج ـ تعريف القضاء في اللغة والاصطلاح :

قال الجرجاني في تعريف القضاء :

« القضاء لغة الحكم »[2] .

وقال ابن الأثير في تعريف القضاء :

« أصل القضاء القطع والفصل يقال قضى يقضي قضاءً فهو قاضي إذا حكم وفصل وقضاء الشيء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه فيكون بمعنى الخلق» .

وقال الزهري :

« القضاء في اللغة على وجوه ، مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه وكل ما أحكم عمله أو أتم أو ختم أو أدى أو أوجب أو أعلم أو أنفذ أو أمضي فقد قضي وقد جاءت هذه الوجوه كلها في الحديث .

ومنه القضاء المقرون بالقدر والمراد بالقدر التقدير وبالقضاء الخلق كقوله تعالى : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾[3] .

---

(١) « القضاء والقدر » لعبد الكريم الخطيب (ص١٧٦) .

(٢) « التعريفات » للجرجاني (ص١٧٧) .

(٣) فصلت : (١٢) .

أي : خلقهن ، فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه »[1] .

د ـ معنى القضاء في الاصطلاح :

قال الإمام القرطبي في معنى القضاء :

« إن القضاء يكون بمعنى الأمر كقوله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[2] .

ويكون بمعنى الخلق كقوله تعالى : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾[3] .

ويكون بمعنى الحكم كقوله تعالى : ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾[4] .

ويكون بمعنى الفراغ كقوله تعالى : ﴿ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾[5] .

ويكون بمعنى الإرادة كقوله تعالى : ﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[6] .

---

(١) « النهاية » لابن الأثير (٤/٧٨) .

(٢) الإسراء : (٢٣) .

(٣) فصلت : (١٢) .

(٤) طه : (٧٢) .

(٥) يوسف : (٤١) .

(٦) آل عمران : (٤٧) .

ويكون بمعنى العهد كقوله تعالى : ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾»[1] .

إذا نظرنا في هذه المعاني التي ذكرها القرطبي للقضاء نرى كلها تدل على معنى واحد ألا وهو الفصل أو الحسم أو الإنجاز لأن الأمر والخلق والحكم والفراغ والإرادة والعهد كلها تدل على حسم الأمر وإنجازه .

قال الشيخ عبد الكريم الخطيب :

« فأمر اللَّه لا يقع إلا ومعه الحسم والإنجاز وكذلك خلقه وحكمه وارادته وعهده كلما تقع في حسم وإنجاز ولهذا جاء القضاء ومشتقاته مسنداً إلى اللَّه تعالى في جميع الآيات التي ذكر فيها القضاء ولم يجيء مسنداً إلى غيره سبحانه إلا مرة واحدة هي قوله تعالى على لسان السحرة لفرعون : ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾ وذلك في مقام التحدي لفرعون وألوهيته التي يدعيها كذلك جاء القضاء مسنداً إلى غير اللَّه تعالى في حال النفي وذلك في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ وهذا يعني أن القضاء لا يكون إلا من مصدر عال يقضي فيمضي ما يقضى به ومنه اشتق لفظ القضاء في الخصومات بين المتخاصمين أي الحاكم الذي لا يرد حكمه»[2] .

وقال الشيخ عبد الكريم الخطيب :

« لم يذكر لفظ القضاء في القرآن الكريم وإنما ذكرت مشتقاته في آيات كثيرة .

---

(١) القصص : (٤٤) وانظر « تفسير القرطبي » (١٠/ ٢٣٧) .

(٢) « القضاء والقدر » لعبد الكريم الخطيب (ص١٧٥) .

فذكر القضاء في صورة فعل كقوله : ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ﴾[3] .

وقوله سبحانه : ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ﴾[4] .

كذلك ورد من لفظ القضاء اسم المفعول في قوله تعالى : ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾[5] .

واسم الفاعل في قوله تعالى : ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾[6] .

والذي ينظر في هذه الآيات يجد تقاربًا واضحًا بين مشتقات القضاء وأنها تدور جميعها حول معنى واحد هو الفصل والحسم في الأمر وأن قضاء الأمر معناه إنجازه وحسمه »[7] .

وقد عرف الجرجاني القضاء في الاصطلاح بأنه عبارة عن الحكم الكلي

---

(١) فصلت : (١٢) .

(٢) الإسراء : (٢٣) .

(٣) غافر : (٢٠) .

(٤) سبأ : (١٤) .

(٥) مريم : (٢١) .

(٦) طه : (٧٢) .

(٧) « القضاء والقدر » لعبد الكريم الخطيب (ص١٧٤) .

الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد[1] .

من كل ما تقدم نخرج بخلاصة واحدة ألا وهي أن القضاء معناه الفصل والحسم والإنجاز والحكم .

ثانيًا : مكانة الإيمان بالقضاء والقدر من العقيدة الإسلامية :

إن الإيمان بالقضاء والقدر يعتبر ركنًا من أركان الإيمان الذي لا يمكن أن يتم إيمان شخص ما إلا بالإيمان بهما جميعًا ومما يدل على هذا قول الرسول ﷺ في حديث جبريل الطويل الذي رواه عمر بن الخطاب حيث ذكر فيه الرسول أركان الإسلام والإيمان فقال الرسول ﷺ متحدثًا عن أركان الإيمان : « **الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره من الله تعالى** »[2] .

وعلى هذا فيجب على كل مسلم أن يؤمن إيمانًا قويًا وصادقًا بأن كل ما يقع في هذا الكون من شر أو خير إنما هو بإرادة الله تعالى ولا يمكن أن يقع في هذا الكون شيء لم يقدره الله سبحانه أزلاً ولم يسجله في اللوح المحفوظ نهائيًا وهذا المعتقد ينبغي أن يعتقده أي مسلم يريد النجاة من عذاب الله يوم القيامة .

* ومن الآيات التي تدل على أن كل ما يقع في هذا الكون قدره الله ما يلي :

قوله تعالى : ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي**

---

(١) « التعريفات » للجرجاني (ص١٧٧) .

(٢) « صحيح مسلم » مع النووي (١/ ١٥٧) .

كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[1] .

ويقول سبحانه : **﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾**[2] .

ويقول تعالى : **﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾**[3] .

ونخلص من هذه الآيات بأن كل ما يقع في هذا الكون قدره اللَّه سبحانه في اللوح المحفوظ وأنه لا يمكن أن يقع في ملكه ما لم يقدره سبحانه وتعالى .

وأما الأحاديث التي تدل على أن أي شيء لا يمكن أن يقع في هذا الكون كائنًا ما كان صغر أو كبر سواء كان هذا الشيء خيرًا أو شرًا والتي تحث على الإيمان بأن القضاء والقدر من اللَّه تعالى كثيرة وإليك نماذج منها .

* عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه »**[4] .

* وعن علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا اللَّه وأني رسول اللَّه بعثني بالحق ويؤمن بالموت ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر »**[5] .

(١) الحديد : (٢٢) .

(٢) القمر : (٤٩) .

(٣) الفرقان : (٢) .

(٤) « جامع الترمذي مع تحفة الأحوذي » (٦/ ٣٥٦) .

(٥) نفس المرجع (٦/ ٣٥٧) .

إذا نظرنا في هذين الحديثين نرى بوضوح أن الإيمان بالقدر يعتبر شرطًا أساسيًا لكي يصبح الإنسان مؤمنًا الإيمان الكامل الحق الذي ينجي صاحبه يوم القيامة من النار وأن الذي لا يؤمن بالقدر فالإيمان منفي عنه حتى يؤمن بالقدر .

* وعن طاووس قال :

« أدركت أناسًا من أصحاب رسول اللّه ﷺ يقولون : « كل شيء بقدر» قال : وسمعت عبد اللّه بن عمر يقول : قال رسول اللّه ﷺ : **« كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز »**[1] .

* وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه : يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : **« إن أول ما خلق اللّه القلم فقال: اكتب، قال: رب وماذا أكتب؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة »**، يا بني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : **« من مات على غير هذا فليس مني »**[2] .

إذا نظرنا في هذا الحديث نرى أن الرسول ﷺ صرح بأن من لم يؤمن بالقدر ليس منه وهذا وعيد شديد .

وقول الرسول ﷺ في رواية لمسلم : **« كتب اللّه مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال : وعرشه على الماء »**[3] .

وقوله ﷺ في رواية البخاري : **« كان اللّه ولم يكن شيء قبله وكان**

---

(١) مسلم مع النووي (١٦/ ٢٠٥) .

(٢) أخرجه الترمذي مع اختلاف في بعض ألفاظه .

(٣) « صحيح مسلم » مع النووي (١٦/ ٢٠٣) .

عرشه على الماء ثم خلق السماوات والأرض وكتب في الذكر كل شيء »[1] .

وعلى هذا فيجب على كل مسلم أن يؤمن بأن كل ما يقع في هذا الكون قدره اللَّه سبحانه وتعالى في الأزل وكتبه في اللوح المحفوظ وأنه لا يمكن أن يقع في ملكه ما لم يقدره .

وينبغي أن يعتقد المسلم اعتقاداً جازمًا بأنه لا يمكن أن يصيبه شيء في هذه الحياة من خير أو شر إلا ما قدره اللَّه له ومما يدل على هذا قول الرسول ﷺ لابن عباس رضي اللَّه عنه : « **واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللَّه لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه اللَّه عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف**»[2] .

* وعن ابن عمر قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **إنه يكون في آخر الزمان قوم يكذبون بالقدر ألا وأولئك مجوس هذه الأمة فإن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم** »[3] .

* وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **إن لكل أمة مجوسًا وإن مجوس هذه الأمة القدرية فلا تعودوهم إذا مرضوا ولا تصلوا عليهم إذا ماتوا** »[4] .

* وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : « **ما كانت زندقة**

---

(١) « صحيح البخاري » مع الفتح (١٣/ ٤٠٣) .

(٢) « سنن الترمذي » (٤/ ٥٧٥) وذكره الألباني في « صحيح النسائي » رقم (٢٥١٦) .

(٣) « الشريعة » للآجري (ص١٩٠) .

(٤) « الشريعة » للآجري (ص١٩١) .

إلا كان أصلها التكذيب بالقدر »[1] .

* وعن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«ما هلكت أمة قط إلا بالإشراك باللَّه وما أشركت أمة قط إلا وكان بدءُ إشراكها التكذيب بالقدر »**[2] .

وأما وصايا السلف في الإيمان بالقضاء والقدر والتحذير من إنكارهما والخوض فيهما فكثيرة جدًا وإليك نماذج منها .

* عن يحيى بن يعمر قال : خرجت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميدي فلقينا عبد اللَّه بن عمر حاجين أو معتمرين فقلنا ودنا أنا لقينا رجلاً من أصحاب محمد ﷺ فنسأله عن القدر قال : فلقينا ابن عمر فظننت أنه سيكل الكلام إليّ قلنا : يا أبا عبد الرحمن قد ظهر قبلنا أناس يقرءون القرآن يتقفرون العلم تقفرًا يزعمون أن لا قدر وإن الأمر أنف قال : فأبلغهم عني إن لقيتهم أني منهم بريء وأنهم مني براء والذي يحلف به عمر نفسه لو أن أحدهم أنفق مثل أحد ذهبًا ثم لم يؤمن بالقدر ما قبل منه ثم ذكر حديث عمر المشهور والذي بدأه الرسول ﷺ بقوله : « **إنما الأعمال بالنيات** »[3] .

* وروى الآجري أن عبادة بن الصامت لما احتضر طلب منه ابنه أن يوصيه فقال : يا أبت أوصني فقال : أجلسوني فلما أجلسوه قال : يا بني اتق اللَّه ولن تتقي اللَّه حتى تؤمن باللَّه ولن تؤمن باللَّه حتى تؤمن بالقدر خيره وشره وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « **القدر على هذا من مات على غير**

---

(١) « الشريعة » للآجري (ص١٩٣) .

(٢) « الشريعة » للآجري (ص١٩١) .

(٣) كتاب « الإيمان » لابن منده (ص١٣١) .

هذا دخل النار »[1] .

* وقال عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه حين قيل له إن ناسًا يتكلمون في القدر فقام خطيبًا فقال :

« يا أيها الناس إنما هلك من كان قبلكم في القدر والذي نفس عمر بيده لا أسمع برجلين تكلما فيه إلا ضربت أعناقهما » قال : « فأحجم الناس فما تكلم فيه أحد حتى ظهرت نابغة الشام »[2] .

* وقال ابن عباس حينما أخبروه بأن الناس يتلكمون في القدر قال : يكذبون بالكتاب لئن أخذت بشعر أحدهم لأنضونه إن اللّٰه عز وجل كان عرشه على الماء قبل أن يخلق شيئًا فخلق القلم فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فإنما يجرى الناس على أمر قد فرغ منه »[3] .

* وقال عمران بن الحصين حين سئل عن الإيمان بالقدر قال :

« لو أن اللّٰه عذب أهل السماوات والأرض لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو أنه رحم أهل السماوات والأرض لكانت رحمته أوسع من ذلك ولو أن رجلاً له مثل أحد ذهبًا ينفقه في سبيل اللّٰه لا يؤمن بالقدر خيره وشره ما تقبل منه »[4] .

* وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّٰه وهو يتحدث عن معتقد أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر :

---

(١) « الشريعة » للآجري (ص١٨٦) .

(٢) « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » للالكائي (٤/ ٦٦٤) .

(٣) نفس المرجع (٤/ ٦٦٩) .

(٤) نفس المرجع (٤/ ٦٧٦) .

« مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان وهو أن اللّٰه خالق كل شيء وربه ومليكه وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته لا يمتنع عليه شيء شاءه بل هو قادر على كل شيء ولا يشاء شيئًا إلا وهو قادر عليه وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون فقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها وقد قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم قدر أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وكتب ذلك وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء وقدرته على كل شيء ومشيئته لكل ما كان وعلمه بالأشياء قبل أن تكون وتقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون»[(١)] .

وقد قسم الإمام ابن القيم مراتب القضاء والقدر إلى أربع مراتب وهذه المراتب هي :

١ ـ علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها .

٢ ـ كتابة ذلك عنده في الأزل قبل خلق السماوات والأرض .

٣ ـ مشيئته المتناولة لكل موجود فلا خروج لكائن كما لا خروج له عن علمه .

٤ ـ خلقه لها وإيجاده وتكوينه فاللّٰه خالق كل شيء وما سواه مخلوق[(١)] .

---

(١) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ».

(٢) « شفاء العليل » لابن القيم (ص٦٦) .

وهذه المراتب التي ذكرها ابن القيم لابد للإنسان أن يؤمن بها كلها حتى يصبح مؤمنًا بالقضاء والقدر لأن الإيمان بهما لا يتحقق إلا إذا آمن الإنسان بهذه المراتب المذكورة .

ويقول أحمد بهجت وهو يتحدث مؤكدًا أن كل الأشياء في هذا الكون لا تكون ولا تقع إلا بإرادة اللَّه سبحانه وتعالى ومشيئته .

قال : « كل أحداث الأرض والكون كل أحداث التاريخ والزمن كلها مسجلة عند اللَّه في كتاب يعلم الأشياء قبل أن تقع ويحيط علمه بها قبل أن تولد ولا يخرج شيء في الكون عن علمه سبحانه سواء كان هذا الشيء عظيمًا أو بسيطًا . . .

اللَّه أقرب إلى كل شيء من ذرات هذا الشيء ونواته .

واللَّه أعلم بكل شيء من معرفة الشيء بذاته أو صفاته .

قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** ﴾[1] .

وحبل الوريد جزء من جسد الإنسان واللَّه أقرب إلى الإنسان من أجزاء الإنسان للإنسان .

وإذن فإن كل شيء وقع على كوكب الأرض أو يقع عليه أو سيقع عليه سواء كان هذا الكوكب هو وحده العامر بالإنسان أو كانت هناك كواكب أخرى كل شيء مسجل في كتاب قبل أن يخلق اللَّه تعالى الخلق أحاط علمه بكل ما سيقع من الخلق وكتب الحق سبحانه وتعالى كل ما سيحدث وإن

---

(١) ق : (١٦) .

النص القرآني صريح في أن اللَّه تعالى يعلم الماضي والحاضر والمستقبل من قبل أن يقع قال تعالى : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[1] .

كانت عقيدة النبي والصحابة تجاه القضاء والقدر أن اللَّه كتب كتاب الخلق قبل خلقه ورغم ذلك لم يتوقف أحدهم ليسأل إذا كان اللَّه يعلم ما سأفعل . . . فأين حريتي كإنسان فيما أفعله لم يتوقف أحدهم ليسأل .

هل الإنسان مخير أم مسير ؟ هل الإنسان حر أم مسلوب الحرية والإرادة ؟ كانوا أحكم في ذلك وأرسخ في دين اللَّه.

فهموا أن القضاء والقدر لا ينافي حرية الإنسان وأدركوا أن حرية الإنسان لا تقف أمام طلاقة المشيئة الإلهية كان الانسجام بينهم وبين الكون شيئًا يثير الدهشة »[2] .

وهكذا كل ما يدور في هذا الكون من خير أو شر أو معصية أو طاعة إنما هو بقضاء اللَّه وقدره ولا يمكن أن يقع شيء ما في هذا الكون إلا بإرادته سبحانه وتعالى ومشيئته كما قال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[3] .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾[4] .

---

(١) يونس : (٦١) .

(١) « اللَّه في العقيدة الإسلامية » لأحمد بهجت (ص٩٩) .

(٣) التكوير : (٢٩) .

(٤) الأنعام : (١٢٥) .

ومن هنا نقول إن الهداية والإضلال كله بإرادة اللّه ومشيئته سبحانه وتعالى ولا يمكن أن يقع في ملكه ما لا يشاءه ولا يريده وهذا ما ينبغي اعتقاده تجاه عقيدة القضاء والقدر .

ومما ينبغي أن يتبنه له المسلم في عقيدة القضاء والقدر أنه لا يجوز الاحتجاج بهما على المعايب والمعاصي بحيث يرتكب المعاصي ويقع فيها ثم يحتج بأنها وقعت بقضاء اللّه وقدره فيحاول أن يبرئ نفسه من المسئولية بل عليه إذا وقع في المعصية أن يتوب إلى اللّه سبحانه وتعالى وينيب إليه فيندم على ما فعل أما أن يبرئ نفسه عن المسئولية بحجة أنه وقع في المعاصي بقضاء اللّه وقدره فهذا معتقد باطل فاسد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض رده على الذين يحتجون بالقدر في اقتراف المعاصي ويعتبرون أنفسهم أنهم لا ذنب لهم لأن المعاصي قدرها اللّه عليهم .

قال رحمه اللّه : « بل كل من احتج بالقدر فإنه متناقض فإنه لا يمكن أن يقر كل آدمي على ما يفعل به فلابد إذا ظلمه ظالم أن يدفع هذا القدر وأن يعاقب الظالم بما يكف عدوانه وعدوان أمثاله فيقال له إن كان القدر حجة فدع كل أحد يفعل بك ما يشاء وإن لم يكن حجة بطل قولك إن القدر حجة وأصحاب هذا القول الذين يحتجون بالحقيقة الكونية أي القدر لا يطردون هذا القول ولا يلتزمونه إنما هم يتبعون أهواءهم كما قال فيهم بعض العلماء أنت عند الطاعة قدري وعند المعصية جبري »[1] .

ويقول الشيخ عبد الكريم الخطيب :

---

(١) « العبودية » لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٢١) .

« والاحتجاج بالقدر عند الذنب ينفع في موضع ويضر في موضع فينفع إذا احتج به العبد بعد وقوعه وكان باعثًا له على التوبة وترك معاودته كما فعل آدم ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾[1] .

فذكر القدر في هذه الحالة من تمام التوحيد .

أما الموضع الذي يضر فيه ذكر القدر فذلك بأن يرتكب العبد فعلاً محرمًا أو يترك واجبًا فيلومه عليه لائم فيحتج بالقدر معتذراً لنفسه مبرئًا لها من كل تبعة مترخصًا بالإثم فذلك هو الضلال البعيد والبهتان الغليظ »[2] .

ويقول الشيخ أبو بكر الجزائري :

إنه لا يحتج بإرادة اللَّه وقدره على المعايب ولكن يحتج بهما على المصائب فالمعايب وهي الذنوب والمعاصي ما دام اللَّه تعالى قد حرمها على عباده وكرهها لهم ومنهم وأنزل بذلك كتبه وبعث رسله فإن العبد إذا غشيها مريداً لها وتلبس بها مختاراً غير مكره عليها لا يصح عقلاً أن يحتج بالقدر الذي هو علم اللَّه وتقديره لأحداث الكون خيرها وشرها وكتابته لها في كتاب المقادير اللوح المحفوظ بخلاف المصائب التي تصيب المرء ولم يكن قد تسبب فيها بترك طاعة أو مخالفة سنة من سنن اللَّه تعالى الشرعية أو الكونية فإنه إن قيل له في ذلك صح منه الاحتجاج بالقدر بل بالإرادة الكونية إذ لم يكن بإرادة منه ولا اختيار كالرجل يسقط عليه جدار أو تلسعه حية . . . أما إن تسبب في هذا فلا حق له في الاحتجاج بالقدر بل عليه أن يتحمل نتائج معصيته ومعاقبة ربه تعالى لمخالفته سنته وإهماله الأسباب المشروعة

---

(١) طه : (١٢٢) .

(٢) « القضاء والقدر » لعبد الكريم الخطيب (ص٢٣٩) .

لسلامته»[1]

ومن تمام الإيمان بالقضاء والقدر الرضا بهما .

يقول الإمام ابن القيم في حكم الرضا بالقضاء :

« هذا الباب من تمام الإيمان بالقضاء والقدر وقد تنازع الناس فيه هل هو واجب أو مستحب على قولين وهما وجهان لأصحاب أحمد فمنهم من أوجبه واحتج على وجوبه بأنه من لوازم الرضا باللّه ربًا وذلك واجب واحتج بأثر إسرائيل : « من لم يرض بقضائي ولم يصبر علي بلائي فليتخذ له ربًا سواي » .

ومنهم من قال : هو مستحب غير واجب فإن الإيجاب يستلزم دليلاً شرعيًا ولا دليل يدل على الوجوب وهذا القول أرجح فإن الرضا من مقامات الإحسان التي هي من أعلى المندوبات ».

ثم قال ابن القيم : « إن من القضاء ما يؤمر بالرضا به ومنه ما ينهى عن الرضا به فالقضاء الذي يحبه اللّه ويرضاه نرضى به والذي يبغضه ويسخطه وهو خالقه كالأعيان المسخوطة له فهذا الكلام في الأفعال والأقوال سواء وهذا جواب جيد غير أنه يحتاج إلى تمام فنقول الحكم والقضاء نوعان ديني وكوني .

فالديني يجب الرضا به وهو من لوازم الإسلام والكوني منه ما يجب الرضا به كالنعم التي يجب شكرها وتمام شكرها الرضا بها .

ومنه ما لا يجوز الرضا به كالمعايب والذنوب التي يسخطها اللّه تعالى

(١) « عقيدة المؤمن » للشيخ الجزائري (ص٣٦٨) .

وإن كانت بقضائه وقدره ومنه ما يستحب الرضا به كالمصايب وفي وجوبه قولان .

هذا كله في الرضا بالقضاء الذي هو المقضي .

وأما القضاء الذي هو وصفه سبحانه وفعله كعلمه وكتابته وتقديره ومشيئته فالرضا به من تمام الرضا باللّٰه ربًا وإلهًا ومالكًا ومدبراً فبهذا التفصيل يتبين الصواب ويزول اللبس في هذه المسائل العظيمة التي هي مفرق طرق بين الناس»[1] .

والخلاصة التي نخرج بها من هذا المطلب هي أن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان الستة التي لا يمكن أن يكمل إيمان المسلم إلا بالإيمان بها كلها وأن من لم يؤمن بقضاء اللّٰه وقدره يعتبر إيمانه ناقصًا وأنه يجب على كل مسلم أن يعتقد بأن كل ما يقع في هذا الكون بقضاء اللّٰه وقدره وأنه لا يجوز الاحتجاج بالقضاء والقدر في المعايب والمعاصي بحجة تبرئة النفس من المسئولية وأن الرضا الواجب بالقضاء هو الرضا بالقضاء الديني الشرعي لأنه من لوازم الإسلام وأما القضاء الكوني فإنه نوعان منه ما يجب الرضا به كالنعم التي أنعم اللّٰه بها على عباده ومنه ما لا يجوز الرضا به كالمعايب والذنوب فإن الإنسان ينبغي أن يحاول أن يتخلص من المعاصي ولا يحاول اقترافها وتبرئة نفسه منها بحجة أنها وقعت بقضاء اللّٰه وقدره فإن هذه حجة إبليسية ينبغي للمسلم أن يبتعد عنها .

ولأهمية الإيمان بالقضاء والقدر تجد كل كتب الحديث النبوي معقود فيها باب أو فصل خاص بالإيمان بالقضاء والقدر بدءًا بالبخاري ومسلم وغيرهما من المحدثين.

---

(١) « شفاء العليل » لابن القيم (ص٥٨٠) .

وقد عقد الحافظ المنذري في « مختصر صحيح مسلم » بابًا خاصًا بالإيمان بالقدر وساق تحت هذا الباب ثمانية عشر حديثًا بأسانيدها في إثبات القدر[1] .

وعقد ابن الأثير أيضًا كتابًا خاصًا بالقدر وقد ساق تحت هذا الباب سبعة وثلاثين حديثًا[2] .

وانظر كذلك « جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد »[3] .

وكذلك كتاب « الجامع للأصول في أحاديث الرسول » لمنصور على ناصف[4] .

وكذلك « شرح السنة » للبغوي[5] .

المطلب الثاني

انحرافهم في عقيدة القضاء والقدر

لقد بينا في المطلب الأول من هذا المبحث معنى القضاء والقدر وبينا أهمية الإيمان بهما والرضا بالقضاء وبينا أيضًا أنه لا يجوز الاحتجاج بالقدر في اقتراف المعاصي بحجة التنصل من المسئولية[6] وفي هذا المطلب نريد

---

(١) انظر « مختصر صحيح مسلم » للحافظ المنذري (٢/ ٢٤٦) وكذلك « الفتح الرباني » (١/ ١٢١ ـ ١٤١) .

(٢) انظر « جامع الأصول في أحاديث الرسول » لابن الأثير (١٠/ ٥١١) .

(٣) (٢/ ٣٢٨) .

(٤) (١/ ٣٦) .

(٥) « شرح السنة » للبغوي (١/ ١٥٠) .

(٦) انظر (ص٩٠١ ـ ٩١٩) .

أن نبين وجه انحراف المتصوفة تجاه عقيدة القضاء والقدر ونرد عليهم .

والحقيقة لقد وقع المتصوفة في عقيدة القضاء والقدر في انحراف خطير حيث احتج كثير منهم بالقضاء والقدر فجوزوا فعل كل شيء مقدور عليه وعبادة كل شيء وذلك لاعتقادهم بأن كل شيء قدره اللَّه وقضاه فقد أحبه وبنوا على هذه القاعدة بأنه لا يوجد شيء مكروه للَّه في هذا الكون بل الكل محبوب للَّه سبحانه وتعالى مرضي له ولهذا فلا يوجد عند المتصوفة شيء يسمى منكرًا في هذه الحياة لأن كل ما يقع في هذا الكون بقضاء اللَّه وقدره وما دام كذلك فلا يوجد منكر في هذا الكون بل كل شيء يقع في هذا الكون فهو محبوب للَّه مرضي له وقد قال بهذا المعتقد أحد كبار مشائخ المتصوفة وذكره بعض العلماء الذين يهتمون بدراسة الفرق وكشف عوارها وإليك جملة من الأدلة التي تثبت لنا أن المتصوفة بالفعل يعتقدون هذا المعتقد تجاه عقيدة القضاء والقدر .

قال محيي الدين بن عربي الذي يقول عنه الصوفية الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر مقررًا عقيدة الصوفية في القضاء والقدر :

« ثم قال هارون لموسى عليهما السلام : ﴿**إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ فتجعلني سببًا في تفريقهم فإن عبادة العجل فرقت بينهم فكان منهم من عبده اتباعًا للسامري وتقليدًا له ومنهم من توقف عن عبادته حتى يرجع موسى إليهم فيسألونه في ذلك فخشي هارون أن ينسب ذلك الفرقان بينهم إليه فكان موسى أعلم بالأمر من هارون لأنه علم ما عبده أصحاب العجل لعلمه بأن اللَّه قضى ألا يعبد إلا إياه وما حكم اللَّه بشيء إلا وقع فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه فإن

العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء فكان موسى يربي هارون تربية علم وإن كان أصغر منه في السن »[1] .

إذا نظرنا في هذا النص نرى احتجاج ابن عربي بالقضاء في تجويز عبادة العجل وذلك بناءًا على معتقد الصوفية بأن كل ما قضاه اللّٰه وقدره فهو يحبه ولذا لا يجوز إنكاره وهذا المعتقد معتقد باطل جاء به المتصوفة من عند أنفسهم وإلا فليس كل ما قدره اللّٰه وقضاه محبوبًا له بل هناك أشياء قدرها اللّٰه وقضاها وهو يبغضها كالمعاصي وهناك أشياء قدرها اللّٰه وقضاها وهو يحبها كالطاعات وكل أعمال الخير والبر والتقوى .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية موضحًا عقيدة الصوفية في القضاء والقدر :

« قال الحزب الثاني من الصوفية الذي كان هذا المشهد منتهى سلوكهم عرفوا الفرق الطبيعي وهم قد سلكوا على ترك الطبيعي وأنهم يزهدون في حظوظ النفس وأهوائها لا يريدون شيئًا لأنفسهم وعندهم أن من طلب للأكل وللشرب الجنة فإنما طلب هواه وحظه وهذا كله نقص عندهم ينافي حقيقة الفناء في توحيد الربوبية وهو بقاء مع النفس وحظوظها والمقامات كلها عندهم التوكل والمحبة وغير ذلك إنما هي منازل أهل الشرع السائرين إلى عين الحقيقة فإذا شهدوا توحيد الربوبية كان ذلك عندهم عللاً في الحقيقة إما لنقص المعرفة والشهود وإما لأنه ذنب وطلب حظوظها فإنه من شهد أن كل ما في الوجود فالرب يحبه ويرضاه ويريده لا فرق عنده بين شيء وشيء إلا أن من الأمور ما معه حظ لبعض الناس من لذة يصيبها ومنها ما معه ألم

(١) « فصوص الحكم » لابن عربي (ص٢٩١) .

لبعض الناس فمن كان هذا مشهده فإنه قطعًا يرى أن كل من فرق بين شيء وشيء لم يفرق إلا لنقص معرفته وشهوده أن اللَّه رب كل شيء ومريد لكل شيء ومحب على قولهم لكل شيء وأما الفرق يرجع إلى حظه وهواه فيكون طالبًا لحظه ذابًا عن نفسه وهذا علة وعيب عندهم فصار عندهم كل من فرق إما ناقص المعرفة والشهادة وإما ناقص القصد والإرادة وكلاهما علة بخلاف صاحب الفناء مع شهود ربوبيته فإنه يشهد كل ما في الوجود بإرادته ومحبته ورضاه عندهم لا فرق بين شيء وشيء فلا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة كما قاله صاحب « منازل السائرين »[1] .

ومن خلال هذا الكلام الذي أوردناه عن شيخ الإسلام ابن تيمية يتبين لنا أن المتصوفة يعتقدون أن كل ما قدره اللَّه وقضاه من خير أو شر ومن طاعة أو معصية فإن اللَّه يحبه ويرضاه وعلى هذا فليس عند الصوفية شيء يسمى طاعة وشيء يسمى معصية وشيء يسمى خيراً وشيء يسمى شراً وشيء يسمى محبوبًا للَّه مرضيًا عنه وشيء مكروهًا للَّه مبغضًا له بل كل ما يقع في هذا الكون حسب معتقدهم الفاسد هذا فهو محبوب له مرضي عنه وهذا معتقد باطل وخطير في نفس الوقت جاء به المتصوفة من عند أنفسهم لتدمير العقيدة الإسلامية في قلوب الأمة وتحويلها إلى أمة إباحية لا تفرق بين الحلال والحرام ولا بين الطاعة والمعصية ولا بين الحسن والقبيح وهذا المعتقد الفاسد لو طبقته الأمة لكان كفيلاً بتدميرها تمامًا وتحويلها إلى أمة إباحية لا تحرم حرامًا بل يفعل كل فرد فيها ما يقدر على فعله بدون تحفظ وذلك انطلاقًا من المعتقد الفاسد الذي قرره المتصوفة بناءًا على عقيدة القضاء والقدر حيث يعتقدون بأن كل ما يقع في هذا الكون إذا كان يقع بقدر

---

(١) « مجموعة الرسائل الكبرى » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ١٣٣) .

اللَّه وقضائه إذًا فهو محبوب له مرضي له .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مكان آخر موضحًا انحراف المعتقد الصوفي تجاه عقيدة القضاء والقدر :

« وأهل الفناء في توحيد الربوبية قد يظن أحدهم أنه إذا لم يشهد إلا فعل الرب فيه فلا إثم عليه وهم في ذلك بمنزلة من أكل السموم القاتلة وقال أشهد أن اللَّه هو الذي أطعمني فلا يضرني وهذا جهل عظيم فإن الذنوب والسيئات تضر الإنسان أعظم مما يضره السموم وشهوده أن اللَّه فاعل ذلك لا يدفع ضررها ولو كان هذا دافعًا لضررها لكان أنبياء اللَّه وأولياؤه المتقون أقدر على هذا الشهود الذي يدفعون به عن أنفسهم ضرر الذنوب ومن هؤلاء من يظن أن الحق إذا وهبه حالاً يتصرف به وكشفًا لم يحاسبه على تصرفه به . . .
إلى أن قال « ويجوزون قتال الأنبياء وقتلهم كما قال شيخ مشهور منهم كان بالشام لو قتلت سبعين نبيًا ما كنت مخطئًا فإنه ليس في مشهودهم للَّه محبوب مرضي مراد إلا ما يقع فما وقع فاللَّه يحبه ويرضاه وما لم يقع فاللَّه لا يحبه ولا يرضاه ،الواقع هو تبع القدر لمشيئة اللَّه وقدرته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فهم من غلب كانوا معه لأن من غلب كان القدر معه والمقدور عندهم هو محبوب الحق فإذا غلب الكفار كانوا معهم وإذا غلب المسلمون كانوا معهم وإذا كان الرسول منصوراً كانوا معه وإذا غلب أصحابه كانوا مع الكفار الذين غلبوهم وهؤلاء الذين يصلون إلى هذا الحد غالبهم لا يعرف وعيد الآخرة فإن من أقر بوعيد الآخرة وأنه للكفار لم يمكنه أن يكون معاونًا للكفار مواليًا لهم على ما يوجب وعيد الآخرة لكن قد يقولون بسقوطه مطلقًا وقد يقولون بسقوطه عمن شهد توحيد الربوبية وكان في هذه الحقيقة القدرية وهذا يقوله طائفة من شيوخهم كالشيخ المذكور وغيره فلهذا يوجد

هؤلاء الذين يشهدون القدر المحض وليس عندهم غيره إلا ما هو قدر أيضًا من نعيم أهل الطاعة وعقوبة أهل المعصية لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر ولا يجاهدون في سبيل اللَّه ولا يدعون اللَّه بنصر المؤمنين على الكفار بل إذا رأى أحدهم من يدعو قال الفقير والمحق أو العارف ما له ولهذا يفعل اللَّه ما يشاء وينصر من يريد فإن عنده أن الجميع واحد بالنسبة إلى اللَّه وبالنسبة إليه أيضًا فإنه ليس له غرض في نصر إحدى الطائفتين لا من جهة ربه فإنه لا فرق عند اللَّه تعالى بينهما ولا من جهة نفسه فإن حظوظه لا تنقض باستيلاء الكفار بل كثير منهم تكون حظوظه الدنيوية مع استيلاء الكفار والمنافقين والظلمة أعظم وعامة من معهم من الفقراء هم من هذا الضرب فإن لهم حظوظًا ينالونها باستيلائهم لا تحصل لهم باستيلاء المؤمنين، وشياطينهم تحب تلك الحظوظ المذمومة وتغريهم بطلبهم وتخاطبهم الشياطين بأمر ونهي وكشف يظنونه من جهة اللَّه وأن اللَّه هو أمرهم ونهاهم وأنه حصل لهم من المكاشفة ما حصل لأولياء اللَّه المتقين ويكون ذلك كله من الشياطين وهم لا يفرقون بين الأحوال الرحمانية والشيطانية لأن الفرق مبني على شهود الفرق من جهة الرب تعالى وعندهم لا فرق بين الأمور الحادثة كلها من جهة اللَّه تعالى إنما هو مشيئة محضة تناولت الأشياء تناولاً واحدًا فلا يحب شيئًا ولا يبغض شيئًا ولهذا يشترك هؤلاء في جنس السماع الذي يثيره في النفوس من الحب .والوجد والذوق فيثير من قلب كل أحد حبه وهواه وأهواؤهم متفرقة فإنهم لم يجتمعوا على محبة ما يحبه اللَّه ورسوله إذ كان محبوب الحق على أصل قولهم هو ما قدره اللَّه فوقع وإذا اختلفت أهواؤهم في الوجد اختلفت أهواء شياطينهم فقد يقتل بعضهم بعضًا بشياطينه لأنها أقوى من شياطين ذلك»[1] .

---

(١) « مجموعة الرسائل الكبرى » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ١٣٦) .

إذا نظرنا في كلام شيخ الإسلام السابق نرى أنه ذكر فيه عقيدة المتصوفة تجاه القضاء والقدر حيث ذكر أن المتصوفة يعتقدون أن كل ما يقع في هذا الكون فهو مرضي للّٰه محبوب له وأنه ليس عندهم شيء يسمى منكراً بل كل ما وقع فهو معروف عندهم ويعتقدون بأنه لا يوجد شيء مبغوض للّٰه في هذا الكون بل كل ما وقع فاللّٰه يحبه وانطلاقًا من قاعدتهم أو عقيدتهم الفاسدة هذه فإنهم لا يرون جهاد الكفار والمنافقين بل هم يقفون دائمًا مع من انتصر من باب الخضوع للأمر الواقع وعدم جواز مقاومته لأنهم يعتقدون بأن كل ما وقع في هذا الكون مرضي للّٰه محبوب له لأنه واقع بقضاء اللّٰه وقدره واللّٰه سبحانه وتعالى لا يقضي ولا يقدر إلا ما يحبه سبحانه وتعالى وهو معتقد فاسد وباطل.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مكان آخر وهو يتحدث عن انحراف المتصوفة في عقيدة القضاء والقدر بعد أن ذكر أقسام الناس بالنسبة للقدر،

قال: وقسم ثان يشهدون ربوبية الحق وافتقارهم إليه ويستعينون بها على أهوائهم وأذواقهم غير ناظرين إلى حقيقة أمره ونهيه ورضاه وغضبه ومحبته وهذا حال كثير من المتفقرة والمتصوفة ولهذا كثيراً ما يعملون على الأحوال التي يتصرفون بها في الوجود لا يقصدون ما يرضي الرب ويحبه وكثيراً ما يغلطون فيظنون أن معصيته هي مرضاته فيعودون إلى تعطيل الأمر والنهي ويسمون هذا حقيقة ويظنون أن هذه الحقيقة »[١] .

وهنا في هذا الكلام قد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الصوفية لا يفرقون بين معصية اللّٰه وطاعته لأنهم يرون أو يعتقدون أن كل ما وقع فهو

---

(١) « التحفة العراقية في الأعمال القلبية » لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٨٤).

مرضي للَّه محبوب له فليس هناك شيء يسمى معصية لأن الكل مرضي للَّه سبحانه .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مكان آخر وهو يتحدث عن الانحرافات التي وقع فيها المتصوفة تجاه عقيدة القضاء والقدر :

« وكثير من المشائخ المعظمين يسترسل أحدهم مع القدر غير محقق لما أمر به ونهى عنه ويجعل ذلك من باب التفويض والتوكل ويجري مع الحقيقة القدرية ويحسب أن قول القائل ينبغي للعبد أن يكون مع اللَّه كالميت بين يدي الغاسل يتضمن ترك العمل بالأمر والنهي حتى يترك ما أمر به ويفعل ما نهي عنه وحتى يضعف عنده النور والفرقان الذي يفرق به بين ما أمر اللَّه به وأحبه وأرضاه وبين ما نهى عنه وأبغضه وسخطه فيسوي بين ما فرق اللَّه بينه . . حتى يفضي الأمر بغلاتهم إلى عدم التمييز بين الأمر بالمأمور النبوي الإلهي الفرقاني الشرعي الذي دل عليه الكتاب والسنة وبين ما يكون في الوجود من الأحوال التي تجري على أيدي الكفار والفجار فيشهدون وجه الجمع من جهة الجمع بقضاء اللَّه وقدره وربوبيته وإرادته العامة وأنه داخل في ملكه ولايشهدون وجه الفرق الذي فرق اللَّه به بين أوليائه وأعدائه والأبرار والفجار والمؤمنين والكافرين وأهل الطاعة الذين أطاعوا أمره الديني وأهل المعصية الذين عصوا هذا الأمر ويستشهدون في ذلك بكلمات مجملة نقلت عن بعض الأشياخ أو ببعض غلطات بعضهم وهذا أصل عظيم من أعظم ما يجب الاعتناء به على أهل طريق اللَّه السالكين سبيل إرادة الدين يريدون وجهه فإنه قد دخل بسبب إهمال ذلك على طوائف فيهم من الكفر والفسوق والعصيان ما لا يعلمه إلا اللَّه حتى يصيروا معاونين على البغي والعدوان للمسلطين في الأرض من أهل الظلم والعلو الذين يتوجهون بقلوبهم في

معاونة من يهوونه من أهل العلو في الأرض الفساد ظانين أنهم إذا كانت أحوال أثروا بها في ذلك من أولياء اللَّه فإن القلوب لها من التأثير أعظم مما للأبدان لكن إن كانت صالحة كان تأثيرها صالحًا وإن كانت فاسدة كان تأثيرها فاسدًا فالأحوال يكون تأثيرها محبوبًا للَّه تارة ومكروهًا أخرى»[1] .

وقال عبد الكريم الخطيب مؤكدًا أن الصوفية يحتجون بالقدر ولا يفرقون بين ما يحبه اللَّه ويبغضه بل يعتقدون أن كل ما قدره ووقع فقد رضيه وأحبه.

قال : ولبعض الصوفية فلسفة مريضة تذهب بهم هذا المذهب الأعوج الأهوج الذي يقود إلى الضلال والهلاك أنهم ينسبون إلى القدر كل شيء من طاعات وسخافات معًا إن كل ما يفعلونه جميل حسن لأنهم حسب تصورهم المحموم المخبول لا يعلمون شيئًا وإنما ينفذون إرادة اللَّه ومشيئته فكل أعمالهم طاعات وكل سخافاتهم قربات»[2] .

والخلاصة أن انحراف الصوفية في عقيدة القضاء والقدر يتلخص فيما يلي :

أولاً : المتصوفة يعتقدون أن كل ما يقع في هذا الكون يكون بإرادة اللَّـه ومشيئته وما دام الأمر كذلك فكل ما يقع في هذا الكون فهو مرضي للَّه سبحانه وتعالى ومحبوب عنده بمعنى أنه لا يوجد في هذا الكون كله مما يقع فيه محبوبًا للَّه ومبغوضًا عنده بل الكل واقع بقدره ولذا فهو محبوب عنده سواءً كان هذا الواقع طاعة أو معصية وسواءً كان خيرًا أو شرًا وسواءً انتصر الكفار على المسلمين أو انتصر المسلمون على الكفار الكل سواءً لأنه واقع

---

(١) « التحفة العراقية في الأعمال القلبية » لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٧٩) .

(٢) « القضاء والقدر » لعبد الكريم الخطيب (ص٢٣٣) .

بقضاء اللَّه وقدره ولذا فالصوفية يقبلون كل شيء يقع في هذا الكون بكل رضا وحب ولا يقفون ضده لأنه لا يوجد عندهم شيئًا يسمى منكرًا ولذا فهم لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر ولا يجاهدون في سبيل اللَّه لأن الجهاد في سبيل اللَّه في معتقدهم هو مقاومة لقضاء اللَّه وقدره حيث إن استيلاء الكفار على بلاد المسلمين إنما هو واقع بقضاء اللَّه وقدره وكل ما قدره اللَّه وقضاه فهو يحبه هذا هو المعتقد الصوفي تجاه عقيدة القضاء والقدر.

المطلب الثالث

بيان بطلان المعتقد الصوفي تجاه عقيدة القضاء والقدر

لقد بينا في المطلب السابق وجه انحراف المتصوفة في عقيدة القضاء والقدر(1) وهنا في هذا المطلب نريد أن نبين بطلان هذا المعتقد ومخالفته لما جاء في الكتاب والسنة وما فهمه علماء الأمة الإسلامية عن عقيدة القضاء والقدر.

والحقيقة عقيدة القضاء والقدر قد انحرف فيها فرق عديدة من الفرق المبتدعة التي أعرضت عن كتاب اللَّه وسنة رسوله محمد ﷺ وحكمت عقلها في النصوص الشرعية أو أعرضت عن النصوص الشرعية وأصبحت تشرع بعقولها ما تريد .

فمن الفرق التي انحرفت عن المعتقد الصحيح تجاه عقيدة القضاء والقدر المعتزلة حيث يعتقدون بأن أفعال العباد ليست مخلوقة للَّه بل العبد

---

(1) انظر (ص٩٢١ ـ ٩٣٠) .

هو بنفسه خالق فعله وبهذا وقعوا في القول بخالقين في هذا الكون حيث أثبتوا للعبد أنه يخلق أفعال نفسه .

وقابلهم المرجئة فادعوا بأن العبد ليس له اختيار ولا إرادة بل هو مسلوب الإرادة والاختيار وأنه ما هو إلا كالريشة المعلقة في مهب الرياح تحركها كيف شاءت فجردوا العبد عن المسئولية نهائيًا.

ولحق بهذين الفرقتين في الوقوع في الانحراف في عقيدة القضاء والقدر الصوفية فقالوا : إن كل ما قدره اللَّه وقضاه ووقع في هذا الكون فهو محبوب للَّه مرضي له وليس هناك أمرًا محبوبًا ومبغوضًا للَّه سبحانه وتعالى.

هذه هي أهم الفرق التي وقعت في الانحراف في باب القضاء والقدر والذي يهمنا من هذه الفرق هنا في هذا البحث هي الصوفية فقط .

فنقول للصوفية إن قولكم بأن كل ما قدره اللَّه وقضاه ووقع فهو محبوب للَّه تعالى مرضي له هذا معتقد باطل مخالف لما جاء في الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة حيث إن من المعلوم ضرورة في العقيدة الإسلامية هو الاعتقاد بأن اللَّه سبحانه وتعالى قدر كل ما يقع في هذا الكون وسجله في اللوح المحفوظ ثم يظهر لنا في هذا الكون شيئًا فشيئًا وفق إرادته ومشيئته وقدره الذي قدره في الأزل وأن اللَّه سبحانه وتعالى يحب بعض ما قدره كالطاعات وجميع أعمال البر ويكره البعض الآخر رغم تقديره لها كالمعاصي والمفاسد بجميع أنواعها رغم أنه قدرها سبحانه في الأزل .

يقول الإمام ابن القيم :

« الحكم والقضاء نوعان ديني وكوني فالديني يجب الرضا به وهو من

لوازم الإسلام والكوني منه ما يجب الرضا به كالنعم التي يجب شكرها ومن تمام شكرها الرضا بها ومنه ما لا يجوز الرضا به كالمعايب والذنوب التي يسخطها اللَّه وإن كانت بقضائه وقدره . . . وقد أخبر سبحانه بأنه لا يرضى المعاصي والفساد بكل أنواعها وإن قدرها في الأزل فقال سبحانه : ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾[1] فهذا قول واقع بمشيئته وتقديره وقد أخبر سبحانه أنه لا يرضاه.

وكذلك قوله سبحانه : ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[2] فهو سبحانه لا يحبه كونًا ولا دينًا وإن وقع بتقديره كما لا يحب إبليس وجنوده وفرعون وحزبه وهو ربهم وخالقهم وقد أخبر سبحانه أنه يمقت أفعالاً كثيرة ويكرهها ويبغضها ويسخطها فقال تعالى : ﴿وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[5] .

وقال تعالى : ﴿وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾[6] .

ومحال حمل هذه الكراهة على غير الكراهة الدينية الأمرية لأنه أمرهم

---

(١) النساء : (١٠٨) .

(٢) البقرة : (٢٠٥) .

(٣) النساء : (٢٢) .

(٤) محمد : (٢٨) .

(٥) الصف : (٣) .

(٦) التوبة : (٤٦) .

بالجهاد وقال تعالى : ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾[1] .

فأخبر أنه يكره ويبغض ويمقت ويسخط ويعادي ويذم ويلعن ومحال أنه سبحانه يحب ذلك ويرضى به وهو سبحانه يكرهه ويتقدس عن محبة ذلك وعن الرضا به بل لا يليق ذلك بعبده فإنه نقص وعيب في المخلوق أن يحب الفساد والشر والظلم والبغي والكفر ويرضاه فكيف يجوز نسبة ذلك إلى اللَّه تعالى وهذا الأصل من أعظم ما غلط فيه كثير من مثبتي القدر »[2] .

وقال الإمام ابن القيم في أقسام القضاء والحكم والإرادة إلى كوني متعلق بخلقه وإلى ديني متعلق بأمره :

« هذا الباب متصل بالباب الذي قبله وكل منهما يقرر لصاحبه فما كان من كوني فهو متعلق بربوبيته وخلقه وما كان من الدين فهو متعلق بالاهيته وشرعه وهو كما أخبر عن نفسه سبحانه له الخلق والأمر فالخلق قضاؤه وقدره فعله والأمر شرعه ودينه فهو الذي خلق وشرع وأمر وأحكامه جارية على خلقه قدراً وشرعًا ولا خروج لأحد عن حكمه الكوني القدري.

وأما حكمه الديني الشرعي فيعصيه الفجار والفساق والأمران غير متلازمين فقد يقضي ويقدر ما لا يأمر به ولا شرعه وقد يشرع ويأمر بما لا يقضيه ولا يقدره ويجتمع الأمران فيما وقع من طاعات عباده وإيمانًا وينتفي الأمران عما لم يقع من المعاصي والفسق والكفر.

وينفرد القضاء الديني والحكم الشرعي فيما أمر به وشرعه ولم يفعله المأمور وينفرد الحكم الكوني فيما وقع من المعاصي .

---

(١) الإسراء : (٣٨) .

(٢) « شفاء العليل » لابن القيم (ص٥٨٠) .

إذا عرف هذا فالقضاء في كتاب اللَّه نوعان كوني قدري كقوله : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ ﴾[2] .

وشرعي ديني كقوله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾[3] .

أي أمر وشرع ولو كان قضاءًا كونيًا لما عبد غير اللَّه» .

ثم قال ابن القيم :

« والإرادة أيضًا نوعان فالكونية كقوله تعالى : ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[4] .

وقوله : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾[5] .

والدينية كقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[6] .

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾[7] .

فلو كانت هذه الإرادة كونية لما حصل العسر لأحد منا ولو وقعت التوبة من جميع المكلفين وبهذا التفصيل يزول الاشتباه في مسألة الأمر والإرادة هل هما متلازمان أم لا » .

---

(١) سبأ : (١٤) .

(٢) الزمر : (٧٥).

(٣) الإسراء : (٢٣).

(٤) البروج : (١٦) .

(٥) الإسراء : (١٦) .

(٦) البقرة : (١٨٥) .

(٧) النساء : (٢٧) .

ثم قال ابن القيم:

« والصواب أن الأمر يستلزم الإرادة الدينية ولا يستلزم الإرادة الكونية فإنه لا يأمر إلا بما يريد شرعًا ودينًا وقد يأمر بما لا يريد كونًا وقدرًا كإيمان من أمره ولم يوفقه للإيمان مراد له دينًا لا كونًا وكذلك أمر خليله بذبح ابنه ولم يرده كونًا وقدرًا وبين هذين الأمرين وأمر من لم يؤمن بالإيمان فرق فإنه سبحانه لم يحب من إبراهيم ذبح ولده وإنما أحب منه عزمه على الامتثال وأما أمر من علم أنه لا يؤمن بالإيمان فإنه سبحانه يحب من عباده أن يؤمنوا به وبرسله »[1] .

وقال الإمام ابن القيم وهو يرد على الذين يعتقدون أن كل ما قدره اللّه وأراده فقد أحبه :

« وهنا أمر يجب التنبيه عليه والتنبيه له وبمعرفته تزول إشكالات كثيرة تعرض لمن لم يحط به علمًا وهو أن اللّه سبحانه وتعالى له الخلق والأمر وأمره سبحانه نوعان . أمر كوني قدري ، وأمر ديني شرعي :

فمشيئته سبحانه متعلقة بخلقه وأمره الكوني وكذلك تتعلق بما يحب وبما يكره كله داخل تحت مشيئته كما خلق إبليس وهو يبغضه وخلق الشياطين والكفار والأعيان والأفعال المسخوطة له وهو يبغضها فمشيئته سبحانه شاملة لذلك كله وأما محبته ورضاه فمتعلقة بأمره الديني وشرعه الذي شرعه على ألسنة رسله فما وجد منه تعلقت به المحبة والمشيئة جميعًا فهو محبوب للرب واقع بمشيئته كطاعات الملائكة والأنبياء والمؤمنين وما لم يوجد منه تعلقت به محبته وأمره الديني ولم تتعلق به مشيئته ولم تتعلق به

(١) « شفاء العليل » لابن القيم (ص٥٨٥ ـ ٥٨٦) .

محبته ولا رضاه ولا أمره الديني وما لم يوجد منها لم تتعلق به مشيئته ولا محبته فلفظ المشيئة كوني ولفظ المحبة شرعي ديني ولفظ الإرادة ينقسم إلى إرادة كونية فتكون هي المشيئة وإرادة دينية فتكون هي المحبة »[1] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يرد على المتصوفة الذين لا يفرقون بين الحق والباطل والمؤمن والكافر والصالح والفاجر وأن الكل عندهم سواء لأن الكل ينفذ ما قضاه اللَّه وقدره وكل ما قضاه اللَّه وقدره فهو محبوب عند اللَّه في المعتقد الصوفي المنحرف .

قال رحمه اللَّه : « وأما الذين يشهدون الحقيقة الكونية وتوحيد الربوبية الشامل للخليقة ويقرون العباد كلهم تحت القدر ويسلك هذه الحقيقة فلا يفرق بين المؤمنين المتقين الذين أطاعوا أمر اللَّه الذي بعث به رسله وبين من عصى اللَّه ورسوله من الكفار والفجار فهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى لكن من الناس من جعلوا الفرق في بعض الأمور دون البعض بحيث يفرق بين المؤمن والكافر ولا يفرق بين البر والفاجر أو يفرق بين بعض الأبرار وبين بعض الفجار ولا يفرق بين آخرين اتباعًا لظنه فيكون ناقص الإيمان بحسب ما سوى بين الأبرار والفجار ويكون معه من الإيمان بدين اللَّه تعالى الفارق بحسب ما فرق بين أوليائه وأعدائه ومن أقر بالأمر والنهي الدينيين دون القضاء والقدر وكان من القدرية كالمعتزلة وغيرهم الذين هم مجوس هذه الأمة فهؤلاء يشبهون المجوس وأولئك يشبهون المشركين الذين هم شر من المجوس ومن أقر بهما وجعل الرب متناقضًا فهو من أتباع إبليس الذي أعرض على الرب سبحانه وخاصمه كما نقل ذلك عنه »[1] .

---

(١) « شفاء العليل » لابن القيم (ص١٠٥) .

(٢) « مجموعة الرسائل الكبرى » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٨/١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية راداً على المتصوفة الذين يؤمنون بالقضاء والقدر ويبطلون الأمر والنهي ويقولون إن كل ما وقع في هذا الكون فهو محبوب للَّه لأنه وقع بقضاء اللَّه وقدره .

قال : « ومن أقر بالقضاء والقدر دون الأمر والنهي الشرعيين فهو أكفر من اليهود والنصارى فإن أولئك يقرون بالملائكة والرسل الذين جاءوا بالأمر والنهي الشرعيين لكن آمنوا ببعض وكفروا ببعض كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا** ﴾»[١] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يرسم طريق الخلاص من هذا المعتقد المنحرف الذي وقع فيه المتصوفة :

قال : « فإنما يخلص من هذا كله ـ أي الانحرافات التي وقع فيها المتصوفة في باب القضاء والقدر ـ من أثبت للَّه محبة لبعض الأمور وبغضًا لبعضها ورضًا لبعضها وسخطًا لبعضها كما أخبرت به الرسل ونطقت به الكتب وهذا هو الذي يشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه ويعلم أن التوحيد الذي بعث به الرسل أن يعبد اللَّه وحده لا شريك له فيعبد اللَّه دون ما سواه وعبادته تجمع كمال محبته وكمال الذل له كما قال تعالى : ﴿ **وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ** ﴾[٢] .

فينيب قلبه إلى اللَّه ويسلم له ويتبع ملة إبراهيم حنيفًا : ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ**

---

(١) النساء : (١٥٠ ـ ١٥١) والموضوع « مجموع الرسائل » (ص٨١١) .

(٢) الزمر : (٥٤) .

دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾[1] .

وعلم أن ما أمر اللَّه به ورسوله فإن اللَّه يحبه ويرضاه وما نهى عنه فإنه يبغضه وينهى عنه ويمقت عليه ويسخط على فاعله فصار يشهد الفرق من جهة اللَّه تعالى ويعلم أن اللَّه تعالى يحب أن يعبد وحده لا شريك له ويبغض من يجعل له أندادًا يحبونهم كحب اللَّه وإن كانوا مقرين بتوحيد الربوبية كمشركي العرب وغيرهم وأن هؤلاء القدرية الجبرية أهل الفناء في توحيد الربوبية حقيقة قولهم من جنس قول المشركين الذين قالوا : ﴿**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾**[2] .

فإن هؤلاء المشركين لما أنكروا ما بعثت به الرسل من الأمر والنهي وأنكروا التوحيد الذي هو عبادة اللَّه وحده لا شريك له وهم يقرون بتوحيد الربوبية وأن اللَّه خالق كل شيء ما بقي عندهم من فرق من جهة اللَّه تعالى بين مأمور ومحظور فقالوا : ﴿**لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ**﴾ .

وهذا حق فإن اللَّه لو شاء أن لا يكون هذا لم يكن لكن أي فائدة لهم في هذا غايته أن هذا الشرك والتحريم بقدر ولا يلزم إذا كان مقدوراً أن يكون محبوبًا مرضيًا للَّه ولا علم عندهم بأن اللَّه أمر به ولا أحبه ولا رضيه بل ليسوا في ذلك إلا على ظن وخرص فإن احتجوا بالقدر فالقدر عام لا يختص

---

(١) النساء : (١٢٥) .

(٢) الأنعام : (١٤٨ ـ ١٤٩) .

بحالهم وإن قالوا نحب هذا ونسخط هذا فنحن نفرق الفرق الطبيعي لانتفاء الفرق من جهة الحق تعالى ولا علم لهم بانتفاء الفرق من جهة اللّٰه تعالى»[1].

وقال الشيخ عبد العزيز المحمد السلمان في حكم من يحتج بالقدر على ترك أمر أو فعل نهي :

« لا يجوز لنا أن نجعل قضاء اللّٰه وقدره حجة لنا في ترك أمر أو فعل نهي بل يجب علينا أن نؤمن ونعلم أن للّٰه الحجة علينا بإنزال الكتب وبعثة الرسل قال اللّٰه تعالى : ﴿ **رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ** ﴾»[2] .

وقال أيضًا في حكم الرضا بالقضاء وحكم الرضا به :

« الرضا هو التسليم وسكون القلب وطمأنينته والقضاء الذي هو وصفه سبحانه وفعله القائم بذاته كله خير وعدل وحكمةُ يجب الرضا به كله وأما القضاء الذي هو المقضي فنوعان ديني وشرعي يجب الرضا به كقوله تعالى: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا** ﴾[3] .

وكقوله : ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ** ﴾ الآية[4].

والنوع الثاني : الكوني القدري منه ما يجب الرضا به كالنعم التي يجب شكرها ومن تمام شكرها الرضا بها ومنه ما لا يجوز الرضا به

---

(١) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (٨/ ٣٥٢) .

(٢) النساء : (١٦٥) .

(٣) الإسراء : (٢٣) .

(٤) النساء : (٦٥) .

كالمعايب والذنوب التي يسخطها اللّٰه تعالى وإن كانت بقضائه وقدره ومنه ما يستحب الرضا به كالمصائب »[1] .

والخلاصة أن الصوفية بالفعل وقعوا في انحراف عقدي خطير في باب القضاء والقدر فمنهم من احتج بالقضاء والقدر وصرح بأن كل ما يقع في هذا الكون محبوب للّٰه مرضي له وذلك انطلاقًا من معتقدهم الباطل بأن كل ما قدره اللّٰه وقضاه فوقع فهو يحبه وبناءا على هذا المعتقد الباطل فليس عندهم منكرًا ولا معروفًا.

ومنهم من احتج بالقضاء والقدر في اقترافه المعاصي والمعايب وألقى المسئولية عن نفسه بحجة أن هذا مقدور عليه ولذا فلا يعاقب عليه لأنه شيء خارج عن مقدوره فوافقوا في هذا الجبرية الذين يقولون : إن الإنسان مجبر في أفعاله التي يفعلها ولذا فهو ليس بمسئول عن ما يصدر منه .

وأن هذا المعتقد الفاسد أوقع المتصوفة في الاستهانة بالأوامر والنواهي الشرعية حيث ضربوا بها عرض الحائط .

وقد بينا بطلان هذا المعتقد وذلك بنقل أقوال عدد من العلماء وأكدنا بأنه ليس كل ما قدره اللّٰه وقضاه يحبه بل اللّٰه سبحانه وتعالى قد قدر جميع الأشياء التي تكون في هذا الكون ولا يلزم من ذلك أن يحب كل ما يقع في هذا الكون .

بل اللّٰه سبحانه وتعالى قدر الطاعات والإيمان وكل أعمال البر والخير ورضيها وأحبها كونًا وشرعًا.

وقدر المعاصي والمفاسد التي تقع في هذا الكون وكرهها وأبغضها ولم

(١) « مختصر الأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية » (ص١٢٤) .

يحبها بل يبغضها ويكرهها ويبغض من يتلبس بها وقد بينا ذلك بما فيه الكفاية.

فانظره فإن موضوع القضاء والقدر أمر دقيق جداً وقد نقلنا من أقوال العلماء الذين ردوا على المتصوفة ما يكفي ويشفي قلب كل من يريد الهداية إلى الصواب في هذا الباب الذي انزلقت فيه أقدام كثير من الفرق المبتدعة.

* * *

المبحث الثاني

انحرافهم في مفهوم التوكل ومكانته العظيمة في الإسلام

تمهيد :

لقد بينا في المبحث السابق المعتقد الذي يجب أن يعتقده المسلم تجاه عقيدة القضاء والقدر وبينا أيضًا انحراف المتصوفة في عقيدة القضاء والقدر ورددنا عليهم ردًا مقنعًا بينا من خلاله انحراف معتقدهم ومخالفته لما جاء في الكتاب والسنة وأقوال علماء أهل السنة تجاه عقيدة القضاء والقدر[1] .

ونريد أن نبين في هذا المبحث انحراف المتصوفة في مفهوم التوكل حيث فهم المتصوفة بأن التوكل هو الإعراض بالكلية عن القيام بأي سبب يحصل الإنسان عن طريقه على الرزق الذي كتبه اللّٰه له أو تناول أي دواء يتداوى به الإنسان وذلك لأن من شرط التوكل عند المتصوفة هو التخلي عن أي سبب نهائيًا وإن من قام بأي سبب فلا يسمى عندهم متوكلاً على اللّٰه وسيتبين لنا هذا إن شاء اللّٰه حينما نذكر عبارات المتصوفة التي تدل دلالة صريحة على أنهم يعتقدون هذا المعتقد وقبل أن أدخل في بيان انحرافات المتصوفة في مفهوم التوكل سأعرف التوكل وأذكر فضله ومكانته في الإسلام وذلك حتى أوضح بأن التوكل على اللّٰه من الأمور الدالة على قوة إيمان المسلم باللّٰه وثقته به وأن عدم التوكل على اللّٰه يدل على ضعف إيمان المرء ثم بعد ذلك سأذكر في المطلب الثاني انحراف المتصوفة في مفهوم التوكل مع بيان بطلانه .

---

(١) انظر (ص ٩٠٠ ـ ٩٤١) .

المطلب الأول

تعريف التوكل وفضله ومكانته العظيمة في الإسلام وأنواعه

أولاً : تعريف التوكل لغة واصطلاحًا :

أ ـ التوكل لغة :

قال ابن منظور في « لسان العرب » :

« المتوكل على اللَّه الذي يعلم أن اللَّه كافل رزقه وأمره فيركن إليه وحده ولا يتوكل على غيره »[1] .

وقال ابن الأثير :

« يقال توكل بالأمر إذا ضمن القيام به وكلت أمري إلى فلان أي ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه ووكل فلان فلانًا إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجزًا عن القيام بأمر نفسه ».

وقال أيضًا : « (وكل) في أسماء اللَّه تعالى (الوكيل) هو القيم الكفيل بأرزاق العباد وحقيقة أنه يستقل بأمر الموكول إليه ».

ثم قال ابن الأثير :

« وقد تكرر ذكر التوكل في الحديث ومنه حديث الدعاء : « **لا تكلني إلى نفسي طرفة عين فأهلك** » .

ومنه الحديث : « **ووكلها إلى اللَّه أي صرف أمرها إليه** » .

---

(١) « لسان العرب » (١١/ ٧٣٤) .

والحديث الآخر : « **من أوكل بما بين لحييه ورجليه توكلت له بالجنة** » وقيل هو بمعنى تكفل»[1] .

إذا نظرنا في التعريفات السابقة للتوكل نرى أن معنى التوكل هو اللجوء إلى اللَّه وتفويض الأمر إليه وحده سبحانه دون سواه وليس من معنى التوكل ترك الأسباب والإعراض عنها بالكلية كما يدعيه المتصوفة لأنه لو كان من معاني التوكل التي يدل عليها هذا المفهوم لذكره أهل اللغة ولم يعرضوا عنه صفحًا وهذا سيتبين لنا في التعريفات الاصطلاحية التي عرفه بها علماء الأمة الإسلامية الراسخين في العلم الذين نهلوا علمهم من المنهلين الصافيين كتاب اللَّه وسنة رسوله محمد ﷺ .

ب ـ تعريف التوكل في الاصطلاح :

لقد عرف العلماء التوكل في الاصطلاح بعدة تعريفات وهذه التعريفات وإن اختلفت في الألفاظ إلا أنها تتفق كلها في المضمون وإليك نماذج منها :

فقد قال الحافظ ابن حجر في تعريف التوكل :

« والمراد بالتوكل اعتقاد ما دلت عليه هذه الآية : ﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** ﴾[2] .

وليس المراد به ترك التكسب والاعتماد على ما يأتي من المخلوقين لأن ذلك قد يجر إلى ضد ما يراه التوكل »[3] .

---

(١) « النهاية » لابن الأثير (٥/ ٢٢١) .

(٢) هود : (٦) .

(٣) « فتح الباري » (١١/ ٣٠٥) .

وقال الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم » في تعريف التوكل :

« اختلفت عبارات العلماء من السلف والخلف في حقيقة التوكل فحكى أبو جعفر الطبري وغيره عن طائفة من السلف أنهم قالوا : لا يستحق اسم التوكل إلا من لم يخالط قلبه خوف غير اللَّه تعالى من سبع أو عدو وحتى يترك السعي في طلب الرزق ثقة بضمان اللَّه تعالى له برزقه واحتجوا بما جاء في ذلك من الآثار .

وقالت طائفة : حده الثقة باللَّه تعالى والإيمان بأن قضاءه نافذ واتباع سنة نبيه ﷺ في السعي فيما لابد منه من المطعم والمشرب والتحرز من العدو كما فعله الأنبياء صلوات اللَّه تعالى عليهم أجمعين .

قال القاضي عياض : وهذا المذهب هو اختيار الطبري وعامة الفقهاء والأول مذهب المتصوفة وأصحاب علم القلوب والإشارات »[1] .

وقال ابن رجب الحنبلي في « جامع العلوم والحكم » في تعريف التوكل :

« وحقيقة التوكل هو صدق اعتماد القلب على اللَّه عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها وكلة الأمور كلها إليه وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه»[2] .

إذا نظرنا في التعريفات الاصطلاحية للتوكل نرى أن تعريف ابن حجر رحمه اللَّه للتوكل تعريفًا صحيحًا موافقًا لما جاء في الكتاب والسنة في المقصود بالتوكل على اللَّه حيث أكد أن المقصود بالتوكل على اللَّه هو

---

(١) « شرح النووي على صحيح مسلم » (٣/ ٩١) .

(٢) « جامع العلوم والحكم » لابن رجب الحنبلي (ص٤٠٩) .

اعتقاد الإنسان أن رزق كل ما يدب على وجه هذه الأرض على اللَّه سبحانه وتعالى ونفي أن يكون المراد بالتوكل ترك الأسباب عكس ما يقوله المتصوفة حيث يعتقدون أن التوكل الحقيقي هو ترك القيام بأي سبب يحصل الإنسان من ورائه على رزقه .

وهذا المعنى للتوكل في المفهوم الصوفي يتضح لنا إذا نظرنا في التعريف الأول الذي أورده النووي للتوكل ونسبه إلى المتصوفة حيث ذكر أن من شرط التوكل على اللَّه هو ترك السعي في طلب الرزق وهذا مفهوم خاطئ للتوكل فإن معنى التوكل هو تفويض الأمور كلها إلى اللَّه سبحانه والتوكل عليه في كل الشئون مع القيام بالأسباب المقدور عليها كما سنوضحه قريبًا حينما نرد على المتصوفة .

وأما التعريف الثاني الذي أورده النووي للتوكل فهو تعريف صحيح موافق لما جاء في الكتاب والسنة عن معنى التوكل وهو الذي صار عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضوان اللَّه عليهم أجمعين فإنهم يعتبرون أعظم وأكثر توكلاً على اللَّه سبحانه ومع ذلك لم يعرضوا عن القيام بالأسباب بل كانوا فرسانًا بالنهار رهبانًا بالليل يكدون ويكدحون في سبيل الحصول على الرزق الحلال بعرق جبينهم ولو كان السعي في الرزق منافيًا للتوكل لما فعله الصحابة رضوان اللَّه عليهم أجمعين فتبين بهذا بطلان المعتقد الصوفي والذي هو (إن من شرط التوكل على اللَّه هو الإعراض عن الأسباب بالكلية) كما هو واضح في التعريف الأول الذي أورده النووي رحمه اللَّه ونسبه إليهم .

وكذلك تعريف ابن رجب الحنبلي تعريف جيد وصحيح موافق لما جاء في الكتاب والسنة عن معنى التوكل .

والخلاصة التي نخلص بها من هذه التعريفات اللغوية والاصطلاحية للتوكل هي أن معنى التوكل الصحيح هو اعتماد القلب على اللّه وتفويض الأمور إليه كلها والاعتقاد الجازم بأنه لا يملك أحد دفع المضار ولا جلب المصالح غيره سبحانه وتعالى مع القيام بالأسباب المقدور عليها من السعي في كسب الرزق الحلال واستعمال الأدوية التي جعلها اللّه سببًا للبرء .

وكما نرى في التعريفات السابقة للتوكل لم يذكر علماء اللغة ولا علماء الفقه والحديث أن من شرط التوكل الإعراض عن الأسباب بل نفوا أن يكون من معنى التوكل الإعراض عن السعي في طلب الرزق الحلال.

ولم يقل أن من شرط التوكل الإعراض عن الأسباب بالكلية من سعي في طلب الرزق ومن التداوي إلا المتصوفة كما ذكر عنهم النووي في التعريف السابق وهو مفهوم خاطئ وباطل ليس له أصل لا في الكتاب ولا في السنة وسنبين بطلانه قريبًا .

ثانيًا : فضل التوكل على اللّه ومكانته العظيمة في الإسلام :

إن التوكل على اللّه مقام جليل القدر عظيم الأثر أمر اللّه عباده به وحثهم عليه في مواضع كثيرة من كتابه الكريم فقال سبحانه : ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾[1] .

وقال : ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا** ﴾[2] .

---

(١) إبراهيم : (١١) .

(٢) الفرقان : (٥٨) .

وقال : ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾[1] .

وقد جعل اللَّه التوكل سببًا لنيل محبته فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[2] .

وجعله أيضًا سبحانه شرطًا للإيمان به فقال سبحانه : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[3] .

فأنعم بمقام يحظى بمحبة الرحمن ويتحقق به كمال الإيمان وقد جعل اللَّه التوكل شعارًا لأهل الإيمان يتميزون به عمن سواهم فقال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[4] .

وضمن اللَّه سبحانه لمن يتوكل عليه القيام بأمره وكفايته همه فقال سبحانه : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾[5] .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[6] .

أي عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه حكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره .

قال الإمام ابن القيم رحمه اللَّه وهو يتحدث عن مكانة التوكل

---

(١) هود : (١٢٣) .

(٢) آل عمران : (١٥٩) .

(٣) المائدة : (٢٣) .

(٤) الأنفال : (٢) .

(٥) الطلاق : (٣) .

(٦) الأنفال : (٤٩) .

وفضله في الإسلام :

« فالتوكل مركب السائر الذي لا يتأتى له السير إلا به ومتى نزل عنه انقطع لوقته وهو من لوازم الإيمان ومقتضياته قال اللَّه تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1] .

فجعل التوكل شرطًا في الإيمان فدل على انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكل.

وفي الآية الأخرى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾[2] فجعل دليل صحة الإسلام التوكل .

وقال تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[3] .

فذكر اسم الإيمان ههنا دون سائر أسمائهم دليل على استدعاء الإيمان للتوكل وأن قوة التوكل وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفه وكلما قوي إيمان العبد كان توكله أقوى وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل وإذا كان التوكل ضعيفًا فهو دليل على ضعف الإيمان ولابد.

واللَّه تعالى يجمع بين التوكل والعبادة وبين التوكل والإيمان وبين التوكل والإسلام وبين التوكل والتقوى وبين التوكل والهداية .

فأما التوكل والعبادة فقد جمع بينهما في سبعة مواضع من كتابه منها في سورة أم القرآن : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[4] .

---

(١) المائدة : (٢٣) .

(٢) يونس : (٨٤) .

(٣) إبراهيم : (١١) .

(٤) الفاتحة : (٥) .

ومنها قوله حكاية عن أوليائه وعباده المؤمنين أنهم قالوا : ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[1] .

ومنها قوله لنبيه محمد ﷺ : ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ۝٨ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً ﴾[2] .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[3] .

ومنها قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾[4] .

ثم قال ابن القيم بعد أن أورد عدداً من الآيات القرآنية التي تدل على أهمية التوكل ومكانته العظيمة عند اللّه :

« فهذه السبعة المواضع جمعت الأصلين التوكل وهو الوسيلة والإنابة وهي الغاية فإن العبد لابد له من غاية مطلوبة ووسيلة موصلة إلى تلك الغاية فأشرف غاياته التي لا غاية له أجل منها عبادة ربه والإنابة إليه وأعظم وسائله التي لا وسيلة له إلى هذه الغاية إلا بهذه الوسيلة فهذه أشرف الغايات وتلك أشرف الوسائل .

وأما الجمع بين الإيمان والتوكل ففي قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾[5] .

---

(١) الممتحنة : (٤) .

(٢) المزمل : (٨ ـ ٩) .

(٣) هود : (١٢٣) .

(٤) الرعد : (٣٠) .

(٥) الملك : (٢٩) .

وأما الجمع بين التوكل والإسلام ففي قوله تعالى : ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾[1] .

وأما الجمع بين التوكل والتقوى ففي قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[2] .

وقوله : ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[3] .

وأما الجمع بين التوكل والهداية ففي مثل قول الرسل لقومهم : ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[4] .

وقال اللَّه تعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾[5] .

فأمر سبحانه بالتوكل عليه عقب هذا الأمر بما هو موجب للتوكل مصحح له مستدع لثبوته وتحققه وهو قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ فإن كون العبد على الحق يقتضي تحقيق مقام التوكل على اللَّه والاكتفاء به والإيواء إلى ركنه الشديد فإن اللَّه هو الحق وهو ولي الحق وناصره ومؤيده

---

(١) يونس : (٨٤) .

(٢) الأحزاب : (١ ـ ٣) .

(٣) الطلاق : (٢ ـ ٣) .

(٤) إبراهيم : (١٢) .

(٥) النمل : (٧٩) .

وكافي من قام به فما لصاحب الحق أن لا يتوكل عليه وكيف يخاف وهو الحق كما قالت الرسل لقومهم : ﴿وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾.

فعجبوا من تركهم التوكل على اللّه وقد هداهم وأخبروا أن ذلك لا يكون أبدًا وهذا دليل على أن الهداية والتوكل متلازمان فصاحب الحق لعلمه بالحق ولثقته بأن اللّه ولي الحق وناصره مضطرًا إلى توكله على اللّه لا يجد بدًا من توكله فإن التوكل يجمع بين أصلين علم القلب وعمله أما علمه فيقينه بكفاية وكليه وكمال قيامه بما وكله إليه وإن غيره لا يقوم مقامه في ذلك .

وأما عمله فسكونه إلى وكيله وطمأنينته إليه وتفويضه وتسليمه أمره إليه ورضاه بتصرفه له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه فبهذين الأصلين يتحقق التوكل وهما جماعه وإن كان التوكل دخل في عمل القلب من علمه كما قال الإمام أحمد : التوكل عمل القلب ولكن لابد فيه من العلم وهو إما شرط فيه وإما جزء من ماهيته والمقصود أن القلب متى كان على الحق كان أعظم لطمأنينته ووثوقه بأن اللّه وليه وناصره وسكونه إليه فما له ألا يتوكل على ربه وإذا كان على الباطل علمًا وعملاً أو أحدهما لم يكن مطمئنًا واثقًا بربه فإنه لا ضمان له عليه ولا عهد له عنده فإن اللّه لا يتولى الباطل ولا ينصره ولا ينسب إليه بوجه ووعده حق ولقاؤه حق وفعله كله حق ليس في أفعاله شيء باطل بل أفعاله سبحانه بريئة من الباطل كما أن أقواله كذلك فلما كان الباطل لا يتعلق به بل هو مقطوع ألبتة كان صاحبه كذلك ومن لم يكن له تعلق باللّه العظيم وكان منقطعًا عن ربه لم يكن اللّه وليه ولا ناصره ولا وكيله فتدبر هذا السر العظيم في اقتران التوكل والكفاية بالحق والهدى وارتباط أحدهما بالآخر ولو لم يكن في هذه الرسالة إلا هذه الفائدة السرية لكانت حقيقة أن تودع في خزانة القلب لشدة الحاجة إليها واللّه المستعان وعليه التكلان .

فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان ولجميع أعمال الإسلام وأن منزلته منها منزلة الجسد من الرأس فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل واللَّه أعلم »[1] .

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ وهو يتحدث عن مكانة التوكل على اللَّه في الإسلام مبينًا وجه ترجمة الإمام محمد بن عبد الوهاب لباب التوكل بقوله تعالى : ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾[2] :

«أراد المصنف بهذه الترجمة بالآية بيان أن التوكل فريضة يجب إخلاصه للَّه تعالى فإن تقديم المعمول يفيد الحصر أي وعلى اللَّه فتوكلوا لا على غيره فهو من أجمع أنواع العبادة وأعظمها لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة فإنه إذا اعتمد على اللَّه في جميع أموره الدينية والدنيوية دون كل من سواه صح إخلاصه ومعاملته مع اللَّه تعالى فهو من أعظم منازل ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ فلا يحصل كمال التوحيد بأنواعه الثلاثة إلا بكمال التوكل »[3] .

وقال أيضًا في مكان آخر وهو يتحدث عن مكانة التوكل في الإسلام بعد أن ذكر آيات عديدة تتكلم عن مكانة التوكل في الإسلام :

«فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان ولجميع أعمال الإسلام وأن منزلته منها كمنزلة الجسد من الرأس فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل.

---

(١) « طريق الهجرتين » لابن القيم (ص٢٥٥ ـ ٢٥٨) .

(٢) المائدة : (٢٣) .

(٣) « فتح المجيد شرح كتاب التوحيد » (ص٣٦٠) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه :

« وما رجا أحد مخلوقًا ولا توكل عليه إلا خاب ظنه فيه فإنه مشرك : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ »[1] .

وقال الشيخ سليمان بن عبد اللَّه بن محمد بن عبد الوهاب مبينًا وجه ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لباب التوكل بقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2] :

« ومراد المصنف بهذه الترجمة النص على أن التوكل فريضة يجب إخلاصه للَّه تعالى لأنه من أفضل وأعلى مقامات التوحيد بل لا يقوم به على وجه الكمال إلا خواص المؤمنين ولذلك أمر اللَّه به في غير آية من القرآن العظيم أعظم مما أمر بالوضوء والغسل من الجنابة بل جعله شرطًا في الإيمان والإسلام ومفهوم ذلك انتفاء الإيمان والإسلام عند انتفائه كما في الآية المترجم لها »[3] .

وقال الشيخ عبد الرحمن دمشقية وهو يتحدث عن مكانة التوكل في الإسلام :

« التوكل على اللَّه تعالى من أعظم المقامات وأجلها وهو سر قوة المؤمن وصبره وجلده فبالتوكل تهون المصاعب وتصغر المصائب في عين المصاب وتزول عنه هموم تضيق عن حملها الجبال فكم ممن لا يعرفون

---

(١) « فتح المجيد شرح كتاب التوحيد » (٣٦٠) والموضوع انظر له « فتح المجيد شرح كتاب التوحيد » (ص٣٦٠) .

(٢) المائدة : (٢٣) .

(٣) « تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد » (ص٤٦٦) .

شيئًا عن حقيقة التوكل على رب العباد تؤدي بهم مشاكلهم وهمومهم إلى الانتحار كيف وأجمل ميزة في التوكل أنه يرفع أكبر قدر ممكن من الهم عن كاهل المؤمن ويجعله متعلق القلب باللَّه في كل شيء واللَّه سبحانه يحب المتوكلين ويثني عليهم في العديد من الآيات كما قال تعالى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾[1] .

مما سبق يتضح لنا أن التوكل على اللَّه من أجل العبادات التي يجب إخلاصها للَّه سبحانه وتعالى دون سواه وأنه من العلامات الدالة على قوة الإيمان وأن فقدانه يدل دلالة واضحة على فقدان الإيمان وبقدر ما يكون الإيمان قويًا يكون التوكل على اللَّه قويًا وبضعف الإيمان يكون التوكل على اللَّه ضعيفًا .

المطلب الثاني

عقيدة الصوفية في التوكل وبيان بطلانها

لقد انحرف الصوفية في مفهوم التوكل انحرافًا خطيرًا حيث فهموا أن من شرط التوكل على اللَّه هو الإعراض كلية عن القيام بأي سبب سواء كان هذا السبب القيام بعمل يحصل الإنسان عن طريقه على رزقه الحلال بعرق جبينه أو كان السبب استعمال الأدوية التي جعلها اللَّه سببًا لشفاء الإنسان من الأمراض وسأقسم هذا المطلب إلى فقرتين : الفقرة الأولى وسأذكر فيها عبارات أئمة التصوف التي توضح لنا انحرافهم في مفهوم التوكل ، ثم سأقوم في الفقرة الثانية : ببيان بطلان هذا المفهوم للتوكل على هذا الوجه ومخالفته للمفهوم الصحيح الذي جاء في الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة .

---

(١) آل عمران : (١٥٩) وانظر : « أبو حامد الغزالي والتصوف » (ص٣٧٥) .

أولاً : ذكر عبارات أئمة التصوف التي توضح انحرافهم في مفهوم التوكل :

قال سهل بن عبد اللَّه التستري وهو يتحدث عن مفهوم التوكل عند الصوفية :

« أول مقام التوكل أن يكون العبد بين يدي اللَّه عز وجل كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء لا يكون له حركة ولا تدبير »(١) .

ومعنى ذلك أن الإنسان المتوكل على اللَّه ينبغي له أن يقعد ولا يتحرك في هذه الحياة لتأمين لوازم الحياة وإلا لا يوصف بأنه متوكل على اللَّه وهذا مفهوم خاطئ للتوكل لأنه ليس من التوكل على اللَّه قطع القيام بالأسباب التي تكون سببًا لحصول الإنسان على رزقه الحلال أو تناول دواء يكون سببًا لشفائه .

وقال ذو النون المصري :

« التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة وإنما يقوى العبد على التوكل إذا علم أن اللَّه سبحانه يعلم ويرى ما هو فيه »(٢) .

والشاهد في النص هو قول ذي النون :« التوكل ترك تدبير النفس » ويقصد بهذا أن المتوكل على اللَّه لا ينبغي له أن يقوم بأي سبب لأنه ينافي التوكل على اللَّه بل عليه أن يقطع الأسباب نهائيًا ويقعد متوكلاً على اللَّه وهو مفهوم خاطئ طبعًا فإن هذا تواكل وليس توكلاً .

وقال ذو النون أيضًا :

---

(١) « الرسالة القشيرية » لأبي القاسم القشيري (١/ ٤١٦) .

(٢) « الرسالة القشيرية » لأبي القاسم القشيري (١/ ٤١٩) .

« التوكل خلع الأرباب وقطع الأسباب »[1] .

والشاهد من النص واضح ولا يحتاج إلى تعليق .

وسئل أبو عبد اللّه القرشي عن التوكل فقال :

« التوكل : التعلق باللّه في كل حال ، فقال السائل : زدني، فقال : ترك كل سبب يوصل إلى سبب حتى يكون الحق هو المتولي لذلك »[2] .

فهنا في هذا النص كما هو واضح أمامنا عرف أبو عبد اللّه القشيري أن التوكل هو ترك القيام بأي سبب في هذه الحياة الدنيا والقعود منتظراً إتيان رزقه من اللّه سبحانه وتعالى وهو مفهوم باطل .

وقال أبو علي الروذباري :

« إذا قال الفقير بعد خسمة أيام أنا جائع فألزموه السوق ومروه بالعمل والكسب »[3] .

وقيل نظر أبو تراب النخشبي إلى صوفي مد يده إلى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة أيام فقال له : لا يصلح لك التصوف الزم السوق[4] .

وحكى عن إبراهيم الخواص أنه كان يقول إذا عرج المريد على الأسباب بعد ثلاثة أيام فالعمل في المكاسب ودخول السوق أولى به

---

(١) « الرسالة القشيرية » لأبي القاسم القشيري (١/ ٤٢٠) .

(٢) نفس المرجع (١/ ٤٢١) وانظر في عقيدة الصوفية في التوكل على أنه إعراض عن الأسباب الكلية الكتب الآتية :

١ ـ ابن عطاء اللّه السكندري وتصوفه (ص٢٤٧) .

٢ ـ كتاب « جواهر المريدين » (ص١٩) .

(٣) « الرسالة القشيرية » (١/ ٤٢٨) .

(٤) « الرسالة القشيرية » (١/ ٤٢٨) .

وقال الطوسي :

« سأل رجل ابن سالم بالبصرة وأنا حاضر في مجلسه وكان يتكلم في فضل المكاسب فقال له : أيها الشيخ نحن مستعبدون بالكسب أم بالتوكل فقال ابن سالم : التوكل حال الرسول والكسب سنة الرسول واستن لهم الكسب لعلمه بضعفهم حتى إذا سقط عن درجة التوكل التي هي حاله لا يسقط عن درجة طلب المعاش التي هي سنته ولولا ذلك لهلكوا » [1] .

وقال ذو النون المضري :

« إذا طلب العارف المعاش فهو لا شيء »[2] .

وقال أبو طالب المكي :

« قد يفضل التارك للتكسب شغلاً بالعبادة عن التكسب من حيث فضل المتقدمون الزاهد في الدنيا على كاسب المال حلالاً ومنفقه في سبيل اللَّه»[3] .

وقال أيضًا : « وقد علم التارك للتكسب توكلاً على اللَّه وثقة به ورعاية لمقامه وصبرًا على فقره وشغلاً بمعـاده عن معاشه ومقاساة الفتنة أن مولاه قد تكفل له برزقه في الدنيا وقد وكل إليه عمـل الآخرة وأنه إن شغل بما وكله إليه من عمل آخرته أقام له من يقوم بكفايتـه من دنيـاه فلو لم يتصرف المتوكل تصرف له غيره وإن عمل آخرته الذي وكله إليه هذا فإن لم يعمله لم يقم غيره مقامه وإن اللَّه تكفل له بعمل الدنيا فإن لم يعمـل لعمل له سواه

---

(١) « اللمع » للطوسي (ص٢٥٩) .

(٢) « اللمع » (ص٢٦١) .

(٣) « قوت القلوب » لأبي طالب المكي (٢/ ٥٧) .

كيف شاء »[1] .

وقال أبو طالب المكي :

« وقال بعض علماؤنا إذا استوى عند المريد وجود السبب وعدمه وكان قلبه ساكنًا مطمئنًا عند العدم ولم يشغله ذلك عن اللَّه تعالى ولم يتفرق همه فترك التكسب والقعود لهذا أفضل لشغله بحاله وتزوده لمعاده وقد صح له مقام في التوكل »[2] .

وذكر صاحب كتاب « سراج الطالبين » أن رجلاً سأل شيخنا ابن سالم أنحن مستعبدون بالكسب أم بالتوكل ؟ فقال :

« التوكل حال رسول اللَّه والكسب سنته وإنما سن لهم الكسب لضعفهم حين سقطوا عن درجة التوكل فأباح لهم طلب المعاش بالمكاسب الذي هو سنته ولولا ذلك لهلكوا »[3] .

ويقول أبو حامد الغزالي وهو يتحدث عن المفهوم الصوفي للتوكل :

« إن كان مشتغلاً باللَّه تعالى ملازمًا لمسجد أو بيت وهو مواظب على العلم والعبادة فالناس لا يلومونه في ترك التكسب ولا يكلفونه ذلك بل اشتغاله باللَّه تعالى يقرر حبه في قلوب الناس حتى يحملوا إليه فوق كفايته وإنما عليه أن لا يغلق الباب ولا يهرب إلى جبل من بين الناس » .

فاشتغاله بالسلوك مع الأخذ من يد يتقرب إلى اللَّه تعالى بما يعطيه أولى لأنه تفرغ للَّه عز وجل وإعانة للمعطي على نيل الثواب فإن من كان للَّه

---

(١) « قوت القلوب » لأبي طالب المكي (٢/ ٥٧) .

(٢) « قوت القلوب » لأبي طالب المكي (٢/ ٣١) .

(٣) « سراج الطالبين » (ص٨٤) .

تعالى كان اللَّه عز وجل له .

ومن اشتغل باللَّه عز وجل ألقى اللَّه حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الأم لولدها »[1] .

ودخل جماعة على الجنيد فقال :

« ماذا تطلبون ؟ قالوا : نطلب الرزق ، فقال : إن علمتم في أي موضع هو فاطلبوه قالوا : نسأل اللَّه قال : إن علمتم أنه ينساكم فذكروه ، فقالوا : ندخل البيت ونتوكل وننظر ما يكون ، فقال : التوكل على التجربة شك قالوا : فما الحيلة ؟ قال : ترك الحيلة »[2] .

ويقول الغزالي :

« فالاهتمام بالرزق قبيح بذوي الدين وهو بالعلماء أقبح فإن الكسب يمنع عن السر بالفكر الباطن »[3] .

وقال الهروي وهو يتحدث عن التوكل عند الصوفية :

« التوكل كلة الأمر كله إلى مالكه والتعويل على وكالته وهو من أصعب منازل العامة عليهم وأوهى السبل عند الخاصة لأن الحق قد وكل الأمور كلها إلى نفسه وآيس العالم من تملك شيء منها وهو على ثلاث درجات كلها تسير سير العامة .

قال : الدرجة الأولى : التوكل مع الطلب ومعاطات السبب على نية شغل النفس ونفع الخلق وترك الدعوى .

---

(١) « الإحياء » للغزالي (٤/ ٢٩٠) .

(٢) « الإحياء » للغزالي (٤/ ٢٩١) .

(٣) « الإحياء » للغزالي (٤/ ٢٩٢) .

الدرجة الثانية : التوكل مع إسقاط الطلب وغض الطرف عن السبب اجتهاداً لتصحيح التوكل وقمعًا لشرف النفس وتفرغًا لحفظ الواجبات.

الدرجة الثالثة : التوكل مع معرفة التوكل والمنازعة إلى الخلاص من علة التوكل وهو أن تعلم ملكة الحق تعالى للأشياء ملكة عزة لا يشاركه فيها مشارك فيكل شريكه إليه فإن من ضرورة العبودية أن يعلم العبد أن الحق تعالى هو مالك الأشياء وحده »[1] .

إذا نظرنا في هذا الكلام الذي قاله الهروي عن التوكل نرى بوضوح أن الهروي اعتبر التوكل من مقامات العامة وأنه يعتبر من أوهى السبل عن الخاصة وكما هو واضح أمامنا فقد ذكر الهروي أن من درجات التوكل التوكل مع إسقاط الأسباب وهذا مفهوم خاطئ للتوكل فإن التوكل لا يلزم منه بأي حال من الأحوال ترك الأساب كلية وإنما المفهوم الصحيح للتوكل هو القيام بالأسباب المقدور عليها ثم التوكل على اللَّه بعد ذلك .

ثم دندن الهروي في الدرجة الثالثة من درجات التوكل أنه ينبغي للإنسان أن يترقى في درجات التوكل حتى يتخلص من التوكل نفسه لأنه هو بنفسه علة لا ينبغي للخواص الوقوف عندها بل عليهم أن يسعوا للتخلص من التوكل لأنه من مقامات العامة وهذا رأي باطل وفاسد فإن التوكل على اللَّه سبحانه وتعالى يعتبر من أرقى المقامات وأشرفها وقد أمر اللَّه عباده المؤمنين أن يتوكلوا عليه فقال : ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ »[2] .

ولذا فكل من يريد التخلص من التوكل فإنما يريد أن يصرف الناس عن

---

(١) « منازل السائرين » للهروي (ص١٧) .

(٢) « منازل السائرين » للهروي (ص٤٧ ـ ٤٨) .

تفويض أمورهم إلى اللّٰه وتوجيههم إلى جهة أخرى .

وعلى كل فهذا المفهوم للتوكل مفهوم خاطئ وقد وقع المتصوفة بسبب هذا المفهوم الخاطئ للتوكل في أخطاء فاحشة من التسول والتكفف لأموال الناس في المساجد والطرقات العامة مما سبب لهم الإهانة .

جملة من الحكايات التي تثبت أن الصوفية أوقعهم المفهوم الخاطئ للتوكل في الشحاتة والتسول في الشوارع للتكفف لأموال الناس بالباطل:

هناك حكايات وقصص كثيرة في كتب الصوفية تثبت أن القوم بالفعل بعد أن فهموا التوكل فهمًا خاطئًا اضطروا أن يمارسوا حرفة السؤال والتكفف لأموال الناس بالباطل ومن هذه الحكايات التي أوردها الصوفية أنفسهم :

قيل لحذيفة المرعشي وقد كان خدم إبراهيم بن أدهم وصحبه : ما أعجب ما رأيت منه ؟ قال : بقينا في طريق مكة حرسها اللّٰه تعالى أيامًا لم نجد طعامًا ثم دخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خراب فنظر إلي إبراهيم بن أدهم وقال : يا حذيفة أرى بك الجوع فقلت : ما هو رأي الشيخ؟ فقال : عليّ بدواة وقرطاس فجئت بهما فكتب بسم اللّٰه الرحمن الرحيم أنت المقصود بكل حال والمشار إليه بكل معنى .

أنا حامد وأنا شاكر أنا ذاكر   أنا جائع أنا ضائع أنا عار

ثم دفع إليّ الرقعة فقال : اخرج ولا تعلق قلبك بغير اللّٰه وادفع الرقعة إلى أول من يلقاك قال : فخرجت فأول من لقيني رجل كان على بغلة فدفعتها إليه فأخذها وبكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت : هو في المسجد الفلاني فدفع إلى صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلاً آخر فقلت:

النصراني وأكب على رأس إبراهيم بن أدهم وأسلم[1] .

والشاهد من إيراد هذا النص هو أن إبراهيم بن أدهم ومريده خرجا بدون زاد وأصيبا بجوع شديد ولم يجدا سبيلاً للحصول على الرزق أو لقمة يقيمان بها صلبيهما إلا طريقة واحدة وهي سؤال الناس والتكفف لهم وهذا هو المصير الحتمي لكل من فهم التوكل هذا الفهم الصوفي الباطل.

وحكي عن أبي حفص الحداد أنه كان أكثر من عشرين سنة يعمل في كل يوم بدينار وينفقه عليهم يعني الصوفية ولا يسأل عن مسألة ويصوم ثم يخرج بين العشائين فيتصدق من الأبواب[2] .

فهذا الرجل بالفعل كان يعمل ولكنه كان يتصدق بجميع ماله ويبقى خالي اليد وذلك لأنه يعتقد أن التوكل لا يمكن أن يتحقق إلا إذا تجرد الإنسان من جميع أملاكه وهذا المعتقد الفاسد أوقعه في شيء محظور حذر منه الرسول ألا وهو سؤال الناس والتكفف لأيديهم بغية الحصول على لقمة العيش .

وقال أبو طالب المكي :

« وقد كان الخواص يدقق في أمر التوكل ويذكر أن الادخار يخرج من التوكل ولم يكن يفارقه أربعة أشياء »[3] .

---

(١) « تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب » للخواص (ص٤٧٨) .

(٢) « اللمع » للطوسي (ص٢٦١) .

(٣) « قوت القلوب » لأبي طالب المكي (٢/٣٨) .

وهذا الفهم الذي فهمه الخواص للتوكل فهم خاطئ فإن ادخار اللازم للقوت لا ينافي التوكل ولو فهمت الأمة الإسلامية التوكل هذا المفهوم الصوفي الخاطئ للتوكل لأصبحت فقيرة حقيرة هزيلة خاضعة لغيرها تنتظر من يتصدق عليها من الأمم الأخرى وهو مفهوم خطير جداً لو طبق لانهار اقتصاد الأمة الإسلامية انهياراً كاملاً وكما هو معلوم فالمال عصب الحياة وبدون المال لا يمكن أن يحقق شيء من الأشياء فهو الطاقة المحركة لهذه الحياة الدنيا والإسلام لا يذم المال لأنه مال وإنما يذم الإسلام المال الحرام أو الانهماك في الدنيا كلية مع نسيان الآخرة أما أن ندعو الناس إلى التجرد الكامل من أموالهم حتى يصبحوا فقراء فهذه دعوة دخيلة ليست من الإسلام في شيء .

وروى أبو القاسم القشيري عن أبي نصر الصوفي أنه قال :

« خرجت من البحر بعمان وقد أثر في الجوع فكنت أمر في السوق فبلغت حانوت حلاوى فرأيت فيه حملانًا مشوية وحلواء فتعلقت برجل وقلت : اشتر لي من هذه الأشياء فقال : لماذا ألك علي شيء أو عندي دين؟ فقلت : لابد أن تشتري من هذا . فرآني رجل فقال : خله يا فتي إن الذي يجب عليه أن يشتري لك ما تريد أنا لا هو اقترح علي وأحكم بما تريد» [١] .

والخلاصة التي نخرج بها من هذا المطلب الذي تكلمنا فيه عن انحراف الصوفية في مفهوم التوكل هي أن الصوفية يعتقدون بأن من شروط المتوكل على اللّٰه أن تتوفر فيه الأشياء التالية وهي :

---

(١) « الرسالة القشيرية » (٢/ ٥٧٢) .

أولاً : البعد عن القيام بأي سبب يحصل الإنسان عن طريقه على الرزق الحلال الذي يعف به نفسه وعائلته .

ثانيًا : إذا كان له مال فعليه أن يتجرد من جميع ماله لأن شرط التوكل على اللّه خلو الأيدي من الأملاك كلية .

ثالثًا : عدم التداوي وعدم الادخار ولو شيئًا بسيطًا بقدر الضرورة من المال لأن ادخار شيء من المال ولو كان بسيطًا واستعمال الأدوية ينافي التوكل على اللّه .

رابعًا : هذا المفهوم الخاطئ للتوكل أوقع المتصوفة في احتراف مهنة التسول والتكفف لأموال الناس بالباطل .

هذا ملخص اعتقاد المتصوفة في التوكل على اللّه وكل هذه المعتقدات تعتبر منحرفة لأنها مخالفة لما جاء في الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة في مفهوم التوكل على اللّه وهذا ما سنبينه الآن في الفقرة التالية أثناء ردنا عليهم لبيان بطلان معتقدهم هذا إن شاء اللّه .

ثانيًا : بيان بطلان معتقد الصوفية نحو التوكل على اللّه :

لقد بينا في الفقرة الأولى معتقد الصوفية في التوكل على اللّه وفهمهم الخاطئ له حيث فهم الصوفية كما أوضحناه سابقًا بأن التوكل على اللّه يلزم منه قطع القيام بأي سبب والتجرد من الأملاك وعدم الادخار وعدم التداوي أيضًا ودعوا إلى أن يصبح الإنسان كالميت لا حركة له ولا تدبير بل عليه أن يعيش جامدًا لا حركة له إذا أراد أن يصل إلى مقام التوكل الحقيقي[1] وهنا في هذه الفقرة نريد أن نبين بطلان هذا المعتقد.

---

(١) انظر (ص٩٥٥ ـ ٩٦٥) .

إذا عرضنا هذا المعتقد الصوفي الباطل نحو التوكل على اللَّه على الكتاب والسنة سنجده معتقدًا باطلاً بعيدًا كل البعد عن المفهوم الصحيح للتوكل الذي فهمه سلفنا الصالح للتوكل حيث إن السلف الصالح لم يفهموا من التوكل على اللَّه ما فهمه المتصوفة من أنه يعني عدم القيام بالأسباب والتجرد من الأموال وعدم الاحتراز من الأعداء وعدم تناول الأدوية بقصد الشفاء بل السلف الصالح كانوا من أكبر المتوكلين على اللَّه سبحانه وتعالى ومع ذلك فلم نجد في الكتب لواحد منهم يدعو إلى عدم القيام بالعمل والتجرد من الأموال والنهي عن التداوي بحجة التوكل ذلك لأن التوكل على اللَّه والقيام بالأسباب ليسا متناقضين كما يزعم المتصوفة بل هما منسجمان تمامًا فعلى المؤمن أن يتوكل على اللَّه حق توكله ويفوض كل أموره إلى اللَّه سبحانه جلت قدرته ثم يقوم بالأسباب التي في حدود قدرته وطاقته وما لم يكن باستطاعته يفوض أمره إلى اللَّه أما أن يقعد الإنسان في البيت أو في المسجد بدعوى التوكل ولا يقوم بأي عمل من الأعمال فهذا مفهوم خاطئ للتوكل وهو يسمى في الشريعة تواكلاً وليس توكلاً .

قال الإمام ابن الجوزي رحمه اللَّه في معرض رده على الصوفية الذين يعتقدون أن القيام بالأسباب ينافي التوكل على اللَّه :

« قلة العلم أوجبت هذا التخبط ولو عرفوا ماهية التوكل لعلموا أنه ليس بينه وبين الأسباب تضاد وذلك أن التوكل اعتماد القلب على الوكيل وحده وذلك لا يناقض حركة البدن في التعلق بالأسباب ولا ادخار المال»[١] .

وقد أمر اللَّه تعالى بالمحافظة على المال ونهى عن وضعه في أيدي

---

(١) « تلبيس إبليس » لابن الجوزي (٢٧٨) .

السفهاء خشية أن يبددوه ولو كان ادخار المال والمحافظة عليه ينافي التوكل على اللّه لما أمر اللّه بالمحافظة عليه قال تعالى : ﴿ **وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا** ﴾[١] .

وقد مدح الرسول ﷺ المال الحلال الذي يكسبه الإنسان بطرق مشروعة فقال : « **نعم المال الصالح للرجل الصالح** »[٢] .

ولو كان جمع المال والاحتفاظ به وصرفه في الوجوه المشروعة ينافي التوكل على اللّه ويخرج الإنسان من دائرة المتوكلين لما مدحه الرسول ﷺ بل لذمه ولنهى عنه وحذر منه ولكنه لم يفعل ذلك فظهر بهذا بطلان معتقد المتصوفة بأن جمع المال ينافي التوكل .

وقد شجع الرسول ﷺ بحث المسلم على ترك ورثته أغنياء على جمع المال والمحافظة عليه وعدم تبديده بحيث يصبح الإنسان خالي اليدين من أملاكه كما يزعم المتصوفة بأن التوكل يقتضي ذلك .

وفي هذا المجال يقول الرسول ﷺ : « **إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس** »[٣] .

ومن هذا الحديث نفهم أن السعي في طلب المال الحلال وجمعه وادخاره للورثة لا ينافي التوكل على اللّه .

وقد أمر سبحانه وتعالى بأخذ الحذر والحيطة من الأعداء خشية أن يغيروا علينا ونحن غافلون وأخذ الحذر يعتبر سببًا من الأسباب والصوفية

---

(١) النساء : (٥) .

(٢) « مسند أحمد » (٤/١٩٧) .

(٣) « مسند أحمد » (١/١٧٣) .

يدعون إلى ترك الأسباب وعدم الالتفات إليها بحجة أنه ينافي التوكل وقد كذبهم اللَّه تعالى فقال : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا**﴾[1] .

فلو كان القيام بالأسباب ينافي التوكل على اللَّه لما أمر اللَّه سبحانه به بل لدعى العباد إلى عدم الاقتراب منه ولكن لما لم يفعل اللَّه ذلك ظهر بطلان ادعاء المتصوفة بأن القيام بالأسباب ينافي التوكل على اللَّه سبحانه وتعالى .

وقد أمر اللَّه بالإعداد اللازم لمواجهة الأعداء من القوة فقال سبحانه : ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾[2] .

وإعداد العدة اللازمة لمواجهة الأعداء يعتبر من الأسباب وقد أمر اللَّه به سبحانه وتعالى فلو كان مباشرة الأسباب ينافي التوكل لما أمر اللَّه به بل لنهى عنه .

ومما يدل على أن مباشرة الأسباب لا ينافي التوكل على اللَّه سبحانه وتعالى أن الرسول ﷺ حينما هاجر هو والصديق رضي اللَّه عنه إلى المدينة اختفى في غار حراء خوفًا من أن يراهما كفار قريش والاختفاء يعتبر سببًا من الأسباب وقد فعله الرسول ﷺ وهو أكثر توكلاً على اللَّه سبحانه وتعالى ولو كان القيام بالأسباب ينافي التوكل على اللَّه لما فعل الرسول هذا الفعل بل لانتظرهم ولم يختف منهم وبهذا يظهر بطلان المعتقد الصوفي تجاه التوكل

---

(١) النساء : (٧١) .

(٢) الأنفال : (٦٠) .

علي اللَّه من اعتقادهم بأن القيام بالأسباب ينافي التوكل على اللَّه سبحانه وتعالى .

وقد أمر الرسول ﷺ بمباشرة الأسباب المقدور عليها ثم التوكل على اللَّه سبحانه بعد أن يعمل الإنسان الأشياء اللازمة وذلك فيما رواه أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ وترك ناقته بباب المسجد فسأله رسول اللَّه ﷺ عنها فقال : أطلقتها وتوكلت على اللَّه قال : « **اعقلها وتوكل** »[1] .

ومن هذا الحديث نخرج بخلاصة مهمة جدًا في مفهوم التوكل ألا وهي أن التوكل على اللَّه سبحانه وتعالى لا يعني ترك الأسباب اللازمة للمحافظة على الأموال والأنفس أو غيرهما مما هو مقدور للإنسان أن يفعله وإنما على الإنسان المسلم أن يفعل الأشياء التي تكون في مقدوره ثم يتوكل على اللَّه سبحانه وتعالى في جميع أموره أما أن يترك الإنسان الأسباب المأمور بها ويبقى جالسًا قعيد البيت ويزعم أنه متوكل على اللَّه فليس هذا بمفهوم صحيح للتوكل بل هو مفهوم خاطئ باطل مخالف لما جاء في الكتاب والسنة ومفهوم السلف الصالح لمعنى التوكل على اللَّه ولم يقل به إلا المتصوفة المنحرفون الذين لذ لهم وطاب أكل أموال الناس بالباطل .

وقال ابن عقيل رحمه اللَّه وهو يرد على الذين يقولون إن القيام بالأسباب بجميع أنواعها ينافي التوكل :

« يظن أقوام أن الاحتياط والاحتراز ينافي التوكل على اللَّه وأن التوكل هو إهمال العواقب وإطراح التحفظ وذلك عند العلماء هو العجز والتفريط

---

(١) « كشف الخفاء » (٤١٨) .

الذي يقتضي من العقلاء التوبيخ والتهجين ولم يأمر اللَّه بالتوكل إلا بعد التحرز واستفراغ الوسع في التحفظ فقال تعالى : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[(١)] .

فلو كان التعلق بالاحتياط قادحًا في التوكل لما خص اللَّه به نبيه حين قال له ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ وهل المشاورة إلا استفادة الرأي الذي منه يؤخذ التحفظ والتحرز من العدو ولم يقنع في الاحتياط بأن يكله إلى رأيهم حتى نص عليه وجعله عملاً في نفس الصلاة وهي أخص العبادات فقال : ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾[(٢)] .

وبين علية ذلك بقوله : ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾[(٣)] .

ومن علم أن الاحتياط هكذا لا يقال أن التوكل عليه ترك ما علم لكن التوكل التفويض فيما لا وسع فيه ولا طاقة قال عليه الصلاة والسلام : «**اعقلها وتوكل**» ولو كان التوكل ترك التحرز لخص به خير الخلق ﷺ في خير الأحوال وهي حالة الصلاة وقد ذهب الشافعي رحمه اللَّه إلى وجوب حمل السلاح حينئذ لقوله تعالى : ﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾ فالتوكل لا يمنع من الاحتياط والاحتراز فإن موسى عليه السلام لما قيل له : ﴿إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾[(٤)] خرج ونبينا ﷺ خرج من مكة لخوفه من المتآمرين عليه ووقاه أبو بكر رضي اللَّه عنه بسد أثقاب الغار وأعطى القوم التحرز حقه ثم

---

(١) آل عمران : (١٥٩) .

(٢) النساء : (١٠٢) .

(٣) النساء : (١٠٢) .

(٤) القصص : (٢٠) .

توكلوا . . . ثم قال : ومن عطل نعمة اللَّه تعالى بترك الاحتراز فقد عطل حكمته كمن يترك الأغذية والأدوية ثم يموت جوعًا أو مرضًا ولا أبله ممن يدعي العقل والعلم ويستسلم للبلاء إنما ينبغي أن تكون أعضاء المتوكل في الكسب وقلبه ساكن مفوض إلى الحق منع أو أعطى ومتى وضعت الأسباب فأهلمت كان ذلك جهلاً بحكمة الوضع مثلاً وضع الطعام سببًا للشبع والماء للري والدواء للمرض فإذا ترك الإنسان ذلك إهوانًا بالسبب ثم دعا وسأل فربما قيل له قد جعلنا لعافيتك سببًا فإذا لم تتناوله كان إهوانًا لعطائنا فربما لم نعافك بغير سبب لإهوانك للسبب »[1] .

وقال الإمام ابن الجوزي رحمه اللَّه في معرض رده على المتصوفة الذين يعتقدون أن التوكل على اللَّه يقتضي تعطيل القيام بالأسباب كلية بعد أن أورد عبارات أئمتهم التي تدل دلالة واضحة على أنهم يعتقدون هذا المعتقد الفاسد تجاه التوكل على اللَّه :

قال : « هذا كلام قوم ما فهموا التوكل وظنوا أنه ترك الكسب وتعطيل الجوارح عن العمل ولو كان كل كاسب ليس بمتوكل لكان الأنبياء غير متوكلين فقد كان آدم عليه السلام حراثًا ونوح وزكريا نجارين وإدريس خياطًا وإبراهيم ولوط زراعين وكان سليمان يعمل الخوص وداود يصنع الدرع ويأكل من ثمنه وكان موسى وشعيب ومحمد صلوات اللَّه عليهم أجمعين رعاة . . »

ثم قال ابن الجوزي رحمه اللَّه منتقدًا لفهم الصوفية المنحرف للتوكل واتخاذهم حرفة التسول هي الطريق الوحيد التي يحصلون بها على أرزاقهم :

---

(١) « تلبيس إبليس » لابن الجوزي (ص٢٧٩) .

« قلت : لو قال رجل للصوفية : من آين أطعم عيالي ؟ لقالوا : أشركت ولو سئلوا عمن يخرج للتجارة لقالوا : ليس بمتوكل ولا مؤمن ، وكل هذا لجهلهم بمعنى التوكل واليقين ولو كان أحد يغلق عليه الباب ويتوكل لقرب أمر دعواهم لكنهم بين أمرين

أما الغالب من الناس فمنهم من يسعى إلى الدنيا مستجديًا ومنهم من يبعث غلامه فيدور بالزنبيل فيجمع له .

وأما الجلوس في الرباط في هيئة المساكن وقد علم أن الرباط لا يخلو من فتوح كما لا يخلوا الدكان من أن يقصد للبيع والشراء »[1] .

وكان السلف رحمهم اللَّه يكرهون القعود في المساجد وانتظار ما يأتي من الناس من صدقات .

فقد قال سعيد بن المسيب رحمه اللَّه :

« من لزم المسجد وترك الحرفة وقبل ما يأتيه فقد الحف في السؤال»[2] .

وقال عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه :

« يا معشر القراء ارفعوا رءوسكم فقد وضح الطريق فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالاً على المسلمن »[3] .

وعن محمد بن عاصم قال :

---

(١) « تلبيس إبليس » لان الجوزي (ص٢٨١ ـ ٢٨٢) .

(٢) نفس المرجع (ص٢٨٣) .

(٣) نفس المرجع (ص٢٨٣) .

« بلغني أن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه كان إذا رأى غلامًا فأعجبه سأل عنه هل له حرفة فإن قيل لا قال سقط من عيني »[1] .

وقال الإمام ابن القيم رحمه اللَّه وهو يناقش أحد المتصوفة الذين ادعوا أن القيام بالأسباب ينافي التوكل على اللَّه بل صرح بعضهم أن الوقوف عند التوكل على اللَّه يجعل الإنسان غير متوكل على اللَّه لأن التوكل نفسه يعتبر سببًا من الأسباب فينبغي الانخلاع عنه .

قال ابن القيم :

« الوجه الرابع : أن قوله لأنك رفضت الأسباب ووقفت مع التوكل ، إن أراد به رفض الأسباب بالكلية جملة فهذا كما أنه ممتنع عقلاً وحسًا فهو محرم شرعًا ودينًا فإن رفض الأسباب بالكلية انسلاخ من العقل والدين وإن أراد به رفض الوقوف معها والوثوق بها وأنه يقوم بها قيام ناظر إلى سببها فهذا حق ولكن النقص لا يكون في السبب ولا في القيام به وإنما يكون في الإعراض عن المسبب تعالى كما تقدم فمنع الأسباب أن تكون أسبابًا قدح في العقل والشرع وإثباتها والوقوف معها وقطع النظر عن مسببها قدح في التوحيد والتوكل والقيام بها وتنزيلها منازلها والنظر إلى مسببها وتعلق القيام به جمع بين الأمر والتوحيد وبين الشرع والقدر وهو الكمال واللَّه أعلم »[2] .

وقال الشيخ سليمان بن عبد اللَّه بن محمد بعد ذكره حديث السبعين ألف الذين قال فيهم الرسول : إنهم يدخلون الجنة بغير حساب والذين

---

(١) « تلبيس إبليس » لابن الجوزي (٢٨٣) .

(٢) « طريق الهجرتين » لابن القيم (ص٢٥٩) .

وصفهم بأنهم هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون[1] .

قال : « واعلم أن الحديث لا يدل على أنهم لا يباشرون الأسباب أصلاً كما يظنه الجهلة فإن مباشرة الأسباب في الجملة أمر فطري ضروري لا انفكاك لأحد عنه حتى الحيوان البهيم بل نفس التوكل مباشرة لأعظم الأسباب كما قال تعالى : ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾[2] أي كافيه إنما المراد أنهم يتركون الأمور المكروهة مع حاجتهم إليها توكلاً على اللَّه كالاسترقاء والاكتواء فتركهم له ليس لكونه سببًا لكن لكونه سببًا مكروهًا ولا سيما والمريض يتشبث بما يظنه سببًا لشفائه بخيط العنكبوت أما نفس مباشرة الأسباب والتداوي على وجه لا كراهة فيه فغير قادح في التوكل فلا يكون تركه مشروعًا »[3] .

وذلك لما ورد من الأحاديث الكثيرة التي أمر الرسول ﷺ فيها بالتداوي من الأمراض وأخبرنا بأن اللَّه أوجد لكل داء دواء ولكن عرفه من عرفه وجهله من جهله .

وإليك نبذة من هذه الأحاديث :

* روى مسلم في صحيحه من حديث أبي الزبير عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « **لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برئ بإذن اللَّه عز وجل** »[4] .

---

(١) انظر « صحيح البخاري » مع الفتح (١٠/ ١٥٥) .

(٢) الطلاق : (٣) .

(٣) « تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد » (٤٩٥) .

(٤) « صحيح مسلم » مع النووي (١٤/ ١٩١)

* وفي الصحيحين عن عطاء عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **ما أنزل اللَّه من داء إلا أنزل له شفاء** »[1] .

* وعن أسامة بن شريك قال : كنت عند النبي ﷺ وجاءت الأعراب فقالوا : يا رسول اللَّه أنتداوى فقال: « **نعم يا عباد اللَّه تداووا فإن اللَّه عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد** » قالوا : ما هو قال : « **الهرم** »[2].

* وفي « مسند أحمد » عن أبي خزامة قال : قلت يا رسول اللَّه أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر اللَّه شيئًا؟ فقال : «**هي من قدر اللَّه** »[3] .

وقال الإمام ابن القيم بعد أن أورد جملة من الأحاديث التي تحث على التداوي :

« فقد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات وإبطال قول من أنكرها . . . وأن التداوي لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع داء الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها اللَّه مقتضيات لمسبباتها قدراً وشرعًا وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل كما يقدح في الأمر والحكمة ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى في التوكل فإن تركها عجزاً ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على اللَّه في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه ودفع ما يضره في دينه ودنياه ولابد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب وإلا كان معطلاً

---

(١) « صحيح البخاري » مع الفتح (١٠/ ١٣٤) .

(٢) « سنن أبي داود مع بذل المجهود » (١٦/ ١٨٣) .

(٣) « مسند أحمد » (٣/ ٤٢١) مع اختلاف في اللفظ .

للحكمة وللشرع فلا يجعل العبد عجزه توكلاً ولا توكله عجزاً .

وفيها رد على من أنكر التداوي وقال : إن كان الشفاء قد قدر فالتداوي لا يفيد وإن لم يكن قد قدر فكذلك وأيضًا فإن المرض حصل بقدر اللَّه وقدر اللَّه لا يدفع ولا يرد وهذا السؤال هو الذي أورده الأعرابي على رسول اللَّه ﷺ وأما أفاضل الصحابة فأعلم باللَّه وحكمته وصفاته من أن يوردوا مثل هذا وقد أجابهم النبي ﷺ بما شفى وكفى فقال : هذه الأدوية والرقى والتقى هي من قدر اللَّه فما خرج شيء عن قدره بل يرد قدره بقدره وهذا الرد من قدره فلا سبيل إلى الخروج عن قدره بوجه ما وهذا كرد قدر الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها وكرد قدر العدو بالجهاد وكل من قدر اللَّه الدافع والمدفوع والدفع .

ويقال لمورد هذا السؤال هذا يوجب عليك أن لا تباشر سببًا من الأسباب التي تجلب بها منفعة أو تدفع بها مضرة لأن المنفعة والمضرة إن قدرتا لم يكن بد من وقوعهما وإن لم تقدرا لم يكن سبيل إلى وقوعهما وفي ذلك خراب الدين والدنيا وفساد العالم وهذا لا يقوله إلا دافع للحق معاند له فيذكر القدر ليدفع حجة المحق عليه كالمشركين الذين قالوا : ﴿**لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ**﴾[1] ﴿**لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا**﴾[2] فهذا قالوه دفعًا لحجة اللَّه عليهم بالرسل »[3] .

والخلاصة أن المفهوم الصوفي للتوكل مفهوم خاطئ وباطل مخالف لما جاء في الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة الإسلامية عبر التاريخ لمفهوم

---

(١) الأنعام : (١٤٨) .

(٢) النحل : (٣٥) .

(٣) « الطب النبوي » لابن القيم (ص١٤ ـ ١٦) .

التوكل على اللَّه حيث إن معنى التوكل الصحيح في الإسلام هو تفويض العبد أموره كلها إلى اللَّه سبحانه وتعالى مع القيام بالأسباب التي تكون في طاقته القيام بها وقد اتضح لنا مما سبق من الآيات والأحاديث وأقوال علماء الأمة التي سقناها لإبطال المعتقد الصوفي بأن التوكل على اللَّه لا ينافي مباشرة الأسباب بجميع أنواعها من القيام بالعمل ومن التداوي ومن المحافظة على المال وادخاره مع الإنفاق في الوجوه التي أمر اللَّه بالإنفاق فيها فهذا هو المفهوم الصحيح للتوكل في الإسلام ونخلص مما سبق أيضًا بأن توكل الصوفية ليس توكلاً على اللَّه سبحانه وتعالى وإنما هو تواكل لأنهم أعرضوا عن القيام بالأسباب وادعوا أن هذا هو معنى التوكل وليس التوكل كذلك فالتوكل على اللَّه هو القيام بالأسباب مع تفويض الأمور إلى اللَّه ولو أعطينا نظرة بسيطة لأحوال المتصوفة في العالم الإسلامي فإننا نجدهم لا يسعون للكسب بل يجلسون في بيوتهم ينتظرون من يدق عليهم الباب ليعطيهم رغيفًا حسنًا وسمكة مشوية مقابل لا شيء وهكذا تعودوا على الأكل البارد السهل من غير كد ولا تعب فأعرضوا عن العمل وسموا ذلك توكلاً ونحن نقول : نعم إنه توكل ولكن توكل على من ؟ « إنه توكل على جيوب الناس وأموالهم وليس توكلاً على اللَّه » .

وهذا الفهم الصوفي الخاطئ للتوكل كاف لهدم المجتمعات وتدميرها ونشر الفقر بينهم يؤدي في النهاية إلى هلاك الأمة وضعفها بحيث يسهل على الأعداء القضاء عليها لأنها تصبح أمة فقيرة هزيلة لا تستطيع المقاومة حيث أنها قعدت في البيوت عن العمل بحجة التوكل فهذا المعتقد الصوفي نحو التوكل معتقد باطل وخطير جداً في نفس الوقت ينبغي مقاومته بكل قوة ولا

ينبغي التساهل تجاهه لأن المتصوفة لم يدعوا إلى ترك الأسباب والإعراض عنها إلا لتدمير الأمة وإضعافها لأن الأمة التي لا تعمل لا يمكن أن تعيش حياة سعيدة عزيزة بل ستعيش حياة ذل وهوان وفقر .

* * *

المبحث الثالث

انحراف عقيدة الصوفية تجاه الجنة والنار والخوف والرجاء

لقد انحرف الصوفية تجاه الجنة والنار والخوف والرجاء كما انحرفوا في غيرها حيث زعموا أنهم يعبدون اللَّه سبحانه وتعالى لأنه مستحق للعبادة لا خوفًا من ناره ولا رجاءا لجنته وشوقًا إليها لأن العبادة التي تقترن بخوف اللَّه ورجائه تعتبر عندهم نقصًا في التوحيد حيث يدعون أن العابد للَّه خوفًا من عذابه ورجاء جنته إنما يعبده لعوض يتوقع الحصول عليه وهم يستهينون بعقاب اللَّه ونعيمه ولا يعيرونهما أي وزن ألبتة ويزعمون أن همهم الوحيد هو لقاء اللَّه ومجالسته فقط .

أما الرغبة في دخول الجنة والخوف من الدخول في النار فإنهم يترفعون عن ذلك ويرون أن هذا من الأمور التي تليق بالعوام فقط أما الخواص فلا ينبغي لهم النزول إلى هذه الدرجة التي يراها الصوفية درجة منحطة .

ولم يقفوا عند هذا الحد بل ادعوا بأن العذاب سمي عذابًا لعذوبته وهذا المعتقد الفاسد أدى بهم إلى الاستهانة بأوامر اللَّه ونواهيه وإليك الآن ما يدل على هذا المعتقد الفاسد من بطون كتبهم وأفواه مشائخهم الكبار .

نماذج من مقالات الصوفية تبين معتقدهم تجاه الجنة والنار والخوف والرجاء :

يعتقد الصوفية أن للعارفين مقامًا يجاوز مقام الجنة إلى مجالسة الرحمن

الدائمة ويدعون أن هذا المقام لا يناله عموم الناس الذين يطلقون عليهم العوام وإنما ينال هذا المقام الخواص ويعنون بهذا كل من انخرط تحت الطرق الصوفية .

يقول أبو حامد الغزالي :

« فمن كان حبه في الدنيا رجاء نعيم الجنة والحور العين مكن من الجنة ليتبوأ منها حيث يشاء فيلعب مع الولدان ويتمتع بالنسوان فهناك تنتهي لذته في الآخرة. . . فالأبرار يرتعون في البساتين ويتنعمون في الجنان مع الحور العين والولدان .

والمقربون ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالإضافة إلى ذرة منها .فقوم بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون . وللمجالسة أقوام آخرون »[1] .

وقال الغزالي أيضًا :

« وأغلب البواعث باعث البطن والفرج وموضع قضاء وطرهما الجنة فالعامل لأجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالأجير السوء ودرجته درجة البله ،

وأما عبادة ذوي الألباب فإنها لا تجاوز ذكر اللّٰه تعالى والفكر فيه حبًا لجماله وجلاله وهؤلاء أرفع درجة من الالتفات إلى المنكوح والمطعوم في الجنة فإنهم لم يقصدوها بل هم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه . . . ويسخرون ممن يلتفت إلى الحور العين »[2] .

من خلال كلام الغزالي السابق يتضح لنا أنه يعتبر الجنة موضعًا لقضاء

---

(١) « إحياء علوم الدين » (٤/ ٣٣٥) .

(٢) « إحياء علوم الدين » (١/ ١٠٨) .

الوطر والتمتع بالمطعوم والمنكوح ولذا فـإن النفـوس الشهوانية البهيمية التي تستعظم أموراً كهذه وتلهث في طلبها عمياء عن رؤية اللّٰه تعالى ومجالسته ولذلك أشار الغزالي إلى عمى قلوب هؤلاء عن أبصار جلال اللّٰه ومجالسته وهذا المعتقد الفاسد وقع فيه الغزالي بسبب بعده عن الكتاب والسنة ووقوعه في حبائل المتصوفة وإلا لو رجع إلى الكتاب والسنة وفهم معناهما الفهم الصحيح لعلم أن أهل الجنة يرون ربهم في الجنة وهذا أمر معروف معلوم لدى عوام المسلمين الذين سلموا عن التدنس بالفكر الصوفي المنحرف فضلاً عن العلماء لأن معرفته ضرورة عقدية يتحتم على كل مسلم معرفته فكيف خفي هذا الأمر على الغزالي الذي يصفه البعض بأنه حجة الإسلام ؟! ولكن أظن أن التصوف هو الذي أوصله إلى هذه الجهالة وليس هذا بغريب لأن من شرط الاعتناق للتصوف إلقاء علمي الكتاب والسنة والعقل أيضًا والدخول فيه كالأعمى يساق حيث أراد سائقه وليس له الاعتراض عليه وإلا فبماذا نفسر هذا الكلام الذي استهزأ فيه الغزالي بنعيم الجنة التي أعدها اللّٰه لعباده المؤمنين المتقين والتي رغب فيها في كتابه وأمر أن يعمل العاملون لأجلها .

ويعتبر الغزالي أن الجنة وما فيها من نعيم لا تليق إلا بالبله أما العارفون فلا تساوي عندهم شيئًا بما فيها من نعيم وإليك نص كلامه :

فقد قال : « وأما العارف إذا انفتح له ثمانية أبواب من أبواب جنة المعارف واعتكف فيها ولم يلتفت أصلاً إلى جنة البله . . وإياك أن تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير فتكون من حملة البله . . ولا تظن أن روح العارف من الانشراح في رياض المعرفة وبساتينها أقل من روح من يدخل الجنة التي يعرفها ويقضي فيها شهوة البطن والفرج وأن يتساويا بل لا ينكر

أحد أن يكون في العارفين من رغبته في فتح أبواب المعارف لينظر في ملكوت السماء والأرض وجلال خالقها ومدبرها أكثر من رغبته في المنكوح والمأكول والملبوس . . ولعل تمتع البهائم بالمطعم والمشرب والمنكح يزيد على تمتع الإنسان »[1] .

كلام الغزالي السابق الاستهزاء بالجنة ونعيمها واضح فيه وهذا يوضح لنا مدى استهانة المتصوفة بوعد اللَّه ووعيده وذلك لأن اللَّه سبحانه وتعالى وعد عباده المؤمنين بالجنة ونعيمها فالاستهزاء بها يعتبر استهزاءً بوعده سبحانه والاستهزاء بوعده يعتبر استهزاءً به والاستهزاء باللَّه يعتبر كفرًا به كما في قوله تعالى في حكمه علي الذين استهزءوا باللَّه ورسوله وآياته : ﴿**قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾[2] .

وهذا صوفي آخر يسمى ممشاد الدنيوري يزعم بأن الجنة عرضت عليه مرات عديدة ولكنه زهد عنها تقليلاً لشأنها وهذا نص كلامه :

قال : « منذ ثلاثين سنة تعرض عليّ الجنة بما فيها فما أعرتها طرفي»[3] .

وهذا صوفي آخر يزعم أن الجنة لا تساوي عنده جناح بعوضة وهو إبراهيم بن أدهم الذي يعتبر من أوائل الصوفية ومشائخهم الكبار وهذا نص كلامه :

---

(١) « جواهر القرآن » للغزالي (ص٤٤ ـ ٤٩) باختصار.

(٢) التوبة : (٦٥) .

(٣) « الإحياء » (٤/ ٣٦٠) .

قال : « إلهي إنك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة في جنب ما أكرمتني من محبتك وآنستني من ذكرك »[1] .

وقيل لرابعة العدوية : « ألا تسألين اللَّه الجنة ؟ فقالت : الجار ثم الدار »[2] .

وذكر الغزالي عن بعض المتصوفة ولم يذكر اسمه أنه قال :

« من عبد اللَّه لعوض فهو لئيم »[3] .

وقال الشبلي :

« أوحى اللَّه تعالى إلى داود عليه السلام : يا داود ذكري للذاكرين وجنتي للمعطين وزيارتي للمشتاقين »[4] .

وهكـــذا كما نرى عبارات المتصوفة التي أوردتها عنهم ومن بطون كتبهم نرى بوضوح أن الشيطان زين للمتصوفة القول بأنهم يعبدون اللَّه لأنه يستحق العبادة فقط وأن طلب الجنة يساوي عندهم نقصانًا في التوحيد فصرفهم بذلك عن طلب أعظم ما وعد اللَّه به عباده بدعوى المحبة الإلهية والإخلاص في التعبد والتجرد في طلب عبادة اللَّه دون طلب شيء آخر وظنوا أن طلب الجنة مناف للإخلاص ومضاد للمحبة وهذا اعتقاد فاسد وباطل لأنه يتناقض مع ما جاء في الكتاب والسنة من أن العبادة الحقة هي التي يقوم بها العبد رغبًا في ثواب اللَّه وجنته وخوفًا من عذاب اللَّه بما في ذلك الخوف من النار قال تعالى : ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا**

---

(١) « الإحياء » (٤/ ٣٦٠) .

(٢) « ميزان العمل » للغزالي (ص٦٨) وكذلك « الإحياء » (٤/ ٣٣١) .

(٣) « ميزان العمل » للغزالي (ص٦٨) .

(٤) « الإحياء » (٤/) .

لَنَا خَاشِعِينَ﴾[1] .

وقد كان ﷺ أحب الخلق إلى اللَّه وأخلصهم له ومع ذلك فقد كان ﷺ يسأل اللَّه أن يدخله الجنة ويعيذه من النار وهذا أمر ثابت في السنة النبوية الصحيحة .

والمتصوفة إذا نظرنا في أحوالهم فإننا نلاحظ بأن موازين العبادة قد اختلت عندهم وذلك لزعمهم بأنهم يعبدون اللَّه لأنه يستحق العبادة فقط وأنهم لا يرجون من وراء ذلك لا ثوابًا ولا عقابًا بما في ذلك الجنة والنار.

ويزعم المتصوفة بأن الإخلاص للَّه في العبادة لا يتحقق إلا إذا مات عامل الرجاء والخوف عندهم وهما ميزانان رئيسيان من موازين العبادة حتى يصل الواحد منهم إلى مرحلة لا يرجو فيها جنة ولا يخاف ناراً ولا يبتغي ثوابًا ولا يحذر عقابًا .

ومما يدل على هذا قول أبي يزيد البسطامي وهو يستهزئ بالنار التي أعدها اللَّه للكافرين :

يقول : « ما النار لأستندن إليها غداً وأقول اجعلني فداءا لأهلها وإلا بلعتها ما الجنة لعبة صبيان ومراد أهل الدنيا »[2] .

وفي قول أبي يزيد البسطامي هذا الاستهزاء بوعد اللَّه ووعيده واضح جداً ولا يحتاج إلى بيان أو إيضاح وهذا أمر خطير جداً يؤدي بصاحبه إلى الكفر.

ولم يكتف البسطامي بزهده في الجنة وعدم مبالاته بعذاب النار فحسب وإنما صرح بأنه يزهد في كل ما خلقه اللَّه في السماوات والأرض .

---

(١) الأنبياء : (٩٠) .

(٢) « ميزان الاعتدال » للذهبي (٢/٢٤٦) .

حيث يقول : « أدخلني اللَّه في الفلك الأسفل فدورني في الملكوت السفلي وأراني الأرضين وما تحتها إلى الثرى ثم أدخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السماوات وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش أوقفني بين يديه فقال : سلني أي شيء رأيته حتى أهبه لك ؟ فقلت : يا سيدي ما رأيت شيئًا أستحسنه فأسألك إياه »[1] .

في كلام أبي يزيد البسطامي السابق زهده في كل ما في هذا الكون حتى الجنة واضح فيه لأنه لا يراها حسنة لأن الجنة لا تساوي شيئًا عند المتصوفة.

وهذا محيي الدين بن عربي الصوفي المعروف الذي يطلق عليه المتصوفة الكبريت الأحمر والشيخ الأكبر فقد زعم بأنه ليس هناك فرق بين الجنة والنار بل كلاهما واحد يتساويان في تنعم من دخلهما على السواء وليس أهل الجنة في نعيم وأهل النار في جحيم كما أخبرنا اللَّه في كتابه ورسوله في سنته وهذا معتقد خطير جدًا مضاد لما جاء في الكتاب والسنة وهذا نص كلامه فقد قال :

وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم ... على لذة فيها نعيم مباين

نعيم جنان الخلد فالأمر واحد ... وبينهما عند التجلي تباين

يسمى عذابًا من عذوبة طعمه ... وذلك كالقشر والقشر صاين[2]

وقد جعل ريح العذاب بمعنى الراحة والعذوبة كتفسيره لقوله تعالى: ﴿ **بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[3] .

قال : إن الريح هنا إشارة إلى ما فيها من الراحة فإن بهذه الريح أراحهم من هذه الهياكل المظلمة . . . ، وفي هذه الريح عذاب أي أمر يستعذبونه إذا

---

(١) « الإحياء » للغزالي فصل حكايات المحبين (ص٣٧٥) .

(٢) « فصوص الحكم » لابن عربي (ص٩٤) .

(٣) الأحقاف : (٢٤) .

ذاقوه »[1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر عن محيي الدين بن عربي هذه الأبيات :

« ولهذا قال بعض أصحابنا لبعض أتباع هؤلاء لما أثاروا محنة أهل السنة التي انتصر فيها الملاحدة ، قال له اللَّه يذيقكم هذه العذوبة وهذا المذهب قد حكاه أصحاب المقالات كالأشعري في مقالاته عن طائفة من سواد أهل الإلحاد سموهم البطيخية وهو مما يعلم بالاضطرار فساده من دين الإسلام »[2] .

وقد قال الحلاج قبل ابن عربي مستهزئًا بوعد اللَّه ووعيده :

أريدك لا أريدك للثـــــواب ولكن أريدك للعقـــــاب[3]

وقد استجاب اللَّه للحلاج دعاءه فمات مصلوبًا أمام جمع كبير من الناس فأصبح عبرة لملاحدة التصوف على مر الدهور والأزمان

وهذه رابعة العدوية تقول مؤكدة عدم مبالاتها بالخوف من اللَّه ورجاء ثوابه :

« ما عبدته خوفًا من ناره ولا حبًا في جنته فأكون كالأجير بل عبدته حبًا له وشوقًا إليه »[4] .

وقال أبو سليمان الداراني :

« إن للَّه عبادًا ليس يشغلهم عن اللَّه خوف النار ولا رجاء الجنة »[5] .

---

(١) « فصوص الحكم » لابن عربي (ص١٠٩) .

(٢) « الصفدية » لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٢٤٦) .

(٣) « تاريخ بغداد » (٨/ ١١٦) .

(٤) « الإحياء » للغزالي (٤/ ٣٢٨) .

(٥) « الإحياء » للغزالي (٤/ ٣٢٨) .

ويقول أبو سليمان الداراني أيضًا :

« الرضا أن لا تسأل اللّه تعالى الجنة ولا تستعيذ به من النار »[1] .

ويقول الغزالي مبينًا مقصد المتصوفة من عبادتهم للّه إن كانت لهم عبادة !!!

فمقصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط فهي قرة العين التي لا تعلم نفس ما أخفي لهم منها وإذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقًا بنعيمها .

فلو ألقي في النار لم يحس بها لاستغراقه .

ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت إليه لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية »[2] .

ويعتقد المتصوفة أن الخوف من عقاب اللّه ورجاء ثواب اللّه يليق بالعامة من الناس ويعنون بهم من لم ينخرط في سلك المتصوفة أما الخاصة وهم المندرجون تحت طريقة من الطرق الصوفية فلا يليق بهم ذلك .

وذلك لأن المتصوفة يزعمون بأن تخويف العوام من الناس وترغيبهم بالجنة وبثواب اللّه أصلح لهم لأن العوام دائمًا أقرب إلى التكاسل والإهمال وعلى هذا فالخوف عند المتصوفة هو سوط اللّه الذي يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من اللّه »[3] .

---

(١) « الرسالة القشيرية » (٢/ ٤٢٥) .

(٢) « الإحياء » للغزالي (٤/ ٣٢٨) .

(٣) « الإحياء » للغزالي (٤/ ١٦٥) .

وقد قسم الغزالي الخوف إلى قسمين وهما :

القسم الأول : خوف من عقاب اللَّه وهذا خوف عموم الخلق.

القسم الثاني : خوف من الحجاب عن اللَّه ورجاء القرب منه وهذا المقام أعلى»[1] .

وقد قسم الغزالي أيضًا الطالبين إلى ثلاث مراتب فقال :

المرتبة الأولى : من يرغب في ثوابه الموصوف له في الجنة أو عقابه الموعود له في النار وهذه الرتبة للعامة وهم الأكثرون .

المرتبة الثانية : رجاء حمد اللَّه ومخافة ذمه أي حمداً أو ذمًا في الحال من جهة الشرع وهذه منزلة الصالحين وهي أولى من الأولى بكثير .

المرتبة الثالثة : وهي مرتبة من لا ينبغي إلا التقرب إلى اللَّه تعالى وطلب مرضاته وابتغاء وجهه والالتحاق بزمرة المقربين إليه زلفى من ملائكته وهو درجة الصديقين والنبيين ولذلك قال تعالى : ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾[2] .

ثم قال الغزالي :

« ولما كان العقل الضعيف لا يقف على كنه هذا المعنى وأكثر العقول ضعيفة خلق اللَّه الجنة والنار ووعد الخلق بهما زاجرًا وحثًا وأطنب في وصفهما »[3] .

من خلال كلام الغزالي السابق يتضح لنا بأن المتصوفة يعتبرون الحرص

---

(١) « الإحياء » للغزالي (٤/ ١٧٦) .

(٢) الكهف : (٢٨) .

(٢) « ميزان العمل » للغزالي (ص٦٨ ـ ٦٩) .

على دخول الجنة والخوف من دخول النار شيء يليق بالعامة فقط أما الخاصة فلا ينبغي لهم الرغبة في دخول الجنة والخوف من دخول النار لأن هذا يعتبر عند المتصوفة نقصًا في التوحيد .

وكذلك يظهر لنا اعتقاد المتصوفة تجاه الجنة والنار والذي يتمثل في اعتقادهم بأن الجنة والنار ما خلقهما اللَّه إلا لضعاف العقول أما كاملو العقول وهم المتصوفة فلا ينبغي لهم الالتفات إلى وعد اللَّه بالجنة ووعيده بعذاب النار لأن هذا لا يساوي عندهم شيئًا .

والخلاصة أن المتصوفة يعتقدون أن الجنة والنار خلقهما اللَّه لضعاف العقول حتى يعملوا الأعمال الصالحة خوفًا من عقابه ورغبة في ثوابه أما هم أي المتصوفة فإنهم يترفعون أن يعبدوا اللَّه خوفًا من عذابه أو رغبة في ثوابه بل الذي يهمهم هو مجالسة اللَّه سبحانه أما الجنة والنار فلا تساوي عندهم شيئًا .

ولم يقفوا عند هذا الحد بل زعم بعضهم إلى أنه ليس هناك جنة ونار وليس هناك معذب ومنعم وإنما الجميع منعم وسمى العذاب عذابًا لعذوبة طعمه .

وقالوا أيضًا : إن عبادة اللَّه رغبًا ورهبًا إنما هي من درجة العوام البله فلا ينبغي للمتصوفة النزول إلى هذه الدرجة وقد ادعى بعضهم كما ذكرناه سابقًا بأنه يستطيع أن يطفئ النار ويقدم نفسه فداءً للعصاة حتى يريحهم من العذاب وهذه كلها إلى جانب كونها عقائد فاسدة فهي استهزاء بوعد اللَّه ووعيده سبحانه وتعالى وأخيرًا أقول إنه لا يمكن أن يقول الكلام الذي قاله المتصوفة تجاه الجنة والنار والخوف والرجاء من في قلبه مثال ذرة من إيمان

بالله وبرسوله وبكتابه ولكن القوم فرغت قلوبهم عن الوحي فأصبحت مريضة بحيث أصبحت لا تفرق بين الكفر والإيمان والحق والباطل .

وبما أن هذا المعتقد الصوفي تجاه الجنة والنار والخوف والرجاء واضح بطلانه للجميع ما أظنه يحتاج إلى الرد ولكن من باب إكمال الفائدة أريد أن أرد عليهم بإيجاز شديد جداً في المطلب الآتي :

المطلب الثاني

بيان بطلان المعتقد الصوفي تجاه الجنة والنار والخوف والرجاء

أولاً نقول إن زعم الصوفية بأنهم يعبدون اللّه حبًا له ولأنه يستحق العبادة فقط وأنهم لا يبالون بعذابه ونعيمه الذي أعده اللّه لعباده يوم القيامة يعتبر اعتقاداً فاسداً لأنه يتصادم مع ما جاء في الكتاب والسنة وذلك إذا نظرنا فيهما نجد أن عبادة اللّه رغبًا ورهبًا لا تنافي عبادته تعظيمًا له وحبًا وإجلالاً لجنابه سبحانه فإن من تعظيمه العمل على وفق ما شرعه واللّه سبحانه قد تعبدنا بالوعد والوعيد حيث أننا إذا نظرنا في كتاب اللّه نجده مليئًا بالآيات التي تتكلم عن عذاب اللّه الذي أعده للعصاة وعلى رأس ذلك النار والتي أمرنا اللّه سبحانه أن نقي منها أنفسنا وأهلينا في قوله سبحانه : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾[1] .

وكما أن القرآن مليء بالآيات التي تتكلم عن وعيد اللّه للكافرين

---

(١) التحريم : (٦) .

والعصاة فكذلك مليء بالآيات التي تتكلم عن وعد اللَّه سبحانه لعباده المؤمنين بالثواب الجزيل والدخول في الجنة والنعيم المقيم .

وعدم اعتبار وعد اللَّه ووعيده يعتبر استخفافًا بأوامر اللَّه ونواهيه ووعده ووعيده واستهانة بما عنده وهذا ليس تعظيمًا للَّه وإجلالاً كما يزعم المتصوفة وإنما هو استخفاف باللَّه واستهزاء به .

وكيف يكون معظمًا من يسمع قوله تعالى : ﴿ **فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** ﴾[1] ترهيبًا وتخويفًا وتحذيرًا لعباده وقوله تعالى : ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ فلا يبالي بما يخوف اللَّه به عباده ولا يشتهي ولا يعظم النعيم الذي أعده اللَّه لعباده المؤمنين .

وأظن لا يقول بهذا القول إلا الأحمق الجاهل الفارغ قلبه من خشية اللَّه ومن العلم بكتاب اللَّه وسنة رسوله محمد ﷺ وذلك لأن حب المتصوفة للَّه وعبادتهم له لا يمكن أن تكون أعلى من حب الأنبياء وعبادتهم وقد أثنى اللَّه على واحد من الأنبياء فقال سبحانه : ﴿ **وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾[2] .

ففي هذه الآية كما نرى مدح الأنبياء لأنهم يعبدونه رغبة ورهبة وهذا مما يدل على أن عبادة اللَّه رغبة في ثوابه وخوفًا من عقابه من أعلى الدرجة

---

(١) البقرة : (٢٤) .

(٢) : الأنبياء : (٨٩ ـ ٩١) .

وليست من درجة البله والعوام كما يزعم المتصوفة .

وتقوى اللَّه سبحانه وتعالى وتعظيمه لا يمكن أن يتحقق إلا إذا خاف الإنسان مما خوف اللَّه منه سبحانه قال تعالى : ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[1] .

وهذه الآية دليل قاطع في أن الخوف من اللَّه وخشيته من صفات المؤمنين العلماء وليست من درجة العوام والبله كما يزعم المتصوفة .

ثم إن عدم الخوف مما خوف اللَّه منه ليس من صفات المؤمنين وإنما هو من صفات الطغاة المستبدين الذين لا يعطون وزنًا لأوامر اللَّه ونواهيه ومما يدل على هذا قوله تعالى : ﴿**وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا**﴾[2] .

والصوفية يعتبرون من الطغاة لأنهم لا يبالون بعذاب اللَّه ولا يخشون اللَّه وذلك لأنهم يعتبرون أن الخوف من النار والعذاب والرغبة في الثواب والجنة وما فيها من نعيم يعتبر شركًا باللَّه في توحيده وهذا حسب زعمهم الباطل ومعتقدهم الفاسد .

يقول تعالى حاكيًا عن الأقوام الذين عصوا اللَّه فدمرهم : ﴿**وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ**﴾[3] .

وقد أمرنا اللَّه سبحانه وتعالى أن نخشى يوم القيامة وما فيه من الأهوال العظيمة التي يشيب منها الولدان قال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا**

---

(١) فاطر : (٢٨) .

(٢) الإسراء : (٦٠) .

(٣) الذاريات : (٣٧) .

رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[1] .

والخلاصة أن اللَّه سبحانه وتعالى دعانا إلى أن نخشاه ونخافه ونعظمه ونجله ونحبه ونعبده رغبًا ورهبًا وأن الجنة أعدها اللَّه لعباده المؤمنين والنار لعباده الكافرين والعصاة وإن كان العصاة يخرجون منها حيث إنه لا يخلد العاصي في النار.

وأن عدم الخوف من عذاب اللَّه والرغبة في ثواب اللَّه ليس من صفات الكاملين كما يزعم المتصوفة وإنما هو من صفات الطغاة الجبابرة الذين لا يقدرون اللَّه حق قدره لأن الخوف من اللَّه يعتبر أحد أركان الإيمان والإحسان الثلاثة التي عليها مدار مقامات السالكين .

وقد وضح هذا الإمام ابن القيم فقال :

« الخوف أحد أركان الإيمان والإحسان الثلاثة التي عليها مدار مقامات السالكين جميعها وهي الخوف والرجاء والمحبة وقد ذكره سبحانه في قوله : **﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾**[2] .

فجمع بين المقامات الثلاثة فإن ابتغاء الوسيلة إليه هو التقرب إليه بحبه وفعل ما يحبه ثم يقول : **﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾** فذكر الحب والخوف والرجاء .

---

(١) لقمان : (٣٣) .

(٢) الإسراء : (٥٦ ـ ٥٧) .

والمعنى أن الذين تدعونهم من دون اللَّه من الملائكة والأنبياء والصالحين يتقربون إلى ربهم ويخافونه ويرجونه فهم عبيده كما أنكم عبيده فلماذا تعبدونهم من دون اللَّه وأنتم وهم عبيد له .

وقد أمر اللَّه سبحانه بالخوف منه في قوله : ﴿ **فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾[1] فجعل الخوف منه شرطًا في تحقيق الإيمان وإن كان الشرط داخلاً في الصيغة على الإيمان فهو المشروط في المعنى والخوف شرط في حصوله وتحقيقه وذلك لأن الإيمان سبب الخوف الحاصل عليه وحصول المسبب شرط في تحقيق السبب كما أن حصول السبب موجب لحصول مسببه فانتفاء الإيمان عند انتفاء الخوف انتفاء للمشروط عند انتفاء شرطه وانتفاء الخوف عند انتفاء الإيمان انتفاء للمعلول عند انتفاء علته فتدبره » .

ثم قال الإمام ابن القيم :

« والمقصود أن الخوف من لوازم الإيمان وموجباته فلا يختلف عليه ، وقال تعالى : ﴿ **فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ** ﴾[2] .

وقال عن ملائكته الذين قد أمنهم من عذابه : ﴿ **يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾[3] .

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « **إني أعلمكم باللَّه وأشدكم له خشية** »[4] .

---

(١) آل عمران : (١٧٥) .

(٢) المائدة : (٤٤) .

(٣) النحل : (٥٠) .

(٤) « صحيح البخاري » مع الفتح (/٩٢١) .

وكان ﷺ يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء .

وقال تعالى في سورة فاطر : ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾[(١)] فكلما كان العبد بالله أعلم كان له أخوف .

قال ابن مسعود : « وكفى بخشية اللَّه علمًا » .

ونقصان الخوف من اللَّه إنما هو لنقصان معرفة العبد به فأعرف الناس أخشاهم للَّه ومن عرف اللَّه اشتد حياؤه منه وخوفه له وحبه له وكلما ازداد معرفة ازداد حياء وخوفًا وحبًا فالخوف من أجل منازل الطريق وخوف الخاصة أعظم من خوف العامة وهم إليه أحوج وهو بهم أليق ولهم ألزم فإن العبد إما أن يكون مستقيمًا أو مائلاً عن الاستقامة .

فإن كان مائلاً عن الاستقامة فخوفه من العقوبة على ميله ولا يصح الإيمان إلا بهذا الخوف وهو ينشأ من ثلاثة أمور :

أحدها : بالجناية وقبحها .

والثاني : تصديق الوعيد وإن اللَّه رتب على المعصية عقوبتها .

والثالث : أنه لا يعلم لعله يمنع من التوبة ويحال بينه وبينها إذا ارتكب الذنب فبهذه الأمور الثلاثة يتم له الخوف وبحسب قوتها وضعفها تكون قوة الخوف وضعفه »[(٢)] .

وقال الإمام ابن القيم رادًا على المتصوفة الذين قالوا إن العذاب سمي عذابًا لعذوبته :

---

(١) فاطر : (٢٨).

(٢) « طريق الهجرتين » لابن القيم (ص٢٨٢) .

قال : « هذا الكلام ونحوه من رعونات النفس ومن الشطحات التي يجب إنكارها فمن ذا الذي جعل وعيد اللّه وعداً وعقابه ثواباً وعذابه عذباً وهل هذا إلا إنكار لوعيده وعذابه في الحقيقة وأي عذاب أشد من عذابه نعوذ باللّه منه قال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾[(١)] .

وقال تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾[(٢)] .

وهذا أظهر في كل ملة من أن يحتاج إلى الاستدلال عليه وإنما ينسب هذا المذهب إلى الملاحدة من القائلين بوحدة الوجود .

ثم أورد أبيات ابن عربي التي يدعي فيها بأن العذاب سمي عذاباً لعذوبة طعمه .

فقال تعليقاً عليها : « فهذا القائل خط على تلك النقطة التي نقطها أبو العباس[(٣)] ولعل الكلامين من مشكاة واحدة وهذا مباين للمعلوم بالاضطرار من دين الرسل وما أخبرت به عن اللّه وأخبر به على لسان رسوله ﷺ . . . .

ثم قال ابن القيم في كلام ابن العريف وابن عربي :

« وهذا خيال فاسد وتقدير في النفس وإلا فالحقيقة الخارجية تكذب

---

(١) الحج : (٢) .

(٢) الفجر : (٢٥ ـ ٢٦) .

(٣) هو أبو العباس أحمد بن محمد الصنهاجي الأندلسي المعروف بابن العريف المتوفى (٥٣٦هـ) كما جاء في « كشف الظنون » عند التعريف بكتابه « محاسن المجالس » وهو من الذين رد عليهم ابن القيم رداً مفحماً في « طريق الهجرتين » .

هذا الخيال الباطل بل لو صب عليه أدنى شيء من عذابه لصاح واستغاث وطلب العفو والعافية وحكمة اللّٰه تقتضي تعجيز هذه النفوس الجاهلة الرعناء الحمقاء بأدنى شيء يكون من الألم والوجع حتى يتبين لها دعاويها الكاذبة وشطحها الباطل وهذا سيد المحبين وسيد ولد آدم استعاذته باللّٰه من عذابه وبلائه وسؤاله العافية ومعافاته معلومة في أدعيته وتضرعه إلى ربه وابتهاله إليه في ذلك وهي أكثر وأشهر من أن تذكر هنا وإن ما في سيد المحبين أسوة وقدوة ولكن ابتلي كثير من أهل الإرادة بالشطح كما ابتلي كثير من أهل الكلام بالشك والمعافى من عافاه اللّٰه من هذا وهذا فنسأل اللّٰه عافيته ومعافاته»[1] .

وكما سبق لنا في المطلب الأول فقد زعم المتصوفة بأنهم يسعون للوصول إلى رؤية اللّٰه ومجالسته ولذلك فإن الجنة والنار لا تساوى عندهم شيئًا لأنهم حريصون على رؤية اللّٰه .

ونحن نقول لهم: نعم إن رؤية اللّٰه تعتبر أعظم نعمة أعدها اللّٰه سبحانه وتعالى ليكرم بها خواص عباده في دار كرامته وهم المؤمنون عامة الذين آمنوا باللّٰه وبما جاء عن اللّٰه على مراد اللّٰه وبما جاء عن رسول اللّٰه ﷺ على مراد رسول اللّٰه ﷺ من غير أن ينكروا من ذلك شيئًا بأرائهم وأهوائهم كما فعلت كثير من الطوائف الضالة كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة .

* ومن الآيات التي تدل على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بعد دخولهم الجنة قول اللّٰه سبحانه وتعالى : ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾[2] .

---

(١) « طريق الهجرتين » لابن القيم (ص٢٨٩) .

(٢) القيامة : (٢٢ ـ ٢٣) .

فهذه الآية لو سلمت من تحريف المحرفين وتدبرها مؤمن سليم الفطرة يجدها تنادى نداءً صريحًا بأن اللَّه تعالى يراه المؤمنون عيانًا بالأبصار يوم القيامة .

ومن أقوى الأدلة التي تدل على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بعد دخولهم الجنة قول اللَّه عز وجل : ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[1] .

ومفهوم المخالفة أن العقوبة التي يعاقب اللَّه تعالى بها الكفار يوم القيامة أنه يحجبهم عن رؤيته وإذا كان كذلك فإن من أعظم نعم اللَّه على المؤمنين أنهم يرونه عيانًا ويسمعون كلامه سماعًا إذ لو لم يروه المؤمنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضًا محجوبين عنه تعالى .

قال الإمام المزني وهو من كبار أصحاب الإمام الشافعي :

« سمعت الشافعي يقول في قوله تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فيها دليل على أن أولياءه يرون ربهم يوم القيامة » .

وقال الربيع بن سليمان :

« حضرت محمد بن إدريس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها : ما تقول في قول اللَّه عز وجل : ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ » .

فقال الشافعي :

« لما حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضى » .

---

(١) المطففين : (١٥) .

قال الربيع :

« فقلت للشافعي : يا أبا عبد اللّه وبه تقول قال : نعم وبه أدين اللّه».

ثم قال الشافعي وهو يؤكد هذا المعنى :

«ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى اللّه لما عبد اللّه عز وجل»[1].

وهناك آيات أخرى كثيرة تدل على إثبات لقاء اللّه ورؤيته وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] .

وقوله : ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ﴾[3] .

وقوله سبحانه : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾[4] .

وقوله سبحانه : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[5] .

وقد ثبت في أحاديث كثيرة صحيحة أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة عيانًا بأبصارهم بعد دخولهم الجنة وقد قال الإمام ابن القيم أن الأحاديث التي تتكلم عن إثبات رؤية اللّه وصلت إلى حد التواتر وقد سرد منها ثلاثين حديثًا مرفوعًا بين صحيح وحسن وكثير من الأحاديث التي ذكرها في كتابه مخرجة في الصحيحين .

* ومن الأحاديث الصحيحة المرفوعة التي تدل على إثبات رؤية

---

(١) « حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح » لابن القيم (ص١٥٨) .

(٢) البقرة : (٢٢٣) .

(٣) البقرة : (٤٦) .

(٤) الأحزاب : (٤٤) .

(٥) الكهف : (١١٠) .

المؤمنين اللَّه يوم القيامة ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنهما أنهما قالا : إن الناس قالوا : يا رسول اللَّه هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول اللَّه ﷺ : « **هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر** » قالوا: لا يا رسول اللَّه قال : « **هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب** » قالوا : لا قال : « **فإنكم ترونه كذلك** »[1] .

* ومن الأحاديث التي تدل على إثبات رؤية المؤمنين اللَّه سبحانه وتعالى ما رواه جرير بن عبد اللَّه البجلي رضي اللَّه عنه ولفظه : كنا جلوسًا عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال : « **إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا** »[2] .

إذا نظرنا في الحديثين السابقين نرى أنهما يدلان دلالة صريحة على أن المؤمنين كلهم يرون ربهم يوم القيامة وذلك لأن رؤية اللَّه تعتبر من أعظم النعم التي ينعم اللَّه بها على عباده ومن هنا نقول إن ادعاء المتصوفة بأنهم يعبدون اللَّه لأنه يستحق العبادة فقط ولا يرجون من وراء هذه العبادة لا جنةً ولا نارًا بل الذي يهمهم هو رؤية اللَّه ومجالسته فقط أما الجنة فلا تساوي عندهم جناح بعوضة والنار لا يخافون منها لأن أحدهم يستطيع إطفاءها بمرقعته أو يستند إليها فيقدم نفسه فداءً للعاصين ويريحهم منها .

نقول : إن رؤية اللَّه لا يشترط لها استغناء الإنسان عن طلب دخول الجنة وذلك لأنه ثبت أن المؤمنين كلهم يرون ربهم بعد دخول الجنة ولهذا

---

(١) « صحيح البخاري » مع الفتح (١٣/ ٤١٩) .

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (٢/ ٣٣) .

نقول إن دخول الجنة يستلزم رؤية اللَّه سبحانه وتعالى وليس هناك بينهما تضاد حتى يزهد الإنسان في طلب الجنة وبهذا يظهر بطلان دعوى المتصوفة أنهم يزهدون في الجنة حرصًا على رؤية اللَّه ومجالسته .

وإليك هذه الأبيات التي صور فيها الإمام ابن القيم يوم اللقاء أروع تصوير وأصدقه اعتمادًا على ما في كتاب اللَّه وسنة رسوله الصحيحة حيث قال رحمه اللَّه :

فبينما هم في عيشهم وسرورهم ... وأرزاقهم تجري عليهم وتقسم
تجلى لهم رب السماوات جهرة ... فيضحك فوق العرش ثم يسلم
سلام عليكم يسمعون جميعهم ... بآذانهم تسليمه إذ يسلم
يقول سلوني ما اشتهيتم فكل ما ... تريدون عندي إني أنا رحيم أرحم
فقالوا جميعًا نحن نسألك الرضا ... فأنت الذي تولي الجميل وترحم
وللَّه أفراح المحبين عندما ... يخاطبهم من فوقهم ويسلم
وللَّه أبصار ترى اللَّه جهرة ... فلا الضيم يغشاها ولا هي تسأم
فيا نظرة أهدت إلى الوجه نضرة ... أمن بعدها يسلو المحب المتيم
فحي على جنات عدن فإنها ... منازلك الأولى وفيها المخيم
وللَّه واديها الذي هو موعد الـ ... مزيد لوفد الحب لو كنت منهم
وحي على يوم المزيد الذي به ... زيارة رب العرش واليوم موسم
ولكننا سبي العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلم[1]

(١) « حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح » لابن القيم (ص ٧ ـ ٩) .

الباب الخامس

أهم الآثار السيئة التي نشرها الصوفية في الأمة الإسلامية وأساليب مقاومة الزحف الصوفي

وتحته فصلان :

الفصل الأول : أهم الآثار السيئة التي نشرها الصوفية في الأمة الإسلامية .

الفصل الثاني : أساليب مقاومة الزحف الصوفي.



الفصل الأول

أهم الآثار السيئة التي نشرها الصوفية في الأمة الإسلامية

وتحته أربعة مباحث :

المبحث الأول : انتشار الوثنية والشرك .

المبحث الثاني : تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحياة العامة .
(وتحته مطلبان)

المبحث الثالث : انتشار الموالد البدعية في الأمة الإسلامية . (وتحته ثلاثة مطالب)

المبحث الرابع : انتشار الأذكار والأدعية والصلوات المبتدعة وإعراض الناس بسببها عن تلاوة القرآن الكريم وذكر اللَّه بما ورد في الكتاب والسنة. (وتحته مطلبان)



الفصل الأول

أهم الآثار السيئة التي نشرها الصوفية في الأمة الإسلامية

*** تمهيد :**

لقد نشر الصوفية آثاراً سيئة في الأمة الإسلامية وبما أن ذكر كل هذه الآثار يصعب ذكرها نريد أن نذكر أهم الآثار التي نشروها في الأمة الإسلامية.

وأهم هذه الآثار تتلخص فيما يلي :

فمثلاً غلو الصوفية في الأولياء أدى بهم إلى بناء القباب والمساجد على قبورهم ودعوة الناس إلى دعائهم من دون اللَّه وهذا أثر سيء نشره الصوفية في الأمة الإسلامية وهو مشاهد وواضح ولا يمكن إنكاره حيث إننا نشاهد ما من بلد إسلامي إلا وفيه عدة قبور تزار وتصرف لها أنواع من العبادة التي لا يجوز صرفها لغير اللَّه من الدعاء والاستغاثة والذبح وغير ذلك .

وأيضًا أدى غلو الصوفية في الأولياء إلى الاعتقاد فيهم بأنهم فوق الإنكار عليهم وذلك لاعتقادهم بأن الأولياء تحل لهم المحرمات وأنهم لا يفعلون أي فعل إلا بإذن وأمر من اللَّه عن طريق علوم الحقيقة المزعومة وهذا الاعتقاد كان له ولا زال إلى الآن الأثر السيء في الأمة الإسلامية حيث إننا نشاهد في عالمنا الإسلامي الواسع وقوع الصوفية في ارتكاب المحرمات بشتى أصنافها وعدم إنكار المنكر عليهم وذلك لاعتقادهم بأن المشائخ لا ينكر عليهم .

وأدى غلو الصوفية في الأولياء إلى الاعتقاد بأنهم يتلقون علومًا خاصة بهم عن اللَّه سبحانه وتعالى وهذا الاعتقاد كان له ولا زال إلى الآن الأثر السيء في الأمة الإسلامية حيث إن مشائخ الصوفية اخترعوا أذكاراً وأدعية وصلوات من عند أنفسهم وأمروا الناس بتلاوتها ليلاً ونهاراً وهذا الاعتقاد كان له ولا يزال إلى الآن الأثر السيء في الأمة الإسلامية حيث إننا نشاهد في عالمنا الإسلامي على امتداده الواسع كثيراً من أفراد الأمة الإسلامية مشغولين بتلاوة هذه الأذكار المبتدعة مما تسبب عنه الإعراض عن تلاوة كتاب اللَّه عز وجل وذكر اللَّه بما ورد في الكتاب والسنة من الأذكار والأدعية والصلوات على الرسول ﷺ .

وأيضًا أدى غلو الصوفية في مشائخهم إلى اختراع موالد ومناسبات تعقد في كل عام مرة أو أكثر من مرة بل ما أن ينتهي مولد إلا ويدخل موسم مولد آخر وهذه الموالد كان لها ولا زال إلى الآن الأثر السيء في الأمة الإسلامية حيث إنها أصبحت وكراً للإفساد والمفسدين لأنها ترتكب فيها أنواع الفسق والمجون بأنواعه من الاختلاط والزنا واللواط ودعاء غير اللَّه والذبح لغيره والاستغاثة بغيره .

* * *

المبحث الأول

انتشار الوثنية والشرك المتمثل في بناء القباب على القبور وصرف العبادات لأصحابها المدفونين فيها من دعاء واستغاثة ونذور وغيرها

* تمهيد :

إذا نظرنا في العالم الإسلامي من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب نجد أن بناء المساجد على القبور وبناء القباب على قبور الأولياء منتشر فيه انتشاراً واسعًا وواضحًا كل الوضوح وأن كثيرًا من أفراد الأمة الإسلامية في الماضي والحاضر قد وقع في صرف عبادات لأصحاب هذه المساجد والقباب المبنية على القبور حيث توجهوا إليهم بالدعاء والاستغاثة والنذور رغم أن هذه الأشياء عبادات من أجل العبادات التي لا يجوز صرفها لغير اللَّه وبسبب هذه المشاهد وقع كثير من الأمة الإسلامية في الشرك باللَّه.

والذي نشر هذه المشاهد الوثنية من بناء القباب على القبور وبناء المساجد على القبور وصرف عبادات لأصحابها من دون اللَّه هم المتصوفة في الماضي والحاضر فكل من يسير في عالمنا الإسلامي الواسع يجد دعاة التصوف منتشرين في العالم الإسلامي يأمرون الناس ببناء القباب على قبور من يسمونهم أولياء ويأمرونهم ببناء المساجد على قبور الأولياء ثم يأمرونهم بالتوجه إلى أصحاب هذه القبور وطلب ما يحتاجونه منهم ولذا فالصوفية

هم دعاة الشرك في العلام الإسلامي وهم وراء كل انحراف عقدي وخاصة في توحيد الألوهية والربوبية وما وقع في الأمة الإسلامية من انحرافات عقدية بسبب المتصوفة قد وصفه علماء الأمة الإسلامية في مختلف العصور وإليك جملة من أقوالهم التي يصفون فيها انحطاط الأمة الإسلامية وكيف وقعت في أعمال شركية بسبب بناء القباب على القبور وبناء المساجد عليها ولم يقتصر العلماء على وصف ما آلت إليه الأمة بسبب دعاة التصوف وإنما استنكروا ذلك وحذروا منه ووصفوه بأنه شرك باللّه يجب الابتعاد عنه وأكدوا أيضًا بأن بناء القباب على القبور والمساجد عليها كان السبب الرئيسي في وقوع هذه الأمة في انحرافات عقدية خطيرة .

* فمن العلماء الذين تحدثوا عن الآثار السيئة التي نشرها المتصوفة في العالم الإسلامي الشيخ محمد الأنور أحمد البلتاجي فقد قال وهو يذكر ما شاهده من مشاهد وثنية :

« تعالوا بنا إلى مسجد من المساجد التي بنيت فوق الأضرحة في القاهرة أو في مدينة أو قرية لكي نرى ما يفعله الناس عند زيارتهم لهذه الأضرحة ولنعرف الثمرة التي أنتجتها دعوى الصوفية بجواز الاستغاثة بساكني القبور والأضرحة .

أول ما يصدمك تسمية المسجد فهو مسجد الولي الفلاني بعد أن جردوه من صفته بيت من بيوت اللّه وبدلاً من أن تكون المساجد للّه فلا تدعوا مع اللّه أحدًا أصبحت أماكن للدعاء لكل واحد سوى اللّه وسوف نرى في هذه المساجد البدعية ما يذهب بأحلام ذوي الأحلام والعقول .

هذه طائفة من الناس تطوف بالضريح مستلمة لأركانه ملتمسة البركة من

ساكنه وطائفة أخرى تقبل الأعتاب وتتمسح بالضريح .

وهذا واحد يتجه إلى صاحب الضريح بالسؤال والتضرع متذللاً متخشعًا.

وهذه أخرى تستعين بصاحب الضريح على ضرتها أو جارتها التي ظلمتها .

وثالث يطلب من ساكن الضريح الشفاعة له .

ورابع يطلب النجاح .

وخامس يطلب الشفاء من العلل والأسقام .

وسادس يطلب الرواج والربح لتجارته . . . و . . . و . . . ؟!!

بل إن الأمر يصل بالبعض من الناس إلى كتابة العرائض التي يخطون فيها شكاواهم وحاجاتهم ثم يسقطونها في المقصورة المحيطة بالضريح .

والبعض الآخر يرسل شكواه وحاجته بالبريد ويحرص الحرص كله على لصق طابع الدمغة بأعلاها ثم يوجه العنوان إلى شخص ساكن الضريح مقرونًا بألقاب التعظيم والتفخيم اللازمة .

والأدهى من ذلك أن يعنون البعض رسائلهم أي يكتبون العناوين إلى اللَّه تعالى أو رسوله ﷺ عن طريق ساكن الضريح ونتمالك بعض الأنفاس وتجيل النظر في المتوسلين والضارعين والخاشعين فترى أحدهم يدير ظهره للضريح ويستقبل القبلة رافعًا يديه بالدعاء فتتوسم فيه الخير فما زال في بعض الناس بقية من سلامة العقيدة وتدنو منه لتصغى لما يقول حتى يستقر في نفسك الاطمئنان وإذا به يصك سمعك بما يصدمك إذ يقول : اللهم بحق

ساكن الضريح أن تفعل كذا وكذا »[1] .

ويقول البلتاجي متحدثًا عن الأموال التي يقدمها المتصوفة إلى أصحاب الأضرحة على أساس أنها نذور لهم فيقول :

« لا يخلو ضريح في أي مسجد من صندوق للنذور يوضع إلى جوار الضريح وكأنما يدعو الشرك بعضه بعضًا إذ تنتهي عادة مناسك الطواف التي ابتدعها عباد القبور بإيداع بعض الحلي أو الأموال في ذلك الصندوق واهمين أنهم بذلك الفعل ينذرون بالقربى من اللّٰه وينالون بركة ساكن الضريح وبهذا تقضى لهم الحوائج وترفع عنهم الكربات بعد أن أدوا ما افترضوه على أنفسهم من طواف بالقبر والتماس لبركة ساكنه واستشفاع بالمقبور فيه وتقديم النذور والقرابين إليه وعلى ساكن الضريح أن يؤدي بعد هذه المناسك ما هو مطلوب منه وما درى الضالون أنهم بعقيدتهم الزائفة تلك قد خسروا الدنيا والآخرة »[2] .

ويقول الشيخ الصنعاني بعد كلام طويل في هذا الموضوع :

« فإن قلت : هذا أمر عم البلاد واجتمعت عليه سكان الأرض شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا فلا بلدة ولا قرية إلا وفيها قبور ومشاهد وأحياء يعتقدون فيها ويعظمونها وينذرون ويهتفون بأسمائها ويحلفون بها ويطوفون بفناء القبور ويسرجونها ويلقون عليها الورود والرياحين ويلبسونها الثياب ويضعون كل ما يقدرون عليه من العبادة لها وما في معناها من التعظيم والخشوع بل هذه مساجد المسلمين غالبها لا يخلو عن قبر أو مشهد يقصده

---

(١) « اللّٰه توحيد وليس وحدة » للبلتاجي (ص٣٢٤) .

(٢) « اللّٰه توحيد وليس وحدة » للبلتاجي (ص٣٠٢) .

المصلون في أوقات الصلاة يضعون فيه ما ذكر أو بعضه ولا يسع عقل عاقل أن منكراً يبلغ ما ذكرت من الشناعة ويسكت عليه علماء الإسلام ».

ثم قال الصنعاني : « قلت إن أردت الإنصاف وتركت متابعة الأسلاف وعرفت أن الحق ما قام عليه الدليل لا ما اتفق عليه العالم جيل بعد جيل فاعلم أن هذه الأمور التي ندندن حول إنكارها ونسعى في هدم منارها . . . صادرة عن العامة الذين إسلامهم تقليد الآباء بلا دليل ينشأ الواحد منهم فيجد أهل بلدته يلقنونه في الطفولة أن يهتف باسم من يعتقدون فيه ويراهم ينذرون له ويعظمونه ويرحلون به إلى محل قبره ويلطخونه بترابه ويطوفون به حول قبره فينشأ وقد وقر في قلبه عظمة ما يعظمونه فينشأ على هذا الصغير وشاخ عليه الكبير ولا يسمعون إنكاراً عليهم بل ترى من يتسم بالعلم ويدعي الفضل معظمًا لما يعظمونه قابضًا للنذور آكلاً ما ينحر على القبور فيظن أن هذا هو دين الإسلام ولا يخفى على أحد يتأهل للنظر ويعرف بارقة من علم الكتاب والسنة والأثر أن سكوت العالم أو العالم بكسر اللام في الأولى وفتحها في الثانية على وقوع منكر ليس دليلاً على جوازه »[1] .

* ومن العلماء الذين وصفوا انتشار الوثنية والشرك في العالم الإسلامي بسبب بناء القباب والمساجد على القبور الشيخ يوسف القرضاوي فقد قال بعد أن أثبت بأن هذا حذر منه الإسلام أشد التحذير :

« ومما يؤسف له كل مسلم غيور على دينه أن ما حذر منه الرسول ﷺ قد وقع فيه كثير من أهل الإسلام فقد اتخذوا قبور بعض الصالحين اعياداً وشيدوها وزخرفوها وبنوا عليها المساجد والقباب وأوقدوا عليها السرج والقناديل ووقفوا لذلك الوقوف ونذروا لها النذور وطافوا بها كالكعبة

---

(١) « تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد » (ص٥٠٨) ضمن « الجامع الفريد » .

واستلموها كالحجر الأسود وأوسعوا جدرانها لثمًا وتقبيلاً ومنهم من يسجد لها ويعفر الخدود على ترابها ويقف خاشعًا مستكينًا يستغيث بأصحابها يسألهم مشافهة قضاء الديون وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات وشفاء المرضى والنصر على الأعداء وبعضهم يقدم طلباته مكتوبة في رقاع إلى صاحب القبر وهذا من الشرك الصريح ولا حول ولا قوة إلا باللَّه »[1] .

* ومن العلماء الذين وصفوا ما انتشر في العالم الإسلامي من الوثنيات بسبب بناء القباب والمساجد على القبور الشيخ السيد سابق فقد قال :

« وكم نرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها مفاسد يبكي لها الإسلام . . منها اعتقاد الجهلة فيها كاعتقاد الكفار في الأصنام وعظموا ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضر فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج وملجأ لنجاح المطالب وسألوا منها ما يسأل العباد من ربهم وشدوا إليها الرحال وتمسحوا بها واستغاثوا وبالجملة أنهم لم يدعوا شيئًا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه فإنا للَّه وإنا إليه راجعون ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا تجد من يغضب للَّه ويغار حمية للدين الحنيف.

وقد تواتر إلينا الأخبار ما لا يشك معه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف باللَّه فاجراً فإذا قيل له بعد ذلك بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم وأبى واعترف بالحق وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال إنه تعالى ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة »[2] .

---

(١) « حقيقة التوحيد » للشيخ يوسف القرضاوي (ص٦٤) .

(٢) « فقه السنة » للسيد سابق (١/ ٥٤٩) .

* ومن العلماء الذين ذكروا انتشار دعاء غير اللَّه تعالى في العالم الإسلامي الشيخ على محفوظ فقد ذكر : أن الشفاعة لا تكون إلا إذا أذن اللَّه للشفيع ثم ذكر أنه قد يغفل عن هذا العوام فتراهم إذا نزل بهم أمر خطير وخطب جسيم في بر أو بحر تركوا دعاء اللَّه ودعوا غيره فينادون بعض الأولياء كالبدوي والدسوقي وزينب معتقدين أنهم يتصرفون في الأمور ولا تسمع منهم أحدًا يخص مولاه بتضرع ودعاء وقد لا يخطر له على بال أنه لو دعا اللَّه وحده ينجو من تلك الشدائد[1] .

* ومن العلماء الذين وصفوا ما آلت إليه الأمة الإسلامية بسبب بناء القباب والمساجد على القبور من الشركيات الشيخ عبد اللطيف مشتهري فقد تكلم كلامًا طويلاً حول انتشار الشرك والوثنية بسبب هذه المباني المنتشرة في العالم الإسلامي على القبور وإليك نبذة بسيطة من كلامه :

قال : « ومن هذه البدع الضالة التقبيل والاستلام للأضرحة وتقبيل أعتابها هذا كله من الشرك والتعلق بالماديات على حساب الروحانيات . . ».

ثم قال : « وتقديم العرائض والشكاوى للأولياء من البدع الشاذة واللَّه يعلم أن من مات فهو في شغل شاغل بآخرته حيث قال : ﴿**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ**﴾»[2] .

* ومن العلماء الذين وصفوا ما وقعت فيه الأمة الإسلامية من

---

(١) « الإبداع في مضار الابتداع » لعلي محفوظ (ص١٠٤) .

(٢) فاطر : (١٣) والنص منقول من كتاب « هذه دعوتنا » للشيخ عبد اللطيف مشتهري (ص٢٠٨) .

الشركيات بسبب انتشار بناء القباب والمساجد على القبور الدكتور محمد الأنور البلتاجي فقد قال رحمه اللّٰه مبينًا تفوق شرك المتأخرين من المتصوفة وغيرهم من مشركي الجاهلية الأولى الذين بعث إليهم رسول اللّٰه ﷺ :

« وأما المتأخرون من المتصوفة وغيرهم من عباد القبور فحالتهم أدهى وأمر وأشد غلوًا وبعدًا عن إخلاص الدعاء للّٰه تعالى فهم إذا وقعوا في الشدة وأيقنوا بالهلاك وقرب الموت يستغيثون بالولي الفلاني فمثلاً عند التطام الأمواج ينسون دعاء اللّٰه تعالى ولا يخطر في بالهم إلا الاستغاثة بالولي والشيخ الفلاني وهذا الأمر متواتر عنهم تواترًا يقطع أي شبهة على من يحاول الدفاع عنهم بشبهة واهية »[1] .

* ومن العلماء الذين وصفوا ما آلت إليه الأمة الإسلامية من الشركيات بسبب بناء هذه القباب والمساجد على القبور الشيخ حسن بن مهدي النعمي رحمه اللّٰه فإنه قال :

« وطالما شاهدنا عباد أرباب هذه القباب إذا التطمت عليهم أمواج البحر العباب سمعت ذكر الزيلعي والحداد وكل يدعو شيخه عند ذلك الاضطراب إذ لكل طريقة لا ينتحي سواها في الهتف والانتساب »[2] .

* ومن العلماء الذين وصفوا انتشار الشرك في العالم الإسلامي بسبب بناء القباب والمساجد على القبور الإمام الشوكاني فقد ذكر أن هؤلاء المتأخرين وصلوا في الاعتقاد في الأموات إلى حد لم يبلغه المشركون الأوائل في الأموات فإنهم إذا دهتهم الشدائد استغاثوا بالأموات ونذروا لهم

---

(١) « اللّٰه توحيد وليس وحدة » للبلتاجي (ص٣٢٤) .

(٢) « معارج الألباب » (ص٤٣) .

النذور وقل من يستغيث باللَّه سيما في تلك الحال وهذ يعلمه كل من له بحث عن أحوالهم » .

ثم قال الإمام الشوكاني :

« ولقد أخبرني بعض من ركب البحر للحج أنه اضطرب اضطرابًا شديدًا فسمع من أهل السفينة من الملاحين وغالب الراكبين معهم ينادون الأموات ويستغيثون بهم ولم يسمعهم يذكرون اللَّه قط قال : ولقد خشيت في تلك الحال الغرق لما شاهدته من الشرك باللَّه »[1] .

ويقول الشوكاني في مكان آخر من نفس الكتاب بعد أن رد على الذين يسمون دعاء غير اللَّه توسلاً :

« وما عدا ذلك فالأمر فيها أطم وأعم ففي كل قرية حيث يعتقده أهلها وينادونه وفي كل مدينة جامعة منهم حتى أنهم في حرم اللَّه ينادون يا ابن عباس ويا محجوب فما ظنك بغير ذلك فلقد تلطف إبليس وجنوده أخزاهم اللَّه تعالى لغالب أهل الملة الإسلامية بلطيفة تزلزل الأقدام عن الإسلام فإنا للَّه وإنا إليه راجعون »[2] .

وقال المعلق على « الدر النضيد » في الحاشية :

« ومثل هذا ما يسمعه كل أحد عن القبور المشيدة في الديار المصرية يا سيدي ، يا بدوي ، يا دسوقي ، يا بيومي ، يا متبولي ، يا سيدة زينب ، يا سيدة نفيسة وأمثال ذلك »[3] .

---

(١) « الدر النضيد » للشوكاني (ص٦٧) .

(٢) « الدر النضيد » للشوكاني (ص٣٧) .

(٣) « حاشية الدر النضيد » (ص٣٧) .

* ومن العلماء الذين ذكروا انتشار الشركيات في العالم الإسلامي بسبب بناء القباب والمساجد على القبور الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي فقد قال رحمه اللَّه :

« ولقد عمت البلوى بذلك وطمت في كل زمان ومكان حتى في هذه الأمة لا سيما زمننا هذا ما من قبر ولا بقعة يذكر لها شيء من الفضائل ولو كذبنا إلا قد اعتادوا الاختلاف إليها والتبرك بها حتى جعلوا لها أوقاتًا معلومة يفوت عيدهم بفواتها ويرون من أعظم الخسارات أن يفوت الرجل ذلك العيد المعلوم وجعلوا لها طوافًا معلومًا كالطواف بالبيت الحرام وشرعوا تقبيلها كما يقبل الحجر الأسود وشرعوا لها نذورًا من الفرش والنقود ووقفوا عليها الوقوف من العقارات والحرث وغيرها وغير ذلك من شرائعهم الشيطانية وقواعدهم الوثنية »[1] .

* ومن العلماء الذين ذكروا انتشار الوثنية والشرك في العالم الإسلامي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه تعالى فقد قال :

« ومن هؤلاء من يرى أن زيارة قبر النبي ﷺ أفضل من الحج والعمرة إلى الكعبة ودعاء النبي والاستغاثة به أفضل من الاستغاثة باللَّه تعالى ودعائه وكثير من هؤلاء يخربون المساجد ويعمرون المشاهد فتجد المسجد الذي بني للصلوات الخمس معطلاً مخربًا ليس له كسوة إلا من الناس وكأنه خان من الخانات والمشهد الذي بني على الميت عليه الستور وزينة الذهب والفضة والرخام والنذور تغدو وتروح إليه فهل هذا إلا من استخفافهم باللَّه تعالى وآياته ورسوله وتعظيمهم للشرك فإنهم اعتقدوا أن دعاء الميت أنفع لهم من

---

(١) « معارج القبول » للحكمي (١/ ٤٧٥) .

دعاء اللَّه تعالى »[1] .

* ومن العلماء الذين ذكروا انتشار الوثنية والشرك في العالم الإسلامي بسبب بناء القباب والمساجد على القبـور الإمام ابن عقيل فقد قال رحمه اللَّه :

« لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم قال وهم عندي كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى عنه الشرع من إيقاد النيران وتقبيلها وتحليقها وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها يا مولاي افعل بي كذا وكذا وأخذ تربتها تبركًا وإفاضة الطيب على القبور وشدوا إليها الرحال وإلقاء الخرق على الشجر اقتداءً بمن عبد اللات والعزى »[2] .

* ومن العلماء الذين حكوا وقوع كثير من الأمة الإسلامية في دعاء غير اللَّه بسبب الغلو في الصالحين وتشييد القباب والمساجد على قبورهم والمبالغة في تعظيمهم الشيخ صديق حسن خان رحمه اللَّه تعالى فقد وصف ما رآه من حالة الملاحين في رحلته للحج حيث ركب المركب من الحديدة باليمن إلى جدة مع الحجاج وهذا ما قاله :

« ومن العجائب التي لا ينبغي إخفاؤها أن الملاحين إذا ترددوا في أمر المركب من جمود الريح أو هبوبها مخالفة أو شيئًا من الخوف على السفينة وأهلها كانوا يهتفون باسم الشيخ عيدروس وغيره من المخلوقين مستغيثين

---

(١) « الرد على البكري » لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٣٤٩) .

(٢) « إغاثة اللهفان » للإمام ابن القيم (١/ ١٩٥) .

ومستعينين به ولم يكونوا يذكرون اللَّه عز وجل أبدًا ويدعونه بأسمائه الحسنى وكنت إذا سمعتهم ينادون غير اللَّه ويستغيثون بالأولياء خفت على أهل المركب خوفًا عظيمًا من الهلاك وقلت في نفسي : يا للَّه العجب كيف يصل هذا المركب بأهله إلى ساحل السلامة فإن مشركي العرب قد كانوا لا يذكرون آلهتهم الباطلة في مثل هذا المقام وهؤلاء القوم الذين يسمون أنفسهم مسلمين يدعون غير اللَّه ويهتفون بأسماء المخلوقين ؟! ولقد صدق تعالى فيما قال : ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ** ﴾»[1] .

* ومن العلماء الذين تحدثوا عن المفاسد التي وقعت بسبب الغلو في الصالحين وبناء القباب والمساجد على قبورهم ودعائهم من دون اللَّه الإمام ابن القيم الجوزية رحمه اللَّه تعالى فقد تحدث في كتابه « إغاثة اللهفان » حديثًا طويلاً مفصلاً عن عبادة القبور ورد عليهم ردًا مقنعًا وبين بطلان معتقداتهم وفصل ووضح في المفاسد التي ترتبت على الغلو في الصالحين وإليك نبذة بسيطة من كلامه رحمه اللَّه فقد قال :

« ثم إن في اتخاذ القبور أعيادًا من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها إلا اللَّه تعالى ما يغضب لأجله كل من في قلبه وقار للَّه تعالى وغيرة على التوحيد وتهجين وتقبيح الشرك .

فمن مفاسدها اتخاذها أعيادًا للصلاة إليها والطواف بها وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود على ترابها وعبادة أصحابها والاستغاثة بهم وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الدين وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات

---

(١) يوسف : (١٠٦) وانظر في الموضوع « قطف الثمر في عقيدة أهل الأثر » (ص١٠٧ ، ١١٣) وكذلك « رحلة الصديق إلى البيت العتيق » (ص١٧١) .

وغير ذلك من أنواع الطلبات التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم .

فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيداً وقد نزلوا عن الأكوار والدواب إذا رأوها من مكان بعيد فوضعوا لها الجباه وقبلوا الأرض وكشفوا الرءوس وارتفعت أصواتهم بالضجيج وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج ورأوا أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج فاستغاثوا بمن لا يبدي ولا يعيد ونادوا ولكن من مكان بعيد حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر ولا أجر من صلى إلى القبلتين فتراهم حول القبر ركعًا سجدًا يبتغون فضلاً من الميت ورضوانًا وقد ملئوا أكفهم خيبة وخسرانًا فلغير اللَّه بل للشيطان ما يراق هناك من العبرات ويرتفع من الأصوات ويطلب من الميت من الحاجات ويسأل من تفريج الكربات وذوي الفاقات ومعافاة أولي العاهات والبليات ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين تشبيهًا له بالبيت الحرام الذي جعله اللَّه مباركًا وهدى للعالمين ثم أخذوا في التقبيل والاستسلام أرأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود التي يعلم اللَّه أنها لم تعفر كذلك بين يديه في السجود ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن إذ لم يكن لهم عند اللَّه من خلاق وقربوا لذلك الوثن القرابين وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير اللَّه رب العالمين فلو رأيتهم يهنئ بعضهم بعضًا ويقول أجزل اللَّه لنا ولكم أجرًا وافرًا فإذا رجعوا سألهم غلاة المتخلفين إلى البيت الحرام فيقول لا ولو بحجك ألف عام هذا ولم نتجاوز فيما حكيناه عنهم ولا استقصينا جميع بدعهم وضلالهم إذ هي فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال »[1] .

(١) « إغاثة اللهفان » (١/١٩٣) .

* ومن العلماء الذين ذكروا انتشار دعاء غير اللَّه في العالم الإسلامي الشيخ مبارك بن محمد الميلي رحمه اللَّه :

فقد قال : « ألست ترى في أوساطهم قبابًا تبذل في تشييدها الأموال وتشد لزيارتها الرحال أم لست تسمع منهم استغاثات وطلب حاجات من الغائبين والأموات أم لم تعلم تنعت بدور الضمان تشتري ضمانتها بالإيمان أم لم تجتمع بذرية نسب للمرابطين إعطاؤها بقوة غيبية أم لم تتكرر عليك مناظر مكلفين إباحيين يقدسون بصفتهم مرابطين أو طرقيين هذا إلى اجتماعات تنتهك فيها كل الحرمات باسم الزردات أو تحت ستار الاعتقادات والدعوة إلى أوضاع مبتدعة صدت الناس عن اتباع السنة المطهرة والخبير بحياة أهل عصره العالم بأصول دينه لا يتردد في ظهور الشرك وانتشاره وتعدد مظاهره وآثاره والعامي الفطري لو سألته وأفهمته لوجدت عنده الخبر اليقين لإثبات أن أمثاله وما أكثرهم في ضلال مبين هذا إجمال تفصيله فيما بعد من الفصول »[1] .

* ومن العلماء الذين ذكروا ما انحدرت إليه الأمة الإسلامية من انحراف عقدي خطير بسبب الغلو في الأولياء الذي أدى بهم إلى بناء القباب والمساجد على قبورهم والتوجه إليهم بالدعاء والاستغاثة والنذور في أرجاء العلام الإسلامي بلا استثناء : حسين بن غنام فقد قال وهو يصف حالة الناس قبل قيام دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب السلفية التي حولت هذه البلاد السعودية إلى منارة إشعاع لتعليم التوحيد الخالص الصافي المأخوذ من الكتاب والسنة والبعيد عن الفلسفات والبدع وبالتالي انتشر هذا التوحيد الخالص في أرجاء المعمورة وذلك بفضل اللَّه تعالى ثم

---

(١) « الشرك ومظاهره » لمبارك الميلي (ص١٠٨) .

بفضل هذه الدعوة السلفية .

وإليك نماذج مما قاله بإيجاز .

قال : « في مطلع القرن الثاني عشر الهجري كان أكثر الناس قد انهمكوا في الشرك وارتدوا إلى الجاهلية وانطمست بينهم أنوار الإسلام والسنة لذهاب أهل العلم والبصيرة وغلبة أهل الجهل واستعلاء ذوي الأهواء والضلال نبذوا كتاب اللّٰه وراء ظهورهم واتبعوا ما وجدوا عليه آباءهم من الضلال ظانين أنهم أدرى بالحق وأعلم بطريق الهدى .

عدلوا عن عبادة اللّٰه وحده إلى عبادة الأولياء والصالحين من الأموات والأحياء يستغيثون بهم في النوازل والكوارث ويقبلون عليهم في الحاجات والرغبات ويعتقدون النفع والضر في الجمادات كالأحجار والأشجار ويعبدون أهل القبور ويصرفون لهم الدعاء والنذور في حالتي الضراء والسراء سواء زائدين على مشركي الجاهلية الأولى حيث كانوا إذا مسهم الضر لا يدعون إلا اللّٰه مخلصين له الدين أما إذا نجاهم اللّٰه فهم مشركون لكن هؤلاء أحبوا أوثانهم من دون اللّٰه محبة أعظم من محبتهم للّٰه سرت في سويداء قلوبهم وبدت على صفحات وجوههم وألسنتهم وجوارحهم وبذلوا أعمارهم وحياتهم في دفع الحق ومن يبديه وهذا ليس في قطر دون قطر آخر ولكنه في غالب الأقطار كما أنه ليس في أول زمن الشيخ فحسب بل كان بدؤه من قديم حيث التغيير والابتداع والاختلاف بعد زمان رسول اللّٰه وزمان من بعده من أهل القرون الفاضلة ثم تعاقبت العصور وتوالت السنون والغي يزداد والضلال ينتشر حتى جاء من اعتقد أن الدين هو ذلك الضلال والبدع لأنهم وجدوا آباءهم وأجدادهم وأسلافهم عليه فقالوا إنا على آثارهم مقتدون .

وقد نص على ذلك كثير من العلماء في كتبهم المصنفة فيما حدث من البدع والحوادث وما غير من منار الدين وشعائر الإسلام كان في بلدان نجد من ذلك أمر عظيم يأتون عند قبر زيد بن الخطاب في الجبيلة فيدعونه لتفريج الكرب وكشف النوب وكان عندهم مشهوراً بذلك ومذكوراً بقضاء الحوائج .

وكانوا يزعمون أن في قريوت في الدرعية قبور بعض الصحابة فعكفوا على عبادتها وصار أهل تربتها أعظم في صدورهم من اللّٰه .

وفي شعيب غبرياء يزعمون أن فيه قبر ضرار بن الأزور وهو مكذوب يأتون من المنكر عنده ما لا يعهده مثله .

وكان الرجال والنساء يأتون بليدة الندا لفحل النخل الذي فيها ويفعلون عنده أقبح الأفعال ويتبركون به ويعتقدون فيه فكانت المرأة إذا تأخرت عن الزواج تأتيه فتضمه بيديها ترجو أن يفرج عنها كربها وتقول يا فحل الفحول أريد زوجًا قبل الحول ثم ذكر ابن غنام ما يجري في العالم الإسلامي خارج الجزيرة العربية فقال : وأما ما يجري في بلدان مصر وصعيدها من الأمور التي يتنزه الإنسان عن ذكرها خصوصًا عند قبور الصلحاء والعباد كما ذكرها الثقات في نقل الأخبار ورواياتها فأكثر من أن تحصى .

فمنها أنهم يأتون قبر أحمد البدوي وقبور غيره فيستغيثون ويندبون ويسألونهم المدد ويستحثونهم على كشف المصائب ويتداولون بينهم الحكايات ويحكون في محافلهم خرافات من أفحش المنكرات فيقولون فلان استغاث بفلان فسارع إلى إغاثته وفلان شكا لصاحب ذلك القبر حاله فأغاثه وكشف عنه ضره وفلان شكا إليه حاجته فأزال عنه فقره وأمثال هذا الهذيان المليء بالزور والبهتان .

وما يفعل في بلدان اليمن من الشرك والفتن فأكثر من أن يستقصى فمن ذلك ما يفعله أهل شرقي صنعاء بقبر يسمى عندهم الهادي كانوا يغدون عليه جميعًا ويروحون يدعونه ويستغيثون به .

وأما أهل برع فعندهم البرعي وهو رجل يرحل إلى دعوته كل دان وقاص ويؤتى إليه من مسيرة أيام وليال لطلب الإغاثة وشكاية الحال ويقيمون عند قبره للزيارة ويتقربون إليه بالذبائح كما حقق أخباره من شاهدها .

وأما أهل الهجرية فعندهم قبر يسمى علوان وقد أقبل عليه العامة في نوائب الزمان واستغاث به منهم كل لهفان ويسميه غوغاؤهم منجي الغارقين وأغلب أهل البر والبحر منهم يطربون عند سماع ذكره ويستغيثون به وإن لم يصلوا إلى قبره وينذروا له في البر والبحر .

وأما أهل حضرموت والشحر ويافع وعدن فقد ثوى فيهم الغي والضلال عندهم العيدروس يفعل عند قبره من السفه والشرك ما يكفي ذكر مجمله يقول قائلهم : شيء للّه يا عيدروس شيء للّه يا محيي النفوس .

وأما أهل بلدان الساحل فعندهم الكثير .

أهل المخا عندهم الشاذلي أكثرهم يدعوه ويستغيث به ولا تفتر ألسنتهم عن ذكره قعودًا وقيامًا وينتابون تربته وحدانًا وجميعًا .

وأهل الحديدة عندهم الشيخ صديق يعظمونه ويغلون فيه إلى أنه لا يمكن أحد أن يركب البحر أو ينزل منه إلى البر حتى يجيء إليه ويسلم عليه ويطلب منه الإغاثة والمدد فيما أراد .

وأما أهل اللحية فعندهم الزيلعي واسمه عندهم الشمس لأن قبره ليس عليه قبة يصرفون إليه جميع النذور ويعظمونه ويدعونه أشد ما يكون ذلك

عبادة وضراعة .

وفي أرض نجران الطامة المعضلة وهو الرئيس المعروف بالسيد فقد أتى أهل نجران وما يليهم من الأعراب والقبائل من تعظيمه والغلو فيه والاعتقاد الشركي وما أفضى بهم إلى الضلال والإلحاد صرفوا له من أنواع العبادة سهمًا وجعلوا فيه من الألوهية قسمًا حتى كادوا يجعلونه للّٰه ندًا.

وأما في حلب ودمشق وأقصى الشام وأدناه فلا يمكن ضبط قدره بحسب ما يحكيه من يشاهد ذلك أو يراه من العكوف على عبادة القبور وصرف القربان إليها والنذور والمجاهرة بالفسوق والفجور وأخذ المكوس .

وفي الموصل وبلدان الأكراد وما يليها من سائر البلاد وفي العراق عمومًا وفي المشهد وبغداد خصوصًا ما لا يقدر على حصره وتعداده مما يفعل عند قبر الإمام أبي حنيفة ومعروف الكرخي والشيخ عبد القادر الجيلاني من الدعاء والاستغاثة بهم والطلب منهم في سائر الأوقات والأزمان ويحصل من التعظيم والتذلل عندهم والخضوع أعظم مما يصدر بين يدي اللّٰه في الصلاة واشتهر عندهم أن كثيرًا ممن يفعل ذلك وجرب وجد أنهم لقضاء الحوائج ترياق مجرب . . ».

وأخيرًا قال ابن غنام :

« وعلى العموم من رأى أفعال الناس في بلاد المسلمين فيما أشرنا إليه سابقًا وهو عارف بالإيمان تبين له غربة الإسلام في ذلك الزمان »[1] .

* ومن العلماء الذين وصفوا ما انتشر في العالم الإسلامي من الشركيات بسبب الغلو في الأولياء وبناء القباب والمساجد على قبورهم :

---

(١) انظر « روضة الأفكار » لابن غنام (ص١٠ ـ ٢٠) .

الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن فقد قال رحمه اللَّه في نصحية الإمام فيصل بن تركي :

« ومن طاف البلاد وخبر أحوال الناس منذ أزمان متطاولة عرف انحرافهم عن هذا الأصل الأصيل وبعدهم عما جاءت به الرسل من التفريع والتأصيل فكل بلد وكل قطر وكل جهة فيما نعلم فيها من الآلهة التي عبدت من دون اللَّه بخالص العبادات وقصدت من دونه في الرغبات والرهبات ما هو معروف مشهور لا يمكن جحده ولا إنكاره »(١) .

* ومن العلماء الذين ذكروا انتشار دعاء غير اللَّه بسبب الغلو في الأولياء والصالحين : الشيخ عبد اللَّه بن محمد بن حميد فقد قال رحمه اللَّه بعد أن تحدث عن أسباب رؤية الشيخ محمد بن عبد الوهاب للواقع من حوله :

« كل ذلك قد أعطاه النظر الفاحص لما عليه قومه وبنو جلدته ومن جاورهم من البلدان من الانحراف عن طريق الإسلام الصحيح يصل في بعض الحالات إلى الشرك الأكبر المخرج من الملة فقد رأى في تلك المناطق مرتعًا للخرافات والعقائد الفاسدة التي تتنافى مع أصول الدين فكان هناك قبور تنسب إلى بعض الصحابة يقصدها الناس ويطلبون منها حاجاتهم ويستغيثون بها لرفع كربهم وقضاء حاجاتهم وكما انتشرت هذه الخرافات في نجد رأى مثلها في الحجاز وفي البصرة والزبير وسمع مثلها في عدن واليمن»(٢) .

---

(١) انظر « الرسائل والمسائل » للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن (٣/١٥٧) .

(٢) « الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته » للشيخ عبد الرحمن بن حميد مطبوعة ضمن « هداية الناسك » (ص٩١ ـ ٩٢) .

* ومن العلماء الذين ذكروا انتشار الشرك والوثنية في العالم الإسلامي بسبب الغلو في الصالحين وبناء القباب والمساجد على قبورهم : الشيخ عبد اللّٰه بن عبد الرحمن البسام[١] وكذلك المؤرخ حافظ وهبة[٢] .

* ومن المؤرخين المستشرقين الذين وصفوا انتشار الشرك والوثنية في العالم الإسلامي بسبب الغلو في الأولياء : الكاتب الأمريكي لوثروب ستودارد فقد قال وهو يصف العالم الإسلامي بعد حديث طويل في وصف العالم الإسلامي من الناحية السياسية والاجتماعية :

« وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة سجنًا من الخرافات وقشور الصوفية وخلت المساجد من أرباب الصلوات وكثر عدد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات ويرغبون في الحج إلى قبور الأولياء ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور وغابت عن الناس فضائل القرآن فصار يشرب الخمر والأفيون في كل مكان وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين وهبطوا مهبطًا بعد القرار فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر ورأى ما كان يدهى الإسلام لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين كما يلعن المرتدون وعبدة الأوثان »[٣] .

قلت : والعجب كل العجب أن كثيراً ممن يحملون شهادات عليا من

---

(١) انظر « علماء نجد خلال ستة قرون » له (١/٢٨) .

(٢) انظر « جزيرة العرب في القرن العشرين » لحافظ وهبة (ص٣١٩) .

(٣) « حاضر العالم الإسلامي » للكاتب الأمريكي لوثروب ستودارد ترجمة عجاج نويهض (١/٢٥٩ ـ ٢٦٠) .

جامعات إسلامية يجهلون أن هذه الشركيات التي نشرها المتصوفة في العالم الإسلامي مناقضة لما جاء به الإسلام رغم أن هذا الكاتب المسيحي استطاع أن يعرف أن هذه الأعمال التي تمارس في العالم الإسلامي ليست من الإسلام في شيء فإنا للّه وإنا إليه راجعون .

* ومن المستشرقين الذين كتبوا عن انتشار الشرك باللّه من دعاء غيره والذبح لغيره والطواف بقبور الأولياء والصالحين بعد بناء القباب والمساجد على قبورهم المستشرق جوليد زيهر حيث قال :

« بقي كثير من عناصر الديانات السابقة للإسلام واستأنفت حياتها في المظاهر العديدة الخاصة بتقديس الأولياء وفي الحق ليس من شيء خروجًا على السنة القديمة من هذا التقديس المبتدع المفسد لجوهر الإسلام والماسخ لحقيقته وإن السني الصادق الحريص على اتباع السنة لابد أن يعده من قبل الشرك الذي يستثير كراهيته واشمئزازه . . . ».

ثم قال جوليد :

« وأضرحة الأولياء والأماكن المقدسة الأخرى هي موضع عبادتهم التي يرتبط بها أحيانًا ما يظهره العامة من تقديس وثني غليظ لبعض الآثار والمخلفات بل إن العامة تخص الأضرحة ذاتها بما لا يقل عن العبادة المحضة . . . »

ثم قال : « ويخشى الواحد منهم أن يحنث في يمين حلف فيه باسم الولي أكثر مما يحمر خجلاً عندما يحلف باللّه باطلاً »[1] .

---

(١) « العقيدة والشريعة » لجوليد زيهر (ص١٦٢) .

قلت : والحقيقة يقف الإنسان حائرًا حينما يرى هؤلاء المستشرقين يفهمون الإسلام فهمًا دقيقًا مما جعلهم يميزون تمييزًا حقيقيًا بين التوحيد الذي جاء به محمد بن عبد اللَّه من عند اللَّه بل ما جاءت به جميع الرسل منذ بدء الخليقة إلى خاتمهم محمد ﷺ .

ويرى كثيرًا ممن يحملون الشهادة العليا كالليسانس والدكتوراه والماجستير في دراسات إسلامية بل ومتخرجين من جامعات إسلامية لها وزنها في العالم ومع ذلك تراهم لا يفرقون بين التوحيد الخالص والشرك والشواهد على هذا كثيرة ولا حاجة لذكرها هنا لوضوحها لدى الأوساط العلمية التي لها اهتمامات بالدراسات الإسلامية .

* * *

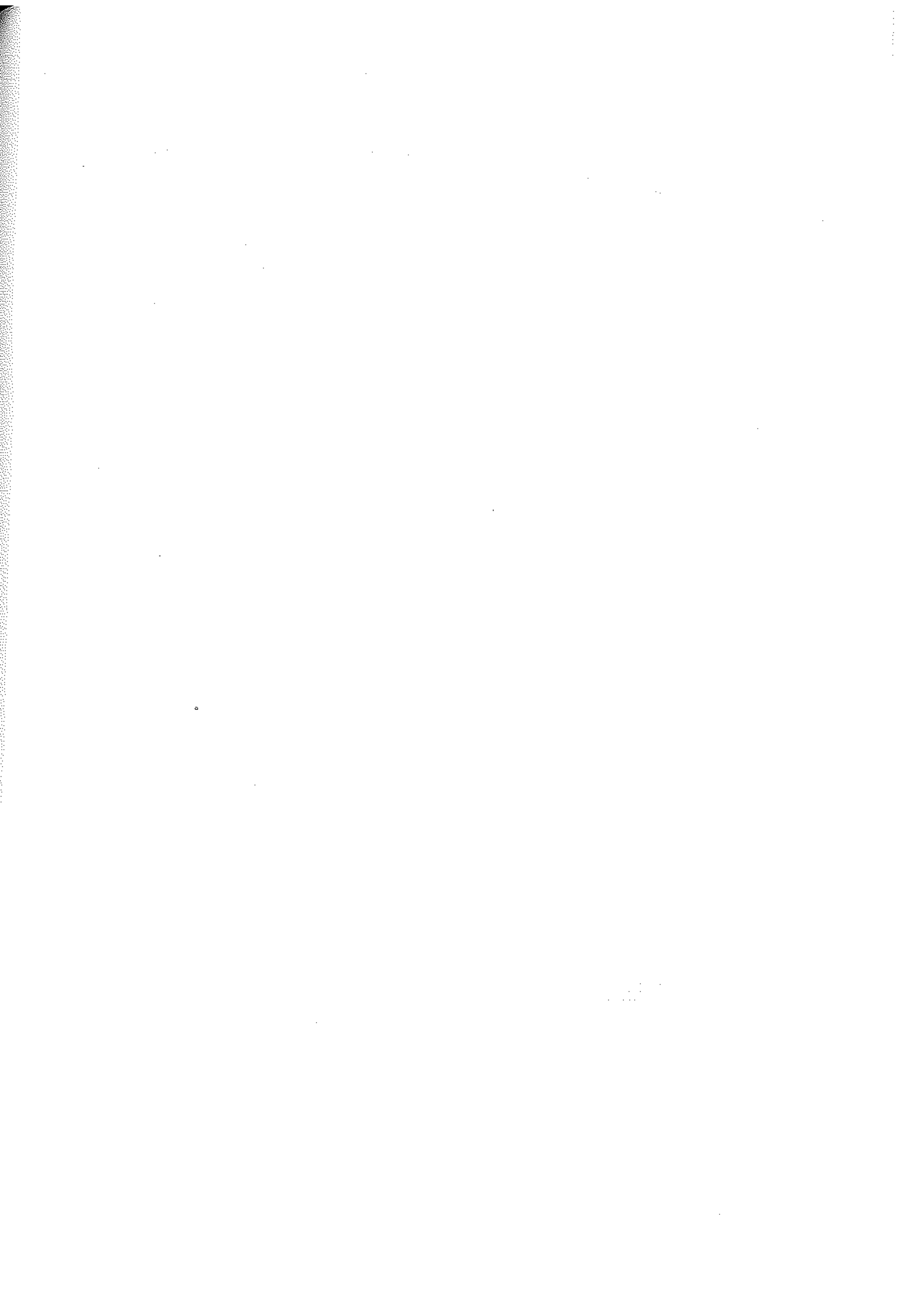
المبحث الثاني

تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحياة العامة

وتحته مطلبـان :

المطلب الأول : تعريــف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأهميتهما في الإسلام.

المطلب الثاني : تعطيـل الصوفية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحياة العامة .



المبحث الثاني

تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحياة العامة

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعتبر من أهم الواجبات التي يترتب عليها صلاح المجتمع وسلامته ونجاته في الدنيا والآخرة ولكن الصوفية غلوا في الأولياء فزعموا بأنهم فوق إنكار المنكر عليهم زاعمين بأنهم لا يقدمون على فعل أي شيء إلا بأمر اللَّه لهم وذلك انطلاقًا من عقيدتهم بأن الأولياء يتلقون علومًا خاصة بهم عن اللَّه وأن الذي يحرم في نظر الشريعة قد يحل في نظر علم الحقيقة المزعوم ولذا حرموا على المريدين إنكار المنكر على مشائخهم مهما ارتكبوا من محرمات ومهما ضيعوا من فرائض اللَّه وهذا الغلو كان له ولا زال إلى الآن الأثر السيىء في الأمة الإسلامية حيث إننا نشاهد ترتكب شتى المحرمات وتضيع الفرائض في الأوساط الصوفية المنتشرة في العالم الإسلامي انتشارًا واسعًا ولا نرى أحدًا ينكر هذا المنكر خوفًا من سوط عذاب شيوخ الصوفية المزعوم ولا يعني ذلك أنه لا يوجد علماء ينكرون هذه المنكرات فالأمة الإسلامية فيها الخير إلى قيام الساعة وأن هناك طائفة قائمة على الحق إلى أن يرث اللَّه الأرض ومن عليها ولكنهم قلة بالنسبة للفساد المنتشر في الأمة الإسلامية وسأقسم هذا المبحث إلى مطلبين :

المطلب الأول : وسأخصصه لتعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأهميتهما في الإسلام .

وأما المطلب الثاني : فسأخصصه لبيان وتوضيح أن المتصوفة بالفعل عطلوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما تسبب عنه انتشار الفساد بشتى أنواعه في الأمة الإسلامية .

* * *

المطلب الأول

تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأهميتهما في الإسلام

أولاً : تعريف الأمر بالعروف والنهي عن المنكر:

الأمر ضد النهي وهو معروف لغة قال عز وجل : ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] .

والمعروف لغة : العرف والعرفة والمعروف واحد ضد المنكر وهو كل ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه[2] .

وشرعًا : هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة اللّه والتقرب إليه والإحسان إلى الناس وما ندب إليه الشرع من الحسنات وهو من الصفات الغالبة أي معروف بين الناس إذا رأوه لا ينكروه[3] .

النهي لغة : المنع ، الزجر ، الترك وفي الحديث : « **لقد ابتدرها اثنا عشر ملكًا فما نهاها شيء دون العرش** » .

أي ما منعها وكفها عن الوصول إليه ومن كلام العرب إذا أكلنا التمر وشربنا الماء ناهت نفوسنا عن اللحم أي أبته[4] .

---

(١) « لسان العرب » لابن منظور الأفريقي (٤/ ٢٧) .

(٢) نفس المرجع (٩/ ٢٣٩) .

(٣) « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » لعبد الرحمن عبد اللّه المقيط (ص١٤) .

(٤) « لسان العرب » لابن منظور (١٣/ ٥٥٠ ـ ٥٥١) .

أما المنكر فهو خلاف المعروف ومنه النكير اسم الإنكار معناه التغيير وفي التنزيل العزيز : ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي إنكاره .

وشرعًا : تعريف المنكــر كل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر .

إذا نظرنا في التعريفات السابقة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نخرج بخلاصة واحدة وهي أن الأمر بالمعروف معناه هو الأمر بكل ما يحبه اللَّه ويرضاه من الطاعات المشروعة التي أمر اللَّه بها في كتابه وأمر بها رسوله في سنته وعلى هذا فكل ما شرعه اللَّه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ في سنته فهو داخل في المعروف .

أما المنكر فالمراد به هو كل ما حرمه اللَّه في كتابه ونهى عنه وما حرمه رسوله محمد ﷺ في سنته بأمر اللَّه له إذًا فكل الأشياء التي نهت الشريعة عنها فهي كلها منكرة وكل من فعل شيئًا منها فقد وقع في المنكر وأيضًا كل من ترك ما أمر به من الفرائض والسنن والعقائد والعبادات فقد وقع في المنكر فيجب أن ينتهي عنه ولهذا فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشمل جميع شئون الحياة وذلك لأن الفعل الذي يفعله الإنسان هو إما أن يكون موافقًا لما شرعه اللَّه فيكون معروفًا وإما أن يكون مخالفًا لما شرعه اللَّه فيكون منكرًا ولهذا فإن تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى فساد الحياة بكاملها ولا يمكن أن يصلح المجتمع إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولهذا فقد عظم اللَّه من شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإليك نصوص من الكتاب والسنة تدل على مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

أولاً : من القرآن الكريم :

لقد وردت في القرآن الكريم آيات عديدة تحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترغب فيهما وتحذر من إهمالهما وتخبر بالعاقبة السيئة بالأمم التي أهملت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكيف أن مصيرها كان الهلاك والدمار الشامل وذلك لما في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهمية كبيرة في صلاح الأمم وطهرها وحفظها من كل أنواع الفساد بشتى أنواعها .

* فمن الآيات التي أمر اللّه فيها بالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله تعالى : ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[1] .

* ومن الآيات التي تدل على عظم مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضله وشرفه العظيم قوله تعالى : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾[2] .

ففي هذه الآية أثنى اللّه عز وجل على هذه الأمة حيث وصفها بأنها خير الأمم ثم ذكر السبب الذي نالت به هذه المكانة العظيمة دون سائر الأمم فقال : ﴿ **تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ فهذه الأمة المحمدية هي خير الأمم شريطة أن تقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) آل عمران : (١٠٤) .

(٢) آل عمران : (١١٠) .

قال الإمام ابن كثير بعد أن أورد أحاديث كثيرة تدل على خيرية هذه الأمة على سائر الأمم :

« فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في المدح كما قال قتادة : بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه في حجة حجها رأى من الناس دعة فقرأ هذه الآية : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ثم قال من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط اللَّه فيها ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم بقوله : ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[1] .

ولهذا لما مدح هذه الأمة على هذه الصفات شرح في ذم أهل الكتاب وتأنيبهم فقال تعالى : ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ أي بما أنزل على محمد »[2] .

وقد اعتبر الإمام ابن الجوزي أن القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شرط لتنال هذه الأمة الخيرية[3] .

* ومن الآيات التي تدل على خطورة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله تعالى : ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[4] .

ففي هذه الآية أخبرنا اللَّه سبحانه وتعالى على أنه لعن بني إسرائيل

---

(١) المائدة : (٧٩) .

(٢) « تفسير ابن كثير » (٢/٣٩٦) .

(٣) « زاد المسير » لابن الجوزي (١/ ٤٤٠) .

(٤) المائدة : (٧٨ ـ ٧٩) .

بسبب معاصيهم وتركهم القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا يشمل كل ما يفعل مثل أفعالهم ويترك القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانيًا : الأحاديث التي تدل على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

لقد وردت أحاديث كثيرة عن الرسول ﷺ تدل على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذه الأحاديث بعضها فيه الأمر بالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبعضها فيه التحذير الشديد من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإخبار بأن عاقبة تركهما وخيمة وإليك نبذة من هذه الأحاديث .

* فمن الأحاديث التي تدل على أن القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب قوله ﷺ : « **من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان** »[1] .

* ومن الأحاديث التي تدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أيضًا ما رواه عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال قال رسول اللَّه ﷺ : «**إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول له يا هذا اتق اللَّه ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب اللَّه قلوب بعضهم ببعض** » ثم قال : « **لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم** » ثم قال : « **واللَّه لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم**

---

(١) « صحيح مسلم » مع النووي (٢/ ٢٢) وكذلك « رياض الصالحين » (ص١٠٠) .

ولتأطرنه على الحق أطراً »[1] .

قال صاحب « بذل المجهود » في شرح هذا الحديث :

« معنى قوله ﷺ : « **أن يكون أكيله وشريبه وقعيده** » أي مصَاحبًا له في الأكل والشرب والقعود »[2] .

* ومن الأحاديث التي تدل على أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عاقبته وخيمة وأن اللّٰه سبحانه وتعالى يعم الصالح والطالح بالعقاب إذا تركت الأمة القيام به ما رواه جرير بن عبد اللّٰه البجلي قال سمعت النبي ﷺ يقول : « **ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه فلا يغيروا إلا أصابهم اللّٰه بعقاب من قبل أن يموتوا** »[3] .

وهذا الحديث يدل على أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى عقاب شامل من اللّٰه سبحانه وتعالى لجميع الأمة .

* ومن الأحاديث التي تدل على أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى عواقب وخيمة وأنه يؤدي إلى هلاك الأمة بكاملها ما رواه الصديق رضي اللّٰه عنه حيث قال بعد أن حمد اللّٰه وأثني عليه : « يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتضعونها على غير مواضعها : ﴿ **عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ** ﴾.

قال عن خالد وإنا سمعنا النبي ﷺ يقول : « **إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم اللّٰه بعقاب** »[4] .

---

(١) « سنن أبي داود مع بذل المجهود » (١٧/ ٢٦٤) .

(٢) « بذل المجهود شرح سنن أبي داود » (١٧/ ٢٦٤) .

(٣) « سنن أبي داود مع بذل المجهود » (١٧/ ٢٦٩) .

(٣) « سنن أبي داود مع بذل المجهود » (١٧/ ٢٦٧) .

وهذا الحديث يدل على أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى عقوبة الأمة بكاملها .

وقد قال أبو ثعلبة الخشني حينما سئل عن قوله تعالى : ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قال : أما واللَّه لقد سألت عنها خبيراً سألت عنها رسول اللَّه فقال : « **ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوى متبعًا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك يعني بنفسك ودع عنك العوام فإن من ورائكم أيام الصبر فيه مثل قبض على الجمر للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله** » وزادني غيره قال يا رسول اللَّه أجر خمسين منهم قال : « **أجر خمسين منكم** »[(١)] .

ثالثًا : نبذة من أقوال العلماء تدل على أهمية القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

لقد تحدث كثير من علماء الأمة الإسلامية قديمًا وحديثًا عن أهمية القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإليك نماذج من أقوالهم :

قال الإمام النووي وهو يتحدث عن أهمية القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومقرراً بأن الحياة لا يمكن أن تستقيم إلا بالقيام به :

« واعلم أن هذا الباب أعني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جدًا وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح وإذا لم يأخذوا على يدي الظالم أوشك أن يعمهم اللَّه تعالى بعقابه فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم

---

(١) « سنن أبي داود مع بذل المجهود » (١٧/ ٢٧١) .

فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا اللَّه عز وجل أن يعتني بهذا الباب فإن نفعه عظيم لا سيما وقد ذهب معظمه ويخلص نيته ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته فإن اللَّه تعالى قال : ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ »[1] .

وقال النووي أيضًا في مكان آخر :

« وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة وهو أيضًا من النصيحة التي هي من الدين ولم يخالف في ذلك إلا بعض الروافض ولا يعتد بخلافهم كما قال الإمام أبو المعالي إمام الحرمين لا يكترث بخلافهم في هذا فقد أجمع المسلمون عليه قبل أن ينبغ هؤلاء ووجوبه بالشرع لا بالعقل خلافًا للمعتزلة »[2] .

وقال الشيخ عبد الكريم زيدان وهو يتحدث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

« حكمة مشروعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ظاهرة واضحة جلية لأن تبليغ الدعوة الإسلامية يندرج تحت مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما أن من حكمة مشروعيته توقي العذاب واستنزال رحمة اللَّه »[3].

وقال : « إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب الأمة جمعاء فكل مسلم علم بالمنكر وقدر على إنكاره وجب عليه ذلك لا فرق في ذلك

---

(١) الحج : (٤٠) وانظر الموضوع في « شرح النووي على صحيح مسلم » (٢/ ٢٤) .

(٢) « شرح النووي مع صحيح مسلم » (٢/ ٢٢) .

(٣) « أصول الدين » للشيخ عبد الكريم زيدان (ص٢٦٧) .

بين حاكم ومحكوم أو عالم أو عامي قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[١] .

وقال سبحانه : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[٢] .

وكل من الخطابين للأمة عامة وكذلك أكثر نصوص السنة الخطاب فيها عام لجميع أفراد الأمة .

ولكن هذه المسئولية تتأكد على صنفين من الناس وهما العلماء والأمراء .

أما العلماء فلأنهم يعرفون من شرع اللَّه تعالى ما لا يعرفه غيرهم من الأمة ولما لهم من هيبة في النفوس واحترام في القلوب مما يجعل أمرهم ونهيهم أقرب إلى الامتثال وأدعى إلى القبول . . .

وأما الأمراء والحكام فإن مسئوليتهم أعظم وخطرهم إن قصروا في الأمر والنهي أكبر لأن الحكام لهم ولاية وسلطان ولديهم قدرة على تنفيذ ما يأمرون به وينهون عنه وحمل الناس على الامتثال ولا يخشى من إنكارهم مفسدة لأن القوة والسلاح في أيديهم والناس ما زالوا يحسبون حسابًا لأمر الحاكم ونهيه فإن قصر الحاكم في الأمر والنهي طمع أهل المعاصي والفجور ونشطوا لنشر الشر والفساد دون أن يراعوا حرمة أو يقدسوا شرعًا ولذا كان من الصفات الأساسية للحاكم الذي يتولى اللَّه تأييده ونصرته ويثبت ملكه ويسدد خطته أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر »[٣] .

---

(١) آل عمران : (١١٠) .

(٢) التوبة : (٧١) .

(٣) « الوافي في شرح الأربعين النووية » (ص٢٦٣) .

ونختم هذه النقولات عن العلماء الأجلاء بقول الإمام النووي رحمه اللَّه فقد نقل عن العلماء عدم سقوط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن المكلف فقال :

قال العلماء رضي اللَّه عنهم :

« ولا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه بل يجب عليه فعله فإن الذكرى تنفع المؤمنين . . »

وقال العلماء: «ولا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولايات بل ذلك جائز لآحاد المسلمين . . . . ثم إنه إنما يأمر وينهى من كان عالمًا بما يأمر به وينهى وذلك يختلف باختلاف الشيء فإن كان من الواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة كالصلاة والصيام والزنا والخمر ونحوها فكل المسلمين علماء بها وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال وما يتعلق بالاجتهاد لم يكن للعوام مدخل فيه ولا لهم إنكاره بل ذلك للعلماء[1] .

والخلاصة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له أهمية كبيرة ومكانة عظيمة في الإسلام وذلك لأن الحياة لا يمكن أن تستقيم إلا إذا قامت الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولذلك فقد أمر اللَّه به في كتابه وحث عليه وأمر به رسوله في سنته وحث عليه حثًا شديداً وحذر من تركه وأخبر بأن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عاقبته وخيمة على الأمة بكاملها صالحها وطالحها .

وأما حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو فرض كفاية كالجهاد تمامًا فإذا قام به العدد الكافي سقط عن باقي الأمة وإذا لم يقم به عدد كاف

---

(١) « شرح النووي على صحيح مسلم » (٢/ ٢٣) .

وجب على كل أحد بعينه حسب قدرته وطاقته وإذا تركته الأمة بكاملها أثمت وأصبحت مستحقة لمقت اللَّه وعذابه وغضبه . ومن هنا نقول إن كل من يسعى لتعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه الأمة إنما يسعى لتدميرها والقضاء عليها عقديًا وأخلاقيًا بل وحتى في المعاملات الدنيوية وذلك لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتناول جميع شئون الحياة فإذا ترك الناس القيام به فسدت الحياة بكاملها .

هذا وقد دعا المتصوفة إلى تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكانت عاقبتهم الوقوع في الفساد بأنواعه في العقيدة والعبادة والعمل وذلك نتيجة إعراضهم عن القيام بهذه الوظيفة الشرعية وزعمهم بأن المريد لا يجوز له الإنكار على شيخه وأن الشيخ الصوفي لا يجوز الإنكار عليه أيضًا من أي أحد من الأمة لأنه فوق الإنكار وهذا ما سنبينه في المطلب القادم بعد هذا مباشرة إن شاء اللَّه .

المطلب الثاني

تعطيل الصوفية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحياة العامة

لقد بينا في المطلب الأول من هذا المبحث مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام ورأينا أنه لا يمكن أن تستقيم الحياة إلا بالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن تركهما هو سبب هلاك الأمم ودمارها والقيام بهما هو سفينة النجاة وسعادة الأمم[1] .

---

(١) انظر (ص١٠٣٥ ـ ١٠٤٤) .

وفي هذا المطلب سنبين موقف الصوفية من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك بإيراد نماذج من الآداب التي وضعها المتصوفة للمريدين مع ذكر الحكايات والقصص التي أوردها المتصوفة أنفهسم عن مجموعة من مشائخهم الكبار بأنهم وقعوا بالفعل في المنكرات :

أولاً : ذكر نماذج من الآداب التي وضعها الصوفية لكي يتأدب بها المريدون :

من خلال النظر في الآداب التي وضعها المتصوفة لكي يتأدب بها المريدون يتبين لنا موقف المتصوفة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإليك نماذج من هذه الآداب التي تدل دلالة واضحة على أن المتصوفة سلبوا المريد الصوفي إرادته وجعلوه كالميت يقلبه الغاسل كما يريد وحذروه من الإنكار على مشائخه المتصوفة مهما وقعوا في المنكرات وإلا مات كافراً مرتدا .

* فمن مشائخ المتصوفة الذين ذكروا آداب المريد الصوفي: أبو حامد الغزالي فقد قال وهو يتحدث عن الآداب التي يجب أن يتحلى بها المريد مع شيخه الصوفي إذا أراد الوصول إلى ولاية اللّٰه والفوز في الدنيا والآخرة :

« . . . فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل فإن سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة . . . فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ البحر بالقائد بحيث يفوض أمره إليه بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا يبقى في متابعته شيئًا ولا يذر وليعلم أن نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ

أكثر من نفعه في صواب نفسه (أي شيخه) أو يحميه ويعصمه بحصن حصين»[1] .

ففي كلام الغزالي السابق يتضح لنا بأن المتصوفة أمروا المريدين أن يقلدوا مشائخهم تقليد الأعمى الذي لا يبصر بمعنى أن المريد عليه أن يلقي عقله جانبًا ويكون كالبهيمة التي لا تعقل يقودها الزعيم الصوفي حيث شاء وكما هو واضح في كلام الغزالي فإن على المريد أن يتابع شيخه ويقتدي به في كل ما يفعله حتى ولو أخطأ الشيخ لأن الخير كل الخير للمريد هو متابعته لشيخه حتى ولو فعل هذا الشيخ شيئًا محرمًا في الشريعة والخطر كل الخطر في مخالفته ونحن هنا نقول إن المتصوفة عطلوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي لا يمكن أن تصلح الأمة إلا به مما كان له الأثر الكبير في انتشار ارتكاب الفواحش في المشاهد والمناسبات الصوفية المنتشرة في العالم الإسلامي على امتداده الواسع إلا المملكة العربية السعودية التي طهرها اللّٰه بدعوة التوحيد التي قضت على هذه الاعتقادات الفاسدة وأقامت مقامها التوحيد الخالص والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

* ومن كبار المتصوفة الذين تكلموا عن آداب المريد عند الصوفية : أبو القاسم القشيري فقد قال وهو يتحدث عن الآداب التي يجب أن يتحلى بها المريد الصوفي الذي يريد أن يصل إلى مقام الولاية الصوفية :

« ثم يجب على المريد أن يتأدب بشيخ فإن لم يكن له أستاذ لا يفلح أبدًا هذا أبو يزيد يقول : « من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان » وسمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يقول : « الشجرة إذا نبتت من غير غارس فإنها تورق

---

(١) « إحياء علوم الدين » للغزالي وانظر كذلك في آداب المريد عند الصوفية كتاب أبي البركات سيدي أحمد الدردير لعبد الحليم محمود (ص١١٩) .

ولكن لا تثمر كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نفسًا نفسًا فهو عابد هواه ولا يجد نفاذًا » [1] .

في كلام أبي القاسم القشيري نلاحظ أنه يشترط اتخاذ الشيخ لأجل أخذ الطريقة الصوفية منه وأنه لا يمكن أن يصل المريد إلى الولاية الصوفية إلا على يد شيخ صوفي وهذا كلام باطل لا أساس له من الصحة وذلك لأنه ليس عندنا في الإسلام طرق معترف بها توصل إلى ولاية اللَّه إلا طريقة واحدة ألا وهي اتباع الكتاب والسنة فقط أما الطرق الأخرى المنتشرة في العالم الإسلامي الواسع فإنها كلها طرق ضالة لا توصل من يعتنقها إلا إلى الضلال المبين .

وكما هو واضح في كلام القشيري فإن الصوفية لا يعنون باشتراط اتخاذ الشيخ لكي يتعلموا منه الكتاب والسنة وإنما يشترطونه لكي يتعلموا منه الخرافات ويرشدهم إلى كيفية اعتناق الطرق الصوفية .

وإلا فلسنا نحن ضد التعلم على أيدي الشيوخ الذين يعرفون علم الكتاب والسنة بل نقول لابد من الدراسة تحت الشيوخ حتى يفهم الإنسان النصوص فهما صحيحًا .

ويقول أبو القاسم القشيري وهو يتحدث عن الآداب التي يجب أن يتحلى بها المريد نحو شيخه :

« شروط الاتباع موافقة المتبوع وأن لا يتفرقوا فيصيروا أحزابًا كما قال سبحانه : ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ [2] والعلماء ورثة الأنبياء

---

(١) « الرسالة القشيرية » (٢/ ٧٣٥) .

(٢) الحشر : (١٤) .

والمريدون لشيوخهم كالأمة لنبيهم فشرط المريد أن لا يتنفس بنفس إلا بإذن شيخه ومن خالف شيخه في نفس سرًا وجهرًا فإنه يرى غبه سريعًا في غير ما يحبه ومخالفة الشيوخ فيما يسترونه عنهم أشد مما يظهر بالجهر بكثير لأن هذا يلحق بالخيانة ومن خالف شيخه لا يشم رائحة الصدق فإن بدر منه شيء من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار والإفصاح عما حصل منه من المخالفة والخيانة ليهديه شيخه إلى ما فيه كفارة جرمه ويلتزم في الغرامة بما يحكم به عليه .

وإذا رجع المريد إلى شيخه بالصدق وجب على شيخه جبران تقصيره بهمته فإن المريدين عيال على الشيوخ فرض عليهم أن ينفقوا عليهم من قوة أحوالهم بما يكون جبرانًا لتقصيرهم »[1] .

إذا نظرنا في كلام أبي القاسم القشيري نرى أن المبالغة الزائدة في تعظيم الشيوخ والدعوة إلى طاعتهم طاعة عمياء مطلقة والتحذير من مخالفتهم واضحة تمامًا وكما هو واضح أمامنا لم يقيد طاعة المشائخ بطاعتهم فيما يوافق الشرع وإنما أطلقها ومن هنا نستنتج بأنه يدعو إلى طاعتهم طاعة عمياء خالية عن الإنكار بأي شكل من الأشكال وهذا هو تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لأن المشائخ كغيرهم معرضون للوقوع في ارتكاب المنكرات لأنهم ليسوا بمعصومين .

* ومن المتصوفة الذين تحدثوا عن الآداب التي يجب أن يتحلى بها المريد مع شيخه : محيي الدين بن عربي الزعيم الصوفي المعروف فقد قال

---

(١) « لطائف الإشارات » لأبي القاسم القشيري (٤/ ٢٩٦) وانظر كذلك في آداب المريد عند الصوفية « نعت البدايات » لماء العينين (ص ٥) وانظر كذلك « السير والسلوك » لمحمد يوسف المرزوقي (ص٥٠) .

وهو يقرر الآداب التي يجب على المريد أن يتأدب بها نحو شيخه :

ما حرمة الشيخ إلا حرمة اللَّه ... فقم بها أد اللَّه باللَّه

هم الأدلاء والقرباء تؤيدهم ... على الدلالة تأييدًا على اللَّه

كالأنبياء تراهم في محاربهم ... لا يسألون من اللَّه سوى اللَّه

فإذا بدا منهم حال تؤلههم ... عن الشريعة فاتركهم مع اللَّه[1]

ففي كلام محيي الدين بن عربي نرى أنه اعتبر حرمة الشيخ كحرمة اللَّه سبحانه وتعالى ومعنى ذلك أنه ينبغي أن يطاع في كل ما يأمر به حتى ولو أمر بمعصية وينبغي أن لا ينهى الشيخ حتى ولو ارتكب المعصية لأنه ما دام المتصوفة يعتبرون حرمة الشيخ كحرمة اللَّه فاللَّه سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل بل هو فعال لما يريد فكذلك الشيخ لا يسأل عما يفعل .

وقد شبه ابن عربي مشائخ المتصوفة بالأنبياء ومعنى ذلك أنهم لا ينكر عليهم لأنهم لا يقعون في شيء محظور بل هم معصومون كالأنبياء وفي البيت الأخير حذر ابن عربي من الإنكار على المشائخ إذا وقعوا في فعل شيء منكر تنكره الشريعة الإسلامية لأنهم دائمًا مع اللَّه يتلقون منه الأوامر والنواهي كما سبق لنا ذلك في اعتقادات المتصوفة تجاه الأولياء في الباب الثالث وهذا هو تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعينه .

* ومن المتصوفة الذين تكلموا عن الآداب التي يجب أن يتحلى بها المريد تجاه شيخه : أبو يزيد البسطامي فقد دعا هذا الشيخ الصوفي إلى أن

---

(١) « الفتوحات المكية » لابن عربي أول باب (ص١٨١) وانظر كذلك في آداب المريد كتاب «النفحات الأحمدية » لعبده حسن راشد المشهدي الفخاجي (ص٧٥) وكذلك « تحفة السالكين » لمحمد المنير (ص٦٥ ـ ٧٦) .

يطيع المريد شيخه طاعة عمياء بحيث لا ينكر عليه منكرًا بل حتى لو أمره بفعل المنكر فعليه أن ينفذ أوامره بلا توقف ولا استفسار وإليك كلامه الذي يدل على هذا فقد قال :

« إذا أمر الأستاذ التلميذ أمرًا من أمور الدنيا وبعثه في إصلاحه فيقيم مؤذن في بعض طرقاته على مسجد من المساجد فيقول أدخل أولاً المسجد وأصلي ثم أكون وراء ما بعثني إليه فقد وقع في بئر لا يتبين أسفلها يعني ليس لها قعر »[1] .

إذا نظرنا في كلام أبي يزيد البسطامي نرى أنه دعا إلى تقديم طاعة الشيخ على طاعة اللّه وهذا أمر منكر لا يجوز فإن طاعة اللّه ورسوله مقدمة على طاعة أي أحد مهما كانت مكانته ثم إن دعوة أبي يزيد للمريد السير للحصول على غرض من أغراض الدنيا الذي أرسله إليه شيخه والصلاة تقام منكر عظيم والذي يهمنا من إيراد هذا الكلام عن أبي يزيد هو أن المتصوفة يرون بأن طاعة الشيوخ فوق كل شيء حتى وإن أدت هذه الطاعة إلى مخالفة أوامر اللّه وأوامر رسوله وهذا منكر عظيم وقعوا فيه بسبب غلوهم في تقديس مشائخهم .

* ومن المتصوفة الذين تكلموا عن آداب المريد : إبراهيم الدسوقي فقد قال وهو يتحدث عن الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المريد الصوفي إذا أراد الوصول إلى الولاية الصوفية :

« ... وكذلك ينبغي للمريد أن يحذر من تأويل كلام شيخه عن

---

(١) « شطحات الصوفية » لعبد الرحمن بدوي (ص١٨٢) وانظر كذلك في آداب المريد عند الصوفية كتاب « تحفة أهل الفتوحات والأذواق » لفتح اللّه بن أبي بكر النباتي (ص٨٩ ـ ٩٠) .

ظاهره إذا أمره بأمر بل يبادر إلى فعل ذلك من غير تأويل »[1] .

في كلام إبراهيم الدسوقي السابق نرى أنه دعا إلى طاعة المريد للشيخ طاعة مطلقة عمياء وتنفيذ ما يأمره به سواء كان المأمور به طاعة أو معصية للَّه لأنه أطلق الأمر ولم يقيده بطاعة الشيخ إذا أمر بمعروف وعدم طاعته إذا أمر بمنكر وهذا تعطيل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

* ومن الذين تكلموا عن الآداب التي يجب أن يتحلى بها المريد: يوسف العجمي فقد قال وهو يتحدث عنها :

« من آداب المريد أن يقف عند كلام شيخه ولا يتأوله وليفعل ما أمره به شيخه وإن ظهر أن شيخه أخطأ »[2] .

في كلام يوسف العجمي السابق نلاحظ أنه أمر المريد أن يطيع شيخه طاعة مطلقة وينفذ أوامره التي يأمره بها حتى وإن ظهر للمريد أن كلام الشيخ هذا خطأ لأن المتصوفة يعتقدون بأن مشائخهم فوق الإنكار عليهم فلا يؤمرون بمعروف ولا ينهون عن المنكر وهذا تعطيل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

* ومن المتصوفة الذين تكلموا عن الآداب التي يجب أن يتحلى بها المريد الصوفي : على المرصفي[3] فقد قال وهو يتحدث عنها :

« . . . وإن قال قائل للمريد إن كلام شيخه معارض لكلام العلماء أو دليلهم فعليه الرجوع إلى كلام شيخه . . . وإذا خرج المريد عن حكم شيخه

---

(١) « الأنوار القدسية » للشعراني (٢/ ٩٧) .

(٢) « الأنوار القدسية » للشعراني (٢/ ٣٦) .

وانظر كذلك في أن الصوفية يدعون إلى طاعة الشيخ طاعة عمياء كتاب « منتخب التصوف » للشيخ ماء العينين محمد الفاضل (ص٤) .

(٣) هو علي نور الدين المرصفي انظر ترجمته في « طبقات الشعراني الكبري » (٢/ ١٢٧) .

وقدح فيه فلا يجوز لأحد تصديقه إنه في حالة تهمة الارتداد عن طريق شيخه»[1] .

في كلام المرصفي السابق نرى أنه أمر المريد العمل بما يقوله شيخه فقط حتى وإن كان كلام شيخه مخالفًا للأدلة الشرعية وأقوال العلماء الآخرين وأنه لا يجوز أن يقدح في كلام شيخه حتى وإن كان باطلاً لأن هذا يؤدي في النهاية إلى الردة عن طريق شيخه الذي لا يمكن أن يصل إلى الولاية الصوفية إلا عن طريقه حسب زعمهم .

* ومن المتصوفة الذين تكلموا عن آداب المريد عند الصوفية : سراج الدين الرفاعي الصيادي ويشاركه أبو الهدى الصيادي الرفاعي .

فقد قالا وهما يتحدثان عن آداب المريد عند الصوفية :

« ومن آداب المريد اللازمة : أولاً حفظ قلب شيخه ومراعاته في الغيبة والحضور . . . والتواضع له ولذريته وأقاربه وثبوت القدم على خدمته وأوامره كليها وجزئيها وربط القلب به واستحضار شخصه في قلبه في جميع المهمات واستمداد همته والفناء فيه وأن يكون ملازمًا له لا يفتر عنه طرفة عين ولا ينكر عليه ما ظهر منه من صفة عيب فلربما يظهر من الشيخ ما لا يعلمه المريد . . كما وقع لبعضهم أنه دخل على شيخه فرأى عنده امرأة جميلة يلاعبها ويعانقها ويجامعها فخرج منكرًا على شيخه فأخذ منه حالاً جميع ما استفاده من شيخه »[2] .

---

(١) « الطبقات الكبرى » للشعراني (١٢٨/٢) .

وانظر كذلك في آداب المريد كتاب « الرد على بعض المبتدعة » لمحمد الطيب بن عبد المجيد ابن عبد السلام (ص٦٦) .

(٢) « قلادة الجواهر » للصيادي (ص٢٧٨) . =

كلام الرفاعيين السابق كله فيه غلو زائد في الشيوخ كما هو واضح أمامنا وقد دعيا في كلامهما إلى عدم إنكار المريد على شيخه حتى وإن فعل شيئًا معيبًا في الشريعة الإسلامية وهذا تعطيل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

* ومن المتصوفة الذين تكلموا عن الآداب التي يجب أن يتحلى بها المريد : محمد أمين الكردي النقشبندي فقد قال وهو يتحدث عن هذه الآداب:

« . . . ومنها أن لا يعترض عليه ـ أي على شيخه ـ فيما فعله ولو كان ظاهره حرامًا ولا يقول لم فعل كذا لأن من قال لشيخه لم لا يفلح أبدًا فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن »[1] .

في الكلام السابق دعا محمد أمين الكردي كما هو واضح أمامنا إلى عدم الإنكار على الشيخ الصوفي حتى وإن ارتكب شيئًا محرمًا وهذا تعطيل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ويقول أبو القاسم القشيري في رسالته في باب حفظ قلوب المشائخ وهو يتحدث عن الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المريد نحو شيخه :

« وترك الخلاف عليهم : سمعت الشيخ عبد الرحمن السلمي يقول إن شقيقنا البلخي وأبا تراب النخشبي قدما على أبي يزيد البسطامي فقدمت السفرة وشاب يخدم أبا يزيد فقال له : كل معنا يا فتى ، فقال : أنا صائم ثم

= وانظر في آداب المريد عند الصوفية كتاب « المنهل الروي الرائق » لمحمد بن علي السنوسي (ص٧٠) .

(١) « تنوير القلوب » (ص٥٢٨) .

قال أبو تراب : كل ولك أجر صوم فأبى ، فقال شقيق : كل ولك أجر صوم سنة ، فأبى ، فقال أبو يزيد : دعوا من سقط من عين اللَّه تعالى ، فأخذ ذلك الشاب في السرقة بعد سنة فقطعت يده »[1] .

في الكلام السابق الذي أورده أبو القاسم القشيري نرى أن أولئك المشائخ الثلاثة المذكورة أسماءهم في الكلام السابق أمروا المريد بالمعصية وهو أن يفطر فرفض ذلك المريد الاستجابة للمشائخ وأصر على معصيتهم تقديمًا لطاعة اللَّه على طاعتهم وذلك انطلاقًا من « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » وقد ذكر في نفس الكلام السابق بأن هذا المريد بسبب عصيانه للمشائخ قطعت يده .

ومن هذا الكلام نخرج بخلاصة وهي أن المتصوفة يعتبرون طاعة المشائخ فوق طاعة اللَّه وإنه لا يجوز أن يخالف لهم أمر حتى ولو أمروا بمعصية اللَّه وهذا غلو زائد وتعطيل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

* ومن المتصوفة الذين تحدثوا عن آداب المريد مع شيخه الشيخ : عبد القادر الجيلاني فقد قال وهو يتحدث عن الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المريد مع شيخه :

« وأما آدابه - أي المريد - مع الشيخ فالواجب عليه ترك مخالفة شيخه في الظاهر وترك الاعتراض عليه في الباطن فصاحب العصيان بظاهره تارك لأدبه وصاحب الاعتراض بسره متعرض لعطبه بل يكون خصمًا على نفسه لشيخه أبدًا يكف نفسه ويزجرها عن مخالفته ظاهرًا وباطنًا »[2] .

ويقول الجيلاني أيضًا لأحد مريديه :

« إن لم تفلح على يدي لا فلاح لك قط »[3] .

---

(1) « تنوير القلوب » (ص٥٢٨) .

(2) « الغنية » للشيخ عبد القادر الجيلاني (٢/ ١٤٦) .

(3) « الفتح الرباني » للجيلاني (ص٣٧١) .

في كلام الشيخ عبد القادر الجيلاني السابق دعوته إلى الغلو الزائد في طاعة المشائخ واضحة جدًا وقد دعا إلى عدم الاعتراض عليهم نهائيًا مهما فعلوا وطاعتهم في الظاهر والباطن .

ثم قال لمريده بأنه لا فلاح له إن لم يفلح على يده وهذا ادعاء للغيب.

والدعوة إلى طاعة المشائخ طاعة مطلقة غير مقيدة كما هي هنا في كلام الشيخ تؤدي إلى تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في النهاية ولذا لا ينبغي المبالغة والغلو في المشائخ .

ونقل علي برادة التيجاني عن الإمام الشربيني أنه قال في الآداب التي يجب أن يتحلى بها المريد مع شيخه :

ولا تعد من قبل اعتقادك أنه	مرب ولا أولى بها منه في العصر
فإن رقيب الالتفات لغيـــــره	يقول لمحبوب السراية لا تسر
وإن تسم نحو الفقر نفسك فاطرح	هواها وجانبه مجانبـــــــة الشـــر
وضعها بحجر الشيخ طفلاً فما لها	خروج بلا فطم عن الحجر والحجر
ومن لم يكن سلب الإرادة وصفه	فلا يطعمن في شم رائحة الفقر
ولا تعترض يومًا عليـــــه فإنه	كفيل بتشتت المريد على هجر
ومن يعترض والعلم عنـــه بمعزل	يري النقص في عين الكمال وما يدري
ومن لم يوافق شيخه في اعتقاده	يظل من الإنكار في لهب الجمر
فذو العقل لا يرضى سواه وإن نأى	عن الحق نائي الليل عن واضح الفجر
ولا تعرفن في حضرة الشيخ غيره	ولا تملأن عينًا من النظر الشزر
ولا تنطقن يومًا لديه فإن دعا	إليه فلا تعدل عن الحكم النزر
ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوته	ولا تجهروا جهر الذي هو في قفر

. . . . . إلى أن قال :

وسجادة الصوفي بيت مسكونة ولا وكر إلا أن يطير عن الوكر
وفر إليه في المهمات كلها فإنك تلقى النصر في ذلك السفر
ولا تك ممن يحسن الفعل عنده فيفسد إلا أن يفر إلى السكر[(١)]

إذا نظرنا في الأبيات السابقة نرى فيها الغلو الزائد في المشائخ ورفعهم فوق منزلتهم حيث دعا الشربيني المريدين إلى عدم الاعتراض على المشائخ مهما فعلوا وأنه يجب موافقة المريد للشيخ فيما يعتقده إذا أراد السلامة والنجاة من النار ثم دعا الشربيني المريدين إلى عدم رفع أصواتهم فوق أصوات مشائخهم .

وأخيراً أمر الشربيني المريدين أن يفروا في جميع المهمات إلى المشائخ فإنهم سيجدون النصر عندهم وهذا شرك محض .

والحاصل أن النص يحتوي علـى محاذير كثيرة ومن أهم هذه المحاذير :

١ ـ الدعوة إلى تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٢ ـ الدعوة إلى اللجوء إلى المشائخ في جميع المهمات وهذا شرك .

٣ ـ الزعم بأن المشائخ عند الصوفية كالرسول تماماً ولذا لا يجوز رفع الصوت عندهم كما لا يجوز رفع الصوت عند الرسول .

* ومن المتصوفة الذين تكلموا عن آداب المريد عند الصوفية : الشيخ علي حرازم التيجاني فقد قال وهو يتحدث عن هذه الآداب :

---

(١) « جواهر المعاني » لعلي برادة (١/ ١٣٤) .

« ومن شرط المريد أن لا يرد على الشيخ كلامه ولو كان الحق بيد المريد فإن الشيخ إنما يقول ما فيه مصلحته فليقف عند قوله ولا ينازعه ولا يجادله ولا يماريه ومن وقع في شيء من ذلك أو خطر له نزاع في خاطره فالنزاع وإن كان في نفسه هو عين الاعتراض والاعتراض على الشيوخ حرام على المريدين وقوعه فهذا مريد مسخر للشياطين ساع في هوى نفسه سوءته مكشوفة عند سادات أهل طريق اللّه تعالى .

ومن شرط المريد إذا وجهه شيخه في أمر أن يمضي لأمره من غير تأويل ولا توقف ولا يصرفه عنه صارف حتى قال بعض المشايخ لبعض المريدين : أرأيت لو وجهك شيخك في أمر فمررت بمسجد تقام فيه الصلاة فما تصنع ؟ فقال : أمضي لأمر الشيخ ولا أصلي حتى أرجع إليه ، فقال له أحسنت .

ومنها ملازمة الورد الذي رتبه فإن مدد الشيخ في ورده الذي رتبه فمن تخلف عنه فقد حرم المدد وهيهات أن يصح في الطريق .

ومنها أن لا يتجسس على أحوال الشيخ من عبادة أو عادة فإن في ذلك هلاكه واللّه أعلم .

ومن شرط المريد أن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل إن غسل عضواً من أعضائه قبل عضو آخر أو حركة أو تصرف فيه كيف يشاء بما يرى من المصلحة فلا يخطر عليه خاطر اعتراض ولو عاينه قد خالف الشريعة فإن الإنسان ليس بمعصوم ولا يجلس بين يديه إلا ستوفراً كجلوس العبد بين يدي سيده »[1] .

في كلام حرازم السابق نرى الغلو الزائد في المشائخ حيث دعا المريدين

---

(١) « رماح حزب الرحيم » لعلي حرازم (١/ ١٣٣) .

إلى عدم الرد على المشايخ حتى ولو كان الشيخ على باطل واضح وذكر أيضًا بأن مجرد الاعتراض على الشيوخ حرام وأن المريد الذي يعترض على شيخه وهو يراه يرتكب شيئًا محرمًا إنما هو مريد سلط عليه الشيطان .

ثم دعا المريدين أيضًا إلى تقديم طاعة المشائخ على طاعة اللَّه ودعاه أيضًا أن يلقي عقله وشخصيته نهائيًا ويصبح كالميت الذي يقلبه الغاسل كيف شاء وأنه لا يجوز للمريد أن يخطر على باله خاطر اعتراض حتى ولو رأى من شيخه شيئًا محرمًا مخالفًا للشريعة الإسلامية وهذا كله دعوة إلى تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ونقل علي حرازم عن شيخه التيجاني أنه قال في آداب المريد :

« آداب المريد في حق الشيخ كثيرة وأوجبها تعظيمه وتوقيره ظاهراً وباطنًا وعدم الاعتراض عليه في شيء فعله ولو كان ظاهره حرامًا ويؤول ما انبهم عليه وتقديمه على غيره وعدم الالتجاء لغيره من الصالحين ومنها أن لا يقعد وشيخه واقف ولا ينام بحضرته إلا بإذنه في محل الضرورات ككونه معه في مكان واحد وأن لا يكثر الكلام بحضرته ولو باسطه ولا يجلس على سجادته ولا يسبح بسبحته ولا يجلس في المكان المعد له ولا يلح عليه في أمر ولا يسافر ولا يتزوج ولا يفعل فعلاً من الأمور المهمة إلا بإذنه . . . ومنها أن يحفظه في غيبته ويحفظه في حضوره وأن يلاحظ بقلبه في جميع أحواله سفرًا وحضراً لتعمه بركته من كان الشيخ يكرهه ومن طرده الشيخ عنه وبالجملة يجب أن يحب من أحب الشيخ ويكره من يكرهه.

ومنها أن يرى كل بركة حصلت له من بركات الدنيا والآخرة فببركته . . .

ومنها أن يحمل كلامه على ظاهره فيمتثله إلا لقرينة صارفة عن إرادة الظاهر فإذا قال له : اقرأ كذا أو صلِّ كذا أو صُمْ كذا وجب عليه المبادرة وكذا إذا قال له وهو صائم : أفطر وجب الفطر .

ومنها ملازمة الورد الذي رتبه الشيخ فإن مدد الشيخ في ورده الذي رتبه فمن تخلف عنه فقد حرم المدد وهيهات أن يصح في الطريق »[1].

في كلام التيجاني السابق نرى الأمور الآتية واضحة فيه كل الوضوح وهي :

١ ـ الدعوة إلى عدم الاعتراض على الشيخ حتى ولو فعل شيئًا محرمًا وهذا تعطيل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٢ ـ ثانيًا الدعوة إلى اللجوء إلى الشيخ وهذا شرك .

٣ ـ الدعوة إلى مراقبة الشيخ دائمًا في كل الشئون وهذا شرك باللَّه لأنه فيه رفع الشيخ إلى مرتبة الربوبية والألوهية .

٤ ـ الدعوة إلى الاعتقاد بأن كل الخيرات التي يحصل عليها المريد من شيخه وهذه دعوة إلى الشرك باللَّه غيره .

٥ ـ الدعوة إلى طاعة الشيخ طاعة مطلقة حتى ولو أمر بشيء منكر كالإفطار من الصوم وترك الصلاة وهذه دعوة إلى تقديم طاعة الشيخ على طاعة اللَّه .

وكل هذه الأمور منكرات عظيمة كل منها كافية لإخراج الإنسان من الإسلام نهائيًا فما بالك لو التزم بها المريد الصوفي كلها فإنه حتمًا سينسلخ من الإسلام نهائيًا .

ويقول التيجاني وهو يتحدث عن الآداب التي يجب أن يتحلى بها المريد الصوفي تجاه شيخه :

---

(١) « رماح حزب الرحيم » لعلي حرازم (١/ ١٣٣) .

« ومن أكبر الشروط الجامعة بين الشيخ ومريده أن لا يشرك في محبته غيره ولا في تعظيمه ولا في الاستمداد منه ولا في الانقطاع إليه ويتأمل ذلك في شريعة نبيه ﷺ فإن من سوى رتبة نبيه محمد ﷺ برتبة غيره من النبيين والمرسلين في المحبة والتعظيم والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب والتشريع فهو عنوان على أن يموت كافراً إلا أن تدركه عناية اللّه » ثم قال : « فإذا عرفت هذا فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيه ﷺ في التعظيم والمحبة والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب فلا يعادل به غيره في هذه الأمور ولا يشرك غيره به »[1] .

في هذا النص دعا التيجاني المريد الصوفي إلى أن يفرد شيخه ويوحده بالمحبة والتعظيم والتوقير بحيث لا يساوي غيره به أحداً في هذه الدنيا وعليه أن يكون مع شيخه كما يكون مع نبيه وهذا غلو زائد وادعاء من التيجاني بأن مرتبة الشيخ مساوية لمرتبة الرسول ﷺ وما دامت مساوية للرسول فللولي الصوفي أن يفعل كل ما يريد ولا يجوز الاعتراض عليه وسؤاله والإنكار عليه لأنه كالرسول تماماً لا يفعل إلا المعروف أما المنكر فمعصوم منه وهذا ادعاء باطل وكذب صريح من التيجاني وإلا فلا يجوز أن يكون الإنسان مع شيخه كما يكون مع نبيه لأن شيخه معرض للخطأ والصواب مهما علت مكانته فيؤمر بمعروف وينهى عن المنكر ولم يقل التيجاني هذه المقولة إلا لتعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أمر اللّه به في كتابه ورسوله في سنته وحث عليه علماء الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً .

ويقول أبو الهدى الرفاعي وهو يتحدث عن الآداب التي يجب أن

---

(١) « رماح حزب الرحيم » لعلي حرازم (١/١٢٦) .

يتحلى بها المريد مع شيخه :

« ١ ـ تعظيم الشيخ المرشد وتوقيره ظاهرًا وباطنًا .

٢ ـ عدم الاعتراض عليه في شيء ولو كان ظاهره حرامًا .

٣ ـ يؤول ما انبهم عليه من فعل الشيخ .

٤ ـ لا يلتجئ لغيره من الصالحين .

٥ ـ لا يقعد وشيخه واقف .

٦ ـ لا ينام بحضرة الشيخ إلا بإذنه .

٧ ـ لا يمشي أمامه ولا يساويه في مشيه إلا بليل مظلم ليكون أمامه صونًا له .

٨ ـ التواضع للشيخ ولذريته وأقاربه .

٩ ـ ثبوت القدم على خدمته وأوامره جزئيها وكليها .

١٠ ـ يستحضر شخص شيخه في قلبه أثناء الذكر ويجعله بين عينيه قبل الذكر فإن شيخه هو باب الدخول على اللّٰه ومنه يستمد الهمة ويكون الشيخ عنده كالقبلة فبذلك يمد له نور من قبر الشيخ الرفاعي .

١١ ـ يستقبل عند الذكر جهة مرقد السيد الرفاعي ثم جهة المدينة المنورة .

١٢ ـ يكون ملازمًا له ولا يفتر عنه ولا طرفة عين .

١٣ ـ يقف كالميت لا يتحول عن باب شيخه »[١] .

---

(١) « قلادة الجواهر » للصيادي (ص٣٧٨) .

في هذه الآداب التي ذكرها أبو الهدى الرفاعي نرى :

١ ـ الدعوة إلى عدم الاعتراض على الشيخ وعدم الإنكار عليه حتى ولو رأى المريد شيخه يفعل شيئًا محرمًا وهذه دعوة إلى تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٢ ـ الدعوة إلى الالتجاء إلى الشيخ وهذه دعوة إلى الشرك فإن الالتجاء لا يكون إلا إلى اللَّه سبحانه وتعالى .

٣ ـ الدعوة إلى عبادة الشيخ من دون اللَّه والادعاء بأنه لا يمكن أن يصل أي إنسان إلى مرضاة اللَّه إلا عن طريق الشيخ والأمر بأن يتخذ المريد شيخه قبلة فيتجه إليه أثناء الذكر من أجل أن يمد له نور من قبر الشيخ المؤسس للطريقة .

٤ ـ الوقوف باستمرار قدر الإمكان أمام قبر الشيخ وعدم التحول عنه وهذه دعوة إلى عبادة الشيخ وهو شرك باللَّه سبحانه وتعالى .

وقد ذكر علي حرازم بأن عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طريق من الطرق الموصلة إلى ولاية اللَّه سبحانه وتعالى .

فقال : « سمعت من الشيخ التيجاني رضي اللَّه عنه يقول : كان بعض من أراد اللَّه رحمته في الماضين يحب الصالحين فألقى اللَّه في قلبه أن خرج من ماله فباعه وجمع ثمنه فذهب لبعض من اشتهر عند الناس بالصلاح وكانت تقصده الوفود من النواحي فذهب إليه هذا المرحوم بجملة ماله حتى بلغ بلده فسأل عن داره فدل عليها فدق الباب فخرجت الخادمة فقالت : ما اسمك؟ فقال: عبد العلي وكان الشيخ المشهور بالولاية من العصاة المسرفين على نفوسهم وكان له نديم يتعاطى معه الشراب وغيره اسمه عبد العلي فوافق

اسمه اسم هذا المرحوم فذهبت الجارية فقالت للشيخ اسم هذا الذي دق الباب عبد العلي فقال وظن أنه نديمه : ائذني له ، فدخل على الشيخ فوجد الشراب بين يديه وامرأة فاجرة معه ورزقه اللَّه تعالى الغفلة عن ذلك كله فتقدم إليه فقال : يا سيدي سمعت بك من بلادي وجئتك قاصداً لتدلني على اللَّه عز وجل وهذا مالي أتيتك به للَّه تعالى فقال له الشيخ : يتقبل اللَّه منكم ثم أمر الجارية أن تدفع له رغيفًا فأخذه وأعطاه الفأس وأمره بالخدمة في بستان عينه له فذهب ذلك المرحوم من ساعته ونفسه مطمئنة وقلبه مسرور بقبول الشيخ له فذهب فرحًا للخدمة وقد لقي نصبًا من سفره للشيخ وما استراح حتى بلغ البستان وجعل يخدم بفرح ونشاط وسرور فكان من قدر اللَّه عز وجل وحسن جميله بذلك المرحوم أن صادف مجيئه للشيخ الكذاب المسرف وفاة رجل من أكابر العارفين وكان من أهل الديوان فحضر وفاته الغوث والأقطاب السبعة فقالوا له : يا سيدي فلان كم مرة نحن نقول لك اهبط إلى مدينة من مدن الإسلام فعسى أن تلقى من يرثك في سرك ولم تساعدنا فالآن حانت وفاتك فيضيع سرك وتبقى بلا وارث فقال لهم : يا سادتي قد ساق اللَّه إليّ من يرثني وأنا في موضعي فقالوا له : ومن هو ؟ فقال : عبد العلي الذي وفد على فلان المبطل فانظروا إلى حسن سريرته مع اللَّه عز وجل وإلى تمام صدقه ورسوخ خاطره ونفوذ عزمه وصلابة جزمه فإن من رأى ما رأى ولم يتزلزل له خاطر ولم يتحرك له وسواس فهل سمعتم بمثل هذا الصفاء الذي في ذاته أفتوافقون على إرثه ؟ فقالوا : نعم فخرجت روح الولي واتصل سيدي عبد العلي بالسر وأثابه اللَّه عز وجل على حسن نيته فوقع له الفتح وعلم من أين جاءته الرحمة وأن الشيخ الذي وفد عليه مسرف كذاب وأن اللَّه تعالى رحمه بسبب نيته لا غير واللَّه الموفق »[1] .

---

(١) « رماح حزب الرحيم » لعلي حرازم (١/ ١١٥) بهامش « جواهر المعاني » .

والشاهد من إيراد هذه القصة التي حكاها لنا علي حرازم عن شيخه التيجاني هو زعمه بأن هذا الرجل ذهب باحثًا عن شيخ ولي صوفي لكي يربيه وأنه دخل على الشيخ المسرف ووجد معه امرأة فاجرة ولم ينكر عليه وكان عدم إنكاره هذا المنكر على شيخه سببًا من أسباب وصوله إلى الولاية الصوفية وهذه دعوة صريحة من التيجاني إلى تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه ذكر في هذه القصة بأن ترك هذا الرجل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب ولايته وهي ولا شك من تأليف التيجاني ولا يهمنا نحن أن تكون هذه الحكاية حاصلة أم لم تحصل وإنما الذي يهمنا من إيرادها هو أن الصوفية لا يرون القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وذكر علي حرازم حكاية أخرى عن شيخه التيجاني بأنه ذكر أن أحد المشائخ أراد أن يختبر مريده فأمره بقتل أبيه فذهب وقتله وإليك نص القصة:

قال حرازم : « ومنها ما سمعته من الشيخ رضي اللَّه عنه قال : كان لبعض المشائخ مريد صادق فأراد أن يمتحن صدقه يومًا فقال له مرة: يا فلان أتحبني ؟ قال : نعم يا سيدي ، قال له : من تحب أكثر أنا أو أبوك؟ فقال : أنت يا سيدي، فقال: أفرأيت إن أمرتك أن تأتيني برأس أبيك أتطيعني؟ قال: يا سيدي فكيف لا أطيعك ولكن الساعة ترى ، فذهب من حينه وكان ذلك بعد أن رقد الناس فتسور جدار دارهم وعلا فوق السطح ثم دخل على أبيه وأمه في منزلهما فوجد أباه يقضي حاجته من أمه فلم يمهله حتى يفرغ من حاجته ولكن برك عليه وهو فوق أمه فقطع رأسه وأتى به للشيخ وطرحه بين يديه فقال له : ويحك أتيتني برأس أبيك ؟! فقال : يا سيدي نعم هو هذا، فقال له : ويحك إنما كنت مازحًا ، فقال له المريد : أما أنا فكل كلامك عندي لا هزل فيه ، فقال له الشيخ رضي اللَّه عنه : انظر هل هو رأس

أبيك؟ فنظر المريد فإذا هو ليس برأس أبيه ، فقال له الشيخ : رأس من هو؟ فقال له : رأس فلان العلج قال : وكان أهل مدينتهم يتخذون العلوج كثيراً بمنزلة العبيد السودانيين قال: وكان أبوه غائبًا تلك الليلة فخانته زوجته في الفراش ووعدت علجًا كافرًا ومكنته من نفسها وكشف الشيخ رضي اللَّه عنه بذلك فأرسل المريد ليقتله على الصفة السابقة ليمتحن صدقه فعلم أنه جبل من الجبال فكان وارث سره والمتولي بعده على فتحه واللَّه تعالى الموفق»[1] .

وذكر علي حرازم أيضًا عن التيجاني أنه قال :

« كان لبعض العارفين باللَّه عز وجل مريد صادق وكان هو وارث سره فأشهده اللَّه تعالى من شيخه أموراً كثيرة منكرة ومع ذلك فلم يتحرك له وسواس فلما مات شيخه وفتح اللَّه تعالى عليه فشاهد تلك الأمور وعلم أن الصواب مع الشيخ فيها وليس فيها ما ينكر شرعًا لأنها اشتبهت عليه فمن ذلك أن امرأة كانت من جيران الشيخ وكانت تذكر بالسوء وكان المريد يعرف شخصها وكان للشيخ امرأة على صورتها ولكن المريد لا يعرفها وكان للشيخ موضع يخلو به بين باب الدار وبين البيوت وكان المريد لا يبلغ إليه وإنما يقف بالباب فاتفق أن دخلت المرأة المشهورة بالسوء على المريد وهو بالباب فجازت الدار واتفق أن خرجت امرأة الشيخ الشبيهة بها فدخلت على الشيخ الخلوة وكان أرسل الشيخ إليها ليقضي حاجته منها فدخلت وقام إليها الشيخ ومرت الشبيهة بها نحو البيت فرمى المريد ببصره إلى الخلوة فرأى المرأة مع الشيخ وهو يقضي حاجته منها فما شك أنها المشهورة بالسوء وربط اللَّه على قلبه فلم يستضره الشيطان ثم خرجت المرأة وحانت الصلاة فخرج الشيخ للصلاة وتيمم وكان به مرض منعه من الاغتسال فما شك المريد أن الشيخ

(١) « رماح حزب الرحيم » لعلي حرازم (١/ ١١٧) .

تيمم من غير ضرورة وربط اللَّه على قلب المريد وكان بالشيخ مرض منعه من هضم الطعام فصنعوا له ماء القلنيص عصروه وأتوا له بمائه ليشربه فدخل المريد فوجده يشربه فما شك أنه ماء خمر وربط اللَّه على قلبه فلم يتحرك عليه وسواس فلما فتح اللَّه عليه علم أن المرأة التي وطئها الشيخ امرأته لا المرأة المشهورة بالسوء وعلم أن التيمم الذي فعله الشيخ لضرورة كانت بجسده وعلم أن الماء الذي شربه الشيخ ماء القلنيص لا ماء الخمر واللَّه تعالى الموفق »[1] .

من القصتين السابقتين نخرج بالنتائج الآتية :

النتيجة الأولى : أن المتصوفة يدعون المريدين لكي يطيعوا مشائخهم طاعة عمياء بحيث يجب عليه أن ينفذ أوامر الشيخ حتى ولو أمره بمعصية كما فعل ذلك المريد الذي أمره شيخه بقتل أبيه فنفذ أمر شيخه رغم أنه أمره بمعصية وهذه دعوة إلى فعل المنكرات التي يأمر بها المشائخ .

النتيجة الثانية : أنه لا يجوز للمريد أن ينكر على شيخه حتى ولو رآه يفعل شيئًا محرمًا أمامه في الظاهر خوفًا من أن لا يكون حلالاً في علم الباطن حسب زعم المتصوفة وإلا فالحلال والحرام ظاهر في الشريعة الإسلامية وليس هناك أي اشتباه بينهما وما أمر دجاجلة المتصوفة المريدين بهذا الأدب إلا ليفعلوا المنكرات كما يريدون بدون أن يستنكر عليهم أي أحد من التلاميذ وهذه دعوة ظاهرة لتعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وذكر علي حرازم أن أحد المشائخ اختبر مريديه بالدخول مع امرأة جميلة في غرفة خاصة وأغلق الباب ففر منه جميع المريدين مستنكرين لهذا

---

(١) « رماح حزب الرحيم » لعلي حرازم بهامش « جواهر المعاني » (١/١١٧) .

الفعل المحرم من الشيخ ولم يبق من المريدين إلا مريد واحد فقط غير مستنكر على الشيخ هذا الفعل وإليك نص القصة بكاملها :

قال علي حرازم :

« كان لبعض الأكابر عدة أصحاب وكان لا يتخيل النجابة إلا من واحد منهم فأراد أن يختبرهم يومًا فاختبرهم ففروا بجملتهم سوى ذلك الواحد وذلك أنه تركهم حتى اجتمعوا على باب خلوته فأظهر لهم صورة امرأة جاءته فدخلت الخلوة فقام الشيخ ودخل معها فأيقنوا أن الشيخ اشتغل معها بالفاحشة فتفرقوا كلهم وخسرت نياتهم إلا ذلك الواحد فإنه ذهب وأتى بالماء وجعل يسخنه بقصد أن يغتسل به الشيخ فخرج عليه الشيخ فقال له : ما هذا الذي تفعل ؟ فقال : رأيت المرأة قد دخلت فقلت : لعلك تحتاج إلى غسل فسخنت لك الماء ، فقال له الشيخ : وتتبعني بعد أن رأيتني على المعصية؟! فقال له : ولم لا أتبعك وأنت أعرف مني بالطريقة معرفتك باقية فيك فالوصف الذي عرفتك عليه لم يزل فلا تبدل لي نية ولا يتحرك لي خاطر فقال له الشيخ : يا ولدي تلك الدنيا تصورت بصورة امرأة وأنا فعلت ذلك عمدًا لينقطع عني أولئك القوم فادخل يا ولدي وفقك اللَّه معي إلى الخلوة فهل ترى امرأة فيها فدخل فلم يجد امرأة فازداد محبة على محبته واللَّه تعالى الموفق »[1] .

والشاهد من إيراد هذه القصة هو أن الصوفية يعتقدون بأنه لا يجوز الإنكار على المشائخ حتى ولو رآهم المريد يفعلون أمورًا منكرة مخالفة للشريعة الإسلامية بل عليه أن يقرهم عليها لأن الإنكار عليهم يؤدي إلى

---

(١) « رماح حزب الرحيم » لعلي حرازم بهامش « جواهر المعاني » (١/١١٨) .

حرمان المريد من الوصول إلى الولاية الصوفية كما يزعمون وهذه دعوة صريحة إلى تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقال النبهاني :

« إبراهيم النبيتي المجذوب الصاحي . . من كراماته قال الحمصاني: وقفت أصلي في جامع المرأة فدخل عليّ رجل من الجند ومعه أمرد وقصد به جهة المراحيض فتشوشت في نفسي وقلت : ضاقت عليه الدنيا وما وجد إلا الجامع ولم أنطق بذلك ، فقال لي إبراهيم المذكور : ما فضولك وما أدخلك يا كذا وكذا ؟ وسبني وشتمني وقال : لا تتعرض وما لك وذاك إلى غير ذلك »[1] .

والشاهد من إيراد هذه القصة هو أن ذلك الصوفي الذي كان يصلي استنكر فعل هذا الجند مع هذا الأمرد الفاحشة في حمامات المسجد فتشوش في صلاته ولكن قال له الشيخ الصوفي الكبير لا ينبغي لك أن تعترض على من يفعل المنكر وهذه دعوة صريحة إلى تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وذكر النبهاني أيضًا أن أحد المارة استنكر على علي نور الدين العظمة عدم ستر عورته وفجأة وجد نفسه بين أصابع الشيخ العريان وإليك نص الحكاية :

قال النبهاني :

« على نور الدين العظمة ، كان من أكابر الأولياء والمجاذيب . . ومن كراماته ما حكاه حشيش الحمصاني أنه مر عليه يومًا فجرى في خاطره

---

(١) « جامع كرامات الأولياء » للنبهاني (١/ ٤١٤) .

الإنكار عليه لعدم ستر عورته فما تم له هذا الخاطر إلا وقد وجد نفسه بين أصبعين من أصابعه يقلبه كيف شاء ويقول : انظر إلى قلوبهم ولا تنظر إلى فروجهم »[1] .

والشاهد من إيراد هذه الحكاية هو أن المتصوفة يعتقدون بأن إنكار المنكر على المشائخ يسبب للإنسان الهلاك الدنيوي والأخروي ولذا فهم دائمًا يحذرون من الإنكار على المشائخ وهذا تعطيل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقال القشيري :

« سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول : خرجت إلى مرو في حياة شيخي الأستاذ أبي سهل الصعلوكي وكان له قبل خروجي أيام الجمعة بالغدوات مجلس دور القرآن والختم فوجدته عند رجوعي قد رفع ذلك المجلس وعد مجلس القول فداخلني من ذلك شيء فكنت أقول في نفسي: قد استبدل مجلس الختم بمجلس القول فقال لي يومًا : يا أبا عبد الرحمن إيش يقول الناس فيّ؟ فقلت : يقولون : رفع مجلس القرآن ووضع مجلس القول، فقال : من قال لأستاذه لم لم يفلح أبدًا »[2] .

والشاهد من إيراد هذه الحكاية هو استبدال الشيخ مجلس القرآن الكريم بمجلس القول وأن الناس لم يستطيعوا أن ينكروا عليه هذا المنكر لأنهم يخشون من العاقبة الوخيمة التي تلحق بالمنكرين على مشائخ الصوفية حسب زعمهم الباطل وكما ذكرنا في القصة أن الشيخ قال لتلميذه : إن كل من يقول

---

(١) « جامع كرامات الأولياء » للنبهاني (٢/٣٧٨) .

(٢) « الرسالة القشيرية » (٢/٦٣٤) .

لشيخه لم ، لا يمكن أن يفلح أبدًا وذلك لأن المطلوب من المريدين هو الاستسلام الكامل لكل ما يقوله الشيخ ويفعله ولا يجوز لهم حتى مجرد الاستفسار لأن هذا يكون عائقًا أمام المريد من الوصول إلى الولاية الصوفية وهذه دعوة صريحة إلى تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقال أحمد بن محمد الصاوي :

« أحمد البدوي أحد الأقطاب الأربعة . . ثم حصلت له جمعية على الحق فاستغرق إلى الأبد . . . وأكثر أوقاته شاخص ببصره نحو السماء وعيناه كالجمرتين . . واجتمع به ابن دقيق العيد فقال له إنك لا تصلي ما هذا سنن الصالحين فقال : له اسكت وإلا طيرت دقيقك ودفعه فإذا هو بجزيرة متسعة جدًا فضاق ذرعه حتى كاد يهلك فرأى الخضر فقال له : لا بأس عليك إن مثل البدوي لا يعترض عليه اذهب إلى هذه القبة وقف ببابها فإنه سيأتيك العصر ليصلي بالناس فتعلق بأذياله لعل أن يعفو عنك ففعل فدفعه فإذا هو ببابه»[1] .

والشاهد من إيراد هذه القصة هو أن البدوي كان لا يصلي وأن ابن دقيق العيد بسبب استنكاره عليه هذا المنكر تعرض للخطورة فنفي من البلاد بدفعة واحدة من الشيخ والصوفية يوردون مثل هذه الحكايات المكذوبة من أجل أن يخوفوا الناس من الإنكار عليهم حتى يرتكبوا المنكرات بأنواعها كما يريدون وهذه دعوة صريحة إلى تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وحكى شهاب الدين السهروردي أن أحد الصالحين كان يصوم ويفطر

---

(١) « حاشية الصاوي » (ص١٤٦) .

قبل غروب الشمس وإليك نص الحكاية :

قال : « وحكي عن بعض الصادقين من أهل واسط أنه صام لسنين كثيرة وكان يفطر كل يوم قبل غروب الشمس إلا في رمضان ».

وعلق السهروردي على هذا بقوله . . . « ولكن أهل الصدق لهم نيات فيما يفعلــون فلا يعارضــون والصدق محمود لعينه كيف كان »[(١)] .

والشاهد من إيراد هذه الحكاية هو أن هذا الرجل بإفطاره قبل غروب الشمس يعتبر صومه باطلاً وهذا منكر منه ومع ذلك فقد وصفه المتصوفة بأنه من الصادقين ولا ندرى كيف سيكون الكذابون حالهم إذا كان حال الصادقين هكذا يخالفون الشريعة مخالفة صريحة .

وكما هو واضح في القصة فقد قال السهروردي أن أهل الصدق لا يعترض عليهم مهما فعلوا حتى ولو خالفوا بفعلهم ما جاء في الشريعة الإسلامية وهذه دعوة صريحة من المتصوفة لتعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ويقول عبد العزيز الدباغ :

« وإذا أراد اللّه شقاوة قوم وعدم انتفاعهم بالولي سخرهم الحق فيما هم فيه من قبح ومخالفة فيظنون أنه على شاكلتهم وليس كذلك حتى إنه يتصور في طور الولاية أن يقعد الولي مع قوم يشربون الخمر وهو يشرب معهم فيظنون أنه شارب الخمر وإنما تصورت روحه في صورة من الصور وأظهرت ما أظهرت وفي الحقيقة لا شيء وإنما هو ظل ذاته تحرك فيما تحركوا فيه مثل الصورة التي تظهر في المرآة »[(١)] .

---

(١) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص١٧١) .

ويقول الدباغ أيضًا في مكان آخر :

« إن غير الولي إذا انكشفت عورته نفرت منه الملائكة الكرام لأن الحياء يغلب عليهم والمراد بالعورة العورة الحسية وهي ظاهرة والعورة المعنوية التي تكون بذكر المجون وألفاظ السفه وأما الولي فإنها لا تنفر منه إذا وقع له ذلك لأنه إنما يفعله لغرض صحيح فيترك ستر عورته لما هو أولى منه لأن أقوى المصلحتين يجب ارتكابه ويؤجر على ستر عورته وإن لم يفعله لأنه ما منعه من فعله إلا ما هو أقوى منه ولولا ذلك الأقوى لفعله فكأنه فعلهما جميعًا فيؤجر عليهما معًا »(٢) .

ويقول عبد العزيز الدباغ أيضًا :

« إن الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصي وهو ليس بعاصٍ وإنما روحه حجبت ذاته فظهرت في صورتها فإذا أخذت في المعصية فليست بمعصيته لأنها إذا أكلت حرامًا مثلاً فإنها بمجرد جعلها في فيها فإنها ترميه إلى حيث شاءت وسبب هذه المعصية الظاهرة شقاوة الحاضرين والعياذ باللَّه »(٣) .

إذا نظرنا في الحكايات الثلاثة التي ذكرناها عن عبد العزيز الدباغ نرى فيها كلها الغلو الزائد في المشائخ والدعوة إلى عدم الإنكار عليهم . . حتى ولو رآهم الإنسان يفعلون شيئًا محرمًا وهذه دعوة صريحة من المتصوفة إلى تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

---

(١) « الإبريز » لعبد العزيز الدباغ (ص٢٣١) .

(٢) « الإبريز » للدباغ (ص٢٣٣) .

(٣) « الإبريز » للدباغ (ص٢٣٢) .

ويقول الشيخ أحمد بن الشيخ حسن عن الشيخ عبد اللّٰه بن دهلية قال:

« أتيت شيخنا الشيخ محيي الدين العلي مساءا وكان جالسًا جنب حائط فأدخل يده فيه وأخرجها إلى جنبه الآخر فاجتمع عليها نساء فقبلها فقلت في نفسي : هؤلاء النسوة لسن كلهن محارم، فقال لي : يا ابن خالي أنا بحر يدخله كلب وحائضة وغيرهما ولا يتنجس، ففزعت بعلمه بما خطر في قلبي ثم قال لي : اتبعني إلى رجل طعنته بسم ماء أمس فسألت منه البارحة ثم أعدته عليه الصباح لنسل منه فتبعته فحضرنا إلى رجل يتخبط في بوله وغائطه ويسيل منه اللعاب فقرأ شيئًا فعض قفاه فأفاق وجلس كأنه تنبه من نوم وكان ذلك الرجل متعديًا على الشيخ رضي اللّٰه عنه ونفعنا به في الدارين »[1] .

وقال أيضًا : « أتيت الشيخ محيي الدين العلي ومعي رجل اسمه الشيخ موسى فأضافنا فجاءه بعدنا جماعة من نساء ورجال فصافحهم جميعًا بلا حائل فلما ذهبنا من عنده قال لي الشيخ موسى : لم صافح الشيخ محيي الدين النساء بلا حائل فزجرته عن مقالته وتفرقنا فجاءني صباح الغد وقال لي: بت الليلة في شدة عظيمة جاءني الشيخ إدريس القادري وأوقعني في ثلاثة آبار وقال لي : ما سلطك على الشيخ محيي الدين العلي وأريد أن أستحل منه فاتبعني إليه فقلت له : لا أتبعك وأعطيته عشر شلن وقلت له : استعن بها لهدايته وذهب من عندي وحضر عند الشيخ فمر بي بعد رجوعه منه فقال لي : قال الشيخ لي قبل أن أحكيه : عفوت عنك ولا حرج عليك ولم يأخذ الهدية مني بل أعطاني أخرى »[2] .

والشاهد من إيراد هاتين الحكايتين هو أن الشيخ محيي الدين العلي

---

(١) « تذكرة أهل اليقين » (ص٣٨) .

(٢) « تذكرة أهل اليقين » (ص٤٠) .

الصوفي ارتكب في كلتا الحكايتين أمرًا منكرًا واستنكر عليه رجل واحد في كلتا القصتين ولم يكن الإنكار في الحكاية الأولى إلا بالقلب فقط وأما في الثانية فتلفظ الرجل بالإنكار على الشيخ فعلته المحرمة مع أحد الرجال الذين كانوا حاضرين معه عند الشيخ وكما هو واضح في الحكايتين أن الرجلين تعرضا لعقاب شديد في الدنيا قبل الآخرة بسبب إنكارهم المنكر ومثل هذه الحكايات يقصد الصوفية من ورائها تخويف العامة من الإنكار على المشائخ إذا وقعوا في منكرات لأن دجاجلة الصوفية لا يمكن أن يجتنبوا فعل المنكرات بجميع أنواعها ولذا فلابد وأن يخوفوا العوام بمثل هذه الحكايات المكذوبة .

ويقول الشعراني وهو يتكلم عن أئمة التصوف :

« ومنهم سيدي الشريف المجذوب رضي اللَّه تعالى عنه ورحمه وكان رضي اللَّه عنه ساكنًا تجاه المجانين بالمارستان المنصوري وكان له كشف ومثاقلات للناس الذين ينكرون عليه وكان رضي اللَّه عنه يأكل في نهار رمضان ويقول أنا معتوق أعتقني ربي ، وكان كل من أنكر عليه يعطبه في الحال وكان رضي اللَّه عنه يبلع الحشيش فوجدها يومًا حلاوة وكان قد أعطاه اللَّه تعالى التمييز بين الأشقياء والسعداء في هذه الدار »[1] .

والشاهد في هذه الحكاية أن هذا الرجل كان يفطر في نهار رمضان وهذا أمر منكر لا يجوز وأن كل من تعرض للإنكار عليه كان يهلكه في الحال وكان يتعاطى الحشيش وهذا منكر ثانٍ ومثل هذه الحكاية يرويها المتصوفة لتخويف العوام حتى لا يقدموا على الإنكار على مشائخ الصوفية

---

(١) « الطبقات الكبرى » للشعراني (٢/ ١٥٠) .

حينما يفعلون المنكرات وهو كما نرى دعوة صريحة إلى تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقال صاحب كتاب « مدارج السلوك » وهو يتحدث عن الآداب التي يجب أن يتحلى بها المريد :

« الأدب الثاني : ومما يجب عليك أيها المريد من الآداب مع الشيخ وبعد سلب الإرادة إليه واعتقاده أن لا تعترض عليه في أقواله وأفعاله وأحواله وقتًا من الأوقات في ظاهرك وباطنك ومتى اعترضت عليه ولو باطنًا حصل لك الشتات في الدين والدنيا وطردت عن الوصول إلى منزل المقربين طرد هجر وبعد قلبًا وقالبًا أو قلبًا وهو أقوى في الطرد »[1] .

ويقول السهروردي تحت قوله تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية ما نصه :

« وشرطه التسليم وهو الانقياد ظاهرًا ونفي الحرج وهو الانقياد باطنًا وهذا شرط المريد مع شيخه بعد التحكيم بلبس الخرقة يزيل اتهام الشيخ عن باطنه في جميع تصاريفه ويحذر الاعتراض على الشيوخ فإنهم سم قاتل للمريدين وقل أن يكون مريد يعترض على الشيخ بباطنه فيفلح ويذكر المريد كلما أشكل عليه شيء من تصاريف الشيخ قصة موسى مع الخضر كيف كان تصدر من الخضر تصاريف ينكرها موسى ثم لما كشف له عن معناها بان لموسى وجه الصواب في ذلك فهكذا ينبغي للمريد أن يعلم أن كل تصرف أشكل على صحته من الشيخ عن الشيخ فيه بيان وبرهان للصحة »[2] .

---

(١) « مدارج السلوك » (ص٨٥) .

(٢) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص٧٩) .

وقال أبو الحسن الششتري[1] :

« ولا يعترض على المشايخ فيما يصنعون فإنهم لا يتصرفون إلا عن إذن وبصيرة وليس هم مما يدخلون تحت جنس العالم الأول أعني عالم الحجاب الذين لم يتشوفوا إلى عالم الملكوت ولم تفتق سماء عقولهم إلا بالظواهر خاصة بل هم كائنون بائنون الحركات والسكنات والأجسام والأقوال واللسان والحروف المنطوق بها كل ذلك متجانس مع العامة وهم محجوبون عنهم من وجه آخر » .

ثم قال : « فلا يعرف ما هم به وعليه إلا من كان منهم »[2] .

وقال الشربيش :

ولا تعترض يومًا عليه فإنه كفيل بتشتت المريد على هجر
ومن يعترض والعلم عنه بمعزل يرى النقص في عين الكمال ولا يدري
ومن لم يوافق شيخه في اعتقاده يظل من الإنكار في لهب الجمر[3]

وقال محيي الدين بن عربي:

« ومن شرط المريد أن يعتقد في شيخه أنه على شريعة من ربه وبينة منه ولا يزن أحواله بميزان فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن والحقيقة فيجب التسليم وكم من رجل كأس خمر بيده ورفعه اللَّه إلى فيه وقلبه اللَّه في فيه عسلاً والناظر يراه شراب خمر وهو

---

(١) هو أبو الحسن علي بن عبد اللَّه الششتري المتوفى (٦٦٨هـ) انظر « الأعلام » للزركلي (٣/ ٢٣٩) .

(٢) « مدارج السلوك » (ص٨٥) .

(٣) مدارج السلوك » (ص٨٦) .

ما شرب إلا عسلاً »[1] .

وهذه دعوة صريحة إلى تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحجة أن الأولياء ينقلب لهم الحرام حلالاً بمجرد أن يرفعوه إلى أفواههم وهو كذب وافتراء صريح فإن الحرام لا يمكن أن ينقلب حلالاً بل هو يبقى على حرمته فالخمر خمر ولا يمكن أن ينقلب إلى عسل ولا إلى حليب ومن زعم غير هذا فقد افترى على اللَّه الكذب والمتصوفة يحكون هذه الحكايات المكذوبة لأجل أن يفعلوا المنكرات كما يريدون ولا ينكر عليهم أحد بحجة أن الحرام ينقلب لهم حلالاً بمجرد أن يقترفوه فالخمر ينقلب حليبًا بمجرد شربه والزنا ينقلب حلالاً بمجرد اقترافه وهكذا فكل حرام ينقلب حلالاً بمجرد ما يقدم عليه الولي الصوفي ولذا لا ينبغي الإنكار على الأولياء .

وبعد أن ألزم شيوخ المتصوفة المريدين بعدم الإنكار على المشايخ مهما ارتكبوا من منكرات وقع الصوفية في ارتكاب المنكرات بجميع أنواعها وذلك بترك ما أمرت به الشريعة واقتراف ما نهت عنه الشريعة من المعاصي والفساد وإليك نماذج من هذه المعاصي والمنكرات التي كان يرتكبها زعماء التصوف .

فقد قال توفيق الطويل وهو يتحدث عن أحوال المتصوفة في العهد العثماني التركي في مصر :

« وكان كبار متصوفة هذا العهد لا يقيمون الصلاة أبدًا مدعين أنهم يقومون بأدائها في الأماكن المقدسة وكان في مقدمة هؤلاء عبد القادر الدشطوطي وإبراهيم المتبولي وعلي الخواص وغيرهم من أصحاب الضرائح

---

(١) « مدارج السلوك » (ص٨٦) .

والمزارات ممن يوليهم العامة في مصر أبلغ آيات التقديس وأسمى مظاهر التقدير »[1] .

كما نرى في كلام توفيق الطويل فإن المتصوفة وصلوا إلى قمة الفساد والتحلل من الأوامر الإلهية حيث تركوا الصلاة ومع ذلك ويا للأسف يطلق كثير من عوام المسلمين على أمثال هؤلاء أولياء اللَّه وهم أبعد ما يكونون عن اللَّه وكان الأحرى بأمثال هؤلاء أن يطلق عليهم أعداء اللَّه وأن تقطع رقابهم حتى يكونوا عبرة لمن يأتي بعدهم ولكن بما أن الأمة كانت قد وصلت في الانحطاط العقدي والأخلاقي إلى الحضيض وكان الجهل منتشراً فيها فقد عاش هؤلاء معززين مكرمين وكانت لهم السيطرة الكاملة على الناس حكامًا ومحكومين في العالم الإسلامي وكانت لهم المكانة العليا في قلوب عوام المسلمين وقد ذكر توفيق الطويل بأن الصوفية كانت لهم السيطرة الكاملة على الناس .

يقول توفيق الطويل وهو يتحدث عن نفوذ المتصوفة :

« كان المتصوف إذا خرج إلى الشارع أو سار في الأسواق تهافت عليه الناس وتكاثر حوله عديدهم وسدوا طريقه وانهالوا على يديه وقدميه تقبيلاً ولثمًا وممن كان خروجهم إلى الشوارع يثير هذا الضجيج : السيد محمد البكري »[2] .

ومما يدل على وقوع زعماء التصوف في الفساد والانحلال الخلقي ما قاله توفيق الطويل :

---

(١) « الصوفية في مصر » لتوفيق الطويل (ص٤٨) .

(٢) « الكواكب السائرة » (ص١٠٨) .

« وسار علي البكري (١٢٠٧) عاريًا في الأسواق يهذي في حديثه ويخلط في كلامه فيؤول الناس هذيانه تأويلاً يلائم أحوالهم ويتفق مع أغراضهم واستغل أخوه سذاجة الناس فمنعه من الخروج إلى الشوارع والأسواق مكشوف الرأس والسوأتين كما كان يفعل في أغلب أحواله وحبسه في بيته وروج له وعزا إليه من الكرامات والخوارق ما حمل الناس على الإسراف في الإيمان به والمسارعة إلى تقديم الهدايا والنذور إليه حتى أثرى أخوه من ورائه وقد بلغ من اعتقاد الناس في هذا الدرويش أن تبعته امرأة ولزمته في الشوارع والأسواق فسرعان ما آمن الكثيرون من الناس بصدق ولايتها وأشاعوا أن الشيخ قد لحظها وجذبها فأصبحت من أولياء اللّه الصالحين ثم ارتفعت في درجات الجذب فخرجت معه إلى الشارع في زي الرجال يتبعهما أنى سارا الأطفال والصغار وعامة الناس ومنهم من اقتدى بهما ونزع ثيابه وكثر أتباع هذا الرجل المعتوه حتى كان إذا مر بشارع ملأه ضجيجًا ونهب أتباعه محال التجار واستولوا على ما فيها من البضائع وكانت المرأة تصعد أحيانًا على درب عال وتفحش في القول فيزداد إيمان الكثيرين بها ويقبلون يدها تيمنًا ببركتها » إلى أن قال : « وقد ربط المرأة التي تبعته عند المجانين بالمارستان ولبثت على هذه الحال حتى إذا جدت الحوادث أطلق سراحها فخرجت إلى الشوارع فإذا هي شيخة على انفرادها يحسن الناس الاعتقاد فيها ويؤمن النساء بصدق ولايتها حتى أقيمت لها الموالد بعد مماتها وقدمت إليها الهدايا والنذور »[١] .

والكلام السابق يدل على أن المتصوفة وصلوا في الانحلال الخلقي إلى الحضيض بحيث أصبحوا يسيرون في الشوارع عرايا كالحيوانات التي لا عقل

---

(١) « تاريخ الجبرتي » (٢/ ١٥٥) .

لها وأظن هذا السلوك الفاضح من الانحلال الخلقي لم يصل إليه حتى الماديون الذين لا دين لهم فلا يمكن أن يسير الإنسان في الشوارع عريانًا وبه حبة خردل من إيمان بل من عقل فضلاً عن الإيمان ومع هذا فإن أمثال هؤلاء كانت لهم السيطرة الكاملة على الناس شعوبًا وحكامًا والسبب في ذلك لأن الأمة أصبحت جاهلة بأمور دينها فوقعت في أحضان هؤلاء المتصوفة الدجاجلة فاستعمروها تمامًا وسلخوها من الدين بنشرهم مثل هذه المنكرات المذكورة في القصة السابقة .

ويقول توفيق الطويل وهو يتحدث عن السيد علي البكري المذكور آنفًا :

« بل بلغ من مكانة هذا الرجل الملحوظ أن كان شيوخ الطرق في الدول الإسلامية يجتمعون به فيعطيهم إذنًا عامًا على عموم الطرق ويأذن لهم في أن يكونوا رؤساء يرجع إليهم في أمر عموم الطرق »[(١)] .

ومما يدل على وقوع المتصوفة في ارتكاب الفواحش والمنكرات ما ذكره الشعراني عن فقراء الأحمدية حيث قال :

« وقد اشتهر فقراء الأحمدية والبرهامية بارتكاب الفواحش مع النساء اللاتي يأخذون العهد عليهن »[(٢)] .

وقد ذكر الشعراني في ترجمة الشيخ عبد الكريم السبكي : أنه كان يتكلم فيما يستحي منه الناس ولا يرضى عنه العرف وقد خطب مرة عروسًا رآها فأعجبته فكشف لها عن جسمه وهي في حضرة أبيها لكي تطمئن على خلوه من البرص وبراءته من الخشونة وغيرها مما يستدعي الشكوى بعد

---

(١) « التصوف في مصر » لتوفيق الطويل (١٢٣) .

(٢) « العهود المحمدية » للشعراني (ص١٨٠) نقلاً عن « الصوفية في مصر » لتوفيق الطويل .

الزواج ثم تناول قضيبه في يده وطلب منها أن تمعن النظر إليه لتطمئن على حجمه ومنظره[١] .

وقال توفيق الطويل :

« وكان وجود الغلمان في حلقات الذكر ومواكبه جزء من نظام المتصوفة .

وكان العيسوية إذا أقاموا للذكر على طريقتهم المغربية سعى إليهم الناس وخف للفرجة عليهم حسان الغلمان فيكلف بهم هؤلاء الغلمان ويسعون وراءهم »[٢] .

وقال الشعراني :

« كان الشيخ علي أبو خوذة يحب الغلمان ويعبث بهم بحضرة آبائهم بالغًا ما بغلت مكانتهم وكان كلما رأى امرأة حسس بيده على مقعدها »[٣] .

ويقول الجبرتي :

« وكان المجذوب محمد بن أبي بكر المغربي الطرابلسي (ت١٢٠١) صاحب الأحوال يحب مجالس الشراب وتتهافت عليه نساء البلد فأنكر عليه ذلك بعض الناس ولكن أهل الفضل كانوا يحترمونه وينقلون عنه أخبار حسنة ويجله الأعيان وتنهال عليه الهدايا ولا يرد له الوزراء شفاعة »[٤] .

وقال توفيق الطويل :

---

(١) « الطبقات الكبرى » للشعراني (٢/ ١٨٤) .

(٢) « التصوف في مصر » لتوفيق الطويل (ص١١٢) .

(٣) انظر « الطبقات الكبرى » للشعراني (٢/ ١٥٣) .

(٤) انظر « تاريخ الجبرتي » (٢/ ٣٧) .

« وقد اشتهر فقراء المطاوعة بحبهم للغلمان حتى كانوا إذا عقدوا مجالس الذكر أجلسوا الصبيان من ورائهم ليحتضنوهم من الخلف إذا اشتدت حماسة الذاكر للَّه فإن أنكر عليهم ذلك أحد من الناس قالوا : لا جناح على من مس دبر الغلام وإنما الجناح على من فعل فيه الفاحشة وحدها » .

ويقول توفيق الطويل أيضًا وهو يذكر الانحلال الخلقي الذي وصل إليه المتصوفة في آخر العهد العثماني التركي في مصر :

« وكان الأولياء في عرف الجمهور وأكثر العلماء فوق الدين وفوق العرف وما أكثر حوادث الفقراء مع النساء والغلمان وسائر مظاهر تمردهم على الدين والعرف وقد كان الناس يقابلون هذا التمرد والاستهتار بالرضا والاغتباط وإن الأولياء في عرف الكثيرين منهم قد سقطت عنهم التكاليف الدينية فجاز لهم ما حرم على غيرهم يهملون الصلاة ويتركون الصلاة ولا يقومون بشيء من فروض الدين وشعائره ثم لا يتقيدون بعدها بشيء ولا يخضعون لقيوده ومحرماته فالزنا والميسر والحشيش وكافة الرذائل قد أحلت لهم فاستباحوا الحرمات على مرأى من الناس ولم يجدوا من شدة الإنكار عليهم ما يخيفهم أو يردهم عن غيهم ويدلهم إلى أقوم سبيل »[١] .

إذا نظرنا في الحكايات التي ذكرناها عن أئمة التصوف أنفسهم وعن الكتاب الذين كتبوا عن التصوف وآثاره المدمرة في العالم الإسلامي يتضح لنا بأن المتصوفة بالفعل وقعوا في ارتكاب المنكرات بجميع أنواعها فتركوا الفرائض من صلاة وصوم وغيرها وارتكبوا المحرمات فوقعوا في ارتكاب الفاحشة مع النساء والغلمان الذكور وشربوا الخمور والحشيش ولم يتركوا بابًا من أبواب المنكر إلا أتوا عليه وذلك بعد أن عطلوا الأمر بالمعروف والنهي

---

(١) « الصوفية في مصر » لتوفيق الطويل (ص١١٦) .

عن المنكر في العالم الإسلامي كما تبين لنا في الآداب التي وضعوها للمريدين والتي قالوا من أهمها عدم إنكار المريد على شيخه مهما فعل من المنكرات وبسبب الحكايات المكذوبة التي ذكروها بأن كثيراً ممن أنكروا على الشيوخ تعرضوا للمخاطر ولذا عاث الصوفية في الأرض فساداً ولا زالوا إلى الآن يعيثون في الأرض فساداً فالمنكرات التي تفعل عند زيارة قبور زعماء التصوف يعجز الإنسان ويستحي أن يذكرها حيث في تلك الموالد يحصل الاختلاط الرهيب بين النساء والرجال متبرجات مائلات مميلات ويحصل من الفساد في تلك المشاهد الصوفية ما اللّه به عليم ولذا فالصوفية هي أم الفساد العقدي والخلقي في العالم الإسلامي ومع ذلك فقد استهان أكثر العلماء بالمتصوفة ولم يأخذوا من التأليف في الرد عليهم ما يستحقونه إلى الآن لأن الطرق الصوفية منتشرة على امتداد العالم الإسلامي وكل طريقة جديرة بأن تؤلف عليها رسالة لوحدها .

ويقول الإمام الشاطبي وهو يتحدث عن الاعتقاد الفاسد المنتشر في الأمة الإسلامية من أن زعماء الطرق الصوفية تباح لهم المحرمات دون غيرهم من البشر .

قال : « إن كثيراً يتوهمون أن الصوفية أبيح لهم أشياء لم تبح لغيرهم لأنهم ترقوا عن رتبة العوام المنهمكين في الشهوات إلى رتبة الملائكة الذين سلبوا الاتصاف بطلبها والميل إليها فاستجازوا لمن ارتم في طريقهم إباحة بعض الممنوعات في الشرع بناءً على اختصاصهم عن الجمهور . . وهذا باب فتحته الزنادقة بقولهم : إن التكليف خاص بالعوام ساقط عن الخواص»[1] .

---

(١) « الموافقات » للشاطبي (٢/٢٤٨) .

وقال الهيثمي في « الفتح المبين » نقلاً عن أبي شامة من شيوخ النووي:

« إن من البدع السيئة الانتماء إلى جماعة يزعمون التصوف ويخالفون ما كان عليه مشائخ الطرق من الزهد والورع وسائر الكمالات المشهورة عنهم بل كثير من أولئك إباحية لا يحرمون حرامًا لتلبيس الشيطان عليهم أحوالهم القبيحة الشنيعة منهم باسم الفسق أو الكفر أحوج منهم باسم التصوف أو الفقر »[1] .

ويقول الشيخ مبارك الميلي وهو يتحدث عن انحراف المتصوفة في باب الولاية :

« النقطة الثانية حصر الولاية فيمن كان على شاكلتهم ومن ذريتهم ولو كان حظه من العلم الأمية ومن العمل الإباحية والمعتقدون فيهم يجيبون على جهالاتهم ويدافعون عن منكراتهم بأن شريبهم إنما يشرب عسلاً أو أنه تطفئ من نور الولاية الشديد غلته وبأن زانيهم إنما زناه صورة خيالية يمتحن بها أهل المرأة ومبلغ عقيدتهم فيه ويعبرون عن ذلك بقولهم (الشيخ يفسد النية)»[2] .

ومن المتصوفة الذين ذكروا الآداب التي يجب أن يتحلى بها المريد : ابن عجيبة الحسني[3] .

والخلاصة أن الصوفية يعتقدون بأن المريد الصوفي الذي يريد أن يصل

---

(١) « الفتح المبين » للهيثمي (ص٩٥) .

(٢) « الشرك ومظاهره » للميلي (٢٩٥) .

(٣) انظر « إيقاظ الهمم في شرح الحكم » لابن عجيبة الحسني (ص١٠٤) .

إلى الولاية الصوفية الشيطانية لا يجوز له أن يعترض على شيخه نهائيًا حتى ولو رآه يفعل شيئًا منكرًا واضحًا كل الوضوح لأن هذا يكون سببًا لطرده عن رعاية الشيخ ويكون عرضة للهلاك الدنيوي والديني كما يزعمون .

ويعتقد المتصوفة أيضًا بأن الأولياء تباح لهم كل المحرمات لأنها بمجرد ما يضعونها في أفواههم تنقلب حلالاً مثل الخمر الذي انقلب عسلاً كما سبق ذكره آنفًا ولذا لا يجوز الإنكار على الأولياء مهما ارتكبوا من جرائم فظيعة كالزنا واللواط وشرب الخمر وترك الصلاة وغيرها من فرائض الإسلام لأنهم يعتقدون بأن أولياء الصوفية تباح لهم المحرمات وقد أدى هذا كله إلى تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في العالم الإسلامي مما سبب انتشار المنكرات بكل أنواعها كما ذكرنا ذلك عن مجموعة من شيوخ الطرق الصوفية وكيف أنهم وقعوا في ارتكاب الفواحش والمنكرات ومع ذلك لم يوجد من ينكر عليهم ويضرب على أيديهم بيد من حديد بل عاثوا في الأرض فسادًا فأفسدوا الأمة عقديًا وأخلاقيًا ولا زالوا إلى الآن أراح الله الأمة الإسلامية منهم آمين .

* * *

المبحث الثالث

انتشار الموالد البدعية في الأمة الإسلامية

وتحت ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : نشأة الموالد .

المطلب الثاني : المفاسد التي وقعت بسبب هذه الاحتفالات التي نشرها الصوفية في الأمة الإسلامية

المطلب الثالث : حكم الاحتفال بالمولد النبوي والموالد الأخرى .



المطلب الأول

نشأة الاحتفالات بالموالد

إن المتبع للتاريخ الإسلامي يجد أن مثل هذه الاحتفالات لم تكن موجودة عند المسلمين في القرون الأولى التي شهد لها الرسول ﷺ بأنها خير القرون بل وحتى بعد تلك القرون فإن الأمة كانت في عافية من الوقوع في هذه الموالد المبتدعة التي أصبحت وكرًا للفساد والمفسدين في العالم الإسلامي إلى يومنا هذا حتى جاءت الدولة الفاطمية الباطنية العبيدية والتي انتسبت إلى فاطمة رضي اللَّه عنها ظلمًا وعدوانًا من أجل أن يكسبوا ود المسلمين وقد ذكر كثير من المؤرخين أن هؤلاء الفاطميين ينحدرون من أصل يهودي يقال لهم العبيديون وهم أبناء عبيد اللَّه بن ميمون بن ديصان المشهور بالقداح قيل إنه يهودي وقيل إنه مجوسي[(١)] .

وقد استمرت دولتهم في مصر من (٣٥٧ ـ ٥٦٧هـ) وقد أحدث العبيديون المتسمون الفاطميون احتفالات بأيام كثيرة على رأسها أربعة موالد: مولد النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب وولديه الحسن والحسين رضي اللَّه عنهم أجمعين .

فقد جاء في خطط المقريزي المسمى كتاب « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » تحت عنوان (ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعيادًا ومواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكثر معهم قال : كان

(١) انظر « البداية والنهاية » لابن كثير (١١/ ١٨٠) .

للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم رأس السنة وموسم أول العالم ويوم عاشوراء ومولد النبي ومولد علي بن أبي طالب ومولد الحسن والحسين رضي اللّٰه عنهم ومولد الخليفة الحاضر وليلة أول رجب وليلة نصفه وليلة أول شعبان وليلة نصفه وموسم ليلة رمضان وغرة رمضان وسماط رمضان وليلة الختم وموسم عيد الفطر وموسم عيد النحر وعيد الغدير وكسوة الشتاء وكسوة الصيف ويوم النيروز ويوم الغطاس ويوم الميلاد وخميس العدس وأيام الركوبات »[١] .

وجاء في صبح الأعشى للقلقشندي في كلام طويل له في جلوسات الخليفة الفاطمي العبيدي الباطني قال بعد أن ذكر جلوسه في المجلس العام أيام المواكب وجلوسه ليلة أول رجب وليلة نصفه وليلة أول شعبان وليلة نصفه للقاضي والشهود في ليالي الوفود الأربع من كل سنة قال :

« الجلوس الثالث جلوسه في مولد النبي ﷺ في الثاني عشر من شهر ربيع الأول »[٢] .

وممن صرح من المتأخرين بأن أول من أحدث الموالد هـم المتسمون بالفاطميين مفتي الديار المصرية سابقًا : الشيخ محمد بخيت المطيعي والشيخ علي محفوظ والشيخ سعد صادق والأستاذ علي فكري .

فقد قال الشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي مفتي الديار المصرية سابقًا في كتابه « أحسن الكلام » :

« مما أحدث وكثر السؤال عنه الموالد فنقول إن أول من أحدثها بالقاهرة الخلفاء الفاطميون وأولهم المعز لدين اللّٰه توجه من المغرب إلى

(١) « الخطط » للمقريزي (١/ ٢٧٤) .

(٢) انظر « صبح الأعشى في صناعة الإنشا » (٣/ ٤٩٤ ـ ٤٩٨) .

مصر في شوال سنة (٣٦١هـ) فوصل إلى ثغر الإسكندرية في شعبان (٣٦٢هـ) ودخل القاهرة (٧ رمضان) من تلك السنة فابتدعوا سنة الموالد : المولد النبوي ومولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومولد السيدة فاطمة الزهراء ومولد الحسن ومولد الحسين ومولد الخليفة الحاضر .

وبقيت هذه الموالد على رسومها إلى أن أبطلها الأفضل ابن أمير الجيوش وكان أبوه أمير الجيوش قد قدم من الشام إلى مصر في خلافة المستنصر باللَّه بناءا على دعوة منه فدخل مصر في عشية الأربعاء لليلتين خلتا من جمادى الأولى سنة (٤٦٥هـ) فلما توجه لمحاربة أهل الشام استناب ولده الأفضل الذي ألغى الاحتفالات بتلك الموالد إلى أن أعادها الآمر بأحكام اللَّه عندما تولى بعد أبيه المستعلي سنة خمس وتسعين وأربعمائة من الهجرة»[1] .

وقال المطيعي أيضًا وهو يتحدث عن بدعة الموالد في الإسلام :

« وفي خلافة الآمر بأحكام اللَّه أعاد الموالد الستة المذكورة بعد أن أبطلها الأفضل وكاد الناس ينسونها .

وقد استمر عمل الموالد إلى الآن غير أن الناس تركوا بعض الموالد الخمسة وزادوا موالد أخرى حتى أن الموالد الآن لا تكاد تحصى وزادوا على ما كان يعمل فيها زمن الفاطميين أشياء ونقصوا أشياء وزادوا في أيامها »[2] .

وقال الشيخ علي محفوظ :

« إن أول من أحدثها ـ أي الموالد ـ بالقاهرة الفاطميون في القرن الرابع

---

(١) « أحسن الكلام » الفاطميون (ص٤٤ ـ ٤٥) .

(٢) « أحسن الكلام » للمطيعي (ص٤٧) .

فابتدعوا ستة موالد : المولد النبوي ومولد الإمام علي ومولد السيدة فاطمة ومولد الحسن ومولد الحسين ومولد الخليفة الحاضر وبقيت هذه الموالد على رسومها إلى أن أبطلها الأفضل ابن أمير الجيوش ثم أعيدت في خلافة الآمر بأحكام اللّه في سنة (٥٢٤هـ) بعد ما كاد الناس ينسونها وقد استمر العمل بالموالد إلى يومنا هذا وتوسع الناس وابتدعوها كل ما تهواه أنفسهم ويوحيه إليهم الشيطان »[١] .

وقال الأستاذ سعد صادق محمد وهو يتحدث عمن أنشأ الموالد في الإسلام لأول مرة :

« والمعروف أن الفاطميين هم أول من ابتدع فكرة الاحتفال بذكرى المولد النبوي وجعلوه من الأعياد للعامة في كل أمة من الأمم الإسلامية كما ابتدعوا غيره من الاحتفالات الدورية التي عدت من مواسمها وكذلك صرفوا الكثير من اهتمامهم إلى إحياء ما كان معروفًا من المواسم والأعياد قبل الإسلام »[٢] .

ومما تقدم تبين لنا أن الاحتفالات بالموالد سواء كان مولد النبي ﷺ أو مولد غيره احتفالات مبتدعة لم يفعلها الرسول ﷺ ولا أمر بها ولا فعلها الصحابة ولا التابعون لهم بإحسان إلى يومنا هذا وإنما ابتدع هذه الموالد أول مرة الفاطميون الباطنيون العبيديون الذين يرجعون إلى أصول يهودية وما دام الأمر كذلك فإن هذه الموالد المنتشرة في العالم الإسلامي بكامله إلا ما شاء اللّه هي موالد مبتدعة وما دامت مبتدعة فهي ضلالة وغير مقبولة عند اللّه

---

(١) « الإبداع في مضار الابتداع » لعلي محفوظ (ص١٢٦) وانظر نحوه « المحاضرات الفكرية » للأستاذ علي فكري (ص٨٤) .

(٢) « صراع بين الحق والباطل » لسعد صادق محمد (ص١٢٤) .

وذلك لما ورد في الحديث عن الرسول ﷺ : « **كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار** »[1] .

وقوله ﷺ : « **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** »[2] .

أي مردود على صاحبه لا يقبل منه نهائيًا حتى وإن اعتبره عبادة لأن العبادة هي ما شرعه اللَّه سبحانه وتعالى فقط أما غيرها فليست عبادة مشروعة ولا مقبولة عند اللَّه ومما ينبغي التنبيه عليه إنه وإن كان المبتدعون لهذه الموالد أول مرة الفاطميين إلا أن المتصوفة هم الذين نشروا هذه الاحتفالات في العالم الإسلامي ولا زالوا إلى يومنا هذا يبتدعون كل مرة مولدًا جديدًا لدجال صوفي جديد بحيث إن الإنسان يعجز عن حصر الموالد التي تقام لمن يسميهم المتصوفة أولياء اللَّه في العالم الإسلامي بأسره فما من مدينة إلا وفيها دجال صوفي يقام له المولد كل عام ويعرف هذا كل من سافر إلى البلاد الإسلامية حق المعرفة ولا يستطيع أن ينكر هذه الحقيقة إلا مكابر معاند فهي أعمال ظاهرة في الميدان واقعيًا وما أظن يحتاج إلى الرجوع إلى الكتب لإثبات هذه الاحتفالات التي يمارسها المتصوفة في العالم الإسلامي ويرتكبوا فيها كل الفساد بأنواعه الفساد العقدي والخلقي بجانب التبذير الهائل للأموال .

وإليك مثال واحد للموالد التي يحتفل بها المتصوفة في العالم الإسلامي بأسره إلا المملكة العربية السعودية التي طهرها اللَّه بدعوة التوحيد وهذا المثال هو مولد السيد البدوي الذي يحتفل به المصريون في كل عام

---

(١) (٣/ ١٥٣) .

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (١٣/ ٣١٧) .

ويشدون الرحال من أجل حضور الاحتفال بمولده السنوي العظيم الذي يقام في طنطا كل عام.

وقد وصف كيفية إقامة هذا المولد الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف فقال :

« إذا ما صدر التصريح بإقامة المولد الأحمدي وأعلن ذلك في كافة البلاد توافد الناس من شتى الجهات في الموعد المحدد فيقيمون الخيام ويضربون السرادقات في ساحة المولد ويرضى أصحاب العوائد بدفع أجر يطلبه منهم المالكون للأرض لإقامة خيامهم عليها وتقام الخيام والسرادقات الخاصة بأهل الريف حول ساحة المولد والضواحي المجاورة لها أمام الخيام والسرادقات الخاصة بالحكومة وشيوخ الطرق وأرباب العوائد فإنها تقام في الساحة وتسمى هذه البقعة بالسحابة.

وبالقرب من الساحة تقام سارية خشبية عالية تسمى بالصاري ويقدر متوسط ما يقام من الخيام عادة في هذا المولد خمسة آلاف خيمة.

وفي اليوم الأول للمولد يطوف مأمور البوليس بطنطا في موكب من الجنود معلنًا افتتاح المولد ويسمى هذا الموكب بركبة الحاكم.

ومن أول ليلة المولد تقام حلقات الذكر حول الصاري ويعتبر هذا الصاري جامعة المناكير والمفاسد وللناس فيه عقائد عجيبة غريبة فبينما يعتقد بعضهم أن زيارة هذه الخشبة تعادل زيارة البدوي نفسه إذ يعتقد آخرون أن السيد يجلس فوقها أيام المولد ليشرف على زواره ويتعرف عليهم ويجزم الكثيرون بأن النبي ﷺ يزور هذه الخشبة فجر يوم الاثنين قيامًا بواجب السيد البدوي.

ولن يروعك في حياتك أسوأ مما تشهد من هول حول هذا الصاري إذ يتراكم حوله خليط من الكتل البشرية على حال لا ترضي عاقلاً من العقلاء ولا متدينًا بأي دين فيختلط الرجال بالنساء والكبار بالصغار ويتحلق حول الصاري كثير من المساليب والحمقى ورواد الفسوق وكبار العصاة المجرمين المدمنين للحشيش وما إليه من الكيوف ويسمي العامة هؤلاء بالمجاذيب ويعتقدون أن لهم عند ربهم ما يشاءون وينخرط هؤلاء كل ليلة في مجالس الذكر التي يقيمونها حول هذا الصاري وهي أشبه ما تكون بحلقات الرقص الخليعة وقبل هذا يعمدون حال وصولهم إلى ضريح البدوي فيطوفون به طواف القدوم على نحو ما يفعل القاصدون لحج بيت اللَّه الحرام يقولون إن هذه كانت سنة الشيخ عبد العال خليفة السيد البدوي ولهم في هذا الاحتفال بدع شتى »(١) .

ويقول صاحب « الجواهر السنية » الأحمدي وهو يتحدث عن كرامات البدوي :

« ومن كراماته أن حجراً أسود مثبتًا في ركن قبته تجاه وجه الداخل من الجهة اليمنى وفيه موضع قدمين شاع بين الناس وذاع واستفاض وملأ البقاع والأسماع أنه أثر قدم رسول الله ﷺ وكل من زار الأستاذ يتبرك بمحل القدمين »(٢) .

وقال الشيخ السحيمي بعد إيراده لهذه الحكاية :

---

(١) « السيد البدوي ودولة الدروايش في مصر » لمحمد فهمي عبد اللطيف (ص١٣١) . وانظر نحوه « قاموس العادات والتقاليد » لأحمد أمين (ص٣٨٧ ـ ٣٨٨) .

(٢) « الجواهر السنية » للأحمدي (ص٨٣) نقلاً عن « رسالة الأعياد وأثرها » للشيخ السحيمي (ص٣٩٦) .

فصاروا يتمسحون به كما كانت العرب في الجاهلية تفعل بالأحجار والأوثان والأصنام التي كانوا ينصبونها .

أما النذور فهي الهدف الأسمى لسدنة الضريح والدعاة إليه سواء كانت تلك النذور عينًا أو نقدًا وقل أن يخلو ضريح من صندوق للنذور وذلك أن المناسك والمشاعر حوله لا تنتهي إلا بإيداع بعض الأموال فيه »[١] .

وقال الشيخ محمود شلتوت :

« وعجل البدوي الذي يجهز ويطاف به حول الضريح في موكب معروف مشهور »[٢] .

وقال الشيخ السحيمي :

« وما يفعل عند قبر البدوي يفعل عند قبر الحسين والسيدة زينب بالقاهرة من حيث الطواف والتمسح بأعتابها والنذور وغير ذلك من أمور العبادات التي لا تصرف إلا للّه وقد وقفت على ذلك وليس من رأى كمن سمع ولا يكاد يخلو بلد إسلامي إلا وله أولياؤه المزعومون الذين تشد إليهم الرحال ويطاف على مشاهدهم وتقدم إليهم النذور والقربات وتجعل لهم الموالد والأعياد بل إن لغالب الأضرحة مواسم وأعيادًا أسبوعية خلاف الموالد تسمى بالحضرة كليلة الثلاثاء ويومه للإمام الحسين رضي اللّه عنه وليلة السبت ويومه للإمام الشافعي وهكذا لكل ولي عندهم وقت معلوم تجتمع فيه العامة والخاصة من الرجال والنساء ومعهم الأطفال لزيارته على الوجه المعروف »[٣] .

---

(١) « الأعياد وأثرها » للسحيمي (ص٣٩٦) .

(٢) « فتاوى الشيخ محمود شلتوت» (ص٢٣٨ ـ ٣٢٩) .

(٣) « الأعياد وأثرها » للشيخ السحيمي (ص٣٩٦) .

وهذا المثال الذي ضربناه ألا وهو السيد البدوي وما يفعل عند قبره يوم مولده الذي يقام كل عام فترتكب فيه كل الجرائم ويمارس فيه كل الفساد بأنواعه ينطبق في كل الموالد التي يقيمها المتصوفة في العالم الإسلامي على امتداده الواسع حيث إنه ما من دولة بل ما من مدينة بل ما من قرية إلا ولها ولي تقيم له المولد سنويًا ويحصل فيه ما يحصل في قبر البدوي تمامًا فإن المتصوفة عقائدهم متحدة مهما اختلفت ديارهم وتعددت طرقهم وقد رأينا ذلك بأم أعيننا وعايشناه ونحن صغار في بلدنا وفي بلاد أخرى مررنا بها كالسودان حيث إن هناك توجد قبور عديدة في جميع أنحاء البلاد تقام لها الاحتفالات السنوية فيطاف بها ويذبح عندها وتقدم لها النذور النقدية ويختلط فيها الرجال بالنساء وترتكب فيها أنواع الفواحش التي نهى عنها الإسلام يستحي الإنسان أن يذكرها .

المطلب الثاني

المفاسد التي وقعت بسبب هذه الاحتفالات التي نشرها الصوفية في الأمة الإسلامية

لقد بينا فيما سبق بأن الاحتفالات بالموالد سواء الاحتفالات بمولد الرسول ﷺ أو بمولد غيره لم يكن في عهد رسول اللّٰه ﷺ ولا في عهد الصحابة الكرام ولا في عهد التابعين وتابعي التابعين في القرون المفضلة الأولى المشهود لها بالخيرية وإنما أحدث بدعة الموالد في العالم الإسلامي الباطنية وقام بنشرها تلامذتهم الصوفية فملئوا أرجاء العالم الإسلامي بالقبور تقدس وتعبد من دون اللّٰه[١] .

---

(١) انظر (ص ١٠٠٦ ـ ١٠٠٩).

وفي هذا المطلب نريد أن نذكر نماذج قليلة فقط مما يحصل في هذه الموالد من مفاسد متنوعة من الشرك والزنا واللواط والاختلاط الذي يحصل بين الرجال والنساء وذلك حتى نبين للناس بأن هذه الاحتفالات الصوفية ما هي إلا وكر لممارسة الفساد بشتى أنواعه المختلفة.

* فمن المؤرخين الذين تحدثوا عن المفاسد التي كانت ترتكب في الموالد : عبد الرحمن الجبرتي فقد قال وهو يصف المولد العفيفي[1] وما يحتل فيه من أنواع الفساد بشتى أنواعه المختلفة :

« ينصبون خيامًا كثيرة وصواوين ومطابخ وقهاوي ويجتمع العالم الأكبر من أخلاط الناس وخواصهم وعوامهم وفلاحي الأرياف وأرباب الملاهي والملاعيب والغواني والبغايا والقرادين والحواة فيملئون الصحراء والبستان فيطئون القبور ويتغوطون ويزنون ويلوطون ويلعبون ويرقصون ويضربون بالطبول والزمور ليلاً ونهارًا ويجتمع لذلك الفقهاء والعلماء ويقتدي بهم الأكابر من الأمراء والتجار والعامة من غير إنكار بل يعتقدون أن ذلك قربة وعبادة ولو لم يكن ذلك لأنكره العلماء فضلاً عن كونهم يفعلونه فاللَّه يتولى هدانا أجمعين »[2] .

* ومن المؤرخين الذين كتبوا عن الفساد الذي يحصل في الموالد: أبو المحاسن جمال الدين (٨٧٤ ت) فقد قال وهو يتحدث عن الفساد الذي

---

(١) قال عنه الجبرتي : هو الإمام المعمر القطب أحد مشائخ الطرق عبد الوهاب بن عبد السلام ابن أحمد العفيفي المالكي وكانت الأمراء تأتي إليه لزيارته ولما توفي عام (١١٧٢هـ) بنى له أولاده قبة وكان يقصد للزيارة ويختلط به الرجال والنساء وابتدعوا له مولدًا له موسم وعيد في كل سنة يدعون إليه الناس. انظر « تاريخ الجبرتي » (١/٣٠٣) .

(٢) « تاريخ الجبرتي » (١/٣٠٤).

يحصل في الاحتفالات بالموالد :

« وصار يعمل المولد في كل سنة فيأتيه الناس من الأقطار وترحل إليه من الأطراف وتخرج إليه أهل مصر والقاهرة وتضرب بزاويته الخيم ويعقد سوق ويجتمع من النسوان والشبان خلق كثير فذكروا أنه عمل المولد على عادته في شهر ربيع الأول سنة (٧٩٠هـ) فهرع الناس لحضور المجتمع حتى غص الفضاء بكثرة العالم وتنوعوا تلك الليلة في الفسوق لكثرة اختلاط النسوان والمردان بأهل الخلاعة فتواتر الخبر بأنه وجد في صبيحة تلك الليلة من جرار الخمر التي شربت بالليل فوق الخمسين فارغة ملقاة حول الزاوية في المزارع وافتضت تلك الليلة عدة أبكار وأوقدت شموع بمال كثير فبعث اللَّه يوم الأحد صباح المولد قاصفًا من الريح كدرت على من كان هناك وسفت في وجوههم التراب واقتطعت الخيم ولم يقدر أحد على ركوب البحر ولم يعد يعمل مولد بعدها فإن الشيخ مات في آخر شعبان سنة (٧٩٠هـ) »[(١)] .

* ومن المؤرخين الذين تحدثوا عن الفساد الذي يحصل في الموالد ابن الفرات فقد قال في مولد الشيخ إسماعيل بن يوسف الأنبابي :

« حصل فيه من الفساد ما لا يحصى من كثرة الفساد والفساق حتى أشيع أنهم وجدوا في ثاني يوم في الزرع مائة وخمسين جرة فارغة من جرار الخمر وفتحت مئات الأبكار وكان يعمل هذا المولد كل سنة ويحضر إلى مولده ما لا يحصى من القاهرة ومصر والضواحي والبلاد »[(٢)] .

ويقول المقريزي وهو يصف ما يحصل في هذا المولد من الفساد :

---

(١) « المنهل الصافي » (١/٥٥٦ ـ ٥٥٧) .

(٢) « تاريخ ابن الفرات » (٩/٢٧ ـ ٤٢ ـ ٤٣) .

« كان فيه من الفساد ما لا يوصف ووجد في المزارع مائة وخمسون جرة فارغة سوى ما حكي عن الزنا واللواط »[1] .

وكرر ابن حجر ما تواتر عن المولد وبقايا الجرار الفارغة من الزنا واللواط والتجاهر بذلك وقال عن إسماعيل :

« إنه انقطع بزاويته ثم صار يعمل عند المولد كما يعمل بطنطا ويجعل فيه من المفاسد والقبائح ما لا يعبر عنه »[2].

ويقول الحافظ محمد بن عبد اللّٰه السخاوي :

« عندما أبطل الظاهر جقمق مولد البدوي عمل شخص يسمى رمضان بناحية محل البرج بالقرب من المحلة الكبرى المولد ووقع فيه فساد كبير على المولد ووقع فيه فساد كبير على العادة »[3] .

* ومن المؤرخين الذين تحدثوا عن الفساد الذي يحصل في الاحتفالات بالموالد : ابن الصيرفي على بن داود الجوهري فقد قال وهو يتحدث عن المفاسد التي كانت تحصل في مولد الأنباني :

« عمله على عادته في زاويته واتفق فيه من المفاسد والقبائح ما لا يمكن شرحه حتى إن الناس وجدوا من الغد في المزارع من جرار الخمر عدة كثيرة تزيد عن ألف جرة سوى ما شربوه في الخيم وأما ما حكي من الزنا واللياطة فكثير حتى أرسل اللّٰه عليهم في تلك اللية ريحًا كادت تقلع الأرض

(١) « السلوك » للمقريزي .

(٢) « إنباء الغمر » لابن حجر (١/ ٣٥٠ ـ ٣٥١ ـ ٣٥٧) .

(٣) « التبر المسبوك » (ص١٧٧) .

بمن عليها ولم يجسر أحد من التعدية في النيل فأقاموا بذلك البر أيامًا حتى سكن الريح وقد توفي إسماعيل في هذه السنة »[1] .

وقد ذكر ابن إياس محمد بن أحمد عن مولد الأنبابي أنه كان مرتعًا للحفلات الساهرة التي يأتي الناس من أجل الفرجة في تلك الحفلات التي تقام في ذلك المولد فقد قال في حوادث صفر (٩١٣هـ) :

« كانت ليلة سيدي إسماعيل الأنبابي ونصبت الخيام في الجزيرة التي تجاه بولاق وخرجت الناس في تلك الليلة عن الحد في القصف والفرجة وكانت ليلة حافلة ».

وفي العام التالي قال في ليلة إسماعيل الأنبابي :

« كانت ليلة حافلة وضربت في الجزيرة نحو خمسمائة خيمة وخرج الناس في القصف والفرجة »[2] .

* وممن تحدثوا عن المفاسد التي تحصل في هذه الاحتفالات بالموالد المبتدعة : الدكتور أحمد صبحي منصور فقد قال :

« والأضرحة الصوفية كانت مدعاة للخلوة المحرمة ومكانًا للتلاقي الآثم كما كانت الموالد مواسم زمنية لممارسة الانحلال الخلقي فأصبحت القرافة بما تضم من أضرحة وقباب مواطن مستمرة للانحلال الخلقي في العصر المملوكي حتى إن النداء كان يتكرر دون جدوى بمنع النساء من الخروج إلى القرافة لتحاشي ما يقع فيها من فسوق واستمرت القرافة بقبابها

---

(١) « نزهة النفوس والأبدان » لابن الصيرفي (١/١٦٩ ـ ١٨٠) .

(٢) « تاريخ ابن إياس » (٤/ ١١٤ ـ ١٣٢ ـ ١٨٣ ـ ٢١٤) .

وأضرحتها تؤدي دورها المزري حتى عصرنا الحاضر »[1] .

ويقول أحمد صبحي منصور أيضًا وهو يتحدث عن الفساد الذي يحصل في الموالد الأحمدية عامة ومولد البدوي خاصة :

« لقد أصبح مولد البدوي والموالد الأحمدية أكبر بؤرة للفساد في مصر المملوكية ولم تمنع مكانة البدوي وخلفائه من الإنكار على ما يقع في مولده من الإثم والفجور ولم تكن السلطات المملوكية لتهتم بما يحدث في طنطا إلا بعد أن تولى السلطان جقمق سنة (٨٤٢هـ) وقد وصفه أبو المحاسن بأنه كان شديداً على من يفعل المنكرات فكسدت في عصره حال أرباب الملاهي والمسكرات وفي عهد جقمق تزعم الفقهاء العلامة الدين برهان الدين البقاعي كثائر ضد الصوفية وانحلالهم الديني والخلقي وهو صاحب ما يعرف في المراجع التاريخية المملوكية بكائنة البقاعي وقد كان للبقاعي دور في اطلاع جقمق على ما يجري في مولد البدوي من انحلال خلقي شاع وذاع وملأ الأسماع فأصدر الظاهر جقمق أمراً بإبطال المولد الأحمدي سنة (٨٠١هـ) وبسبب هذا الحادث تجرأ المؤرخون فأثبتوا ما يقع في المولد من انحراف فالسخاوي يقول : إن المولد الأحمدي كانت تتخذ فيه أماكن تعد للفساد في تلك الأيام لكثرة الجموع ثم اضطر الصوفية لإثبات هذا الحادث يقول الحلبي عن المولد : وصار له يوم مشهود ويقصده الناس من النواحي البعيدة وشهرة هذا المولد في عصرنا هذا تغني عن الحديث عنه وقد قام جماعة من العلماء وممن يتدين في الأمر بإبطاله لأمور عرضت فيه منها وجود النساء الخطايا واختلاط بعض الفساق بهن فلم يتهيأ لهم إبطاله إلا سنة واحد وخمسين

---

(١) « السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة » (ص٣٣٧) .

وثمانمائة وكان ذلك في زمن السلطان جقمق وكانوا قد أنهوا إليه أن في مولد سيدي أحمد البدوي يقع فيه محرمات ومفاسد كثيرة بسبب اختلاط الرجال بالنساء »[1] .

* ومن العلماء الذين تحدثوا عن المفاسد التي تقع في هذه الاحتفالات المبتدعة بالموالد : الشيخ عبد اللطيف مشتهري فقد قال :

« ومن المحرمات التي تقع فيها ـ أي الموالد ـ إضاعة المال بكثرة الوقود وإنارة المصابيح في المساجد والطرق واستهلاك الشموع والمصابيح .

ومنها انتهاك حرمة المساجد بتقذيرها وباللغط ووجود الأطفال والحفاة الذين ينجسونها حتى يتعذر إقامة الشعائر بها على الوجه المرضي ومعلوم أن التشويش في المساجد حرام ولو بتلاوة القرآن.

ومنها تبرج النساء الزائرات للموالد والأضرحة مع الاختلاط بالرجال وما يحدث فيه من فجور ونشل ومعارك في تلك الليالي في الساحة وما حولها .

ومنها استعمال آلات اللهو والأغاني الخليعة .

ومن بدع الموالد الترجيع في القرآن كالطرب مع شرب الجوزة والشيشة.

ومنها الرياء الزائد والتنافس بين الأغنياء للمباهاة وتعطيل الناس عن أعمالهم وخاصة من يفدون من الريف فضلاً عمن يتكبدون من مال هم أحوج ما يكونون إليه بالإضافة إلى ما يحدثونه من أزمات خانقة في

(١) « السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة » (ص٣٢٣) .

المواصلات والطعام وما يحصل لهم من الكوارث .

ومنها حلقات الذكر المحرف وفيها المنشدون الذين يبتغون المال والشهرة ولا يبتغون رضوان اللّه كما يوجد فيها الصارخون في المساجد والمصفقون والمصفرون والراقصون المائلون المميلون كما تجد في الطرق المؤدية إلى الموالد من يقرءون القرآن على قارعة الطريق وفي الحوانيت لاجتلاب الزبائن وعلى الكباري وأبواب الأنفاق يستجدون بالقرآن عطف الناس فأرخصوا ما أغلى اللّه وحقروا ما عظم من منهج الحياة ودستور الوجود كتاب اللّه .

ومنها تعطيل العاملين عمالاً وفلاحين وطلبة عن أداء واجباتهم بما فيها من إفراط بالسهر والسفر وحملهم على الكلف بشراء ما يلزمهم من الشهوات وقد يكون الكثير من رواد هذه الموالد ممن لا يركع للّه ركعة .

ومنها شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة بمكة والمدينة والقدس حيث قال الرسول : « **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا** » .

ولو لم يكن في الموالد إلا اتخاذ القبور عيداً للذبائح والقرابين والنذور كفعل المشركين عند أوثانهم لكفى بذلك تحريمًا.

علاوة على ما يحدث في هذه الموالد من توسل لغير اللّه وسؤال واستعانة بما سواه وشرك لا يحصى مع أن منع المفاسد مقدم على جلب المصالح وما دام المسلم لا يستطيع أن يزيل هذه المنكرات فليبتعد عن شهودها حتى لا تصيبه اللعنة »[1] .

---

(١) « هذه دعوتنا » للشيخ عبد اللطيف مشتهري (٢٢٠ ـ ٢٢٤) بتصرف.

* ومن العلماء الذين تحدثوا عن المفاسد التي حصلت بسبب انتشار هذه الموالد المبتدعة : الشيخ عبد الرحمن الوكيل .

فقد قال وهو يتحدث عن المفاسد التي حصلت في العالم الإسلامي بسبب ابتداع هذه الموالد التي يحتفل بها المتصوفة في العالم الإسلامي على مدار السنة حيث ما ينتهي موسم مولد إلا ويبدأ موسم آخر وهكذا.

قال الشيخ رحمه اللَّه :

« ودعوى حبهم ـ أي الصوفية ـ للرسول ﷺ وآل بيته دعوى الرجس أنه قداسة والإثم الكبير أنه روحانية فضيلة؟!!

وكتلك الفرية افتراء الشيعة إنهم أحباء آل البيت محمد ﷺ أترى الشيعة والصوفية اتبعوا الرسول وحده وجعلوه وحده الأسوة والقدوة الحسنة؟!.

ما ثم ما يحتجون به لدعواهم سوى العكوف على الأضرحة الزنيمة المفتراة لآل البيت سوى تلك القباب التي شيدوها معبودة على عظام نخرة لا تدري أهي الحيوان أم إنسان أم هي أمشاج من عظام شتى لا تدري أهي لصالح أم طالح لمسلم أم يهودي فقد شيدتها الفاطمية في مصر لتصرف الناس عن حج بيت اللَّه الحرام ولتجعل قلوب المسلمين نفسها قبوراً خربة ثم سمتها بأسماء آل البيت وأقامت على سدانتها وعبادتها الصوفية .

ما لهم من دليل على حبهم لآل البيت سوى عبادة تلك الأصنام بتقبيل أستارها وأحجارها ولثم نحاسها وخشبها وتعطير أجوائها والاستشفاع بأعتابها واقتراف الأعياد الوثنية في كل موسم لها.

وسل الآمين تلك الموالد عن عربدة الشيطان في باحاتها وعن الإثم المهتوك في حاناتها وعن حمم الشهوات التي تتفجر تحت سواد ليلاتها.

وهكذا تكد الصوفية في سبيل أن تجعل دنيا المسلمين كلها مقبرة فقراء إلا من الوحشة جرداء إلا من الرهبة والفزع خاوية إلا من خطايا تقترف باسم الإسلام تكد في أن تجعل نفوس المسلمين مقابر وغاياتهم المقابر وآلهتهم العظام البوالي في المقابر وتحث المسلمين ليجعلوا الحياة كلها قربانًا إلى غايات العدم وجيف المقابر .

فما ينقضي في مصر أسبوع إلا وتحشد الصوفية أساطين شركها وعباد أوثانها عند مقبرة يسبحون بحمد جيفتها ويسجدون أذلاء لرقها ويقترفون خطايا المجوسية في حمأتها ويحتسون آثام الخمر والحشيش والأجسام التي طرحها الليل على الإثم فجورًا ومعصية ويسمونها للناس (موالد) أو مواسم. عبر وذكريات خوالد وما تجتمع جماعة صوفية أو تنفض إلا ليبحثوا كيف يحتفون بصنم قبر أو رقة قبر وما يهوم ليل على صوفي أو يفزعه بالنور نهار إلا وقلبه مستعبد بهوى صنم قبر أو رقة قبر وما يقعد صوفي أو يقوم أو يركب أو يمشي إلا وينعق مستغيثًا بصنم قبر أو رقة قبر!!

قبور قبور هذه هي دنيا الصوفية لها جهاد الصوفية ولرممها عباداتها ولها تحيا ولها تموت وبها تعيش وخير ما تتمناه الصوفية هو أن يهلك المسلمون جميعًا حتى يكون في كل ساعة (مولد) مقبرة وعيد رمة !!

فليقتل المسلمون أنفسهم ليمدوا الصوفية بأعياد كثيرة للقبور ونذور للجماجم ما لهم من دليل على حبهم للرسول وآل بيته سوى تلك التواشيح التي يتغزلون بها في العيون الحوالم النعس والشفاه الظوامئ اللعس والأهداب المسبلات في إغراء على لهب من الورد يتوهج في الخدود النضر.

تلك هي أدلتهم ويا لها من أدلة حياة كلها خطايا وقلوب أربابها رمم

معبودة ونفوس آلهتها جيف وأفكار كلها للأساطير وحياة ميتة ووجود يفزع منه ودنيا خمول خامد تقصف بها الذلة فأين الكفاح في سبيل بناء الحياة»[1].

والخلاصة التي توصلنا إليها بعد سردنا الطويل هذا لأقوال العلماء والمؤرخين قديمًا وحديثًا في وصف ما يحدث في هذه الموالد المبتدعة التي نشرها المتصوفة في العالم الإسلامي ولا زالوا إلى اليوم ينشرونها ويدعون الناس لعبادتها من دون اللَّه هي أن هذه القبور التي جعل لها المتصوفة أعيادًا معينة ما هي إلا وكر لممارسة كل الفساد بأنواعه وأشكاله المختلفة من الشرك باللَّه ومن الانحلال الخلقي كالزنا واللواط بسبب الاختلاط الفظيع الذي يحصل في هذه الاحتفالات الصوفية بين الرجال والنساء ولذا يجب هدم تلك القباب والمساجد المبنية على تلك القبور لأنها هي السبب في وقوع الأمة في هذا الفساد المنتشر في العالم الإسلامي بأسره إلا من شاء اللَّه وقليل ما هم.

المطلب الثالث

حكم الاحتفال بالمولد النبوي والموالد الأخرى التي يقيمها الصوفية في العالم الإسلامي

لقد بينا في المطلب الأول من هذا المبحث بأن الاحتفال بالموالد سواء الاحتفال بمولد الرسول ﷺ أو بمولد غيره لم يكن في عهد رسول اللَّه ﷺ ولا عهد الصحابة الكرام ولا في عهد التابعين وتابعي التابعين في القرون المفضلة الأولى المشهود لها بالخيرية وإنما أحدثه العبيديون وقام بنشره في

---

(١) « هذه هي الصوفية » لعبد الرحمن الوكيل (ص١٦٠).

العالم الإسلامي الصوفية ثم أتبعت ذلك في المطلب الثاني بذكر المفاسد التي وقعت وتقع بسبب هذه الاحتفالات المبتدعة التي أصبحت وكرًا للإفساد.

وفي هذا المطلب أريد أن أبين حكم الاحتفال بهذه الموالد فأقول إن حكم الاحتفال بهذه الموالد يعتبر بدعة مذمومة في الدين ويعترف الصوفية أنفسهم بأنها بدعة ومما يدل على هذا قول محمد بن علوي المالكي الصوفي المعاصر فقد قال وهو يسرد أدلته الواهية لكي يثبت مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي :

« الخامس : إن الاحتفال بالمولد النبوي لم يكن في عهده ﷺ فهو بدعة ولكنها حسنة لاندراجها تحت الأدلة الشرعية والقواعد الكلية » .

وقد رد عليه الشيخ ابن منيع حفظه اللّه وأطال عمره بعدة وقفات فقال:

الوقفة الأولى : عند اعترافه بأن الاحتفال بالمولد بدعة لأنه لم يكن على عهد رسول اللّه ﷺ ولا شك أن الاحتفال بالمولد بدعة وأنه لم يكن على عهد رسول اللّه ﷺ بالرغم من أن عهده ﷺ مليء برجال هم أحرص الناس على حب رسول اللّه ﷺ وأحرص الناس على الفرح برسول اللّه ﷺ وأحرص الناس على الاستبشار برسول اللّه وأحرص الناس على إظهار السرور برسول اللّه وأخلص الناس تضحية وفداء ووقوفًا مع رسول اللّه ﷺ فهل يستطيع المالكي أن يقول أن القرامطة والفاطميين والرافضة والصوفية وغيرهم من أهل البدع والمحدثات وممن هم سلف المالكي وقدوته هل يستطيع أن يقول بأنهم أعظم من أصحاب رسول اللّه ﷺ أم يستطيع المالكي أن يقول أن القرامطة والفاطميين والرافضة والصوفية وغيرهم من أسلافهم أعلم من

أصحاب رسول اللَّه بحق رسول اللَّه ؟؟. . . نعم لم يكن الاحتفال بالمولد في عهد رسول اللَّه ولا في عهد أصحابه ولا في عهد تابعي أصحاب رسول اللَّه ولا في عهد الأئمة الأعلام في الفقه والحديث ومقاصد التشريع أمثال أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والأوزاعي والثوري والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبي داود وابن ماجه وغيرهم فهل نقبل أمراً أتى به شر من وطئ الحصى القرامطة والفاطميون وغيرهم ممن يشهد التاريخ الإسلامي بتدنيسهم محيا الإسلام ونترك ما عليه أصحاب القرون الثلاثة المفضلة من صحابة وتابعين وعلماء أجلاء لهم أقدامهم المعلاة في العلم والتقى والصلاح والاستقامة وسلامة المعتقد ودقة النظر وصدق الاتباع والاقتداء بمن أمرنا اللَّه تعالى أن نجعله أسوة وقدوة لمسالكنا وهو رسولنا وحبيبنا ونبينا محمد ﷺ.

الوقفة الثانية : عند قوله : « إن الاحتفال بالمولد بدعة إلا أنها بدعة حسنة » قال ابن منيع : كم نتمنى من المالكي أن يتقي اللَّه تعالى وأن يقف مع حماة الإسلام وألا يشترك مع غيره في فتح ثغرات شر وابتداع على المسلمين فإن رسول اللَّه ﷺ قد أوتي جوامع الكلم وله من الفصاحة والبلاغة والقدرة على القول المبين ما يستطيع أن يبين به أقسام البدعة إن كان للبدعة أقسام وأن يبين من هذه الأقسام ما يجوز وما لا يجوز ولكنه ﷺ عمم فقال : « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** »[1] .

وفي رواية : « **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** »[2] .

---

(١) « صحيح البخاري » مع الفتح (٥/ ٣٠١) .

(٢) نفس المرجع (١٣/ ٣١٧) .

وقال : « كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار »[1] .

فالتعبير بكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ماذا يعني هل يعني ذلك العموم أم يعني التقسيم ؟

ولئن قال بعض أهل العلم بالتقسيم فإن المحققين منهم ينحون بالأئمة على ذلك الاتجاه الذي فتح للبدع والمحدثات الأبواب على مصاريعها»[2] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن تحدث حديثًا طويلاً عن البدع :

« وبهذا يتبين لك أن البدعة في الدين وإن كانت في الأصل مذمومة كما دل عليه الكتاب والسنة سواء في ذلك البدع القولية أو الفعلية وقد كتبت في غير هذا الموضوع أن المحافظة على عموم قول النبي ﷺ كل بدعة ضلالة متعين وأنه يجب العمل بعمومه وأن من أخذ يصنف البدعة إلى حسن وقبيح ويجعل ذلك ذريعة إلى أن لا يحتج بالبدعة على المنهي فقد أخطأ كما يفعل طائفة من المتفقهة والمتصوفة والمتعبدة إذا نهوا عن العبادات المبتدعة والكلام في التدين المتبوع ادعوا أن لا بدعة مكروهة إلا ما نهى عنه فيعود الحديث إلى أن يقال كل ما نهى عنه أو كل ما حرم أو كل ما خالف نص النبوة فهو ضلالة وهذا أوضح من أن يحتاج إلى بيان بل كل ما لم يشرع من الدين فهو ضلالة »[3] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في موضع آخر من « مجموع الفتاوى » :

« ومعلوم أن كل ما لم يسنه ولا استحبه رسول اللّه ﷺ ولا أحد من

---

(١) « سنن النسائي » (٣/١٨٩) .

(٢) « حوار مع علوي المالكي » للشيخ ابن منيع (ص٥٧) .

(٣) « مجموع الفتاوى » لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/ ٣٧٠ ـ ٣٧١) .

هؤلاء الذين يقتدي بهم المسلمون في دينهم فإنه يكون من البدع المنكرات ولا يقول أحد في مثل هذا إنه بدعة حسنة »[1] .

والخلاصة أن قول العلوي بأن المولد بدعة حسنة قول باطل وذلك لأنه لا يوجد من البدع في الدين حسن وقبيح بل كل البدع التي تبتدع في دين اللَّه فهي قبيحة وضلالة ومردودة على صاحبها والمولد من جملة هذه البدع التي ابتدعت في دين اللَّه فهو مردود على أصحابه لأنهم يمارسون عبادة غير مشروعة وشرط العبادة المقبولة أن تكون صوابًا والصواب هو ما وافق الكتاب والسنة وأن يكون خالصًا لوجه اللَّه لا يشرك فيه معه غيره .

وقال الدكتور عزت عطية في حكم الاحتفال بالمولد النبوي :

« لا خلاف بين العلماء في أن الاحتفال بيوم المولد عمل محدث لم يعهد في عصر الرسول ﷺ ولا في عصر الصحابة أو التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . . وقد اختلف موقف العلماء في الإحتفال بيوم المولد فالبعض أجرى عليه أدلة ذم البدع باعتبار حدوثه وترك النبي ﷺ ومن بعده من السلف هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لأنه تخصيص بغير مخصص وقد ورد النهي عن مثله فقد نهى النبي ﷺ تخصيص يوم الجمعة بصيام ولأن المفسدة إنما تنشأ من تخصيص ما لا خصوصية له كما في الاحتفال بالمولد لما نهى عنه .

فإن الناس إنما يخصون هذا اليوم بالاحتفال لاعتقادهم فيه فضيلة تقتضي ذلك ولا فضيلة فيه فأقل أحوال هذا الاحتفال في نظر الشرع أن يكون مكروهًا »[2] .

---

(١) « مجموع الفتاوى » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٧/ ١٥٢) .

(٢) « البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها » (ص٤٨١) .

وقال تاج الدين عمر بن علي اللخمي السكندري المعروف بالفاكهاني وهو يتحدث عن حكم الاحتفال بالمولد :

قال بعد أن حمد اللّه وأثنى عليه بما هو أهله :

« أما بعد ، فإنه قد تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأول ويسمونه المولد هل له أصل في الشرع أو هو بدعة حدثت في الدين ؟

وقصدوا الجواب على ذلك مبينًا والإيضاح عنه معينًا فقلت وباللّه التوفيق :

« لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة ولم ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين المتمسكون بآثار المتقدمين بل هو بدعة أحدثها المبطلون وشهوة نفس اعتنى بها الآكلون بدليل أنا إذا أدرنا عليها الأحكام الخمسة قلنا : إما أن يكون واجبًا أو مندوبًا أو مباحًا أو مكروهًا أو محرمًا وليس هو بواجب إجماعًا ولا مندوبًا لأن حقيقة المندوب ما طلبه الشارع من غير ذم على تركه وهذا لم يأذن فيه الشارع ولا فعله الصحابة والتابعون ولا العلماء المتدينون فيما علمت وهذا جوابي عنه بين يدي اللّه إن عنه سئلت ولا جائزًا ولا مباحًا لأن الابتداء في الدين ليس مباحًا بإجماع المسلمين فلم يبق إلا أن يكون مكروهًا أو محرمًا »[1] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يتحدث عن حكم الاحتفال بالمولد النبوي :

« وما أحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه

---

(١) « المورد في عمل المولد » للإمام أبي حفص تاج الدين الفاكهاني (ص٢٠) .

السلام وإما محبة النبي ﷺ وتعظيمهم فيه . . ومع اختلاف الناس في مولده فإن هذا لم يفعله السلف ولو كان خيراً محضًا أو راجحًا لكان السلف أحق به منا فإنهم كانوا أشد محبة للنبي ﷺ وتعظيمًا له منا وهم على الخير أحرص وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطنًا وظاهرًا ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان فإن هذه هي طريقــة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان »[1] .

وقال الشيخ أبو بكر الجزائري في حكم الاحتفال بالمولد بعد أن ذكر نماذج من المفاسد التي تحصل في هذه الموالد في العالم الإسلامي عامة :

« ومن هنا كان حكم الإسلام على هذه الموالد والمواسم والزرد والحضرات المنع والحرمة فلا يبيح منها مولداً ولا موسمًا ولا زردة ولا حضرة وذلك لأنها بدع قامت على أساس تقويض العقيدة الإسلامية وإفساد حال المسلمين ويدل على ذلك مناصرة أهل الباطل لها ووقوفهم إلى جانبها ومعها ولو كان فيها ما يوقظ الروح الإسلامي أو يحرك ضمائر المسلمين لما وجدت من حكومات الباطل والشر إلا محاربتها والقضاء عليها هذا وهل دعاء غير اللّه والذبح والنذر لغير اللّه غير شرك حرام؟!!

وهذه الموالد ما قام سوقها إلا على ذلك وهل الرقص والمزامير واختلاط النساء بالرجال إلا فسق حرام وما خلت تلك الموالد والمواسم من شيء من هذا فكيف إذًا لا تكون حرامًا .

وهل هذه الموالد عرفها رسول اللّه ﷺ وأصحابه والتابعون لهم

---

(١) « اقتضاء الصراط المستقيم » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٦١٥) .

بإحسان؟ والجواب لا لا وما لم يكن على عهد رسول اللَّه ﷺ وأصحابه دينًا فهل يكون اليوم دينًا ؟ وما لم يكن دينًا فهو بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، سئل مالك رحمه اللَّه عما يترخص فيه بعض أهل المدينة من الغناء فقال للسائل : هل الغناء حق ؟ قال : لا ، قال : إذًا فماذا بعد الحق إلا الضلال فهذه الموالد على اختلافها ما فيها من حق ألبتة وما لم يكن حقًا فهو باطل»[1] .

وقال الشيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه بن باز في حكم الاحتفال بالمولد النبوي حينما سئل عنه :

« والجواب أن يقال إنه لا يجوز الاحتفال بمولد الرسول ﷺ ولا غيره لأن ذلك من البدع المحدثة في الدين لأن الرسول ﷺ لم يفعله ولا خلفاؤه الراشدون ولا غيرهم من الصحابة رضوان اللَّه على الجميع ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضلة وهم أعلم الناس بالسنة وأكمل حبًا لرسول اللَّه ومتابعة لشرعه من بعدهم. . . » .

ثم قال الشيخ ابن باز :

«إن الاحتفال بالموالد ليس من دين الإسلام بل هو من البدع المحدثات التي أمر اللَّه سبحانه ورسوله بتركها والحذر منها ولا ينبغي للعاقل أن يغتر بكثرة من يفعله من الناس في سائر الأقطار فإن الحق لا يعرف بكثرة الفاعلين وإنما يعرف بالأدلة الشرعية ثم إن غالب هذه الاحتفالات بالموالد مع كونها بدعة لا تخلو من اشتمالها على منكرات أخرى كاختلاط النساء بالرجال واستعمال الأغاني والمعازف وشرب المسكرات والمخدرات وغير ذلك من الشرور وقد يقع فيها ما هو أعظم من ذلك وهو الشرك الأكبر وذلك بالغلو

(١) « الإنصاف » للشيخ الجزائري (ص٢٩) .

في رسول اللَّه أو غيره من الأولياء ودعائه والاستغاثة به وطلبه المدد واعتقاد أنه يعلم الغيب ونحو ذلك من الأمور الكفرية التي يتعاطاها الكثير من الناس حين احتفالهم بمولد النبي وغيره ممن يسمونهم بالأولياء »[1] .

وقال ابن الحاج في « المدخل » في حكم الاحتفال بالمولد النبوي :

« ومن جملة ما أحدثوه من البدع مع اعتقادهم أن ذلك من أكبر العبادات ما يفعلونه من المولد وقد احتوى ذلك على بدع محرمات ثم ذكر منها استعمال الأغاني بآلات الطرب وحضور المردان والشباب ورؤية النساء لهم وما في ذلك من المفاسد » ثم قال : « فإن خلا المولد من السماع وعمل طعامًا فقط ونوى به المولد ودعا إليه الإخوان وسلم من كل ما تقدم ذكره فهو بدعة بنفس نيتة إذ أن ذلك زيادة في الدين وليس من عمل السلف الماضين واتباع السلف أولى بل أوجب من أن يزيد بنيته مخالفًا لما كانوا عليه»[2] .

وقال الشيخ علي محفوظ تحت عنوان (المواسم التي ينسبونها إلى الشرع وليست منه) :

« ومنها أن تلك المواسم التي ينسبونها إلى الشرع وليست منه ليلة الثاني عشر من ربيع الأول يجتمع لها الناس في المساجد وغيرها فيهتكون حرمة بيوت اللَّه تعالى ويسرفون في الوقود فيها ويرفع القراء أصواتهم بقصائد الغناء التي تثير شهوة الشبان إلى الفسوق والفجور فتراهم عند ذلك يصيحون بأصوات منكرة ويحدثون في المساجد ضجة فظيعة وقد لا يتعرضون في

(١) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وانظر كلام الشيخ في المولد « تنبيه أولى الأبصار» للسحيمي (ص٢٣٣) .

(٢) « المدخل » لابن الحاج (٢/٢) .

قصائدهم لشيء من خصائص رسول اللَّه ﷺ وأخلاقه الكريمة وأعماله النافعة الجليلة وفيهم من يشتغل بالذكر المحرف وكل ذلك لم يأذن به اللَّه ورسوله ولم يعهد عن السلف الصالح فهو بدعة وضلالة »(١) .

ويعتقد كثير من المتصوفة بأن الرسول يحضر الحضرات التي يقيمونها في مولده وقد ذكر ذلك محمد بن علوي المالكي الصوفي المعاصر ولكنه لم يرتضيه مع إقراره بأنه يعتقد بأن روح الرسول تحضر مجالس الصوفية في المولد النبوي أثناء احتفالهم به .

وإليك نص كلامه فقد قال :

« وإننا نعتقد أنه ﷺ حي حياة برزخية كاملة لائقة بمقامه وإن روحه جوالة سياحة في ملكوت اللَّه سبحانه وتعالى ويمكن أن تحضر مجالس الذكر ومشاهد النور والعلم وكذلك أرواح خلص المؤمنين من أتباعه »(٢) .

ويعتقد فريق آخر من المتصوفة أن القيام الذي يقومه المتصوفة أثناء قراءة المولد النبوي هو لمقابلة النبي والترحيب به حيث إنهم يعتقدون بأنه يحضر المولد بذاته وقد جاء ذلك في نظم مولد البرزنجي ونصه :

وقد سن أهل الفضل والعلم والتقى قيامًا على الأقدام مع حسن إمعان
بتشخيص ذات المصطفى وهو حاضر بأي مقام فيه يذكر بل دان

في تفسير ذلك التشخيص يقول محمد بن علوي المالكي الصوفي المعاصر في رسالته حول الاحتفال بالمولد النبوي ما نصه :

---

(١) « الإبداع في مضار الابتداع » للشيخ علي محفوظ (ص١٤١) .

(٢) « رسالة حول الاحتفال بالمولد النبوي » (ص٢٥) نقلاً عن « القول الفصل » للشيخ إسماعيل الأنصاري .

« إن هذا القيام لتصور شخص النبي ﷺ في الذهن قال : فالناس يقومون احترامًا وتقديراً لهذا التصور الواقع في نفوسهم عن شخصية ذلك الرسول العظيم مستشعرين جلال الموقف وعظمة المقام »[1] .

والاعتقاد بأن الرسول ﷺ يحضر موالد الصوفية وحلقاتهم المبتدعة اعتقاد باطل وضلال مبين وذلك لأن الرسول ﷺ لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة ولا يتصل بأحد من الناس بل هو منعم في قبره وروحه في أعلى عليين عند ربه في دار الكرامة قال تعالى : ﴿ **ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ** ﴾[2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يتحدث عن حكم المولد :

« وأما اتخاذ الموسم غير المواسم الشرعية كبعض ليال شهر ربيع الأول التي يقال أنها ليلة المولد أو بعض ليالي رجب أو ثامن عشر ذي الحجة أو أول جمعة من رجب أو ثامن شوال الذي يسميه الجهال عيد الأبرار فإنها من البدع التي لا يستحبها السلف ولم يفعلوها »[3] .

وعلى كل حال فليس عندنا في الإسلام إلا ثلاثة أعياد فقط وهي عيد الفطر وعيد الأضحى وعيد الأسبوع الذي هو يوم الجمعة وقد جاءت أحاديث كثيرة تدل على أن يوم الجمعة عيد من أعياد المسلمين منها ما رواه أبو هريرة رضي اللَّه عنه قال سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « **إن يوم الجمعة يوم عيد فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صومكم إلا أن تصوموا قبله أو بعده** »[4] .

---

(١) « القول الفصل » لإسماعيل الأنصاري (ص٣٠٢ ـ ٣٠٤) .

(٢) المؤمنون : (١٥ ـ ١٦) .

(٣) « الفتاوى المصرية » لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٣١٢) .

(٤) « صحيح ابن خزيمة » باب الدليل على أن الجمعة يوم عيد (٣/ ٣١٥) وكذلك البزار في =

وقال الشيخ صالح السحيمي وهو يستنكر على العلماء الذين يدعون إلى هذه البدعة ولا ينكرونها :

« ونحن لا نلوم العامة الذين يفعلون مثل هذه الأمور وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا بقدر ما نوجه اللوم بوجه خاص إلى بعض المنتسبين إلى العلم أولئك الذين يعرفون طريق الحكم ولكنهم يحيدون عنها ولا يذكرون أن الاتباع أولى من الابتداع ولكنهم يتجاهلون هذا الحق الذي لا يجادل فيه فكيف يجهل هؤلاء أن حقيقة الاحتفالات بذكرى مولد الرسول عليه السلام تتركز في اتباع ما جاء به وإحياء سنته وإن هذه الذكرى الطيبة ليست مؤقتة بزمن وليست محددة بشهر ربيع الأول ولا غيره بل ينبغي أن نحييها ونحتفي بها في كل لحظة من لحظات حياتنا وفي كل بقعة حللنا بها وذلك باتباع سنته والسير على نهجها وما أظن أن مسلمًا يجهل أن فكرة الاحتفال بالمولد النبوي أو غير ذلك من الموالد فكرة مبتدعة جاءتنا متأخرة وفيها تشبه باليهود والنصارى الذين لا يعرفون من الدين إلا الاحتفالات على رأس السنة بعيد ميلاد المسيح عليه السلام أو غيره الذي هو دس عليهم وليس من دينهم ونحن قد قلدناهم في هذا العمل كما قلدناهم في أمور كثيرة وهذا بلا شك مصداق لقول الرسول ﷺ : « **لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول اللّه اليهود والنصارى؟ قال : فمن!** »[1] .

وقال أبو عبد اللّه الأستاذ محمد الحفار :

= « كشف الأستار عن زوائد البزار » في باب ما جاء في صوم يوم الجمعة (١/ ٤٩٩) .

(١) « صحيح مسلم » مع شرح النووي (١٦/ ٢١٩) وانظر الموضوع في « تنبيه أولى الأبصار » للشيخ السحيمي (ص٢٣٣ ـ ٢٣٤) .

« ليلة المولد لم يكن السلف الصالح وهم أصحاب رسول اللَّه والتابعون لهم يجتمعون فيها للعبادة ولا يفعلون فيها زيادة على سائر ليالي السنة لأن النبي ﷺ لا يعظم إلا بالوجه الذي شرع به تعظيمه وتعظيمه من أعظم القربات إلى اللَّه لكن يتقرب إلى اللَّه جل جلاله بما شرع »[1] .

والخلاصة أن الاحتفال بالمولد النبوي أو بالموالد الأخرى بدعة أحدثت في الدين وليست منه ولذا فهذه الاحتفالات التي يفعلها المتصوفة في العالم الإسلامي لا تقرب إلى اللَّه سبحانه وتعالى وإنما تبعد عنه وذلك لأن التقرب إلى اللَّه لا يكون إلا بعبادة مشروعة وهذه الاحتفالات ليست بعبادة مشروعة وإنما هي عبادات مبتدعة والبدع مردودة على أصحابها وكلها ضلالة بلا استثناء كما قال الرسول ﷺ : « **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[2] .

وكما قال ﷺ : « **كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار** »[3] .

* * *

---

(١) « المعيار المعرب » للأحمدي (٧/ ٩٩ ـ ١٠١) .

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (١٣/ ٣١٧) .

(٣) « سنن النسائي » (٣/ ١٨٩) .



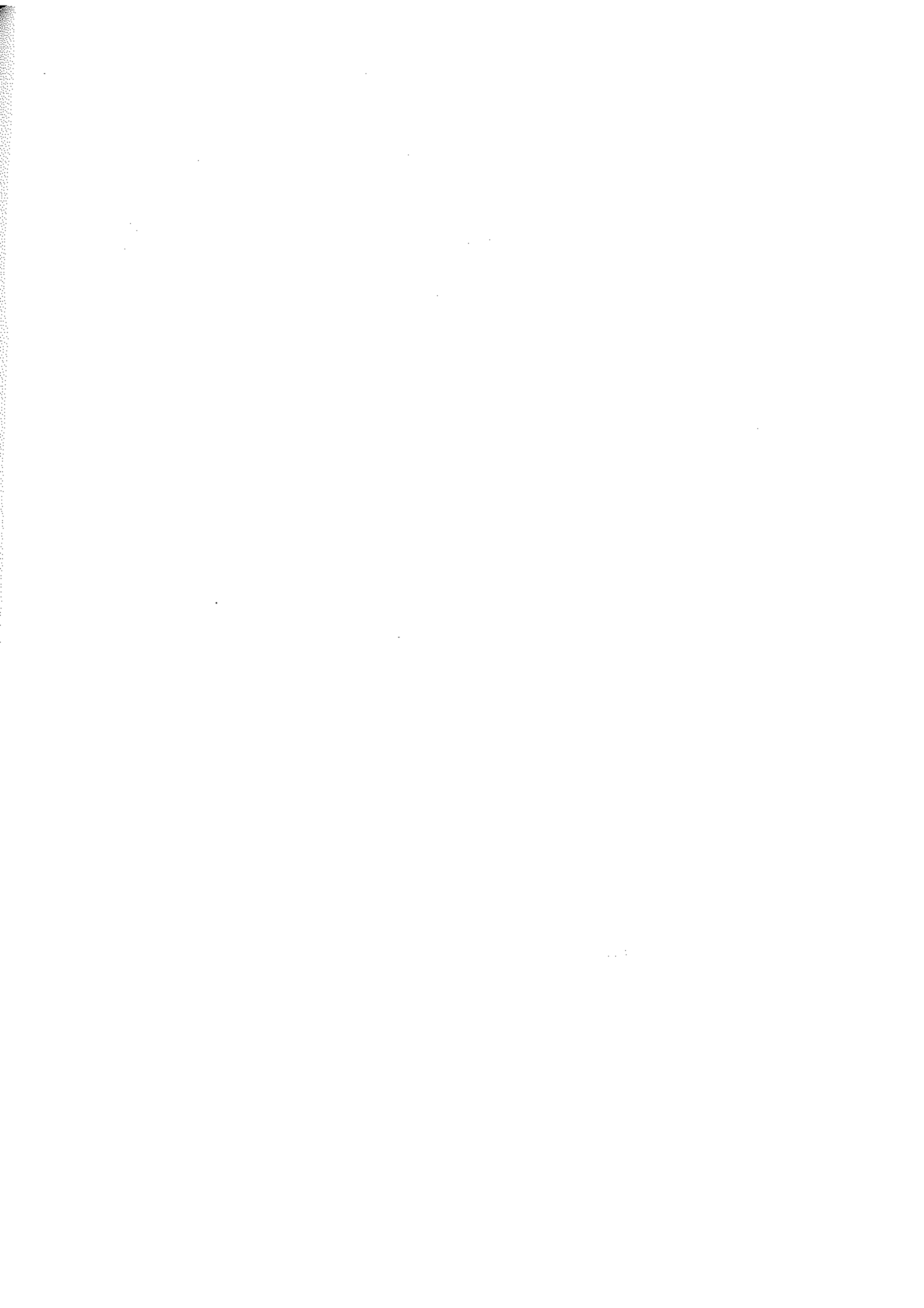
المبحث الرابع

انتشار الأذكار والأدعية والصلوات المبتدعة في الأمة الإسلامية وإعراض الناس بسببها عن تلاوة القرآن الكريم وذكر اللّٰه بما ورد في الكتاب والسنة

وتحت مطلبان :

المطلب الأول : نمـــــاذج من الأذكار والأدعية والصلوات الصوفية المبتدعة.

المطلب الثاني : موقـــــف الإسلام من الأوراد والأذكار والأدعية التي ابتدعها الصوفية .



المبحث الرابع

انتشار الأذكار والأدعية والصلوات المبتدعة في الأمة الإسلامية وإعراض الناس بسببها عن تلاوة القرآن الكريم وذكر اللَّه بما ورد في الكتاب والسنة

وتحته تمهيد ومطلبان :

أولاً : التمهيد :

إذا نظرنا في العالم الإسلامي على امتداده الواسع وكثرة سكانه نرى انتشار هذه الأذكار والأدعية والصلوات المبتدعة منتشرًا بين الأمة الإسلامية ولقد انشغل كثير من أفراد هذه الأمة الإسلامية وبالذات الذين انضموا إلى الطرق الصوفية واعتنقوها أو العامة الذين لا يميزون بين الحق والباطل بهذه الأذكار والأدعية والصلوات الصوفية المبتدعة فأصبحوا يتلونها ليلاً ونهاراً وصباحًا ومساءً تاركين تلاوة كتاب اللَّه عز وجل وذكره بما شرع في كتابه وسنة رسوله محمد ﷺ .

وإذا ألقينا نظرة بسيطة في الطرق الصوفية نرى أن كل شيخ طريقة قد وضع أحزابًا وأدعية وصلواتًا خاصة بطريقته يتلوها أتباعه ليلاً ونهاراً ويسمي كل صوفي الأدعية والأذكار والصلوات المبتدعة بقوله : (هذا حزب فلان أو ورده وأتباع هذا الشيخ الذي وضع هذا الحزب أو الورد يحافظون عليه قراءة

وتبركًا وتقديسًا أشد من محافظتهم على القرآن الكريم.

وهذا ليس من باب المبالغة وإنما هو واقع مرير مشاهد نعايشه في عصرنا الحاضر.

والعجيب الغريب أن كل أهل طريقة صوفية يدعون أن حزبهم أفضل من أحزاب الطرق الصوفية الأخرى ولم يقف المتصوفة عند هذا الادعاء بل وصل بهم الأمر والجرءة على اللَّه وعدم الخوف منه إلى الادعاء أن أحزابهم المبتدعة أفضل من القرآن الكريم .

ولو نظرنا إلى الأدعية والأوراد والأذكار والصلوات الصوفية المبتدعة نرى أنها تشتمل مع كونها مبتدعة على الشرك باللَّه سبحانه وتعالى والإلحاد والكفر وأقل ما فيها اشتمالها على التوسلات المبتدعة كالتوسل بالذوات أحياءا وأمواتًا غائبين.

ولقد شغلت هذه الأذكار والصلوات والأدعية المبتدعة الناس عن ذكر اللَّه وعن تلاوة القرآن حيث إن كثيرًا من أفراد الأمة الإسلامية يبقون في تلاوة هذه الأوراد سنين عديدة بل يبقون فيها طول عمرهم ويكررونها ليلاً ونهارًا صباحًا ومساءًا حتى تصير لهم عادة وطبعًا فيغفل عن ذكر اللَّه تعالى طول عمره فيختم على قلبه فلا يقبل دعوة الحق بل يبقى أسيرًا لهذه الأدعية والأوراد والأحزاب والصلوات المبتدعة ويلهج بذكرها وتلاوتها ليل نهار فلا قرآن ولا ذكر مشروع بل يفني عمره عاكفًا عليها وكلما قرأها ازداد قسوة وكرهًا للحق وبعدًا عن أهله وهذا معروف لا يخفى على أحد يعايش أحوال أمته الإسلامية ويهتم بشئونها ويتألم لألمها لأنه واقع مشاهد في أصحاب الطرق الصوفية في العالم الإسلامي إلا من شاء اللَّه

وقليل ما هم .

ثم إن الأذكار والأدعية والصلوات الصوفية المبتدعة تجد في كثير من ألفاظها التي سيقت بها الغموض والخفاء بحيث في بعض الأحيان لا يدري الإنسان ما تدل عليه هذه الألفاظ من المعاني فقد تكون هذه محتوية على الكفر والشرك باللَّه سبحانه وتعالى .

بل بعض الأدعية والأذكار والصلوات الصوفية فيها ألفاظ صريحة تدل إلى القول بوحدة الوجود بل يوجد في أدعيتهم الدعوة إلى رفع التكليف عنهم وتارة فيها الدعوة إلى الحب والغرام »[١] .

ولقد وضع المتصوفة أدابًا لهذه الأذكار والصلوات والدعوات المبتدعة وألزموا المريد قراءتها يوميًا بل تتلى بعض الأوراد الصوفية يوميًا عدة مرات بحيث لا يبقى للمريد وقت يتلو فيه القرآن ولا وقت يذكر اللَّه فيه بالأذكار النبوية المشروعة مما سبب إعراض جمهور كبير من الأمة الإسلامية في أنحاء العالم عن تلاوة كتاب اللَّه عز وجل وتدبر معانيه وعن ذكر اللَّه عز وجل ودعائه بما شرعه .

المطلب الأول

نماذج من الأذكار والأدعية والصلوات الصوفية المبتدعة

لقد ابتدع المتصوفة أذكارًا وأدعية وصلوات كثيرة جدًا يصعب حصرها وبما أن المقصود في عقد هذا المبحث ليس جمع أذكارهم وأدعيتهم وصلواتهم سنكتفي بذكر نماذج منها وذلك للتدليل على أن المتصوفة هم

---

(١) انظر « السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة » (ص١٠٣) .

الذين نشروا هذه الأدعية والأذكار والصلوات المبتدعة مما كان له الأثر السيء في الأمة الإسلامية حيث تسببت هذه الأشياء المبتدعة إلى عزل الناس عن تلاوة كتاب اللَّه وذكر اللَّه بالأذكار المشروعة .

أما الآن فإليك نماذج من هذه الأذكار والأدعية والصوات الصوفية :

* فمن الأدعية التي يدعوا بها المتصوفة اللَّه سبحانه وتعالى :

« إلهي استهلك كليتي في كليتك وامدد أوليتي بأوليتك حتى أشهد أوليتك في أوليتي وآخريتك في آخريتي وظاهريتك في ظاهريتي وباطنيتك في باطنيتي وقابليتك في قابليتي وأنت في أمنيتي وهويتك في هويتي »[1] .

إذا نظرنا في هذا الدعاء نلاحظ أنه يحتوي على الطلب من اللَّه سبحانه وتعالى أن يحل في الإنسان وهذا دعاء باطل وكفر باللَّه سبحانه وتعالى وذلك لأن من العقائد المسلم بها عند المسلمين أن اللَّه سبحانه وتعالى بائن عن خلقه ولا يمكن بأي صورة من الصور أن يحل في أي شيء من مخلوقاته .

* ومن أدعية الصوفية المبتدعة التي يتلونها ليلاً ونهارًا حزب البحر للشاذلي وفيه هذا المقطع من الدعاء :

« نسألك العصمة في الحركات والسكنات والكمالات والإرادات والخطرات من الشكوك والظنون والأوهام السائرة للقلوب من مطالعة الغيوب»[2] .

في هذا الدعاء طلب من اللَّه ما يختص به الرسل عليهم الصلاة والسلام ألا وهو العصمة فإن العصمة لا تكون إلا للرسل فقط أما غيرهم من

---

(١) « مجموعة أحزاب » (ص١٥) نقلاً عن « التصوف » لشقفة (ص١٦٦) .

(٢) « مجموع الأوراد الكبير » (ص١٣٨) .

الأمة فإنهم ليسوا بمعصومين بل هم معرضون للخطأ دائمًا وأبدًا وإنما المؤمن الحق كلما أخطأ يتوب إلى اللَّه سبحانه .

فطلب الشاذلي العصمة من اللَّه فيه تعد في الدعاء .

كذلك دعاء اللَّه سبحانه وتعالى أن يطلعه على الغيب وهذا أيضًا تعد في الدعاء فإن علم الغيب خاص باللَّه سبحانه وتعالى لا يشاركه فيه أحد كائنًا من كان .

ويقول الشاذلي أيضًا في أحزاب النصر :

« حم حم حم حم حم حم حم الأمر وجاء النصر فعلينا لا ينصرون حم عسق حمايتنا مما نخاف اللهم قنا شر الأسوء ولا تجعلنا محلاً للبلو اللهم أعطنا أمل الرجاء ونور الأمل يا هو يا هو يا هو يا هو »[1] .

ويقول الشاذلي أيضًا في حزب البر :

« يا من هو هو هو في علوه قريب يا ذا الجلال والإكرام ، ولقد شكى إليك يعقوب فخلصته من حزنه ورددت عليه بصره وجمعت بينه وبين ولده ولقد ناداك نوح من قبل فنجيته من كربه ولقد ناداك أيوب من بعده فكشفت ما به من ضر إلخ . . . »[2] .

إذا نظرنا في الأدعية السابقة للشاذلي نرى أن الدعاء الأول فيه عبارات لا ندري ماذا يقصد بها ألا وهي الحاء والميم ثم إنه دعا اللَّه بـ :هو هو هو

وكرر هذا الدعاء في حزب البر أيضًا بنفس العبارة السابقة ألا وهي

---

(١) « مجموع الأوراد » (ص١٤٥) .

(٢) « مجموع الأوراد الكبير » (ص١٣٣) .

دعاء اللَّه بضمير الغائب .

ثم إن الشاذلي ماذا يريد بذكر من ذكرهم اللَّه في كتابه ونجاهم من الكرب التي وقعوا فيها بدعائهم له وإخلاصهم له في الدعاء والعبادة وفي كل حياتهم هل يظن أن اللَّه يحتاج إلى التذكير أم لا ؟!! والحقيقة أنه عبث وإلا فاللَّه سبحانه وتعالى عالم بهذا كله ثم إن ذكر اللَّه بالاسم المفرد اللَّه اللَّه أو بالاسم المضمر هوهوهو غير مشروع .

قال ابن القيم :

« الذكر بالاسم المفرد اللَّه اللَّه غير مشروع أصلاً ولا مفيد شيئًا ولا هو كلام أصلاً ولا يدل على مدح ولا تعظيم ولا يتعلق به إيمان ولا ثواب ولا يدخل به الذاكر عقد الإسلام جملة فلو قال الكافر (اللَّه اللَّه) من أول عمره إلى آخره لم يصر بذلك مسلمًا فضلاً عن أن يكون من جملة الذكر أو يكون أفضل الأذكار ، وبالغ بعضهم في ذلك حتى قال الذكر بالاسم المضمر أفضل من الذكر بقولهم (اللَّه اللَّه) وكل هذا من أنواع الهوس والخيالات الباطلة المفضية بأهلها إلى أنواع من الضلالات فهذا فساد هذا البناء الهائر»[1] .

* ومن أدعية الصوفية المبتدعة :

« اللهم إنك منتخب أقفال قلوب أهل الاختصاص وخلصتهم من قيد الأقفاص فخلص سرائرنا من التعلق بملاحظة سواك وافننا عن شهود نفوسنا حتى لا نشهد إلا علاك »[2] .

---

(١) « طريق الهجرتين » لابن القيم (ص٣٣٨) .

(٢) « مجموع الأوراد الكبير » (ص٩٢) .

هذا الدعاء أيضًا فيه طلب من اللَّه سبحانه وتعالى أن يغني المتصوفة إلى أن يصلوا إلى مرحلة لا يشاهدون فيها أنفسهم بل يشاهدون اللَّه فقط وهذا فيه إشارة إلى القول بحلول اللَّه في مخلوقاته .

* ومن أدعيتهم المبتدعة :

« إلهي بروح سيدنا محمد ﷺ خلص معارفنا وبروح نبينا آدم اجعل أرواحنا سابحات في عوالم الجبروت واكشف لهم عن حضائر اللاهوت إلهي بالنور المحمدي الذي رفعت به كل رفيع مقام وضربت فوق خزانه أسرار ألوهيتك إعلامه افتح لنا فتحًا حمدانيًا وعلمًا ربانيًا وتجليًا رحمانيًا وفيضًا إحسانيًا »[1] .

إذا نظرنا في هذا الدعاء نرى أنه يشتمل على عدة محاذير منها أنه فيه التوسل بالذوات وهو توسل مبتدع غير مشروع .

ومنها أنه فيه الاعتداء في الدعاء لأنه طلب من اللَّه أن تسبح روحه في الكون العلوي ويكشف اللَّه لها الغيوب وهذا دعاء باطل فإن الغيب خاص باللَّه سبحانه وتعالى وقد بينا ذلك فيما سبق[2] .

ومنها أنه فيه التوكل بالنور المحمدي ولا ندري ماذا يقصد بهذا النور فإن كان يقصد بأن النبي خلق من نور فهذا معتقد فاسد وباطل وقد بينا بطلانه فيما سبق[3] .

ومنها أيضًا أن هذا الداعي طلب من اللَّه أن يعطيه علمًا ربانيًا والمعنى

---

(١) « مجموع الأوراد » (ص٨٥) .

(٢) انظر (ص٦٥٢ ـ ٦٧٠) .

(٣) انظر : (ص١٣٩ ـ ١٤٢) .

أنه يطلب من اللَّه أن يوحي إليه وهذا فيه تعد في الدعاء لأن من المعلوم بالضرورة أن باب النبوة قد أغلق ببعثة الرسول محمد ﷺ .

ومنها أنه طلب منه أن يتجلى له في هذه الدنيا لكي يراه وهذا أيضًا فيه تعد في الدعاء فإن اللَّه سبحانه وتعالى لا يرى في الدنيا نهائيًا وإنما يراه المؤمنون في الآخرة .

ومن صلواتهم المبتدعة على الرسول ﷺ ويتلونها ليلاً ونهارًا :

« اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد أستاذ كل أستاذ وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد ملاذ كل ملاذ »[1] .

هذه الصلاة فيها شرك صريح ويتضح هذا في وصفه للرسول بأنه ملاذ كل ملاذ وذلك لأن الملاذ الوحيد هو اللَّه سبحانه وتعالى أما غيره من مخلوقاته فإنهم لا يملكون شيئًا لأنفسهم فضلاً عن أن يملكوه لغيرهم .

وللأسف فالمتصوفة يكررون أمثال هذه الصلوات كل يوم مرات عديدة .

* ومن أدعيتهم المبتدعة :

« وأنعم علينا بتجلي الأسماء والصفات وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وأغرقنا في عين بحر الوحدة السارية في جميع الموجودات . . وأذقنا لذة تجلي الذات وأدمها علينا »[2] .

إذا نظرنا في هذا الدعاء نرى أن هذا الداعي الصوفي سأل اللَّه سبحانه وتعالى أن يغرقه في عين بحر الوحدة والمتصوفة يعنون بهذا اللفظ وحدة

---

(١) « مجموع الأوراد الكبير » (ص٤٢) .

(٢) « مجموع الأوراد » (ص٣٧) .

الوجود وهذا إلحاد وكفر باللَّه سبحانه وتعالى .

ثم إنه سأل اللَّه أن يتجلى اللَّه له في هذه الدنيا ويديمها عليه وهذا تعد واضح في الدعاء فإن اللَّه سبحانه وتعالى لا يرى في هذه الدنيا.

* ومن صلواتهم المبتدعة على الرسول ﷺ :

« اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النور الذاتي والسر الساري في سائر الأسماء والصفات »[1] .

وهذه الصلاة فيها القول بأن الرسول ﷺ من نور اللَّه أي أنه خلق من النور ونوره هذا سائر في جميع الأسماء والصفات وهو معتقد فاسد فإن الرسول خلق مما خلق منه غيره من البشر ولم يخلق من النور كما يدعيه المتصوفة وقد بينا ذلك فيما سبق[2] .

* ومن صلواتهم المبتدعة على الرسول ﷺ الصلاة التالية :

« اللهم صل على سيدنا محمد بحر أنوارك ومعدن أسرارك ولسان محبتك وعروس مملكتك وإمام حضرتك وخزائن رحمتك وطريق شريعتك المتلذذ بتوحيدك إنسان عين الوجود والسبب في كل موجود عين أعيان خلقك المقدم من نور رضائك صلاة تدوم بدوامك وتبقى ببقائك »[3] .

إذا نظرنا في هذه الصلاة التي ابتدعها المتصوفة من عند أنفسهم ليصلوا بها على الرسول ﷺ نرى فيها الغلو الشديد في الرسول حيث وصفوه فيها بأوصاف لم يصفه اللَّه بها سبحانه في كتابه ولا وصف هو بها نفسه في سنته

---

(١) « مجموع الأوراد » (ص٢٧) .

(٢) انظر : (ص١٤٢ ـ ١٤٦) .

(٣) « مجموع الأوراد الكبير » (ص٢٥) .

ويتضح لنا هذا الغلو في كل العبارات الموجودة في هذه الصلاة وأظن لا حاجة لتوضيح وجه تناقض هذه الأوصاف التي وصفه بها المتصوفة في هذه الصلاة لأن المعاني واضحة تمامًا ولا يزيدها الشرح إلا غموضًا لأن محاولة توضيح الشيء الواضح من الصعوبة بمكان .

* ومن أدعية الصوفية وصلواتهم المبتدعة على الرسول ﷺ قولهم :

« اللهم صل على الذات المحمدية اللطيفة الأحدية شمس سماء الأسرار ومظهر الأنوار ومركز مدار الجلال وقطب فلك الجمال اللهم بسره لديك وبسره إليك آمن خوفي وأقل عثرتي وأذهب حزني وحرصي وكن لي وخذني إليك مني وارزقني الفناء عني ولا تجعلني مفتونًا بنفسي محجوبًا بحسى واكشف لي عن كل سر مكتوم يا حي يا قيوم ».

إذا نظرنا في الصلاة والدعاء السابق نرى فيها الغلو الشديد في الرسول ﷺ حيث وصفوه بأوصاف لم يصفه اللَّه بها ولا وصف بها هو نفسه وهي أوصاف مناقضة للإسلام كما هو واضح لكل من له أقل علم بكتاب اللَّه وسنة رسوله محمد ﷺ .

ثم إن المتصوفة قد دعوا اللَّه عز وجل أن يفنيهم اللَّه حتى يصلوا إلى مرحلة لا يشاهدون فيها إلا اللَّه وهذه هي عقيدة الحلول بعينها وهي التي يسعى كل صوفي للوصول إليها .

وفيها أيضًا طلب المتصوفة من اللَّه أن يكشف لهم عن كل سر مكتوم أي أن يطلعهم اللَّه على الغيب وهذا يعتبر تعدٍ في الدعاء لأن اللَّه سبحانه وتعالى قد أخبر في كتابه بأن الغيب خاص به سبحانه وتعالى فقال : ﴿**قُل لاَّ**

﴿ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[1] .

* ومن صلواتهم المبتدعة على الرسول ﷺ قولهم :

« اللهم صل على محمد الذي تجسد فيه اللَّه اللهم صل على نفسك التي ظهرت وتظهر في صور الكائنات اللهم وأسألك بجميع ما تعلم لنفسك من لا يعلمه منك غيرك أن تنفعني يا ذا الجلال والإكرام فمن شهود تجليات ذاتك بالعين التي لا تحجب عنها شيء في الأرض ولا في السماء وأفض على جميع ذاتي لذة الشهود حتى أكون كلي لذة ذاتية إلهية سارية وتجلى لي يا إلهي بمقام الاستواء الجامع للمراتب الخفية الإلهية »[2] .

إذا نظرنا في هذه الصلاة والدعاء نرى أنها تحتوي على ألفاظ تدل على عقائد الصوفية الباطلة .

من هذه الاعتقادات التي تحتوي عليها قول المتصوفة بأن الرسول تجسد فيه اللَّه ومعنى ذلك أنه هو اللَّه وهذا كفر.

ومنها اعتقادهم بأن اللَّه يظهر في صور الكائنات وهذا هو القول بوحدة الوجود تمامًا وهو إلحاد باللَّه .

ومنها دعاء هذا الصوفي أن يكون ذاتًا إلهية أي سأل اللَّه أن يكون إلهًا وهذا أيضًا كفر .

وغير ذلك من العقائد الباطلة التي تحتوي عليها هذه الصلاة والدعاء الذي يتلوه المتصوفة ليل نهار والعبارات التي سيقت بها هذه الصلاة والدعاء من أولها إلى آخرها كفر بواح باللَّه سبحانه وتعالى .

---

(١) النمل : (٦٥) .

(٢) « المجموعة الشريفة من جوامع الكلم الإلهية » نقلاً عن « التصوف » لشقفة (ص١٦٦) .

* ومن صلوات الصوفية المبتدعة على النبي ﷺ :

« اللهم صل وسلم وبارك على خلقة الذات المطلسم والغيث المطمطم لاهوت الجمال وناسوت الوصال وطلعة الحق هوية إنسان الأزل في نشر من لم يزل من أقمت به نواسيت الفرق إلى طريق الحق فصل اللهم به منه فيه»[١] .

إذا نظرنا في هذه الصلاة نراها سيقت بألفاظ غريبة وغامضة وفيها أيضًا ألفاظ يقولها المسيحيون الذين يعتقدون بأن عيسى ابن اللَّه أو هو اللَّه فمن الألفاظ الغريبة الغامضة قولهم : (المطلسم والمطمطم) ولا ندري ماذا يقصد المتصوفة بهذا أكفر هي أو توحيد .

* ومن الألفاظ التي قالها المتصوفة تقليدًا للنصارى قولهم :

« لا هوت الجمال وناسوت الوصال » وهذه ألفاظ غريبة على الإسلام يستعملها النصارى الذين يعتقدون بأن عيسى ابن اللَّه أو هو اللَّه .

* ومن الصلوات المبتدعة التي ابتدعها المتصوفة ليصلوا بها على الرسول ﷺ :

« اللهم صل على محمد وعلى آل محمد حتى لا يبقى من الصلاة شيء وارحم محمدًا وآل محمد حتى لا يبقى من الرحمة شيء وبارك على محمد وعلى آل محمد حتى لا يبقى من البركة شيء وسلم على محمد وعلى آل محمد حتى لا يبقى من السلام شيء »[٢] .

إذا نظرنا في هذه الصلاة التي ابتدعها المتصوفة نرى فيها الاعتداء

---

(١) « مجموعة أحزاب » (ص١٥) نقلاً عن « التصوف » لشقفة (ص٨١٦) .

(٢) « أفضل الصلوات » (ص٧١) .

الواضح في الدعاء لأنهم دعوا اللَّه أن يرحم محمدًا حتى لا يبقى من رحمته شيء ومعنى هذا القول بنفاذ رحمة اللَّه وهذا معتقد باطل فإن رحمة اللَّه واسعة لكل ما في هذا الكون وخارجه أيضًا كما في قوله تعالى : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1] .

وهذا النص من أوله إلى آخره فيه الاعتداء الواضح في الدعاء.

وقد زعم المتصوفة الفضل الكبير والأجر الجزيل لكل من تلا هذه الأذكار والدعوات والصلوات التي ابتدعوها من عند أنفسهم حيث ذكروا صيغًا مختلفة لأورادهم وأحزابهم وذكروا لكل صيغة فضلاً خاصًا بها وكأنهم ينزل عليهم الوحي.

* فمن الصلوات التي ابتدعوها وذكروا لها فضلاً معينًا :

قولهم : « اللهم صل على سيدنا محمد حاء الرحمة وميم الملك ودال الدوام السيد الكامل الفاتح الخاتم عدد ما في علمك كائن أو قد كان كلما ذكرك وذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذكرك وذكره الغافلون صلاة دائمة بدوامك باقية ببقائك لا منتهى لها دون علمك إنك على كل شيء قدير »[2] .

وقد قال النبهاني في فضل هذه الصلاة :

« هذه الصلاة بألف حسنة فقد نقل في شرح الدلائل عن جده يوسف الفاسي عن الصالح الولي أبي العباس أحمد الحاج رضي اللَّه عنه قال : بلغني أن من صلى على النبي ﷺ بهذه الصلاة له عشر حسنات فرأى شخص النبي ﷺ فقال له : يا نبي اللَّه ألمن صلى عليك بهذه الصلاة عشر حسنات كما يقولون ؟ فقال النبي ﷺ : بل عشر صلوات لكل صلاة عشر حسنات

(١) الأعراف : (١٥٦) .

(٢) « أفضل الصلوات » (ص٧٥) .

والحسنة بعشر أمثالها »[1] .

ونحن نقول إن هذه الصلاة صلاة مبتدعة وليست من الصيغ الواردة في السنة النبوية وما دامت مبتدعة فهي مردودة على أصحابها فضلاً عن أن يكون لها هذا الفضل الذي زعمه جد النبهاني وكل هذا هراء وكذب وافتراء على اللَّه لأجل ترغيب الناس في الانشغال بتلاوة هذه الطقوس التي وضعوها .

* ومن الصلوات المبتدعة التي ابتدعها المتصوفة من عند أنفسهم ليصلوا بها على الرسول ﷺ قولهم :

« اللهم صل على سيدنا محمد صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات وتقضي لنا بها جميع الحاجات وتطهرنا بها من جميع السيئات وترفعنا بها عندك أعلى الدرجات وتبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات »[2] .

قال النبهاني نقل في شرح الدلائل عن الحسن بن علي الأسواني أنه قال :

« من قال هذه الصلاة في كل مهم وبلية ألف مرة فرج اللَّه عنه وأدرك مأموله »[3] .

ونحن نقول إن هذه الصلاة صلاة مبتدعة وليست مشروعة فهي مردودة على أصحابها وهذا الفضل المذكور لها إنما هو زعم باطل لا أساس له من الصحة .

---

(١) « أفضل الصلوات » (ص٧٥) .

(٢) « أفضل الصلوات » (ص٧٦) .

(٣) « أفضل الصلوات » (ص٧٦) .

وقد ذكر بعضهم فضلاً آخر لهذه الصلاة فقال :

فقد قال بعض الأشياخ :

« من قالها في مهمة أو نازلة ألف مرة فرج اللَّه تعالى عنه وأدرك مأموله ومن أكثر منها زمن الطاعون أمن منه ومن أكثر منها عند ركوب البحر أمن من الغرق ومن قرأها خمسمائة مرة ينال ما يريد والغني إن شاء اللَّه تعالى وهي مجربة صحيحة في جميع ذلك واللَّه تعالى أعلم »(١) .

قلت : وهذا زعم باطل فليس أي فضل لهذه الصلاة بل هي مردودة على أصحابها لأنها مبتدعة وكل بدعة مردودة على صاحبها فضلاً عن أن يكون لها مثل هذا الفضل .

* ومن الصلوات المبتدعة التي ابتدعها المتصوفة ليصلوا بها على الرسول ﷺ قولهم :

« اللهم صل على سيدنا محمد السابق للخلق نوره ورحمة للعالمين ظهوره عدد من مضى من خلقك ومن بقي ومن سعد منهم ومن شقي صلاة تستغرق العد وتحيط بالحد صلاة لا غاية لها ولا منتهى ولا انقضاء صلاة دائمة بدوامك وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مثل ذلك »(٢) .

قال النبهاني بعد ذكر هذه الصلاة في فضلها :

« وقد ذكروا بأن من صلى بهذه الصلاة عشر مرات صباحًا ومساءً استوجب رضاء اللَّه الأكبر والأمان من سخطه وتوالت عليه الرحمة والحفظ

---

(١) « أفضل الصلوات » (ص٧٧) .

(٢) « أفضل الصلوات » (ص٨٢) .

الإلهي من الأسواء وتسهل عليه الأمور »[1] .

قلت : وهذا زعم باطل وافتراء على اللّٰه سبحانه وتعالى.

* ومن الصلوات التي ابتدعها المتصوفة وذكروا لها فضلاً معينًا قولهم:

« اللهم اجعل أفضل صلواتك أبدًا وأنمى بركاتك سرمدًا وأزكى تحياتك فضلاً وعددًا على أشرف الخلائق الإنسانية ومجمع الحقائق الإيمانية وطور التجليات الإحسانية ومهبط الأسرار الرحمانية . . » إلى أن قال : « ومالك أزمة المجد الأسنى مشاهد أسرار الأزل ومشاهد أنوار السوابق الأول وترجمان لسان القدم . . ومظهر سر الوجود الجزئي والكلي وإنسان عين الوجود العلوي والسفلي روح جسد الكونين وعين حياة الدارين إلخ . . »[2] .

قال أحمد الصاوي في فضل هذه الصلاة :

« إن هذه الصلاة نقلها حجة الإسلام الغزالي عن القطب العيدروس وتسمى شمس الكنز الأعظم ومن قرأها حجب قلبه عن وساوس الشيطان وقال بعضهم : إنها للقطب الرباني سيدي عبد القادر الجيلاني وأن من قرأ بعد صلاة العشاء الإخلاص والمعوذتين ثلاثًا ثلاثًا وصلى على النبي بهذه الصلاة رأى النبي ﷺ في المنام »[3] .

قلت : وهذا زعم باطل وكذب وافتراء على اللّٰه بغير حجة لأنه لا يمكن لإنسان أن يقول : إن فضل من فعل هذا فأجره كذا إلا النبي الموحى

---

(١) « أفضل الصلوات » (ص٨٢) .

(٢) « أفضل الصلوات » (ص٨٣) .

(٣) « أفضل الصلوات على سيد السادات » (ص٨٣) .

إليه لأن اللَّه يخبره بهذا أما غيره كائنًا من كان فليس هذا من شأنه ومن ادعى هذا فقد زعم أنه مشرع .

* ومن الصلوات التي ابتدعها المتصوفة وزعموا لها فضلاً معينًا صلاة أحمد البدوي وهي :

« اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد شجرة الأصل النورانية ولمعة القبضة الرحمانية وأفضل الخليقة الإنسانية وأشرف الصورة الجسمانية ومعدن الأسرار الربانية وخزائن العلوم الاصطفائية صاحب القبضة الأصلية والبهجة السنية والرتبة العلية من اندرج النبيون تحت لوائه فهم منه وإليه وصل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه عدد ما خلقت ورزقت وأمت وأحييت إلى يوم تبعث من أفنيت وسلم تسليمًا كثيرًا والحمد للَّه رب العالمين »[1] .

وقد قال أحمد الصاوي في فضل هذه الصلاة المبتدعة :

« ذكر بعضهم أنها تقرأ عقب كل صلاة سبعًا وإن كان مائة منها بثلاثة وثلاثين من دلائل الخيرات »[2] .

وقال زيني دحلان :

« ذكر كثير من العارفين أن هذه الصـــلاة المنسوبة للقطب الكامل سيدي أحمد البدوي رضي اللَّه عنه سبب لحصول كثير من الأنوار وانكشاف كثير من الأسرار وهي من أعظم الأسباب للاتصال بالنبي ﷺ في المنام واليقظة وهي سبب في وصول كثير إلى مرتبة القطبانية وفيها أسرار في

---

(١) « أفضل الصلوات » (ص٨٥) .

(٢) « أفضل الصلوات على سيد السادات » (ص٨٦) .

تسهيل الرزق وهو رزق الأشباح والباطني وهو رزق الأرواح أعني العلوم والمعارف.

وبها تحصل النصر على النفس والشيطان وسائر الأعداء ولها خواص كثيرة ولا تحصى .

وذكروا أن قراءة ثلاث مرات منها بقراءة دلائل الخيرات وينبغي لقارئها أن يكون وقت قرائتها مستحضراً لأنوار النبي ﷺ وعظمته في قلبه وأنه السبب الأعظم في وصول كل خير والواسطة العظمى والنور الأعظم ولا يقرؤها الشخص إلا وهو متطهر فمن واظب على قرائتها بهذه الشروط كل يوم مائة مرة واستمر على ذلك أربعين يومًا مع الاستقامة يحصل له من الأنوار والخير ما لا يعلم قدره إلا اللّٰه تعالى ومن واظب على قرائتها كل يوم ثلاث مرات بعد صلاة الصبح وثلاثًا بعد المغرب يرى لها أسرارًا كثيرة»[1].

قلت : إذا نظرنا في الصلاة التي ابتدعها أحمد البدوي للصلاة بها على الرسول ﷺ نرى فيها الغلو الزائد في الرسول ﷺ حيث وصفه فيها أحمد البدوي بأوصاف تخرجه عن طور البشرية إلى طور الإلهية وكل الأوصاف المذكورة في هذه الصلاة تتناقض مع العقيدة الإسلامية الواجب اعتقادها تجاه الرسول ﷺ إلا القليل منها .

ولذا أقول أولاً : هذه الصلاة مبتدعة وثانيًا : مشتملة على ألفاظ لو

---

(١) « أفضل الصلوات على سيد السادات » (ص٨٦) وانظر كذلك في الصلوات التي ابتدعها المتصوفة « مناهل الأشواق إلى حبيب الخلق والخلاق » وهو كله في الصلوات على النبي ﷺ وكذلك كتاب « النفحات الأقدسية » (ص٨٤) .

قالها الإنسان تخرجه عن المعتقد الصحيح وعلى هذا فتلاوة هذه الصلاة ليل نهار لا تزيد قلب تاليها إلا قسوة وفسادًا وخرابًا داخليًا فضلاً عن أن يكون لها الفضل المزعوم الذي ذكروه لها .

* ومن الصلوات التي ابتدعها أحمد البدوي ليصلي بها على الرسول ﷺ وزعم لها أتباعه فضلاً معينًا :

« اللهم صل على نور الأنوار وسر الأسرار وترياق الأغيار ومفتاح باب اليسار سيدنا محمد المختار وآله الأطهار وأصحابه الأخيار عدد نعم اللّه وأفضاله »[(١)] .

قال زيني دحلان في فضل هذه الصلاة :

« ذكر كثير من العارفين أنها مجربة لقضاء الحاجات وكشف الكربات ودفع المعضلات وحصول الأنوار والأسرار بل مجربة لجميع الأشياء وعدد وردها مائة مرة كل يوم وينبغي أن يبتدئ المريدون في أول سلوكهم باستعمالها وفي انتهائهم بالصيغة الأولى ».

قلت : الصلاة كما نراها تشتمل على ألفاظ تتناقص مع العقيدة الإسلامية حيث وصفت الرسول بأوصاف لم يوصف بها لا في كتاب اللّه ولا في سنة رسول اللّه بل هي مناقضة لتلك الأوصاف التي وصف بها الرسول في الكتاب والسنة .

---

(١) « أفضل الصلوات » (ص٨٦) وانظر في الصلوات التي ابتدعها المتصوفة للصلاة بها على الرسول كتاب « فتح القوى المتين » لأحمد الغندور في الصلاة على سيد المرسلين (ص٢٢١) وانظر كذلك « القرب والتهاني » (ص٨٤) وانظر كذلك « العقد النفيس » لأحمد بن إدريس المغربي (ص٢٦).

وأما الفضل الذي ذكره زيني دحلان عن شيوخه العارفين فهو فضل مزَعوم مكذوب لا أساس له من الصحة وإنما يذكر المتصوفة أمثال هذا الفضل لأذكارهم المبتدعة من أجل أن يرغبوا الناس في تلاوتها ويصرفوهم عن تلاوة كتاب اللَّه وذكره بالأذكار المشروعة الواردة في السنة .

* ومن الصلوات التي ابتدعها المتصوفة ليصلوا بها على الرسول ﷺ صلاة الفاتح وهذا نصها :

« اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق الهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم »[1] .

قال أحمد التيجاني حينما سئل عن صلاة الفاتح هذه التي ابتدعها هو بنفسه وادعى أنها نزلت عليه من اللَّه كذبًا وزورًا :

« وأما سؤالكم عن صلاة الفاتح لما أغلق إلخ فإنها وردت من الغيب على هذه الكيفية وما ورد من الغيب كماله ثابت خارج عن القواعد المعلومة ليست من تأليف مؤلف. . وخاصة الفاتح لما أغلق أنها أمر إلهي لا مدخل فيه للعقول فلو قدرت مائة ألف أمة في كل أمة مائة ألف قبيلة في كل قبيلة مائة ألف رجل وعاش كل واحد منهم مائة ألف عام يذكر كل واحد منهم في كل يوم ألف صلاة على النبي ﷺ من غير صلاة الفاتح لما أغلق إلخ وجميع

---

(١) « أحزاب أوراد التيجانية » (ص١٢) وانظر كذلك في الصلوات التي ابتدعها المتصوفة الكتب الآتية :

١ ـ كتاب « الصلوات على النبي » لمحمد إسماعيل بكامله .

٢ ـ « سعادة الدارين » للنبهاني بكامله.

٣ ـ « النفحة الإلهية في الصلاة على خير البرية » للغماري .

ثواب هذه الأمم في مدة هذه السنين كلها في هذه الأذكار كلها ما لحقوا كلهم ثواب مرة واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق.. » ثم قال : « فمن توجه إلى اللَّه تعالى مصدقًا بهذا الحال فاز برضاء اللَّه وثوابه في دنياه وأخراه بما لا تبلغه جميع الأعمال يشهد بهذا الفيض الإلهي الذي لا تبلغه الآمال ولا يحصل هذا الفضل المذكور إلا مع التسليم »[1] .

ويقول التيجاني أيضًا وهو يتحدث عن فضل صلاة الفاتح :

« وإن صلاة الفاتح لما أغلق أفضل من جميع وجوه الأعمال والعبادات وجميع وجوه البر على العموم والإطلاق وجميع وجوه الشمول والإمكان إلا من كان من دائرة الإحاطة فقط فإن ذكره أفضل منها بكثير دون غيره من الأعمال والسلام »[2] .

وقال التيجاني أيضًا وهو يتحدث عن فضل صلاة الفاتح لما أغلق :

« إن صلاة الفاتح لما أغلق بستمائة ألف صلاة وكل صلاة من الستمائة ألف صلاة بأربعمائة غزوة ثم قال بعده ﷺ إن من صلى بها أي بالفاتح لما أغلق إلخ مرة واحدة حصل له ثواب ما إذا صلى بكل صلاة وقعت في العالم من كل جن وإنس وملك ستمائة ألف صلاة من أول العالم إلى وقت تلفظ الذاكر بها أي كأنه صلى بكل صلاة ستمائة ألف صلاة من جميع المصلين عمومًا ملكًا وجنًا وإنسًا وكل صلاة من ذلك بأربعمائة غزوة وكل صلاة من ذلك بزوجة من الحور وعشر حسنات ومحو عشر سيئات ورفع عشر درجات وإن اللَّه يصلي عليه وملائكته بكل صلاة على عشر مرات » .

---

(١) « جواهر المعاني » لعلي برادة (١/ ١١٧) .

(٢) « جواهر المعاني » لعلي برادة (١/ ١١٨) .

ثم قال الشيخ التيجاني :

« فإذا تأملت هذا بقلبك علمت أن هذه الصلاة لا تقوم لها عبادة في مرة واحدة فكيف من صلى بها مرات ماذا له من الفضل العظيم عند اللَّه وهذا حاصل في كل مرة منها »[1] .

ويقول التيجاني :

« سألت النبي ﷺ عن فضل صلاة الفاتح لما أغلق فأخبرني أولاً بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات ثم أخبرني ثانيًا أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير ومن القرآن ستة آلاف مرة لأنه من الأذكار »[2] .

ويقول التيجاني أيضًا :

« وأخبرني ﷺ أنها (أي صلاة الفاتح) لم تكن من تأليف البكري إلخ ولكن توجه إلى اللَّه مدة طويلة أن يمنحه صلاة على النبي ﷺ فيها ثواب جميع الصلوات وسر جميع الصلوات وطال طلبه مدة طويلة ثم أجاب اللَّه دعوته فأتاه الملك بهذه الصلاة مكتوبة في صحيفة من النور » .

ثم قال التيجاني : « فلما تأملت هذه الصلاة وجدتها لا تزنها عبادة جميع الجن والإنس والملائكة »[3] .

ويقول محمد فتحا بن عبد الواحد السوسي التيجاني في المعتقد الواجب في صلاة الفاتح لما أغلق :

---

(١) « جواهر المعاني » لعلي برادة (١/ ١١٥ ـ ١١٦) .

(٢) « جواهر المعاني » لعلي برادة (١/ ١١٤) .

(٣) « جواهر المعاني » (١/١١٦) .

« واعتقاد المصلي بها أنها في صحيفة من نور أنزلت بأقلام قدرة إلهية وليست من تأليف البكري والفضل الذي فيها لا يحصل إلا بشرطين : الأول الإذن والثاني أن يعتقد الذاكر أن هذه الصلاة من كلام اللّٰه تعالى كالأحاديث القدسية وليست من تأليف البكري »[1] .

وذكر علي برادة عن التيجاني أنه قال :

« أخبرني سيد الوجود ﷺ يقظة لا منامًا قال لي : أنت من الآمنين وكل من رآك من الآمنين وكل من أحسن إليك بخدمة أو غيرها وكل من أطعمك يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب »[2] .

إذا نظرنا في المقالات التي أوردتها عن التيجانية نجد بأنهم يعتقدون بأن صلاة الفاتح نزلت من اللّٰه سبحانه وتعالى وليست من تأليف البشر وأنها نزلت مكتوبة على أحرف من نور أنزل بها الملك .

ويعتقدون أيضًا بأن التيجاني رأى النبي ﷺ يقظة لا منامًا وأخبره بأن فضل صلاة الفاتح يفوق فضل كل عبادة يقوم بها الإنسان طول حياته إلخ ما زعم أن النبي ﷺ قاله له كذبًا وزورًا وبهتانًا .

ولو لاحظنا بدقة نرى أن التيجاني انفرد من بين المتصوفة الذين ابتدعوا كيفيات للصلاة على النبي ﷺ بزعمه بأن هذه الصلاة نزل بها إليه ملك مكتوبة في صحيفة من نور وعلى هذا فهي وحي من اللّٰه وأن تلاوة هذه الصلاة أفضل من القرآن بستة آلاف مرة بل إن تلاوتها أفضل من جميع عبادة الجن والإنس والملائكة ومن بين ما انفرد به التيجاني ادعاؤه أنه رأى النبي

---

(١) « الدرة الخريدة » (٤/ ١٨٤) .

(٢) « جواهر المعاني » لعلي برادة (١/ ٩) .

ﷺ يقظه لا منامًا وأنه أخبره بفضل صلاة الفاتح المذكورة آنفًا ولو عرضنا هذه المزاعم التيجانية الباطلة على الكتاب والسنة سنجدها تتعارض تمامًا مع ما جاء فيهما وذلك لأنه من المعلوم لكل مسلم سلم من أفكار الصوفية المسمومة الاعتقاد الجازم بأنه لا وحي بعد رسول اللَّه ولا شيء أفضل من القرآن على الإطلاق ولا يمكن أن يتلقى أحد أوامر تخالف الشريعة الإسلامية من الرسول بعد موته وإليك الآن مناقشة هذه المزاعم فقرة فقرة :

أولاً : لقد زعم التيجانية كما سبق لنا بأن صلاة الفاتح نزلت من اللَّه ونحن نقول إن كل مسلم يعتقد اعتقادًا جازمًا بأنه لا وحي بعد رسول اللَّه ﷺ ينزل من اللَّه سبحانه وتعالى وإنما الوحي الذي يدعيه المتصوفة من الممكن أن يكون وحيًا من الشيطان وقد بينا فيما سبق انقطاع الوحي بموت رسول اللَّه ﷺ وختم النبوة[(١)] .

والنبي ﷺ قد بلغ رسالة ربه كاملة ولم يتوفاه اللَّه حتى بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة حيث دلها على كل ما ينفعها وحذرها من كل ما يضرها ولذا فالأمة ليست بحاجة إلى من يكمل لها أمور دينها لأنه ليس فيه النقص نهائيًا والرسول لم يكتم شيئًا مما أنزل إليه .

ومن الآيات التي تدل على هذا :

أولاً : قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾[(٢)] .

قال الإمام الطبري رحمه اللَّه تعالى :

---

(١) انظر (ص٥٥٢ ـ ٥٦٩) .

(٢) المائدة : (٦٧) .

« قال ابن عباس رضي اللَّه عنه في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** ﴾ يعني إن كتمت آية مما أنزل إليك من ربك لم تبلغ رسالاتي»[1] .

وهذا يدل على أن الرسول لم يكتم شيئًا مما أنزل إليه .

ثانيًا : قوله تعالى : ﴿ **فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** ﴾[2] .

قال الفخر الرازي عند تفسير هذه الآية :

« إنهم كانوا لا يعتقدون بالقرآن ويتهاونون به فكان يضيق صدر رسول اللَّه ﷺ أن يلقى إليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فهيجه اللَّه تعالى لأداء الرسالة وطرح المبالاة بكلماتهم الفاسدة وترك الالتفات إلى استهزائهم والغرض منه التنبيه على أنه إن أدى ذلك الوحي وقع في سخريتهم وسفاهتهم وإن لم يؤد ذلك الوحي إليهم وقع في ترك وحي اللَّه تعالى وفي إيقاع الخيانة منه فإذًا لابد من تحمل أحد الضررين وتحمل سفاهتهم من تحمل إيقاع الخيانة في وحي اللَّه تعالى »[3] .

ثالثًا : قوله تعالى : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾[4] .

وهذه الآية تدل دلالة صريحة على أن الدين قد كمل وأنه ليس بحاجة

---

(١) « تفسير الطبري » (٦/١٩٨) .

(٢) هود : (١٢) .

(٣) « التفسير الكبير » للفخر الرازي (١٧/١٩٣) .

(٤) المائدة : (٣) .

إلى إكمال من أحد يزعم التلقي عن اللَّه كذبًا وزورًا وقد شهد اللَّه تعالى لرسوله بأنه بلغ الرسالة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم وكفى بها شهادة.

قال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾[1] .

وقال سبحانه : ﴿ فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾[2] .

وأما الأدلة من السنة التي تدل على أن الرسالة قد كملت وأن الرسول بلغ كل ما أنزل إليه ولم يكتم منه شيئًا.

الحديث الذي روته عائشة رضي اللَّه عنها قالت : « من حدثك أن محمدًا ﷺ كتم شيئًا مما أنزل عليه فقد كذب واللَّه يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ الآية »[3] .

وفي رواية لمسلم عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت : ولو كان محمد ﷺ كاتمًا شيئًا مما أنزل عليه لكتم هذه الآية : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾»[4] .

فهذان الحديثان يدلان دلالة صريحة على أن الرسول ﷺ بلغ رسالة ربه كاملة ولم يكتم منها شيئًا ليبلغه للمتصوفة بعد وفاته كما يزعمون.

أما الإجماع فقد أجمع المسلمون على أن الرسول ﷺ قد بلغ رسالة ربه ولم يكتم منها حرفًا واحدًا قال الفخر الرازي في « التفسير الكبير »:

---

(١) التغابن : (١٢) .

(٢) المائدة : (٩٢) .

(٣) البخاري مع الفتح (٨/٣) .

(٤) « صحيح مسلم » مع النووي والآية سورة الأحزاب : (٣٧) .

« أجمع المسلمون على أنه لا يجوز على الرسول ﷺ أن يخون في الوحي والتنزيل وأن يترك بعض ما يوحى إليه لأن تجويزه يؤدي إلى الشك في كل الشرائع والتكاليف وذلك يقدح في النبوة.

وأيضًا فالمقصود من الرسالة تبليغ تكاليف اللَّه تعالى وأحكامه فإذا لم تحصل هذه الفائدة فقد خرجت الرسالة عن أن تفيد فائدتها المطلوبة منها »[(١)].

وقال أبو محمد بن حزم رحمه اللَّه تعالى :

« واعلموا أن رسول اللَّه ﷺ لم يكتم من الشريعة كلمة فما فوقها ولا اطلع أخص الناس به من زوجة أو ابنة عم أو ابن عم أو صاحب على شيء من الشريعة كتمه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم ولا كان عنده عليه السلام سر ولا رمز ولا باطن غير ما دعا الناس كلهم إليه ولو كتمهم شيئًا لما بلغ كما أمر ومن قال هذا فهو كافر فإياكم وكل قول لم يبن سبيله ولا وضح دليله ولا تعوجوا عما مضى عليه نبيكم ﷺ وأصحابه رضي اللَّه عنهم »[(٢)] .

ومما سبق لنا من الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة يتبين لنا بأن الرسول ﷺ قد بلغ كل ما أوحي إليه ولم يدخر منه شيئًا كما يزعم كثير من المتصوفة ليبلغه لهم وإن من ادعى هذا الادعاء فقد كفر لمخالفته لصريح القرآن والسنة المطهرة وإجماع الأمة الإسلامية .

ثانيًا : لقد زعم التيجاني بأنه رأى النبي ﷺ يقظة لا منامًا وأخبره

---

(١) « التفسير الكبير » للفخر الرازي (١٧/ ١٩٣) .

(٢) « الفصل في الملل والأهواء والنحل » (٢/ ١١٦) .

بالفضل المزعوم لصلاة التيجاني والتي هي معروفة بصلاة الفاتح لما أغلق إلخ الصلاة .

وقد أنكر العلماء على الذين يدعون رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته وذلك لأن النبي ﷺ قد مات فادعاء حياته بعد موته ﷺ قبل يوم القيامة مستحيل شرعًا لما يلزم منه مخالفته لقوله تعالى : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ الآية[1] ولا يتناقض هذا مع ما ورد من أن الأنبياء أحياء في قبورهم وكذلك الشهداء ولا ما ورد عن النبي ﷺ من أنه ترد عليه روحه حتى يرد السلام على من سلم عليه فإن تلك حياة برزخية تختلف عن هذه الحياة ولذا يقتصر في شأنها على ما ورد في النصوص .

قال الإمام الطبري وهو يرد على القائلين بجواز رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته :

« وهذا القول يدرك فساده ببادئ العقول إذ يلزم عليه أن لا يراه أحد إلا على صورته التي مات عليها وأن لا يراه رائيان في آن واحد في مكانين .

وإن يحيا الآن ويخرج من قبره ويمشي في الأسواق ويخاطبوه ويلزم منه أن يخلو قبره الشريف من جسده الشريف فلا يبقى في قبره منه شيء فيزار مجرد القبر ويسلم على غائب لأنه جائز أن يرى في الليل والنهار مع اتصال الأوقات على حقيقته في غير قبره وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من العقل »[2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :

---

(١) الزمر : (٣٠) .

(٢) « شرح الزرقاني على المواهب اللدنية » (٥/٢٥٣) .

« والضلال من أهل القبلة يرون من يعظمونه إما النبي ﷺ وإما غيره من الأنبياء يقظة ويخاطبهم ويخاطبونه وقد يستفتونه ويسألونه عن أحاديث فيجيبهم ومنهم من يخيل إليه أن الحجرة قد انشقت وخرج منها النبي ﷺ وعانقه هو وصاحباه.. وهذا موجود عند خلق كثير كما هو موجود عند النصارى والمشركين لكن كثير من الناس يكذب بهذا وكثير منهم إذا صدق به يظن أنه من الآيات الإلهية وأن الذي رأى ذلك رآه لصلاحه ودينه ولم يعلم أنه من الشيطان وأنه بحسب قلة علم الرجل يضله الشيطان ومن كان أقل علمًا قال له : ما يعلم أنه مخالف للشريعة خلافًا للظاهر ومن عنده علم منها لا يقول له ما يعلم أنه مخالف للشريعة ولا مفيدًا فائدة في دينه بل يضله عن بعض ما كان يعرفه فإن هذا فعل الشياطين وهو وإن ظن أنه قد استفاد شيئًا فالذي خسره من دينه أكثر ولهذا لم يقل قط أحد من الصحابة أن الخضر أتاه موسى ولا عيسى ولا أنه سمع رد النبي ﷺ وابن عمر كان يسلم إذا قدم من سفر ولم يقل قط أنه يسمع الرد وكذلك التابعون وتابعوهم وإنما حدث هذا من بعض المتأخرين »[1] .

وقال الآلوسي في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ **وخاتم النبيين** ﴾ بعد أن ذكر ما حكى منها عمن يزعمون أنهم صالحون أقوال بعد هذا كله :

« إن ما نسب إلى بعض الكاملين من أرباب الأحوال من رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته وسؤاله والأخذ عنه لم نعلم وقوع مثله في الصدر الأول وقد وقع اختلاف بين الصحابة رضي اللّٰه عنه من حين توفي عليه الصلاة والسلام إلى ما شاء اللّٰه تعالى في مسائل دينية وأمور دنيوية وفيهم أبو بكر وعلي رضي اللّٰه تعالى عنهما ولم يبلغنا أن أحدًا منهم ادعى أنه رأى

---

(١) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (٢٧/ ٣٩٠ ـ ٣٩٢) .

رسول اللَّه ﷺ في اليقظة وأخذ عنه ما أخذ وكذلك لم يبلغنا أنه ﷺ ظهر لمتحير في أمر من أولئك الصحابة الكرام فأرشده وأزال حيرته وقد صح عن عمر رضي اللَّه عنه أنه قال في بعض الأمور : يا ليتني كنت سألت رسول اللَّه ﷺ عنه ولم يصح عندنا أنه توسل إلى السؤال عنه ﷺ ما يحكى عن بعض أرباب الأحوال وقد وقفت على اختلافهم في حكم الجد مع الأخوة فهل وقفت على أحد منهم ظهر له الرسول ﷺ فأرشده إلى ما هو الحق فيه ؟

وقد بلغك ما أصاب فاطمة البتول رضي اللَّه تعالى عنها من الحزن العظيم بعد وفاته ﷺ وما جرى في أمر فدك فهل بلغك أنه ﷺ ظهر لها كما ظهر للصوفية فبل لوعتها وهون حزنها وبين لها الحال وقد سمعت بذهاب عائشة رضي اللَّه تعالى عنها إلى البصرة وما كان من وقعة الجمل فهل سمعت تعرضه ﷺ لها قبل الذهاب وصده إياها عن ذلك لئلا يقع أو تقوم الحجة عليها على أكمل وجه إلى غير ذلك مما لا يكاد يحصى كثرة، والحاصل أنه لم يبلغنا ظهوره عليه الصلاة والسلام لأحد من أصحابه وأهل بيته وهم هم مع احتياجهم الشديد لذلك »[1] .

ففي كل هذه الحوادث لم يروا أن النبي ﷺ ظهر لأصحابه يقظة ليفصل بينهم مع أنهم أصحابه الكرام فكيف يظهر لمن هو دونهم منزلة وتقوى بل لمن هو شك في إسلامه وإيمانه باللَّه وبرسوله وذلك لإتيانه بما يخالف عقيدة الإسلام وافترائه على اللَّه وعلى رسوله الكذب.

والخلاصة أن النبي ﷺ لا يمكن أن يرى في اليقظة بعد موته وكل من

---

(١) « تفسير الألوسي » (٣٨/٢٢) .

ادعى رؤيته ﷺ يقظة فقد افترى على اللّٰه الكذب وليس له أي حجة يعتمد عليها .

قال القسطلاني في « المواهب اللدنية » :

« فالقول برؤيته ﷺ بعد موته بعين الرأس في اليقظة يدرك فساده بأوائل العقول لاستلزامه خروجه من قبره ومشيه في الأسواق ومخاطبته للناس ومخاطبة الناس له »[١] .

ثالثًا : لقد زعم التيجاني بأن النبي ﷺ أخبره بفضل صلاة الفاتح .

ولو عرضنا هذا الزعم الباطل على كتاب اللّٰه وسنة رسوله محمد ﷺ نراه أنه يتعارض تمامًا مع ما يجب على المسلم أن يعتقده وذلك لأن المعتقد الواجب تجاه التلقي عن الرسول ﷺ لا يكون إلا في حياته أما بعد موته فقد انقطع الاتصال بينه وبين أمته وقد بلغ الرسول رسالة ربه كلها ولم يترك منها شيئًا حتى يبلغه بعد وفاته لدجاجلة الصوفية الأفاكين الذين يكذبون على اللّٰه وعلى رسوله ولا شك أن ما يدعي الصوفية تلقيه عن الرسول ﷺ إنما هو من تخييل الشيطان وتوهيمه لهم .

وفي هذا المجال يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّٰه :

« والمقصود أن الصحابة رضوان اللّٰه عليهم لم يطمع الشيطان أن يضلهم كما أضل غيرهم من أهل البدع الذين تأولوا القرآن على غير تأويله أو جهلوا السنة أو رأوا أو سمعوا أمورًا من الخوارق فظنوها من جنس آيات الأنبياء والصالحين وكانت من أفعال الشياطين فأهل الهند يرون من يعظمونه من شيوخهم الكفار وغيرهم والنصارى يرون من يعظمونه من الأنبياء

(١) « المواهب اللدنية » مع شرح الزرقاني (٥/ ٢٩٩) .

والحواريين وغيرهم والضلال من أهل القبلة يرون من يعظمونه إما النبي ﷺ وإما غيره من الأنبياء يقظة ويخاطبهم ويخاطبونه وقد يستفتونه ويسألونه عن أحاديث فيجيبهم ومنهم من يخيل إليه أن الحجرة قد انشقت وخرج منها النبي ﷺ وعانقه هو وصاحبيه.. وهذا وأمثاله أعرف ممن وقع له عددًا كثيرًا وقد حدثني بما وقع له في ذلك وبما أخبره به غيره من الصادقين من يطول هذا الموضوع بذكرهم ولكن كثير من الناس يكذب بهذا وكثير منهم إذا صدق به ظن أنه من الآيات الإلهية وأن الذي رأى ذلك رآه لصلاحه ودينه ولم يعلم أنه من الشيطان وأنه بحسب قلة علم الرجل يضله الشيطان »[(١)] .

ثم إن إمكانية رؤية النبي ﷺ في المنام ثابتة شرعًا لأن الشيطان لا يتمثل به نهائيًا ولكن الواجب في كل ما نسمعه من النبي في الرؤية المنامية عرضه على الكتاب والسنة فإن رأيناه موافقًا لهما ولم يخرج حكمًا شرعيًا ولا قاعدة دينية نعلم أن الرؤيا حق وأن الكلام حق وتكون الرؤيا بشارة وتأنيسًا للرائي ولا يجوز إثبات حكم شرعي عن طريق الرؤيا المنامية .

قال الإمام النووي رحمه اللّه تعالى في حديث : « **من رآني في المنام فقد رآني** »[(٢)] :

قال : « فإن معنى الحديث أن رؤيته صحيحة وليست من أضغاث الأحلام وتلبيس الشيطان ولكن لا يجوز إثبات حكم شرعي به لأن حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي وقد اتفقوا على أن من شرط تقبل روايته وشهادته أن يكون متيقظًا لا مغفلاً وسيئ الحفظ ولا كثير الخطأ ولا مختل الضبط والنائم ليس بهذه الصفة فلم تقبل روايته لاختلال ضبطه

---

(١) « مجموع الفتاوى » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٧/ ٣٩٠ ـ ٣٩٢) .

(٢) «صحيح البخاري» مع الفتح (١٢/٣٨٣) وكذلك « صحيح مسلم » مع النووي (١٥/ ٢٤).

هذا كله في منام يتعلق بإثبات حكم على خلاف ما يحكم به الولاة أما إذا رأى النبي ﷺ يأمره بفعل ما هو مندوب إليه أو ينهاه عن منهي عنه أو يرشده إلى فعل مصلحة فلا خوف في استحباب العمل على وفقه لأن ذلك ليس حكمًا بمجرد المنام بل تقرر من أجل ذلك الشيء والله أعلم »[1] .

وإذا كان الأمر مخالفًا لما تلقاه الصحابة رضي اللّه عنهم عن النبي ﷺ فلا يغير بسبب ما رآه النائم ما تقرر في الشرع وقد حكى الإمام النووي الاتفاق على ذلك .

رابعًا : زعم التيجاني أن تلاوة صلاة الفاتح لما أغلق أفضل من ختم القرآن بكامله ست مرات .

قلت : وهذا كذب على اللّه سبحانه وتعالى وعلى رسوله محمد ﷺ والتيجاني نفسه يعرف أن هذا كذب محض ولكنه يدعي هذا الفضل المزعوم لإضلال العوام وصرفهم عن تلاوة كتاب اللّه عز وجل .

والكذب على اللّه وعلى رسوله يعتبر كفرًا وقد قال جمهور العلماء :

« من اعتقد حل الكذب على النبي ﷺ فقد كفر »[2] .

وقال النبي ﷺ : « **من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار** »[3] .

قال الشيخ محمد الخضر الشنقيطي :

« فحيث إن تعمد الكذب على النبي ﷺ قال بعض العلماء إنه كفر

---

(١) « شرح الإمام النووي على صحيح مسلم » (١/ ١١٥) .

(٢) « فتح الباري » (١/ ٢٠٢) .

(٣) « صحيح البخاري » مع « فتح الباري » (١/ ٢٠١) .

يكون تعمد الكذب على اللَّه كفرًا اتفاقًا »[1] .

ومما جاء في تغليظ الكذب على اللَّه :

١ ـ قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾[2] .

قال أبو حيان :

« بدأ أولاً بالعام وهو افتراء الكذب على اللَّه وهو أعم من أن يكون ذلك الافتراء بادعاء وحي أو غيره، ثم ثانيًا الخاص وهو افتراء منسوب إلى وحي من اللَّه تعالى . . ثم ثالثًا بأخص مما قبله لأن الوحي قد يكون بإنزال القرآن وبغيره »[3] .

٢ ـ ومنها قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾[4] .

قال أبو حيان :

« نص الشعبي وغيره أن المفترين هم المبتدعون وأن الذين لا يعقلون هم الأتباع »[5] .

وهذا كله ينطبق على التيجاني وأمثاله الذين يزعمون التلقي عن اللَّه وعن الرسول كما سبق لنا أن التيجاني زعم أن صلاة الفاتح لما أغلق أفضل

---

(١) « مشتهي الخارف الجاني في رد زلقات التيجاني » (ص٢٥٣) .

(٢) الأنعام : (٩٣) .

(٣) « النهر الماد من البحر بهامش البحر المحيط » لابن حيان (٤/ ١٨٠) .

(٤) المائدة (١٠٣) .

(٥) « البحر المحيط » لابن حيان (٤/ ٣٤) .

من القرآن ستة آلف مرة .

ومن زعم أن شيئًا من كلام البشر أفضل من القرآن فقد كفر بما أنزل على محمد وذلك لأن القرآن كلام اللَّه تعالى وفضل كلام اللَّه على سائر الكلام كفضل اللَّه على خلقه فتفضيل كلام بعض المخلوقين على كلام اللَّه كتفضيل بعض المخلوقين على اللَّه وفاعل ذلك لا يشك في كفره »[1] .

والأحاديث التي وردت في فضل القرآن الكريم كثيرة جدًا يصعب حصرها ولذا نريد أن نذكر نبذة منها فقط وذلك لكي نطلع على جزء بسيط منها حتى نعرف عظمة القرآن الكريم ومكانته العظيمة عند اللَّه سبحانه وتعالى وحتى نبين أيضًا بأن القرآن الكريم أفضل ذكر على الإطلاق بلا نزاع بين علماء الأمة الإسلامية إلا من أصيب بمرض الخرافات والبدع والدجل كالصوفية الذين أعرضوا عن تلاوة كتاب اللَّه تعالى وذكره بما ورد في السنة النبوية في الأحاديث الصحيحة وانشغلوا بتلاوة الأذكار التي ابتدعها لهم مشائخهم الدجاجلة.

* فمن الأحاديث التي تدل على فضل القرآن الكريم وفضل تلاوته ما رواه أبو أمامة رضي اللَّه عنه قال سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « **اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه** »[2] .

* ومنهـــا ما رواه النواس بن سمعـــان رضي اللَّه عنه قال سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « **يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما** »[3] .

---

(١) انظر « مشتهي الخارف الجاني في رد زلقات التيجاني » (ص٢٥٩) .

(٢) « صحيح مسلم » مع النووي (٦/ ٩٠) .

(٣) « صحيح مسلم » مع النووي (٦/ ٩٠) .

* ومنها ما رواه عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** »[1] .

* ومنها ما روته عائشة رضي اللَّه عنها قالت : قال رسول اللَّه ﷺ : « **الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران** »[2] .

* ومنها ما رواه أبو موسى الأشعري رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر** »[3] .

* ومنها ما رواه عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما قال سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « **لا حسد إلا على اثنين رجل آتاه اللَّه الكتاب وقام به آناء الليل ورجل أعطاه اللَّه مالاً فهو يتصدق به آناء الليل وآناء النهار** »[4] .

* ومنها ما رواه عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **من قرأ حرفًا من كتاب اللَّه فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول : الم حرف ولكن أقول ألف حرف ولام حرف وميم حرف** »[5] .

ومنها ما رواه عمرو بن العاص رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال :

---

(١) « صحيح البخاري » مع الفتح (٩/ ٧٤) .

(٢) « صحيح مسلم » مع النووي (٦/ ٨٤) .

(٣) « صحيح مسلم » مع النووي (٦/ ٦٤) .

(٤) « صحيح البخاري » مع الفتح (٩/ ٧٣) .

(٥) « سنن الترمذي » مع التحفة (٨/ ٢٢٦) .

«يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها »[1] .

إذا نظرنا في النصوص السابقة نرى أن القرآن الكريم أفضل من كل ذكر يذكر به اللَّه عز وجل على الإطلاق وأنه لا يجوز لأي إنسان يؤمن باللَّه واليوم الآخر أن يعتقد أن هناك ذكراً يذكر به اللَّه أفضل من القرآن الكريم كما قال بعض الصوفية بلسان المقال كالتيجاني بأن أذكارهم المبتدعة أفضل من القرآن الكريم وكما يقول كل المتصوفة بلسان الحال وبأفعالهم بأن الاشتغال بأذكارهم المبتدعة أفضل من تلاوة القرآن الكريم وذلك أن كل من يشاهد أحوال الصوفية في العالم الإسلامي على امتداده الواسع يرى الصوفية منهمكين في تلاوة الأذكار التي ابتدعها لهم مشائخهم والتي أكثرها لا يخلو من الشرك والإلحاد والكفر والعياذ باللَّه كما سبق لنا في النماذج التي أوردناها عنهم .

والحقيقه أن المتصوفة في العالم الإسلامي شغلوا الناس بتلاوة أذكارهم المبتدعة مما تسبب عنه إعراض الناس عن تلاوة كتاب اللَّه عز وجل وتدبر معانيه .

يقول الشيخ محمد عبد السلام خضر الشقيري وهو يتحدث عن الأسباب التي أدت إلى إعراض الناس عن تلاوة كتاب اللَّه في العالم الإسلامي :

« الطائفة الرابعة : المتصوفة والسبب في إعراض هؤلاء الناس عن القرآن إنما هو اشتغالهم بأحزاب مشائخهم وأورادهم وبالبيارق والبازات

---

(١) « سنن الترمذي » مع التحفة (٨/ ٢٣٢) .

والليالي والختمات والموالد والحضرات والمنامات والتخمير بسانوريا مانوريا سبا بينزا والواجب على العلماء أن يحاربوا هؤلاء الأقوام »[1] .

ويقول الشيخ الشقيري أيضًا وهو يحذر الناس عن الاشتغال بهذه الأوراد والأذكار الصوفية المبتدعة :

« أيها المسلم المتبع لأعظم رسول لا تعرض عن قراءة كتاب ربك إلى قراءة أوراد المشائخ وأحزابهم فإن الأجر كله والثواب كله والفضل العظيم كله والنصح والإرشاد والوعظ والهدى والنور كله والصراط المستقيم إنما هو في تلاوة كتاب اللّه تعالى .

فيا متبع الرسول الأعظم إياك ثم إياك وما ابتدع فإنه ضلالة واعلم أنه لا يجوز لك أن تقرأ دعاء البسملة ولا ورد الجلالة ودعاءها للجيلاني لأنه يصدك عن القرآن ولا يجوز لك أن تقرأ مسبعات ولا منظومة الدردير ولا ورد السحر الميمية والمنبهمة للبكري بل اقرأ بدل هذا أحزابًا من القرآن تنفعك قراءتها يوم لقاء ربك ولا سيما قراءة التدبر والتفقه .

أيها العاقل هل حزب البر والبحر والنصر وحزب الرفاعي الكبير والصغير وحزب الدسوقي الكبير والصغير أيضًا وحزب النووي والبيومي وحزب الوقاية المسمى بالدور الأعلى بل وجميع ما في مجموع الأوراد خير؟! أم حزب واحد أو سورة واحدة من القرآن العظيم؟! لا بل آية واحدة بل حرف واحد من كتاب اللّه لا شك أنك تعترف أنه أعظم وأجل ألف ألف مرة بل لا مناسبة بالكلية وأنت تشهد وتقر معي بذلك ولا أظنك تنكره ، أن جميع ما في مجموع الأذكار الطيبة للطرق السبعة وجميع ما في كتاب

---

(١) « السنن والمبتدعات » للشقيري (ص٢٢٤) .

مجموع أوراد الخلوتية والميرغنية وأوراد الخليلية وحرز الجوشني وحرز الغاسلة والجلجوتية والبرهيتية لا شك أنه من عند غير اللَّه ولا شك أنه شرع لم يشرعه اللَّه ولا رسوله فصار بدعة وكل بدعة ضلالة. . . يا قوم حذار حذار من الإعراض عن كتاب اللَّه فإن اللَّه يقول : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾[1] .

ويقول : ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[2] .

ويقول لنبيه : ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾[3] .

ويقول : ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾[4] .

يا قوم إني أقول والحق أقول إنه لا يرغب عن كتاب ربه إلى مخترعات الشيوخ إلا من سفه نفسه وضل سعيه وزين له الشيطان عمله فصده عن السبيل فحزبوا القرآن وقسموه على أيامكم ولياليكم وحلوا وارتحلوا فيه من أوله إلى آخره واجعلوا المصحف في جيوبكم دائمًا وأبدًا بدل المجموع ولكن أكبر ما تمعنون النظر بعد القرآن أحاديث الرسول ﷺ والتعبد بالأدعية والأذكار المروية عنه في كتب السنة الصحيحة وهذا فيه الغنية التامة والكفاية العظمى عن جميع ما تقرءونه من الأوراد والأحزاب والدلائل والتوسلات التي لم يتعبد بحرف واحد منها أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أئمة الدين

---

(١) طه : (١٢٤) .

(٢) الزخرف : (٣٦) .

(٣) طه : (٩٩ ـ ١٠١) .

(٤) الجن : (١٧) .

أسأل اللّه لي ولكم الهداية والاعتصام بكتابه وسنة نبيه آمين»[1] .

ويقول الشيخ محمد خضر الشنقيطي وهو يرد على قول التيجاني بأن صلاة الفاتح تفضل تلاوتها على القرآن الكريم بستة آلاف مرة :

« بل لو قال قائل القرآن أفضل من هذه الصلاة المخترعة التي لم ترو عن النبي ﷺ كان ذلك تنقيصًا له كما قال الشاعر :

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل أن السيف خير من العصا

وأما كلام هذا الرجل فهو من باب التهكم لا من باب التفضيل الحقيقي الذي المشاركة فيه في أصل الفضل شرط وإيضاح ذلك هو أنه لو صح ما قاله هذا الرجل من الافتراء من أن صلاة الفاتح تعدل ستة آلاف مرة من القرآن فأي فضل للقرآن معها وأي فائدة فيه مع وجودها فكيف يشتغل عاقل به ويختمه في ليال عديدة وهو يجد هذه الكلمات التي يمكنه قولها في طرفة عين ويحصل له من الأجر ما يعدل ستة آلاف مما لم يحصله إلا في ليال عديدة فاشتغال العاقل حينئذ عبث لوجود ما هو أيسر وأفضل بشيء لا ينتهي فعلى كلامه لم يبق للقرآن فضل مع صلاة الفاتح ألبتة فآل كلامه إلى التهكم لأن مدار التهكم على عدم المشاركة في أصل الفضل وعلى كلامه لم يبق للقرآن بالنسبة لها فضل تحصل فيه المشاركة أعاذنا اللّه تعالى من الخذلان والطغيان والغلو في الدين بما لم يرد به دليل ولا برهان وما حمل عليه إلا حب الرياسة وكثرة الأتباع لجمع حطام الدنيا أعاذنا اللّه تعالى من الخسران»[2] .

---

(١) « السنن والمبتدعات » للشقيري (٢١٠ ـ ٢١٢) .

(٢) « مشتهي الخارف الجاني في رد زلقات التيجاني » (ص٢٦١) .

المطلب الثاني

موقف الإسلام من الأوراد والأذكار والأدعية التي ابتدعها الصوفية

إذا نظرنا في الأذكار والأوراد والأدعية والصلوات التي ألزم بها دجاجلة الصوفية مريديهم تلاوتها ليلاً ونهاراً وسرا وجهاراً نجدها كلها مبتدعة وليس فيها أي ذكر مشروع لا من كتاب اللَّه ولا من سنة رسول اللَّه ﷺ وبالإضافة إلى بدعية هذه الأذكار فإنها تشتمل على كل أنواع الضلال والباطل من الكفر والشرك والإلحاد كما بيناه ومن هنا نقول أن موقف الإسلام من هذه الأذكار والأوراد والأدعية والأحزاب التي ابتدعها المتصوفة هو الرفض القاطع بلا مداهنة ولا مجاملة وذلك لأن المتصوفة ابتدعوا هذه الأدعية والأوراد وجعلوا لها أوقاتًا مخصوصة تتلى فيها وأعداداً محدودة وشروطًا معلومة واتخذوا هذه الأذكار شعاراً خاصًا بهم دون سائر المسلمين الذين لم ينخرطوا تحت طرقهم الضالة ويعتقد كثير منهم أن هذه الأذكار واجبة أو مندوبة ويرتبون على ذلك ما لا يحصى من الثواب كما بيناه فيما سبق ويوعدون كل من ترك هذه الأذكار بالعقوبة ويستغنون بها عن الأوراد الشرعية الثابتة بالكتاب والسنة وهذا يعتبر تشريعًا لم يأذن به اللَّه فهو بمثابة جعل الحلال حرامًا والحرام حلالاً لقول النبي ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**» وهذه الأذكار المبتدعة ليست من أمر النبي ﷺ فهي مردودة على أصحابها ولا يمكن أن يجني المتصوفة بتلاوة هذه الأذكار على ثواب وأجر عند اللَّه سبحانه وتعالى إن لم يحصلوا على الوزر الكبير وذلك لأن الأذكار عبادة وهم يعبدون اللَّه بما لم يشرعه ومن شرط العبادة أن تكون مشروعة وقد نهى النبي ﷺ في أحاديث

كثيرة عن الابتداع في الدين أيًا كانت هذه البدعة صغيرة أو كبيرة وتوعد عليها بالعقاب ووصف كل البدع بأنها ضلالة بلا استثناء وأخبر بأن أي أحد يعمل عملاً لم يشرعه اللَّه بقصد التقرب به إلى اللَّه بأنه مردود على صاحبه..

* ومن الأحاديث التي نهى فيها الرسول عن البدع وحذر منها أشد التحذير قوله ﷺ : « **من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد** »[1] .

وهذه الأذكار الصوفية ليست من الإسلام فهي مردودة على أصحابها.

وعن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال : كان رسول اللَّه ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول : « **بعثت أنا والساعة كهاتين** » ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى ويقول : « **أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب اللَّه وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة** »[2] .

وعن العرباض بن سارية رضي اللَّه عنه قال : وعظنا رسول اللَّه ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول اللَّه كأنها موعظة مودع فأوصنا قال : « **أوصيكم بتقوى اللَّه والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة** »[3] .

من خلال الأحاديث المتقدمة نخرج بخلاصة ألا وهي أن كل محدثة

---

(١) البخاري مع الفتح (٥/ ٣٠١) .

(٢) « صحيح مسلم » مع النووي (٦/ ١٥٣) .

(٣) « سنن أبي داود مع بذل المجهود » (١٨/ ١٤٧) .

في الدين صغرت أو كبرت تعتبر ابتداعًا وضلالاً وأن المبتدع الذي يتعبد اللَّه ببدعة عبادته مردودة عليه لأن من شرط العبادة أن تكون مشروعة وعلى هذا فالأذكار التي يدندن بها المتصوفة مردودة عليهم لأنها غير مشروعة ولذا فانشغالهم بها لا يزيدهم إلا ضلالاً وبعدًا عن اللَّه سبحانه وتعالى كما هو حال الصوفية الذي نشاهده في العالم الإسلامي فهم أبعد الناس عن هدى كتاب اللَّه وسنة رسوله محمد ﷺ مما سبب لهم هذا الغرق في البدع بأنواعها المختلفة في العبادة والعقيدة والسلوك .

ولقد كان الصحابة رضوان اللَّه عليهم أشد الناس حرصًا على العمل بالكتاب والسنة وأشدهم عداوة وبغضًا للبدع وأهلها .

فقد قال الصديق رضي اللَّه عنه :

« أشهد أن الكتاب كما نزل وإن الدين كما شرع وأن الحديث كما حدث وإن القول كما قال وأن اللَّه هو الحق المبين »[1] .

وقال أيضًا في خطبة له بعد توليه الخلافة رضي اللَّه عنه :

« أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن رأيتموني على حق فأعينوني وإن رأيتموني على باطل فسددوني أطيعوني ما أطعت اللَّه فيكم فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه ».

وقال في خطبة أخرى :

« إنما أنا مثلكم وإني لا أدري لعلكم تكلفوني ما كان رسول اللَّه ﷺ

---

(١) « السنن والمبتدعات » للشقيري (ص٤) .

يطيقه إن اللّه اصطفى محمداً على العالمين وعصمه من الآفات وإنما أنا متبع ولست بمبتدع فإن استقمت فتابعوني وإن زغت فقوموني »[(١)] .

وقال الإمام أبو حنيفة رحمه اللّه :

« عليكم بالأثر وطريقة السلف وإياك وكل محدثة فإنها بدعة » .

وقال ابن الماجشون سمعت مالكًا يقول :

« من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة لأن اللّه يقول : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فما لم يكن يومئذ دينًا لا يكون اليوم دينًا ».

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه اللّه :

« أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول اللّه والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة »[(٢)] .

إذا نظرنا في النصوص السابقة من الكتاب والسنة والآثار التي أوردناها عن الصحابة والتابعين نخرج منها بخلاصة واحدة ألا وهي أن كل بدعة في الدين صغيرة أو كبيرة في الأصول أو الفروع في العقائد أو العبادات أو المعاملات فعلية أو قولية أو تركية فهي ضلالة صاحبها مؤاخذ معاقب عليها في النار وبدعته مردودة عليه غير مقبولة منه ذلك لقوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾[(٣)] .

---

(١) « السنن والمبتدعات » للشقيري (ص٥) .

(٢) « السنن والمبتدعات » للشقيري (ص٦) .

(٣) المائدة : (٣) .

ومن هنا نقول للصوفية وغيرهم من الفرق المبتدعة : إن هذا الدين دين كامل شامل وليس بحاجة إلى ترقيع بالبدع والخرافات التي ما أنزل اللَّه بها من سلطان سواء كانت هذه البدع في العقائد أو العبادات أو غيرهما من شئون الحياة.

يقول الشيخ الشقيري محذراً من البدع :

« فحذار حذار أن تتبعوا قول من يقولون باستحسان البدع في الدين أو تقسيمها فإنما مثلهم في فهم كلام اللَّه ورسوله : ﴿ **كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ**﴾[(١)] لا تتبعوهم فتكونوا كالذين سفه اللَّه أحلامهم فقال تعالى فيهم : ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ**﴾[(٢)] أي علماءهم وعبادهم أربابًا من دون اللَّه .

وقد فسرها النبي ﷺ بقوله : « **ما صلوا لهم صلاة ولا صاموا لهم يومًا ولكن أطاعوهم في كل ما قالوه ، فتلك كانت ربوبيتهم إياهم** »[(٣)] .

ويقول الشيخ الإمام أبو بكر بن العربي في معرض رده على الذين يخترعون أدعية من عند أنفسهم ويأمرون الناس أن يدعوا بها اللَّه عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[(٤)] .

قال رحمه اللَّه : « ويقال ألحد ولحد إذا مال والإلحاد يكون بوجهين

---

(١) الجمعة : (٥) .

(٢) التوبة : (٣١) .

(٣) « السنن والمبتدعات » للشقيري (ص٦) .

(٤) الأعراف : (١٨٠) .

بالزيادة فيها والنقصان منها كما يفعله الجهال الذين يخترعون أدعية يسمون فيها الباري بغير أسمائه ويذكرونه بما لم يذكره من أفعاله إلى غير ذلك مما لا يليق به فحذار منها ولا يدعون أحد منكم إلا بما في الكتب الخمسة وهي كتاب البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود والنسائي فهذه الكتب هي بدء الإسلام وقد دخل فيها ما في « الموطأ » الذي هو أصل التصانيف وذروا سواها ولا يقولن أحد أختار دعاء كذا فإن اللَّه قد اختار له وأرسل بذلك الخلق رسوله »(١) .

ويقول الإمام القرطبي عند تفسير قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(٢) .

قال : « فعلى الإنسان أن يستعمل ما في كتاب اللَّه وصحيح السنة من الدعاء ويدع ما سواه ولا يقولن اختار كذا فإن اللَّه تعالى قد اختار لنبيه وأوليائه وعلمهم كيف يدعون »(٣) .

ويقول القرطبي أيضًا عند تفسير قوله تعالى : ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(٤) .

بعد أن ذكر وجوهًا من الاعتداء في الدعاء قال :

« ومنها أن يدعو اللَّه بما ليس في الكتاب العزيز ولا في السنة فيتخير ألفاظًا مفقرة وكلمات مسجعة قد وجدها في كراريس لهؤلاء (يعني

---

(١) « أحكام القرآن » لابن العربي (٢/ ٨١٦) .

(٢) آل عمران : (١٤٧) .

(٣) « تفسير القرطبي » (٤/ ٢٣١) .

(٤) الأعراف : (٥٥) .

المشايخ) لا أصل لها ولا معول عليها فيجعلها شعاره ويترك ما دعا به رسوله ﷺ وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء »[1] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية منكراً على الذين يبتدعون أشياء من عند أنفسهم ويعتقدون أنها تقربهم إلى اللَّه زلفى :

« وما علم باتفاق الأمة أنه ليس بواجب ولا مستحب ولا قربة لم يجز أن يعتقد أو يقال إنه قربة أو طاعة فكذلك هم متفقون على أنه لا يجوز قصد التقرب به إلى اللَّه ولا التعبد به ولا اتخاذه دينًا فلا يجوز جعله من الدين لا باعتقاد وقول ولا بإرادة وعمل وبإهمال هذا الأصل غلط خلق كثير من العلماء والعباد يرون الشيء إذا لم يكن محرمًا لا ينهى عنه بل يقال إنه جائز ولا يفرق بين اتخاذه دينًا وطاعة وبين استعماله كما تستعمل المباحات المحضة ومعلوم أن اتخاذه دينًا بالاعتقاد أو بالقول أو بالعمل من أعظم المحرمات وأكبر السيئات وهذا من البدع المنكرات التي هي أعظم المعاصي التي يعلم أنها معاصٍ وسيئات »[2] .

والخلاصة أن المتصوفة ابتدعوا أذكاراً وأدعية وصلوات على الرسول ﷺ من عند أنفسهم وادعوا أن لها الفضل العظيم وحثوا الناس على تلاوتها صباحًا ومساءًا وليلاً ونهاراً ولم يقفوا عند الابتداع لهذه الأذكار والأدعية والصلوات فقط بل ادعوا أنهم يتلقون هذه الأدعية والأذكار والصلوات من الرسول ﷺ ولم يقفوا عند هذا الحد بل ادعى بعضهم أنه نزل عليه ورده من اللَّه مكتوبًا في صحيفة من نور وأنه رأى الرسول يقظة لا منامًا وأخبره بفضل الذي ادعى بأن المرة الواحدة منه تفضل ختم القرآن ست مرات .

---

(١) « تفسير القرطبي » (٧/ ٢٢٦) .

(٢) « مجموعة الرسائل والمسائل » لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١٣٨) .

وقد بينت بأن هذه الادعاءات كلها باطلة وأن هذه الأذكار والأدعية والصلوات مبتدعة فقط لا غير وأكدت بأن التلقي عن الرسول قد انقطع بموته فلا يمكن للرسول أن يأمر بأمر يخالف الشريعة الإسلامية وبينا أيضًا بأن هذه الأذكار والأدعية والصلوات مع بدعيتها تشتمل على الشرك والإلحاد والكفر.

ولذا نقول إن موقف الإسلام من هذه الأذكار والأدعية والصلوات التي ابتدعها المتصوفة هو الرفض القاطع وذلك لأنها ليست مما شرعه اللَّه والصوفية يعتبرونها عبادات فيفعلونها والشرط في العبادات التوقف فيما ورد به النص فقط ولا يمكن لإنسان مهما كانت مكانته أن يجتهد لاختراع عبادات جديدة لم يأمر بها اللَّه في كتابه ولا رسوله في سنته بل المطلوب هو التوقف فيما ورد به النص وأن من حاول أن يأتي بعبادات جديدة لم يأمر بها الإسلام فقد زعم لنفسه بأنه المشرع لعباد اللَّه وهذا غاية الانحراف حيث إن من يزعم هذا فكأنه ادعى بأنه شريك للَّه سبحانه وتعالى .

والحقيقة نحن لسنا بحاجة إلى ابتداع أذكار وأدعية وصلوات على الرسول ﷺ وذلك لأنه يوجد في كتاب اللَّه وسنة رسوله محمد ﷺ الشيء الكثير من ذلك بحيث يعجز أحدنا أن يحفظه فلماذا ابتدع المتصوفة هذه البدع التي شغلوا بها الناس؟! ولا نجد جوابًا لهذا السؤال سوى جواب واحد ألا وهو أن نقول أن الذي دفع المتصوفة إلى ذلك هو نيتهم السيئة للإسلام والمسلمين حيث اخترعوا هذه الأذكار والأدعية والصلوات لأجل شغل الناس عن تلاوة كتاب اللَّه وعن ذكره بما ورد في سنة رسوله محمد ﷺ وقد تحقق لهم ما أرادوا حيث إننا نشاهد كثيرًا من أفراد الأمة الإسلامية في العالم الإسلامي على امتداده الواسع منهمكون في تلاوة هذه الأذكار والأدعية والصلوات التي ابتدعها لهم المتصوفة من عند أنفسهم معرضين عن تلاوة

كتاب اللّه عز وجل وعن ذكر اللّه بما ورد من الأذكار المشروعة الكثيرة في سنة رسوله محمد ﷺ التي تطهر القلوب وتنورها ويزداد الإنسان إيمانًا كلما تلاها ولذا نقول إن هذه الأذكار والأدعية والصلوات الصوفية كان لها ولا زال إلى الآن الأثر الكبير في التسبب لإعراض الناس عن تلاوة كتاب اللّه وذكر اللّه بما شرعه .

وأنا أدعو الصوفية إذا كانوا يريدون ذكر اللّه عز وجل والصلاة على رسوله محمد ﷺ أن يرجعوا إلى كتاب اللّه عز وجل فيتلونه ليلاً ونهاراً فهو أفضل ذكر على الإطلاق وأن يرجعوا إلى سنة رسوله محمد ﷺ ففيها الكثير من الأذكار والأدعية والصلوات المشروعة فقد عقد أهل السنن رواة الحديث أبوابًا خاصة بالأذكار والأدعية في كتبهم وكذلك هناك كتب ألفت خاصة بالأذكار والأدعية والصلوات على الرسول ﷺ مثل « عمل اليوم والليلة» للنسائي و« عمل اليوم والليلة » لابن السني و« الأذكار » للنووي و« الكلم الطيب » لشيخ الإسلام ابن تيمية و« صحيح الكلم الطيب » للشيخ ناصر الدين الألباني وغير ذلك من كتب الأذكار الصحيحة التي يصعب حصرها هنا فإن ذكر اللّه بما ورد في الكتاب والسنة هو العمل المقرب إليه سبحانه وتعالى .

ولولا خشية الإطالة لذكرت الكثير من الأدعية والصلوات والأذكار المشروعة وبما أني أرشدت القارئ إلى أماكنها عليه أن يرجع إلى تلك الكتب المذكورة فإنه سيجد فيها ما يشفي ويكفي من الأذكار التي تنور القلب وتطهره .



الفصل الثاني

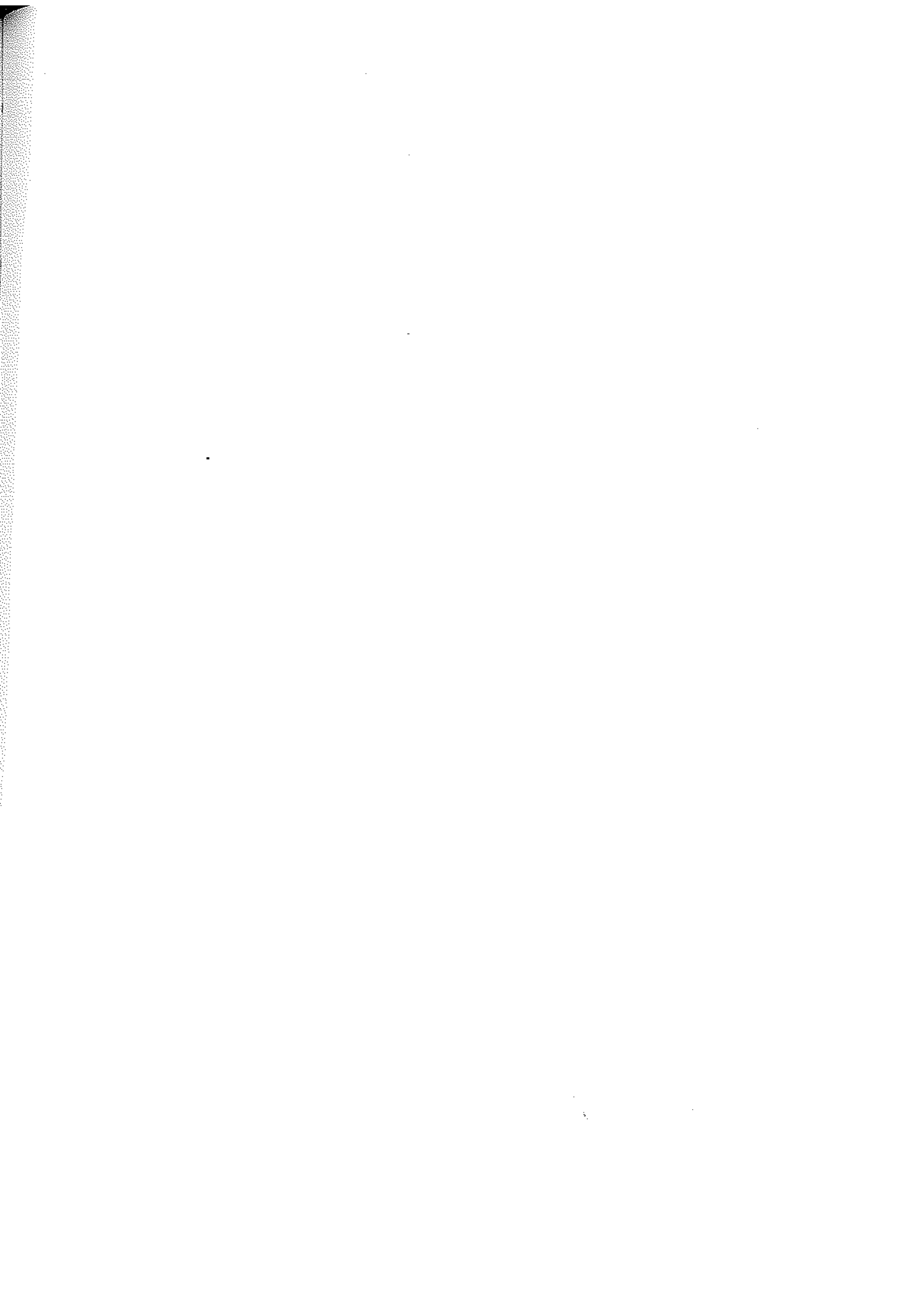
أساليب مقاومة الزحف الصوفي

وتحته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نشر العقيدة الصحيحة المأخوذة من الكتاب والسنة.

المبحث الثاني : القضاء على المظاهر التي تكون سببًا في انتشار الشرك كالقباب والمساجد المبنية على القبور والأشجار والأحجار التي تعبد من دون اللّٰه .

المبحث الثالث : منع كتب الصوفية لئلا يتداولها الناس ومنع دعاة التصوف ودراسة كتبهم من قبل شخصيات لها حصانة عقدية لكشف زيفها.



التمهيد

لقد تبين لنا من خلال الدراسة السابقــة لمظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية بأن المتصوفة بالفعل وقعوا في عقائد فاســدة تختلف مع العقيدة الإسلامية اختلافًا بينًا واضحًا في الإلهيات والنبــوات وفي باب الولاية وفي أبواب الزهد والقضاء والقدر والتوكل والجهــاد وفي الجنة والنار.

وقد تبين لنا أيضًا الآثار السيئة التي أصابت الأمة الإسلامية نتيجة الانحرافات العقدية التي جلبها المتصوفة من الوثنيات القديمة والنصرانية واليهودية المحرفة ومن القباب والمساجد المبنية على القبور والتوجه إلى أصحابها بالدعاء والاستغاثة وإدخال نظريات إلحادية كالقول بوحدة الوجود والحلول والاتحاد وكذلك نشر بدعة الموالد في العالم الإسلامي وما يفعل فيها من المفاسد الخطيرة بأنواعها وأشكالها وكذلك تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

والآن في هذا الفصل أريد أن أقترح بعض الأمور التي أراها تكون سببًا في الحد من انتشار هذا الفكر الصوفي المنحرف وهذه الاقتراحات تتلخص في الأشياء التالية :

١ ـ تثبيت العقيدة الصحيحة في قلوب المسلمين وإعداد رجال يقومون بتدريسها .

٢ ـ القضاء على المظاهر التي تكون سببًا لانتشار دعاء غير اللّٰه .

٣ ـ منع كتب الصوفية لئلا تكون متداولة بين الناس وكذلك منع دعاة التصوف من ممارسة نشاطهم حتى لا ينشروا هذه العقائد الفاسدة في أوساط المسلمين وذلك لأن الوقاية خير من العلاج كما يقولون .

* * *

المبحث الأول

نشر العقيدة الصحيحة المأخوذة من الكتاب والسنة

إن نشر العقيدة الصحيحة المأخوذة من الكتاب والسنة في المجتمع المسلم يعتبر أمرًا أساسيًا لحماية المسلمين من هذه الأفكار والعقائد الهدامة التي نشرها المتصوفة في الأمة الإسلامية وذلك لأن القلب الذي غرست فيه العقيدة الإسلامية الصحيحة التي كان عليها الرسول ﷺ وصحابته والسلف من هذه الأمة ومن سار على نهجهم إلى يومنا هذا وإلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها يكتسب مناعة ضد العقائد الفاسدة والأفكار الهدامة فلا يقبلها بل يرفضها وينبذها .

ولولا خلاء كثير من أفراد الأمة الإسلامية من العقيدة الصحيحة لما انتشرت هذه العقائد الباطلة في الأمة الإسلامية بهذه الصورة الفظيعة بل لوجدت الطريق أمامها مسدودًا ورجعت على عقبيها القهقرى ولكن مع الأسف الشديد وجدت العالم الإسلامي يعيش في جهل دامس مظلم فانتشرت فيه هذا الانتشار الذي نراه اليوم حيث أصبحت العقائد الفاسدة هي المعلومة والمألوفة لدى الناس والعقيدة الصحيحة التي جاءت في الكتاب والسنة أصبحت مجهولة حتى أصبح الناس يستغربون من العقيدة الصحيحة إذا ذكرت لهم بينما يتقبلون العقائد الفاسدة بكل راحة وانبساط وذلك لأنهم ألفوا هذه العقائد التي شاب عليها الكبير وكبر عليها الصغير فأصبحت شيئًا معتادًا طبيعيًا عندهم وهكذا أصبح المعروف منكرًا والمنكر معروفًا.

والذي أراه من أهم الأشياء الذي يمكن من القضاء على هذه العقائد الفاسدة هو نشر العقيدة الصحيحة حتى تتمكن هذه العقيدة من قلوب المسلمين وذلك لأنه لا يمكن أن تمسح هذه العقائد الفاسدة من القلوب إلا إذا كان البديل متوفراً والحمد للّه البديل متوفر وهو العقيدة الصحيحة الصافية التي تتلاشى أمامها جميع العقائد الباطلة وتزول نهائيًا كما زالت من قبل حيث بعث الرسول ﷺ إلى هذه الأمة وهي تعيش في الشرك والوثنية ومع ذلك فقد استطاعت العقيدة الإسلامية القضاء على تلك العقائد الشركية التي كانت منتشرة آن ذاك في الجزيرة العربية وغيرها من البلاد التي انتشر فيها الإسلام حيث حلت العقيدة الإسلامية الصحيحة مكان تلك العقائد الباطلة من شركية ووثنية وإلحادية وغيرها فكذلك الآن العلاج الوحيد للقضاء على هذه العقائد الشركية المنتشرة في العالم الإسلامي هو القيام بنشر العقيدة الإسلامية الصحيحة الصافية ويتم هذا باتخاذ الخطوات التالية :

١ ـ ببيان التوحيد بأنواعه الثلاثة الألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

ففي توحيد الألوهية ينبغي أن نوضح للناس بأن توحيد الألوهية معناه هو إفراد اللّه بالعبادة ولهذا لا يجوز صرف عبادة من العبادات لغير اللّه سبحانه وتعالى فلا يدعي غيره ولا يستغاث بغيره ولا يذبح لغيره ولا يتوكل على غيره وغير ذلك من العبادات التي يجب أن يفرد اللّه بها مع التأكيد على أن غير اللّه لا يستحق شيئًا من العبادات مهما علت درجته لا نبي ولا ولي لا إنسي ولا جني ولا ملائكة لأن الكل عبيد للّه سبحانه .

وفي توحيد الربوبية يجب التركيز على توضيح بأن اللّه سبحانه وتعالى هو الخالق الرازق المحيي المميت النافع الضار ولذا لا يجوز طلب منفعة أو

دفع مضرة من غير اللَّه سبحانه لأنه هو المغيث لمن يستغيث به سبحانه .

وفي توحيد الأسماء والصفات يجب التوضيح بأن اللَّه سبحانه وتعالى موصوف بصفات الكمال والجلال وأنه يجب على كل مسلم أن يصف اللَّه بالصفات الواردة في الكتاب والسنة من غير تأويل ولا تحريف ولا تعطيل ولا تبديل.

٢ ـ ببيان الأركان التي يقوم عليها الإيمان وهي الأركان الستة وتوضيح معانيها توضيحًا صحيحًا.

٣ ـ ببيان الأركان التي يقوم عليها الإسلام وهي الأركان الواردة في الحديث المعلومة .

٤ ـ ببيان المعتقد الصحيح الذي يجب أن يعتقده المؤمن نحو عقيدة القضاء والقدر لأن هذه العقيدة انحرفت فيها فرق كثيرة من المبتدعة .

٥ ـ بوضع منهج دراسي صحيح موافق للكتاب والسنة واختيار معلمين يمتازون بالعقيدة الصحيحة المأخوذة من الكتاب والسنة وإبعاد المدرسين المنحرفين عن المدارس والمعاهد والجامعات حتى لا ينشروا العقائد المنحرفة الفاسدة .

٦ ـ بتسخير أجهزة الإعلام من صحافة ومجلات وجرائد وإذاعة وتلفزيون لنشر مبادئ الإسلام وتوضيح العقيدة الصحيحة للناس حتى يصبح الناس على بينة من عقيدتهم .

٧ ـ ببيان المعتقد الصحيح الذي يجب أن يعتقده المؤمن نحو عقيدة التوكل على اللَّه لأن هذه العقيدة انحرف فيها فرق المبتدعة.

* * *

المبحث الثاني

القضاء على المظاهر التي تكون سببًا في انتشار الشرك كالقباب والمساجد المبنية على القبور والأشجار والأحجار التي تعبد من دون اللَّه

لقد بين لنا فيما سبق في الآثار السيئة التي نشرها المتصوفة في العالم الإسلامي بأن الغلو في الصالحين وبناء القباب والمساجد على قبورهم كان من أهم الأسباب التي ساعدت على انتشار دعاء غير اللَّه عز وجل وما دام الأمر كذلك فلا يمكن أن يقف هذا الزحف الصوفي إلا إذا أزيلت هذه القباب والمساجد المبنية على القبور والتي أصبح الناس يتوجهون إليها من دون اللَّه سبحانه وتعالى .

وليس هذا بشيء غريب فإن الرسول ﷺ قد أمر بهدم مسجد الضرار الذي بناه المنافقون من أجل التفريق بين المسلمين والإضرار بهم وكذلك كثير من الصحابة كانوا يحرصون على القضاء على كل شيء يخافون منه الفتنة في الدين وكذلك كثير من العلماء الكبار أمر بهدم أشياء كانت سببًا لفتنة الناس في عقائدهم بل منهم من هدمها بنفسه وهدم مسجد الضرار دليل قوي واضح على وجوب هدم ما هو أعظم منه فسادًا مثل هذه المساجد المبنية على القبور والتي نراها منتشرة في عالمنا الإسلامي من شماله إلى جنوبه ومن شرقه إلى غربه ووسطه إلى ما شاء اللَّه من البلاد التي أنعم اللَّه

عليها بدعوة التوحيد السلفية وذلك لأن حكم الإسلام في هذه المساجد والقباب المبنية على القبور هو أن تهدم كلها حتى تسوى بالأرض لأنها هي أولى بالهدم من مسجد الضرار الذي أمر الرسول بهدمه فهدم وكذلك القباب المبنية على القبور يجب هدمها لأنها أسست على معصية اللَّه ورسوله وذلك كما علمنا سابقًا فإن الرسول ﷺ قد نهى نهيًا قاطعًا عن البناء على القبور وأمر بتسوية ما بني منها عليه وذلك حتى يقضي على كل المظاهر التي تكون سببًا في وقوع الأمة في الإشراك باللَّه تعالى .

فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي رضي اللَّه عنه قال : قال علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه : « ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول اللَّه ﷺ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته»[1] .

فهذا الحديث دليل قاطع على وجوب إزالة كل الأشكال التي تكون سببًا للوقوع في عبادة غير اللَّه تعالى من التماثيل والمباني التي تشيد على القبور .

وأخرج الإمام مسلم أيضًا في صحيحه عن ثمامة بن شفي قال : كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم بروس فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوي ثم قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يأمر بتسويتها [2] .

وهذا الحديث دليل قاطع على وجوب تسوية القبور والتحذير من رفعها فما بالك بالبناء عليها المساجد والقباب طبعًا هذا من باب أولى ممنوع شرعًا

---

(١) « صحيح مسلم » مع النووي (٧/ ٣٦) .

(٢) « صحيح مسلم » مع النووي (٧/ ٣٥).

وإذا كان كذلك فينبغي هدم ما بني عليه منها وذلك إزالة للفتنة .

ومن الأدلة على وجوب هدم كل شيء يخشى منه الفتنة هدم الرسول ﷺ لمسجد الضرار والذي قال الله فيه في كتابه : ﴿ **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** ﴾[1] .

قال الشيخ الجزائري :

« مسجد الضرار عبارة عن وكر مؤمرات أقيم لمناوءة رسول الله ﷺ والمسلمين في المدينة بناه اثنا عشر رجلاً من كبار المنافقين ولما فرغوا منه أتوا النبي ﷺ وهو يتجهز لغزوة تبوك وطلبوا منه أن يأتيهم ويصلي لهم فيه ليأخذ الصبغة الشرعية وإنهم لكاذبون إلا أن الرسول ﷺ اعتذر لهم بقوله : « **إني على جناح سفر وحال شغل** » أو كما قال ووعدهم أن يصلي فيه بعد عودته .

ولما غزا رسول الله ﷺ بتبوك وعاد ووصل إلى ذي أوزان أو نزل بها وهي على ساعة من المدينة أتاه خبر المسجد إذ نزل فيه قرآن : وهو قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا** ﴾ الآية فدعا ﷺ اثنين من أصحابه وهما مالك بن الدخشم أخو بني سالم بن عوف ومعن بن عدي أخو بني العجلان فقال : « **انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه** » وفعلاً أتياه فهدماه وحرقاه وتفرق أهله عنه وتركوه للنار تلتهمه[2] .

---

(١) التوبة : (١٠٧) .

(٢) « هذا الحبيب يا محب » للشيخ الجزائري (ص٤٣٥) وكذلك انظر « عيون الأثر » (ص٢٨٥) وكذلك « سيرة ابن هشام » (٤/ ١٣٦٩) وكذلك « مختصر زاد المعاد » للإمام محمد بن عبد الوهاب (ص٢٨٢) » وكذلك « الدرر » لابن عبد البر (ص٢٥٧) وكذلك « حياة الرسول=

فما دام أمر الرسول بهدم هذا المسجد لأنه بناه أصحابه بقصد حبك المؤامرة فيه على المسلمين فكذلك يجب هدم القباب والمساجد المبنية على القبور التي تعبد من دون اللَّه لأنها فتنت المسلمين وأوقعتهم في الشرك باللَّه .

قال الإمام ابن القيم بعد أن ذكر أمر الرسول ﷺ بهدم مسجد الضرار :

« فهدم القباب والبناء والمساجد التي بنيت على القبور أولى وأحرى لأنه لعن متخذي المساجد عليها ونهى عن البناء عليها فيجب المبادرة والمسارعة إلى هدم ما لعن رسول اللَّه ﷺ فاعله ونهى عنه واللَّه عز وجل يقيم لدينه وسنة رسوله من ينصرهما ويذب عنهما فهو أشد غيرة وأسرع تغييراً وكذلك يجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر وطفيه فإن فاعل ذلك ملعون بلعنة رسول اللَّه ﷺ ولا يصح هذا الوقف ولا يصح إثباته وتنفيذه»[(١)] .

ومما يدل على وجوب هدم المشاهد التي تكون سببًا لوقوع الناس في الشرك باللَّه ما ذكره الإمام ابن القيم إن أهل الطائف بعد فتحها سألوا رسول اللَّه ﷺ أن لا يهدم الطاغية ثلاث سنين فأبى عليهم الرسول ﷺ وأمر بهدمها فورًا وهذا يدل على وجوب إزالة كل الأشياء التي تكون سببًا لوقوع المسلمين في فتنة الشرك وأنه لا يجوز تركها مع القدرة عليها .

وإليك نص كلام الإمام ابن القيم رحمه اللَّه وهو يتحدث عن الفقه الذي يستفاد من تلك الغزوة :

= المصطفى » (٢/ ٥٣٦) وكذلك « خاتم النبيين » لأبي زهرة (٢/ ٢٩١).

(١) « إغاثة اللهفان » للإمام ابن القيم (١/ ٢١٠) .

« ومنها أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يومًا واحدًا فإنها شعائر الكفر والشرك وهي أعظم المنكرات فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة ألبتة وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثانًا وطواغيت تعبد من دون اللَّه والأحجار التي تقصد للتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى أو أعظم شركًا عندها وبها واللَّه المستعان .

ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق وترزق وتميت وتحيي وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة وأخذوا مأخذهم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم فصار المعروف منكرًا والمنكر معروفًا والسنة بدعة والبدعة سنة ونشأ في ذلك الصغير وهرم عليه الكبير وطمست الأعلام واشتدت غربة الإسلام وقل العلماء وغلب السفهاء وتفاقم الأمر واشتد البأس وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين ولأهل الشرك والبدع مجاهدين إلى أن يرث اللَّه الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

ومنها جواز صرف الإمام الأموال التي تصير إلى هذه المشاهد والطواغيت في الجهاد ومصالح المسلمين فيجوز للإمام بل يجب عليه أن يأخذ أموال هذه الطواغيت التي تساق إليها كلها ويصرفها على الجند والمقاتلة ومصالح الإسلام كما أخذ النبي ﷺ أموال اللات وأعطاها لأبي سفيان يتألفه بها وقضى منها دين عروة والأسود وكذلك يجب عليه أن يهدم

هذه المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثانًا وله أن يقطعها للمقاتلة أو يبيعها ويستعين بأثمانها على مصالح المسلمين وكذلك الحكم في أوقافها فإن وقفها فالوقف عليها باطل .

وهو مال ضائع فيصرف في مصالح المسلمين فإن الوقف لا يصح إلا في قربة وطاعة للَّه ورسوله فلا يصح الوقف على مشهد ولا قبر يسرج عليه ويعظم وينذر له ويحج إليه ويعبد من دون اللَّه ويتخذ وثنًا من دونه وهذا مما لا يخالف فيه أحد من أئمة الإسلام ومن اتبع سبيلهم »[١] .

وقال الإمام ابن القيم أيضًا وهو يتحدث عن أهل الطائف بعد أن فتحها رسول اللَّه ﷺ :

« وقد كانوا فيما سألوا رسول اللَّه ﷺ أن يدع لهم الطاغية وهي اللات لا يهدمها ثلاث سنين فأبى رسول اللَّه ﷺ عليهم فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم حتى سألوه شهرًا واحدًا بعد قدومهم فأبى عليهم أن يدعها شيئًا مسمى فأرسل المغيرة بن شعبة ومعه أبو سفيان فهدماها »[٢] .

وهذا يدل على أنه يجب هدم المشاهد التي تكون سببًا لوقوع الناس في الشرك باللَّه عز وجل وأنه لا يجوز التباطؤ في هدمها مع القدرة لأنها من أخطر الأسباب التي توقع الأمم في الشرك والخرافة كما هو حاصل اليوم في عالمنا الإسلامي بسبب ما نشره المتصوفة من البناء على القبور المساجد والقباب ودعوة الناس للطواف حولها حيث إنك قل أن تجد مدينة أو قرية في العالم الإسلامي بأسره إلا ما شاء اللَّه إلا وفيها قبر بني عليه القبة

---

(١) « زاد المعاد في هدي خير العباد » (٣/٥٠٦) .

(٢) « زاد المعاد » (٣/٤٩٩) .

والمسجد ويتوجهون الناس إليه لقضاء حوائجهم وأنا أؤكد بأنه لا يمكن أن يقضى على الشرك إلا إذا أزيلت الأسباب التي وقع بسببها لأن العلاج الناجح لكل مرض لإزالته هو معرفة السبب والقضاء عليه وألا يكون العلاج سطحيًا.

ومما يدل على وجوب هدم كل شيء يؤدي إلى فتنة المسلمين في دينهم وإزالته قول الإمام أبي بكر الطرطوشي حيث قال رحمه اللَّه :

« انظروا رحمكم اللَّه أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون البر والشفاء من قبلها ويضربون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها »[1] .

وهذا الكلام الذي قاله الطرطوشي يفعله المتصوفة مع أوليائهم بل يفعلون أكثر منه بكثير ولذا يجب هدم تلك المشاهد التي شيدها المتصوفة على قبور من يسمونهم أولياء لأنها أصبحت أكبر فتنة للمسلمين حيث صرفتهم عن عبادة اللَّه إلى عبادة أصحاب تلك المشاهد المشيدة على القبور.

وقد ذكر الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة في كتابه « الحوادث والبدع » ما صنعه بعض أهل العلم ببلاد أفريقيا :

« أنه كان إلى جانبه عين تسمى عين العافية قد افتتنوا بها يأتونها من الآفاق فمن تعذر عليه نكاح أو ولد قال امضوا بي إلى العافية فيعرف فيها الفتنة فخرج في السحر فهدمها وأذن للصبح عليها ثم قال : اللهم إني

---

(١) « إغاثة اللهفان » (١/٢١١) .

هدمتها لك فلا ترفع لها رأسًا قال : فما رفع لها رأس إلى الآن »[1] .

وقد قال الإمام ابن القيم :

« وقد كان بدمشق كثير من هذه الأنصاب فيسر اللَّه سبحانه كسرها على يد شيخ الإسلام وحزب اللَّه الموحدين كالعمود المخلق والنصب الذي كان بمسجد التاريخ عند المصلى يعبده الجهال والنصب الذي كان تحت الطاحون الذي عند مقابر النصارى ينتابه الناس للتبرك به وكان صورة صنم في نهر القلوط ينذرون له ويتبركون به وقطع اللَّه سبحانه النصب الذي كان عند الرحبة يسرج عنده ويتبرك به المشركون وكان عمودًا طويلاً على رأسه حجر كالكرة وعند مسجد درب الحجر نصب قد بني عليه مسجد صغير يعبده المشركون يسر اللَّه كسره »[2] .

« ومما يدل على وجوب إزالة وهدم كل شيء يخشى من بقائه الفتنة ما روي عن المعرور بن سويد قال : صليت مع عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه في طريق مكة صلاة الصبح فقرأ فيها ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ**﴾ و﴿**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ**﴾ ثم رأى الناس يذهبون مذاهب فقال : أين يذهب هؤلاء؟ فقيل : يا أمير المؤمنين مسجد صلى فيه النبي ﷺ فهم يصلون فيه فقال : إنما هلك من كان قبلك بمثل هذا كانوا يتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعًا فمن أدركته الصلاة منكم في هذه المساجد فليصل ومن لا فليمض ولا يتعمدها .

وأيضًا لما بلغ عمر بن الخطاب أن الناس ينتابون الشجرة التي بايع

---

(١) « الحوادث والبدع » لأبي شامة (ص٩٦) .

(٢) « إغاثة اللهفان » لابن القيم (١/ ٢١٢) .

تحتها رسول اللَّه ﷺ أصحابه أرسل فقطعها »[1] .

ومما يدل على إزالة كل شيء يخشى منه فتنة المسلمين في دينهم وانحرافهم عن عقيدتهم الإسلامية الصحيحة ما ذكره محمد بن إسحاق في مغازيه من زيادات يونس بن بكير عن أبي خلدة خالد بن دينار قال : حدثنا أبو العالية قال : لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف له فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه فدعا له كعبًا فنسخه بالعربية فأنا أول رجل من العرب قرأه قرأته مثل ما أقرأ القرآن فقلت لأبي العالية : ما كان فيه ؟ قال : سيرتكم وأحوالكم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد قلت : فما صنعتم بالرجل ؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرًا متفرقة فلما كان الليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس حتى لا ينبشونه فقلت : وما يرجون منه ؟ قال : كانت السماء إذا حبست عنهم أبرزوا السرير فيمطرون فقلت : من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل يقال له: دانيال فقلت : مذ كم وجدتموه مات؟ قال : مذ ثلاثمائة سنه قلت : ما كان تغير منه شيء قال : لا إلا شعيرات من قفاه إن لحوم الأنبياء لا تبلبها الأرض ولا تأكلها السباع »[2] .

والذي يهمنا من إيراد هذه القصة هو أن المهاجرين والأنصار حاولوا تعمية قبر هذا الرجل خشية أن يفتتن به الناس ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به ولو ظفر به المتصوفة عباد القبور لجالدوا عليه بالسيوف ليتخذوه معبودًا من دون اللَّه وكيف لا وقد اتخذوا من القبور أوثانًا من لا يصل إلى مستوى هذا الرجل بل ولا يقاربه وأقاموا لها سدنة وجعلوها معابد مقدسة.

---

(١) « إغاثة اللهفان » (١/ ٢٠٤) .

(٢) « إغاثة اللهفان » (١/ ٢٠٣) وكذلك « فتوح البلدان » للبلاذري (٢/ ٤٦٦) .

ووجه الاستدلال بهذه القصة للمبحث : بما أن الصحابة الكرام أعموا قبر هذا الرجل خشية افتتان الناس به فكذلك يجب إزالة وهدم كل شيء يؤدي إلى فتنة الناس وانحرافهم عن عقيدة التوحيد الصحيحة .

والخلاصة أن من أنجع العلاج للتخلص من هذا الشرك المنتشر في الأمة الإسلامية هو القضاء نهائيًا على الأسباب التي أدت إلى انتشاره والتي تتمثل في بناء القباب والمساجد على القبور والتوجه إلى أصحابها بالدعاء والاستغاثة وتقديم النذور والقرابين لها والطواف حولها كالكعبة وبدون إزالة هذه القباب والمشاهد المبنية على دجاجلة المتصوفة لا يمكن تخليص الأمة الإسلامية من هذه الوثنية التي نشرها دعاة التصوف في العالم الإسلامي ولسنا نحن أول من قال بهذا بل لقد أمر الرسول الكريم بتسوية القبور وعدم رفعها وأمر ما رفع منها أن يسوى وأمر أن تطمس التماثيل والمشاهد التي كان يعبدها المشركون ولم يتركها ولو لحظة واحدة بل بادر إلى هدمها وإزالتها فور تمكنه من إزالتها وقال بهذا أكثر علماء الأمة الإسلامية بل وفعلوه بأنفسهم كما سبق لنا آنفًا في هذا المبحث.

ولنختم هذا المبحث بقولين لإمامين عظيمين من أئمة الإسلام فإنه مفيد في هذا المجال ألا وهو بيان أن الإسلام يحرم هذه المشاهد التي نشرها المتصوفة في العالم الإسلامي فوقع كثير من أفراد الأمة الإسلامية بسببها في الشرك باللّٰه .

قال الإمام ابن القيم بعد أن ذكر جملة من الأحاديث التي نهى فيها الرسول ﷺ عن بناء المساجد على القبور :

« والمقصود أن هؤلاء المعظمين للقبور المتخذينها أعيادًا الموقدين

عليها السرج الذين يبنون المساجد والقباب مناقضون لما أمر به رسول اللَّه ﷺ محادون لما جاء به وأعظم ذلك اتخاذها مساجد وإيقاد السرج عليها وهو من الكبائر وقد صرح الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم بتحريمه إلى أن قال . . وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجًا ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول في دين عباد الأصنام »[١] .

وقال الإمام محمد بن علي الشوكاني وهو يتحدث عن موقف الإسلام من بناء المساجد والقباب على القبور :

« ورفع القبور ووضع القباب والمساجد والمشاهد عليها قد لعن رسول اللَّه ﷺ فاعله تارة وتارة قال : « **اشتد غضب اللَّه على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » وتارة نهى عن ذلك وتارة بعث من يهدمه وتارة جعله من فعل اليهود والنصارى وتارة قال : « **لا تتخذوا قبري وثنًا** » وتارة قال : « **لا تتخذوا قبري عيدًا** » أي موسمًا يجتمعون فيه كما صار يفعله كثير من عباد القبور يجعلون لمن يعتقدون من الأموات أوقاتًا معلومة يجتمعون فيها عند قبورهم ينسكون لها المناسك ويعكفون عليها كما يعرف ذلك كل أحد من الناس من أفعال هؤلاء المخذولين الذين تركوا عبادة اللَّه الذي خلقهم ورزقهم ثم يميتهم ويحييهم وعبدوا عبدًا من عباد اللَّه صار تحت أطباق الثرى »[٢] .

ومع أن الإسلام نهى عن بناء المساجد والقباب على القبور والتوجه إليها بالدعاء والاستغاثة والنذور والقرابين والطواف حولها أصر المتصوفة

---

(١) « إغاثة اللهفان » لابن القيم (١/ ١٩٦) .

(٢) انظر « شرح الصدور بتحريم رفع القبور » للشوكاني ضمن « الجامع الفريد » (ص٢٥٦).

على الوقوع فيما حذر منه الإسلام فبنوا القباب والمساجد على القبور وأمروا الناس أن يتوجهوا إليها من دون اللَّه فاستجاب لهم الكثير من هذه الأمة فوقعوا في شركيات خطيرة ولذا يجب إزالة هذه المساجد والقباب التي شيدت على القبور لأنها مخالفة للإسلام وليس هناك أي نزاع بين العلماء الذين يحكمون النصوص القرآنية والنبوية في الحلال والحرام في وجوب إزالة هذه المشاهد وإنما من الممكن أن يدافع عنها القبوريون لأنها آلهتهم التي يعبدونها من دون اللَّه ولا عبرة لخلافهم وأقوالهم لأنها خالية من الأدلة التي تعتمد عليها وما هي إلا مجرد أقوال يقولونها متبعين أهوائهم محاولة منهم لتبرير الشرك .

* * *

المبحث الثالث

منع كتب الصوفية لئلا يتداولها الناس ومنع دعاة التصوف ودراسة كتبهم من قبل شخصيات لها حصانة عقدية لكشف زيفها

لقد بينا في المبحث السابق بأن من أهم العوامل التي تساعد على الحد من انتشار الزحف الصوفي في العالم الإسلامي هو القضاء على المظاهر التي تكون سببًا لوقوع الأمة في الشرك باللَّه عز وجل والتي تتمثل في هذه المساجد والقباب المبنية على القبور المنتشرة في العالم الإسلامي على اتساعه وبينا بأن موقف الإسلام من هذه المشاهد هو تحريم إقامتها مبدئيًا والمبادرة بأسرع ما يمكن إلى هدم ما بني منها حتى لا يفتتن الناس في دينهم بسببها وقد أثبتنا ذلك بأدلة من السنة النبوية وأقوال الصحابة وأفعالهم وأقوال علماء الأمة الإسلامية وأفعالهم عبر التاريخ[1] .

وفي هذا المبحث نحب أن نذكر أسلوبًا من أساليب مقاومة هذا الفكر الصوفي المنحرف وهذا الأسلوب هو منع كتب المتصوفة من دخول الأسواق وذلك حتى لا تقع في أيدي الناس فيقع كثير منهم في مفاهيم خاطئة وانحرافات عقدية خطيرة كما هو واقع اليوم في عالمنا الإسلامي حيث انتشرت هذه الكتب بين الأمة الإسلامية فوقع الكثير منهم في انحرافات

---

(١) انظر (ص١١٧٥ ـ ١١٨٥) .

عقدية خطيرة وخاصة في توحيد الألوهية حيث يتوجه عدد كبير من أفراد الأمة الإسلامية إلى القبور بشتى أنواع العبادات كالدعاء والاستغاثة والذبح والنذر والطواف معرضين عن اللَّه سبحانه وتعالى وذلك بسبب الأباطيل والأكاذيب التي يحكيها مؤلفو كتب المتصوفة من أن الأولياء يقدرون على قضاء مطالب من توجه إليهم من المريدين وهذا واقع مشاهد نعايشه ونراه بأم أعيننا ولا يستطيع أحد أن ينكر هذا إلا معاند مكابر منكر للحقيقة الظاهرة الواضحة كوضوح الشمس في رابعة النهار وبجانب منع كتب المتصوفة يجب أيضًا منع الدعاة الذين يحملون الفكر الصوفي من مزاولة تدريس الناس عامة في المساجد والمدارس وحتى في بيوتهم الخاصة التي يتخذونها غالبًا أوكارًا لممارسة بدعهم ونشر سمومهم بين الناس وذلك حتى لا يلوثوا المجتمع بأفكارهم الضالة التي إذا انتشرت بين مجتمع ما تحوله إلى مجتمع مشرك خرافي لا قيمة له في الدنيا والآخرة ومجال التعليم الحقيقة يعتبر مجالاً هامًا جدآ فينبغي الحرص عليه بحيث يوضع له المنهج الصحيح للتدريس وكذلك لا يوضع أو يعين في تدريس النشء وحتى إدارة المدارس والمعاهد ينبغي أن لا تستند إلا إلى رجال معروفين بالتوجه الصحيح الذين يتمتعون بصحة العقيدة وسلامة المنهج فإن فساد النشء يعني فساد الأمة بكاملها لأنهم رجال المستقبل وإلى جانب عزل الذين يحملون الفكر الصوفي نهائيًا عن المجتمع ينبغي تحذير من عرف منهم بعينه من ممارسة نشاطه حتى لا يفسد الأمة بنشر عقائده الضالة التي حملها من الوثنيات القديمة كالبوذية والمسيحية واليونانية .

وبجانب منع كتب التصوف ودعاة التصوف ينبغي دراسة كتب التصوف من قبل شخصيات لها كفاءة وحصانة عقدية لكشف زيفها وإثبات بأنها عقائد خرافية باطلة دخيلة على الإسلام وليست منه وذلك لأن الكثير من الأمة

الإسلامية لا يعرفون عقائد الصوفية الباطلة التي تحتوي عليها كتبهم الضالة وإنما يظن كثير من أفراد الأمة الإسلامية العوام بل وحتى العلماء الذين لم يأخذوا القسط الكافي من علم الكتاب والسنة يظنون أن الطرق الصوفية ما هي إلا طرق تدعو الناس إلى الزهد في الدنيا والاهتمام بأمور الآخرة وتهتم بتربية الإنسان تربية إسلامية إلى أن يصبح من أولياء اللَّه .

وقد واجهت الكثير ممن يحسبون على العلم والعلماء يدافعون عن الصوفية ويدعون بأن الصوفية ليس فيها أي انحرافات عقدية نهائيًا وقد جرى بيني وبين كثير منهم مناقشات حادة كان النصر فيها حليفًا لي فيها لأنهم ليس لهم أي أدلة يثبتون بها حججهم وإنما كل مناقشاتهم تعتمد على الأهواء المجردة فقط بدون التقيد بالأدلة الشرعية والحقيقة كنت أقدم لهم أثناء المناقشة نصوصًا من بطون كتب المتصوفة أنفسم فكانوا يستغربون جدًا وقد رجع أفراد منهم من المشي وراء الطرق الصوفية والحمد للَّه .

والمقصود من هذا الكلام هو أن الكثيرين تخفى عليهم ما تحتويه كتب الصوفية من الأباطيل والعقائد الفاسدة المملوءة بها ولذا أحبذ أن يكتب المتخصصون في العقيدة في الفكر الصوفي فإنه بحاجه ماسة إلى مزيد من الكتابة من أكثر من شخص وفي الحقيقة أنا بنفسي ما كنت أعرف عن التصوف هذه الحقائق التي توصلت إليها بعد اطلاعي على كتبهم وقد ذهلت من تلك الأباطيل التي تحتوي عليها تلك الكتب .

وفي النهاية أقول :

(إن دراسة كتب الصوفية والرد عليها أراه من أهم الأساليب الناجحة في فضح عوار الفكر الصوفي الوثني المنحرف الذي نشر الشرك والوثنية في العالم الإسلامي بأسره إلا ما شاء اللَّه وقليل ما هم) .

الخاتمة

أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث

بعد هذا البحث مع الصوفية وعقائدهم المنحرفة نخرج بالنتائج التالية:

* إن التصوف نشأ أول ما نشأ على هيئة الزهد والتقشف المبالغ فيه ثم تأثر بالفلسفات والوثنيات القديمة كاليونانية والنصرانية وأديان الهند الوثنية كالبوذية مما أدى بأصحابه إلى اعتناق عقائد فاسدة.

ويتضح لنا أيضًا من خلال هذه الدراسة لعقائد التصوف بأن من أهم الأسباب التي وقع الصوفية بسببها في هذه العقائد الفاسدة التي سبق ذكرها تتلخص لنا فيما يلي:

١ ـ بحث المتصوفة عن الهداية إلى الحق والصواب عن غير طريق الكتاب والسنة اللذين لا يمكن أن يصل أحد بدونهما إلى الحق والصواب نهائيًا مهما بذل من جهود.

٢ ـ زعمهم بأن هناك علمًا يسمى علم الحقيقة يختلف عن العلم الشرعي الذي جاء به محمد بن عبد اللّه عليه السلام من عند اللّه سبحانه وتعالى وادعاؤهم بأنهم يتلقون علومًا خاصة بهم مباشرة عن اللّه وأن هذه العلوم خاصة بهم لا يشاركهم فيها أحد أبدًا إلا من انضوى تحت الطرق الصوفية وتدرج في المراتب التي وضعوها لتربية المريدين وكما اتضح لنا في المبحث الخاص بالحقيقة في الباب الأول من هذه الرسالة أن هذا الاعتقاد

الفاسد كان من أكبر الأسباب التي وقع الصوفية بسببه في هذا الضلال العقدي الخطير لأنهم سلكوا غير طريق الرسول ﷺ فوقعوا في عقائد فاسدة .

٣ ـ الغلو الزائد في الرسول محمد ﷺ والأولياء مما أدى بهم إلى إخراج الرسول ﷺ من مرتبة البشرية والعبودية إلى مرتبة الألوهية .

وكذلك أدى الغلو في الأولياء بالصوفية إلى أن يعتقدوا فيهم بأنهم يتلقون علومًا خاصة بهم وأنهم يغيثون من استغاث بهم فصرفوا لهم أنواعًا من العبادة .

وقد أدت هذه الأسباب المذكورة إلى اعتناق العقائد الفاسدة التالية :

* ففي باب الإلهيات وقع الصوفية في انحرافات عقدية خطيرة وهذه الانحرافات نلخصها فيما يلي :

١ ـ اعتقادهم بأنه لا يمكن التعبير عن التوحيد وأن من عبر عنه فهو ملحد أو وثني .

٢ ـ اعتقادهم بأن التوحيد الحقيقي هو القول بوحدة الوجود الذي يعتبر قمة الإلحاد .

٣ ـ اعتقادهم بجواز عبادة كل شيء موجود في هذا الكون .

٤ ـ اعتقادهم بأن كل أهل الأديان والملل الباطلة عبادتهم صحيحة وأنهم مصيبون مأجورون .

٥ ـ اعتقادهم بإمكانية حلول اللَّه في بعض مخلوقاته التي يصطفيها .

٦ ـ اعتقادهم بأن كل من أحب شيئًا في هذا الكون فقد أحب اللَّه لأن الكل بزعمهم ما هو إلا مظاهر ومجالٍ للَّه تعالى تمشي على ظهر هذا الكون

سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

٧ ـ اعتقادهم بأن التوحيد الذي أرسل اللّه به الرسل وأنزل به الكتب ما هو إلا توحيد العوام أما الخواص فإن هذا التوحيد بالنسبة لهم يعتبر شركًا باللّه يترفعون عنه بزعمهم .

* وأما فيما يتعلق بالرسول ﷺ فإن الصوفية قد وقعوا في انحرافات عقدية خطيرة تجاهه وتتلخص هذه الانحرافات فيما يلي :

١ ـ اعتقاد الصوفية بأن الرسول ﷺ مخلوق من نور اللّه عز وجل الذي هو صفته وليس مخلوقًا كغيره من البشر من تراب ونطفة وهذا انحراف عقدي خطير لأنه يجعل الرسول ﷺ جزءًامن اللّه فيعبد.

وهذا يتصادم مع ما جاء في الكتاب والسنة من أن الرسول ﷺ بشر مثلنا من حيث الخلقة ومع ذلك فهو أفضل الخليقة على الإطلاق.

٢ ـ اعتقاد الصوفية بأن كل ما في هذا الكون من المخلوقات مخلوق من نور الرسول ﷺ وهذا اعتقاد باطل وفاسد لأنه مخالف لما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية .

٣ ـ اعتقاد الصوفية بأن كل الرسل الذين كانوا قبل النبي محمد ﷺ أوحي إليهم منه وكلهم مقترف من علومه ولم يقف الصوفية في هذا الحد بل ادعوا بأن علم اللّه سبحانه وتعالى جزء من علم الرسول ﷺ وهذا غاية الإلحاد في اللّه عز وجل وغلو زائد عن الحد في الرسول ﷺ الذي نهى عن الغلو فيه في أحاديث كثيرة مر ذكرها في ثنايا البحث في الفصل الخاص بانحرافات الصوفية تجاه الرسول ﷺ .

٤ ـ اعتقاد الصوفية بجواز التوجه إلى الرسول ﷺ بالدعاء والاستغاثة من دون اللَّه وتوجههم إليه ليلاً ونهاراً بمطالبهم في جميع أنحاء العالم الإسلامي معرضين عن اللَّه سبحانه وتعالى الذي قال في كتابه : ﴿ **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾[(١)] .

* وأما في باب الولاية فقد انحرف المتصوفة فيه انحرافات خطيرة جدًا وتتخلص هذه الانحرافات :

١ ـ اعتقادهم بأن الأولياء يتلقون علومًا خاصة بهم عن اللَّه تختلف عن العلوم الشرعية التي أرسل اللَّه بها رسوله محمدًا ﷺ .

٢ ـ اعتقادهم بأن الأولياء ينفعون ويضرون وتوجههم إليهم بالدعاء والاستغاثة والطواف حول قبورهم والذبح والنذر لهم كما هو مشاهد اليوم في عالمنا الإسلامي على امتداده الواسع.

٤ ـ اعتقادهم بأن الأولياء يعلمون الغيب ولا تخفى عليهم خافية .

٥ ـ اعتقادهم بأن للأولياء مراتب سبعة وأن كل واحد من أهل هذه المراتب له وظيفة خاصة به وأن هذا الكون تسيره مجموعة ممن يزعمون أنهم أولياء اللَّه .

٦ ـ اعتقادهم بأن الأولياء يجوز لهم الخروج عن الشريعة والتمرد على أوامر اللَّه ورسوله .

٧ ـ اعتقاد الغلاة منهم بأن الولاية أفضل من النبوة وبناءً عليه أن الأولياء أفضل من الأنبياء وأعلم منهم بحقائق العلوم .

---

(١) غافر : (٦٠) .

* وأما في باب الخضر عليه السلام فإن المتصوفة أيضًا وقعوا في انحرفات عقدية خطيرة تجاهه وتتلخص معتقداتهم تجاهه :

١ ـ أن الخضر ولي وليس نبيًّا وبناءً عليه فإن الأولياء يعتبرون أعلم بحقائق العلوم من الأنبياء لأن الخضر عليه السلام كان أعلم من موسى رغم أنه كان وليًا فقط .

وهذا حسب زعمهم وإلا فإن الخضر عليه السلام الراجح أنه نبي وليس بولي فقد كما سبق في مبحث الخضر عليه السلام .

٢ ـ بنوا على قصة الخضر وموسى عليهما السلام أنه يجوز للولي ويسوغ له الخروج على الشريعة الإسلامية كما خرج الخضر عليه السلام على الشريعة التي جاء بها موسى عليه السلام من عند اللّٰه في الظاهر رغم أن الأعمال التي أقدم عليها الخضر كلها أمور مشروعة وخاصة بعد أن وضح سبب إقدامه عليها .

وفات المتصوفة في هذا إلى أن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثًا إلى جميع البشرية وإنما كان مبعوثًا إلى قومه بني إسرائيل خاصة وأيضًا فإن الخضر كان نبيًا يوحى إليه وشرائع الأنبياء تختلف مع اتحادهم في الأصول والمتصوفة مع الرسول محمد ﷺ ليسوا كذلك لأن الرسول مبعوث إلى جميع الثقلين الإنس والجن ولا يجوز لأي أحد كائنًا من كان أن يدعي أنه مع رسول اللّٰه محمد ﷺ كالخضر مع موسى عليه السلام وإلا يعتبر زنديقًا خارجًا عن الإسلام.

٣ ـ يعتقد المتصوفة أن الخضر عليه السلام حي إلى قيام الساعة ويدعون أنهم يتلقون منه عقائدهم الباطلة وأورادهم الخرافية المبتدعة كذبًا وبهتانًا.

* وأما في باب الزهد فإن الصوفية قد انحرفوا في مفهوم الزهد حيث فهموا الزهد بأنه التخلي عن القيام بأي عمل يحصل الإنسان من ورائه على رزقه الذي كتبه اللَّه له فقعدوا عن العمل وأصبحوا عالة وعارًا على الأمة الإسلامية وأصبح أعداء الإسلام يرمون الإسلام بأنه دين البطالة والكسل والخمول والتسول لأن فهم الصوفية الخاطئ للزهد أوقعهم في اتخاذ التسول وسؤال الناس مهنة لهم ولو فهم الصوفية الزهد الحقيقي في الإسلام لما وقعوا في الانحراف الخطير حيث إن الزهد في الإسلام يتمثل في الزهد عن الحرام والزهد في كل شيء يخالف الإسلام وأن لا يجعل الإنسان المسلم الدنيا أكبر همه والاستعاضة بالحلال عن الحرام وبالسنة عن البدعة وبحصر الهم في ابتغاء مرضاة اللَّه والدار الآخرة وهذا يتطلب الأخذ بالأسباب ومن الأسباب التي يجب الأخذ بها هو السعي في كسب الرزق الحلال بالطرق المشروعة ثم إنفاقه في الطرق المشروعة التي أمر الإسلام بإنفاق الرزق فيها وذلك مثل ما كان يفعل أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان بن عفان وغيرهم من أغنياء الصحابة الكرام رضوان اللَّه عليهم حيث إنهم كانت لهم أموال كثيرة وكانوا ينفقونها في سبيل اللَّه وهم أزهد الناس في الدنيا بعد رسول اللَّه ﷺ ولكن زهدهم لم يصل بهم إلى رفض السعي في طلب الرزق الحلال وتعذيب النفس وحرمانها مما أحله اللَّه كما يفعل الصوفية لأن هذا ليس الزهد الذي جاء به الإسلام بل هو زهد بوذي وثني دخيل على الإسلام لأن الإسلام يأمر بإعطاء كل ذي حق حقه ثم إن ادعاء الإنسان بأنه زاهد لا يتحقق له الزهد إلا إذا كانت الدنيا في يده وينفقها في الطرق المشروعة أما الإنسان الذي يفقد المال فإنه لا يصح أن يسمى زاهداً لأنه فاقد له وكما هو معلوم فإن فاقد الشيء لا يعطيه .

* وأما في باب الجهاد فقد انحرف الصوفية فيه أيضًا انحرافات خطيرة وتتمثل هذه الانحرافات :

١ ـ اعتقاد الصوفية بأن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر ولذا ينبغي للإنسان أن يختلي بنفسه في خلوات مظلمة ويجاهد نفسه .

وأما جهاد الأعداء فهو الجهاد الأصغر ولذا فلا ينبغي للإنسان أن يترك الأكبر ويذهب إلى الأصغر وهذا المعتقد الفاسد أدى بهم إلى الاستهانة بالجهاد الإسلامي الذي يعتبر ذروة الإسلام بل هم دائمًا وأبدًا كانوا عونًا للمستعمرين والغزاة الكفرة وإلى يومنا هذا لا يزالون كذلك .

* وأما في باب القضاء والقدر فقد انحرف الصوفية انحرافات خطيرة وتتمثل هذه الانحرافات :

يعتقد الصوفية بأن كل ما قدره اللّه سبحانه وتعالى وقضاه ووقع في هذا الكون فهو مرضي للّه سبحانه وتعالى بقطع النظر عن نوعية هذا الشيء الواقع مشروع أو غير مشروع سواء كان إيمانًا أو إسلامًا وعملاً صالحًا أو كان كفرًا ونفاقًا وعملاً محرمًا فالكل قد وقع بقضاء اللّه وقدره ولا يجوز معارضته نهائيًا ألبتة وإلا كان نقصًا في التوحيد وهذا المعتقد الفاسد تجاه عقيدة القضاء والقدر أدى بهم إلى حب كل شيء واقتراف كل المنكرات في هذه الدنيا وعطلوا بذلك وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنهم يعتقدون بأن ما يقع في هذا الكون محبوب للّه سبحانه وتعالى مرضي له وليس هناك ثنائية هذا معروف وهذا منكر بل الكل معروف عندهم .

* وأما في باب التوكل والخوف والرجاء فقد انحرف فيه المتصوفة انحرافات خطيرة وتتمثل هذه الانحرافات :

١ـ اعتقاد المتصوفة بأن التوكل الحقيقي الذي يجب أن يكون عليه الإنسان هو أن يترك القيام بالأسباب نهائيًا ويتجرد عن ماله حتى يصبح فقيراً وقد أدى بهم هذا الفهم الخاطئ للتوكل إلى اتخاذ التسول مهنة لهم بحيث أصبح الأعداء يسخرون من الأمة الإسلامية بسبب ما يرونه من هذه الصور المشينة التي يمارسها المتصوفة الخرافيون في أنحاء العالم الإسلامي بل في كل العالم وتحسب على الإسلام ظلمًا .

٢ ـ يعتقد المتصوفة بأنه ينبغي للإنسان المسلم أن يعبد اللَّه لذاته ولا يجوز له أن يعبد اللَّه خوفًا من ناره وطمعًا في ثوابه أو جنته لأن عبادة اللَّه رغبًا ورهبًا تعتبر شركًا باللَّه سبحانه وتعالى ينبغي للمتصوف أن يترفع عنها في زعمهم وهذا المعتقد الفاسد أدى بهم إلى الجرءة على اللَّه حيث تجردوا عن الخوف منه مما سهل عليهم الكذب والافتراء على اللَّه وارتكاب محارم اللَّه وتحريم ما أحل اللَّه سبحانه وتعالى والزهد فيما رغب اللَّه فيه من الجنة ونعيمها والاستهانة فيما حذر اللَّه عنه من النار وعذابها .

* وأما الآثار السيئة التي نشرها المتصوفة في العالم الإسلامي فهي تتلخص فيما يلي :

١ ـ إدخال نظريات وعقائد إلحادية في الأمة الإسلامية من القول بوحدة الوجود والحلول والاتحاد والفناء الباطل والاعتقاد بأن هذا التوحيد الذي أرسل به الرسل وأنزل به الكتب ليس توحيداً حقيقيًا وأن التوحيد الحقيقي الذي ينبغي أن يسعى الإنسان للوصول إليه هو القول بوحدة الوجود.

٢ ـ قيام المتصوفة ببناء المساجد والقباب على قبور الموتى الذين يسمونهم أولياء اللَّه ودعوة الناس إلى زيارة هذه الأماكن والتمسح بأعتابها

والتوجه إلى أصحابها بالدعاء والاستغاثة والذبح لهم والنذر لأصحابها وصرف كثير من العبادات التي لا يجوز صرفها لغير اللَّه .

٣ ـ تعطيل المتصوفة وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وخاصة لمشائخهم لاعتقادهم بأن المشائخ يحل لهم ما حرم عليهم .

ويعتقد بعضهم بأنه لا يوجد شيء يسمى منكراً وشيء يسمى معروفًا بل الكل معروف ولذا فلا حاجة إلى القيام بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد أدى هذا المعتقد الفاسد بالمتصوفة إلى ارتكاب كل المنكرات والفواحش كما هو مشاهد في عالمنا الإسلامي اليوم في المناسبات الصوفية.

٤ ـ نشر الموالد البدعية في العالم وارتكاب كل المنكرات فيه من الزنا واللواط والرقص وعبادة غير اللَّه من الدعاء لغيره والذبح والنذر لغير اللَّه سبحانه وتعالى وكل المنكرات.

٥ ـ ابتداع الأذكار والصلوات والأدعية المبتدعة في العالم الإسلامي وشغل الناس بتلاوتها مما تسبب عنه إعراض الناس عن تلاوة كتاب اللَّه عز وجل وذكر اللَّه بالأذكار المشروعة الواردة في كتاب اللَّه وسنة رسوله محمد ﷺ حيث نشاهد في عالمنا الإسلامي الواسع عددًا غير قليل يتلون هذه الأذكار والأدعية والصلوات المبتدعة .

* وأما الأساليب التي يجب أن نتبعها للقضاء على الفكر الصوفي المنحرف فتتلخص فيما يلي :

أولاً : غرس العقيدة الصحيحة السلفية المأخوذة من الكتاب والسنة في قلوب المسلمين عامة ، ويتم هذا :

١ ـ بالعودة إلى منهج الكتاب والسنة وتنقية المناهج الدراسية من الفكر

الصوفي والبدعي كعقائد الأشاعرة والمعتزلة والجهمية وغيرهم من الفلاسفة والمبتدعة الذين شوهوا صفاء العقيدة الإسلامية الصحيحة وجعلوها معقدة .

٢ ـ بإسناد شئون التعليم إلى علماء مشهود لهم بصحة العقيدة وسلامة المنهج والاستقامة وإبعاد كل الخرافيين والمبتدعين عن شئون التعليم حتى لا يلوثوا أفكار النشء فينشئوا لنا جيلاً خرافيًا مبتدعًا يهدم بنيان الأمة الإسلامية ويفسد عقائدها بدلاً من إصلاحها.

٣ ـ بمنع كتب الصوفية من أن تكون متداولة بين الناس لأن الوقاية خير من العلاج .

وبهذا أختم بحثي هذا راجيًا من اللَّه عز وجل أن أكون قد وفقت فيه للصواب ومقرًا ومعترفًا بأن ما كان من صواب فيه فبتوفيق اللَّه عز وجل وفضله وما كان فيه من خطأ فهو خطأ غير متعمد والإنسان دائمًا معرض للخطأ والمطلوب منه هو الرجوع إلى الحق حينما يتبين له .

كما في الحديث : «**كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**[1] » .

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون

وسلام على المرسلين

والحمد للَّه رب

العالمين

---

(١) أخرجه أحمد في « المسند » (٣/١٩٨) .



١ ـ فهرس الآيات القرآنية .

٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية .

٣ ـ فهرس الأعلام المترجم لهم في الحاشية .

٤ ـ فهرس المصادر والمراجع .

٥ ـ فهرس الموضوعات.



فهــــرس الآيـــــات القرآنية

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم	١٧٢	٢٦
ومن الناس من يتخذ من دون اللَّه أندادًا.	١٦٥	٣٩
وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا	٢٣	١٤٥
يا أيها الناس اعبدوا ربكم.	٢٢	١٩٦
وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو.	١٦٤	١٩٧
وإذا سألك عبادي عني فإني قريب	١٨٦	١٦٢
وإذ قال ربك إني خالق بشرًا من طين.	٧١ _ ٧٢	١٤٤
للَّه ما في السماوات وما في الأرض.	٢٨٤	٣٩٨
وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد.	٦١	٤٠٨
اللَّه ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور.	٢٥٧	٥٤٩
وإذ قال ربك للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا.	٣٤ _ ٣٨	٧١١
وكلوا واشربوا ولا تسرفوا.	١٢٧	٨٠١
كتب عليكم القتال وهو كره لكم.	٢١٦	٨٧١
واتقوا اللَّه واعلموا أنكم ملاقوه.	٢٢٣	١٠١٦
الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم.	٤٦	١٠١٦
سورة آل عمران		
قل إن كنتم تحبون اللَّه فاتبعوني يحببكم اللَّه.	١٦٥	٣٠٢
كنتم خير أمة أخرجت للناس.	١١٠	١٢٨

فهـــرس الأحاديـث النبوية

الحديـــــــث	الصفحة

الحديـــــــث	الصفحة

الحديـــــث	الصفحة

الحديث	الصفحة
لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره	٩٢٦
لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع	٩٢٦
لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر	١١٣٤
لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب	٨٨٦
لما أصيب إخوانكم بأحد جعل اللَّه أرواحهم في جوف طير	٨٨٩
لن يدخل أحدكم الجنة بعمله	٤٨٨
اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني	١٩٨
اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم	١٩٨
اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد	٤٥٢
اللهم حوالينا ولا علينا	٤٥٢
ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي	١٠٥٦
ما أنزل اللَّه من داء إلا أنزل له شفاء	٩٩١
ما اغبرت قدما عبد في سبيل اللَّه فتمسه النار	٨٨٧
ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه	٧٨٣
ما أكل أحد طعامًا خيراً من أن يأكل من عمل يده	٨٠٦
ما يزال الرجل يسأل حتى يأتي يوم القيامة	٨٢٥
ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم	٨٢٦
ما شاء اللَّه وشئت	٤٩١
مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة	١١٧٤
مثل المجاهد في سبيل اللَّه واللَّه أعلم بمن يجاهد في سبيله	٨٨٩
مثلي ومثل الأنبياء كرجل بنى داراً فأتمها	٦٠٧
مثلي ومثل النبيين من قبلي كمثل رجل بنى داراً	٦٠٧
مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا اللَّه	٧٢١

الحديث	الصفحة
وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام	٧٢
واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف	٨٨٧
واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء	٩٢٨
وعظنا رسول اللّه ﷺ موعظة بليغة	١١٨٠
واللّه لو كان موسى حيًّا لما وسعه إلا أن يتبعني	٨٦
والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً من المؤمنين	٨٨٧
والذي نفسي بيده لوددت أن أقاتل في سبيل اللّه	٨٩٠
ولوددت أن أقاتل في سبيل اللّه تعالى حتى أقتل	٨٩٤
والذي نفسي بيده لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني	٥٣٢
يا أيها الناس قولوا	١٣٩
يا معاذ تدري ما حق اللّه على عباده	٢٠٤
يا بني تميم أبشروا فقالوا : بشرتنا فأعطنا	٣٧٦
يا معشر قريش اشتروا أنفسكم	٤٨٩
يا موسى إني على علم من علم اللّه علمنيه اللّه	٥١٧
يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج	٨٣٦
يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله	١١٧٣
يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل	١١٧٤

فهـــرس الأعلام المترجم لهم

اسم العلـــــــم	الصفحة

اسم العلـــــم	الصفحة

اسم العلـــــــم	الصفحة
عبد الرحيم البرعي	٤٢٤
عبد الرءوف المناوي	٤٧٠
عبد الرزاق القاشاني	٢٥٦
عبد العزيز الدباغ	١٤٢
عبد الكريم الجيلي	٦١
عبد اللَّه بن سعود الشابي	٥٨٩
عبد اللَّه اليافعي	٦٣١
عبد الوهاب بن عبد السلام العفيفي	١١١٤
عبد الوهاب الشعراني	٥٢
لسان الدين الخطيب	١٧٥
محمد محمد البكري	٣٦٠
محمد أبو المواهب الشاذلي	٣٧٠
محمد بهاء الدين البيطار	٨٩
محمد بن إبراهيم الكلاباذي	٢٥
معروف الكرخي	٢٩
المنوفي	١٧٧
محمد وفا	٢٦١
محمد البكري	٣٦٠
محيي الدين بن عربي	٤٧
الهروي	٢٢٤
يوسف النبهاني	٥٢

فهرس المراجع والمصادر

أولاً: مصادر التصوف ومراجعه :

١ ـ « الإبريز » الذي تلقاه أحمد بن المبارك عن عبد العزيز الدباغ ـ المطبعة الأزهرية المصرية الطبعة الأولى (١٣٠٦هـ) .

٢ ـ « ابن سبعين وفلسفته الصوفية » للدكتور / أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني ـ ط/ دار الكتاب اللبناني بيروت الطبعة الأولى (١٩٧٣م) .

٣ ـ «ابن عطاء اللّه السكندري وتصوفه» للدكتور/ أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني.

٤ ـ « أبو العباس المرسي ومسجده الجامع الكبير » تأليف حسنى الندوي ـ ط/ دار الكتب المصرية القاهرة (١٩٤٤م) .

٥ ـ « أبو البركات سيدي أحمد الدرديري » لعبد الحليم محمود ـ ط/ دار النصر للطباعة أحمد حمدي أحمد شعبان ، القاهرة .

٦ ـ « إحياء علوم الدين » لأبي حامد الغزالي ، وبذيله كتاب « المغني عن حمل الأسفار » لأبي الفضل عبد الرحيم العراقي ـ ط/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ) .

٧ ـ « الأخلاق المتبولية » لعبد الوهاب الشعراني .

٨ ـ « الاستبصار لأهل الأذكار أو النور المبين في إرشاد المريدين » لأحمد محمود زين الدين الحسيني الشاذلي ـ ط / الأنوار القاهرة ـ الطبعة الأولى (١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م) .

٩ ـ « أفضل الصلوات على سيد السادات » ليوسف النبهاني الشاذلي ضمن « الشمائل المحمدية » ، بدون ذكر مكان الطبع ولا تاريخه .

١٠ ـ « إنذار وإفادة إلى بائع دينه بالشهادة » لعبد اللّٰه بن محمد المشري العلوي التيجاني ، صورة بالمكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية بالمدينة .

١١ ـ « الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية » ليوسف النبهاني الشاذلي بدون ذكر مكان الطبع .

١٢ ـ « الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية » لعبد الوهاب الشعراني تحقيق وتقديم طه عبد الباقي سرور الطبعة الأولى .

١٣ ـ « الأنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل » لعبد الكريم الجيلي ـ ط/ الحلبي ـ مصر ـ الطبعة الرابعة .

١٤ ـ « الإنسان الكامل والقطب الغوث الفرد من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي » جمع وتأليف محمود محمود العزب بدون ذكر تاريخ الطبع .

١٥ ـ « إيقاظ الهمم في شرح الحكم » لابن عجيبة الحسني .

١٦ ـ « بدّ العارف » لعبد الحق بن سبعين تحقيق وتقديم/ إبراهيم جورج كتورة ط/ دار الأندلس ، بيروت بدون ذكر تاريخ الطبع .

١٧ ـ « بردة المديح » ومعها القصيدة المصرية والقصيدة المحمدية لشرف الدين أبي عبد اللّٰه محمد البوصيري ـ ط/ ونشر مكتبة ومطبعة الحسيني القاهرة بدون ذكر تاريخ الطبع .

١٨ ـ « البراهين الساطعة » لسلامة العزامي النقشبندي ـ بدون ذكر مكان الطبع ولا تاريخه .

١٩ ـ « البرهان المؤيد » للسيد أحمد الرفاعي الحسيني الكبير ـ مطبعة القاهرة بجوار محكمة الاستئناف بمصر (١٣٢٢هـ) .

٢٠ ـ « البريلوية » للشيخ إحسان إلهي ظهير ـ ط/ إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان الطبعة السادسة (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .

٢١ ـ « تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس » لأحمد عطاء اللّه السكندري ـ ط/ مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر / الطبعة الثانية .

٢٢ ـ « تاريخ التصوف الإسلامي » للدكتور عبد الرحمن بدوي ـ طبع وكالة المطبوعات ـ الكويت (١٩٧٨م) .

٢٣ ـ « تاريخ التصوف الإسلامي » للدكتور / قاسم غني - ترجمه إلى العربية الدكتور / صادق نشأت ـ طبع مكتبة النهضة العربية القاهرة .

٢٤ ـ « التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة » للدكتور / إبراهيم هلال نشر دار النهضة العربية ـ الطبعة الأولى (١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م) .

٢٥ ـ « تحفة أهل الفتوحات » لأبي بكر البناني ـ ط/ مطبعة التقدم مصر .

٢٦ ـ « التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق » للدكتور زكي مبارك ـ ط/ مطبعة الرسالة ـ الطبعة الأولى (١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م) .

٢٧ ـ « التصوف والمجتمع » لعبد اللطيف الشاذلي ـ ط/ مطابع سلا الحي الصناعي منشورات جامعة الحسن الثاني سلسلة أطروحات ورسائل .

٢٨ ـ « التصوف بين الحق والخلق » للشيخ محمد فهر شقفه ـ ط/ الدار السلفية للنشر والتوزيع الطبعة الثالثة .

٢٩ ـ « التصوف في مصر إبان العصر العثماني » للدكتور / توفيق الطويل ـ نشر مكتبة الآداب بالجماميز ـ بدون .

٣٠ ـ « التصوف منشؤه ومصطلحاته » للدكتور / أسعد الحمراني ـ ط/ دار النفائس بيروت لبنان ـ الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) .

٣١ ـ « التعرف لمذهب أهل التصوف » لأبي بكر محمد الكلاباذي ـ تحقيق / محمود أمين النواوي ـ نشر مكتبة الكليات الأزهرية ـ بدون .

٣٢ ـ « تفريج الخاطر في مناقب تاج الأولياء وبرهان الأصفياء» الشيخ عبد القادر الجيلاني ـ ط/ شركة ومكتبة ومطبعة البابي الحلبي ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

٣٣ ـ « تفسير القرآن الكريم » لمحيي الدين بن عربي ـ بدون ذكر مكان الطبع ولا تاريخه .

٣٤ ـ « التمكين في شرح منازل السائرين » لمحمود أبو الفيض المنوفي الحسيني ـ ط/ دار النهضة مصر للطباعة والنشر الفجالة ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

٣٥ ـ « تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب » لسلامة العزامي النقشبندي ـ بدون ذكر مكان الطبع ولا تاريخه .

٣٦ ـ « تنوير الأبصار » لمحمد أبو الهدى أفندي الرفاعي ـ بدون ذكر مكان الطبع ولا تاريخه .

٣٧ ـ « جامع السعادات » لمحمد مهدي الزاقي ـ منشورات دار النعمان للطباعة والنشر ـ حسن الشيخ إبراهيم الكتبي ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

٣٨ ـ « جامع كرامات الأولياء » ليوسف النبهاني الشاذلي ـ ط/ شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي ـ الطبعة الثانية (١٣٩٤هـ) .

٣٩ ـ « جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف » لمحمود أبو الفيض المنوفي الحسيني ـ مطبعة المدني العباسية القاهرة ـ الطبعة الأولى (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م).

٤٠ ـ « الجواهر والدرر مما استفاده عبد الوهاب الشعراني من سيده على الخواص » بهامش « الإبريز » للدباغ .

٤١ ـ « جواهر البحار في فضائل النبي المختار » ليوسف النبهاني الشاذلي ـ ط/ مصطفى البابي الحلبي (١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م) .

٤٢ ـ « جواهر المريدين في معاملة علام الغيوب وذكر أقاويل العارفين في مسائل التوحيد » لمحمد نور جامع ـ ط/ مصطفى البابي الحلبي (١٣٣٩هـ) .

٤٣ ـ « جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التيجاني » لعلي حرازم بن العربي برادة المغربي الفاسي ـ ط/ دار الجبل بيروت لبنان (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) .

٤٤ ـ « حاشية الصاوي على شرح الخريدة البهية » لأبي البركات أحمد الدردير ـ تطلب من مكتبة القاهرة لصاحبها على يوسف سليمان .

٤٥ ـ « حجة اللّٰه على العالمين في معجزات سيد المرسلين » ليوسف النبهاني الشاذلي ـ ط/ دار الفكر ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

٤٦ ـ « الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية » لعبد المجيد بن محمد الخامس ـ نشر عبد الوكيل الدروي ـ دمشق جامع الدرويشة .

٤٧ ـ « دائرة معارف القرن العشرين » لمحمد فريد وجدي ـ ط/ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثالثة (١٩٧١م) .

٤٨ ـ « الدرر السنية في شروط وأحكام أوراد الطريقة التيجانية » لمحمد سعد بن عبد اللّٰه الرباطابي التيجاني ـ ط/ مكتبة القاهرة لصاحبها على يوسف ـ بدون ذكر الطبع .

٤٩ ـ « دور الخواص على فتاوى سيدي علي الخواص » بهامش « الإبريز » للدباغ .

٥٠ ـ « الدرة الخريدة » لمحمد فتحا بن عبد الواحد السوسي النظيفي ـ ط/ مطبعة السعادة بجوار محافظة ـ مصر .

٥١ ـ « الدرر السنية في الرد على الوهابية » لأحمد زيني دحلان ـ ط/ شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي بمصر ـ الطبعة الرابعة (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) .

٥٢ ـ « دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها » لعبده الشمالي .

٥٣ ـ « دراسات في الفرق » لصابر طعيمة ـ مكتبة المعارف الرياض ـ الطبعة الثانية (١٤٠٤هـ) .

٥٤ ـ « دلائل الخيرات » لأبي عبد اللّٰه محمد بن سليمان الجزولي وبهامشه «مجموعة الأحزاب والأوراد والأدعية والاستغاثات » ط/ دار الفكر ـ بدون .

٥٥ ـ الديوان الكبير المسمى « رياض المديح وجلاء كل ذي ود صحيح وشفاء كل قلب جريح في مدح النبي المليح » للسيد جعفر الصادق المرغني ـ ط/ مكتبة القاهرة لصاحبها على يوسف سليمان شارع الصنادقية بالأزهر بمصر .

٥٦ ـ « ديوان ترجمان الأشواق » لمحيي الدين بن عربي ـ بدون ذكر مكان الطبع ولا تاريخه .

٥٧ ـ « ديوان عبد الرحيم البرعي » الطبعة الأخيرة (١٣٨٩هـ) ـ دار المكتبة الثقافية بيروت ـ لبنان .

٥٨ ـ « ديوان الحلاج » لأبي المغيث الحسين بن منصور بن محمد البيضاوي ـ وضعه وأصلحه الدكتور / كامل مصطفي الشيبي ـ ط/ دار الآفاق العربية ـ بغداد (١٤٠٤هـ) .

٥٩ ـ «رسائل ابن سبعين» لأبي محمد عبد الحق بن سبعين المرسي الأندلسي ـ تحقيق / عبد الرحمن بدوي ـ نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف .

٦٠ ـ « الرسالة القشيرية » للإمام / أبي القاسم عبد الكريم القشيري ـ تحقيق الدكتور / عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ـ ط/ مطبعة حسان شارع الجيش ـ القاهرة .

٦١ ـ « الرسائل الصغرى » للشيخ / عباد الرندي ـ نشرها الأب / بولس لقربا اليسوعي ـ المطبعة الكاثوليكية بيروت لبنان (١٩٥٧م) .

٦٢ ـ « رماح حزب الرحيم على نحو حزب الرجيم » لعمر بن سعيد الفوتي الطوري الكدوي بهامش «جواهر المعاني» ـ ط/دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان (١٤٠٨هـ).

٦٣ ـ « روضة التعريف بالحب الشريف » للوزير لسان الدين الخطيب ـ تحقيق وتعليق وتقديم / عبد القادر أحمد عطا ـ ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

٦٤ ـ « الزيارات » للقاضي محمود العدوي ـ تحقيق/ الدكتور صلاح الدين

المنجد عضو مجمع اللغة العربية القاهرة ط/ المجمع العلمي دمشق (١٩٥٦م) .

٦٥ ـ « سراج الطالبين على منهاج العابدين » لإحسان بن محمد دحلان الكديري ـ بدون ذكر مكان الطبع ولا تاريخه .

٦٦ ـ « سعادة الدارين في الرد على الفرقتين » للشيخ / إبراهيم السنمودي المنصوري ـ بدون ذكر مكان الطبع .

٦٧ ـ « سفينة اللجوء في التوسلات والتوجهات والتضرعات التي بها حياة القلوب » لعبد السلام الأسمر وأتباعه ـ ط/ المكتبة الثقافية بيروت ـ لبنان . بدون .

٦٨ ـ « السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين » ط/ وزارة الأعلام والثقافة ليبيا .

٦٩ ـ « السيد إبراهيم الدسوقي » لأحمد عز الدين عبد اللّٰه خلف ـ ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مصر ـ بدون .

٧٠ ـ « السير والسلوك » للسيد محمد يوسف المرزوقي ـ مطبعة الجمهورية مصر ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

٧١ ـ « السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة » للدكتور صبحي منصور ـ الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ) .

٧٢ ـ « السيوف الحداد في أعناق أهل الزندقة والإلحاد » لمصطفى كمال الدين على البكري ـ المطبعة المتوسطة بالعشماوي مصر (١٣٥٠هـ) .

٧٣ ـ « شرح القاشاني عل فصوص الحكم » لعبد الرزاق القاشاني ـ ط/ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر ـ الطبعة الثانية (١٣٨٦هـ) .

٧٤ ـ « شرح الحكم » لمحمد إبراهيم المعروف بابن عباد النفري الرندي على متن « الحكم » لمحمد بن عبد الكريم بن عطاء اللّٰه السكندري ـ مطبعة دار إحياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه .

٧٥ ـ « شرح الحكم العطائية » لأحمد بن محمد بن عيسى الفارسي ـ تحقيق/ أحمد زكي عطية ـ ط/ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر (١٣٩١هـ) .

٧٦ ـ « شرح منازل السائرين » لعبد المعطي محمود عبد المعطي اللخمي ـ الأسكندرية مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ـ القاهرة (١٩٩٤هـ) .

٧٧ ـ « شرح الإنسان الكامل صاحب المعارف البواهر » للشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد القادر المعروف المسمى بـ « البيان المزيد » ـ بدون ذكر مكان الطبع .

٧٨ ـ « شرح منحة الصفا لمن رام العز والوفا في الصلوات على طه البشر » لعلي بن محمد المالكي مذهبًا الخلوتي طريقة ـ المطبعة الحسينية المصرية .

٧٩ ـ « شطحات الصوفية » للدكتور عبد الرحمن بدوي ـ نشر وكالة المطبوعات ٢٧ شارع فهد السالم الكويت ـ الطبعة الثانية (١٩٧٦م) .

٨٠ ـ « شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق » ليوسف بن إسماعيل النبهاني ـ ط/ مصطفي البابي الحلبي مصر ـ الطبعة الثانية (١٣٨٥هـ) .

٨١ ـ « الصلة بين التصوف والتشيع » للدكتور/ كامل مصطفى الشيبي ـ ط/ دار المعارف مصر ـ الطبعة الثانية .

٨٢ ـ « الصوفية في الإسلام » تأليف المستشرق الدكتور / نيكلسون ترجمة وتعليق / نور الدين شريبة ـ نشر مكتبة الخانجي مصر (١٣٧١هـ) .

٨٣ ـ « الصوفية معتقداً ومسلكًا » للشيخ صابر طعيمة ـ بدون ذكر مكان الطبع ـ الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) .

٨٤ ـ « صيغ الصلاة على النبي لأحمد البدوي وعبد القادر الجيلاني وغيرهما من أئمة التصوف » لأحمد زيني دحلان ـ بدون ذكر مكان الطبع ولا تاريخه .

٨٥ ـ « الطبقات الكبرى » لعبد الوهاب بن أحمد الشعراني ـ ط/ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي مصر ـ الطبعة الأولى (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م) .

٨٦ ـ « الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان» لمحمد نور ضيف اللّه الجعلي تحقيق / يوسف فضل حسن ـ ط/ دار

التأليف والترجمة والنشر جامعة الخرطوم ـ الطبعة الثانية .

٨٧ ـ « طبقات الصوفية » لأبي عبد الرحمن السملي ـ بدون ذكر مكان الطبع ولا تاريخه .

٨٨ ـ « طبقات الأولياء » لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري ـ الطبعة الأولى (١٣٩٣هـ) تحقيق وتخريج / نور الدين شريبة ـ دار البحوث الإسلامية .

٨٩ ـ « عقد الـدرر واللآلي في بيان فضل الفقر والفقـراء وفضيلة السؤال » لفتح اللّه بن أبي بكر بناني بهامش « مدارج السلوك » بدون .

٩٠ ـ « عقود الجواهر في سلاسل الأكابر » لحسين فوزي على الحسيني الجيلي الملقب بضياء الدين ـ مطبعة الأمة بغداد (١٩٧١م) .

٩١ ـ « العقيدة والشريعة في الإسلام » لجولد تسيهر ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى وعلى حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق ـ نشر دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى بغداد ـ الطبعة الثانية .

٩٢ ـ « علم القلوب » لأبي طالب المكي نشر مكتبة القاهرة لصاحبها علي يوسف سليمان مصر ـ الطبعة الأولى (١٣٨٤هـ) تحقيق / عبد القادر أحمد عطا ـ شركة الطباعة الفنية المتحدة .

٩٣ ـ « عوارف المعارف » لعبد القاهر السهروردي الملحق بكتاب « الإحياء » للغزالي .

٩٤ ـ « الغنية لطالبي طريق الحق في الأخلاق والتصوف والآداب الإسلامية » للشيخ عبد القادر الجيلاني ـ الطبعة الثالثة (١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م) ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر .

٩٥ ـ « غيث المواهب العلية شرح الحكم العطائية » لأبي عبد اللّه محمد بن إبراهيم بن عباد النفري الرندي ـ تحقيق الدكتور / عبد الحيكم محمد والدكتور / محمود بن الشريف ـ ط/ مطبعة السعادة ـ الطبعة الأولى (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) .

٩٦ ـ « الفتح الرباني والفيض الرحماني » للشيخ عبد القادر الجيلاني ط/ شركة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر (١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م) .

٩٧ ـ « فتوح الغيب » للشيخ عبد القادر الجيلاني ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر الطبعة الثانية (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م) .

٩٨ ـ « الفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصلية » لابن عجيبة الحسني ـ ط/ دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان .

٩٩ ـ « فتح القوي المتين في الصلاة على سيد المرسلين » لأحمد الغندور الشافعي مذهبًا الشاذلي الخلوتي خدمة وطريقة ـ مطبعة التضامن الأخوي الطبعة الأولى .

١٠٠ ـ « الفتوحات المكية » لمحيي الدين بن عربي ـ ط/ المطبعة العربية القاهرة .

١٠١ ـ « فرقان القلوب » لمحمد أبي الهدى أفندي الرفاعي ـ ط/ مطبعة هندية مصر .

١٠٢ ـ « فصوص الحكم » لمحيي الدين بن عربي بتعليقات / أبو العلا عفيفي ـ الطبعة الثانية (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ط/ دار الكتاب العربي بيروت ـ لبنان وكذلك « فصوص الحكم مع شرح القاشاني » .

١٠٣ ـ « الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة » للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ـ ط/ الدار السلفية الكويت .

١٠٤ ـ « الفلسفة الصوفية في الإسلام » للدكتور / عبد القادر محمود ـ ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي.

١٠٥ ـ « القرب والتهاني في حضرة التداني شرح الصلوات المحمدية للسادة الصوفية » لفؤاد محمد رضوان الفرشوطي بمسجد السيدة زينب بأسوان (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) .

١٠٦ ـ « القصر المشيد في التوحيد وفي طريقة سيدي إبراهيم الرشيد » لمحمد خليل العجري ـ ط/ المطبعة العلمية (١٣١٤هـ) الطبعة الأولى .

١٠٧ ـ « قصيدة الهمزية في مدح خير البرية » لشرف الدين أبي عبد اللّٰه محمد البوصيري ـ ط/ مكتبة القاهرة مصر الأزهر ـ بدون .

١٠٨ ـ « قلائد الجواهر في مناقب عبد القادر الجيلاني » لمحمد يحيي التاذفي الحلبي ـ ط/ مصطفى البابي الحلبي مصر ـ الطبعة الثالثة (١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م) .

١٠٩ ـ « قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر » لمحمد أبي الهدى أفندي الرفاعي الخالدي الصيادي ـ الطبعة الأولى (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) .

١١٠ ـ « قوت القلوب في معاملة المحبوب » لأبي طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي ـ ط/ مصطفي البابي الحلبي مصر ـ بدون .

١١١ ـ « القول المتين في بيان توحيد العارفين » لمحمد بن فضل اللّٰه الهندي ـ ط/ مطبعة الشروق (١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م) .

١١٢ ـ « قوانين حكم الإشراق إلى كافة الصوفية بجميع الآفاق » لجمال الدين محمد أبي المواهب الشاذلي ـ نشر مكتبة الكليات الأزهرية لحسين محمد إمبابي المناوي (١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م) .

١١٣ ـ « كتاب المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد » للأمير عبد القادر الجزائري ـ ط/ دار اليقظة العربية ـ الطبعة الثانية (١٩٦٧م) .

١١٤ ـ « كتاب النظام الخاص لأهل الاختصاص » لأحمد الرفاعي الكبير الحسني الأنصاري بهامش « البرهان المؤيد » .

١١٥ ـ « كشف المحجوب » للهجويري عثمان بن سعيد ـ ترجمة عربية ط/ دار النهضة العربية بيروت ـ لبنان (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) .

١١٦ ـ « الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين » لأبي حامد الغزالي بهامش « تنبيه المغترين » له أيضًا .

١١٧ ـ « كشف الحجاب عمن تلاقي مع الشيخ التجاني من الأصحاب » لأحمد ابن الحاج العياشي سكيرج ـ بدون ذكر مكان الطبع ـ ط (١٣٨١هـ/ ١٩٦١م) .

١١٨ ـ « الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ » لمحمود عبد الرءوف القاسم ـ توزيع دار الصحافة للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م) .

١١٩ ـ « الكنز المطلسم » لمحمد أبي الهدى أفندي الرفاعي الصيادي ـ المطبعة العلمية مصر (١٣١٣هـ).

١٢٠ ـ « لباب المعاني الملخص من شفاء صدور المؤمنين في هدم قواعد المبتدعين » لمحمد بن السيد أحمد العبدلي البحريني الرفاعي ـ بدون ذكر مكان الطبع ولا تاريخه .

١٢١ ـ « لطائف الإشارات » للقشيري تحقيق وتقديم وتعليق الدكتور / إبراهيم بسيوني ـ ط/ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة .

١٢٢ ـ « لطائف المنن » لعبد الوهاب الشعراني ـ ط/ مطبعة الميمنية مصر لصاحبها مصطفي البابي ـ بدون .

١٢٣ ـ « لطائف المنن » لابن عطاء اللّٰه السكندري تحقيق الدكتور / عبد الحليم محمود ـ ط/ مطبعة إحسان شارع الجيش ٢٤١ ـ بدون .

١٢٤ ـ « اللمع » للطوسي أبي السراج ـ ملتزم الطبع والنشر دار الكتب الحديثة مصر ـ ط/ مطبعة السعادة مصر ـ بدون .

١٢٥ ـ « لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية » لعبد الوهاب الشعراني ـ الطبعة الثانية (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) ط/ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي .

١٢٦ ـ « متابعة الأسرار ومطالعة الأنوار في التبرك بأوراد أقطاب من الأكابر والأخيار » ط/ المطبعة الكبرى الأميرية ـ بولاق ـ مصر المحمية (١٣١٦هـ) .

١٢٧ ـ « مجموع الأوراد الكبير والأدعية والأحزاب والاستغاثات ». ط/ مكتبة النصر ومطبعتها لمحمد عبد المعطي القاهرة ـ بدون .

١٢٨ ـ « مدارج السلوك إلى مالك الملوك » لأبي بكر محمد بناني ـ ط/ المطبعة الجمالية ـ الطبعة الأولى (١٣٣٠هـ) .

١٢٩ ـ « المدخل » لمحمد بن محمد بن محمد الفاسي المكي ـ ط/ المطبعة المصرية بالأزهر ـ الطبعة الأولى (١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م) .

١٣٠ ـ « المدخل إلى التصوف الإسلامي » لأبى الوفاء الغنيمي ـ ط/ مصر ـ بدون .

١٣١ ـ « المدرسة الشاذلية وإمامها أبو الحسن الشاذلي » ط/ دار الكتب الحديثة لصاحبها توفيق عفيفي ـ القاهرة ـ بدون .

١٣٢ ـ « ميزان العمل » لأبي حامد الغزالي ـ ط/ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ـ بدون .

١٣٣ ـ « مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب » لعبد الرحمن بن محمد الأنصاري المعروف بابن الدباغ ـ ط/ دار صادر بيروت ـ بدون .

١٣٤ ـ « مشاره الأنوار في فوز أهل الاعتبار » للشيخ حسن العدوي الحمزاوي ـ ط/ مطبعة الشروق مصر ـ بدون .

١٣٥ ـ « مصرع التصوف » للعلامة برهان الدين البقاعي تحقيق / عبد الرحمن الوكيل ـ ط/ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) .

١٣٦ ـ « معجم مصطلحات الصوفية » للدكتور عبد المنعم الحفني ـ ط/ دار المسيرة بيروت ـ بدون .

١٣٧ ـ « مفاهيم يجب أن تصحح » لمحمد علوي المالكي الحسيني ـ ط/ دار الإنسان القاهرة ـ الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

١٣٨ ـ « منهاج الراغبين في الصفا والأنس ومعراج الواصلين » لمحمد نور ـ

المطبعة العلمية ـ الطبعة الأولى (١٣١٢هـ) .

١٣٩ ـ « المنقذ من الضلال ومعه كيمياء السعادة والقواعد العشرة والأدب في الدين » لأبي حامد العزالي ـ ط/ مؤسسة الكتب الثقافية ـ بدون .

١٤٠ ـ « منازل السائرين إلى الحق عز شأنه » لأبي إسماعيل عبد اللّٰه بن محمد الأنصاري الهروي الصوفي ـ ط/ مصطفى البابي الحلبي مصر ـ الطبعة الثانية .

١٤١ ـ « منهاج العابدين » لأبي حامد الغزالي ـ ط/ الطباعة الفنية المتحدة شارع العباسية مصر ـ بدون .

١٤٢ ـ « المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق » لمحمد بن علي السنوسي ـ ط/ وزارة الثقافة والإعلام ليبيا ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

١٤٣ ـ « المواقف » لمحمد بن عبد الجبار النفري ـ ط/ دار الكتب المصرية القاهرة ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

١٤٤ ـ « المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية » لمحمد أمين الكردي ـ مطبعة السعادة مصر الطبعة الأولى (١٣٢٩هـ) .

١٤٥ ـ « نشر المحاسن الغالية في فضل المشائخ الصوفية أصحاب المقامات العالية » لأبي محمد عبد اللّٰه بن أسعد اليافعي ـ بدون ذكر مكان الطبع الطبعة الأولى (١٣٨١هـ/ ١٩٦١م) .

١٤٦ ـ « نعت البدايات وتوصيف النهايات » لماء العينين بن السيد محمد فاضل ابن مامين ـ بدون ذكر مكان الطبع ولا تاريخه .

١٤٧ ـ « النفحات الأحمدية » لعبده حسن راشد المشهدي الخفاجي ـ مطبعة التقدم العلمية ـ الطبعة الأولى (١٣٢١هـ) .

١٤٨ ـ « النفحة العلية في أوراد الشاذلية » لجامعه عبد القادر زكي ـ ط/ المكتبة الشعبية بيروت ـ لبنان الطبعة الثالثة .

١٤٩ ـ « نفح الأزهار في مولد المختار » لعلي الجندي : عميد كلية العلوم

جامعة القاهرة .

١٥٠ ـ « الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية » للدكتور محمد تقي الدين الهلالي ـ الطبعة الأول (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) .

١٥١ ـ « هذه أسرار الحقيقة لمن سلك الطريقة » لمحمد عبد الرحيم الشاذلي أبو المعارف الحسني الشالي الأحمدي ـ ط/ مطبعة الفتوح الأدبية مصر (١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م) .

١٥٢ ـ « هذه هي الصوفية » للشيخ عبد الرحمن الوكيل ـ ط/ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان الطبعة الرابعة (١٩٨٤م) .

ثانيًا المصادر الأخرى :

١٥٣ ـ « الإبداع في مضار الابتداع » للشيخ / على محفوظ ـ نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة لصاحبها محمد سلطان النمنكاني الطبعة الخامسة (١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) .

١٥٤ ـ « أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام » للشيخ / محمد بخيت المطيعي ـ طبع ونشر جمعية الأزهر العلمية مصر ـ الطبعة الثانية (١٣٥٨هـ) .

١٥٥ ـ « أحكام القرآن » لأبي بكر محمد بن عبد اللّه المعروف بابن العربي تحقيق / علي محمد البجاوي ـ ط/ دار المعرفة بيروت ـ لبنان ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

١٥٦ ـ « الإحاطة في أخبار غرناطة » للسان الدين الخطيب تحقيق/ محمد عبد اللّه عنان ـ ط/ الشركة المصرية للطباعة والنشر القاهرة الطبعة الأولى (١٣٩٧هـ) .

١٥٧ ـ « الاختيار لتحليل المختار » لأبي عبد اللّه بن محمد بن مودور ـ ط/ مصطفى البابي الحلبي القاهرة ـ مصر ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

١٥٨ ـ « أحكام القرآن » للجصاص .

١٥٩ ـ « إرشاد الساري شرح صحيح البخاري » لأبي العباس شهاب الدين

أحمد بن محمد القسطلاني ـ ط/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

١٦٠ ـ « الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة » لجلال الدين السيوطي ـ مطبعة دار التأليف ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

١٦١ ـ « الأسماء والصفات » للحافظ ابي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي تحقيق / محمد زاهد الكوثري الحنفي ضمن « فرقان القرآن » لسلامة الفراس القضاعي الصوفي ـ ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

١٦٢ ـ « أسباب النزول » للنيسابوري أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ـ ط/ الحلبي (٢/ ١٣٨٧هـ) .

١٦٣ ـ « الإسلام والفلسفات القديمة » لأنور الجندي ـ ط/ دار الاعتصام ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

١٦٤ ـ « الاستقامة » لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية تحقيق الدكتور / محمد رشاد سالم ـ ط / جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية الرياض الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م) .

١٦٥ ـ « أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب » لمحمد درويش الحوت ـ ط/ دولة قطر .

١٦٦ ـ « أصول الدين » للأستاذ أبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي ـ ط/ استانبول مطبعة الدولة ـ بدون .

١٦٧ ـ « أصول الدعوة » للشيخ / عبد الكريم زيدان ـ ط/ مكتبة المنار الإسلامية (١٤٠١هـ / ١٩٨١م) .

١٦٨ ـ « أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن » للشيخ / محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي ـ نشر مكتبة ابن تيمية القاهرة طبعة (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) .

١٦٩ ـ « الاعتصام » للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي ـ ط/ دار المعرفة بيروت ـ لبنان (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) .

١٧٠ ـ « الأعلام » لخير الدين الزركلي ـ بدون ذكر مكان الطبع ولا تاريخه ـ الطبعة الثالثة .

١٧١ ـ « أعلام النساء » لعمر رضا كحالة ـ المطبعة الهاشمية الطبعة الثالثة (١٣٧٩هـ) .

١٧٢ ـ « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » للفخر الرازي ـ ط/ شركة الطباعة الفنية المتحدة ـ بدون .

١٧٣ ـ « الأعياد وأثرها على المسلمين » للشيخ سليمان بن سالم بن رجا السحيمي رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

١٧٤ ـ « الأنوار لأعمال الأبرار » .

١٧٥ ـ « إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان » لأبي عبد اللَّه محمد بن أبي بكر الشهير بابن القيم الجوزية ـ ط/ دار المعرفة ببيروت ـ لبنان تحقيق/ محمد حامد الفقي .

١٧٦ ـ « الإفصاح عن معاني الصحاح » .

١٧٧ ـ « اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم » لابن تيمية تحقيق وتعليق الدكتور / ناصر بن عبد الكريم العقل وقف للَّه تعالى على طلبة العلم من صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز أثابه اللَّه تعالى .

١٧٨ ـ « اللَّه في العقيدة الإسلامية » لأحمد بهجت ط/ دار المختار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة الطبعة الثانية (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) .

١٧٩ ـ « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » لعبد الرحمن بن عبد اللَّه المقيط ـ بدون ذكر مكان الطبع ولا تاريخه ط (١٤٠٥هـ) .

١٨٠ ـ « أنباء الغمر بأنباء العمر » لابن حجر العسقلاني تحقيق / حسن حبش ـ

القاهرة (١٩٦٩م) .

١٨١ ـ « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » تفسير ناصر الدين أبي الخير عبد اللّٰه بن عمر البيضاوي ـ ط/ مصطفى البابي الحلبي مصر الطبعة الثانية (١٣٨٨هـ) .

١٨٢ ـ « الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف » للشيخ أبي بكر الجزائري ـ بدون ذكر مكان الطبع ولا تاريخه .

١٨٣ ـ « بدائع الفوائد » لابن القيم الجوزية ـ ط/ دار الكتاب العربي بيروت ـ لبنان .

١٨٤ ـ « بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع » للإمام علاء الدين بن أبي بكر الكاساني ـ مطبعة الإمام القاهرة ـ بدون .

١٨٥ ـ « البداية والنهاية » للحافظ ابن كثير عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي ـ ط/ دار الفكر العربي ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

١٨٦ ـ « بداية المجتهد » لمحمد بن رشد القرطبي ـ ط/ مصطفى البابي الحلبي الطبعة الثالثة (١٣٧٩هـ) .

١٨٧ ـ « البصائر للمتوسلين بالمقابر » للشيخ محمد طاهر الباكستاني ـ طبع على نفقة الشيخ خليفة آل ثان قطر (١٤٠٣هـ).

١٨٨ ـ « البحر المحيط » لأبي حيان بن عبد اللّٰه محمد بن يوسف بن علي بن حيان ـ نشر مكتبة النصر الحديثة الرياض ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

١٨٩ ـ « بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية » لابن تيمية تصحيح وتعليق / محمد بن القاسم ـ مطبعة الحكومة مكة المكرمة (١٣٩٢هـ) .

١٩٠ ـ « تاريخ محمد بن أحمد بن إياس » تحقيق محمد مصطفى القاهرة (١٩٦١م) .

١٩١ ـ « تاريخ ابن خلدون » طبع ونشر دار الكتاب اللبناني مكتبة المدرسة بيروت (١٩٦٦م) .

١٩٢ ـ « تاريخ بغداد » للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ـ نشر دار الكتاب العربي بيروت .

١٩٣ ـ « التبر المسبوك في ذيل السلوك » للحافظ محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان السخاوي ـ نشر مكتبة الكليات الأزهرية ـ بدون .

١٩٤ ـ « تجريد التوحيد المفيد » للإمام تقي الدين أحمد بن علي المقريزي تعليق / طه محمد الزيني ـ ط/ مركز شئون الدعوة الإسلامية بالجامعة الإسلامية .

١٩٥ ـ « التحذير من مختصرات محمد على الصابوني في التفسير » للشيخ بكر ابن عبد اللَّه أبو زيد ـ نشر دار الراية الرياض الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ) .

١٩٦ ـ « التحفة العراقية في الأعمال القلبية » لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن «أمراض القلوب وشفائها » له تقديم الدكتور محمود مطرجي ـ ط/ دار القلم بيروت ـ لبنان ـ بدون .

١٩٧ ـ « تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي » للإمام أبي العلي محمد بن عبد الرحمن المباركفوري ـ ط/ دار الفكر للطباعة والنشر الطبعة الثالثة (١٣٩٩هـ) .

١٩٨ ـ « تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داوود بن جرجيس » للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ـ بدون .

١٩٩ ـ « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة » لأبي الريحان محمد بن أحمد ـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية بميدان أباد الدكن الهند (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م) .

٢٠٠ ـ « تحفة المحتاج » لأحمد بن حجر الهيثمي ـ ط/ مصطفى محمد القاهرة .

٢٠١ ـ « تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد » للشيخ / محمد ناصر الدين الألباني .

٢٠٢ ـ « تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد » للمحدث / محمد بن إسماعيل

الأمير الصنعاني ضمن كتاب « الجامع الفريد » ـ طبع على نفقة محمد بن إبراهيم النعمان .

٢٠٣ ـ « التعريفات » للشريف علي بن محمد الجرجاني ـ ط/ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان الطبعة الثالثة (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) .

٢٠٤ ـ « تفسير القرآن العظيم » للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير ـ ط/ مكتبة دار التراث القاهرة (١٤٠٠هـ).

٢٠٥ ـ « تفسير القرآن الحكيم » الشيهر « بتفسير المنار » لمحمد رشيد رضا ـ ط/ دار المعرفة بيروت ـ لبنان الطبعة الثانية ـ بدون .

٢٠٦ ـ « التفسير الكبير » للفخر الرازي ـ ط/ المطبعة البهية المصرية ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

٢٠٧ ـ « تفسير روح المعاني » للآلوسي ـ ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

٢٠٨ ـ « تفسير النسفي » لأبي عبد الجليل بن أحمد أبي البركات ـ ط/ دار إحياء الكتب العربية ـ بدون .

٢٠٩ ـ « تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان » لنظام الدين الحسن بن محمد القمي ـ ط/ مصطفى الحلبي الطبعة الأولى ـ بدون .

٢١٠ ـ « تفسير القرآن العظيم » لجلال الدين السيوطي وجلال الدين محمد بن أحمد ـ ط/ دار إحياء الكتب العربية ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

٢١١ ـ « تفسير أبي السعود » لأبي السعود محمد العمادي الحنفي ـ ط/ مطبعة السعادة ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

٢١٢ ـ « تفسير القرآن الكريم » للشيخ محمود شلتوت ـ ط/ دار القلم .

٢١٣ ـ « تقوية الإيمان » لمحمد بن إسماعيل الدهلوي.

٢١٤ ـ « تلبيس إبليس » للحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن

الجوزي البغدادي ـ ط/ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ـ بدون ذكر تاريخ الطبع.

٢١٥ ـ « تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري » لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ نشر الدار العلمية السعودية ـ بدون .

٢١٦ ـ « تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار » للدكتور / صالح بن سعد السحيمي ـ ط/ دار ابن حزم الرياض الطبعة الأولى (١٤١٠هـ / ١٩٨٩م) .

٢١٧ ـ « تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة » لأبي الحسن علي بن محمد الكناني ـ نشر مكتبة القاهرة الطبعة الأولى ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

٢١٨ ـ « توحيد الألوهية أساس الإسلام » لحامد بن عبد القادر الأحمدي رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية . بالمدينة المنورة .

٢١٩ ـ « توضيح الكافية الشافية » للشيخ / عبد الرحمن بن ناصر السعدي .

٢٢٠ ـ « التوضيح عن توحيد الخلاق » للشيخ / سليمان بن عبد اللّٰه ـ ط/ دار طيبة الرياض الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ) .

٢٢١ ـ « التوسل أنواعه وأحكامه » للشيخ / محمد ناصر الدين الألباني ـ ط/ المكتب الإسلامي بيروت ـ لبنان . وكذلك سوريا دمشق الطبعة الثانية (١٣٩٧هـ) .

٢٢٢ ـ « تهذيب اللغة » لأبي المنصور محمد بن أحمد الأزهري اللغوي تحقيق الدكتور / عبد الحليم النجار مراجعة الأستاذ / محمد علي النجار ـ نشر الدار المصرية للتأليف والنشر ـ ط/ مطابع سجل العربي ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

٢٢٣ ـ « تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد » للشيخ / سليمان بن عبد اللّٰه بن محمد بن عبد الوهاب ـ ط/ المكتب الإسلامي بيروت ـ لبنان ـ بدون .

٢٢٤ ـ « تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان » للشيخ / عبد الرحمن ابن سعدي ـ ط/ المطبعة السلفية ومكتبتها (١٣٧٧هـ) .

٢٢٥ ـ « جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله » للإمام المحدث

المجتهد حافظ المغرب أبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي الأندلسي ـ ط/ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ـ بدون .

٢٢٦ ـ « جامع الترمذي » للإمام الحافظ أبي عيسى بن سورة الترمذي مع شرحه « تحفة الأحوذي » لمباركفوري ـ ط/ دار الفكر الطبعة الثالثة (١٣٩٩ ـ ١٩٧٩م) .

٢٢٧ ـ « جامع العلوم والحكم » للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين ابن رجب الحنبلي ـ ط/ دار المعرفة بيروت ـ بدون .

٢٢٨ ـ « الجامع لأحكام القرآن » لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ـ ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان (١٩٦٧م) .

٢٢٩ ـ « جامع البيان في تفسير القرآن » للإمام الكبير المحدث الشهير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ـ ط/ دار المعرفة بيروت لبنان ـ بدون .

٢٣٠ ـ « جامع الأصول في أحاديث الرسول » للإمام أبي السعادات مبارك بن محمد بن الأثير تحقيق / محمد حامد الفقي ـ ط/ مطبعة السنة المحمدية الطبعة الأولى (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م) .

٢٣١ ـ « جزيرة العرب » لحافظ وهبة ـ القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الخامسة (١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م) .

٢٣٢ ـ « جلاء العينين في محاكمة الأحمدين » للسيد نعمان خير الدين الشهير بابن الآلوسي البغدادي ـ ط/ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ـ بدون .

٢٣٣ ـ « جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد » للسيد عبد الله هاشم اليماني ـ بدون .

٢٣٤ ـ « الجواهر في تفسير القرآن » للشيخ / الحكيم طنطاوي جوهري ـ ط/ مصطفى البابي الحلبي الطبعة الثانية (١٣٥٠هـ) .

٢٣٥ ـ « الجواهر السنية » لعبد الصمد الأحمدي ـ ط/ صبح بدون ذكر ـ تاريخ الطبع .

٢٣٦ ـ « جوامع السيرة » للإمام ابن حزم أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم تحقيق الدكتور / إحسان عباس والدكتور / ناصر الدين الأسد ـ ط/ دار المعارف مصر ـ بدون .

٢٣٧ ـ « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ مطبعة المدني (١٣٨٣هـ) .

٢٣٨ ـ « حاشيتا قلوبي وعميرة » على شرح جلال الدين الحلي على « المنهاج» لأحمد بن سلامة شهاب الدين القيلوبي ـ ط/ عيسى البابي الحلبي ـ بدون .

٢٣٩ ـ « حياة الرسول المصطفى » للعميد عبد الرزاق محمد أسواط ـ ط/ الدار العلمية للموسوعات ـ بيروت لبنان ـ بدون .

٢٤٠ ـ « حاضر العالم الإسلامي » للوثروب ستودارد الأمريكي نقله إلى العربية الأستاذ عجاج نويهض ـ بدون .

٢٤١ ـ « حاشية الدسوقي » .

٢٤٢ ـ « حاشية السندي على سنن النسائي » ط/ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ـ بدون .

٣٤٣ ـ « حاشية در المختار » لابن عابدين للسيد محمد أمين أفندي الشهير بابن عابدين ـ بدون .

٢٤٤ ـ « حجة اللّٰه البالغة » للشيخ / أحمد المعروف بشاه ولي اللّٰه بن عبد الرحيم الدهلوي ـ ط/ دار المعرفة .

٢٤٥ ـ « حكم اللّٰه الواحد الصمد في حكم الطلب من الميت المدد » للمعصومي الجندي أبو عبد الكريم محمد سلطان ـ بدون ذكر مكان الطبع .

٢٤٦ ـ « حوار مع علوي المالكي في رد منكراته وضلالاته » للشيخ / عبد اللّٰه ابن سليمان بن منيع القاضي بمحكمة التمييز بمكة المكرمة ـ طبع على نفقة بعض المحسنين (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) .

٢٤٧ ـ « خاتم النبيين ﷺ » لمحمد أبو زهرة ـ ط/ دار الفكر العربي .

٢٤٨ ـ « الخير الكثير » للدهلوي .

٢٤٩ ـ « دائرة المعارف الإسلامية » نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندي ـ ط/ مؤسسة عبد الحفيظ لتجليد وتصنيع الكتب بيروت ـ لبنان ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

٢٥٠ ـ « الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد » للعلامة الفقيه المجتهد محمد ابن علي الشوكاني ـ ط/ مكتبة الصحابة الإسلامية العالمية الكويت ـ بدون .

٢٥١ ـ « الدرر في اختصار المغازي والسير » للإمام بن عبد البر تحقيق الدكتور/ شوقي ضيف ـ ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م) .

٢٥٢ ـ « الدر المنثور في التفسير بالمأثور » لجلال الدين السيوطي ـ ط/ محمد أمين .

٢٥٣ ـ « دراسات في الفرق » للدكتور صابر طعيمة ـ ط/ مكتبة المعارف الرياض الطبعة الثانية (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣) .

٢٥٤ ـ « الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة » لابن حجر العسقلاني تحقيق/ حميد سيد جاد الحق ـ ط/ دار الكتب الحديثة .

٢٥٥ ـ « دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها » لعبده الشمالي ـ ط/ دار صادر بيروت ط : (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) .

٢٥٦ ـ « دعوة التوحيد » لمحمد خليل هراس ـ ط/ مكتبة الصحابة طنطا ـ بدون .

٢٥٧ ـ « دلائل النبوة » للبيهقي أحمد بن الحسين بن علي تحقيق عبد المعطي القلعجي .

٢٥٨ ـ « الدين الخالص » للسيد محمد صديق حسن القنوجي البخاري ـ ط/ مكتبة دار التراث ٢٢ شارع الجمهورية القاهرة .

٢٥٩ ـ « رحلة الصديق إلى البيت العتيق » للصديق حسن خان تصحيح وتعليق عبد الحكيم شرف الدين ط / دار ابن القيم الطبعة الثالثة (١٤٠٦هـ) .

٢٦٠ ـ « رحمة الأمة في اختلاف الأئمة » لأبي عبد اللّٰه بن عبد الرحمن الدمشقي العثماني ـ ط/ مصطفي البابي الحلبي ـ ط/ الأولى (١٣٧٩هـ) .

٢٦١ ـ « رسالة الشرك ومظاهره » للشيخ مبارك بن محمد الميلي ـ ط/ مركز شئون الدعوة بالمدينة المنورة الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ) .

٢٦٢ ـ « روضة الأفكار والأفهام » للشيخ العلامة حسين بن غنام ـ ط/ مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر الطبعة الأولى .

٢٦٣ ـ « الروض الأنف في شرح السيرة النبوية » لابن هشام تحقيق وتعليق وشرح عبد الرحمن الوكيل ـ ط/ دار الكتب الحديثة مصر ـ بدون .

٢٦٤ ـ « الروض الندي شرح كاف المبتدي في الفقه الحنبلي » للإمام أحمد البعلي .

٢٦٥ ـ « زاد المعاد في هدي خير العباد » لابن القيم الجوزية تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط ـ ط/ مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثامنة (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥) .

٢٦٦ ـ « زاد المسير » لأبي عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ـ ط/ المكتب الإسلامي دمشق الطبعة الأولى (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م) .

٢٦٧ ـ « زاد المستقنع » لمنصور بن يونس البهوتي .

٢٦٨ ـ « الزهد والرقائق » لعبد اللّٰه بن المبارك تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ـ ط/ دار الكتب العربية بيروت ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

٢٦٩ ـ « سبل السلام شرح بلوغ المرام » للشيخ الإمام / محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني تحقيق / محمد بن عبد العزيز الخولي ـ نشر مكتبة عاطف بجوار إدارة الأزهر ـ بدون .

٢٧٠ ـ « السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير » للشيخ / الإمام الخطيب الشربيني ـ بدون ذكر مكان الطبع .

٢٧١ ـ « سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيىء في الأمة » تخريج الشيخ / محمد ناصر الدين الألباني ـ ط/ المكتب الإسلامي .

٢٧٢ ـ « السلوك » للمقريزي ـ ط/ دار الكتب القاهرة ـ تحقيق زيادة ـ بدون .

٢٧٣ ـ « السنن والمبتدعات » للشيخ / محمد عبد السلام خضر الشقيري ـ ط/ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ط : (١٤٠٠هـ / ١٩٧٠م) .

٢٧٤ ـ « سنن النسائي » للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي مع شرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي ـ ط/ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ـ بدون .

٢٧٥ ـ « سنن ابن ماجه » للإمام الحافظ أبي عبد اللَّه محمد بن يزيد القزويني. تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ـ ط/ عيسى البابي الحلبي مصر ـ بدون .

٢٧٦ ـ « سنن الدارمي » للإمام أبي محمد عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن الفضل ابن سلام الدارمي ـ يطلب من دار الكتب العلمية ـ نشر دار إحياء السنة النبوية ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

٢٧٧ ـ « سنن أبي داود » لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني مع « بذل المجهود » ـ ط/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

٢٧٨ ـ « السنن الصغرى » للبيهقي الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي تعليق الدكتور / عبد المعطي قلعجي ـ ط/ دار الوفاء المنصور الطبعة الأولى (١٤١٠هـ) .

٢٧٩ ـ « السنن الكبرى » للبيهقي الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي .

٢٨٠ ـ « « السيرة النبوية » لأبي محمد عبد الملك بن هشام تحقيق / نخبة من

العلماء ـ ط/ دار الفكر القاهرة .

٢٨١ ـ « السيرة النبوية » لابن كثير تحقيق مصطفى عبد الواحد ـ نشر دار المعرفة بيروت .

٢٨٢ ـ « السيرة النبوية وأخبار الخلفاء » لأبي حاتم محمد بن أحمد التميمي البستي ـ ط/ مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ) .

٢٨٣ ـ « شأن الدعاء » للخطابي أحمد بن محمد أبي سليمان تحقيق أحمد يوسف الدقاق ـ ط/ دار المأمون للتراث دمشق الطبعة الأولى .

٢٨٤ ـ « الشريعة » للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري تحقيق محمد حامد الفقي ـ ط/ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

٢٨٥ ـ « شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك » لمحمد الزرقاني ـ ط/ دار المعرفة بيروت ـ لبنان ط / (١٣٩٨هـ) .

٢٨٦ ـ « شرح الحافظ جلال الدين السيوطي لسنن النسائي » ط/ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ـ بدون .

٢٨٧ ـ « شرح النووي على صحيح مسلم » للحافظ أبي زكريا محيي الدين بن شرف الشافعي : المطبعة المصرية ومكتبتها ـ بدون تاريخ الطبع .

٢٨٨ ـ « الشرح الكبير » لأحمد بن محمد العدوي الشهير بالدرديري ـ ط/ عيسى البابي الحلبي ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

٢٨٩ ـ « شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد » للعلامة الشيخ / محمد الفارسي الحنبلي ـ ط/ المكتب الإسلامي .

٢٩٠ ـ « الشرح الصغير على أقرب المسالك » للدردير .

٢٩١ ـ « شرح أسماء اللّه الحسنى » لسعيد بن علي القحطاني الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ) .

٢٩٢ ـ « شرح السنة » للبغوي أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء ـ ط/ المكتب الإسلامي الطبعة الأولى (١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م) .

٢٩٣ ـ « شرح العقيدة الواسطية » للشيخ صالح فوزان الفوزان ـ ط/ مكتبة المعارف بالرياض الطبعة الرابعة (١٤٠٧هـ) .

٢٩٤ ـ « شرح العقيدة الطحاوية » لعلي بن محمد بن أبي العز الحنفي تحقيق ومراجعة جماعة من العلماء خرج أحاديثها / محمد ناصر الدين الألباني ـ ط/ دار الفكر العربي بيروت ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

٢٩٥ ـ « شرح الصدور بتحريم رفع القبور » للإمام الشوكاني ضمن كتاب «الجامع الفريد » طبع على نفقة محمد بن إبراهيم النعمان .

٢٩٦ ـ « شرح المواهب اللدنية » للزرقاني لمحمد عبد الباقي الزرقاني الطبعة الأولى ـ ط/ الأزهرية المصرية ـ بدون .

٢٩٧ ـ « شعب الإيمان » للبيهقي الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي .

٢٩٨ ـ « شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل » لابن القيم الجوزية ـ نشر مكتبة التراث القاهرة ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

٢٩٩ ـ « الشفاء بتعريف حقوق المصطفى » للقاضي عياض ـ مطبعة محمد علي صبيح وأولاده مصر ـ بدون .

٣٠٠ ـ « الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته » للشيخ / عبد اللّه بن حميد ـ مطبوع ضمن « هداية المناسك » ومعه مجموعة رسائل الطبعة السابعة (١٣٩٨هـ) .

٣٠١ ـ « الصارم المنكي في الرد على السبكي » للإمام محمد بن أحمد بن عبد الهادي ـ ط/ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى (١٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

٣٠٢ ـ « « صبح الأعشى في صناعة الإنشا » لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي ـ نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٤٠٥هـ) .

٣٠٣ ـ « صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري » لأبي عبد اللّٰه محمد بن إسماعيل البخاري ترقيم محمـد فؤاد عبد الباقي ـ ط/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

٣٠٤ ـ « صحيح مسلم بشرح النووي » لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري المطبعة المصرية ومكتبتها ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

٣٠٥ ـ « صحيح ابن خزيمة » لابن خزيمة السلمي النيسابوري تحقيق مصطفى الأعظمي ـ ط/ المكتب الإسلامي الطبعة الأولى (١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م) .

٣٠٦ ـ « صحيح أبي عوانة » ط/ مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند ـ بدون.

٣٠٧ ـ « الصحاح » للجوهري إسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار ـ ط/ دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثانية (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) .

٣٠٨ ـ « الصراع بين الوثنية والإسلام » لعبد اللّٰه القصيمي الطبعة الثانية القاهرة (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) .

٣٠٩ ـ « صراع بين الحق والباطل » لسعد صادق محمد ـ ط/ دار اللواء بالمملكة العربية السعودية الطبعة الخامسة (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) .

٣١٠ ـ « الطب النبوي لابن القيم الجوزية » تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط ـ ط/ مؤسسة الرسالة مكتبة المنار الإسلامية الكويت الحولي الطبعة الثالثة (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) .

٣١١ ـ « طريق الهجرتين وباب السعادتين » لابن القيم الجوزية ـ ط/ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى (١٤٠٢هـ) .

٣١٢ ـ « ظهر الإسلام لأحمد أمين » ط/ دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الخامسة .

٣١٣ ـ « العبودية » لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ ط/ مكتبة المدني ومطبعتها جدة

سوق الندى ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

٣١٤ ـ « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » للعلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتي ـ ط/ دار الجيل بيروت لبنان الطبعة الثانية .

٣١٥ ـ « عقيدة المؤمن » للشيخ / أبي بكر الجزائري ـ ط/ دار الكتب السلفية القاهرة (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) .

٣١٦ ـ « عقد الفرائد وكنز الفوائد » لشمس الدين أبي عبد اللّه محمد بن عبد القوي المقدسي .

٣١٧ ـ « علماء نجد خلال ستة قرون » لفضيلة الشيخ / عبد اللّه بن عبد الرحمن بن صالح البسام ـ ط/ مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة مكة المكرمة الطبعة الأولى (١٣٩٨هـ) .

٣١٨ ـ « عنوان المجد في تاريخ نجد » للشيخ عثمان بن عبد اللّه بن بشر المطبعة السلفية بمكة المكرمة (١٣٤٩هـ) .

٣١٩ ـ « عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير » تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان الطبعة الثالثة (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) .

٣٢٠ ـ « غاية الأماني في الرد على النبهاني » للعلامة / أبي المعالي محمود شكري الآلوسي المطبعة العربية لاهور (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) .

٣٢١ ـ « الفتوى الحموية الكبرى » لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ـ ط/ القاهرة في روضة الفسطاط ـ بدون .

٣٢٢ ـ « الفتاوى الكبرى » لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق وتعليق وتقديم/ محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ـ ط/ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م) .

٣٢٣ ـ « فتح المجيد شرح كتاب التوحيد » للشيخ : عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ـ ط/ دار الفكر الطبعة السادسة (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) .

٣٢٤ ـ « فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير » للإمام محمد بن علي الشوكاني ـ ط/ مصطفي البابي الحلبي مصر الطبعة الثانية .

٣٢٥ ـ « فتح الباري شرح صحيح البخاري » للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ ط/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٣٢٦ ـ « فتوح البلدان » لأحمد بن يحيي بن جابر المعروف بالبلاذري ـ طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية القاهرة ـ رضوان محمد رضوان .

٣٢٧ ـ « فتح البيان في إعجاز القرآن » لصديق حسن خان ـ مطبعة العاصمة القاهرة نشر عبد الحي علي محفوظ .

٣٢٨ ـ « الفتح المبين » للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي .

٣٢٩ ـ « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » لابن تيمية ـ ط/ المكتب الإسلامي بيروت ودمشق ـ بدون .

٣٣٠ ـ « الفرق بين الفرق » للبغدادي عبد القاهر بن طاهر ـ من منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت الطبعة الثانية (١٩٧٧م) .

٣٣١ ـ « فقه السنة » للسيد سابق ـ ط/ دار الكتاب العربي بيروت لبنان الطبعة الشرعية السادسة (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) .

٣٣٢ ـ « الفوائد » لابن قيم الجوزية ـ تحقيق بشير محمد عيون نشر مكتبة دار البيان دمشق الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) .

٣٣٣ ـ « فيض الإله المالك في حل ألفاظ عمدة السالك » للسيد محمد بركات البقاعي المكي .

٣٣٤ ـ « قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة » لشيخ الإسلام اين تيمية ـ طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) .

٣٣٥ ـ « قاموس العادات والتقاليد المصرية » لمحمد فهمي عبد اللطيف ـ ط/

المركز العربي للصحافة القاهرة .

٣٣٦ ـ « القاموس المحيط » لفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ـ طبع المؤسسة العربية للطباعة والنشر بيروت .

٣٣٧ ـ « القائد إلى تصحيح العقائد » . المعلمي عبد الرحمن بن يحيي المعلمي اليماني ـ ط/ المكتب الإسلامي .

٣٣٨ ـ « قرة عيون الموحدين » للشيخ / عبد الرحمن بن حسن ـ طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد الرياض (١٤٠٤هـ) الطبعة الثالثة .

٣٣٩ ـ « القضاء والقدر بين الفلسفة والدين » لعبد الكريم الخطيب ـ ط/ دار الفكر الطبعة الثانية (١٩٧٩م) .

٣٤٠ ـ « قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر » للشيخ صديق حسن خان تعليق الدكتور / عاصم بن عبد اللّٰه القريوتي ـ الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ) .

٣٤١ ـ « القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل » للشيخ إسماعيل ابن محمد الأنصاري طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض (١٤٠٥هـ) .

٣٤٢ ـ « القواعد النورانية الفقهية » لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية تحقيق محمد حامد الفقي ـ ط/ مكتبة المعارف الرياض . الطبعة الأولى (١٤٠٢هـ) .

٣٤٣ ـ « الكامل في التاريخ » لابن الأثير ـ ط/ دار الكتاب العربي بيروت لبنان الطبعة السادسة (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) .

٣٤٤ ـ « كاف المبتدي » للإمام أحمد بن حنبل .

٣٤٥ ـ « الكبائر » للذهبي الحافظ أبي عبد اللّٰه محمد بن أحمد بن عثمان .

٣٤٦ ـ « كتاب الرد على المنطقيين » لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ نشر إدارة ترجمان السنة ٤٧٥ شادمان لاهور الطبعة الرابعة (١٠٤٢هـ/ ١٩٨٢م) .

٣٤٧ ـ « كتاب الرد على الأخنائي » لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق عبد الرحمن يحيي المعلمي اليماني ـ بدون .

٣٤٨ ـ « كتاب الزهد » لأبي عبد اللّه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني : دراسة وتحقيق/ محمد السعيد بسيوني زغلول ـ ط/ دار الكتاب العربي بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) .

٣٤٩ ـ « كتاب الإيمان » للحافظ محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده تحقيق الدكتور علي بن ناصر فقيهي ـ ط/ المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية الطبعة الأولى (١٤٠١هـ) .

٣٥٠ ـ « كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث » لأبي شامة الإمام شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة ـ ط/ دار الراية ـ بدون .

٣٥١ ـ « كتاب المغازي » لمحمد بن عمر بن واقد تحقيق الدكتور / مارسن جونس ـ منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان .

٣٥٢ ـ « كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك » لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي ـ بدون ذكر مكان الطبع ولا تاريخه .

٣٥٣ ـ « كتاب التوحيد » للشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ ومعه كتاب « القول السديد » ط/ مركز شئون الدعوة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٣٥٤ ـ « كتاب الجهاد » لابن أبي عاصم تحقيق مساعد بن سليمان الراشد الحميد ـ ط/ دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع دمشق الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ) .

٣٥٥ ـ « كتاب الجهاد » لعبد اللّه بن المبارك ـ ط/ دار النور بيروت بدون .

٣٥٦ ـ « الكشاف الفريد عن معاول الهدم ونقائض التوحيد » لخالد محمد علي الحاج .

٣٥٧ ـ « كلمة الإخلاص وتحقيق معناها » لابن رجب الحنبلي الطبعة الرابعة

المكتب الإسلامي .

٣٥٨ ـ « الكواكب السائرة » لنجم الدين العزبي ـ منشورات دار الأمان الجديدة بيروت ـ بدون .

٣٥٩ ـ « لسان العرب » لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ـ ط/ دار صادر بيروت ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

٣٦٠ ـ « لسان الميزان » لابن حجر العسقلاني .

٣٦١ ـ « مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب » نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض .

٣٦٢ ـ « المبدع » لابن مفلح أبي إسحاق إبراهيم الحنبلي ـ ط/ المكتب الإسلامي .

٣٦٣ ـ « مجموعة التوحيد » تحقيق بشير محمد عيون ـ مراجعة الشيخ / عبد القادر الأرنؤوط ـ نشر مكتبة دار البيان دمشق توزيع مكتبة المؤيد الطائف (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) .

٣٦٤ ـ « مجمع الزوائد ومنبع الفوائد » للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ـ بتحرير الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر ـ ط/ دار الكتاب العربي بيروت ـ لبنان الطبعة الثالثة (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) .

٣٦٥ ـ « مجموعة الرسائل والمسائل النجدية » جمع الشيخ سليمان سحمان الطبعة الأولى مطبعة المنار مصر (١٣٤٥هـ) .

٣٦٦ ـ « مجمع البيان في تفسير القرآن » لأبي الفضل الحسن الطبرسي (ط/ مكتبة الحياة بيروت ـ بدون .

٣٦٧ ـ « مجموعة الرسائل المنبرية » ـ ط/ دار ضياء للتراث العربي بيروت ـ لبنان ـ بدون .

٣٦٨ ـ « مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية » جمع وترتيب الشيخ

عبد الرحمن بن محسن بن قاسم النجدي ـ بدون .

٣٦٩ ـ « محاسن التأويل » لمحمد جمال الدين القاسمي ـ ط/ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ـ بدون .

٣٧٠ ـ « محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته » محاضرة للشيخ / عبد العزيز ابن عبد اللّه بن باز ـ ط/ الدار السعودية للنشر ـ بدون .

٣٧١ ـ « مختصر منهاج القاصدين » لأحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي تحقيق عبد اللّه الليث الأنصاري ـ ط/ دار المعرفة بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ).

٣٧٢ ـ « مدارج السالكين » لابن قيم الجوزية تحقيق محمد حامد الفقي ـ ط/ دار الكتاب العربي بيروت لبنان ـ بدون .

٣٧٣ ـ « مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني » ـ ط/ دار صادر بيروت .

٣٧٤ ـ « مختصر إسماعيل بن يحيي المزني » بهامش كتاب « الأم » للشافعي .

٣٧٥ ـ « مسند الحميدي » للحافظ أبي بكر عبد اللّه بن الزبير الحميدي بتحقيق الأستاذ حبيب الرحمن الأعظمي ـ نشر المجلس العلمي كراتشي باكستان الطبعة الأولى (١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م) .

٣٧٦ ـ « مسند أبي داود الطيالسي » لأبي داود الطيالسي ترتيب عبد الرحمن البنا ـ المطبعة المنيرية (١٣٧٢هـ) .

٣٧٧ ـ « مستدرك الحاكم على الصحيحين » لأبي عبد اللّه الحاكم محمد بن عبد اللّه ـ نشر دار الكتب العلمية بيروت ـ بدون .

٣٧٨ ـ « مشتهي الخارف الجاني في رد زلقات التيجاني الجاني » لمحمد خضر الجكني الشنقيطي دار البشر عمان ـ بدون .

٣٧٩ ـ « مشكاة المصابيح » لمحمد بن عبد اللّه الخطيب التبريزي . تحقيق / محمد ناصر الدين الألباني ـ ط/ المكتب الإسلامي بيروت ودمشق الطبعة الأولى (١٣٨٩هـ) .

٣٨٠ ـ « المصباح المنير » لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ـ الطبعة الخامسة ـ المطبعة الأميرية ـ بدون .

٣٨١ ـ « مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني » تحقيق / حبيب الرحمن الأعظمي بيروت ـ لبنان ـ بدون .

٣٨٢ ـ « مصنف ابن أبي شيبة » ط/ حيدر آباد بعناية عزيز بك .

٣٨٣ ـ « معجم الطبراني الكبير » للطبراني سليمان بن أحمد ـ تحقيق / أحمد عبد المجيد سلفي / مطبعة الوطن العربي بغداد الطبعة الأولى (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) .

٣٨٤ ـ « معجم المؤلفين » لعمر رضا كحالة ـ نشر مكتبة المثني بيروت دار صادر بيروت .

٣٨٥ ـ « معارج الألباب في مناهج الحق والصواب » للشيخ / حسن بن مهدي النعيمي ـ تحقيق / محمد حامد الفقي ـ ط/ مكتبة المعارف الرياض الطبعة الثالثة (١٤٠٥هـ) .

٣٨٦ ـ « المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقيا والأندلس » لأحمد بن يحيى ـ ط/ بيروت لبنان (١٤١٠هـ) .

٣٨٧ ـ « معجم مقاييس اللغة » لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الطبعة الأولى القاهرة .

٣٨٨ ـ « معارج القبول » للشيخ / حافظ بن أحمد حكمي ـ المطبعة السلفية ومكتبتها ٢١ شارع الفتح بالروضة ـ بدون .

٣٨٩ ـ « معاني القرآن وإعرابه » ـ للزجاج ـ ط/ عالم الكتب بيروت ـ الأولى (١٤٠٨هـ) .

٣٩٠ ـ « مغنى المحتاج » لمحمد الشربيني الخطيب ـ ط/ مصطفى البابي الحلبي (١٣٧٧هـ) .

٣٩١ ـ « المغني » لابن قدامة أبي محمد عبد اللّه بن أحمد بن محمد ـ ط/

مؤسسة عبد الحفيظ البساط بيروت ـ لبنان ـ بدون .

٣٩٢ ـ « المفردات في غريب القرآن » لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني : تحقيق / محمد سعيد كيلاني ـ ط/ دار المعرفة بيروت ـ لبنان ـ بدون ذكر تاريخ الطبع .

٣٩٣ ـ « مفيد المستفيد » لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ مطبوع في جامعة الإمام ضمن مطبوعات مؤلفات الشيخ / محمد بن عبد الوهاب .

٣٩٤ ـ « منهاج السنة النبوية » لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق الدكتور/ محمد رشاد سالم ـ ط/ جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) .

٣٩٥ ـ « المنهاج في شعب الإيمان » للحليمي : تحقيق / حلمي محمد فودة الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ) ـ ط/ دار الفكر .

٣٩٦ ـ « الموافقات في أصول الشريعة » لأبي إسحاق الشاطبي إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي ـ ط/ دار المعرفة بيروت ـ لبنان .

٣٩٧ ـ « المورد في عمل المولد » حكم الاحتفال بالمولد النبوي . للإمام أبي حفص تاج الدين الفاكهاني ـ ط/ مكتبة المعارف الرياض الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ) .

٣٩٨ ـ « موطأ الإمام مالك بن أنس » تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي ـ ط/ عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ـ بدون .

٣٩٩ ـ وكذلك « الموطأ » مع شرح الزرقاني .

٤٠٠ ـ « موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان » لنور الدين على بن أبي بكر الهيثمي تحقيق / محمد عبد الرزاق حمزة ـ ط / : دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

٤٠١ ـ « نبذة في الدعاء » لليافعي .

٤٠٢ ـ « نزهة النفوس والأبدان » لابن الصيرفي على بن داود الجوهري تحقيق/ حسن حبش القاهرة (١٩٧٠م) .

٤٠٣ ـ « نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر » لابن الجوزي

أبي الفرج عبد الرحمن : تحقيق / محمد عبد الكريم كاظم ـ ط/ (١٤٠٤هـ) بيروت ـ لبنان .

٤٠٤ ـ « نقض المنطق » لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية تصحيح / محمد حامد الفقي ـ مكتبة السنة المحمدية ٥ شارع سامي البارودي ـ بدون .

٤٠٥ ـ « النهاية في غريب الحديث والأثر » للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك الجزري المعروف بابن الأثير ـ ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى (١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م) .

٤٠٦ ـ « نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار » للإمام محمد بن علي الشوكاني» ـ ط/ مصطفى البابي الحلبي الطبعة الأخيرة مصر .

٤٠٧ ـ « الوافي في شرح الأربعين النووية » .

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضــــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الفصل الثاني
أساليب مقاومة الزحف الصوفي